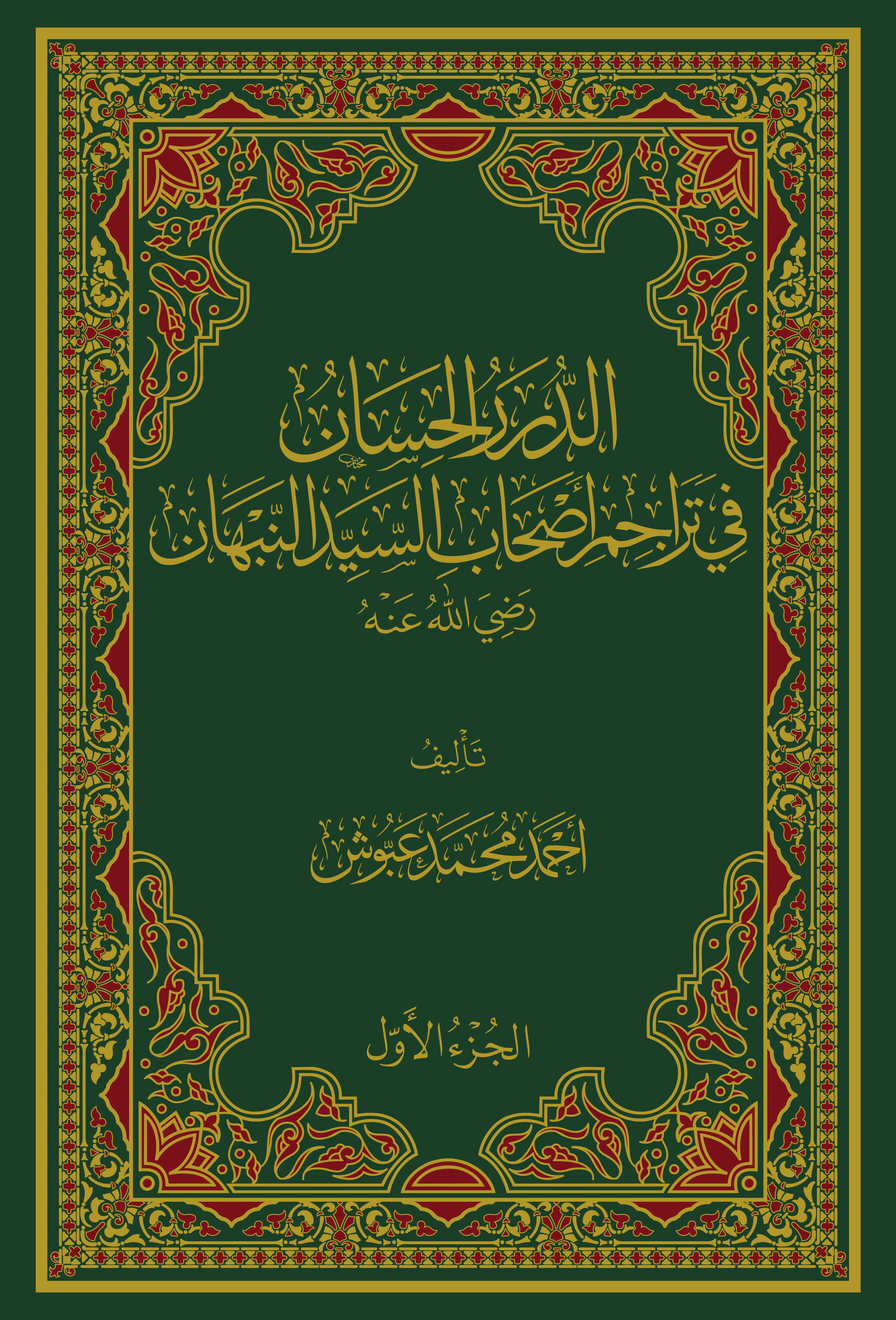

الدرر الحسان
في تراجم أصحاب السيد النبهان
رضي الله عنه
تأليف
أحمد محمد عبوش
الجزء الأول


الدرر الحسان
في تراجم أصحاب السيد النبهان
(رضي الله عنه)

الدُّرَرُ الحِسَانْ

في تَرَاجِمِ أَصْحَابِ السَّيِّدِ النَّبْهَانْ

(رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)

تأْلِيف

أحمد محمد عبوش

الجُزْءُ الأَوَّل

الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

الردمك ٦-٧٤٠-٧٢-٩٩٥٣

«إصدار إلكتروني ثان، مصحح بتاريخ ١ رمضان ١٤٤٢هـ»



يحتوي الكتاب على رموز (QR Code) لسماع ملفات صوتية تخص التراجم، عن طريق مسح الرموز بأي برنامج قارئ للرموز في الجوال

للتواصل مع المؤلف

 abouch70@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

سيّدي وسندي .. وقرة عيني .. الوارث المحمّدي

محمّد بن أحمد النبهان رضي الله عنه

أتقدم إلى مقامك العالي ، يا من ربّيتنا على الفضائل والمعالي ،

لأهديك الدرر الحسان ، وهو زهرة من ثمار حدائقك اليانعة ،

يحكي عن درر للفضائل جامعة ، كانوا في المجالس زينة ،

بما نالوا بصحبتكم من أخلاق رزينة ، ومن كريم الخصال والشيم ،

فنشروها في البلاد كأنهم الديم .

سيّدي أرجو منك القبول ، وإلى ما تتمناه لنا الوصول .

أحمد محمّد عبّوش



يطيبُ لي أنْ أُقَدِّمَ وافر الشكر والتقدير والامتنان لكلِّ مَنْ كان له يَدٌ أو فضلٌ بعدَ الله -سبحانه وتعالى- في خدمة هذا الكتاب، مِنْ موافاتي بتراجم أو أقوال أو روايات أو أخبار أو تخريج أحاديث أو توثيق أقوال أو ضَبْطِ أشعار أو تصحيحٍ وتدقيق، وأخصُّ بالذكر السيدَ بشار بن أحمد النَّبهان، والدكتور محمود بن أحمد الزين -رحمه الله-، والشيخَ هشام بن عبد الكريم الألوسي، والدكتور أحمد بن خضير الزوبعي، والدكتور عثمان بن عمر المحمد، والدكتور علي بن أحمد مَشاعل، والدكتور محمود بن ناصر حوت، والشيخ حامد صِخِّي، والأستاذ الدكتور محمد بن محمود فجَّال، والدكتور محمد زياد زايد، والشيخ إبراهيم الحَمْدو العمر، والشيخ مصطفى بن عبد القادر مامو، والشيخ علي الجالِق.

فجزاهم الله خيرَ الجزاء وأوفاه، وجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم.

مقدّمة

أحمدُك ربي العليَّ الحميد، في كلِّ طَرْفة عينٍ وأَزيد، وأشكرك على عظيم الإحسان، وأعترف لك بالفقر يا حنَّان، وأصلِّي وأُسَلِّمُ على مَن كان للعالمين رحمة، سيدِنا وحبيبِنا محمدٍ النبيِّ الأميِّ، وعلى آله وصحبه وكلِّ تَقِيّ.

أكرم الله -تعالى- بلاد الشام بدعوة نبيه المبارك «اللّٰهُمَّ بارك لنا في شامنا»[1]، فكانت قِبْلَةً للعلماء العارفين، وموئلًا للمرشدين المحققين، الذين ذاع صيتُهم في البلاد، فأفاد من فضلهم الحاضرُ والباد، لم يُوَفِّروا في خدمة الأمةِ أصيلًا ولا سَحَر، جمعنا الله وإياهم في روضٍ ونَهَر.

ومن جزيل فضل الله ومزيد النِّعم، أنْ شرَّفنا بمعرفة مَنْ فضلُه في الدنيا عَمّ، الوارث المحمدي سيدنا محمد بن أحمد النبهان -رضي عنه الملك الديَّان-، حاز من المعرفة الإلهية التمام، ونال من المواهب الربانية الخِتام، فكان في الأكابر معدودًا، وفَضْلُهُ في الدنيا ممدودًا، رَبَّى أجيالًا في العالم كافَّة، وما تزال آثارُه بنا حافَّة، جاءَهُ رجالٌ من أقصى المُدُن والقُرى يَسْعَون، فكان لهم شيخًا ومربيًّا ونِعْم العَوْن.

وفَاضَتْ له في الخافِقَين مَحَامِدٌ تَطِيبُ الرِّياضُ الوَارِفَاتُ لِطِيْبِهَا

---

(١) رواه «البخاري» في «صحيحه» (كتاب الاستسقاء- باب ما قيل في الزلازل والآيات) حديث رقم [١٠٣٧] ٢:٣٣.

وقد تشرَّفتُ بالعنايةِ الفائقة، بكلِّ روايةٍ عن أصحابِ المنازلِ السَّامِقة، مستغرقًا الوقتَ بالبحثِ والتوثيقِ والتأصيل، والأخذِ عن الرُّواةِ مشافهةً وكتابةً وسماعًا بالتفصيل، فأتممت تراجم ما تيسَّر ممن تُوُفي من هؤلاء الرجال ودَرَج، وعن منازل الدنيا قد خَرَج، لكنَّ نوالَهم باق، وفضلَهم انتشَرَ في الآفاق، مِنْ حلبَ الشهباء كانوا أم مِنَ العراق؛ أساتذةً وشيوخًا ومحبين، تمسَّكوا بطيب الأخلاق والدين، كانوا في زمنٍ حولَ السيد الجليل ﷺ، كقلادة اللؤلؤ الأبيض الأصيل، يَنْهلون مِنْ مَعين ذلك الرَّوض النَّضير، ويُسْقَوْن صافي العِلْمِ والأدب مِنْ أعذبِ غدير، ثم شرَّقوا وغرَّبوا في سائر البلدان، فكانوا للصلاح والفلاح عنوانًا، نشروا الخير والعلم والتربية والمعارف، وحكى عنهم القاصي والداني أجلَّ المواقف، نَفَعَ الله بهم وبعلومهم، وجزاهم خير الجزاء وأتمه وأوفاه.

وقد أسميتُ هذا الكتاب «الدُّرَر الحِسَان في تراجِمِ أصحابِ السَّيِّد النَّبْهان» وجعلته في أربعة أقسام:

القسم الأول: تراجِم آل السيد محمد النبهان، رضي الله عنه.

القسم الثاني: تراجم مَنْ تُوُفِّي مِنْ أصحاب السيد النبهان.

القسم الثالث: تراجم الأحياء من أصحاب السيد النبهان.

القسم الرابع: تراجِم بعض شيوخِ السيد النبهان ومحبيه.

وبين يدي القُرَّاء الكرام القسمان الأول والثاني، أما القسمان الثالث والرابع فسيصدران -إن شاء الله تعالى- في وقت لاحق.

وقد استغرقتُ في البحث عن سِيرِ هؤلاء العظماء أكثر من أربعة عشر عامًا، أَعُدُّها عمرًا زاهرًا ووسامًا، وما زلتُ أسعى لتحقيق طموحي، بتدوين سيرةِ كلِّ أصحابِ سيدي وروحي ﷺ.

كيف الوصولُ إلى سُعادَ ودُوْنَها قُلَلُ الجبالِ ودُونَهُنَّ حُتُوفُ

والرِّجلُ حافيةٌ ولا لِيَ مَرْكَبٌ   والكَفُّ صِفْرٌ والطَّريقُ مَخُوفُ

ما يزال الطريقُ أمامي طويلًا، سائلًا ربي للصِّعاب تذليلًا، وملتمسًا من القرَّاء الكرام الإفادة، عن كلِّ عَلَمٍ مِنْ أصحاب ذي السيادة، لاستدراك ما فات من المعلومات أو السِّير، وتدبيج الكتابِ بالفوائد والعِبَر، وتوجيهي إلى ما وقع فيه من خطأ أو زلل.

داعيًا ربي لي وللقرَّاء حُسْنَ الختام، والصلاة والسلام على بدر التمام، وآله وأصحابه، وكلِّ مَنْ اقتفى به.

وكتبه/ أحمد محمد عبوش

أبو ظبي ٨ ربيع الأول ١٤٤٢هـ

منهج الكتاب

منهج القسمين الأول والثاني:

رسمتُ منهجًا محددًا لكل ما أوردتُه في هذا الكتاب، أَحْسَبُ أني اتبعتُه بدقة، وهو على النحو التالي:

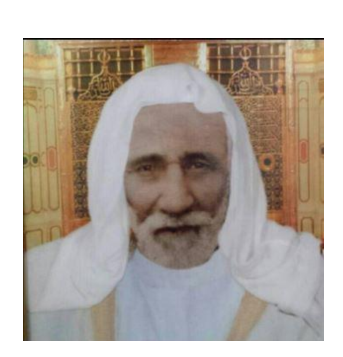
- أن يكون المترجَمُ صاحَبَ السيد محمد النبهان ﵁، واشتُهر أنه مريده.
- جعلت ترتيبه ألفبائيًّا بحسب الاسم الأول متأسيًا بفعل «الإمام ابن الأثير» (ت٦٣٠هـ) في كتابه «أسد الغابة في معرفة الصحابة».
- حاولت قدر الإمكان استيفاءَ ما يتصل بحياة المُترجَم من اسمه، ونسبه، وولادته، ونشأته، وتلقيه العلم، وشيوخه، وعمله، ونتاجه العلمي، وتلاميذه، وأثر صحبة السيد النبهان في حياته، ووفاته، بحسب ما توصلت إليه.
- أرفقت في كثير من التراجم ما تيسَّر من صور فوتوغرافية شخصية أو نماذجَ كتابيةٍ مصورةٍ من آثارهم أو وثائق تخصهم، وملفات صوتية لكلمات لهم أو عنهم عن طريق الرموز المقروءة (QR Code).
- أشرتُ عند ذكر الأعلام الأحياء من أصحاب السيد محمد النبهان ﵁ أنه ستكون تراجمهم في القسم الثالث، إن شاء الله.
- عزوتُ كلَّ قول لمن ذَكَره، أو كلَّ قصةٍ لمن رواها، سواء في متن الكتاب أم في الهوامش، أو في قائمة مصادر الترجمة في آخر كل ترجمة.



القِسمُ الأَوّلُ
تراجم آل السيد محمد النبهان رضي الله عنه

(١) الحاج أحمد النبهان

١٢٧١ - ١٣٦٣هـ/ ١٨٥٣ - ١٩٤٤م



والد العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه.

هو السيد أحمد بن نبهان بن حمود بن خضر.

يلقب بالحاج أحمد «الليرات»، بسبب كثرة ليرات الذهب التي عنده.

موطن الأسرة الأصلي:

يعود موطن الحاج أحمد إلى قرية «الصُّفَّة» شرق مدينة حلب باتجاه مدينة الرقة، حيث كان يسكن والده نبهان.

«فعلى مشارف مدينة حلب من جهة الشرق تقع مجموعة من القرى المتجاورة تربط ما بينها صلة القرابة والنسب، وتشدُّها عصبيّة التلاحم للدفاع عن أفرادها، وقد اشتهر أهلها بالبأس والقوّة والاعتزاز بانتمائها إلى أصل واحد، وكانت في البداية تمثل وحدة قبليّة متكاملة تملك الأراضي الواسعة، تحدّها من الغرب قرية جبرين، ثم تتجه شرقًا لمسافة واسعة، ويحدّها من الجنوب الأراضي التي يملكها سكان قرية السفيرة، وأراضي تل عرن، وتل حاصل اللتين ينتمي سكانهما إلى الأكراد.

وتعرف هذه الأراضي الفلاحيَّة بأراضي الخضيرات الزبيديَّة نسبة إلى كبير هذه الأسرة القبليَّة «خضر الزبيدي» الذي اشتهر بالشجاعة والكرم والمروءة، وحظي بمكانة متميّزة بين القبائل التي ينتمي إليها، وأغلب الظن أنّه استوطن هذه الأرض المجاورة لمدينة حلب بعد خلاف مع أهل قبيلته الكبيرة ويقال: إنَّ أصول هذه القبيلة من شمال العراق، ويقال أيضًا: إنَّ أصلها يعود إلى الأسرة النبهانيّة التي حكمت «عُمان» في شرق الجزيرة العربيّة، وأقامت قلعة حصينة ما زالت قائمة حتى الآن في الأراضي العُمانيّة سمِّيت بقلعة جبرين، ثم استوطنت الأسرة الأراضي المجاورة لمدينة حلب.

وحمود بن خضر الزبيدي خَلَّف أربعة أولاد، هم:

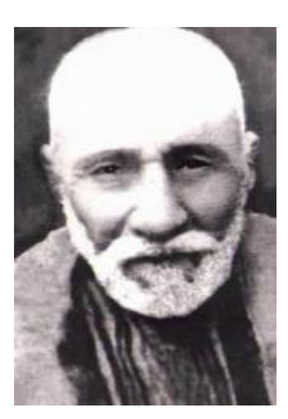
١- حسين، الملقب بـ «حوت» لطوله.
٢- وأحمد، الملقب بـ «غانم» لكرمه.
٣- وحسن.
٤- ونبهان «جد سيدنا النبهان»، الذي خلَّف جنيد، ومحمد، وأحمد (والد سيدنا).

وسكن كلّ واحد من أولاد حمود زاوية من زوايا الأرض التي يملكها أبوهم، وهكذا أنشئت أربع قرى متقاربة، وسكن كلّ ابن مع أسرته في أرضه التي عكف على زراعتها والعناية بها، وأصبحت أرض الخضيرات تضم أربع قرى:

١- قرية الدْوِيْرِيْنِة، ويسكنها حسن.
٢- وقرية الصّفْة، ويسكنها نبهان.
٣- وقرية التِّيَارة، ويسكنها حسين المعروف بالحوت.
٤- وقرية مِيْر الحْصِين، ويسكنها غانم.

تكاثر الأولاد والأحفاد، وأصبحت كلّ قرية مستقلّة بأمرها، تتنافس مرّة وتتلاقى مرَّة أخرى، كما هو الشأن في الحياة القبليّة، واشتهرت قرى الخضيرات بالثروة والمال، وكثرة المواشي والإبل، وكانوا يخدمون أرضهم بيدهم، ويسعى الأبناء

لتنمية ثروة الأسرة، وأحيانًا كانت تقع مواجهات وانقسامات بين أبناء العمومة بسبب الخلاف على الأراضي والمصالح، ويلتقون جميعًا على كلمة واحدة عندما يتعرَّض أحدهم لاعتداء عليه.


الحاج أحمد النبهان

سكن نبهان في قريـّـة الصفّة، وكانت أراضيها واسعة وخصبة، وكلّف ولده (أحمد) أن يحمل ثمرات الأرض والمواشي إلى أسواق مدينة حلب القريبة، فكان هذا الشاب يذهب في الصباح إلى المدينة ويعود في المساء حاملًا معه الأموال والسلع، وتعرف خلال رحلاته السريعة إلى تجَّار حلب وأسواقها، وعرف من أسرار التجارة ما جعله مؤهلًا لكي يستشيره أهل عشيرته في شؤون تجارتهم، فكان يحمل السلع في كلّ يوم، وأقام لنفسه مركزًا للتجارة في المدينة، يباشر فيه مهمّة البيع والشراء، ويتلقّى السلع من قومه ويبيعها لهم في المدينة.

وقد أحبّ أحمد بن نبهان حلب وتعلّق بها، وأصبح مشدودًا إلى حياة المدينة، معجبًا بالتجارة، متطلّعًا إلى ممارستها، وكان ذكيًّا صاحب شخصيّة قويّة، وأدرك بحسّه الفطري أنَّ الفِلاحة مهما ارتقت أسبابها فإنّها لا توفّر له طموحه في الثروة والمال، ولا تعده لحياة أفضل يتطلع إليها، والفلاح مستضعف في المدينة مهما كان قويًّا في قومه، ولا يأخذ إلا القليل من حقه، فإنه يبيع سلعه بأقلّ الأثمان وبما يسد به الرمق ويكفل له حد الكفاية، ولا بد من اقتحام عالم التجارة في المدينة، فبدأ يتطلّع إلى حياة المدينة، ويخشى من نظرات أهله وعشيرته، فهم لا يريدون له هذا الانتقال، فأبناء الريف يختارون حياتهم الريفيّة البسيطة على حياة المدن، ويخشون من حياة المدن على قيمهم وتربية أبنائهم، أقوياء بين عشيرتهم، وضعفاء إذا انفصلوا عنهم، ولا بد لهم إن أرادوا حياة المدينة واختاروها من تدعيم مركزهم بعصبيّة قويّة تحميهم وتدافع عنهم، فالمدينة بأسرارها وخريطتها تُغرق كل من

يقتحم عالمها إذا لم يحسن السباحة في مياهها، ولذا اختار أن يتزوَّج من فتاة من أسرة حلبيّة وأن يسكن في حي يطلّ على قومه وأهله بحيث يراهم في كل صباح يأتون إليه بسلعهم، ويكون عونًا لهم في تجارتهم، ويكونون أعوانًا له في التعامل مع الآخرين، وكان يعرف أنّه لا بد في التجارة من قوة تحمي التاجر وتدافع عنه وترد عليه حقه [(١)].

زواجه:

تزوج الحاج أحمد نبهان ثلاث مرات:

الأولى: له منها بنت، ثم تزوجت هذه البنت وأنجبت ولدًا اسمه (سيفو).

الزوجة الثانية: لم تنجب.

الزوجة الثالثة: أم السيد النبهان وإخوته، وهي السيدة الحسيبة النسيبة فاطمة بنت محمود بن عبد العزيز بن خشمان، من ذرّية السيّدة فاطمة الزهراء البتول بنت محمد رسول الله ﷺ، (توفيت سنة ١٩٥٢م).

وكان السيد النبهان ﵁ يعتز بانتسابه هذا ويقول: «سيّدتنا فاطمة الزهراء أمي، وآل البيت أخوالي».

والسيدة «فاطمة الخشمان» هي ابنة أسرة أصلها من قرية «تل شغيب» كانت تسكن في حي باب النيرب المعروف بأُسَرِهِ التي تنتمي إلى عشائر ذات قوة وبأس، وأصبح للحاج أحمد أسرة من أهل زوجته تقف إلى جانبه في الشدائد.

---

(١) «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» د. محمد فاروق النبهان (٣٠).

لم تكن هذه الأسرة من الأسر القويّة التي تحكم هذا الحي الحلبي المعروف بصراعاته وتنافس عائلاته القويّة ذات العصبيّة على زعامته، ولم يكن للوافد من أبناء الريف أن يتزوج من تلك العائلات القويّة، إلَّا بعد أن يأخذ موقعه في صفوفهم بقوته الشخصيّة وبمكانته الاجتماعيّة وبعائلته التي تقف خلفه في الشدائد والمواجهات.



استطاع الشاب أحمد نبهان أن يأخذ موقعه الاجتماعي في الوسط الذي عاش فيه، حيث فتحت له الأبواب وأصبح مرحَّبًا به في كلّ مكان، وعقد صلات وصداقات مع الأسر العريقة ذات النفوذ، وحقق نجاحًا واسعًا في مجال التجارة والمال، وأصبح الكلّ ينظر إليه بإعجاب واحترام، وأصبح بفضل تجارته الواسعة وشخصيته القويّة ودهائه يحظى بالاحترام.

كان «أحمد نبهان» يدرك أنه يحتاج إلى أبناء ذكور، يقفون إلى جانبه ويدعمون مركزه الاجتماعي، ويوجههم لتسيير أعماله التجاريّة التي اتسعت مع كثرة الأولاد في المجتمعات العشائريّة قوة وهم العصبيّة الأقوى، التي تدافع عن نفسها بقوة رجالها، ومن لا ولد له لا قوة له، ومن لا قوة له فسرعان ما تتساقط عليه الطيور الجارحة طامعة في زاده، مهددة له إن تعرض لها بسوء[١].

(١) «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» (٣١).

أولاد الحاج أحمد بحسب الترتيب العمري:

- نبهان، توفي وهو صغير، وعمره خمس أو ست سنوات.
- السيد محمد النبهان ﵁ (١٩٠٠-١٩٧٤م).
- حسن (١٩٠٥- ١٩٩٠م).
- خديجة، وزوجها عبدو بن علي ابن الحاج محمد النبهان (١٩٠٦م-١٩٨٨م).
- الحاج علي، وهو مسجل رسميًّا بحاج علي (١٩٠٧- ١٩٧٩م).
- عبد المجيد (١٩١١- ١٩٩٢م).
- عبد الرحمن، توفي وعمره سنتان.
- مجيدة، وزوجها ناجي بن فارس البري (١٩١٦ -١٩٩٢م).
- جميل (١٩٢٠- ٢٠١٠م).
- جميلة، وزوجها الحاج حسين بن جنيد الحسن (١٩٢٣- ١٩٨٧م).



مع ولده العارف بالله الشيخ محمد النبهان ﵁:

حين عزم العارف بالله سيدنا محمد النبهان ﵁ على طلب العلم والتفرغ له فزع والده، وجزع حين علم بعزمه دخول مدارس الشرع لأنه أكبر إخوته، والعمل كله بعهدته، فكان يقول لولده: معقول يا ابني يطلع من بيت الزط مؤذّن؟! وهو مثل

عند أهل حلب أصله أن الزط لا يتوجهون إلى عمل ذي شأنٍ كالأذان، فكيف بطلب العلم! فتوسط لدى فضيلة الشيخ نجيب سراج[١] -رحمه الله- لعله يُقنع ولده بالتراجع عن عزيمته، قال ﷺ: «قال لي الشيخ نجيب رحمه الله: يا ابني، إرضاء والدك فرض والعلم فرض، احضر للعلم كل يوم ساعة. قلت: لا تكفيني. قال: اجعل النهار نصفين بين العلم والتجارة، قلت: جَبَسَتان [٢] لا تحملان في كف، وإني أريد العلم. وحين أدرك الشيخ صدقَ إرادتي قال: أودُّ أن أعلمك علمًا، قلت: تفضّل. قال: قل كل يوم: اللّٰهُمَّ ارزقني العلم النافع -ثلاث مرات- يَرضَ والدُك، ويُفتَحُ عليك فتوح العارفين. قلت: على راسي، هذه أتمكن منها.

قال ﷺ: ثم أرسلت صاحبي إلى مفتي حلب آنذاك الشيخ أحمد الكردي[٢] -رحمه الله- فسأله لأجلي وجعل السؤال عن نفسه، فقال: والدي غنيّ، أمّي لا يقرأ

---

(١) الشيخ محمد نجيب سراج الدين (١٣٧٣-١٢٧٤هـ): علامة حلب الشيخ محمد نجيب ابن الحاج محمد ابن الحاج يوسف سراج الدين. ولد -رحمه الله- في حلب، انتسب إلى المدارس الشرعية، كالقرناصية والإسماعيلية والشعبانية القديمة، وأجازه شيوخها، وأجازه الشيخ المحدث محمد بدر الدين الحسني، وغيره. أسند إليه التدريس في المدارس الشرعية التي جاور فيها، ثم أسند إليه التدريس في الجامع الأموي في حلب، ثـم أسند إليه درس المحافظة -درجة أولى- ثم أسند إليه التدريس في الجامع الحموي، ولما كبرت سنه وضعف تنازل عن الإمامة والخطابة لابنه المحدِّث الشيخ عبد الله. ثم توفي -رحمه الله- في السادس والعشرين من شعبان ١٣٧٣هـ، ودفن في مقبرة (الشيخ سعود). وكان الشيخ نجيب سراج -رحمه الله- له علاقة مميزة بالسيد النبهان، وله معه زيارات خاصة، وجلسة خاصة معه كل يوم خميس من الظهر إلى العصر كما جاء في تسجيل لسيدنا ﷺ. «مذاكرات السيد النبهان المسجلة» وكتاب «علماء من حلب في القرن الرابع عشر».

(٢) مفردها جبَسَة، من اللهجة الدارجة في بعض بلاد الشام، تطلق على البطيخ الأحمر، أو (الرقي) عند العراقيين، و(الحبحب) عند أهل الحجاز.

(٢) الشيخ أحمد الكردي (١٢٩٩هـ-١٣٧٣هـ): مفتي حلب، ولد في قرية تل عرن، انتسب إلى مدارس حلب القديمة وتخرج فيها كالعثمانية، والشعبانية، والقرناصية، والإسماعيلية،

ولا يكتب، وأنا أكبر أولاده، وأشتغل بتجارته، وأرغب في طلب العلم، لكنه لا يرضى! فقال له: اطلب العلم رضي أبوك أو لم يرضَ. فوجدته أشجع الشجعان.

يتابع السيد النبهان ﵁ حديثه عن والده فيقول: «أبي -الله يرحمه- مارضي أن أدخل في العلم لكوني أنا كان كل المال في يدي، وأنا أكبر إخوتي، وأنا كنت في الدنيا ابن الدنيا، وابن غنى، لا من آحاد الناس، وكان المال كله بيدي وأنا أكبر أخوتي وكنت أعمل الوليمة الواحدة لثلاث مئة أو أربع مئة شخص.

بعدها دخلت على والدي و هو كبير، عمره خمسة وتسعون عامًا لكن كان ذكيًّا من الأذكياء، دخلت فقام واقفًا. قلت له: يا أبي اجلس. قال: والله يا ولدي أريد أن أبقى واقفًا على رجلي حتى تروح.

والدي من الفهيمين، من أهل المَرْجع، يفهم، يدرك، يقدر. قلت له: ادع لإخوتي. قال: عذبوني. (بعض منهم بالزعامات).

قلت له: أولادك هؤلاء بصحيفتك. فدعا لهم.

قلت له: ادع لي. قال: أنت أيضًا! قلت له: أنا غير شكل؟

قال : أنت كل من لا يحبك شقي، أنت -هذا كلامه، الله يرحمه- يا ابني تركت أمك وأباك وليراتك، ولحقت الله والرسول، من لا يحبك أنت -يا ابني- ومات -الله يرحمه- ليلته. والله صادق، والله صادق، والله صادق.

أنا أشهد ما قال أبي، والله أشهد -شيخي-، أنا أشهد شهادة ذوقية، وحقيقة.

أنا عندي كل ليرات الدنيا -ليس فقط ليرات أبي- كل ليرات الدنيا لا تساوي ورقة سيكارة وسخة.

والأحمدية، ثم دَرّس في الخسروية،وغيرها. توفي في حلب ودفن في مقبرة كرز داده. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٢٢٤).



بَغّضني الله في مال أبي، في أقاربي، في الدنيا، في الوجود، ليس فقط بغضني بل صار عندي وحشًا.

استوحشت من أهلي استوحشت من أصحابي، وحدي بهذا الجامع أقول:

فليت الذي بيني وبينَكَ عامِرٌ
وبيني وبين العالمينَ خَرَابُ

نحن لما أقبلنا على الله تركنا الليرات، تركنا الزعامات،كله كان بيدي فتركناه إلى الفقر الحقيقي، عدم الأكل، ما في أبدًا. أنا تركت مال أبي كله من أوله إلى آخره. وأردت الله».

قال ﷺ عن والده: «والله صادق، والله صادق، والله صادق، كان أوّل مريد عندي هو والدي».

توفي -رحمه الله- في حلب سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، ودفن في مقبرة باب النيرب.

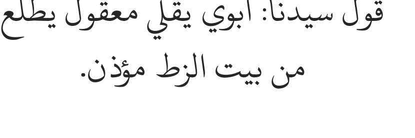
مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لديَّ.
- كتاب «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١:٣٩) .
- السيد محمد محفوظ بن الحاج علي النبهان، مراسلةً كتابيةً.
- السيد بشار بن أحمد النبهان، مراسلة كتابيةً.

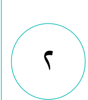
ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

١ قول سيدنا: أبوي يقلي معقول يطلع من بيت الزط مؤذن.







٢ قول سيدنا: وجدت الشيخ أحمد الكردي أشجع الكل.



٣ السيد النبهان ووالده، وترك الدنيا.





٤ قول السيد النبهان: بغضني في مال أبي، في أقاربي.



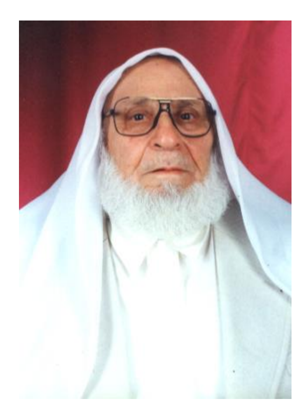


٥ قول والده الحاج أحمد النبهان عنه.



(٢) السيد أحمد النبهان (أبو فاروق)

١٣٣٨ - ١٤٢٤هـ/ ١٩٢٠ - ٢٠٠٣م



خادم الرحاب النبهانية السيد أحمد ابن العارف بالله الشيخ محمد النبهان ﵁.

أبو فاروق وما أدراك ما أبو فاروق!

نسخة من والده، ما إن يقع نظرك عليه حتى ترتسم لديك صورة أبيه ﵁ في حركاته وسكناته، حتى إنّه لو لبس العمامة ما ظننته إلا هو هو.

أولاد العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

- السيد أحمد أبو فاروق -رحمه الله- (١٩٢٠ - ٢٠٠٣م).
- السيدة فاطمة، تزوجها محمد حمامي -رحمهما الله- (١٩٢٣- ١٩٩٢م).
- السيدة أمينة، تزوجها محمد المهندس[١] -رحمهما الله-(١٩٢٥-١٩٨٢م).
- السيد عبد الله أبو الشيخ[٢] -رحمه الله- (١٩٢٨-٢٠٠٣م).
- السيدة أميرة، تزوجها أحمد الصغير[٣] رحمه الله، ولدت (١٩٣٠م).

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب برقم (٦٥).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب برقم (٣).

(٣) **الحاج أحمد الصغير**: صهر السيد النبهان، من أقطاب المال والتجارة والصناعة المعروفين بحبهم للأعمال الخيرية وبناء المساجد، كان من الملازمين للسيد النبهان في مجالسه، والشيخ

- السيدة رشيدة، تزوجها الشيخ منير حداد[١] -رحمهما الله- (١٩٣٢-١٩٩٢م)
- السيدة فتحية، تزوجها علاء دواليبي-رحمهما الله- (١٩٣٦ – ٢٠٢٠م).

جاء في كتاب «السيد النبهان»[٢]: سئل العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁: سيدي أسماء أولادكم هل لها معانٍ في سيركم؟ فقال: أنا مراتبي على حسب أولادي:

لمّا كنت في الشباب جاءني (أحمد) قبل طلب العلم للزعامة.

ثم سَمَّيْتُ (فاطمة) فانفطمتُ عن الدنيا.

ثم سميت (أمينة) فأصبح عندي الأمان.

ثم سميت (عبد الله) فدخلت في العبدية والتوحيد.

ثم سميت (أميرة) فدخلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم سميت (رشيدة) فصرتُ مرشدًا.

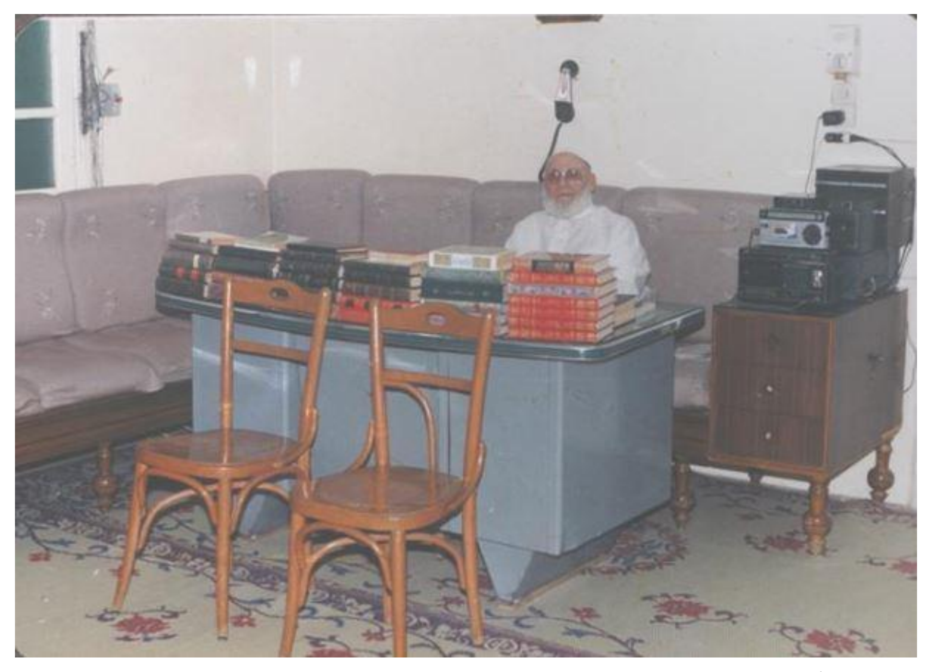
ثم سميت (فتحية) ففتح الله عليَّ الفتح الأكبر. اهـ.

وُلد السيد أحمد أبو فاروق عام١٩٢٠م في حلب في حي باب النيرب، في البيت الذي ولد فيه والده، نشأ في كنف والده ﵁ فتىً عزيزًا في بيت العزّ، شريفًا في معدن الشرف، كريمًا في منبع الكرم.

يحبه ويقدره، توفي في حياة السيد النبهان. انظر كتاب «الشيخ محمد النبهان» (١٤٠). ولم أجد له ترجمة وافية.

(١) له ترجمة في هذا الكتاب برقم (٦٢).

(٢) الشيخ هشام الألوسي، ط٣ (٣: ٤٩٥).



السيد أحمد بن محمد النبهان، في الغرفة الخاصة للسيد محمد النبهان في مدرسة الكلتاوية جلس فيها السيد محمد النبهان قبل وفاته بعدة أشهر، ويبدو في الصورة طاولة السيد محمد النبهان وبعض كتبه الخاصة

ابتدأ مقتبل شبابه بخدمة أسرته، فوالده الشيخ محمد النبهان ﷺ كان متجرّدًا للسلوك، معتزلًا الناس، وأدار بعض أعمال جده (أحمد الليرات) حتى إذا بزغ فجر ظهور والده ودعوته كان أول المنقادين لتوجيهاته، والمنفّذ لأوامره وتعليماته، والمتابع لأعماله مع علاقات تجارية خاصة به، ومشاركة في مشاريع زراعية حتى استلم إدارة شؤون الكلتاوية كاملة بعد انتقال والده ﷺ عام ١٩٧٤م حتى وفاته، رحمه الله .

كان -رحمه الله- الأمين على أسرار والده وعهده، والحارس لآثاره، المسدد المؤيد، ذو فراسة صادقة، شجاع لا يُهاب.

أقام في بيتٍ جنب المسجد بالكلتاوية، فلم يجرؤ المدّعون والمرجفون من تسلّق الجبل ليخترقوا الصف، أو يضعفوا حركة قطار المسيرة النبهانية، يتحرّك وسائق الهمم يدفعه، يرقب ويوجّه ويتابع محطّات القطار دون توقف أو تردد أو انتظار، ديدنه في الليل والنهار إدارة إرث أبيه والترحيب بأتباعه ومحبيه، فلم ينفد وقود المحطّة منها إذ هي في تعبئة دائمة، والقلوب معه بمحبة سيّدنا النبهان ﷺ هائمة، والذي يدخل إلى الكلتاوية لا يستشعر إلا دوام السعادة، ونظامًا محكمًا بالترقي والزيادة.

أمضى تسعًا وعشرين سنةً في عمله الدؤوب لم يفتر ولم يتعثر حتى وافاه الأجل[1].

ورث -رحمه الله- الرجولة، والشجاعة، والشهامة، والنخوة، والكرم، والوفاء عن والده السيد النبهان ﷺ فكان يُهاب مهابةً عظيمة لمجرد النظر إليه، بينما كان يطوي بين جوانب شخصيته رحمةً قلّ نظيرُها، وإنسانيةً يندر وجودها.

كان يُحِبّ أنْ يُقالَ له: «ابن سيدنا» ثُمّ بعدها قُلْ ما شئتَ.

كتب عنه صهره الشيخ الدكتور محمود حوت:

أستفتح الحديث عن شخصية العم الراحل السيد السّمَيدع ابن السيد العظيم الإمام الأكبر سيدي وسندي محمد النبهان -قدس سره العزيز- بشهادته ﷺ حيث قالها في أكثر من مناسبة: «ابني أحمد أبو فاروق يشبه سيدنا عليًّا».

وقال ﷺ: «لم يعرفني أحد، وأكثر من عرفني أهل بيتي وعلى رأسهم أبو فاروق».

«أبو فاروق عنده قلب».

«أبوفاروق رجّاع».

---

(١) «السيد النبهان» ط٣ (٣: ٣٤٧).

«أبو فاروق لا يخاف حط الطّوب بين عينيه ما بترف عينو».

«أولادي شخصيات شجعان وكرماء».

«ابني عبد الله ابن الجنة ولكن أبو فاروق غير غير أبو فاروق فوق فوق».

اتهم بعضهم العم أبا فاروق بأنه يحاسب على الصغيرة والكبيرة يقصد أنه بخيل فقال ﷺ: «ابني أبو فاروق أكرم مني» حتى يقطع الطريق على من يتهمه بالبخل.

هذه شهادات والده العظيم بشخصيته الفذة الفريدة .

فهل بقي لأمثالي أن يتحدث عنه، رحمه الله، وطيب الله ثراه؟!

لقد حمل الراية بعد والده العظيم ثلاثين عامًا، كثر من حوله الخصوم والحسدة والمدعون، فما فلّوا له صفاة ولا قصفوا له قناة، أنجح إذ أَكْدَوا، وسبق إذ وَنَوا سبْقَ الجوادِ إذا استولى على الأمدِ.

كان إيمانه بالله ورسوله ثم بوالده إيمانًا يشِبُّ دائمًا أبدًا، يكبر سنه، ويشب اعتقاده وإيمانه.

ذو دهاء قلّ نظيره، إذا أقدم لا يتراجع، ولا يقف في وجه إقدامه أحد.

رجَّاع إذا وجد الحق في الجانب الآخر.

شخصيته لا حدود لها، ولا غرو فمن يشابه أبه فما ظلم.

كانت تقصده الزعماء والعلماء والكبراء فكنتَ ترى شخصيته تفوق جلساءه أيًّا كانت مستوياتهم.

ما ملّت يده من العطاء والجود والكرم غير أنه يضع الشيء في موضعه.

ذو رأي سديد، وحكمة رشيدة، ونظرة في الناس لا تخيب أبدًا.

قال لي يومًا: إن والدي أطلعني في السنوات الأخيرة من حياته على كل أمر كبير وصغير، وأخبرني عن أحوال الناس الجيدين والكذابين فأنا أعرفهم مهما ستروا أنفسهم.

وقال لي: في السنتين الأخيرتين من حياة والدي أسكنني في بيته فكنت أصلي الفجر معه يوميًّا حتى آخر يوم من حياته، وكنت أجلس معه إلى صلاة الضحى فكان يحكي لي أسرارًا وأمورًا لا أقدر أن أقولها.

وحكى لي عن كل واحد من إخوانه ماكنت أعرف لماذا بعدها عرفت لأنه يريد أن يضعني هنا مكانه لأدير الأمور.

ومن كِبَر شخصية العم أبو فاروق -رحمه الله- أننا ما سمعنا له دعوى مشيخية كما هو حال أبناء المشايخ إذا مات الشيخ ادعى أبناؤه الخلافة من بعده، إلا أبناء سيدنا ما سمعنا أحدًا من أبنائه ولا أحفاده أنه ادعى رتبة أو ولاية أو مشيخة أو خلافة.

حضرت مجلسًا للعم أبو فاروق بعد انتقال سيدنا رضي الله عنه ضم العديد من إخواننا من العراق، فقال أحدهم يخاطب ابن سيدنا أبو فاروق: يا ابن سيدنا أنت شيخنا بعد سيدنا نريد مبايعتك على ذلك أنت خليفة والدك. فأجاب العم الراحل غاضبًا:

«يافلان كم الشيخ النبهاني صغير في عيونكم حتى جعلتوني خليفته؟! أأنا خليفته؟! أأصلح أن أكون خليفة الشيخ النبهاني؟! إذن أنتم تجهلون من هو الشيخ النبهاني، أنا لست هكذا، أنا لست وليًّا ولا أدعي إلا إذا هو ألبسني الثوب فلا علاقة لي، لكن أبي أعطاني بِيْلًا كشافًا إذا أحد قال لكم: أنه خليفة أوشيخ مرب اسألوني أنا أعرف إذا كان صادقًا أو كذابًا».

رحمك الله أيها العم الكريم، ويا سيد الرجال لقد كانت كلماتك رجالًا.

رحمك الله، وأجزل الله لك المثوبة والعطاء والنور، فلقد أديت الواجب حق الأداء ونصحت، وبينت، وجاهدت، وعانيت، وكنت قوام الأسحار كما رأيناك بأم أعيننا، فلقد جاورتك عشرين سنة، فكنت متعبدًا متهجدًا تتضرع لربك بإلحاح ولما طلبت منك أن تدعو لي قلت لي: لا تسامحني يا ابني إذا في ليلة من الليالي أو يوم من الايام لم أدع لك مثل أولادي فاروق وغسان وبشار. اهـ.

أولاده:

- الدكتور محمد فاروق[١] ولد عام (١٩٤٠م).
- الشهيد عبد الرحمن، ولد عام (١٩٥١م)، واستشهد في لبنان في (٢١ تموز ١٩٨٢م)[٢].
- محمد غسان، ولد عام (١٩٥٥م).
- بشار، ولد عام (١٩٦٣م).
- وبنتان.
- ومات له ثلاثة أولاد في الصغر: ولدان وبنت.

أصهاره:

السيد عبد السلام قمري -رحمه الله-، والشيخ الدكتور محمود حوت.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب برقم (٤).

(٢) **الشهيد عبد الرحمن النبهان (١٩٥١م - ١٩٨٢م):** ولد في حلب، درس في ثانوية المأمون في حلب، وسافر عام ١٩٧٠م إلى فرنسا لدراسة الأدب الفرنسي، وكان يتقن خمس لغات، عاد بعدها إلى حلب عام ١٩٧٧م، أنهى مدة الجيش الإلزامية عام ١٩٨٠م، وتزوج في آذار عام ١٩٨٢م من ابنة الحاج أحمد الصغير، وفي ٢٣ حزيران ١٩٨٢م أخذ للجيش كاحتياط، واستشهد في لبنان إثر قصف إسرائيلي ٢٢ تموز ١٩٨٢م، ودفن في مقبرة الشهداء في دمشق. (السيد بشار النبهان مراسلة كتابية).

وفاته:

توفي -رحمه الله- بعد وفاة أخيه عبد الله بيوم ونصف، وذلك يوم الأحد ٤ صفر ١٤٢٤هـ الموافق ٦ نيسان ٢٠٠٣م.

هذا غيض من فيض سيرته العطرة، جزاه الله عنا خير الجزاء.

مواقف ابنه الدكتور فاروق معه:

كتب لي ابنه الدكتور محمد فاروق النبهان: ذكرياتي مع الوالد السيد أحمد النبهان -رحمه الله- الابن الأكبر للسيد النبهان -طيب الله ثراه- من المؤكد أنها ذكريات غنية بأحداثها، ودلالاتها التربوية، والعاطفية، والتي استمرت أكثر من خمسين عامًا، منذ كنت صغيرًا إلى أن بلغت من العمر مليًّا، كانت تلك الذكريات هي الأجمل في حياتي، فقد كانت تربطني بالوالد علاقة خاصة ليست كعلاقة الابن بابيه، كان يعاملني منذ طفولتي الأولى كصديق له ورفيق، وينصت لي باهتمام، ويحترم رأيي واختياراتي، كان أمر تربيتي قد اختص به الجد وانفرد به، فلم يخاطبني الوالد بلغة التوجيه والتأديب والتوجيه، ولا أعرف هذا منه، كان الصديق بالنسبة لي، لعله فعل ذلك احترامًا لوالده، وكان أمري بيد السيد النبهان ولا أفعل شيئًا إلا بموافقته، وكان الوالد يقول لي: تركت أمر تربيتك لمن هو أولى بك مني وأقدر عليه. كنت أشعر بسعادة في ذلك وأعتبره تميزًا ورعاية، لا أذكر أنني سمعت من والدي كلمة نابية موجهة لي ولو أخطأت أو تجاوزت.

وكان شديد الاحترام لوالده السيد النبهان -طيب الله ثراه- وكان يقول لي: لا سلطان لي عليك فأمرك بيد جدك وهو أولى بك مني، كان قوي الشخصية مقدامًا لا يتراجع عن موقف، ولا يتردد، وكان شديد التعاطف مع المظلومين والضعفاء، ويخاصم الكل لأجل من يراه مظلومًا، وكان غيورًا على مصالح والده، ويخاصم الجميع لأجلها، كان السيد يتنازل عن حقوقه وهو زاهد فيها، وكان الوالد يدافع عنها بقوة،

وكانت له خصومات وعداوات بسبب ذلك، ومرت به محن شديدة، وكان قويًّا وصبورًا.

وبعد وفاة السيد النبهان حمل مسؤولية الدفاع عن الكلتاوية وأهلها، وقد أقنعته بأن يحمل هذه المسؤولية، وكان لا يريد ذلك في البداية وكنت أعرف أنه مؤهل لذلك وهو الوحيد الذي يمكنه أن يحافظ على تراث أبيه من غير تردد ولا تخاذل ولا توقف، ومرت به أزمات لكن كان حكيمًا في معالجتها والتغلب عنها، لقد استطاع أن يجمع ماتفرق وأن يوقف ماكان يؤدى إلى الفوضى، وأن يتصدى لكل محاولات التدخل والهيمنة على الكلتاوية، وكنت أكبر فيه ذلك الإخلاص والصدق والقدرة على التواصل.

كنت أحبه وكانت علاقتي به خاصة جدًّا، وكان يقبل مني ما لا يقبله من غيري.

لا شك أن الكلتاوية مَدِينة له بالكثير، واستطاع أن يحافظ على خصوصياتها ومجالسها كما كانت -رحمه الله- كان يحب أن يقال له: أبو فاروق. كان يقول لي: هذا الاسم هو أحب الأسماء إليَّ لأنه يذكرني بك في غيابك.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه الله خيرًا عما فعله خدمة لتراث السيد النبهان، طيب الله ثراه.

مدرستان تعلمت منهما [١]:

مدرستان في حياتي تعلمت منهما الكثير من دروس الحياة: مدرسة السيد النبهان -طيب الله ثراه- ومدرسة الوالد، رحمه الله.

---

(١) صفحة الدكتور فاروق بالموقع الاجتماعي (فيس بوك): اسم المستخدم (mfnabhan)، رابط: https://www.facebook.com/mfnabhan. الاقتباس بتاريخ ٢١ تشرين الأول ٢٠٢٠م.



من اليمين الدكتور محمد فاروق، ثم والده السيد أحمد بن محمد النبهان

كنت أستحضر الكثير من المواقف والدروس والذكريات، كانت مدرسة السيد النبهان تمثل السعة والتسامح والتجاهل.

وكان هذا المنهج هو الأكثر إنسانية وأخلاقية، ولكنه أكثر تكلفة وتضحية، وليس كل أحد يقدر عليه، ومن سار فيه فلا بد له إلا أن يدفع ثمنه غاليًا، ويتنازل عن الكثير من حقوقه ومصالحه، وأحيانًا يكون الثمن مكلفًا لمن حولك، ولكنه خيار أخلاقي وتربوي وروحي، وله محاسنه ومزاياه، وأعترف أنه ليس كل أحد يقدر عليه، ومن اختاره فعليه أن يمشي فيه حتى النهاية.

كان السيد النبهان لا يعنيه أمر الدنيا، وكان زاهدًا فيها، ومعرضًا عن كل ما يقود إليها، وهذا المنهج لا أحد يقدر عليه، ورأيت الكثير من المواقف التي كان

عليها السيد النبهان في حياته، وأستطيع أن أقول: إنها أكثر مثالية وإنسانية وأخلاقية.

أما منهج الوالد فقد كان مختلفًا، حدثني مرة أنه لم يكن له أي خيار إلا أن يفعل، لأنه وجد نفسه منذ طفولته الأولى في موطن المسؤولية، وكان عليه أن يواجه مواقف صعبه دفاعًا عن مصالح والده، كان صغير السن، لكنه ينظر لنفسه أنه كبير الأسرة بعد والده البعيد عن اهتمامات الأسرة، كان يذهب إلى أبيه في عزلته في الكلتاوية فيجده معرضًا عن كل شيء، ونَمَت لديه قدراته الشخصية، وكان أكثر انفعالًا في مواجهة مشاكل محيطه الاجتماعي، وكان يعتبر التنازل عن حق ضعفًا وهروبًا، وكانت له شخصية انفعالية متحدية لاتتراجع في المواقف، ولا تشعر بالضعف، وكنت أخشى عليه من تلك الصفة، وكثيرًا ماكنت أحاوره في ذلك.

كان إذا غضب فلا حدود لغضبه، وإذا انفعل فلا حدود لانفعاله، كان كالعاصفة في وجه من يتصدى له، وكان يستجيب لمعظم ما كنت أقترحه عليه.

كان بيننا احترام متبادل بغير حدود، وكان الحوار بيننا في غاية الرقي والأدب والموضوعية، وكان من اليسير التأثير عليه في الحوارات العاقلة والهادئة، وكانت له شخصية محببة، وتثير لك الكثير من المحبة له، وكانت له عاطفة قوية جدًّا ويحرص ألا تظهر، لم أودعه قط في سفر، كان يغيب فلا أراه، كان لا يريد أن أراه حزينًا ربما كانت دموعه تنهمر من عينيه ولكنه لم أره كذلك أبدًا، كنت أحبه من أعماق قلبي، وأتعاطف معه في قضاياه، وكنت أدافع عنه مع الجد -طيب الله ثراه- وكان يطلب مني أن أقنع السيد النبهان في بعض ما كان يريده فأفعل، كنت أتعاطف معه كثيرًا في كثير من المواقف، وكان يحدثني عن كثير مما كان يشغله.

والآن أستطيع أن أقول: إنه كان على حق في كثير من المواقف التي كنت أراجعه فيها.

المهم في النهاية أنه أدى مهمته بطريقة أفضل من كل ما كنت أتوقعه واستطاع أن يحافظ على تراث والده السيد النبهان بطريقة أفضل مما كنّا جميعًا سنفعله.

قصيدة في رثاء السيد أحمد بن محمد النبهان(١):

رَحَـلَ الأحبـةُ فالحيـاةُ عنـاءُ ... رحلـوا فليـلي والنهـارُ سـواء
غابـوا فغـاب البِشْرـ عـن سـاحاتنا ... حَزِنَـتْ ربـوعُ الدار والأرجـاءُ
صِرْنـا يتـامى بعـدكم يـا سـادتي ... أنـتمْ لنـا الأحبـاب والآبـاءُ
أنـا لست أنسى الطيبين وذكـرهم ... نفسـي لهـم ملـكٌ وروحي فـداءُ
فالسـيّد النبهـان وارث أحمـدٍ ... تـاج الوصـول الدرةُ العصـماء
والـراحلان النـيّران كلاهمـا ... نـورٌ يضـيء وهِمَّـةٌ عليـاءُ
فـاذكر أبـا فـاروقَ نفحـةَ سـيدي ... بـاهي المحيّـا وجهـهُ وضّـاءُ
كان العرينَ يذود عن هذا الحمـى ... فتهابـه الأبطـالُ والعظمـاءُ
حَفِـظَ العهـود وكان بـرًّا راحمًـا ... وبنصـحه تتـشرف العلمـاء
أمـا أبـو الشـيخ الكـريم فـذكره ... للقلـب أُنْـسٌ للنفـوس صـفاء
فهـو الكـريم ابـن الكـريم بجـوده ... شـهم أبيٌّ ماجـدٌ معطـاء
عاشـوا فكانـوا في البرايـا أنجمًـا ... مجـدٌ ونبـلٌ عـزةٌ ونقـاء
كانـوا أبـاةً لـم يخـافوا غاشـمًا ... فهـمُ الكـرامُ السـادةالنجباءُ
يـا آل نبهـانَ السـعادةُ عنـدكمْ ... وبروضـكم تتفـاخر الجـوزاءُ
يـا آل نبهـان المعـالي أنـتمُ ... طبـتم وطـاب الأصـل والأبنـاء

---

(١) للشيخ محمد ملحم الحمد.

مصادر الترجمة:

- مُذَكّرات الدكتور محمد فاروق النبهان.
- السيد بشار بن أحمد النبهان، مراسلة كتابية.
- السيد محمد محفوظ بن حاج علي النبهان، مراسلة كتابية.
- كتاب «السيد النبهان» للشيخ هشام الألوسي ط٣ (٢:٣٥٠).
- صهره الدكتور محمود بن ناصر حوت.

ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

قول السيد النبهان: نسبة شيخنا، نسبة أولاد شيخنا، عائلة شيخنا، هذه النسبة نحبها إلى يوم القيامة.



(٣) السيد عبد الله النبهان (أبو الشيخ)

١٣٤٥ - ١٤٢٤هـ/ ١٩٢٧ - ٢٠٠٣م



الفرع الثاني للسلالة النبهانية، السيد عبد الله ابن العارف بالله سيدنا محمد بن أحمد النبهان ﵁، ويُكْنى من صغره (أبو الشيخ).

مولده:

ولد عام ١٩٢٧م في حي باب الأحمر في حلب القديمة وسجل رسميًّا عام ١٩٢٨م.

وهو الرابع بين أولاد السيد النبهان ﵁.

زواجه:

أحبَّ السيد النبهان ﵁ عائلة الزعيم السيد حسن دوبا -رحمه الله-، فاختار لابنيه زوجات من هذه العائلة الكريمة، فزوّج ابنه السيد أحمد أبا فاروق منهم عام ١٩٣٨م، ثم لما ماتت زوجته تزوج أختها عام ١٩٥٠م، ثم زوّج ابنه عبد الله من هذه العائلة عام ١٩٥٤م، وقد شهد لها سيدنا ﵁ بالصلاح وأثنى عليها مرارًا، قال لها بعد زواجها بفترة قصيرة: «بنتي عندما تدخلين عليّ لا أراكِ إلا حورية من حوريات الجنة».

أولاده:

أنجبت له اثني عشر مولودًا، خمسة بنين وسبع بنات.

وترتيب الذكور:

- محمد، ولد عام (١٩٥٧م)، وتوفي بعد معاناة مع المرض في مدينة غازي عنتاب بتاريخ (٧ أيار ٢٠١٥م)، ودفن في مقبرة باب النيرب بحلب.
- أحمد، ولد عام (١٩٦٣م).
- عمر، المشهور بـ (عمار) ولد عام (١٩٦٤م).
- الشيخ يوسف ولد عام (١٩٦٧م)، وتوفي شهيدًا أثناء سفره لطلب العلم في لبنان مع صديقه الشيخ عبد الله حوت -رحمهما الله- بتاريخ (١٥ تشرين الثاني١٩٩٠م).
- محمود ولد عام ١٩٦٩م.

اشتغل بمراحل طويلة من عمره بمهنة الزراعة في قرية الجابرية، ومنطقة الجزيرة وغيرها.

بشره والده سيدنا محمد النبهان ﵁ وكان قادمًا والوقت عيد فقال: «هذا القادم في الجنة، فكان السيد عبد الله ابن سيدنا النبهان».

ومرة أخرى قال: «ابني عبد الله ابن الجنة».

حضر في المستشفى حين انتقال والده سيدنا محمد النبهان ﵁ وكان مما قال له قبل انتقاله بساعات: ابني تريد شيئًا؟ قال: أريدك أنت، لا أريد شيئًا. فقال له: «هنيئًا لك» ودعا له.

وقال له مرة: «أنت يا عبد الله لا تُضام، أبيع جُبتي ولا أتركك تُضام لا أنت ولا أولادك».

ورث -رحمه الله- من والده سيدنا محمد النبهان صفاتٍ عظيمة، فترى فيه علائم أهل الجنة وصفاتهم، كقوة الشخصية والكرم والصدق وطهارة القلب وصفائه.

أنعم وأكرم به ما أطيب قلبه!

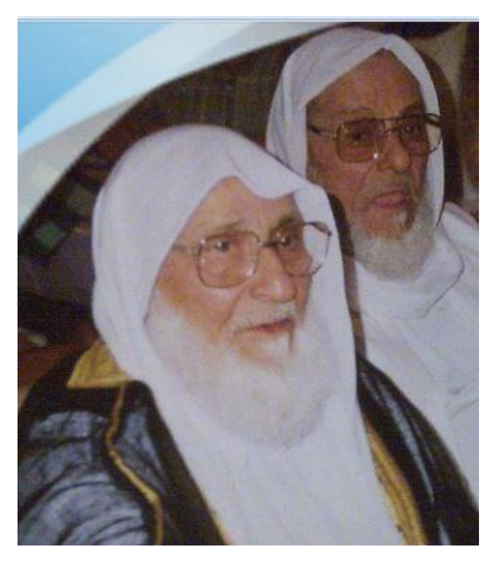
رقيقُ القلبِ، سريع الدمعة، محبٌّ للخير، صادق اللهجة،كريم بلا تكلف.

وكان يقول عن نفسه: أنا ورثت عن أبي الكرم.

حكى ابنه السيد أحمد أن الحاج مصطفى حوت أراد أن يشترك مع السيد عبد الله ابن سيدنا في الزراعة، وبينما كان الحاج مصطفى في المسجد رآه سيدنا فقال له: «يا حاج مصطفى سمعت أنك تريد الشراكة مع عبد الله ابني؟ هذا ابني مثلي المادة ليس لها قيمة عنده». وهو أهل -رحمه الله- لذاك الوصف الذي قاله سيدنا عنه.

فكان -رحمه الله- يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويعرف ذلك من خالطه.

ما قال لا قَطُّ إلا في تَشَهُّدِهِ   لولا التَّشَهُّدُ كانت لاؤُهُ نَعَمُ



من اليمين السيد عبد الله، ثم السيد أحمد ابنا السيد محمد النبهان، رحمهم الله جميعًا

جاء إليه شاب يريد أن يتزوج ولا يملك المال فطلب منه مساعدة بمبلغ خمسين ألف ليرة، ولم يكن -رحمه الله- يملك منها شيئًا، فاحتار ماذا يقول له! فأرسل إلى أحد أصدقائه فاستدان منه المبلغ، وأعطاه للشاب. فقال له أحدهم: لمْ

يكلفك الله بأن تستدين وتعطي. فقال له: (هاتِ وجهك وخذ وجهي حتى لا أعطيه، أنا لا أستطيع أن يطلب مني محتاج ثم أخفي وجهي عنه).

مما حدَّث به -رحمه الله تعالى-:

قال: طلبنا من سيدي الوالد ﵁ أن نشتري دارًا بعد أن توفر المبلغ وهو ستة عشر ألف ليرة، ووافق سيدنا ﵁، وفي مساء ذلك اليوم جاءنا سائل يسأل عن سيدي الوالد ﵁، الرجل مرهق ومضطر، قلنا له: ماذا تريد؟ قال: مطلوب مني ستة عشر ألف ليرة وإذا لم أسددها إلى الدائن فسيخرب بيتي ويضيع أولادي، فقال لنا سيدنا: أعطوه المبلغ الذي هيأناه لشراء الدار، وأخذ حاجته وذهب مسرورًا.

وحدّث أيضًا -رحمه الله- قال: كان الشيخ محمد الغشيم[١] هو الذي كان يقوم بشراء حاجياتنا من السوق ونحن صغار حتى أنه أحيانًا كان يقوم على طعامنا ويعمل لنا بعض الأطعمة التي نشتهيها ثم انقطع عن الخدمة وانشغل بالتدريس في الشعبانية وغيرها.

ابتلاءاته: مرت به ابتلاءات وآلام شديدة، فكان من شدة ألمه يصعد إلى الجامع أحيانًا ويقول للشيخ عمر عابدين رحمه الله :يا شيخي! قل لوالدي كفاني لم أعد أحتمل، ويأتيه الجواب من سيدنا: اصبر.. اصبر.

---

(١) **الشيخ محمد الغشيم (١٣٢١هـ-١٣٩٨هـ):** فقيه شافعي، ولد في حي (البلاط التحتاني) في حلب القديمة، تخرج في الخسروية في الفوج السابع عام ١٣٥١هـ، عمل مدرّسًا في الشعبانية، وصحب الشيخ عبد الله سراج الدين مدة طويلة، أخذ الطريقة النقشبندية على الشيخ محمد أبو النصر، توفي في حلب ودفن في مقبرة (القطانة). انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٣٤١).

كان يعاني -رحمه الله- مدة طويلة من السُّكري ثم حصل معه قصور في الكِلى، ثم مشاكل في الرئة، ودخل غيبوبة سبعة عشر يومًا إلى أن صار معه نزيف معوي فتوفي إثر ذلك. وكان قد قال له سيدنا ﷺ: موتك سيكون مثل موتي.

وفاته:

توفي -رحمه الله تعالى- في تمام الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم السبت وقد سبق أخاه أحمد أبا فاروق بالوفاة بيوم ونصف، وذلك بتاريخ ٢ صفر ١٤٢٤هـ الموافق ٥ نيسان ٢٠٠٣م. ودفن في الجانب الأيسر من مدخل جامع الكلتاوية بجوار أمه، ثم دفن بجانبه أيضًا أخوه السيد أحمد أبو فاروق.

مصادر الترجمة:

- السادة: أحمد بن عبد الله النبهان، وبشار بن أحمد النبهان، ومحمد محفوظ بن الحاج علي النبهان. الدكتور محمود حوت، والشيخ زكريا حوت، والسيد عبد الحكيم إبراهيم الفياض، مراسلة كتابية.
- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (٢:٣٥٠).

(٤) الدكتور محمد فاروق النبهان

١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م



فضيلة الدكتور محمد فاروق بن أحمد بن محمد النبهان، حفيد السيد محمد النبهان.

ولد في ١٣ ذي الحجة ١٣٥٨هـ الموافق ٢٤ كانون الثاني عام ١٩٤٠م، في حي باب الأحمر في مدينة حلب.

توفيت والدته (علية بنت حسن دوبا) وهو صغير، فتكفل به جده العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ ونشأ في حِجره وتولى رعايته وتربيته والإشراف عليه تعليمًا وتكوينًا، وعاش طفولته إلى سن الثامنة عشرة من عمره في صحبة جده السيد النبهان الذي كان يخصه بالمحبة والاهتمام والتكوين، ويصحبه معه في زياراته وأسفاره، ويحضر مجالسه التربوية والروحية، وتلقى الكثير من توجيهاته وتأثر بما تربى عليه من القيم الروحية، إلى أن التحق بجامعة دمشق فكان يذهب إلى دمشق ويرجع إلى جده في حلب.

التحصيل العلمي:

أكمل المرحلة الأولى الابتدائية في مدارس حلب، ثم انتسب إلى المدرسة الشعبانية في حلب وتخرج فيها، ونال شهادتها عام ١٩٥٨م.

من شيوخه في الشعبانية:

الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين[١]، والشيخ عبد الله سراج الدين[٢]، والشيخ بكري رجب[٣]، والشيخ عبد الوهاب سكر[٤]، والشيخ عبد الرحمن زين العابدين[٥]، والشيخ عبد الله خير الله، والشيخ عبد الله حماد، وشيخ القراء الشيخ محمد نجيب خياطة[٦]، والشيخ أسعد العبجي[١].

---

(١) الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين (١٣٣٥هـ-١٣٩٣هـ): عالم فقيه خطيب، ولد في أنطاكية، هاجر مع أسرته إلى حلب فرارًا بالدين عام ١٩٣٤م، انتسب إلى مدرسة الأحمدية وتخرج فيها، عمل بعدها مدرّسًا في الخسروية، والشعبانية، وإمامًا في حي السبيل. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٣٤١).

(٢) الشيخ عبد الله سراج الدين (١٣٤٣-١٤٢٢هـ): العلامة المحدث، ولد في حلب، والده الشيخ العلامة محمد نجيب سراج الدين، دَرَسَ في العثمانية والخسروية، حصل على إجازات عالية من كبار الشيوخ، درّس في عدة مساجد بحلب، وجدد المدرسة الشعبانية وأدارها، ودفن فيها، له مؤلفات كثيرة، منها: سيدنا محمد رسول الله شمائله الحميدة، وخصاله المجيدة. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر » (٤٥٤)، و«نثر الجواهر والدرر» (١٨٩١).

(٣) الشيخ بكري رجب (١٣٣١-١٣٩٩هـ): فقيه شاعر وداعية، ولد في مدينة الباب، تخرج في الخسروية عام ١٩٣١م، عمل مدرسًا في الشعبانية والخسروية، أخذ الطريقة على يد الشيخ محمد أبو النصر الحمصي، ترك العديد من المؤلفات والدواوين. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٣٦٦).

(٤) الشيخ عبد الوهاب سكر (١٣١٦هـ-١٤٠٦هـ): الداعية الفقيه، ولد في مدينة الباب، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب الأخلاق، وكتاب الحديقة من كل روض زهرة، توفي في حلب ودفن في مقبرة السفيري. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٤٠٧).

(٥) الشيخ عبد الرحمن زين العابدين الأنطاكي الحلبي (١٣٢٥-١٤١٠هـ): عالم، وصنّاع دقيق عجيب، وراجٍ ماهر، دَرَس في مدرسة الأحمدية، ودرّس في العديد من مدارس حلب. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٤٤٦).

(٦) الشيخ محمد نجيب خياطة (١٣٢٣-١٣٨٧هـ): الفرضي المقرئ، ولد في حي الجلوم في حلب.

ثم انتسب إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق عام ١٩٥٨م.

من أبرز شيوخه في كلية الشريعة:

الدكتور مصطفى الزرقا[٢]، والدكتور مصطفى السباعي (١٣٣٣-١٣٨٤هـ).

والدكتور معروف الدواليبي[٣](١٣٢٧-١٤٢٤هـ)، والدكتور يوسف العَش (١٩١١-١٩٦٧م)، والأستاذ محمد المبارك (١٩١٢-١٩٨١م).

والسيد محمد المنتصر الكتاني[٤]. وتخرج فيها عام ١٩٦٢م.

دَرَس العلوم في مدارس الخسروية والدليواتية والعثمانية والشعبانية والأحمدية على كبار الشيوخ، له مؤلفات عديدة في التجويد والقراءات والفرائض والفقه والوعظ والأدب. توفي في حلب ودفن في مقبرة الشيخ نمير. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٢٩١).

(١) الشيخ: محمد أسعد العبجي (١٣٠٥-١٣٩٣هـ): مفتي الشافعية في مدينة حلب، وعضو مجلس أوقاف حلب العلمي، فقيه أصولي، عرف مكانة السيد النبهان من حين كان طالبًا في الخسروية، ودافع عنه في عدة مواقف. له من المؤلفات: سلم الوصول إلى علم الأصول، حاشية على «غاية الوصول، شرح لب الأصول»، وإتحاف المريد في علم التجويد، ورسالة في بيان المقادير الشرعية في المذهب الشافعي. توفي سنة (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)، ودفن في مقبرة الشيخ سعود.

(٢) الشيخ الدكتور مصطفى الزرقا (١٣٢٢-١٤٢٠هـ): فقيه، خبير في الموسوعة الفقهية الكويتية، عالم عامل، ولد في حلب، والده الشيخ أحمد فقيه بلاد الشام، وجده كذلك، وحصل على جائزة الملك فيصل عام ١٤٠٤هـ. «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٥٢٢).

(٣) تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

(٤) الشيخ محمد المنتصر الكتاني (١٣٣٢-١٤١٩هـ): الفقيه المحدث، مسند المغرب، ولد في المدينة المنورة، ثم انتقل عام ١٣٣٨هـإلى الشام مع والده وجده، ثم انتقوا إلى فاس عام ١٣٤٥هـوتوفي جده هناك. انظر كتاب «السيد النبهان» ط ٢ (١:٢٣).

الدرجة العلمية:

حصل على الماجستير من جامعة القاهرة-كلية الآداب- عام ١٩٦٥م وعنوان الرسالة: (القروض الاستثمارية وموقف الإسلام منها).

ثم حصل على الشهادة العالمية الدكتوراه من جامعة القاهرة -كلية دار العلوم- وذلك عام ١٩٦٨م وعنوان الرسالة: «الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي».

النشاطات العلمية والعمل الدعوي:

- أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض من عام ١٩٦٦ حتى ١٩٦٨م.
- أستاذ في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض من عام ١٩٦٩ حتى ١٩٧٠م.
- أستاذ في كلية الحقوق بجامعة الكويت من عام ١٩٧٠حتى ١٩٧٧م.
- عين من قبل الملك الحسن الثاني مديرًا لدار الحديث الملكية الحسنية من عام ١٩٧٧ حتى ٢٠٠٠م.
- عضو في الأكاديمية الملكية المغربية من عام ١٩٨٤م وما زال إلى الآن.
- عضو في المجمع الملكي الأردني للفكر الإسلامي في عمان.
- شارك في مؤتمرات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
- عضو سابق في مجلس جامعة القرويين بمدينة فاس المغربية.
- عضو سابق في اللجنة الوطنية العليا للثقافة المغربية.

آثاره العلمية:

من مؤلفاته المطبوعة:

١- الإتجاه الجماعي في التشريع الإقتصادي الإسلامي.

٢- نظام الحكم في الإسلام.

٣- المدخل للتشريع الإسلامي.

٤- التشريع الجنائي الإسلامي.

٥- مبادئ الثقافة الإسلامية.

٦- أبحاث في الإقتصاد الإسلامي.

٧- أبحاث في الفكر والحضارة.

٨- القروض الإستثمارية وموقف الإسلام منها.

٩- الفكر الخلدوني.

١٠- المدخل إلى علوم القرآن.

١١- الشيخ محمد النبهان ترجمة شخصية.

١٢- محاضرات في الفكر والتاريخ والحضارة.

١٣- قضايا معاصرة.

١٤- دموع الفجر (رواية اجتماعية).

١٥-الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد.

١٦- مفهوم النفس عند ابن مسكويه.

١٧- تأملات في الفكر الإسلامي.

١٨- الفكر الإسلامي والتجديد.

١٩- محاضرات في الفكرالسياسي والإقتصادي المعاصر.

٢٠- مفهوم الربا في ظل التطورات الإقتصادية المعاصرة.

٢١- علمتني الحياة.

٢٢- القيم الإسلامية والقيم الإنسانية.

٢٣- التصور الإسلامي للحوار الحضاري.

٢٤- الاستشراق فكره وآراؤه ومدارسه.

٢٥- ربع قرن في المغرب.

٢٦-ذكريات وأيام.

٢٧- لا تقتل ولدي (رواية اجتماعية).

٢٨- القوانين الاجتماعية عند ابن خلدون.

٢٩- دراسات فقهية معاصرة.

٣٠- المنهج التربوي عند الإمام الغزالي.

٣١- دور التربية الإسلامية في تكوين الشخصية.

٣٢-أحكام الأسرة والقانون العربي الموحد للأحوال الشخصية.

مع جده العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

يقول الدكتور محمد فاروق[١]: «كنت أصلّي معه الصلوات كلها، وكان يوقظني قبل صلاة الفجر، ويصلي أربع ركعات قبل الفجر، ثم يجلس مستقبلًا القبلة إلى أن يحين وقت الفجر فيؤذن للفجر، ثم يصلي السنة، ثم الفرض، ويجلس بعد الفجر

(١) كتبها في موقعه الشخصي (dr-mfalnbhan.com) بتاريخ: ٢٤ كانون الأول ٢٠١٣م. رابط مختصر: https://٢u.pw/Pnth٥.

لمدة ربع ساعة يردد بعض الأذكار ويختم ذلك بالدعاء، ثم يجلس لقراءة القرآن، ولا ينام حتى تطلع الشمس.

صحبت السيد الجد -طيب الله ثراه- مدة عشر سنوات مذ كنت في العاشرة من عمري إلى سن العشرين، وكنت أستقبل ضيوفه، وأقدم لهم الشاي، وأحضُر جميع مجالسه، وعندما كان يخرج من البيت كان يصحبني معه في زيارته في حلب أو أسفاره، وعندما جئت أستأذنه في السفر إلى دمشق للالتحاق بكلية الشريعة لم يأذن لي، ولما أذن لي بعد عام وجئت لوداعه قال لي: سأفتقدك، وستفقدك مجالسي، وإذا ثقلت عليك الغربة فاصبر عليها، فالعلم يستحق أن تصبر عليه.

عندما غادرت مدينة حلب لأول مرة عام ١٩٥٩م للالتحاق بكلية الشريعة بدمشق وقفت على الهضبة الغربية المطلّة على المَدِينة أمام منطقة الكُرة الأرضيّة، ونظرت إلى القبة الخضراء في الكلتاوية، وتذكرت كلمة السيد الجد -طيب الله ثراه- وهو يقول لي في لحظة الوداع: «إذا غادرتَ حلب أخشى ألا تعود إليها، ولولا العلم لما أذنتُ لك بالسفر، وعندما يضيق بك أيّ أمر فاشكُ إليّ أمرك حيث تكون، وسوف أكون معك فيه». وكنت أفعل ذلك، وكنت أشعر بالطمأنينة والأمان، واستمرت رحلتي هذه مدة خمسٍ وأربعين سنة كنت خلالها أزور حلب كل سنة أو سنتين مدة شهر أو شهرين.

ما زلت حتى الآن أشعر بتأثير ذلك الموروث في ذاتي، قد يضعف قليلًا وقد يطرأ عليه تعديل، إلا أنه يبقى ذلك الشيء المقدس الذي يرتاح إليه الإنسان».

تربية في الطفولة:

قال الدكتور محمد فاروق النبهان -حفظه الله-[1]: «منذ طفولتي الأولى علمني السيد النبهان -طيب الله ثراه- قدسية العلم ومكانة العلماء، وحبب إليّ الكتب

---

(١) «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» (٤٧٠).

والقراءة، وعندما كنت أسأله سؤالًا في العلم كان يجلسني إلى جانبه ويشرح لي الجواب بطريقة ميسرة ومحببة.

وبفضل تشجيعه المستمر لي حبب إلي العلم وكرهني في الجهل، وكان يحدثني عن ثمرات العلم، وأهم ثمراته العمل به، فمن لم يعمل بما علم فلا فائدة من علمه، وعلمه حجّة عليه، ويقول لي تعلم كل شيء، فالعلم بالشيء خير من الجهل به، ولكن لا تستخدم العلم فيما هو ضار أو غير مفيد.

ومما كان يحذرني منه الجدل، والجدل هو محاولة التغلب على الآخر «بقصد الانتصار للذات»، وهو صفة مذمومة، ودليل على غفلة القلوب، فالقلب الطاهر يميل للحق ويكره الجدل، فمن مالت نفسه إلى التغلب ولو بالباطل فهذا من صفات النفس التي تحب الظهور والمكانة في نظر الناس، والجدل يميت القلب لأنه ينمي قوى النفس الغريزية.

كان يقول لي: لا بد للعلم من خُلُق، فمن تعلم ولم يتخلق فلا فائدة من علمه، وعلمه حجة عليه، فقد يعذر الجاهل بسبب جهله ولا يعذر العالم؛ لأنه علم الحق وخالف الحق، فهو مسؤول عن هذه المخالفة، والعلم له نور يضيء، فإذا لم ينشر العلم ضوءه فلا فائدة منه، ويبقى الظلام مخيمًا على القلوب، والظلام يحجب النور، وبخاصة إذا كانت القلوب ملوثة.

وكان يحذرني من علماء السوء، وهم الذين يتعلمون العلم للتكسب به، وليس للعمل به فمن تعلم العلم لكي يكون أداة لمعيشته أذل علمه، والعلم ليس أداة للتعيش به، فلا يقبل من العالم أن يكون ذليلًا ولا متملقًا ولا منافقًا، فالعالم رمز للنزاهة والاستقامة والترفع عن الصغائر.

كنت أسمع كل ذلك في كل خطوة، وقلّما كان يمرّ علي يوم لا أسمع فيه كلمة ناصحة مفيدة، ربما لم أكن أستوعب كل ذلك وأحيانًا لا أفهم ما تعنيه تلك الكلمات من دلالات، إلا أن من المؤكد أنها كانت تختزن في الذاكرة، كحبات زرع

ترمى في الأرض، أو كقطرات مطر تتجمع في أعماق الأرض، أصبحت هذه الكلمات التي أسمعها كل يوم جزءًا من تفكيري وجزءًا من ثقافتي حيث تمثل الرصيد الذي أحتفظ به في ذاكرتي».

كلام للسيد النبهان ﷺ عن حفيده الدكتور محمد فاروق النبهان، حفظه الله:

«أنا عندي أولاد ابني أمهم ماتت بقوا عندي، وهم صغار أعلمهم على الصلاة وعلى الصوم وعلى..طلعوا.. حتى ابن ابني وعنده شهادات عليا قال لي: جدي لو لم أكن أعرفك والله لأروح من زمان، لكن رأيت مشايخ حلب والشام ومصر. قلت له: إي. قال: الدخان والخمر والله لو كان يجوز بالشريعة لا أستعملها»[١].

يتحدث الدكتور محمد فاروق النبهان -حفظه الله- عن بداية نشأته واحتضان السيد النبهان له بعد وفاة أمه فيقول:

الجدُّ والحفيد:

يقول الدكتور محمد فاروق: «عرفت الشيخ -رحمه الله- في طفولتي الأولى. لا أدري متى تم ذلك، كما لا أدري متى عرفت أبي وأمي وإخوتي،كانوا جزءًا من حياتي الأولى، وهم يبتسمون، وانمحت تلك الذكريات ولم يبق إلا القليل.

أذكر ذلك الشيخ الوقور بملامحه المهيبة يدخل بيتنا، يقف الجميع له احترامًا وإجلالًا، كنت أحبه وأهابه، أحبه لأنه يحبني ويلاطفني ويبتسم لي وأهابه لأن الكل يهابه.

---

(١) مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لديَّ.

أناديه بدلع «جدو» كان يبتسم لي، يجلسني في حضنه أو يمسك بيدي، أو يطعمني قطعة حلوى، انمحت تلك الصور من ذاكرتي، لم يبق منها إلا القليل.

صورة واحدة بقيت، لا أدري لماذا بقيت ولم تمح! وهي الصورة الأقسى في حياتي عندما رأيت نظراته الحزينة تحدق بي، أداعبه فلا يستجيب لي، وأضحك له فلا يضحك لي، رأيت دموع أبي ودموع نساء الأسرة وهي تتساقط على الخدود بغزارة.

حزنت ولا أعرف لماذا أحزن! وبكيت ولا أعرف لماذا أبكي! كان الكل ينظر إلي. أخافتني نظراتهم الحزينة وأدهشتني دموعهم السخية، كانت أمي غائبة عن ذلك اللقاء العائلي، وما كان لها أن تغيب، لو رأيتها بعد ذلك اليوم لعاتبتها، سأقول لها: لماذا تركتني وحيدًا في ذلك المساء؟! وما اعتادت أن تفعل ذلك. وانتظرتها طويلًا ولم تعد، ونمت حزينًا، ولما استيقظت لم أجدها تعدّ لي طعام الإفطار كما اعتادت أن تفعل، رأيت الرجل المهيب يأخذ بيدي يمسح دموعي ويلاعبني، شكوت له أمي التي لم تَعُدْ من زيارة أهلها، وعدتني أن تعود فلم تفعل. طلبت منه أن يأخذني إليها لأنني أحبها.

منذ ذلك اليوم بدأت علاقة جديدة مع جدي الرجل المهيب الذي أصبح قريبًا مني وصديقًا ورفيقًا، فلم أعد أخافه أو أهابه. كنت ألعب معه، وأذهب معه إلى السوق، وأجلس في حضنه.

كنت في الخامسة من عمري، وكان جدي في الخامسة والأربعين، وبدأت الصداقة بين الجد والحفيد منذ تلك الأمسية الحزينة التي انطفأت فيها شعلة الحياة في أسرتنا الصغيرة، ورحلت أمي ولم تعد؛ لقد اختطفها الموت في تلك الليلة الحزينة.

لم أحزن على أمي، ولم أكن أدري معنى الموت، ولما عرفت معنى الموت وما يعنيه غياب الأم حزنت الحزن الذي يزداد ألمه كلما امتدت أيامه.

ذات مساء امتلأ فناء الدار الواسع بأطفال الأسرة يلعبون ويضحكون ويتدافعون، ووقفت بعيدًا عنهم أتأمل ملامحهم لا أضحك كما يضحكون، ينادونني أن أشاركهم ألعابهم فلا أجيبهم، رأيت «جدي» خلف زجاج النافذة يتأملني، أشار إليّ أن أذهب إليه. كنت شاردًا حزينًا، جاء إلي وأمسك بيدي، وقال لي: لمَ لا تلعب مع الأطفال؟

قلت له: أريد أمي أن تمسك بيدي، كما تمسك الأمهات بأيدي أطفالهن. وانهمرت الدموع من عيني كما انهمرت من عينيه.

قال لي: ألا تريد أن أكون كأمك أمسك بيديك عندما تلعب وتكون صديقي وصاحبي، وقادني برفق وحنان إلى غرفته، وأخذ يحدثني كما يحدث الصديق صديقه، وبدأ يصحبني معه في كل زياراته وأسفاره وأحضر معه كل مجالسه.

كبرت بسرعة، لم ألعب مع الأطفال في الشوارع، ولم أصادق زملائي في المدرسة، لم ألعب كرة القدم في النوادي الرياضية. كان أصدقائي هم أصدقاء الجد، أحضر مجالسهم، وأسمع أحاديثهم، وأرى نفسي كبير السن مثلهم. كان هذا يرضي كبريائي، ويسعدني ويشعرني بالمكانة والمنزلة الرفيعة.

كان يسعدني أن أرى نفسي كبير المنزلة في الأسرة، كنت صديق الجد صاحب الكلمة النافذة، والشخصية المهابة، وكنت أتوسط لأصحاب الحاجات، فيستجيب الجد لوساطتي، فما أريده يكون بفضل محبة الجد ورعايته لأمري.

لم أُغضب «جدي» في أمر من الأمور، ولم يغضبني قط، ما يريده مني أفعله طائعًا مختارًا، وما لا يريده لا أفعله مختارًا إرضاءً له، فكان بالنسبة لي هو الجد الذي أُحبُه، وكنت بالنسبة له الحفيد الذي يحبه.

كان هناك شيء أكبر من العلاقة العاطفية المألوفة بين الجد والحفيد، شيء ما لا أعرف حقيقته، يشدني إليه ويشده إلي، أشعر أنه قريب مني، كنت سعيدًا بهذه العلاقة والصداقة»[١].

الطالب الأول في الكلتاوية:

قال الدكتور محمد فاروق النبهان: «ما زلت أتذكر عندما كنت الطالب الوحيد في الكلتاوية النبهانية القديمة في منتصف الخمسينات قبل أن تبنى الكلتاوية الجديدة، كنت أجلس وحيدًا في غرفة السيد الجد -طيب الله ثراه- وأشعر بالفرحة والسرور. كانت حدائق الكلتاوية رائعة مليئة بالأزهار والورود وأشجار الصنوبر، كانت هناك بركتان جميلتان، وممرات بين أشجار الياسمين وسواقي ماء تجرى بين الأشجار.

كنت أقضي وقتًا طويلًا وبخاصة في الصيف من العصر إلى العشاء، كنت أضع لنفسي برنامجًا دراسيًّا.

مازلت أذكر أساتذتي فى تلك الفترة، وهم أصدقاء ولو كانوا أكبر مني سنًّا وكنت معتادًا على صداقة الكبار، وكنت أحبهم ويحبونني، وكنت أشعر بعاطفتهم الصادقة، وما زلت أحمل لهم عاطفة احترام وإجلال لما كنت ألمسه منهم من إخلاص وصدق.

وأبرزهم: الشيخ بشير حداد[٢] معلمي الأول الذي علمني قراءة القرآن، وكان محبًّا للكلتاوية، ومن أبرز أعلامها وأقدمهم والمؤتمن عليها وهو خطيبها الأول.

---

(١) «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» (٤٦٦-٤٦٨).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٥٣).

والشيخ أديب حسون[١]، وكان يدرسني في كتاب تنوير القلوب ومبادئ الأخلاق، وهو أستاذي فيما بعد.

وهناك الشيخ نذير حامد[٢]، وكان عالمًا متميزًا في النحو وعلمني علم المواريث، ولم أزد عما تعلمته منه، وأصبحت حجة في علم المواريث بفضل جهده، وكان صديقًا محبًّا صادقًا، وكنا نذهب فيما بعد إلى الجامعة معًا، وأنا مدين له بما كان يفعله لأجلي، لم ألقه منذ عشرين عامًا ولم أنسه أبدًا، وأرسل له تحياتي ومحبتي.

وهناك صديقي الخاص الأستاذ حسان فرفوطي[٣] -رحمه الله- وكانت بيني وبينه علاقة خاصة ومودة متميزة يعرفها الجميع، وكان يدرسني الأدب والشعر، وكان من أنبل الناس خلقًا ونبلًا، وكان مبتسمًا على الدوام ومحبًّا لكل الناس.

وهناك الأستاذ نزار لبنية[٤] الذي كان يعلمني الحساب والرياضيات، وكان يتابع دراستي من الابتدائية حتى المرحلة الجامعية .

ما أجمل المشاعر التي أشعر بها تجاه رموز إنسانية راقية في أخلاقها!

كان يدفعهم الحب ولا شيء آخر، كانوا رموز فضل وخلق، وهم أفضل من عرفت من الرجال»[٥].

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٥٢).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٦٤).

(٣) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (١٣).

(٤) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٧٧).

(٥) موقعه (dr-mfalnbhan.com) في ١٧ تموز ٢٠١٤م. رابط: https://٢u.pw/nDeSw.

أول درس في الكلتاوية:

كلما تكلمت عن الكلتاوية النبهانية أشعر بعواطف المحبين لها من جيل البناة الأوائل وجيل أبنائهم وجيل الأحفاد.

كانت الكلتاوية في هضبة في حي من أحياء حلب، وأصبحت اليوم في كل مكان، لم تعد مكانًا جغرافيًّا وإنما أصبحت هوية انتماء تربوي وروحي إلى قيم أصيلة ومنهجية إسلامية متميزة بحسن الفهم وعمق الالتزام.

لا خوف على الكلتاوية النبهانية، ولا سلطان لأحد عليها لا في الماضي ولا في المستقبل.

أبناء الكلتاوية اليوم في كل مكان، وهم مؤتمنون عليها، يكبرون بعلمهم وتربيتهم الروحية الأصيلة الملتزمة بمنهجية سيد الكلتاوية ومؤسسها السيد النبهان، طيب الله ثراه.

إنني أراهم في كل مكان في حلب والفلوجة والرمادي والمدن العراقية ودول الخليج والسعودية ومصر وتركيا.

هناك ثوابت تجمع الكل على منهجية تربوية راقية المفاهيم سامية الأهداف.

كم كنت أشعر بالسعادة عندما كنت ألتقي علماء الكلتاوية بعد عصر يوم الأحد! مايقرب من مئة عالم بعمائمهم المميزة وأدبهم المعتاد ومحبتهم وصدقهم، وكم كنت أستبشر بأبنائنا من طلاب الكلتاوية الذين كنت ألتقي بهم بعد صلاة الجمعة وأصبحوا اليوم رموزًا للعلم والتربية،كنت أشعر بعاطفة خاصة تشدني إليهم.

ما زلت أذكر عندما كنت طالبًا في الجامعة بعد إنشاء مدرسة النهضة الشرعية طلب مني السيد النبهان -طيب الله ثراه- أن أُلقي درسًا أمام طلاب الكلتاوية عام ١٩٦٦م، ولعل بعض من كان حاضرًا يذكر ذلك اللقاء، وكان السيد

يقف فرحًا خلف الباب ينصت إلى الدرس، شعرت بمسؤولية تجاه المدرسة، وكنت أعتذر عن كل النشاطات الثقافية ما عدا الكلتاوية التي لم أتخلف عنها أبدًا عندما أكون في حلب، ولم يتوقف حديثي بعد صلاة الجمعة أبدًا.

كنت أتابع أخبارها في البداية مع مديرها الأول الشيخ محمد لطفي[١] ثم مع الأخ الشيخ منير حداد ثم مع الشيخ علاء الدين علايا[٢] ثم مع الأخ الأستاذ أحمد مهدي الخضر[٣] -رحمهم الله جميعًا.

بالإضافة إلى الأخوين: الشيخ محمد رشواني[٤] والشيخ محمود حوت[٥]، وكل من كانوا من رموز المدرسة المؤتمنين عليها ومن المحبين لها.

ستظل الكلتاوية وفيّةً لرسالتها التربوية، لا خوف من الاختلاف في ظل الثوابت، فالاختلاف أمر طبيعي وحتمي، وحق الاجتهاد ثابت فيما لا نص فيه.

أدعو الله تعالى أن يتولى أسرة الكلتاوية النبهانية جميعًا برعايته، وأن يسدد خطاها، وأن يلهم أبناءها وبخاصة العلماء منهم حيثما كانوا ما يحبه الله منهم من العمل الصالح المخلص الصادق الذى هو شعار رسالة الكلتاوية النبهانية من قبل ومن بعد.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر ١٠)[٦]».

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٦١).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٣٩).

(٣) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (١٠).

(٥) الشيخ محمد الرشواني: تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

(٥) الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت: تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

(٦) موقعه (dr-mfalnbhan.com) في ١٨ تموز ٢٠١٤م. رابط مختصر: https://٢u.pw/٣f٩Lr.

رحلة في عالم التجارة:

أمضيت طفولتي الأولى إلى جانب السيد النبهان -طيب الله ثراه- كنت معه ليل نهار، أصلي الصلوات الخمس معه، كان يوقظني بنفسه كل صباح قبل الفجر، كنت أقف إلى جانبه في الصلاة، وأرافقه في كل زياراته ورحلاته، و أحضر معه جميع مجالسه.

كنت أحبه وكان يحبني أكثر.

كان الجميع يعلم مكانتي من سيدي الجد، كان من أكثر من رأيت في حياتي أدبًا وخلقًا وفهمًا واحترامًا لخصوصية الآخر ولوكان طفلًا، لم يعاتبني قط، ولم يعطني أية إشارة على خطأ، وكنت أفعل ما يريد ولا أفعل ما لا يريد بإرادتي من غير تردد.

في السادسة عشرة من عمري شعرت بتحول في داخلي، انفعال لا أعرف مصدره، حدة غير معهودة، ثورة داخلية، تطلع إلى التغيير، لم أكن أنا السابق.

قلت للسيد الجد: كل الناس حولي يحترمونني وكلهم يبالغ في تعبيره عن هذا الحب، فأنا حفيد السيد النبهان، ولكنني لست سعيدًا بهذا؛ أريد أن أكون أنا. بذاتيي، بمكانتي، بشخصيتي، أريد أن أبحث عن كياني عن مستقبلي.

نظر إلي نظرة مليئة بالعاطفة والحب، قال لي: يا ولدي لا تتحدث عن المستقبل فالله سيرعاك ويتولاك، كن صالحًا والله يتولى الصالحين. ياولدي : لست أنت من يرسم مستقبلك فالله أرحم بك وهو الذي سيختار مستقبلك.

قلت له: أريد أن أترك العلم وأعمل في التجارة.. تألم قليلًا، لم يظهر ألمه.

لم يقل لي: لماذا؟!

قال لي: هذا خيارك، هذا أنت.

في المساء قال للحاج أحمد الصغير أشهر إخوانه بالتجارة في خان الجمرك: أريدك أن تعلم فاروق أصول التجارة وقواعدها. في اليوم الثاني كنت في خان الجمرك أقضي يومي بين التجار أسمع وأرى، تعرفت على مجتمع جديد. ذهبت إلى الشيخ اسبير لكي أتعلم الدوبيا وهو علم أصول الحسابات.

بعد ثلاثة أشهر فى خان الجمرك دخلت على السيد الجد مطرق الرأس: قلت له: فشلت المهمة لا أريد التجارة، لم أجد ذاتي فيها، أحسست بفرحته وكأنه كان يتوقع ذلك.. قال لي : كنت أنتظر عودتك.

قررت أن أعود إلى العلم، بدأت رحلة العلم باستعداد جديد، ما كنت أخشى من شيء، كنت أعتقد أنني سأنجح في أي عمل قمت به في التجارة أو العلم. ربما وهمٌ أو ثقة مبالغة.

فتحت أبواب لم تكن مفتوحة وما كنت أظن أنها ستفتح.. وكل باب يغلق كان يدفعني للبحث عن باب صغير أدخل منه متثاقلًا في البداية ثم أكتشف أنه يقودني إلى فضاء جميل مليء بالأزهار والورود.

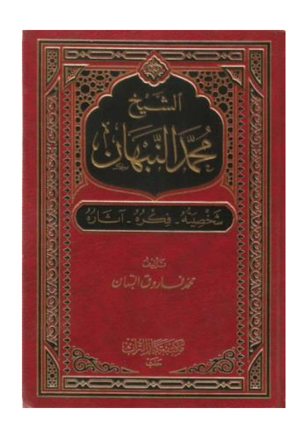
تذكرت كلمة السيد النبهان وهو يقول لي: لست أنت يا ولدي من تختار مستقبلك فالله هو مدبر الكون وهو الذي سيختار لك ما يريده لك[1].

كتاب «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».

قال الدكتور محمد فاروق النبهان: «هذا الكتاب من أحب الكتب إلي، وكنت سعيدًا وأنا أكتبه، كتبته على عجل، وطبع مباشرة عام ٢٠٠٤م بحلب نظرًا لإلحاح أتباع الشيخ -رحمه الله- على سرعة إصداره.

---

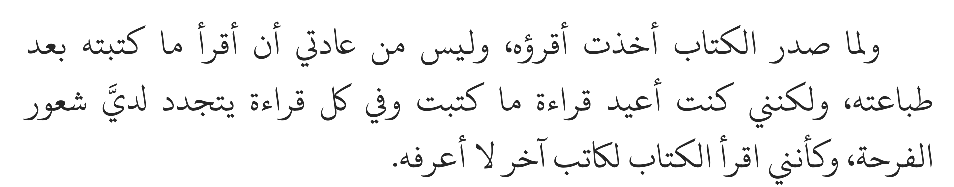
(١) كتبها الدكتور محمد فاروق النبهان في موقعه الشخصي: (dr-mfalnbhan.com) بتاريخ: ٧ كانون الثاني ٢٠١٤م. رابط مختصر: https://٢u.pw/L١uML.



سعدت وأنا أكتبه لأمرين:

أولهما: مكانة الشيخ الجد في قلبي، وشعوري بواجب الوفاء له، فقد كان بالنسبة لي هو المربي والمرشد الروحي وأنا مدين له بفكري.

وثانيهما : أنه أعادني إلى فضاء روحي كنت بحاجة إليه، وما أجمل المشاعر التي أحسست بها أثناء كتابتي، شعرت بدفء عجيب.



ولما صدر الكتاب أخذت أقرؤه، وليس من عادتي أن أقرأ ما كتبته بعد طباعته، ولكنني كنت أعيد قراءة ما كتبت وفي كل قراءة يتجدد لديَّ شعور الفرحة، وكأنني اقرأ الكتاب لكاتب آخر لا أعرفه.

تذكرت ذلك العالم الرحب، ذلك الفضاء الروحي، في سن الطفولة عشت في ظلال هذا الفكر، وكنت سعيدًا به، وعندما تذكرته فيما بعد واستعدت أيامه استيقظت في كياني تلك المشاعر وكأنني أعيشها كما كانت.

الزمان والمكان والمجالس والوجوه والذكريات كل ذلك استيقظ فجأة، وكأنني أعيشه، لا أدري لماذا كان يشدني إليه!

في طفولتي زهدت فيه ورحلت عنه إلى محراب العلم، رأيت في العلم نور المعرفة، ولكنني لم أجد طمأنينة القلب، وأخذت أبحث في كل العلوم عن العلم الذي أجد فيه سعادتي الداخلية، ورحلت من علم إلى آخر، من الفقه إلى الأدب إلى الفلسفة إلى التاريخ إلى التربية، وعدت من جديد أكتب عن التصوف، ومع هذا كتبت عن التصوف كعلم، ولم أكتب فيه عن تجربة ذاتية، وما زلت أبحث عن السعادة المرجوّة، أليست هي ما يجب أن نبحث عنه.

مما أسعدني في كتابتي عن الشيخ محمد النبهان أنني لا أكتب علمًا منقولًا، وإنما أكتب رؤيتي الذاتية لشخصية متميزة بخصائصها التربوية والروحية،وكنت واضح الانفعال والصدق في أسلوبي، وكتبت ما رأيته وسمعته.

وأعترف أنني تعلمت من الشيخ ما لم أجده في الكتب، ولو قرأت هذا في الكتب لما صدقته أو تأثرت به، فما يكتبه الكتّاب والمثقفون والمفكرون لا يعني أنهم يؤمنون بما يكتبون، أو يلتزمون بما يؤمنون، وما رأيته في حياة الشيخ كان شيئًا معبرًا عن حقيقة إيمانه، وكان يفعل ما يؤمن به وما يدعو إليه من غير تكلف.

هذا ما تعلمته من دروس الشيخ، رأيت طمأنينة القلب وأثرها في سلوكية الإنسان، رأيت سموا في النظرة وعلوا في الهمة وارتقاء في المفاهيم، ولم أتحدث عن شيء خارج عن العادة من الكرامات، وليس من عادتي أن أتحدث عن خوارق العادات، وإنما تحدثت عن كرامة الاستقامة وكرامة الطمأنينة وكرامة التسليم والرضى بحكم الله، من غير تردد.

أقول: إننا نحتاج إلى هذا الأفق الروحي الذي لا يراه ولا يحس به إلا من أكرمه الله بنور في قلبه، ومن لم يكرمه الله بهذا النور الذي ينبع من أعماق الفطرة الصافية فلا أمل له في طمأنينة القلب، ولو كان علامة عصره في علوم الأولين والآخرين، ولكل علم نور يضيء، فإذا لم يوقد العلم شعلة النور في القلب فلا فائدة من هذا العلم.

ذلك البعد الروحي رأيته في مجالس الشيخ وأحاديثه، ولم أجده في أي كتاب، ولذلك حرصت على أن أبحث عن هذه الروحية الصادقة العفوية، وهي أمر وهبي ومكتسب، ولا يمكن ادعاؤه، قد يظن بعض الناس أن طريقه هو المجاهدة

النفسية، واعتقد أن طريقه هو نقاء القلوب وطهارتها، وهذا أمر لا نعرف أسراره ولا يمكن للعقول أن تدرك بحواسها ما تشعر به القلوب من طمأنينة ويقين»[١].

أبرز شيوخي في حلب:

«كان الأستاذ أبو الخير زين العابدين من أبرز أساتذتي الذين أعجبت بهم فكرًا وشخصية وموقفًا، وقد درسني كتاب مغني اللبيب في النحو وهو من أهم كتب النحو ، وكان يحبني وأحبه، وكنت أصلي الجمعة معه في جامع السبيل، وأعود معه في سيارة الحاج توفيق داخل وكان من المحبين له.

كان يحدثني عن كل شيء وأحدثه عن أفكاري وكان السيد الجد -طيب الله ثراه- يعرف صلتي بالشيخ ويقول لي: إنه يحبك ويمدحك ويثني عليك وهو معجب بك بشخصيتك.

وكان من أعلام حلب ومن علمائها الذين كانت لهم مواقف مشهودة، وكان شقيقه الشيخ عبد الرحمن زين العابدين من أساتذتي ودرسني الفقه الشافعي.

ومن الأساتذة الذين كنت أحترمهم وتركوا أثرًا في نفسي:

الشيخ عبد الله سراج الدين، وقد درّسني مصطلح الحديث في كتاب شرح البيقونية وكان من أبرز العلماء الذين جمعوا بين العلم والورع، وقد زرته مرة في داره تحت القاعة برفقة صديقي الدكتور نور الدين عتر صديق الدراسة في القاهرة.

ومن أساتذتي في حلب: الأستاذ عبد الوهاب سكر، والأستاذ بكري رجب، والأستاذ أمين عيروض[٢]

---

(١) موقعه (dr-mfalnbhan.com) في ١١ شباط ٢٠١٤م. رابط مختصر: https://٢u.pw/IBu٠e.

(٢) **الشيخ أمين الله عيروض (١٣٢٥-١٣٩٠هـ)**: عالم، فقيه، ولد في حلب، تلقى العلوم في الخسروية عند كبار الشيوخ، وتخرج فيها عام ١٣٤٦هـ، لازم بعدها مجموعة من عظماء

والأستاذ أحمد القلاش[1]، والأستاذ عبد الوهاب التونجي قاضي حلب (١٩١٢–١٩٨٣م): الذي كان يدرسنا في الشعبانية قانون الأسرة، وكذلك الشيخ محمد الغشيم، والشيخ أديب حسون، والشيخ زين العابدين جذبة[2]، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ عبد الله خير الله، والشيخ نجيب خياطة.

ما زالت ملامح هؤلاء الأساتذة في ذاكرتي، كانوا رموز علم وورع وتقى واستقامة، وكنت أشعر بمحبتهم ، وهناك علماء لم يكونوا أساتذة لي، ولكنني كنت على صلة بهم بسبب زياراتهم المستمرة للسيد الجد.

ومن أبرزهم: الشيخ أسعد العبجي، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة[3]، والشيخ عبد الله علوان (١٣٤٧-١٤٠٧هـ)، والشيخ محمد علي الصابوني

الشيوخ في الأزهر حتى تخرج، ثم درس الرياضيات في إيطاليا ونال الشهادة من جامعة روما، عمل مدرسًا في الكلية الشرعية في حلب وفي عدد من مساجد ومدارس حلب، تجاوزت مؤلفاته المئة، توفي ودفن في حلب. «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٣٢٩).

(١) الشيخ أحمد قلّاش (١٣٢٨-١٤٢٩هـ): داعية فقيه، ولد في حلب، تلقى العلوم في مدرسة العثمانية، ثم في الشعبانية، والإسماعيلية، والخسروية حتى تخرج فيها عام ١٣٤٨هـ، أخذ الطريقة النقشبندية على الشيخ محمد أبي النصر، عمل مدرسًا في مدرسة الشعبانية، هاجر إلى المدينة المنورة عام ١٤٠٠هـ، فعمل أستاذًا في الجامعة الإسلامية فيها، من مؤلفاته: تيسير البلاغة، من كنوز الإسلام، من بدائع الحكم، وغيرها كثير. توفي في المدينة المنورة، ودفن في البقيع. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٥٨١)

(٢) الشيخ محمد زين العابدين الجذبة (١٣٢٨-١٤٢٦هـ): فقيه شاعر وداعية، ولد في حلب، تخرج في الخسروية عام ١٣٥٠هـ، لازم حضور دروس الشيخ محمد نجيب سراج الدين، والشيخ راغب الطباخ وأجازه إجازة عامة، كانت له دروس في جامع البياضة، والترمذي، ومدرسة الأحمدية، والشعبانية، ترك العديد من المؤلفات، توفي في حلب، ودفن في مقبرة كرز داده. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٥٨١).

(٣) الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (١٣٣٥هـ-١٤١٧هـ): فقيه محدث، ولد في حي (الجبيلة) في مدينة

والشيخ محمد بلنكو[١]، والشيخ ناجي أبو صالح[٢]، والشيخ عمر الريحاوي، والشيخ عبد الله سلطان[٣]الذي كان مديرًا للشعبانية.

حلب، تخرج في الخسروية عام ١٣٦١هـ، وحصل على شهادة كليتي الشريعة والتربية في الأزهر الشريف عام ١٣٧١هـ، عمل مدرسًا في ثانويات حلب، والخسروية، والشعبانية، وكلية الشريعة في دمشق، انتخب نائبًا عن مدينة حلب عام ١٩٦١م، له مؤلفات كثيرة، منها: الإسناد من الدين، العلماء العزاب، مسألة خلق القرآن، صفحات من صبر العلماء. توفي في مدينة الرياض، ودفن في البقيع في المدينة المنورة. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٤٨٦) و«نثر الجواهر والدرر» (١٩٤٥).

(١) **الشيخ محمد بلنكو (١٣١٥هـ-١٤١٢هـ)**: مفتي حلب، ورئيس رابطة العلماء في حلب. ولد في حي (الباشا) في مدينة حلب، انتسب إلى مدرسة الخسروية وحصل على شهادتها عام ١٣٤٥هـ، ثم سافر إلى مصر وتلقى العلم على كبار الشيوخ في الأزهر كالشيخ يوسف الدجوي وسلامة العزامي، عمل مدرّسًا في الخسروية، والجامع الأموي، أخذ الطريقة النقشبندية على الشيخ محمد أبي النصر، توفي في حلب ودفن في مقبرة الصالحين. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٤٣١).

(٢) **الشيخ محمد ناجي أبو صالح (١٣٢٢هـ-١٤١١هـ)**: فقيه شافعي، ولد في حي (المشارقة) في مدينة حلب، انتسب إلى مدرسة الخسروية حتى أنهى دراسته فيها عام ١٣٤٦هـ، ولازم الشيخ محمد الزرقا، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ محمد نجيب سراج الدين، وأخذ الطريقة على الشيخ محمد أبي النصر، هاجر إلى الرياض عام ١٩٨١م حتى توفي ودفن فيها. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٤٣١).

(٣) **الشيخ عبد الله سلطان (الحفيد) (١٣٢٨هـ-١٤٠٣هـ)**: شيخ مدرسة وجامع الإسماعيلية، ولد في حلب في حي البياضة، وكان آباؤه وأجداه شيوخ مدرسة الإسماعيلية في حلب، تخرج في الخسروية وأنهى دراسته فيها عام ١٣٤٨هـ، كانت له دروس وحلقات ذكر في مدرسة الإسماعيلية، ودروس في الجامع الأموي، توفي في حلب ودفن في مقبرة الصالحين. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٤٠٠).

أدعو الله أن يجزيهم خيرًا عني، فقد كان كل واحد يملك خصالًا مميزة في فكره وشخصيته»[١].

زيارة القدس الشريف:

«ما زلت أذكر ذلك اليوم الذي رافقت السيد النبهان -طيب الله ثراه- في زيارته إلى مدينة القدس عام ١٩٥٥م، كنت صغير السن ولم أكن أدرك أهمية تلك الزيارة، سرنا من حلب إلى دمشق إلى عمان ثم القدس، كانت عمان مدينة صغيرة، ما زلت أذكر ذلك الفندق الصغير الذي نزلنا فيه وكان الفندق الأشهر، كان مصعده قديمًا، وتعطل بنا، ومكثنا مدة نصف ساعة في ذلك المصعد، وكانت الحرارة شديدة، ولما خرجنا من عمان باتجاه القدس توقفنا أمام مدرسة كانت تضم أبناء الشهداء، ودخلنا إليها وسمعنا من مدير المدرسة قصص أولئك الأطفال الذين استشهد آباؤهم وهم يدافعون عن أرضهم.

وفي القدس صلينا في المسجد الأقصى، وزرنا قبة الصخرة، ووقفنا أمام هضبة عالية، وأشار بيده قائلًا: هذه هي القدس المحتلة. كانت قريبة جدًّا، وزرنا بعض أسواق المدينة القديمة والأحياء التاريخية، ثم زرنا عددًا من مدن الضفة، ومنها مدينة الخليل وطول كرم وجنين وأريحا، وكانت قريبة من الحدود.

وقبل عشر سنوات كنت في عمان لحضور اجتماعات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية زارني الاخ الصديق الدكتور نوح القضاة وهو أحد أبرز مرشدي القوات المسلحة الأردنية، وزرنا معًا المناطق المتاخمة للحدود، ورأينا من بعيد بعض المدن الفلسطينية المحتلة وبعض المساجد التاريخية، لم أتصور قط بعد الزيارة الأولى للقدس أنني لن أتمكن بعد ذلك من زيارة القدس، القدس هي مدينة ليست كبقية المدن التاريخية إنها ثالث الحرمين وهي بالنسبة لكل المسلمين

---

(١) موقعه (dr-mfalnbhan.com) في ٥ كانون الثاني ٢٠١٤م. رابط: https://٢u.pw/HWWgf.

مقدسة وذات مكانة خاصة، وفيها أهم معالم تاريخ الإسلام، وأضرحة الصحابة من المجاهدين، مكة والمدينة والقدس كلمات ذات دلالة روحية»[١].

صلاة في الكعبة:

«كنت أحلم من طفولتي كما يحلم كل مسلم في كل مكان أن يصلي ركعتين داخل الكعبة، وهو حلم كبقية الأحلام التي كنا نحلم بها في تلك الفترة المبكرة من حياتنا، ليس كل ما نحلم به سيتحقق، وعندما حضرت اليومَ الوطني للمملكة العربية السعودية تذكرت ما كنت أحلم به.

في عام ١٩٩٩م اتصل بي الصديق الدكتور عبد الله التركي وزير الشؤون الإسلامية في المملكة ودعاني لحضور اللقاء السنوي لمسابقة حفظ القرآن الكريم الذي يعقد في مكة المكرمة لاختيار الفائز الأول، لم أتردد في قبول الدعوة وهي دعوة لا ترد لأنها مباركة في موضوعها وفي مكانها، كان المشاركون من علماء العالم الإسلامي هم من المهتمين بالقرآن من أشهر القراء ولم أكن منهم لعلهم أرادوا تكريمي بهذه الدعوة، وهناك التقيت بالشيخ السديس إمام الحرم المكي لأول مرة، استقبلنا الدكتور عبد الله التركي وهو صديق قديم فقد كنا أصدقاء منذ عام ١٩٦٦م في كلية الشريعة في الرياض وقال لنا: غدًا سوف يذهب كل المشاركين في هذا اللقاء إلى الكعبة ونصلي ركعتين داخل الكعبة، وذهبنا في الموعد المحدد إلى المسجد الحرام، وكنت أتساءل: كيف ستكون الزيارة في ظل هذا الزحام الشديد؟ كان كل شيء معدًّا بعناية، أقيمت السلالم حول الكعبة من مسافة بعيدة وكنا نمشي عليها إلى أن نصل إلى باب الكعبة، كان كل شيء منظمًا بحيث لا يتم عرقلة الطواف، دخلنا الكعبة وصلينا ركعتين، وحمدنا الله على هذه المكرمة التي يسَّر الله أمرها

---

(١) كتبها الدكتور محمد فاروق النبهان في موقعه الشخصي (dr-mfalnbhan.com) بتاريخ: ١١ كانون الأول ٢٠١٧م. رابط مختصر: https://٢u.pw/KrwVP.

على غير توقع، شعور غريب ينتاب الإنسان داخل الكعبة ولا يمكن وصفه، هيبة وأنس في لحظة واحدة.

وفي اليوم الثاني زرنا جميعًا مصنع النسيج الذي تعد فيه كسوة الكعبة من الخيوط الذهبية وأهدوني قطعة منها.

ما أجمل أن نحلم وتتحقق أحلامنا، تلك أمنية كانت ولم أتصور أنها ستكون، لعل الله أراد أن يكرمنا بها فضلًا منه، وهذا يوجب علينا الشكر لله -تعالى-، ونِعَم الله لا تحصى»[١].

السيد النبهان في الكويت:

في بداية عام ١٩٦٩م زار السيد النبهان العراق، وخلال هذه الزيارة قام بزيارة قصيرة إلى الكويت وكنت وقتها في الكويت، استقبله على الحدود العراقية السيد يوسف هاشم الرفاعي وكان وزيرًا في تلك الفترة، وهو من أبرز الشخصيات الكويتية المعروفة بأثرها ومواقفها الإسلامية وتربيتها الصوفية وهو رجل يستحق الاحترام خلقًا ودينًا واستقامة وخدمة للناس، وكان قد زار السيد النبهان في حلب قبل أشهر من هذه الزيارة.

وكان يرافق السيد النبهان وفد من إخوانه وهم الشيخ أديب حسون من حلب والسيد نذير البسطاطي من دمشق والأمير ناظم العاصي زعيم العبيدات في شمال العراق والحاج إبراهيم الفياض وبعض إخوان السيد من العراق.

أعدت الحكومة الكويتية بيت الضيافة للسيد النبهان وإخوانه لكن رفض الشيخ النزول فيه، ولم يكن يحب الضيافة الحكومية، وأقام فى منزلي وطلب من مرافقيه النزول في بيت الضيافة. أقام له السيد يوسف الرفاعي حفل غداء كبير في

(١) موقعه (dr-mfalnbhan.com) في ٢٤ أيلول ٢٠١٦م. رابط مختصر: https://٢u.pw/kZ٠BR.

داره الواسعة في حي المنصورية وحضره بعض وجوه الكويت. بعد الغداء جلس الشيخ في الديوانية وأخذ يتكلم عن بعض المعاني الإيمانية والتربية الروحية والكل ينصت بأدب كبير.

أحد كبار الأثرياء من أسرة عريقة ومعروفة في الكويت لا أود ذكر اسمه لعدم الإحراج، قال للشيخ بلهجة جافة متعالية:

يا شيخ أنتم الصوفية تهتمون بالقشور وتتركون قضايا الأمة.

أطرق الشيخ ولم يجبه، وساد صمت قصير. وقف الأمير ناظم غاضبًا وكان أميرًا لعشيرة كبيرة ومعروفة بالشجاعة والأنفة والإباء. وقال: سيدي أستأذنك أن أتكلم في مجلسك ولست من أهل الكلام ثم التفت إلى الرجل وقال له بغضب عاقل: احترامي لسيدي النبهان يمنعني من الكلام ولكنك أسات الأدب في مجلس سيدي النبهان وأنت جاهل بما تقول، ولولا احترامي لسيدي النبهان لحملتك بيدي ورميتك خارج هذا المكان فلا يليق بك أن تكون في هذا المجلس.

سكت الرجل وهو مندهش مذهول، لم يتوقع أن يسمع مثل هذا الكلام وهو سيد في قومه وصاحب سلطة وجاه، قام السيد لصلاة المغرب وانتهت الجلسة. لم يكن السيد الرفاعي حاضرًا في هذه الجلسة.

أقام السيد النبهان ثلاثة أيام فى الكويت في منزلي. استقبله بحفاوة أبو فاروق الأفندي وكان من وجوه التجارالحلبيين في الكويت وكان محبًّا للشيخ وأقام حفلة غداء كبيرة لوجوه الجالية السورية فى الكويت.

غادر الشيخ الكويت وقد ودعته وشعرت بفرحة كبيرة عندما قال لي: جئت لرؤيتك.

كانت فرحتي بزيارته كبيرة ما زلت أذكر تفاصيلها وأيامها وكأنها ما زالت حية معبرة عن معان لا أحسن التعبير عنها.

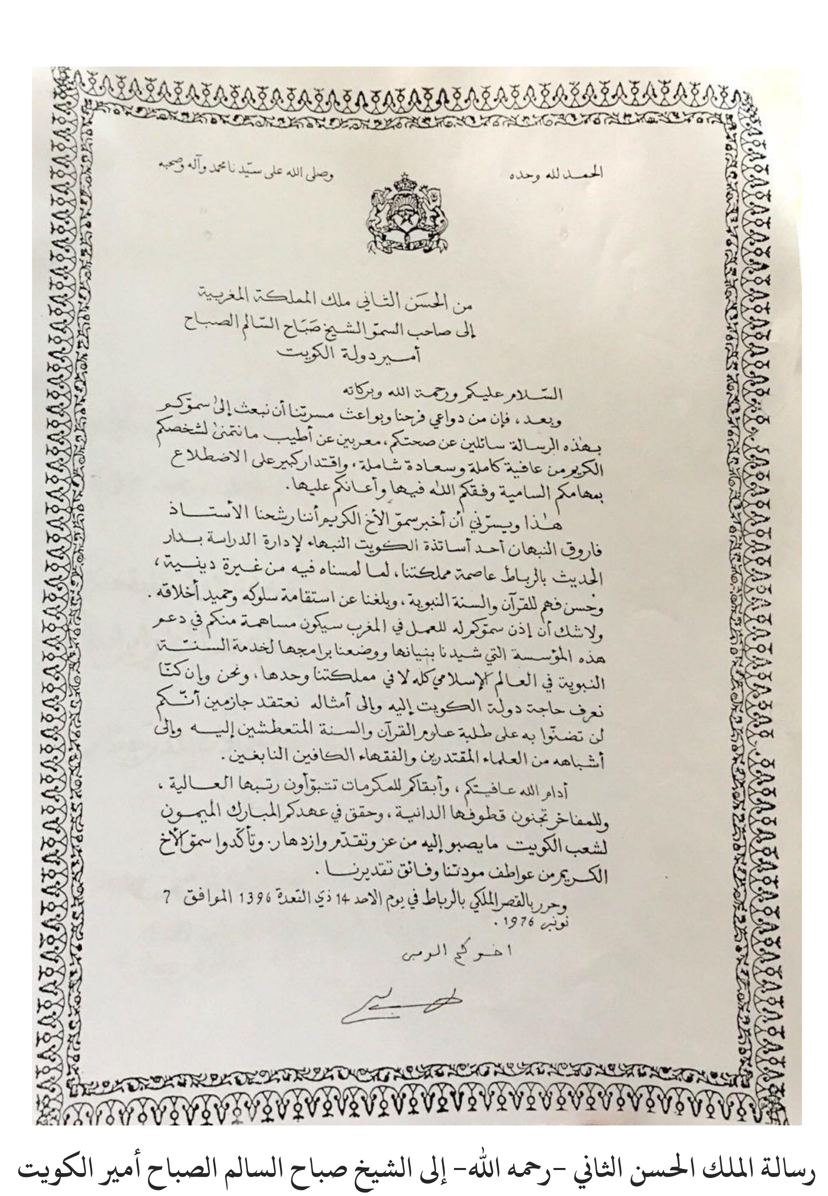
من الكويت إلى المغرب:

تكلم الدكتور محمد فاروق النبهان -حفظه الله- عن ذكرياته في المغرب، وجمعها في كتاب «ربع قرن في المغرب» ونشر فقرات منه في موقعه الشخصي وصفحته في موقع التواصل (فيس بوك) وأنا أقتبس من ذلك:

قال -حفظه الله-:

زرت المغرب ثلاث زيارات، كل زيارة تستغرق عشرة أيام كنت خلالها ألقي درسًا أمام الملك الحسن الثاني، رحمه الله.

في الزيارة الرابعة عرض عليّ الملك أن أتولى إدارة دار الحديث الحسنية وهي من أهم المؤسسات العلمية الإسلامية في المغرب؛ كانت تضم أهم علماء المغرب، وكان طلابها من كبار العلماء، ترددت كثيرًا وطلب مني أمير الكويت أن أذهب منتدبًا من جامعة الكويت إلى المغرب تلبية لطلب ملك المغرب.



الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

من الحسن الثاني ملك المملكة المغربية
إلى صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح
أمير دولة الكويت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فإن من دواعي فرحنا وبواعث مسرتنا أن نبعث إلى سموكم بهذه الرسالة سائلين عن صحتكم، معربين عن أطيب ما نتمنى لشخصكم الكريم من عافية كاملة وسعادة شاملة، واقتدار كبير على الاضطلاع بمهامكم السامية وفقكم الله فيها وأعانكم عليها.

هذا ويسرني أن أخبر سمو الأخ الكريم أننا رشحنا الأستاذ فاروق النبهان أحد أساتذة الكويت النبهاء لإدارة الدراسة بدار الحديث بالرباط عاصمة مملكتنا، لما لمسناه فيه من غيرة دينية، وحسن فهم للقرآن والسنة النبوية، وبلغنا عن استقامة سلوكه وحميد أخلاقه. ولا شك أن إذن سموكم له للعمل في المغرب سيكون مساهمة منكم في دعم هذه المؤسسة التي شيدنا بنيانها ووضعنا برامجها لخدمة السنة النبوية في العالم الإسلامي كله لا في مملكتنا وحدها، ونحن وإن كنا نعرف حاجة دولة الكويت إليه وإلى أمثاله نعتقد جازمين أنكم لن تضنوا به على طلبة علوم القرآن والسنة المتعطشين إليه وإلى أشباهه من العلماء المقتدرين والفقهاء الكافين النابغين.

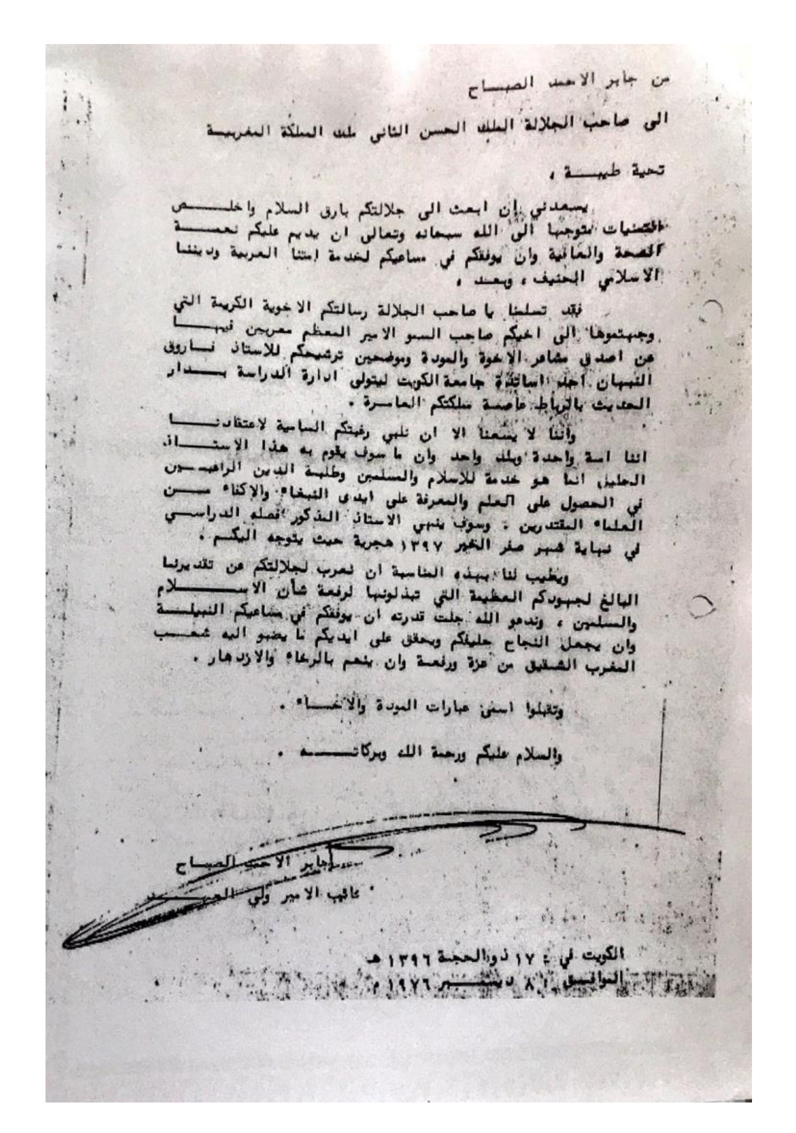
أدام الله عافيتكم، وأبقاكم للمكرمات تتبوأون رتبها العالية، وللمفاخر تجنون قطوفها الدانية، وحقق في عهدكم المبارك الميمون لشعب الكويت ما يصبو إليه من عز وتقدم وازدهار. وتأكدوا سمو الأخ الكريم من عواطف مودتنا وفائق تقديرنا.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الأحد 14 ذي القعدة 1396 الموافق 7 نونبر 1976.

أخوكم الوفي

رسالة الملك الحسن الثاني -رحمه الله- إلى الشيخ صباح السالم الصباح أمير الكويت

وهو يرشح الدكتور محمد فاروق النبهان لإدارة دار الحديث الحسنية



من جابر الاحمد الصباح

الى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية

تحية طيبة ،

يسعدني إن ابعث الى جلالتكم بارق السلام واخلص التمنيات متوجها الى الله سبحانه وتعالى ان يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وان يوفقكم في مساعيكم لخدمة امتنا العربية وديننا الاسلامي الحنيف ، وبعد ،

فقد تسلمنا يا صاحب الجلالة رسالتكم الاخوية الكريمة التي وجهتموها الى اخيكم صاحب السمو الامير المعظم معربين فيها عن اصدق مشاعر الاخوة والمودة وموضحين ترشيحكم للاستاذ فاروق النبهان احد اساتذة جامعة الكويت ليتولى ادارة الدراسة بدار الحديث بالرباط عاصمة مملكتكم العامرة .

واننا لا يسعنا الا ان نلبي رغبتكم السامية لاعتقادنا اننا امة واحدة وبلد واحد وان ما سوف يقوم به هذا الاستاذ الجليل انما هو خدمة للاسلام والمسلمين وطلبة الدين الراغبين في الحصول على العلم والمعرفة على ايدي الشيوخ والاكفاء من العلماء المقتدرين . وسوف ينهي الاستاذ المذكور فصله الدراسي في نهاية شهر صفر الخير ١٣٩٧ هجرية حيث يتوجه اليكم .

ويطيب لنا بهذه المناسبة ان نعرب لجلالتكم عن تقديرنا البالغ لجهودكم العظيمة التي تبذلونها لرفعة شأن الاسلام والمسلمين ، وندعو الله جلت قدرته ان يوفقكم في مساعيكم النبيلة وان يجعل النجاح حليفكم ويحقق على ايديكم ما يصبو اليه شعب المغرب الشقيق من عزة ورفعة وان ينعم بالرخاء والازدهار .

وتقبلوا اسمى عبارات المودة والاخاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

جابر الاحمد الصباح
نائب الامير ولي العهد

الكويت في : ١٧ ذو الحجة ١٣٩٦ هـ
الموافق : ٨ ديسمبر ١٩٧٦ م

رد الأمير جابر الصباح على رسالة الملك الحسن الثاني بخصوص ترشيح الدكتور محمد فاروق النبهان لإدارة دار الحديث الحسنية

وصلت الرباط وتصورت أنني سأعود بعد عام واحد أو اقل من عام، كنت لا أعرف أحدًا في المغرب، وكنت الوحيد غير المغربي في الإدارة المغربية..مهمة شاقة وعسيرة، كان الكل يتصور أنني لن أكمل السنة الأولى.

المغرب بلد التقاليد العريقة وبلد العلماء الكبار، وليس من السهل على قادم من المشرق أن يصمد في وجه الصعوبات والتحديات.

كنت أحمل مفتاح منزلي في الكويت الذي سأعود إليه.

مضى العام الأول وما زلت فى المغرب، مضت ثلاث سنوات، تصورت أنها الحد الأقصى لي، لم يسمح لي الملك أن أرجع إلى الكويت.

أصبحت أكثر معرفة بالمغرب، مضت خمس سنوات وأكملت السنة العاشرة، واستمرت مهمتي مدة ثلاث وعشرين سنة في مهمتي كمدير لهذه المؤسسة العلمية، لم أعد أجد صعوبة كما كنت في البداية،كنت أحظى بثقة الجميع ومحبة الجميع.

ومن واجبي أن أذكر بالفضل والثناء هذه النخبة من العلماء والمفكرين وطلابي من كل المدن المغربية الذين كانوا جميعًا خير عون لي في مهمتي، كانوا في غاية النبل والتعاون، كانت الصعوبات أقل مما كنت أتوقع،وكانت عواطف المحبين أفضل مما كنت أستحق منهم.. ليس من السهل أن تكون في إدارة واحدة لمدة ربع قرن.

مرت الأيام وعندما غادرت المؤسسة كانت دموع المحبين تذرف وأنا أودعهم وأقدم لهم صديقي الدكتور أحمد الخمليشي المدير الجديد الذي جاء بعدي ليكمل المهمة.

أمضيت ثلاث سنوات في المغرب بعد انتهاء مهمتي الإدارية ولم أغادره إلا في الصيف لقضاء إجازتي في رحاب مدينتي الأولى حلب، التي نشأت فيها، وعشت العقدين الأوليين من حياتي فيها، ثم غادرتها ولم أعد إليها إلا في الإجازة السنوية

لمدة شهر أو شهرين ولم أتجاوز ذلك، وكان هذا يكفيني، ولم أكن قادرًا على البقاء أكثر من هذه الفترة، كنت أضيق إذا طالت المدة أو امتدت لأكثر من ذلك.

لم أشعر قط بحاجتي لأكثر من إجازة، بالرغم مما كنت أشعر به من سرور بلقاء الأحبة من أصدقاء الطفولة، في حلب كنت أملك تراثًا من المكانة الاجتماعية بفضل مكانة الجد الشيخ محمد النبهان -طيب الله ثراه- فقد كان شيخ المدينة وعالمها المميز صاحب المكانة الرفيعة والمربي الروحي الذي ما زال تراثه حيًّا وآثاره باقية ومجالسه حية وأحاديثه متداولة ومسموعة.

كنت مؤتمنًا على تراث الجد في الكلتاوية، وكان والدي السيد أحمد النبهان يرعاه بعناية ويسهر على تنميته بالإشراف على الدروس ومتابعة أمور المدرسة التي تعدُّ من أهم ما تركه الشيخ، رحمه الله.

عندما كنت أزور حلب كنت أشرف على هذه المؤسسة العلمية، وأشعر برابطة قوية تشدني إليها وفاءً للجد -رحمه الله- الذي كنت اجله واحترمه وأحبه، فقد كان بالنسبة لي هو المرشد والمربي الذي ترك أثرًا واضحًا في شخصيتي وفكري، وجعلني أكثر ارتباطا بالتربية الروحية.

وخلال هذه الفترة كتبت ترجمة لحياته وتعريفًا بشخصيته وفكره وتراثه، وقد سعدت كل السعادة لإنجاز هذا الكتاب تعبيرا عن وفائي للشيخ -رحمه الله- وقد طبع هذا الكتاب، وتلقفه إخوانه وتلامذته بالفرحة والسرور.

وأتيحت لي في هذا الكتاب أن أشرح منهج الشيخ في التربية الصوفية، وهو منهج متميز في إبراز التصوف الإسلامي في صورته المشرقة البعيدة عما اشتهر به الفكر الصوفي من شطحات وانزلا قات وانحرافات، وهي كثيرة، ولا تقبل في معايير الشرع، ولا يرتضيها ذوو البصيرة من علماء الإسلام.

عندما أكون في حلب كانت اهتماماتي ذات طابع روحي، وكانت معظم أحاديثي تتناول جوانب من المفاهيم الصوفية، ربما كنت أتأثر بالبيئة المحيطة بي،

فقد كنت الرمز المؤتمن على تراث الشيخ النبهان ومنهجه الصوفي، ولا يمكنني تجاهل هذه الحقيقة، ولهذا فقد كانت معظم أحاديثي ودروسي تشرح المفاهيم الصوفية كما كنت افهمها، منسجمة مع أحكام الشريعة، معبرة عن منهج تربوي ينهض بمستوى تصورات الإنسان وسلوكياته، وكنت أنكر على المتصوفة ما اخذوا به من عادات ومظاهر، وما اهتموا به من قضايا سطحية، كما كنت أنكر عليهم تلك المبالغات المذمومة في بعض مجاهداتهم ورياضاتهم مما لا نجد له سندًا من قرآن أو سنة أو دليلا من سيرة السلف الصالح.

في مدينة حلب:

هل انتهت الحقبة المغربية أم لم تنته بعد؟

لا أدري، ولا أعرف الجواب عن هذا التساؤل.

ما زلت في المغرب كما كنت سابقًا، وما زالت إقامتي الرئيسة في الرباط، لم يتغير شيء عما كان عليه الأمر من قبل.

في إبريل عام ٢٠٠٣ م أبلغت بوفاة والدي السيد أحمد النبهان، كان يقوم بمهمة الإشراف على تراث والده الشيخ محمد النبهان في الكلتاوية، دروس يومية ومذاكرات متواصلة، ومدرسة شرعية متميزة، وعلماء ينتمون إلى هذه المدرسة.

سافرت بسرعة إلى حلب. هناك وجدت المئات من أبناء الكلتاوية وعلمائها ينتظرون عودتي، كنت أراهم في كل زيارة وأجتمع بهم، وفي كل لقاء يطلبون مني أن أعود إليهم في حلب إلى الكلتاوية.

لم يكن ذلك مما يغريني، كنت زاهدًا في ذلك، لقد اتجهت إلى العلم الذي أحببته وتعلقت به، ولا شيء آخر يشدني إليه، كنت أجد ذاتي فيما أكتب وأزهد فيما عداه.

عندما عدت إلى حلب اتجهت الأنظار إليَّ برجاء متواصل صادق، يصدر عن نفوس محبة وفية، تجد فيَّ الرمز الذي يمثل استمرارية الشيخ الجد، طيب الله ثراه.

لم تكن استعداداتي متجهة لهذه المهمة لاعتبارات كثيرة، أهمها أنني اتجهت إلى العلم، والخطاب العلمي يختلف عن الخطاب الذي يستهدف الوعظ والإرشاد، الخطاب العلمي يخاطب العلماء وهو خطاب النخبة المؤهلة للفهم، ولا بد فيه من قدر من التكوين الثقافي لكي تستوعب مضامين الخطاب.

في مدينة حلب كان الأمر يختلف عما كان عليه الأمر في المغرب، ففي المغرب اتجهت إلى العلم، وهو طريق ينسجم مع استعدادي، كنت أعبر عن آرائي بحرية، وكان المجتمع الذي اختلط به هو مجتمع ثقافة، وكان يسمع خطابي ويقدره، قد يتفق معي أو يختلف، ولكن الأمر في منتهى الوضوح، أفكار تتلاقى في النهاية، وقد تختلف في الجزئيات.

عندما وصلت إلى مدينة حلب، وجدت نفسي أسير تراث كبير كنت أمثله وأجد نفسي وصيًّا عليه، ومن واجبي أن أسهم في تنميته والدعوة إليه والدفاع عليه، كان ذلك التراث من المفاهيم والسلوكيات والقيم قوي الجذور وقد تربت أجيال على احترامه والإيمان به، لم أكن أمثل الضفة الأخرى لهذه المدرسة، بل كنت أفهمها جيدًا وأدرك منطلقاتها، وكانت تؤدي دورها بطريقة جيدة ويصل صوتها إلى الأعماق، وكان لها رموز قيادية تحسن تقديمها والدفاع عن أفكارها.

قد لا تكون لهذه المدرسة منهجية فكرية تتطلع إلى التصحيح والتجديد في مجال الثقافة والمعرفة، ولكن كانت لها رؤيتها في مجال القيم الإسلامية والسلوكية التربوية، وتتميز هذه المدرسة بالاستقامة والنزاهة والجدية، ولا حدود لصدقها في الدفاع عن الثوابت الإسلامية، وهي لا تهادن فيما تؤمن به ولا تساوم في المواقف.

كان يعجبني ذلك النقاء الذي لا حدود له، والالتزام بما تؤمن به، ومواجهة السلوكيات المنحرفة، ولم يكن لها طموح فكري أو قاعدة ثقافية، كان خطابها موجهًا للطبقة الاجتماعية الأكثر التزاما والأكثر انفعالًا.

لم يكن بإمكاني أن أتجاهل هذا التراث الحقيقي الذي كنت مُؤتمنًا عليه، في مفاهيمه وقيمه وسلوكياته، وهو قاعدة حقيقية لبناء ثقافي مأمول.

الطريق إلى الكلتاوية:

«ذهبت إلى الكلتاوية لصلاة الجمعة كما اعتدت أن أفعل خلال إقامتي في حلب على امتداد عشرات السنين، والكلتاوية هي رمز ذلك التراث الروحي، وبالرغم من مكانها النائي البعيد فقد كان المكان الأقرب والأحب إلي، منذ طفولتي الأولى كنت هناك، طفلًا وشابًّا، وكانت مدرستي الأولى، وكنت أرى أصدقائي الأوائل وأبناءهم وأحفادهم، كلهم يصلي هناك، إذا ذكرت الكلتاوية في حلب فهي مقر الشيخ النبهان، رحمه الله.

وهي بالنسبة لي كانت الانتماء، ولا خيار لي إلا أن أكون معها، وكانت تربطني صلة محبة بكل من انتسب إليها من أبنائها.

عندما كنت أغيب عنها يذكرني العشرات ممن ينتمون إليها، أتحدث إلى أبنائها من طلاب العلم، كنت أجد في هذه الصفوة النقاء والصفاء واجد فيهم ملامح الغد.

وجهت اهتمامي إلى هؤلاء الطلاب الذين يدرسون في مدرسة الكلتاوية لمدة ست سنوات، وهي مدرسة داخلية ذات نظام صارم وجاد، ويربون التربية التي تنسجم مع الخط السلوكي الصوفي الذي أرساه الجد -رحمه الله- تخرج المئات من هذه المدرسة العلمية والتربوية، وهم اليوم علماء يقتدى بهم، وقد أعدوا لمهمة الوعظ والإرشاد، ويتميزون عن غيرهم بخصوصيات واضحة في فكرهم وتكوينهم

واستقامتهم، وهم في مجملهم يتميزون بأدب واضح وأخلاقية في السلوك، ولهم تأثير واضح في مجتمعهم ويحضون بالاحترام بسبب ما يتحلون به من نزاهة واستقامة.

في لقائي الأسبوعي معهم بعد صلاة الجمعة كنت اطرح أمامهم فكرا أكثر انفتاحا مما اعتادوا سماعه، كنت أركز على قضايا أكثر أهمية بالنسبة لعصرهم، وأهمها ما يتعلق بدور العلماء في المجتمع، وهو دور تنويري وتجديدي، ويهدف إلى توفير شروط النهوض بالمجتمع عن طريق مواجهة مظاهر التخلف والعوائد السائدة والقيم الهابطة، وتوجيه الاهتمام للتركيز على أهمية الإنسان والاهتمام بحرياته وحقوقه الإنسانية، وهذه هي ثقافة الرقي والنهوض بالمجتمع، ولا بد من ثقافة النهوض التي تعترف بدور العقل في اغناء الفكر والاحتكام إليه كأداة للمعرفة الإنسانية ومعرفة المصالح والتمييز بين الحق والباطل والحسن والقبيح.

في كل لقاء كنت أطرح قضية للتأمل، وكنت أريد تحريك تلك البحيرة الراكدة لكي تفكر في الجديد مما لم تعتد على التفكير فيه، ومجرد التفكير هو بداية فجر سرعان ما يبشر بالنور والصباح، ليس المهم أن يكون الكل متفقًا معك، ولكن المهم أن تبدأ رحلة التأمل، وهذا هو المطلوب أولًا، ولا بد في التأمل العقلي من ثمرة مرجوة وهو عدم الخوف من ارتياد ذلك الفضاء الخالي من الحياة، وعندما تقتحمه ولو بتردد مبدئي فسرعان ما تكتشف فيه عالمًا جديدًا يستحق أن يكون مكانا للتأمل.

ومما كان يسعدني أنني كنت أرى ملامح السعادة على وجوه هؤلاء الطلاب، وهم يسمعون كلامًا لم يعتادوا سماعه من قبل، ولو سمعوا مثله من غيري لما قبلوه، ولكنهم كانوا يقبلون ذلك مني ويفرحون به، وأنا واثق أن أثر هذه الأفكار التي كانت تحدث لديهم ذلك التفاعل الإيجابي ستؤدي حتمًا إلى تكوين منهجية لديهم أكثر قدرة على التفكير والتأمل.

لم أكن أريد أن يأخذوا بأفكاري وأن يحاكوها وأن يقلدوها وإنما كنت أريد أن ادفعهم للتفكير والتأمل، لكي يختاروا الطريق الذي يُعَبِّرون به عن ذاتهم، سواء كان موافقًا أو مخالفًا.

رأيت لدى هؤلاء الطلاب في الكلتاوية استعدادًا لم أجده لدى طلابي في الجامعات، قد يكونون اقل فهما لما أقول، ولكنهم كانوا أكثر استعدادًا للقبول، وكانوا يحفظون هذه الأفكار ويتحاورون فيما بينهم حولها.

أسرة الكلتاوية:

مما كان يسعدني أن أجد أبناء الكلتاوية وهم الأسرة العلمية للشيخ محمد النبهان -رحمه الله- في كل مكان، كانوا تلامذته الذين نهلوا من فكره، وتربوا على يديه، وانتسبوا إلى مدرسته الفكرية، كانوا يعتزون بهذا الانتماء، ويُعَبِّرون في كل مناسبة عن وفائهم لشيخهم ومربيهم ومرشدهم، والتزامهم بمنهجه التربوي، كنت أراهم قريبين مني، وأفرح لنشاطهم، وكنت دائم الاتصال بهم وأتابع ما يعملون، وأراهم الأفضل فيمن عرفت، والأكثر استقامة ونزاهة، والأكثر تأثيرًا في مجتمعهم.

طائفة منهم في مدينة حلب والمناطق التابعة لها، وطائفة أخرى رحلت إلى بلدان أخرى في الكويت والسعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة، وعندما كنت أزور بلدًا من هذه البلاد كنت أراهم وأفرح بهم، وأجد أثرهم الإيجابي في مجتمعهم، مئات من أبناء الكلتاوية وهو المصطلح الذي يطلق عليهم يؤدون مهمتهم في الوعظ والإرشاد والتوجيه، ويتميزون بفكر واحد يجمعهم ولا يخرجون عنه هو فكر شيخهم، هم رموز دعوة وينتمون إلى فكر صوفي غير طرقي، إذا سمعت حديثهم تأكدت من استقامة فكرهم، وتغلب عليهم الجدية وفكرهم أقرب للوسطية، ويعتزون بانتمائهم إلى صوفية معتدلة كما هو منهج شيخهم، ليست لديهم أوراد ولا يمارسون طقوسًا في مجالسهم، ولا يأخذون بأية طريقة صوفية، ويغلب على سلوكهم الصوفي الالتزام بالشريعة.

في لقاءاتي الأسبوعية في الكلتاوية كنت أؤكد على أهمية فتح النوافذ المغلقة والإطلالة على الحقول المجاورة لكي تكون الرؤية شاملة وسديدة وكاشفة للحقيقة ومهمة للتعرف على الحقيقة المرجوة.



من لقاءات يوم الجمعة في المدرسة الكلتاوية لحضور خطبة وصلاة الجمعة بمدينة حلب بحضور الدكتور محمد فاروق النبهان (بعد وفاة والده، رحمه الله)
١- الحاج أحمد أفندي، ٢- الدكتور فاروق النبهان، ٣- الشيخ هشام الألوسي،
٤- عبد الحميد ناصر، ٥- عزام ابن د.فاروق، ٦- الأستاذ الدكتور محمود فجَّال،
٦- المهندس مروان باقي.

في كل لقاء كنت أطرح قضية عامة قابلة للحوار، وكنت أجد استجابة وقبولًا واستعدادًا طيبًا للاحتكام للحق، ولم أجد ذلك الانغلاق المرضي الذي يدل على الجهل، وإنما وجدت استعدادًا لقبول الجديد من الأفكار، وكنت أشرح لهم كلام الشيخ المرشد الذي يعتبرونه المرجع الوحيد لفكرهم، كانوا مستعدين لقبول كل ما صدر عنه من توجيهات.

كنت أريد أن أوجه هده الطاقات الشابة من طلاب العلم من خلال لقاءاتي الأسبوعية بهم إلى الاهتمام بقضايا الإنسان المعاصر، وإلى التركيز على أهمية الكرامة الإنسانية واحترام حقوق الإنسان، وأهمها الحريات العامة، حرية التفكير وحرية التعبير وحرية المشاركة في القضايا العامة ومقاومة المظاهر السلبية في واقعنا المعاصر، ولا بد من تحرير المفاهيم من القيود الخاطئة التي ينتجها التخلف ويعمقها الجهل.

هذه الباقة الصغيرة من طلاب العلم كنت أراها كبيرة، وبعد سنوات قليلة سيكون هؤلاء هم رموز الدعوة وأداة الإصلاح، إذا حملوا فكرة فسرعان ما ينقلونها إلى المجتمع بعد حين، ولا بد إلا أن ننتظر الربيع، حيث تزهر النباتات التي كانت في بطن الأرض، ولما تبلغ كمالها البدني سوف تعطي ثمارها المرجوة.

ومما أسعدني أن أرى الجيل الأول من علماء الكلتاوية المنتمين إلى هذا المنهج التربوي يقفون في الصف الأول بين علماء مدينة حلب، ويؤدون مهمتهم بنجاح.

هذه الباقة الطيبة من علماء حلب، من أبناء الكلتاوية ومن تلامذة الشيخ محمد النبهان -رحمه الله- هي اليوم مدعوة لتوحد كلمتها ولتتغلب على تناقضاتها وخلافاتها، فهي قوية بوحدة كلمتها، وبخاصة أنها تنتمي لمدرسة فكرية وروحية واحدة.

وأدعو خريجي المدرسة الكلتاوية لإنشاء رابطة موحدة تجتمع في كل عام مرة واحدة، للتعارف أولًا، وللتكافل والتناصر ثانيًا لمساعدة من يحتاج إلى مساعدة ولتمكينه من تحقيق مطالبه وطموحاته وبخاصة فيما يتعلق بالدراسة والعمل، وأؤكد لإخواني من علماء الكلتاوية أنه لا بد لهم من أن يكون لهم فكر مميز يوحدهم ومنهج علمي يقرب ما بينهم في الأهداف، سواء على مستوى الفكر التربوي أو على مستوى المواقف العلمية، بما ينسجم مع المنهج الذي كان الشيخ النبهان يدعو إليه.

ولا أعتقد أن هذا الالتزام سيكون صعبًا وعسيرًا وسوف تظل مدرسة الشيخ النبهان حية في النفوس ما دامت تحمل فكرًا مميزًا يجسد طموح الأجيال المقبلة إلى الأفضل، ويدعو إلى منهجية روحية ترتقي بمستوى الفكر إلى الأفق الإنساني الذي يعتبر المعيار الأصدق للتقدم المنشود.

نداء العودة:

أقمت بمدينة حلب ثمانية أشهر متواصلة، لم أعد العودة النهائية إليها، ولكنني كنت أسمع نداء العودة، إنه لحن جميل، رائع في نبراته صادق في إشاراته، يشير إليك ويخاطبك، وتسمع همسه فلا تجيب، وتنهمر الدموع من عينيك، وأنت تدافع تلك الدعوة الملحة، وتوقف تأثيرها العاطفي عليك.

أرضك تناديك، ذكرياتك تطل عليك من النوافذ التي تحيط بك، اهلك يحدقون بك، أصدقاؤك يطوقون عنقك بالزهور، والكل يناديك باسمك المحبب إليك، بلا ألقاب بلا إضافات، اسمك كما هو وكما كان منذ الطفولة.

(العودة)كلمة أخذت موقعها في الخطاب الأسري، أصبحت تتردد صباح مساء. الكل يرددها مؤيدًا أو معارضًا، ووقع الانقسام العائلي.

كنت ألتمس العذر لمن ينادي بالعودة، إنه يبحث عن الدفء في أحضان الأسرة والانتماء الوطني كما كنت ألتمس العذر لمن يرفض العودة، وما ذنبه وقد عاش في بلد اعتبره هو الوطن ووجد فيه الدفء والانتماء، فيه أصدقاؤه وذكرياته، إنه يشعر بالغربة في وطنه الأصلي، وطنه حيث وجد نفسه.

وتمضي الأيام ويزداد الحنين، وتسمع في أعماقك لحن العودة، لحن يضحكك لحظة ويبكيك أخرى، يسعدك ويشقيك، ما أروع ما تسمع وما أشد وقعه عليك!

مضت بضع سنوات وأنا حائر متردد لا أدري ما أفعل، ولا أقدر على ما أريد، لا أريد لأسرتي الصغيرة أن تنقسم بعد أن كانت متماسكة، لقد كنت من قبل

أكثر سعادة، كنت مستقرًا، لم أكن أسمع لحن العودة يتردد في كياني، لم أكن أفكر في الغد وبعد الغد، لم يكن يخيفني ذلك.

أصبحت أفكر في العودة رغبة في الاستقرار، لقد ضقت بالغربة ودفعت ثمنها غاليًا، ولا أدري هل ربحت أم خسرت! لقد أخذت الربح ولم أدفع الخسارة بعد»[١].

انتهى كلام الدكتور محمد فاروق النبهان، حفظه الله.

أخيرًا:

عاد الدكتور محمد فاروق النبهان واستقر في حلب إلى أن بدأت أحداث في حلب في شهر تموز من عام ٢٠١٢م فغادرها مرة أخرى إلى المغرب، ولا يزال فيه حتى إعداد هذا الكتاب.

هذا غيض من فيض من سيرة العلامة الدكتور محمد فاروق النبهان، وقد ألف تلميذه الدكتور محمد عزّوز كتبًا بعنوان: «صفحات مضيئة من حياة العلامة محمد فاروق النبهان» جمع فيه الكثير من حياة هذا العَلَم العظيم الذي تفخر به حلب الشهباء.

مصادر الترجمة:

- كتاب «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- موقع الدكتور محمد فاروق النبهان (dr-mfalnbhan.com). وصفحته بالموقع الاجتماعي (فيس بوك): اسم المستخدم (mfnabhan)، على الرابط التالي: https://www.facebook.com/mfnabhan.
- دروس السيد النبهان ﷺ المسجلة.

(١) موقعه (dr-mfalnbhan.com) في ٩ يناير ٢٠١٣م. رابط مختصر: https://٢u.pw/n٢٣CK.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:



كلام للسيد النبهان عن حفيده الدكتور محمد فاروق النبهان.





كلمة للدكتور فاروق النبهان عن الوفاء للجيل السابق





محاضرة للدكتور محمد فاروق النبهان في الكلتاوية، ويقدمه الدكتور محمود حوت.

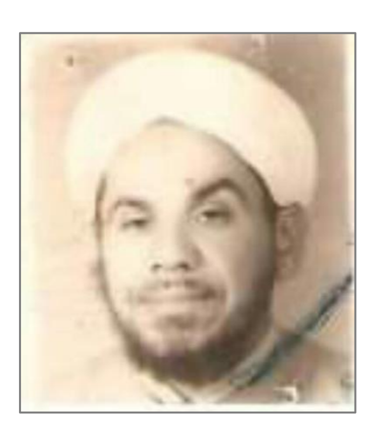


القسم الثاني

تراجم أصحاب السيد محمد النبهان رضي الله عنه

(٥) الشيخ إبراهيم رْحَيّم

١٣٥٣ - ١٤٠٤هـ/ ١٩٣٤ - ١٩٨٤م



الشيخ إبراهيم بن رحيّم[(١)] بن جَدِي بن جاسم بن حديد، الشّمري[(٢)].

ولادته ونشأته:

ولد في مدينة هيت[(٣)] عام ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م، ونشأ في أسرة مستورة الحال، إذ كان والده نسَّاجًا لا يجاوز كسبه قوت يومه إلا أنه تقي وورِع ومحب للعلماء والأولياء.

دراسته:

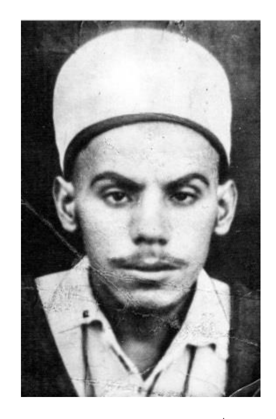
خصّ الله -تعالى- الشيخ إبراهيمَ في صغره بمزايا حميدة، وفطرة سليمة، وكان مجدًّا، سريع الحفظ، قويَّ الذاكرة.

---

(١) في الوثائق الرسمية «رَحِيم» لكن المشهور به «رْحَيّم».

(٢) نسبة إلى قبيلة شَمّر، وهي قبيلة عربية تتواجد في العراق والسعودية وسورية وغيرها.

(٣) هِيْت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، وبها قبر سيدنا عبد الله بن المبارك، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم. انظر «معجم البلدان» ٥: ٤٢٠، تبعد عن بغداد ١٩٠كم.


الشيخ إبراهيم رحيم

أنهى المرحلة الابتدائية في مدينته عام ١٩٤٦م، ثم دخل المدرسة العلمية الدينية في مدينة سامراء عام ١٩٥١م، فدَرس العلوم الدينية والعربية على العلامة الشيخ أحمد الراوي(١)، والشيخ عبد الوهاب البدري(٢)، ثم انتقل إلى مدرسة هيت الدينية حيث درس أربعة أعوام عند الشيخ طه علوان السامرائي(٣)، ثم شدّ رحله إلى مدينة الفلوجة ليكمل دراسته في مدرسة الآصفية الشرعية عند الشيخ

---

(١) **العلامة الشيخ أحمد بن محمد أمين الراوي الرفاعي (١٣٠٠-١٣٨٥هـ)**: ولد في مدينة عَنَهْ التابعة لمحافظة الأنبار إمام وخطيب جامع القبلانية ببغداد، وقاضي ناحية (شوف ملحية) التابعة للواء الديوانية، وقاضي مدينة دير الزور السورية، وقاضي لواء الكوت في الحكومة العراقية، ومدرس وإمام في المدرسة العلمية الدينية في سامراء، دفن في الجامع الكبير بالقرب من مدرسته في سامراء. انظر «تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر» (٤٢).

(٢) **الشيخ عبد الوهاب بن حسن البدري (١٢٩٤-١٣٧٣هـ)**: ينحدر من عشيرة البو بدري السامرائية، ولد في سامراء، ودخل المدرسة العلمية فيها حتى حصل على الإجازة العلمية المطلقة من شيوخها، حتى عمل مدرسًا في مدرسة سامراء عام ١٣١٨هـ، من مؤلفاته: المعاني والبديع والبيان، أيام العرب ووقائعها، تاريخ سامراء قديمًا وحديثًا، رسالة في قبائل سامراء، وغيرها، توفي عام ١٣٧٣ ودفن في سامراء. انظر «تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر» (٤٧٤).

(٣) **الشيخ طه علوان السامرائي(١٩١٢-١٩٧٦هـ)**: أحد أفراد عشيرة البونيسان السامرائية، ولد في سامراء، ثم دخل المدرسة العلمية الدينية فيها حتى حصل على الإجازة العلمية عام ١٩٤٩م، عين عمل مدرسًا في ناحية هيت عام ١٩٤٩م، ثم نقل إلى سامراء عام ١٩٦٣ مدرسًا في المدية العلمية الدينية، ثم عين مديرها عام ١٩٦٤م. انظر «تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر» (٣١٠).

عبد العزيز سالم السامرائي[1]، وعرف عنه همّته العالية وحرصه على الوقت.

وبعد أربعة أعوام منحَهُ شيخُه إجازةً علمية بما أخذ وأفاد من علوم الشريعة والعربية، إضافة إلى المنطق، والحكمة، وأدب البحث والمناظرة.

عمله:

أعقب ذلك انتقاله إلى بغداد ليشغل الإمامة والخطابة في جامع خضر إلياس بالكرخ بتاريخ ٢٨ تشرين الأول١٩٥٧م، وبقي فيه عامًا، توطَّدت فيه علاقته بعلماء بغداد، فاستزاد من حلقات العلم فيها، ثم رجع إلى الفلوجة واعظًا سيّارًا ومرشدًا لعشائرها بتاريخ ١ آب ١٩٥٨م إلى ١٩٦١م.

ومدرسًا في المدرسة الدينية في الفلوجة ١٩٥٨ - ١٩٦١م، ثم عُيّن إمامًا وخطيبًا في جامع الفاروق في هيت بتاريخ ١ كانون الثاني ١٩٦٠م، ثم كان مؤسس ومدير المدرسة الدينية في هيت (جامع عثمان بن عفان) عام ١٩٦٥م، وكذلك إمام وخطيب جامع عثمان بن عفان في هيت ١٩٦٥ -١٩٧١م، ثم أصبح إمامًا وخطيبًا ومدرسًا في جامع الفلوجة بتاريخ ٨ كانون الأول ١٩٧١م.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٢٩).

ومن شيوخه:

الشيخ أمجد الزهاوي [١] والشيخ نجم الدين الواعظ [٢] والشيخ عبد القادر الخطيب [٣] والشيخ عبد الكريم بيارة المُدَرّس [٤].

---

(١) **الشيخ أمجد محمد سعيد الزهاوي (١٣٠٠-١٣٨٧هـ)**: مفتي العراق، كردي، ولد في بغداد ١٨ حزيران ١٨٦٣م، أول رئيس لرابطة علماء العراق، توفي ١٥ شعبان ١٣٨٧هـ الموافق ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٧م، ودفن في بغداد في مقبرة الخيزران، قال عن السيد النبهان ﷺ كما كتب بخط يده إلى الشيخ محمد محمود الصوّاف: «المرشد الكبير العارف بالله الشيخ النبهاني هو نور تلك البلاد». وانظر «علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري» للشيخ يونس الشيخ إبراهيم السامرائي (١٠٢). وكتاب «السيد النبهان» ط ٣ (١:٢٢).

(٢) **الشيخ نجم الدين بن ملا عبد الله المعاضيدي الشهير بالواعظ (١٢٩٨-١٣٩٦هـ)**: ولد في جانب الكرخ في بغداد، رئيس جمعية رابطة العلماء في العراق، ورئيس جمعية الآداب الإسلامية، وتصدر للإفتاء بعد وفاة الشيخ قاسم القيسي. من مؤلفاته: غاية التقريب شرح نداء المجيب، بغية السائل شرح منظومة العامل، وكتاب الاعتصام الحاوي لتوجيهات نافعة في الفقه والأخلاق والدين، توفي في الأعظمية ٦ صفر سنة ١٣٩٦هـ الموافق ٧ شباط سنة ١٩٧٦م، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في بغداد، قال عن السيد النبهان ﵁: «هذا الرجل نحن نتبارك به». انظر «علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري» (٦٨٦). و«السيد النبهان» ط ٣ (١:٢٨).

(٣) **الشيخ عبد القادر الخطيب (١٣١٣-١٣٨٩هـ)**: رئيس عشيرة القيسية، ولد في محلة الفضل ببغداد، انتهت إليه مشيخة علم القراءات في العراق، وعين مدرسًا في تكية البدوي، وجامع منورة خاتون في بغداد، ثم إمامًا ومدرسًا في جامع الإمام الأعظم ثم مدرسًا في الحضرة القادرية، واختير رئيسًا لجمعية رابطة العلماء في العراق، توفاه الله يوم الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ الموافق ٨ أيلول ١٩٦٩م ودفن في مقبرة كلية الإمام الأعظم. التقى بالعارف بالله الشيخ محمد النبهان في بغداد حين زارها عام١٩٦٢م. انظر «أعلام بغداد في القرن الرابع عشر الهجري« (٤١١). و«السيد النبهان» ط٣ (١:٢٤٥).

(٤) **الشيخ عبد الكريم المُدَرِّس المشهور بالشيخ عبد الكريم بيارة (١٣٢٣-١٤٢٦هـ)**: ولد في قرية

لقاؤه بسيدنا محمد النبهان ﷺ:

تعرَّف الشيخ إبراهيم على العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النّبهان ﷺ لدى زيارته للعراق عام ١٩٦٢م فما أن رآه حتى أخذ بلباب قلبه، وقصده في حلب عدة مرات، وعُرف عنه شدّة الالتزام بتوجيهاته، وكثرة الحفظ لعباراته، حتى كادت تكون أكثر مواعظه ومذاكراته شرحًا لنصوص كلام سيدنا النّبهان ﷺ وإرشاداته.

وجد الشيخ إبراهيم -رحمه الله تعالى- ضالّته بشيخه المربي، ورأى فيه غاية مناه، فمدحه بقصائد عديدة، ولم يلتفت إلى سواه.

أثنى عليه سيدنا النّبهان ﷺ قائلًا: «الشيخ إبراهيم كُنَيّف، مُلئَ علمًا، الشيخ إبراهيم رجلٌ، لا يتنازل، نزيه لا يرتشي، أنا عندي الشيخ إبراهيم من الأوائل، الشيخ إبراهيم كَدَع».

(دره شيش العليا) قضاء حلبجة في العراق عام ١٩٠١م، مدرس في مدرسة جامع الحضرة القادرية، ورئيس جمعية رابطة العلماء في العراق، وعضو المجمع العلمي العراقي، له مؤلفات علمية كثيرة باللغة العربية والكردية، توفي يوم الاثنين ٢٧ رجب ١٤٢٦هـ، الموافق ٢٩ آب ٢٠٠٥م. وشُيِّع في موكب مهيب، ودفن في مقبرة الحضرة القادرية في بغداد.

قال عن السيد النبهان ﷺ: «والله لا أشك أن الشيخ محمد النبهان من أكابر الأولياء، وكل من صحبه نال به منزلة عظيمة، أنا أعتقد والله علام الغيوب أن الشيخ محمدًا النبهان خاتم الأكابر من الأولياء، الشيخ السيد محمد النبهان -نور الله روحه- فرد من أفراد وأقطاب آخر الزمان». انظر «أعلام بغداد في القرن الرابع عشر الهجري» (٤٤٢)، و«السيد النبهان» ط٣ (١:٢٠)، و«نثر الجواهر والدرر» (١٩٦٢). وكتب لي الحاج صباح غفوري: «لقد زرت الشيخ عبد الكريم بيارة في جامع سيدنا الشيخ عبد القادر وبعد سؤال سألته قال: ياولدي من شيخك؟ فأجبته أني انسب نفسي إلى السيد النبهان فقال لي: إن من البركات التي أصابتني عندما قرأ السيد النبهان على صدري أني تركت التدخين بعد ستة أشهر».

أمره ﷺ أن يفتح مدرسة دينية في هيت فامتثل، وافتتح مدرسة سيدنا عبد الله بن المبارك، وبقي مديرًا لها إلى أن رحل الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي من الفلوجة فأمره سيدنا ﷺ بالانتقال إلى الفلوجة ليخلف الشيخ عبد العزيز وقال ﷺ: «إبراهيم إذا كان يريد الدنيا فليبق في هيت، وإذا كان يريد الآخرة فلينتقل إلى الفلوجة» فامتثل أمره، وقدم إلى الفلوجة عام ١٩٧١م، وباشر مهامّه إمامًا وخطيبًا في جامعها الكبير، ومديرًا للأصفية الشرعية، ووجّه إليه ﷺ إدارة حلقة الذكر التي كانت تقام في الجامع الكبير في الفلوجة.

ولقد أفاد -رحمه الله تعالى- أهل الفلوجة كثيرًا، وترك أثرًا طيبًا فيهم، وهو أول من ابتنى مسجدًا في أريافها، وعلى جلالة قدره وسعة علمه كان لا ينسب لنفسه شيئًا، وهو المتواضع الذي لا يحب أن يمدحه أحد، صاحب أذواق خاصة نالها بسرّ وبركة وصدق صحبته لشيخه ﷺ.

حدّث -رحمه الله تعالى- مرات عدّة فقال:

سافرتُ بصحبة الحاج رْمَيّض شمخي الهيتي إلى حلب، وبينما نحن عند سيدنا ﷺ في مجلسه إذا بي أسمع تظاهرة بأصوات متناسقة مثل هبوب الرياح يهتف: «النّبهاني، النّبهاني..» سبع مرات. وما هي إلا لحظات حتى دخلت الغرفة التي نحن فيها فصار كل ما في الغرفة من جمادات يردد هتافها، فدهشت ولم أدرِ ما جرى أهو من عالم الجنّ أم الملائكة، فسألت سيدنا ﷺ قلت: سيدي سمعت كذا وكذا، فأجاب: «هذا أول الفتح، ولكن إيش أعمل معكم!».

تلك هي إحدى أذواقه، رحمه الله تعالى.

قال الحاج عبد العزيز خضر العاني -رحمه الله-[1]: شَدّ الشيخ إبراهيم رْحَيّم الهيتي -رحمه الله- الرحالَ لزيارة سيدنا النبهان في الكلتاوية، وعند وصوله أبلغوه

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٣١).

بأنّ سيدنا في بيروت ولم يحدّد وقت عودته، فتألّم الشيخ إبراهيم وجلس في باحة المسجد مشتاقًا حزينًا وإذا بطفل لم يبلغ الحلم يأتي إلى الشيخ إبراهيم يقول له: خرج سيدنا النبهان من بيروت، فلم يعبأ لقوله، ثم عادَ إليه وقال: دخل سيدنا الحدود السورية، فقال له الشيخ إبراهيم: اذهب عني، ثم جاءه الثالثة فقال: وصل سيدنا حلب، فمسكه الشيخ إبراهيم وقال له: ما يُدريك؟ فقال: ذاك الشيخ هو الذي يرسلني، ويقول: قل له كذا، وأشار إلى الشيخ عمر عابدين(١) الذي يتابع رحلة سيدنا ﵁ وهو معه في كل خطوة ونَفَس، فقام الشيخ إبراهيم يُقبِّل الشيخ عمر عابدين وإذا بسيدنا الكريم يدخل الكلتاوية.

صفاته:

غيور على دين الله -تعالى-، إذا عزم على أمر لا يتراجع عنه، شجاع بالحقّ وللحقّ، لا يخاف في الله، ولا تأخذه فيه لومة لائم، يميل إلى الزهد، ولا تحلو الدنيا بعينه.

ذو شخصيّة قويّة ومُتَميزة، صادقٌ في كلّ شيء، كريم في الخُلق والعطايا متواضع عظيم في شمائله.

عرف عنه أنه خطيب موهوب بعيد عن التكلف والتصنع، ذو صوت شجي بالقرآن الكريم، إذا قرأ في الصلاة تتمنّى ألاّ يركع، حباه الله تعالى حسنًا في الصوت وجمالًا في الترتيل مع الخشوع.

مؤثر بحاله الصادق مع الله، له شخصية قوية، جادّ في حياته، مواصل أقاربه، حامل الهمّ عن المهموم.

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٤٣).

ينظم الشعر، ويحدو به، ويطرب السامع بصوته الشجي، له قصيدة على نهج البردة في مدح سيدنا محمد النبهان نظمها وأنشدها وانتشرت بين أحباب السيد النبهان رضي الله عنه.

من أبياتها:

طاب اللقاء بشيخ الوقت سيدنا ... نبهان حاز العُلا من بارئ النَّسَم
فقام يُملي عُلومًا جَلَّ مُوهِبُها ... للطالبين طريق الخير والسلم
جئتَ إلينا وداعي الجهلِ يغمرنا ... حتى تكتم نار الحق للنهم
طوبى لعبدٍ أتى للصدق مقتبسًا ... مِنْ عارف طيب الأقوال والكلم
يا سعد من قصد الأخيار في هِمَمٍ ... يجلي عن القلب ذاك الران والسقم
وصار عند رئيس الوقت مسكنه ... وذاق طعم شراب القوم في حزم
ها قد أتيت نزيلًا في جواركمُ ... أرجو وصالًا من الإخلاص والشيم
يا سيدي جئت مكسورًا لحضرتكم ... أرجو فلاحًا وتخليصًا من الوهم
يا سيدي انظر المقطوع مَكْرُمَةً ... رحماك يا سيدي يا صاحب العلم
ضاع زماني وما أحسنت لي عملًا ... لا تتركوني فريد النفس في ظُلَمٍ
أنتم شفائي وروحي عند حبيبكمُ ... مرهونة ترجيكم يا أولي كرم

وله أيضًا:

يا من يريد سلوك العزِّ والأدب ... يا من يَرُوم وِصال المنهَلِ العذبِ
عليك بالعترة الناجين أجمعهم ... أهل الوفاء وأهل الحمل للنوبِ
قاموا على منهج المختار أحمدنا ... فلم يبالوا بما لاقوا من التعب
فاقصدهمُ واقتفِ ياصاحِ سيرتهم ... والحق بهم بالوفا يا صادق الطلب
هم الرجال أسود في صنائعهم ... تلوي إليهم قلوب العجم والعرب
وهم بدور ترقوا في مطالبهم ... حتى أناخوا بباب حضرة الرحب
لكن أخص كريمًا نال مرتبة ... مصونة عن عليل القلب بالحجب
فذلك السيد النبهان مرشدنا ... لشرعة الحب والعرفان والرتب

حَوَى الفضائل والأخلاق أجمعها ... وزَيَّنَ العالم المغمور بالشُّهبِ
وشرفت حلب الشهباء حضرته ... فأصبح كعبةَ الراجين للقرب
سارت إليه جمال القوم في سحر ... تحنو إليه حنو الهائم الوجل
فأسفرت في ربوع اللطف باركة ... وأسدلت جيدها تشتاق للنهل
لما رأى صدقها بالباب باكية ... وافاها بالسر محفوظًا من الخلل

وفاته:

قبل وفاته بأيام كان يقول: «أطلب من الله وأريد أن أكون من العارفين بالله». هذه همته التي لا حدود لها، و«عُلّو الهمة من الإيمان».

أمضى الشيخ إبراهيم بقية حياته في الفلوجة، وتعرّض فيها لمحنة انتصر فيها لدين الله تعالى فعزل من وظائفه على إثرها وأودع السجن سنةً.

يقول ابن أخته محمد جمال شاكر[1]: حدثني عنه الحاج يحي الفياض[2] -رحمه الله تعالى- قال: يا محمد كنا أنا وخالك إبراهيم جالسين يومًا في ساحة المدرسة بجامع الفلوجة الكبير فقال لي: يا حاج يحي والله أنا محتاج خلوة.

يقول الحاج يحي: ولم تمض إلا أيامٌ وتَحْدُثُ حادثةُ اعتقاله، وبعد محاكمته وسجنه في سجن أبو غريب ذهبنا لزيارته وكان الزائرون متأثرين، وقسم منهم يبكي لسجنه.

وكنت أنا أضحك، فقال لي: حاج يحي ما بكَ تضحك؟

---

(١) **الشيخ محمد جمال شاكر (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)**: ابن العلامة العراقي الشيخ جمال شاكر النزّال، ولد في مدينة الفلوجة في ١٩ أيلول ١٩٧٧م، دَرَس في مدرسة الحضرة المحمدية، ثم أكمل في جامعة بغداد، بكلية الشريعة والقانون، وتخرج فيها ونال شهادتها عام ٢٠٠٤م (مراسلة كتابية).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٧٩).

يقول الحاج يحيى: شيخ إبراهيم ألستَ أنتَ أردتَ خلوةً وهذه هي جاءتك.

يقول فجاوبني ضاحكًا: إي لكن ليس بهذه الشدة.

قبل خروجه من السجن رأى رؤيا، رأى كأن رأسه بين فكي أسد فصرخ بقوة: أبو أحمد. فجاءه الخبر بمقتل ناظم كزار الذي حاول قتله عدة مرات ولكن الله حفظه.

وفي أيامه الأخيرة كان أثر الحزن ظاهرًا على وجهه، ويرغب في لقاء الله. اهـ

وقالت لي والدتي-رعاها الله تعالى- [1]: في يوم كنت جالسة في باحة بيت السيد رضي الله عنه، فأتاني السيد رضي الله عنه وقال لي: شيخ إبراهيم موقوف؟ فقلت له: نعم سيدي.

فقال رضي الله عنه: «بَقْطَعْ رُوسْهم، أنا عندي شيخ إبراهيم من الأوائل».

يقول -رحمه الله-: لم يفارقني سيدنا أبو أحمد في كلّ مراحل الحادثة، وكنتُ أستَمدُّ منه قُوّتي، وتابع سيّدُنا الكريم قضيتَهُ عن طريق الرئيس أمين حافظ الذي كان في بغداد حتى أُفرِج عن الشيخ إبراهيم.

اشتغل آخر أيامه في قوت عياله، حتى وافاه الأجل إثر تماس كهربائي في معمل في الفلوجة، وذلك يوم الجمعة الثامن والعشرين من شوال سنة ١٤٠٤هـ، الموافق للسابع والعشرين من تموز سنة ١٩٨٤م، وشُيِّع إلى مثواه الأخير في موكب مهيب إلى جوار قبر والده في مدينة هِيت.

---

(١) أي: والدة محمد جمال شاكر، ابن أخت الشيخ إبراهيم.

مصادر الترجمة:

- كتاب «السيد النبهان» ط ١ (١: ٣٢٥).
- كتاب «تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر» ليونس الشيخ إبراهيم السامرائي.
- الشيخ حامد صِخّي[1]، مراسلةً كتابيةً.
- الشيخ محمد جمال شاكر ابن أخت الشيخ إبراهيم رْحَيِّم، مراسلةً كتابيةً.

ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

البردة النبهانية، أداء وتأليف الشيخ إبراهيم رحيم.



(١) الشيخ حامد صِخِّي نجم عبد الله محمد علوش الجنابي (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

(٦) الحاج إبراهيم الفياض

١٣٤٨ - ١٤٣٣هـ/ ١٩٣٠ - ٢٠١٢م

التاجر الصالح، والسمح الكريم، أبو عبد الحكيم، من سقاه السيد النبهان رضي الله عنه بأنْفاسِهِ الطاهرةِ، ورعته أنظاره المباركة، فأزْهرتْ وأثمرتْ صِدْقًا ووفاءً وكَرَمًا وصفاءً.

ولادته ونشأته:

وُلِد الحاج إبراهيم بن محمد بن عبد الله الفيّاض الكبيسي في مدينة كبيسة[1] عام ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م.

نشأ في بيت علم وولاية، وتربى في كنف والده الولي الصالح محمد عبد الله الفياض[2] الذي قال عنه العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه: «الحاج محمد الفياض دَلّال ناصح» «نريد له المعرفة، وسيدخل في المعرفة ولا يموت حتى يكمل».

تعلّم القراءة والكتابة في مدارس الفلوجة إلى الصف الخامس الابتدائي، ولم يُكمِل السادس، فترك الدراسة وتوجّه للعمل التجاري لمساعدة والده.

---

(١) كُبَيْسَة: مدينة تقع غرب العراق، قرب مدينة هيت، تبعد عن بغداد مسافة ١٨٠ كم تقريبًا وعن مدينة الرمادي (مركز محافظة الأنبار) ٨٠ كم تقريبًا. انظر معجم البلدان (٤: ٤٣٥).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٦٠).

عمله:

في بداية عمله كان يتاجر في الصوف والتمور والفواكه، وليس لديه محل حتى وفّقه الله تعالى ليستأجر محلًا في الفلوجة أوائل الخمسينات لبيع الغُتَر والْعِقال العربي، بعدها شارك عمه الحاج حمد عبد الله الفيّاض-رحمه الله- في محل لبيع الأقمشة بالجُملة في بغداد بخان كُبَّهْ حتى أكرمه الله تعالى بالتعرف على الوارث المحمدي سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ بواسطة أخيه الحاج جاسم[1]رحمه الله - الذي كان يقيم في حلب-، وبواسطة الشيخ محمود مهاوش[2]-رحمه الله- وذلك في خمسينات القرن الماضي، فتعلّق بشيخه تعلقًا عظيمًا، وكان يبادر لزيارته في حلب بين الفينة والأخرى، ويستشيره في كل أموره.

وفي الستينات ذهب مرة إليه ليستشيره في تأسيس مصنع لصبغ وطبع الأقمشة في الفلوجة فعمل له السيد النبهان ﷺ استخارة، ثم قال ﷺ: «توكَّل على الله في هذا المشروع»، ودعا له بالتوفيق، وقال له: «الاستخارة طلعت مْنِيحَة مو منيحة وبس، ولكن منيحة كتير» فتوكل على الله، وبمباركة شيخه سيدنا النبهان ﷺ بدأ يعمل بهذا المشروع، وبتوفيق من الله فاض الخير عليه.

وكان يُقدّم ما عنده من رزق الله بين يدي والده وإخوانه وذوي الأرحام، ولا يبخل عليهم بشيء.

من مآثره وصفاته:

كان -رحمه الله- شديد الحرص على إرضاء والده، مُنفقًا ومتصدّقًا وصادقًا في عمله، يحب العلم والعلماء، ويساعد دورات تحفيظ القرآن وطلاب العلم.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (١٢).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٧١).

وفَّقه الله تعالى للمشاركة في بناء عدة مدارس ومساجد، فبنى المدرسة الأحمدية مع الشيخ يحيي الفياض -رحمهما الله- وبنى جامع الهداية في الفلوجة عام ١٩٨١م، وقال: «نيتي لبناء الجامع كفارة عن بناء الدار» حيث بنى بيتًا كلّفه ستًّا وثلاثين ألف دينار لكن المسجد الذي بناه فاقت كلفته مئة ألف دينار عراقي في ذلك الوقت، بعدما انتهى منه أتاه النقّاش وقال له: يا حاج إبراهيم سأعمل لك لوحة منقوش عليها اسم الجامع ومكتوب عليها: «أُسِّسَ على نفقة الحاج إبراهيم الفيّاض» فأين تريد أن أضعها؟ في أي مكان من زوايا المسجد؟ ظنًّا منه أنه سيفرح بذلك، فأجابه، رحمه الله: «اكتُب: شُيِّدَ على نفقة عبد الجليل النقّاش»، فرفض أن يكتب اسمه على واجهة الجامع، وكتب اسم الجامع (جامع الهداية). ومن هذه الأمثلة شيء كثير.

كان -رحمه الله- لا يخالف أمرَ شيخه سيدنا محمد النبهان ﵁، ولا أمر والده.

في أحد الأيام رأى الحاج محمد الفيّاض رؤيا، فأرسل برسالة إلى سيدنا النبهان ﵁ يريد منه تفسير تلك الرؤيا، فجاءه الجواب بتفسير تلك الرؤيا برسالة بخط سيدنا النبهان ﵁ وذلك في ١٢ ربيع الأنور عام ١٣٩٢هـ، ومما جاء فيها:

«...وإبراهيم كذلك ينال الجنّة، لازم يحاسب نفسه، وأرجو الله أن يكون إبراهيم في الدنيا جسمه لا قلبه، والأولاد كلهم في الجنّة، الحمد لله أن إبراهيم مع والده وضمّه معه بالشرشف، ويغطيه بالرحمة التي وجدناها - أبوه وهو - راضٍ عنكم جميعًا، وأنت يا إبراهيم قل للعائلة: كلكم إن شاء الله في الجنّة، وأوصيتهم أن يكونوا على قدم والدك، وأنت يا إبراهيم كن على قدم والدك والشريعة فوقنا نعمل بمقتضاها. والسلام».



من اليمين: الحاج إبراهيم، ثم والده الشيخ محمد الفياض

كان -رحمه الله- سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، لا يفرح بالدنيا، وكان همه الآخرة وإرضاء ربه -سبحانه وتعالى- في أموره كلها.

وبين الفيْنَةِ والأخرى كان يمزق دفتر الديون التي لا يُرجى أداؤها ويقول: أنا لا أشتكي على الذي أطلبه، فلماذا أحتفظ بدفتر الديون وأشغل نفسي؟ فيسامحهم جميعًا.

إذا ذكرتَ الحاج ابراهيم ذكرتَ صلةَ الأرحام، ورعايةَ الفقراء، المخلص الذي لا تعلم شمالُهُ ما تنفق يمينُهُ، لا يُحب المظاهر، ولا الظهور، إنّهُ المحبُ الفاني في سيدنا محمد النبهان ﵁، لا يعرف غيرَ سيدنا النبهان أبدًا مع حبّه وتعظيمه لكلّ أولياء الله تعالى.

في أحد الأيام كانَ جالسًا في زاويةٍ مع جمعٍ من إخواننا التجار والعلماء في حلب الحبيبة فَتَحَدّثَ سيّدُنا ﷺ عن الدنيا فقال: «الدنيا مُشْتَقّةٌ من الدّنو لا من الدناءة، الكَدَعْ الذي يمسك الحَيّة وهي حيّة»، ثُمّ التفتَ ﷺ إلى الحاج ابراهيم وأشارَ بيده الكريمة قائلًا: «ذاك لا يحب الدنيا، ذاك لا يحب الدنيا، واللهِ -يا أولادي- إبراهيم لا يحب الدنيا، هي تركض وراءه وهو يعطيها ظهره» وكان من الحاضرين الحاج فوزي شمسي[١] والحاج أحمد الصغير، والحاج جاسم الفياض، وجمع كريمٌ. رحمهم الله.

قال الشيخ حامد صخي: «حدثني -رحمه الله- بأنّ سيدنا ﷺ قال له: «يا ولدي أنا أحبُّكَ»، لم يكنْ للحاج إبراهيم وقتها ولد ذكر، فقد جاءه أولًا أربع بنات على التوالي، وحين جاء سيّدُنا الكريم ﷺ إلى بيتِ والده الحاج محمد الفياض في زيارته الأولى إلى العراق، وكانت للحاج إبراهيم حجرة في بيت والده، فَمَسَكَ الحاج محمد الفياض بيد سيدنا ﷺ وأدْخَلَهُ إلى حجرة الحاج إبراهيم وقال: سيدي ادعُ لإبراهيم يأتيهِ ولد فقال سيّدُنا: «بِدْهُم يجُوا» فجاءه أربعةُ أولاد على التوالي: عبد الحكيم، وعبد الجليل، وعبد الكريم، وأنس، وعند قدوم سيدنا النبهان ﷺ إلى العراق أكرمه فأقام في بيت الحاج إبراهيم في الفلوجة عام ١٩٦٨م قبل أن يسكن فيه، وكان جاهزًا للسكن، ولم يكن به أثاث بعد، فأسرع الحاج إبراهيم إلى فرشه بالسجاد وعمل اثنين من كراسي الخشب العاج لكي يجلس عليها سيدنا النبهان ﷺ ووالده الحاج محمد -رحمه الله تعالى-، والحضور يجلسون في الديوانية على السجادة، يسمعون ويصغون إلى كلام سيدنا من الفتوحات الربانية، وكان الشيخ محمد الفياض جالسًا على الكرسي بجانب سيدنا لا يتكلم كأن على رأسه الطير، وفي عام١٩٨٠م تبرع بهذه الدار فأصبحت جزءًا من جامع الحاج محمد الفياض الذي شارك الحاج إبراهيم ببنائه مع جمع من أحباب السيد النبهان ﷺ في الفلوجة.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٤٩).

وعند زيارة سيدنا الثانية إلى العراق -وكان سيدنا النبهان في أحد الأيام في دارنا بالفلوجة- استأذن الحاج إبراهيم للذهاب إلى الموصل؛ لينقل بضاعةً وصلته وهي بالجمارك، فأذن له السيد النبهان، ودعا له ﵁ بالحفظ، وعند وصولهم إلى الموصل أكمل معاملة البضاعة بنفس اليوم، وكان الوقت مساءً فقال الحاج إبراهيم لسائقه شيحان: هل أنت متعب؟ أو بإمكانك أن تقود السيارة؟

فأجابه: لست متعبًا. وتوكلوا على الله، وركبوا السيارة للعودة إلى الفلوجة لكيلا يضيع الوقت، ويعودوا إلى الفلوجة ليكسبوا مشاهدة شيخهم سيدنا محمد النبهان ﵁ ومرافقته.

وفي طريق عودتهم خارج الموصل، وعلى الطريق المؤدي إلى ناحية الشرقاط بين الموصل وبغداد وكان السائق شيحان يسوق مسرعًا، والوقت بعد منتصف الليل، والطريق غير واضح، والدنيا ممطرة، والجو بارد، وضباب، فشاهد نارًا مشتعلة ويقف عندها رجلان مرتديان ملابس عسكرية، أشاروا لهم بالوقوف، ولأن السيارة مسرعة، وأوقفها مباشرة فحصل لهم حادث، وإذا بالسيارةِ تنحرف عن مسارها وبدأت تنقلب، فصاح الحاج إبراهيم: «يا سيدي يا أبو أحمد يا سيدي يا أبو أحمد» وإذا به يرى سيدنا النبهان ووالده الحاج محمد الفياض يقظةً في دائرة واحدة في البلورة الأمامية للسيارة يقظةً شُهودًا، فتَوّقَفَتْ السيارة مكانها فانقلبت السيارة يمينًا وشمالًا ثم اعتدلت، وأصيبت السيارة بأضرار خارجية إلا أن المحرك لم يصب بأي أذى، وسلّمهم الله -تعالى- ولم يصابوا بأذى.

وبعدما توقفنا عقب الحادث، ونزلنا من السيارة التقينا بالشخصين المرتديين بدلات عسكرية قالوا لنا: ماذا أتى بكم إلى هنا، هذا الطريق خطر، ولو لم تتوقفوا وأخذت السيارة يمينًا وشمالًا لنزلتم في هذا الوادي وأصبح حالكم حال هذه السيارات في أسفل الوادي (لحوادث سبقتنا)، فالحمد لله رب العالمين، واشتغلت السيارة لأن المحرّك لم يتضرر، وطلبنا منهم أن نوصلهم في طريقنا، إلى أين

تذهبون؟ قالوا: نركب معكم، وننزل بعد مسافة قليلة. وفي الطريق ومعنا فاكهة قدمنا لهم الفاكهة فامتنعوا عن أكل الفاكهة ولم يأخذوا شيئًا، وبعد مسافة قصيرة قالوا لنا: نحن ننزل هنا، فنزلوا من السيارة، قال الحاج إبراهيم: إن أمرهم عجيب، وكأنهم مأمورون أن يساعدونا فقط ويرجعوا، وعندما نزلوا في المكان الذي طلبوه، وكان الوقت ليلًا، أراد السائق شيحان أن يتأكد إلى أين ذهبوا، ولم يكن في المكان دار أو بناء، بل أرض مفتوحة، فاتجهت بكل الاتجاهات ونورت بالضوء فلم نشاهدهم واختفوا تمامًا.

وبعد وصولنا صباحًا إلى الفلوجة ذهب الحاج إبراهيم لمقابلة سيدنا ﵁، فقال له ﵁: تعال قل لي إيش صار معكم في طريق العودة؟ يقول الحاج إبراهيم: فشرحت له ما حصل معنا، فتبسّم سيدنا ﵁» [(١)].

سفرة الكويت مع السيد النبهان ﵁:

كتب لي ولده عبد الحكيم: روى لي السائق شيحان قال: ذهبنا إلى الكويت بسيارتنا الشوفرليت، وكنت أنا معه بالسيارة ومعنا الحاج عثمان أحمد الفياض وبعض من إخواننا من حلب، وعندما وصلنا الحدود كنت خائفًا لأنه لم يكن معي جواز سفر، فإذا بسيدنا ينظر إليّ ويقول: مالك خائف وقلبك يرجف؟ لا تخف، فقلت: يا سيدي ما معي جواز السفر، وأخاف أن يرجعوني، ولا أدخل إلى الكويت معكم. قال لي: لا تخف، فإذا بالموظف المأمور يأتي لجمع الجوازات وأخذها بيده وجعل يحسب المسافرين، فإذا بالعدد يتطابق مع عدد الجوازات -كرامة- فدخلت معهم إلى الكويت.

عندما علمَ بزيارة سيدنا الكريم ﵁ إلى العراق عام ١٩٦٨م أسرع واشترى أجملَ وأفضلَ سيارة شوفرليت بيضاء لتكون في خدمة سيدنا فَسَمّاها سيدنا

(١) انتهى ما نقله لي الشيخ حامد صخي عن الحاج إبراهيم.

﵁«الكُحَيلَهْ» وأيضًا لما علم بنيّة سيدنا زيارة العراق عام ١٩٧٤م اشترى أرقى سيارة مرسيدس S٢٨٠ لونها ذهبي لا مثيل لها في العراق، وقال: هذه لسيدي محمد النبهان لا تليق بسواه. وكُنّا نتهيأ لزيارته الثالثة المباركة فحدثَ مالم يخطر في بالنا ألا وهي وفاةُ سيدنا ﵁ في الرابع والعشرين من آب ١٩٧٤م.



مرضه ووفاته:

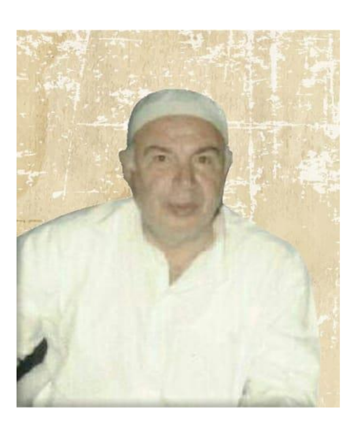
اسْتَقَرَّ في سنواته الأخيرة بمدينة عَمّان في الأردن، وأقعده المرض إلى أن تُوُفِّيَ في ١٥ ربيع الأول ١٤٣٣هـ الموافق ٧ شباط ٢٠١٢م، ودُفِنَ في مسجد والده الحاج محمد الفياض في الفلوجة بجوار والدته، رحمهم الله آنَسهم الله.

مصادر الترجمة:

- رسالة من سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ إلى الحاج محمد عبد الله الفياض.
- ولده الأستاذ عبد الحكيم إبراهيم الفياض، مراسلةً كتابيةً.
- صديقه وزوج أخته الشيخ حامد صخي، مراسلةً كتابيةً.

(٧) الحاج أحمد أفندي[١]

١٣٤٨ - ١٤٣٠هـ/ ١٩٣٠ - ٢٠٠٩م



من المتعارف عند أهل بغداد إطلاق لقب الأفندي على أكبر علمائهم، فلعمري هل كان الأفندي هو كبير علماء حلب؟ وإذا كان كذلك ففي أية مدرسة دَرَس؟ وفي أية جامعة تخرَّج؟ ومن هم شيوخه؟ وما سيرته العلمية والذاتية؟

وماذا حصل على شهادات أو إجازات؟

كل ذلك لم يكن، فالحاج أحمد الأفندي ليس من العلماء، ولا من السَّاسة، ولا من المؤلفين أو الشعراء، بل هو شاب حليق، وأفندي أنيق، لكنه من طراز خاص.

ولادته ونشأته:

ولد الحاج أحمد بن محمد أفندي في حلب الشهباء عام ١٩٣٠م، ونسب إلى عائلة تركية من أصل ألباني.

جذبته العناية الإلهية إلى رحاب الكلتاوية عام ١٩٤٨م، وهو في الثامنة عشرة من عمره، والأفندي لقب لأسرته كلها، وما أن تكحلت عيناه أول مرة بطلعة

---

(١) أعدَّ لنا هذه الترجمة الشيخ هشام عبد الكريم الألوسي نقلًا عن أقرباء الحاج أحمد أفندي، والدكتور عبد الكريم محمد عبد المنعم الحسيني.

الحبيب السيد النبهان ﷺ حتى أخذ بلباب قلبه، فلم ينفك عنه، لكن ذلك الغصن اليافع قد ابتدأ حياته بأعمال تجارية في (سويقة حلب) [١]، وسرعان ما كبرت تلك التجارة حتى أصبح من آحاد تجار المدينة بل وأفندي التجار، وإنه ليستحق هذا اللقب عن جدارة؛ لأنه خرج من ثروته مرتين ينفقها في وجوه البر التي يأمره بها مرجعه سيدنا النبهان ﷺ ، فاقتصر على الكفاف ولم يتوسع في الدنيا، ولم يتزوج، ولم يشترِ دارًا، بل أمضى حياته في شقة للإيجار مقابل الحديقة العامة، وعرفه أهل الخيرات والمبرات بالصدق والنزاهة، فجعلوا منه صندوق خير يوافونه بالهبات والصدقات؛ ليوزعها بنفسه على أهل الفاقة والحاجة والحرمان من أرامل وأيتام وعميان، وتلك حالته التي دَرَجَ عليها طيلة حياته.

وكان سيدنا ﷺ يرسل الحاج أحمد لبيوت الفقراء فيطلع على أحوالهم، ويعرف احتياجاتهم لكن معرفةً غير مباشرة؛ لئلا تتأذى مشاعرهم، وبعد أيام كانت تصلهم المؤونة والطعام، وكثيرًا ما كان يكلفه بمهام شراء الطعام وملابس العيد للفقراء.

من صفاته:

يتميز الحاج أحمد أفندي بالصدق والورع، وهو زاهد في المال والجاه، وله فطرة نقية صافية، من المخلصين الأوفياء الملازمين لمجالس السيد النبهان ﷺ ومذاكرته، وهو الذي كان يشرف على دروس يوم الجمعة، ولا يتخلف عنها.

والحاج أحمد أفندي صاحب مكاشفات وخزينة أسرار، هي حصيلة صحبته الصادقة لسيدنا الحبيب، لكنه مأمور بكتمانها، فإذا حضر مجلسًا أثار حوارًا عن سيدنا بعبارة أو سؤال، يتذاكر فيه المحبون سيرته العطرة، وشخصيته النَّضرة، فلسان حاله يقول: «تعالوا نؤمن ساعة»، يَعْرِفُهُ أصحاب الحبيب ومحبوه في

---

(١) سوق قديم في مدينة حلب القديمة يقع بين حي الفَرافِرة والجامع الكبير.

الكلتاوية كيف يقدّم بين يدي المتحدث، وعلى الأخص بعد خطبة الجمعة في قاعة الاستقبال والضيافة، وله محبة فريدة لآل بيت سيدنا ﷺ، وكان في مجلس نجل سيدنا (أبو فاروق) بمثابة نديم الملوك.

رجل يعلوه البِشْر والوقار، محبوب بين الناس، إذا تطلعت فيه ظننته كالمجذوب.

إخوته: مصطفى، عبد الغني، صبحي، عبد الرحمن، عبد الحميد، عبد الرزاق.

وفاته:

قال الشيخ هشام الألوسي: حدثني صاحبه وقريبه الدكتور عبد الكريم محمد عبد المنعم الحسيني قال: كان السيد الحبيب رضي الله عنه مرة في قرية فأراد الحاج أحمد اللحاق به إلى هناك، ولما قارب الوصول نظر فرأى هالةَ نورٍ عظيمة كلما اقترب إلى المكان الذي فيه السيد النبهان رضي الله عنه، كَبُرَتْ وعَظُمَتْ، فلم يتمكن من الاجتماع معه، فرجع إلى حلب في وَجَلٍ ورهبة، وبعد عودة السيد الحبيب ذَكَرَ له ما حصل معه فأجابه رضي الله عنه: «أنت رأيت الحقيقة»، فبقي مع تلك الحقيقة على ملازمته لم يتغير ولم يتقهقر، حتى وافاه الأجل يوم الثلاثاء السابع من ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ، الموافق ٣ آذار ٢٠٠٩م، وعمره قد جاوز الثمانين.



شُيِّعَ جثمانُه من داره في محطة بغداد، جانب جامع سيدنا عمر بن عبد العزيز من يوم الأربعاء، وصُلِّي عليه في جامع سيدنا زكريا عليه السلام (الجامع الأموي) في حلب عقب صلاة الظهر، ثم ووري جثمانه في مقبرة الصالحين.

(٨) الشيخ أحمد حوت

١٣٧٠ – ١٤٣٨هـ/ ١٩٥١ – ٢٠١٧م



العالم الأديب، واللغوي الأريب، الشيخ أحمد بن ناصر بن محمد بن ناصر بن حسين-الملقب ب«حوت» بن حمود بن خضير.

ولادته:

ولد في حلب القديمة، في حي قارلق -ويعني بالتركية: معمل الثلج- فنشأ وترعرع فيه.

يرجع نسبه من جهة أم جده إلى آل البيت من السادة الحسينية الرفاعية، وانتسابه لآل البيت من طريق جدته لأمه.

وأما من جهة والده فله قرابة عمومة مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه، مثل كل آل حوت الذين يلتقون مع السيد النبهان في حمود بن خضر، أو خضير، كما اشتهر، الذي بـهِ يدعى قومه بـ (الخضيرات) ويرجع نسبه إلى القبائل العربية الزبيدية القحطانية من اليمن عنده أربعة أولاد: أكبرهم حسين الملقب بـ (حوت) وإليه نسبة المترجم، والثاني: حسن، والثالث: أحمد الملقب بـ (غانم) لكرمه، ورابعهم: نبهان وهو جدُّ سيدنا النبهان رضي الله عنه.

دراسته:

درس الابتدائية في مدرسة المثنى بن حارثة الابتدائية، ثم انتقل إلى المدرسة الخسروية، التي كانت تسمى أزهر الشام؛ لقوة علمائها وتبحرهم في العلوم، فأكمل فيها المرحلة الإعدادية والثانوية، وتخرج فيها، ونال شهادتها عام ١٩٧٠م.

من زملائه فيها: الشيخ محمد عدنان كاتبي، والدكتور عبد السلام الراغب، والأستاذ مأمون نجم.

من شيوخه في الخسروية:

الشيخ عبد الله سراج الدين، والشيخ أحمد القلاش[(١)]، والشيخ نجيب خياطة، والشيخ عبد الوهاب سُكَّرْ[(٢)]، والشيخ عبد الرحمن زين العابدين، والشيخ طاهر خير الله[(٣)]، والشيخ بكري رجب، والشيخ محمد الحكيم[(١)] ، والشيخ محمد أديب حَسُّون، رحمهم الله.

---

(١) الشيخ أحمد القلاش (١٣٢٨-١٤٢٩هـ): عامل فقيه، ولد في حلب، تلقى العلم في المدارس العثمانية والشعبانية والإسماعيلية والخسروية على كبار الشيوخ، عمل إمامًا وخطيبًا في العديد من مساجد حلب، ومدرسًا في المدرسة الشعبانية والخسروية، وأستاذًا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتوفي فيها سنة ٢٠٠٨م. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٦٠٥).

(٢) الشيخ عبد الوهاب سكر (١٣١٦-١٤٠٦هـ): ولد في مدينة الباب، دَرَس العلوم في الخسروية على كبار الشيوخ، تخرج في الأزهر عام ١٣٣٣هـ، أخذ الطريقة الرفاعية والنقشبندية، وعمل عطارًا مع استمراره في وعظ الناس، وأفاد طلاب العلم في الخسروية والشعبانية وثانوية المأمون ودار المعلمين وغيرها، له مؤلفات عديدة مطبوعة، توفي في حلب ودفن في مقبرة السفيري فيها. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٤٠٧).

(٣) الشيخ طاهر خير الله (١٣٤١-١٤٠٩هـ): ولد في حي حارة الباشا في حلب، دَرَس العلوم في الكلية الشرعية على كبار الشيوخ، وتخرج فيها عام ١٣٦٤هـ، وتخرج في الأزهر عام ١٣٧٢هـ،

ومن خارج الخسروية: الشيخ الدكتور محمود فجّال[٢]، رحمه الله.

انتسب بعدها إلى الأزهر الشريف (كلية اللغة العربية) عام ١٩٧١م، وتخرج فيها عام ١٩٧٥م.

عمله:

عمل -رحمه الله- في التعليم والخَطابة، ففي أول أمره ابتدأ بتدريس علم النحو في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) بحلب من عام ١٩٧٥م إلى ١٩٧٩م، يقول صديقه الدكتور عثمان عمرالمحمد: (وفي هذا العام توجه لبيت الله حاجًّا بصحبة والديه، وهي حجته الأولى، وكانت الرحلة برًّا ترافقنا فيها) .

ارتحل بعدها إلى المملكة العربية السعودية، في مطلع عام ١٩٨٠م، وتعاقد معه المعهد الثانوي الصناعي في مدينة الدمام، بالمنطقة الشرقية، وتولى تدريس بعض العلوم في اللغة العربية، والعلوم الدينية، وكان خطيبًا لأحد الجوامع الكبيرة هناك، واستمر أربعة عشر عامًا.

عاد بعدها في عام ١٩٩٥م إلى مدرسته الأولى، مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) في مدينة حلب، فأفاد منه الطلاب بتدريس علوم النحو والبلاغة والعروض، وكان ذلك إلى عام ٢٠١٢م، مع أوقات انقطاع قليلة، وفي بعض

عمل مدرسًا في العديد من جوامع ومدارس حلب، توفي المدينة المنورة ودفن في البقيع. انظر«علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٤٤١).

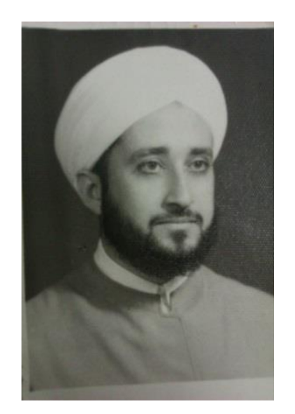
(١) **الشيخ محمد الحكيم (١٣٢٣-١٤٠٠هـ):** مفتي حلب وقاضيها، ولد في حلب، أنهى دراسة الخسروية عام ١٣٤٥هـ، وأنهى دراسة كلية الحقوق بدمشق عام ١٣٦٠هـ، شغل العديد من المناصب الإدارية والقضائية والشرعية في حلب وغيرها، توفي في حلب ودفن في مقبرة الشيخ جاكير. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (٣٨١)، و«نثر الجواهر والدرر» (١٣١٤).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٧٠).

الأوقات كان ينوب عن أخيه الشيخ محمود خطيب الجمعة على منبر جامع الكلتاوية.

تولى الإمامة والخطابة والتدريس في جامع البراء، بحي الأعظمية بمدينة حلب، منذ عام ١٩٩٦م حتى ذهابه مع أسرته إلى مصر سنة ٢٠١٢م.

أسرته:



الشيخ أحمد حوت

هو سليل أسرة ملتزمة أبًا وأمًّا وإخوةً وأخواتٍ، نشأ وترعرع في عائلة تسير على منهج أهل الله، فمنذ أن أبصرت النورَ عيناه رأى والده الحاج ناصر حوت-رحمه الله- من الأصحاب المقربين لسيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ.

له أربعة إخوة كلهم علماء من أحباب السيد النبهان ﷺ وهم:

الشيخ محمد حوت[1]، رحمه الله.

الشيخ الدكتور محمود حوت.

الشيخ عبد الباسط حوت.

الشيخ عبد الله حوت[2]، رحمه الله.

وللشيخ أحمد خمسة أولاد: محمد، ومحمود، وحسام، وابنتان.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٥٧).

(٢) **الشيخ عبد الله ناصر حوت (١٣٨٥هـ-١٤١٠هـ):** ولد في حلب، تخرج في المدرسة الكلتاوية (نهضة العلوم الشرعية)، ونال شهادتها عام ١٩٨٤م، توفي في لبنان هو وصديقه الشيخ يوسف بن عبد الله النبهان في حادث سنة (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) (من أخيه الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت، مراسلةً كتابيةً).

من صفاته:

تمتَّع -رحمه الله- بالنباهة، وعُرف منذ صغره بالذكاء والجِدّ، وقد لزم أهل العلم والتقوى منذ نعومة أظافره، وكان مع زملائه وأساتذته وشيوخه متحليًا بالأدب والتواضع والأخلاق الفاضلة، واشتُهر بلطافة معشره، وحُسن حديثِهِ، وفصاحة كلامه، في الخَطابة والتدريس والمجالس العامة.

وكان إلى جانب ذلك كله بارًّا بوالديه، يشهد له بذلك القاصي والداني.



من اليمين: الدكتور محمود حوت، ثم شقيقه الشيخ أحمد حوت

في صحبة السيد النبهان ﵁:

نشأ وترعرع منذ نعومة أظافره في كنف العارف بالله الشيخ محمد النبهان ﵁ فوالده الحاج ناصر حوت من أصحاب السيد النبهان المقربين، فشبّ الشيخ أحمد في رياض الكلتاوية، واستقى من معين سيدنا النبهان ﵁ مع والده، حتى نال هذا

البيت النبهاني وسامًا عظيمًا من سيدنا محمد النبهان ﷺ حين قال: (أشبه البيوت ببيتي بيت حج ناصر).

وقال ﷺ: «عندي بيتان؛ أول بيت عندي بيت الحاج ناصر حوت، وبيت الحاج ناصر الناصر»[١].

فالسيد النبهان كانت له عناية خاصة بالشيخ أحمد وإخوته وأسرته.

مرة كان الشيخ أحمد في حضرة سيدنا قبل انتقاله فقال له السيد: ابني! كيف هو والدك الحاج ناصر؟

قال الشيخ أحمد: يا سيدي يريد رضاك.

قال له السيد: كيف رجلاه؟

قال له الشيخ أحمد: كماهي لكن هو يريد رضاك.

قال له السيد: أنا راضٍ عن أبيك وأمك وإخوتك وأخواتك.

قال الشيخ أحمد: سيدي! وأنا؟

فقال له: أنت من باب أولى وأولى.

جاء أحد أصحاب سيدنا ﷺ ليسأله عن صديق يصاحبه ويمشي معه فقال له السيد: من تريد؟ فقال له: سيدي فلان وأشار إلى أحدهم وهو يظنه من الخيرة ما رأيك به؟ فقال: لا. قال: فلان. قال: لا. قال: فلان. قال: لا. قال له سيدي من مع أمشي؟ قال: «صاحب وامشِ مع أحمد حوت، هذا منيح، هذا ابن عمي».

ونقل الشيخ محمد علي قايبال قال: كنا مرة عند سيدنا وكان الشيخ أحمد حوت صغيرًا وهو خارج الغرفة فقال لهم: «هذا ذاتي».

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٧٤).

وأحدهم لمّح على الشيخ أحمد أمام سيدنا فقال له ﵁: «دير بالك تحكي على الشيخ أحمد» قالها عدة مرات.

وذات مرة كان السيد النبهان ﵁ في غرفته يعطي مذاكرة خاصة لبعض إخوانه، فجاء الشيخ أحمد -وكان صغيرًا- ووقف عند الشباك لعله يحظى بشرف الدخول إلى السيد ﵁ فمدّ سيدنا رأسه وقال: «هذا ابن الحاج ناصر أدخلوه».

كتب لي -رحمه الله تعالى-:

لقد بشر سيدنا عددًا من إخواننا بالجنة وأذكر واحدًا منهم وكنت حاضرًا في غرفة السيد وهو الحاج كاظم أبو دان وكان جالسًا بجوار سيدنا قال: يا سيدي أخاف أن أدخل النار يوم القيامة ولا أدخل الجنة فقال له السيد العظيم: لا تخف، قال: أتضمن لي ذلك؟ قال: نعم أضمن ذلك، وضرب على صدره الشريف تأكيدًا للضمان، فتمنى كل من كان حاضرًا أن يطلب ذلك الطلب، ولكن الأدب والهيبة منعتنا، ولكن رأيته في الرؤيا بعد انتقاله، فقلت له: يا سيدي! عكاشة بن محصن طلب من الرسول أن يكون من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، فقال له: أنت منهم [(١)]، قلت: يا سيدي! وأنا منهم؟ فقال: نعم وأشار برأسه الشريف، أسال الله أن تكون رؤيا حق وإنها حق إن شاء الله تعالى، وإذا كان سيدي قد شفع للرجل العاق لوالدته والتارك للصلاة وهو لا يعرف سيدنا فنحن بمحبته وصحبته أملنا كبير بمرافقته إلى الجنة إن شاء الله.

يقول الشيخ أحمد -رحمه الله-: «كانت عناية السيد النبهان وأنظاره علينا حتى بعد انتقاله ﵁ تشعرنا أنه معنا أينما كنا، وأذكر لكم شيئًا من ذلك جرى معي، فقد كنت متجهًا بسيارتي مع عائلتي من الدمام إلى الرياض لأرافق الشيخ منير

---

(١) رواه «البخاري» في «صحيحه» (كتاب الرقاق - باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب) حديث رقم [٦٥٤١] ٨: ١١٢.

حداد -رحمه الله- إلى المدينة المنورة، وبعدها إلى مكة للحج، وكان هناك تحويلات عند مداخل مدينة الرياض، والوقت أقرب إلى العشاء ففوجئت بمنعطف خطير لم أستطع الانعطاف معه خوفًا من انقلاب السيارة، فتابعت سائرًا في سيارتي، ولا أعلم ما سيواجهني من خطر، ففوجئت برصيف، وضربته، فقفزت السيارة واضطربت بقوة فصاحت أهلي يا سيدي! وإذا بصوت سيدنا يقول لي بكل قوة ووضوح: «لا تخف أنا معك» وبعد الرصيف كانت هناك أرض رملية مشت السيارة فيها قليلًا ثم توقفت، نعم أنا معك، والله ما شعرنا يومًا أن عنايته أو مدده نقص شعرة واحدة أبدًا، فجزاه عنا خير الجزاء وأتمه وأكمله، كما قال وقوله حق: «الشيخ الذي تحجبه عن مريده حفنة تراب ليس بشيخ».

سألته -رحمه الله- عن الأثر الذي تركه فيك السيد النبهان؟ فقال: حب السيد النبهان وحب الصحابة والاتباع.

وسألته -رحمه الله- عن الكلتاوية كيف يراها؟ وكيف يريدها أن تكون؟ فقال: أتمنى أن تدوم وأراها الحصن الحصين القوي للإسلام والمسلمين.

رؤيا:

رأت زوجته الصابرة سيدَنا النبهان ﵁ قبل انتقال الشيخ أحمد بثلاثة أيام، رأته قد دخل بيتهم بجلال وهيبة عجيبة، وكان بيدها أثواب تخص الشيخ أحمد -رحمه الله- من جُببٍ وعباءات، فقالت: يا سيدي هذه أغراض أحمد، فسيدنا أخذ العباءة السوداء ولَبِسها، وأمسك بقية أشياء الشيخ أحمد بيديه الشريفتين وهو ينظر إليها، ثم صعد إلى سلم، وبيده رشاش ماء، وبدأ يرش، ويغسل الحيطان ويرش عليها خصوصًا حتى غسّلها بالماء.



من اليمين: الأستاذ الدكتور محمود فجال، ثم الشيخ أحمد حوت (رحمهما الله)

مرضه ووفاته:

تُوُفِّي في ٢٧ رمضان ١٤٣٨هـ الموافق يوم الخميس ٢٢ حزيران ٢٠١٧م بعد معاناته مع المرض، ودفن في مدينة القاهرة، بمقبرة العاشر من رمضان، في منطقة الروبيكي.

رثاؤه:

رثاه تلميذه الشيخ إبراهيم الحمدو العمر [1] فقال:

هذه كلمات أخطها بدمع العين، وأتلوها بشجو الروح، وأترجمها بزفرات القلب، وأناجي بها روح أستاذي فضيلة الشيخ أحمد ناصر حوت:

---

(١) **الشيخ إبراهيم الحمدو العمر (١٣٩١هـ/١٩٧٢م):** ولد في مدينة السفيرة بحلب، تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٩٠م، عمل فيها موجهًا، ومدرّسًا، وأمين مكتبة، حصل على الماجستير من جامعة أم درمان في السودان، عمل مدرسًا وموجهًا في الكلتاوية، ويعمل الآن مفتيًا في المركز الرسمي للإفتاء في أبو ظبي. (عن الشيخ إبراهيم الحمدو العمر، مراسلةً كتابيةً).

اهنأ فقد طابَ المُقام بقربه ... جُمعتْ لك الخيراتُ عند لقائه
لا تخشَ بعد الْيَوْم بُعدًا مؤلمًا ... فالوصلُ طابَ بسعده و هنائه
و ارقدْ فقد لاقيتَ من ألمِ النوى ... ما لا يُطيقُ الصخرُ من لأوائه[١]
ما ضرَّ بُعدُ الدار إن لذَّ اللقا ... يا ما ألذَّ الوصلَ بعد عَنائه
كمْ من قريبِ الدار ناءٍ وصلُهُ ... و بعيدِها و الروحُ من جلسائه
كانتْ أماني القلب نظرةَ عاشقٍ ... والآنَ أنتَ الضيفُ في أفنائه
تروي فؤادك من لذيذ شرابه ... وتغضُّ طرفَك من شعاع ضيائه
والروحُ نشوى في مهاب جلاله ... تُغضي حياءً في مقام رضائه
قد عِشْتَ تتلو من محاسنِ مدحه ... ما يعجز الأفكار عند أدائه
تحدو القلوبُ إلى الحبيب بِهِمَّةٍ ... وتقول : نِعْمَ الظلُّ في أفيائه
لو قيل : ما اللطف الظريف؟ بلفظة! ... لاخترت (أحمد) دونما أسمائه
قد قال يومًا سيدي النبهان: « ذَا ... من وُلْد ناصر» يا جميل ثنائه
نَسَبٌ كريمٌ نِيْطَ[٢] من شرف العلا ... بِعُرَى المحبّة[٣] وانْتِما آبائه
للسيّد النبهان إن تَنْسبْهُمُ ... رشفوا لذيذ الحب من اندائه
لا يعرفونَ سِوى اتباعِ طريقِهِ ... لا ينعُمُون بغيرِ ما نعمائه
فعليك من ربي سحائبُ رحمةٍ ... وحباك من رضوانه وعطائه
واسحب ذيول العز في ساح الرضى ... وافخر فأنت اليوم من ندمائه

---

(١) اللأْواءُ: شدةُ المرض و ضيقُ المعيشة والجهد والحاجة إلى الناس.
(٢) نِيْطَ: تعلَّق.
(٣) عُرَى المحبةِ: رَوَابِطُهَا.

مصادر الترجمة:

- الشيخ أحمد حوت -رحمه الله- مقابلة مباشرة في جامع البراء بحلب، يوم ١٤ أيار ٢٠٠٨م.
- مشاركات له في «منتدى النفحات النبهانية»، ببرنامج الواتساب، في المدة من ٦ حزيران ٢٠١٣م إلى ٢٢ حزيران ٢٠١٧م.
- أخوه الشيخ الدكتور محمود حوت، وأبناؤه مراسلةً كتابيةً.

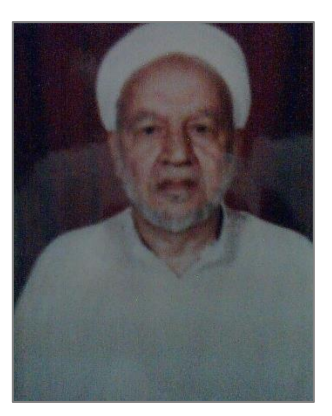
ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

كلمة للشيخ أحمد حوت عن انتقال سيدنا النبهان.	

(٩) الشيخ أحمد الزين

١٣٤٨ - ١٤٢٠هـ/ ١٩٣٠ - ٢٠٠٢م



الداعية الفاضل، والباحث عن الحقيقة الصادق، الشيخ أحمد بن محمود بن عيسى بن مصطفى بن محمد الملقب بالزين.

ولادته ونشأته:

هو في الأصل من حي باب النيرب بحلب، ولكنه ولد في بلدة تل رفعت لأن أباه كان يعمل وقتها في سكة القطار التي تمر من تل رفعت[١] ومنغ، وبقي في عمله ما يقرب من عشرين عامًا، ثم رجع إلى حلب عند مرض الوفاة، فالشيخ أحمد قَدِمَ مع والده إلى حلب وعمره حوالي أربع سنوات.

نشأ محبًّا لأمور الدين وملازمًا للمسجد، دخل الكُتّاب مدة عامين، عامًا قرأ فيه القرآن، وعامًا تعلَّم فيه الحساب.

عمله:

كان عاملًا كادحًا في معمل النسيج إلى عام ١٩٦٤م، فشغل الإمامة والخطابة في قرية معارة الأرتيق[٢]. وسبب انتقاله من العمل في معمل النسيج إلى إمامة القرية

---

(١) تل رفعت: مدينة تتبع منطقة عزاز في محافظة حلب، وتبعد عن حلب خمسًا وثلاثين كيلًا.

(٢) معارة الأرتيق: قرية تتبع محافظة حلب، وتبعد عنها حوالي اثني عشر كيلًا.

أنه كان مرة في مجلس السيد النبهان فقال ﷺ: «الإنسان مطلوب منه أن يعمل، ولكن الرزق من الله، ولاعلاقة له بالعمل، الرزاق هو الله لاالعمل». قال الشيخ أحمد: فقلت في نفسي: إذن لمَ أبقَ عاملًا في معمل النسيج! وفي يوم من الأيام قال لي أحد أصدقائي من قرية معارة الأرتيق: ياأحمد أما تعرف لنا شيخًا يصير عندنا إمامًا في القرية؟ فقلت له: أنا أصير. قال لي: لكن راتب الإمامة أقل من راتب المعمل. قلت له: هذا لايضر. واتفقنا أن نذهب سويًّا يوم الخميس إلى قريتهم، وتم مااتفقنا عليه، وخطبت في القرية المذكورة ثم تركت المعمل والتحقت بالإمامة.

ثم رجع إلى حلب وأصبح إمامًا في جامع «منصور البرسيمي» بجانب مكتب دفن الموتى في حلب، وبقي فيه إمامًا وخطيبًا مايقرب من أربعة عشر عامًا.

دراسته:

انتسب إلى المدرسة الشعبانية في السنة الدراسية ١٩٦٥-١٩٦٦م، ثم انقطع فترة، وذهب إلى الحج عام ١٩٦٦م، رجع بعد حَجِّهِ إلى المدرسة الشعبانية مستمعًا، فالمدرسة الشعبانية كان لديها نظام طالب ونظام مستمع (وكان يدرس معه في الشعبانية ولده حمزة بنفس الفترة، فاجتمع الوالد وولده على مقعد الدراسة معًا) وبقي فيها مايقرب من ثلاثة أعوام، ثم التحق بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم -التابعة للمدرسة الشعبانية- عامًا.

من شيوخه في الشعبانية:

الشيخ عبد الرحمن زين العابدين، والشيخ أحمد القلاش، والشيخ بكري رجب، والشيخ عبد الله سراج الدين، رحمهم الله.

انتقل الشيخ أحمد إلى جامع الصفصافة في باب النيرب في أواخر الثمانينات، وبعدها أصبح إمامًا وخطيبًا في جامع جلال الدين الرومي في حي باب النيرب، وبقي فيه حوالي عشر سنوات، إلى أن مرض في السنة الأخيرة.

البحث عن الحقيقة وسلوكه عند السيد النبهان:

تنقَّل الشيخ أحمد بين المشايخ كثيرًا بحثًا عن المرشد الكامل، فتعرف أولًا على إمام مسجد حارته الشيخ محمد الياسين بمنطقة بادنجو (التكاشرة) في باب النيرب، ثم ذهب هو وأخوه لمنطقة السفيرة والتقى بالشيخ عبدو خديجة، وأخذ عنه بعض العلم، بعدها حضر حلقة الشيخ حسن حساني، ثم صاحب بعض أتباع الشيخ أبي النصر، والتحق مدة سنة أو أكثر بجماعة الإخوان المسلمين ثم تركهم، ثم تعرَّف إلى بعض مشايخ الطريق المشهورين في حلب فلم يرتض منهجه، ولم يعجبه حاله، فتركه رغم أن صحبته له طالت ثماني سنوات.

كل ذلك وهو يبحث عن مرشد كامل، حتى وُفِّقَ في الانتساب لحضرة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه في حدود عام ١٣٨٠هـ، فلازم حضرة السيد النبهان رضي الله عنه منذ ذلك الحين إلى وفاة السيد النبهان رضي الله عنه ١٣٩٤هـ.

وأول تعرفه على السيد النبهان رضي الله عنه كان بواسطة الشيخ محمود دعبول[1]، والشيخ أحمد الزين –رحمه الله- كان يجلس مع الحاج محمد سروجي (أحد إخوان السيد النبهان) في مسجد التكاشرة، فالحاج محمد كان يرغبه ويتكلم له عن السيد النبهان ومواقفه، فرأى الشيخَ محمدَ سروجي في منامه وهو يقول له: تعال إلى الكلتاوية، فذهب إلى الكلتاوية، فوجد خلاف ما كان يقال له عن السيد النبهان وعن الكلتاوية، فلما التقى بالسيد النبهان رضي الله عنه قال: سيدي أريد أن آخذ منكم طريقة. فقال له السيد: «نحن لا يوجد عندنا طريقة، ولكن التزم بالدروس والمذاكرات حتى تستفيد».

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٦٧).

وكان أحد أعضاء الحلقة العلمية مع الشيخ الدكتور محمود فجَّال -رحمه الله-، وهذه إحدى الحلقات التي أنشأها السيد النبهان بعنوان: تعالوا نؤمن ساعة.

والتزم الشيخ أحمد مع السيد النبهان رضي الله عنه، وكان السبب في دلالة وتعريف أسرة بيت الزين بالسيد النبهان، فما من أحد منهم جاء إلى السيد إلا كان عن طريقه أو عن طريق مَنْ دلّه.

عاش حياته صابرًا محتسبًا، لا يملك من حطام الدنيا شيئًا.

ربَّى أولاده على حب العلم والأولياء والصالحين، خاصة السيد النبهان.

أولاده:

له من الأولاد الذكور خمسة، هم:

أكبرهم الدكتور محمود الزين[1] تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، وحصل على الدكتوراه في علم البلاغة من الأزهر الشريف.

ثم الشيخ الدكتور حمزة الزين، تخرج في المدرسة الشعبانية، وحصل على الدكتوراه في الحديث الشريف من الأزهر الشريف.

ثم الشيخ محمد الزين، تخرج في المدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، وانتسب إلى كلية الفلسفة بجامعة دمشق، ولم يكمل.

ثم الشيخ حامد الزين، تخرج في المدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، ويحمل ليسانس من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، وهو حافظ على القراءات، ثم حصل من المعهد العالي للدعوة في مكة المكرمة على الماجستير.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٦٩).

ثم الشيخ علي الزين، انتسب إلى مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، ولم يكمل.

وهكذا علّم أولاده، ورباهم تربية إسلامية، جمعت بين العلم وحب أولياء الله، وخاصة السيد النبهان، قُدِّسَ سره.

وفاته:

مرض -رحمه الله- لمدة ستة أشهر أو أكثر، وتُوُفِّيَ بعدها سنة ٢٠٠٢م، ودفن في مقبرة محمد بيك، الواقعة في جهة الجنوب من جامع جلال الدين الرومي في حي باب النيرب في حلب.

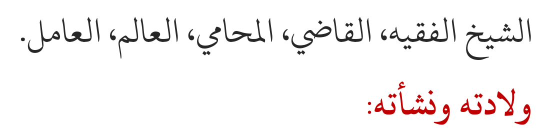
مصادر الترجمة:

- ابنه الشيخ الدكتور محمود الزين -رحمهما الله-، مقابلةً مباشرةً.
- الدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلةً كتابيةً.

(١٠) الشيخ أحمد مهدي خضر

١٣٤١ - ١٤٣٤هـ/ ١٩٢٣ - ٢٠١٣م





الشيخ الفقيه، القاضي، المحامي، العالم، العامل.

ولادته ونشأته:

ولد -رحمه الله- في حلب حزيران عام ١٩٢٣م، وجده الشيخ خضر-رحمه الله- كان فقيهًا حنفيًا، له منظومة في الفقه الحنفي.

تعلم حياكة النسيج اليدوي بعد تعلم الحساب والقرآن الكريم في كُتّاب الشيخ عاشور بدون دراسة الابتدائية في المدارس الرسمية، وقد أتم حفظ القرآن الكريم بسن مبكرة، وكان يعتبر هذا أكبر فضلٍ من الله عليه.

دراسته:

انتسب إلى المدرسة الخسروية في حلب عام ١٩٣٧م، وتخرج فيها ونال شهادتها عام١٩٤٥م، وحصل فيها على الكفاءة العامة مع الثانوية الشرعية، ثم نال شهادة الثانوية العامة عام ١٩٤٦م، وانتسب في تلك السنة لكلية الحقوق، وتخرج فيها ونال شهادتها عام ١٩٤٦م، بعد ثلاثة أعوام متفوقًا بالدرجة الأولى.

كلّف بالاستعداد للإيفاد إلى مصر لدراسة الدكتوراه ابتعاثًا من الجامعة، لكنه أُوفِدَ بدلًا عنه فجأة أحد المنتسبين لبعض الأحزاب ظلمًا وليس من الأوائل، وكان ذلك الحرمان من الإيفاد خيرًا له دينًا.

من شيوخه في الخسروية:

الشيخ عمر المرتيني، والشيخ محمد فيض الله الأيوبي، والشيخ عبد الله المعطي[1]، والشيخ محمد الجبريني، والشيخ محمد نجيب خياطة، والشيخ محمد راغب الطباخ[2]، وغيرهم، رحمهم الله جميعًا.

ومن شيوخه خارجها:

الأستاذ أمين الله عيروض، والشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ ناجي منصور، والشيخ علي الطنطاوي.

الوظائف التي شغلها:

عين قاضيًا شرعيًّا أواخر عام ١٩٤٩م، وعمل في القضاء منذ ١٩٥٠م حتى أواخر عام ١٩٥٣م، ثم انتقل إلى المحاماة حتى تقاعد أواخر عام ٢٠٠٣م أي بعد نحو خمسين عامًا في المحاماة.

---

(١) **الشيخ عبد الله المعطي (١٢٦٦-١٣٥٣هـ):** عالم، فقيه، فرضي، ولد في حلب، تلقى العلوم عند كبار الشيوخ في عصره في حلب، شغل وقته فكان مدرسًا في الخسروية، والأسدية، توفي في حلب ودفن في مقبرة الكليباتي. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (١٤١).

(٢) **الشيخ محمد راغب الطباخ (١٢٩٣-١٣٧٠هـ):** محدث ومؤرخ، ولد في حي باب قنسرين في حلب، وعمل مدرسًا ومديرًا في الخسروية، كما تولى عددًا من المناصب العلمية والإدارية، ترك عددًا من المؤلفات مثل: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، توفي في حلب ودفن في مقبرة السنيبلة. انظر «علماء حلب في القرن الرابع عشر» (١٨٨).

وخلال المحاماة أسندت إليه وزارة الأوقاف الاسلامية في سورية عام ١٩٦٣م، ودعا إلى مؤتمر وزراء الأوقاف الاسلامية، وانتخب رئيسًا لمؤتمر وزراء الأوقاف في البلاد العربية، وأول خطاب له جاء فيه التوجيه لثروات أوقاف المسلمين لغايات الواقفين الإسلاميين وتخصيص جزء منها لنشر الإسلام في إفريقية ومكافحة الصهيونية في هذه القارة، وأيدت الدولة ذلك ولكن سرعان ما جاء كتاب من وزارة الخارجية الأميركية عن طريق السفارة السورية في واشنطن إلى وزارة الخارجية في سورية للتساؤل عن الهدف من مكافحة الصهيونية في إفريقية، وطلب إيضاحات عن ذلك، واتفق الرأي مع وزير الخارجية آنذاك بعدم الرد على الطلب، وكان وزير الخارجية عونًا له في مشاريع الخير، ويرسل له وفود الدول الإفريقية لصلة ذلك بمشروعه بإرسال عشرين بعثة إلى عشرين بلدًا إفريقيًّا لنشر الدعوة الإسلامية فيها ولتوثيق الصلة مع العالم الإسلامي.



المؤتمر العربي الأول لوزراء الأوقاف الذي كان يشرف عليه

كما هيأ مشروعًا لربط القرى والنواحي والأقضية والمحافظات السورية في خطته لإعداد كافة مساجد سورية لمكافحة الأميّة فيها.

تولى تدريس التربية في الكلية الإسلامية بحلب لمدة عامين بعد اعتزال القضاء وخلال الفترة الأولى من المحاماة، وقبل ذلك درّس في ثانوية الصنائع في حلب، وثانوية الفتاة العربية، ودرّس قواعد اللغة العربية في مدرسة ليلية في جامع العثمانية بحلب، وذلك بدءًا من عام ١٩٤٨م، وكانت للعمال المحترفين الذين يعملون في النهار، ويتفرغون للدراسة ليلًا وتم ذلك خلال فترة دراسة الحقوق في الجامعة السورية في دمشق.

تولى إدارة مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) عامين ونيف، كما درّس في المدرسة الشرعية في منبج علم الفرائض ثمانية عشر عامًا.

من دروسه في جوامع حلب:

(جامع النور في سيف الدولة) بعد عصر يوم الجمعة، وصباح يوم السبت.

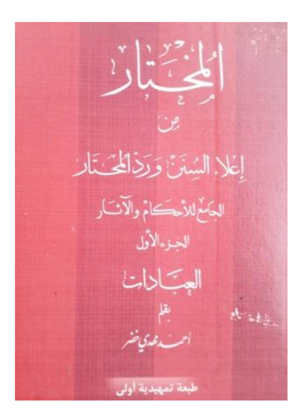
(جامع العادلية) بعد صلاة العشاء يوم الخميس.

(جامع الغفران) بعد صلاة العشاء يوم الثلاثاء.

مع دروس متفرقة كانت تقام في منزله ومنازل طلابه.

من أهم الكتب التي دَرَّسها:

(حاشية ابن عابدين) وهذا الكتاب أخذه عن شيوخه بالسند المتصل إلى مؤلفه، وقد قال لطلابه يوم أن انتهى من قراءة هذا الكتاب النفيس: اكتبوا هذه العبارة: «من ظن أنه علم فقد جهل».



وكذلك الموافقات للشاطبي، وموطأ الإمام مالك، وحياة الصحابة للكاندهلوي، ورياض الصالحين للنووي، والاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، ونسمات الأسحار شرح إفاضة الأنوار لمحمد أمين بن عمر بن عابدين، وبهجة النفوس لابن أبي جمرة الأندلسي، والأدب النبوي لمحمد عبد العزيز الشاذلي الخَوْلي، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني، ونيل الأوطار للشوكاني، والمنار في أصول الفقه الحنفي للنسفي، والأشباه والنظائر للسيوطي.

بالإضافة للمواعظ الأخلاقية العملية والرقائق.

وهكذا استمر -رحمه الله- سنين طويلةً يفيد الطالبين، وينشر العلم دون كلل ولا انقطاع حسبة لوجه الله، يمزج العلم بالتربية، كله نور ولطف وأدب.

آثاره العلمية:

- أول من صنف فهرسًا عصريًّا لحاشية ابن عابدين مقارنًا مع القانون، وطبع عام ١٣٨٢هـ..

كلمة الدكتور (أبو اليسر عابدين) ابن أخ المرحوم صاحب حاشية ابن عابدين
وأستاذ مادة الأحوال الشخصية والشريعة- سابقاً-
في كليـة الحقوق في الجـامعة السـورية بدمشق

الحمد لله الذي اختار من شاء لما شاء. وجعل العمل دليل الهداية والاصطفاء. ووفق لها بعنايته خدم شريعته الغراء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء، وعلى آله وصحبه الأتقياء الأوفياء.

وبعد، فلما كان كتاب الدر المختار أجل كتب السادة الحنفية، وحاشيته لابن عابدين حاوية لفوائد عليه وفية.

ولكن اجتناء العسل صعب بدون تقية، وكان ممن تصدى لجعل ثمارها على طرف التمام، يقتطفها الخاص والعام. ويستفيد منها المفتون والمحامون والحكام؛ صاحب السيادة أحمد مهدي الخضر جعل الله عمله من المقبول النضر.

فقد سرحت طرفي بفهرسه العصري الحسن، فوجدته صارفاً فيه أياماً من الزمن، وأن هذا العمل صعب شاق إلا لمن حاز السبق على الرفاق، وَسَبَرَ الأبواب والفصول والأوراق.

وإني بانتمائي للمرحوم سيدي العم النسبي. صاحب الحاشية ابن عابدين العصبي، والمنتسب لسيد المرسلين النبي صلّى الله عليه وسلم، أشكر السيد المذكور، وأدعو له بالتوفيق ومضاعفة الأجور، على هذا العمل الحسن المبرور، وأن ينفع الله به كما نفع بأصله، إنه سميع شكور.

دمشق ٢٥ شعبان المعظم ١٣٨٣ هـ
١١ كـانون الثاني ١٩٦٤ م

خادم العلم الشريف
الطبيب محمد أبو اليسر عابدين

- هو صاحب فكرة إنشاء الموسوعة الفقهية في الكويت التي اكتملت بفضل الله.

- صنف كتاب المختار الجامع للأحكام والآثار من كتابي رد المحتار حاشية ابن عابدين (لم يطبع).
- اختصر كتاب «إعلاء السنن» للتهانوي في أربعة مجلدات، لم يطبع.
- بالإضافة لإصداره العديد من الفتاوى.

وكان يحضر درسه عدد من المشايخ كالشيخ أحمد القلاش، والشيخ نعمان حبوش، والشيخ محمد عدنان الغشيم.

صحبته العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

قال عنه السيد النبهان: «أحمد مهدي خضر ولي المحامين».

كتب -رحمه الله- بخط يده ما يلي:

«المرحلة الهامة في حياتي منذ أن تعرفت على السيد الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه ودخلت وكيلًا عنه وعن جماعته محاميًا في محكمة أمن الدولة في دمشق ففرج الله كربهم، وكنت أتساءل عن مركز الشيخ الديني حتى رأيت في المنام أن الشيخ يقف على باب المسجد ينادي: الصلاة.. الصلاة، والناس كثيرون يمرون ولا يستجيبون، وأكرمني الله بالاستجابة فدخلت المسجد للصلاة تلبية للنداء وكان في المسجد أقل من صف واحد فدخلت معهم في الصف.

ورأيت ثانية أن السيد النبهان على طرف طاولة وأنا على طرف مقابل وعلى الطاولة رسالة سألته بالمنام عنها فقال: هي وصية الله بك، ثم سألته بعد زمن عن هذه الرؤيا فقال: نعم.. نعم، وقد أيدها وهو يعلمها وينفذها ولله الحمد، وبهذا لم يبقَ لي شكٌ أنها المنحة الالهية لي في هذه الرؤى وقد رأيت في المنام أنه يقول: أنه أفضل أهل عصره. فسألته يقظة فقال: نعم إن ذلك فضل الله. وكان يقول: أنا فضل الله».

تولى الشيخ أحمد مهدي خضر إدارة مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) وكان هو المدير الخامس فيها وجاء بعد الشيخ منير حداد، رحمه الله.

رأى في منامه حين عُرضت عليه إدارة مدرسة الكلتاوية أن السيد النبهان قدم له ثلاثة أطباق اثنان ممتلئان، والثالث نصفه ممتلئ تقريبًا، وقد تسلّم إدارة الدار عامين ونصف تقريبًا، ولم يأخذ قرشًا واحدًا من راتب الإدارة المقرر للمدير، بل تورّع حتى عن تناول شيء من طعام الطلاب في القسم الداخلي أو شرب الشاي فيها.

ولما مرت محنة السيد النبهان، وصودرت أمواله، وحجزت أراضيه الزراعية في التويم وغيرها كان الأستاذ أحمد مهدي الخضر هو من تولى مهمة الدفاع القانوني عن حقوق الشيخ في المحاكم القضائية، وكذلك كل الأمور المتعلقة بالسيد للدفاع عنها قضائيًا، ولم يكن يأخذ أجرًا على كل القضايا التي تسلّمها للسيد أو لأصحابه بل وباع سيارته ليدافع.

قال سيدنا ﵁: «المحامي لا يأخذ مني نقودًا، المحامي قال لي: والله لو كان هناك رسول بعد محمد لقلت: أنت الرسول. لأنه لم يمسك عليّ كذبًا ولا خيانةً ولا غشًا أبدًا أبدًا».

سألته عن مولده فأجاب بقوله: «ولدتُ حين أتيت إلى السيد النبهان».

وسألته عن كرامات سيدنا- ﵁ فأجاب بكلمة واحدة: كالمطر.

وذكر لي –رحمه الله- أنه كان يحب والدته حبًا عظيمًا، فمرضت مرضًا شديدًا، وكان لا يتصور أن تغيب عن نظره، فجاء إلى سيدنا يشكو أمره وحال أمه فقال له: «ما في موت، ما في موت». وكان حديث عهد عند سيدنا ﵁ فقال في نفسه: «إذا كان حقيقة ما في موت فمعنى ذلك أن الله أحياها من جديد فالله أعطى أولياءه إحياء الأموات، هذا شيخي الذي لن أنفك عنه» رجع إلى البيت فجاءتها عطسة خفيفة كما جاءت لسيدنا آدم ﵇ بعدما سرت فيه الحياة، بعد لحظات لم

يبق بها شيء، بعد سنة ونصف جاءتها الحالة ومرضت وبدأ يبحث لعله يجد فقيرًا ليعطيه صدقة تدفع عن والدته المرض فلم يجد، وأغلقت الأبواب أمامه فذهب إلى سيدنا رضي الله عنه فأخبره فقال له: «تَصبّر. تَصبّر». ولما ماتت نزل سيدنا رضي الله عنه في قبرها وأخبره أن الرسول صلى الله عليه وسلم حضر جنازتها.

لم ينتقل الأستاذ أحمد مهدي خضر إلا بعد أن تحقق ما قال السيد له: «لن تموت إلابعد أن تُطَبِّق سنة اللحية» وانتقل ملتحيًا، رحمه الله.

وفاته: توفي صباح يوم الخميس ١٨ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٨ شباط ٢٠١٣م، عن عمر يناهز التسعين عامًا، وصلّي عليه يوم الخميس بعد صلاة العصر في جامع الغفران في حلب الجديدة، ودفن في الجامع نفسه.





من اليمين: الأستاذ الدكتور محمود فجال، ثم الشيخ أحمد مهدي خضر (رحمهما الله)

رثاؤه:

رثاه صديقه الأستاذ الدكتور محمود فجال -رحمه الله- (١) فقال:

وردنا نبأ أفول نجم كان ساطعًا في سماء حلب، العالم الفقيه الحقوقي القاضي المحامي الوزير الأستاذ الشيخ أحمد مهدي الخضر، وكان وقعُ هذا الخبر الحق مؤلمًا على نفوسنا.

عرفته ذا شخصية قوية مؤثرة، ذا عزم وحزم، صادق اللهجة واسع الرؤية دقيق العبارة، له دراية كبيرة في مجتمعه، لا يُخدَع، إذا جاءه خبر لا يحكمُ بموجبه حتى يتحقق، فإذا تحقّق أعطى حكمه المتزن العادل، بلا خوف ولا وَجَل، لا يحابي ولا يُماري، ولا يتبع المطامع.

---

(١) كتبه أ. د. محمود بن يوسف فجّال، في الرياض ٢٠ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ

كان فقيدُنا وفيًّا، صادقًا، سهل المعشر، دمث الخلق، ذا دين متين، وتقوى ويقين، وكانت ترد عليه المسائل الفقهية والقانونية، فيجيب عنها بأحسن جواب، وأتقن خطاب، وبألطف عبارة، فهو من محاسن حلب الشهباء.

كان -رحمه الله- مواظبًا على السنن النبوية، والنوافل الشرعية، والتلاوة القرآنية، حسن السمت، رقيق القلب، كامل العقل، محبًّا للأولياء والصالحين، يتأسّى بهم، ويحفظ لأهل الفضل حقهم ومقدارهم، مجّيراه الحديث عن السيّد النبهان ﵁، يذكر مآثره وأحواله، وحديثه عنه حديثُ المحبّ الواله، الذي لا ينتهي إعجابه به؛ لأنه عرفه معرفة تامة، لذلك لزمه بصدق، وكان يقول بين الفينة والفينة: «ما رأت عيني مثل سيدنا النبهان ﵁».

أمّا علمه فقد حفظ في مقتبل العمر القرآن الكريم بإتقان، وكان حسن الحفظ سريع الفهم، وكان أستاذنا الفقيه الشيخ محمد الملاح[1] -رحمه الله- معجبًا به، وحدّثني مرة عنه بأنه يستظهر عن ظهر قلب (تنوير الأبصار) لشيخ الحنفية التِمرْتاشي المتوفى سنة ١٠٠٤هـ، وهو متن متين كبير في الفقه الحنفي، وفي يوم سألتُ المرحوم - وكان عندي في البيت - عن ذلك فأجابني: نعم أحفظه إلا ما يتعلّق بباب العبيد. وقد شرح الإمام الحصكفي المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ بدمشق (تنويرَ الأبصار)، وسمّاه (الدر المختار)، وجاء بعده العلامة (محمد أمين) الشهير بـ (ابن عابدين) المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ بدمشق، وعمل عليه حاشية سمّاها (رد المحتار على الدر المختار)، ثم جاء نجله (محمد علاء الدين ابن عابدين) (المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ) بدمشق فأكمل حاشية والده وسماها (قرة عيون الأخيار لتكملة رد المحتار على الدر

---

(١) الشيخ محمد الملاح (١٣٢٨هـ-١٤٠٨هـ): فقيه حنفي، ولد في مدينة حلب، تلقى العلوم في مدرسة الخسروية حتى أنهى دراسته فيها عام ١٣٥١هـ، لازم الشيخ أحمد الزرقا -رحمه الله- واختصه بقراءة حاشية ابن عابدين، كانت له دروس في الشعبانية والخسروية والعثمانية وغيرها، توفي في حلب. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٤٣١).

المختار شرح تنوير الأبصار) ثم جاء فقيدنا العلامة الخضر فعكف على هذه الكتب ودرّسها وعمل فهرسًا لحاشية ابن عابدين نحو دائرة معارف الفقه الإسلامي، طبعت في المطبعة السورية بحلب ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م، لم يسبق لها مثيل، بل كان لها شهرة واسعة، وقد أثنى عليها كبار العلماء أمثال الشيخ مصطفى الزرقا والدكتور معروف الدواليبي وغيرهما، ثم عُني فقيدنا الحبيب -رحمه الله- بكتاب (إعلاء السنن) للعلامة الفقيه الحنفي ظَفَر أحمد العثماني التهانوي، وهو كتاب في الفقه الحنفي، عني فيه بالأدلة من القرآن والحديث والآثار، وأحسن طبعات هذا الكتاب الذي بلغ عدد أجزائه عشرين جزءًا مع الفهارس، طبع في كراتشي، ثم جاء فقيدنا الغالي -رحمه الله- بعد الدرس والتمحيص والتدقيق فنخل حاشية ابن عابدين وإعلاء السنن وألف كتابه الرصين المحكم المسمى بـ(المختار من إعلاء السنن ورد المحتار جمع للأحكام والآثار) في أربعة مجلدات كبار، وقد تفضّل المرحوم بإهدائي نسخة منها، وانتفعتُ بها بحمد الله.

وقد درّس العلامة المرحوم كتبًا كثيرة، بالإضافة إلى حاشية ابن عابدين:

١- حاشية نسمات الأسحار على شرح إفاضة الأنوار على المنار لابن عابدين.
٢- شرح الموطأ للزرقاني.
٣- الموافقات للشاطبي.
٤- بهجة النفوس لابن أبي جمرة.
٥- الأشباه والنظائر للسيوطي.
٦- الاختيار في تعليل المختار للموصلي. وغيرها.

وكان -رحمه الله- كثير المطالعة، لا يضيع وقته في غير فائدة، زرته مرة في بيته بعد العشاء فحدثني عن كتاب أهدي له من مؤلفه من المدينة المنورة في شرح صحيح مسلم، وعدد أجزائه أكثر من ثلاثين جزءًا، بأنه أوشك على قراءته، وهو مسرور بهذا الشرح كثيرًا.

وكان -رحمه الله- له نشاط الشباب، وهمة الرجال الأشداء في النهل من العلم، وحبّ التعليم مع بلوغه عمرًا كبيرًا، فكان منهمكًا في بث العلم، يحضر مجلسه صفوةٌ من العلماء والنبهاء والفطناء، وقد فازوا منه بأوفر نصيب، وكان عالمًا محققًا مدققًا غواصًا في المسائل كثير التبحر ملئ علمًا وفهما وذوقًا، كان له جَلَدٌ في نشر العلم، وبخاصة علم الفقه. وله تحليلات حسنة في علم العربية. وما زال مجدًّا في نشر العلم حتى أصبح يشار إليه بالبنان في حلب مدينة العلم والعرفان، وقد وهب حياته لخدمة الناس، وكان يحب الكمال ومعالي الأمور وتأبى نفسه الدنايا.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنان الخلد في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء.

أتقدّم بالتعازي لأخي الحبيب المهندس الأستاذ نبيل وكل أسرة الفقيد والأستاذ الدكتور بكري الشيخ أمين، والأستاذ المهندس عبد القادر الدبّاس، وكل أحباب الأستاذ وطلابه وأهالي حلب قاطبة.

سلام عليك في الأولين والآخرين، يا حبيبي يا عيني، يا درة الفقهاء، يا مفخرة حلب، ويا كوكب الشهباء، إنا لله وإنا إليه راجعون، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ورثاه الشيخ الدكتور عثمان عمر المحمد[١] فقال:

بمزيد من الأسى والحزن والتسليم لقضاء الله وقدره تلقينا نبأ وفاة علامة حلب وفقيهها الأستاذ الوزير المحامي أحمد مهدي خضر أبو حنيفة الصغير، كان إحسانًا يمشي على الأرض، ذاكرًا لله، متواضعًا غاية التواضع، يمشي في قضاء

---

(١) الشيخ الدكتور عثمان عمر المحمد(١٣٧٥هـ/١٩٥٦م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

حاجة الأرملة والمسكين، يساعد الفقراء والمساكين، له مجالس علم يحضرها كبار العلماء، حضرت له درسًا في الحديث وكان من الحضور العلامة الشيخ أحمد القلاش كما كان يقرأ بين يديه الأستاذ الدكتور بكري الشيخ أمين، أسس دار الأرقم بن أبي الأرقم في مدينة منبج، ودرس فيها سنين طوال، ولم يأخذ مقابل تدريسه بل كان يدفع من ماله كما عمل مديرًا لدار نهضة العلوم الشرعية من غير مقابل، زاهدًا في الدنيا، محبًا للأولياء والصالحين فانيًا بحبه لسيدنا النبهان.

سألناه عن مواليده فكانت إجابة المرحوم الأستاذ أحمد مهدي الخضر: «ولادتي عام تعرفي على سيدنا النبهان».

الجلوس معه يذكرك بالله ويربطك به بالحكم ينطق، إذا استمعت لحديثه أحسست أنك أمام جبل من علم، كثير التفكر لا يتكلم إلا بحكمة أو حكم فقهي أو موعظة حسنة.

طبت حيًّا وميتًا عَمَّنا وأستاذَنا أبا نبيل.

اليوم يوم لقائك للأحباب الذين سبقوك إلى الجنة فأقرئهم منا السلام، واذكرنا عندهم.

نسأل الله أن يجعلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لديّ .
- الأستاذ أحمد مهدي خضر-رحمه الله- لقاء مباشر معه في بيته بصحبة الدكتور عثمان العمر والشيخ عبد المنعم سالم بتاريخ ٨ حزيران ٢٠١٠م.
- ولده المهندس نبيل، مراسلةً كتابيةً.
- الشيخ الدكتور محمود حوت، مراسلة كتابية.

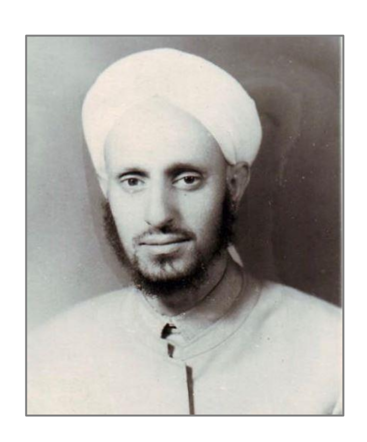
ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

الشيخ أحمد مهدي خضر يتحدث عن قصة والدته و السيد النبهان.	

(١١) الشيخ أيوب الفياض

١٣٦٣ – ١٣٩٤هـ/ ١٩٤٤ – ١٩٧٤م



المحب الذاتي الصادق، مؤسس مدرسة الأحمدية، الشيخ أيوب بن محمد بن عبد الله الفياض الكبيسي.

ولد في ناحية كبيسة في العراق في العام الذي هاجر فيه والده من كبيسة إلى الفلوجة ١٩٤٤م، في أسرة آل الفيّاض الشهيرة بالكرم والصلاح نما غصنه وزها، حتى إذا أكمل دراسته الابتدائية أرسله والده إلى الآصفيّة الشرعيّة.

تميز بهمّة عالية ومكانة راقية، وتفوق بالعلم والأدب، وتمكّن لفترة أن يجمع بين طلب العلم والتجارة، ثمّ تجرد للعلم، وتشرف بالتعرف على السيد النبهان رضي الله عنه فما أن حطّ رحاله عنده حتى توجه بكليته ليسبق بصدقه الكثير ممن وفدوا قبله على حلب، وتفضّل عليه رضي الله عنه بتربية خاصّة وعناية قلّما تجدها على غيره.

وبعد أن أكمل الثاني عشر في آصفية الفلوجة عزفت نفسه عن تسلسل الشهادات التي درج عليها الطلبة في الماجستير والدكتوراه، لكنه لم يتوقف عن الاستزادة في طلب العلم في حلقة أقرانه.

وفي عام ١٩٦٩م وبإشارة من سيدنا محمد النبهان رضي الله عنه تمكن من تأسيس المدرسة الأحمديّة الشرعية في الخالدية الكائنة بين الفلوجة والرمادي، حتى

أصبحت المدرسة بمديرها الشيخ أيّوب وإخوانه المدرّسين بشهادة سيدنا ﵁: «مدرسة الخالديّة قبل الكل وأحسن، مدرسة الخالديّة قطعة من الكلتاوية».

والشيخ أيوب -رحمه الله- كان مبتلًى بطفح واحمرار في وجهه، فوضع سيدنا ﵁ يده عليه فبرئ.

واتفق مع عشرة من أصحابه في الفلوجة على قيام الليل، وربما أمضى الليل كله يتجول بسيارته مع بعضهم يذكر الله تعالى وينشد ويتضرع، فعجيبٌ أمره، فهو بحق عاشق، حتى أصبح سيدنا النبهان ﵁ يقول عنه: «أيوب نحن نشتغل له، أيوب ظلي، أيوب لا فرق بيني وبينه».

وامتحنه ﵁ بأمر بالسفر من حلب دون أن يسمح له بتوديعه، فارتقى أيوب -رحمه الله- سطح المسجد وهمّ أن يلقي بنفسه! لولا أن تداركه ﵁ وأجلسه عنده، ثم ودّعه.

وهو -رحمه الله-يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، وصادق صريح لا يحيد عن الصراط، ملازم لحالة واحدة يترقى فيها، لا نعرف عنه كبيرة أو صغيرة، ولا يأكل من رواتب الأوقاف، بل يدفع مرتبه إلى أحد المدرسين معه، ومع أنه من عائلة معروفة بالغنى أصبح مدينًا بسبب ما ينفقه على طلبة العلم والمحتاجين.

وأخذ الذهب من أهل بيته ومحارمه وصرفه على المدرسة وتلاميذها.

وعمل جردًا بالأسر الفقيرة في الخالدية، وأجرى تخصيصات نقدية وعينية شهرية، فالفاكهة على سبيل المثال في أول أوانها لا تدخل بيته قبل أن تدخل بيوت أولئك المحتاجين، وقلما تجد مثل هذا العمل في زماننا.

فتلك هي كلمات مختصرة عن حياته، رحمه الله.

حتى إذا جاء اليوم الّذي توفي فيه سيدنا النبهان ﷺ سافر -رحمه الله تعالى- في اليوم التالي (الأحد ٢٥ آب ١٩٧٤م) بصحبة الشيخ عايش جروان الكبيسي[١]، والشيخ حامد صخي، ثم لحق بهم الشيخ هشام في اليوم التالي بالطائرة.

يتابع الشيخ هشام حديثه عن ذلك فيقول: لم يبق لنا من أمل في هذه الدنيا الفانية إلّا اللحوق بسيدنا النبهان ﷺ وكنا في الكلتاوية جنبًا إلى جنب، وهو يتنهّد بحسرة ويردد على سمعي من حين لآخر: الدنيا قصيرة وإن طالت يا أخي يا هشام.

وحوالي الثانية والنصف من بعد ظهر الثلاثاء (٢٦ آب ١٩٧٤م) ونحن في غرفة الضيافة أخذتني سِنَة من النوم فرأيت: وإذا نحن بسيارة مع سيدنا ﷺ باتجاه مدينة حماة، فأخطأ السائق سيره فظننت أن ضابط المرور سيستوقفنا ويجعلها مخالفة، فقال ﷺ: كأنها ليست مخالفة! وفهمت أن الصورة صورة مخالفة لكنها الحقيقة ليست مخالفة، ثم انتبهت.

وانتهت تلك الليلة الثالثة بحفل تأبينه ﷺ، حتى إذا تفرق الجمع بعد الحادية عشر ليلًا توسد الشيخ أيوب في النعش الّذي حمل فيه سيدنا ﷺ وأخذ يتضرع ويقسم على الله -تعالى- ويتوسل بالسيدة فاطمة الزهراء البتول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن يلحقه بمن يحب!

وأسرّني -رحمه الله تعالى- قبلها: إذا كنتَ ترغب بالعودة معنا إلى العراق فعليك أن تتهيأ قبل الفجر بساعة.

وحان الموعد الّذي اتفقنا عليه، فدخلنا حضرة سيدنا ﷺ، فألحّ بالدعاء والطلب باللحوق به.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٢٣).

ثم انطلقنا من الكلتاوية هو وأنا والشيخ حامد صخي، فسألني: أنتجه إلى دير الزور أم الشام؟

قلت: دير الزور أقرب. قال: بل عن طريق الشام.

قلت: خير المرافقة الموافقة.

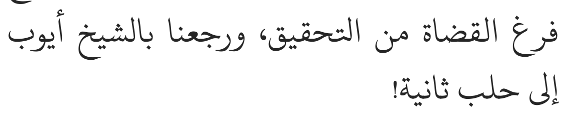
وفي الطريق أذّنت مساجد حلب لصلاة الفجر، فدخلنا جامع سيف الدولة الحمداني، واقتدينا بالشيخ أيوب دون أن يلحق بنا غيرنا، صلينا وخرجنا بسيارته، وأنا معه في صدرها والشيخ حامد صخي من خلفنا، حتى إذا صرنا قريبًا من منطقة خان السِّبِلْ مسافة تزيد عن ستين كيلو مترًا من حلب، طلب الشيخ أيوب من الشيخ حامد تلاوة شيء من القرآن الكريم، فاعتذر، فقرأ آيات من سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا..﴾ (الزمر٧٣).

وما هي إلاّ لحظات حتى أخذت السيارة من يد الشيخ أيوب يسارًا، وإذا بنا وجهًا لوجه مع عربة والسرعة على المئة، فقلت: لا.. لا يا شيخ أيوب، فانتبه، ولاذ يمينًا دون أن يتمكن من الخلاص من حادث اصطدام بجرار زراعي صعقه بعجلته الخلفية، فانقلبت سيارتنا، وتخلخلت نوافذها، فخرجت وأخذت بيد الشيخ أيوب فقال: يا أخي هشام جرّني جرّني، وتمكن الشيخ حامد من الخروج من نافذة أخرى! مسكت بالشيخ أيوب ورفعته بكلتا يديّ فإذا به لا ينفع نفسه، كسرٌ في يده اليسرى، وآخر فوق الركبة اليمنى، فاحتضنته ووقفت فجاءتنا سيارة يقودها ضابط برتبة رائد، فحملنا إلى حماة حيث كانت أقرب إلينا من حلب، ولم يكن غيره في الشارع وقتئذٍ.

وفي طريقنا إلى حماة تذكرت الرؤيا التي رأيتها في الكلتاوية وقول سيدنا رضي الله عنه: كأنها ليست مخالفة، فضممت الشيخ أيوب إلى صدري أمسح ما به من دم بعمامتي! وهو يقول لي: يا أخي يا هشام خلصتْ أم بعد؟ أي هل انتهت الحياة أم لا! فلم يضعف طلبه باللحوق.

وحين وصلنا حماة حملناه بمحمل ودخلنا المستشفى الأهلي وهو يصرخ أوكسجين محمد، أوكسجين محمد، أوكسجين محمد ﷺ فاتصلت بحلب وأخبرتهم بالحادث، ولم تمض أكثر من ساعة حتى فارق الحياة مبتسمًا، فقبّلته ستًّا واتصلت بحلب ثانية وأعلمتهم بالوفاة.

أصيب الشيخ حامد صخي بكسر في الترقوة، أما أنا فبفطر في الجمجمة، وبعد ساعة وصلت نجدة من الكلتاوية في سيارتين بجمع من أصحاب سيدنا رضي الله عنه، إذ ذاك



فرِغ القضاة من التحقيق، ورجعنا بالشيخ أيوب إلى حلب ثانية!



وفي الكلتاوية تم تغسيله وتنشيفه بالمناشف التي نشف بها جسد سيدنا رضي الله عنه ثم جيء به إلى الفلوجة بصحبة وفد من حلب، ودفن في مقبرة الفلوجة الإسلامية بجوار والده الحاج محمد الفياض، رحمهم الله تعالى، ورحمنا بهم آمين[1].

وكتب لي في رثائه صديقه الوفي الشيخ حامد صخي فقال:

(مع الشهيد الشيخ أيوب الفياض)

إذا القومُ قالوا مَن فَتًى؟ خِلتُ أنّني عُنِيتُ فلمْ أكسَلْ ولم أتبَلّدِ

مع فَتَى الفُتُوّة، الرجل الذي آتَاهُ الله عِلْمًا وحِلْمًا ومالًا وكرمًا وأدَبًا وفَهْمًا، مع شهيد الحُبّ ومحبوب الحضرةِ، مع المُحب الذاتي الصدّيق أبي عبد الحليم الشيخ أيوب الحاج محمد الفياض، رحمه الله.

---

(١) انتهى ما كتبه صديقه الشيخ هشام الألوسي. انظر كتاب «السيد النبهان» (٣٣٩:١)

شخصيّة تُسابق الشجاعة والكرم، وجهٌ نبهاني ترى في جلالة قدره أنوارَ شيخه وسيّدِه.

ووجهٌ كأنَّ الشمس ألقت رداءها عليه، نَقِيّ اللّونِ، لم يتخدّدِ

لأنّه تَوَشّحَ برداءِ الكمالات ترعاهُ يدُ العناية النبهانيّة، فاختاره اللهُ تعالى ليكون مظهرًا من مظاهر سيدنا محمد النبهان -قُدّسَ سِرّه- وخادمًا لَهُ في الدنيا والآخرة وهذا جُلُّ ما تَمّناه، فعجيبٌ أمره، فهو بحق عاشق، حتى أصبح سيدنا النبهان رضي الله عنه يقول عنه: «أيوب نحن نشتغل له، أيوب ظلي، أيوب لا فرق بيني وبينه».

هو صادقٌ في كلّ شيء، كلّ أقرانِهِ يتَطَلّعون إلى صحبته والاستفادة من عُلّو همتِهِ.

تمسّكْ إن ظفِرتَ بذيلِ حُرِّ فإنَّ الحرَّ في الدنيا قليلُ

للشيخ أيوب -رحمه الله- حضور مُؤثِر، قويّ الشخصيّة، قريب للقلوب، كنّا نتمنى مجالسته والاستماع اليه، ذو هيبة من قُوّة رابطته بسيّدنا الكريم رضي الله عنه.

كان -رحمه الله- في مقام «الخلوة في الجلوة» يُخالط الطلاب والنّاس، ويسعى بخدمتهم، ولكنّ قلبه مربوط بسيده، يَتَمثّلُ كثيرًا بقول شهيدة العشق الإلهي السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدِّثِي وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَالْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي في الفؤاد أَنِيسي

أذْكُرُ يومًا ذهبنا إلى عشيرة الجنابيين في قضاء المسيّب لدعوة أبنائهم لدراسة العلم، ركبنا سيارة أجرة من بغداد وكنّا أربعة فَلَمّا تحركت السيارة فتح السائق أغنية من رادّ «المذياع» فطلب أحدُ إخواننا من السائق أن يغلق الموسيقى فقال له

الشيخ أيوب: والله لو لم تنبهنا لم أسمع شيئًا «المشغول لا يُشْغَل» لأنّه كان مشغولًا بالصلاة على النبي ﷺ، وأكثر الصيغ ملازمة لها: اللّٰهُمَّ صَلِّ على سيّدنا محمد عبدك ونبيّك وَرَسُولِكَ وحبيبك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وَسلّم.

كنتُ معه يومًا بسيارته وهو يقودها من الخالدية إلى الفلوجة وهو يلازم الصلاة على النبي ﷺ بالصيغة نفسها قال لي: «أتدري لِمَ اشتريتُ السيارة؟ لأنّها عزلة لوحدي لا أتقيّد بأحدٍ ولا أسمع أو أستمع لَغَطَ الآخرين».

ولقدْ خلوتُ معَ الحبيبِ وبيننا سِرٌّ أَرَقّ مِنَ النّسيمِ إذا سرَى

كان من جميل خصال الشيخ أيوب خدمة الناس والعناية بهم وبالأخصّ إخواننا وكلّ من انتمى إلى الكلتاوية، يحكي سيرة سيدنا شيخ الشيوخ شعيب أبو مدين رضي الله عنه بقوله:

وبالتَّفَقّي عَلى الإخوان جُدْ أبدًا حِسًا ومَعنىً وغُضّ الطّرفَ إن عَثَرَا

يشهدُ بذلك قيامه بخدمة شيخه بالعلم فضيلة العلامة الشيخ عبدالعزيز سالم السامرائي -رحمه الله- ومرافقته إلى لندن للعلاج؛ لأن سيدنا محمد النبهان قُدّسَ سِرّه العزيز أَمَرَهُ بذلك، ولمّا عادوا إلى الفلوجة كان يشرف بنفسه على علاجه، رأيتُهُ يغسل رجله ثم يُداويها بلا تكلّف؛ لأنّه ينفّذ أمرَ المرجع العارف بالله.

كنتُ يوم جمعة عام ١٩٧٠م داخل حرم جامع الفلوجة الكبير أقرأ سورة الكهف فأُغْمي عليّ بسبب هبوط حاد في ضغط الدم، حملوني إلى حجرتي وإذ به يُحْضر الطبيب ويأتي بالبرتقال، ويوصي بعصيرها لي، جاء بكميات كبيرة ويقول: البرتقال يصفي الدم وعصيره يزيل الحمى، بقي يتابع ويسأل إلى أنْ اطمأن على صحتي، علمًا بأنّي في ذلك الوقت كنت معه كبقية الإخوة في المدرسة الآصفية، هو يصنع هذا مع الجميع دون تكلّف أو غَرَضٍ، وهذا شأن الصادقين الذاتيين.

كان عمري حينها ستة عشر عامًا وهو يكبرني بعشرة أعوام، وجاءت الأقدار ليكون خالَ أولادي صهرًا نسيبًا وأخًا حبيبًا.

لله درّه! ما أبَرّه! جزاه الله خير الجزاء وأتَمّه.

في أواخر شهر ذي القعدة عام ١٣٧٢هـ كنتُ في حجرتي في جامع الفلوجة الكبير، وإذا بالأخ الحاج محمود رْحَيّم يأتيني ضحًى على غير عادته وهو في حالة جذب وهيام فقال لي: يا الله نذهب إلى أخينا الحاج سليمان، وهو من إخواننا المحبين وله حضور مع سيدنا الكريم، كان يسكن في قرية تبعد مسافة ١٠ كيلومتر تقريبًا عن الفلوجة، خرجنا مشيًا أنا وإيّاه ومعنا الحاج رشيد مشعان[1] والشيخ محمود علي داود البعقوبي، والحاج ثابت حمدان نذكر الله كأننا في حلقة ذكر، والأخ الحاج رشيد ينادي سيدنا بندائه المشهور «يا سْنَايْدِي يا سْنَايْدِي»، والحاج محمود رْحَيّم يُجيبه هاه هاه يالله حَرّكْ قلبَكْ، وَيُنْشد بصوته الشجي:

أَبدًا تَحِنُّ إِلَيكُمُ الأَرواحُ وَوِصالُكُم رَيحانُها وَالراحُ

إلى آخر القصيدة[2].

مَنْ يرانا يقول: مجانين، وصلنا إلى بيت الحاج سليمان، فوجدناه عند ماكينة الماء التي تسقي زرعه، وصوتها يُدّوي فقال الحاج ثابت حمدان، رحمه الله: هذه الماكينة دَوّيها مثل نبضات قلبي تقول: الله الله، وأخذه الحالُ وعندها بدأنا نردّد معه: الله الله الله، حلقة ذكر مع ماكينة الماء، ثم انطلقنا إلى الخالدية، والمسافة أبعد لأن الطريق من الفلوجة إلى الخالدية أكثر من ٢٠ عشرين كم، مشيناها وقد طُويت المسافات، دخلنا على الشيخ أيوب في المدرسة الأحمدية على هذه الحالة

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (١٧).

(٢) من قصيدة ليحي بن حبش شهاب الدين أبو الفتوح السهروردي. انظر «معجم الأدباء» (٢٨٠٦:٦).

فَرّحَبَ بنا ثم هامَ يشاركنا ما عليه من حال، عُدْنَا سويًا بسيارته إلى الفلوجة فلما وصلنا بيته قال: تعالوا معي ادخلوا وبقينا إلى صلاة الفجر في ذكرٍ ومذاكرةٍ ومن يومها تواصلت النفحات كلّ ليلةٍ حتى مطلع الفجر.

دخلنا على سيدنا النبهان رضي الله عنه قبيل وفاته بأيام لنودعه عائدين إلى العراق، فوجدناه في باحة بيته المبارك جالسًا، فأقبلنا نقبله العبد الفقير حامد صخي، والشيخ أيوب الفياض، ومعنا الأخ محمود علي داود البعقوبي من مدينة بعقوبة في العراق، وإذا بسيدنا يعطي لكل واحد منا قطعة من ملابسه، فأعطاني طاقيته التي يلف عليها العمامة، وللشيخ أيوب قماش العمامة، وكذلك لأخينا الشيخ محمود وأعطانا قطعًا أخرى، فلما ودعناه قال الشيخ أيوب -رحمه الله- «هذه رقعة القوم» تفاءل بها كثيرًا ولم نكن نعلم أنها الوداع.

حدّثني الشيخ أيوب محمّد الفياض -رحمه الله- قال: شاركت مع سيّدنا رضي الله عنه وطلبة مدرسة الكلتاوية وأساتذتها وخدم الجامع والمدرسة في إزالة الثلج المتراكم في الساحة وطول الطريق النازل من الكلتاوية إلى (قبو النجارين) واستغرق الأمر ساعات.

تشرفت بزيارة سيدنا رضي الله عنه عام وفاته ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م مرتين بمعية الشيخ أيوب الفياض -رحمه الله-، كانت الثانية قبل انتقاله بأيام، وأنشد الشيخ أيوب في حضرته يوم الجمعة قصيدة من نظم الأخ السيد هشام الألوسي، فأبكى الجميع، وكان يومًا مشهودًا في الكلتاوية، وكأنها أيام الوداع وتكلم سيدنا في تلك الحلقة عند الرابطة الشريفة بكلام غريب لم نفهمه كأنه من العالم الآخر وهو مسجل، ثم نادى سيدنا بأعلى صوته: استعجل استعجل، وكأنه ينادي شخصًا لا نراه، ثم شد الرحال الأخ الشيخ هشام إلى الكلتاوية، وأنشد بحضرته قصيدته:

غيورٌ عليك يا حلبُ غيور　　بنار الشَّوْقِ مُلْتَهِبٌ أَدُور

حقًا إنها كانت أيام وداع لأن سيدنا كان يلمح بإشارات لانتقاله لكن من غلبة تعلقنا به لم يخطر لنا هذا اليوم، أذكر لسيدنا موعد مع طبيب الاسنان في باب الفرج ليقلع آخر أسنانه فقال: لا أحد يروح معي إلا الشيخ أيوب، أيوب وحده، وكأنه إشارة أن أول من يلحق بسيدنا هو الشيخ أيوب وقد حصل ذلك بعد ثلاثة أيام، أتذكر اتفق معي الشيخ أيوب وقال لي: إن السيد منع أي أحد يروح معه لطبيب الأسنان إلا أنا، وأنا أريدك معنا، فاذهب وانتظر على الشارع، وكأننا نعمل حيلة، فجاء سيدنا بسيارة الشيخ أيوب، فلما رآني سيدنا ابتسم وقال: اركب. والتفت إلى الشيخ أيوب مبتسمًا كأنه يقول له: هذا من ترتيبك، وصلنا عيادة الدكتور وقال الطبيب للسيد: سيدي! والله حرام نقلعها قوية فقال سيدنا بشدة: يا الله اقلعها خلصنا، ووضع الطبيب أسنان سيدنا في علبة وأعطانا إياها، فقال سيدنا للشيخ أيوب: خذوها لكم، وبقيت عندي فضلًا وبركة، وقال سيدنا في جمع من إخواننا بعد أن تم قلع جميع أسنانه وهو يشير إليها: خلصت خلصنا منها وكأنها إشارة إلى سنوات العمر وانتهاء الأجل، هذا ما فهمناه بعدئذ.

وهنا أذكر موقفًا لذلك الطبيب الذي نسيت اسمه لم يقبل أخذ أجرة أبدًا، فألح الشيخ أيوب كثيرًا لكن الطبيب لم يأخذ شيئًا، فقال سيدنا: لا أنساها له، وكررها سيدنا ونحن في الطريق عدة مرات، وأذكر طلب الطبيب من الشيخ أيوب يساعده فيضرب بالمطرقة على أسنان سيدنا وكنت أُناولهم المناديل، وفي اليوم الثاني كان سيدنا مدعوًا عند أحد إخواننا فقال للشيخ أيوب: كيف تضرب بالمطرقة على أسناني؟! قالها سيدنا مازحًا وحبًا، فقال الحاج إسماعيل الفياض: أيوب ضيعت كل شيء، فرد عليه سيدنا: لا؛ أيوب حصّل كل شيء.

دعاهُ سيّدُنا مرة إلى بيته المبارك للغداء بعد صلاة العصر، مائدة فيها عدة أنواع من الطعام من طبخ البيت يظهر من خلالها الإكرامُ والاهتمام، وكنتُ بمعيته فضلًا ولكن كانَ هو المقصود، جلسنا في غرفةٍ على سطح البيت المبارك كانت مخصّصَة لأبي فاروق السيد أحمد ابن سيدنا، أكملنا الغداء وذهبنا نغسّلُ

أيدينا وإذا بالشيخ أيوب ينتبه إلى كَسْرٍ في المغسلة فطلبَ من سيدنا إصلاحها فوافقَ ﷺ وقال: «إيش يريد أيوب يعمل خَلُّوه» وكأنّه من أهل البيت.

كانَ الشيخ أيوب -رحمه الله- يقول لي: الخلقُ عيالُ الله فعلى مَنْ أتكّبر؟ واللهِ أريد أن أُقبّل يد الفقير والحمّال وكلّ البشر.

وهنا أذكر –والحديث ما زال للشيخ حامد-موقفه يوم رحيل سيدنا ﷺ إلى ذلك العالم الآخر بالنسبة لنا وإلا فجميع العوالم عند العارف بالله واحدة، كنت أنا والشيخ أيوب والشيخ عايش جروان قد سمعنا كمن سمع لكن الشيخ أيوب ذهل ولم يصدق الخبر، وجاء لأخيه الشيخ خليل يسأله فقال: نعم. تعال ادخل البيت خوفًا عليه وقال لي وللحاج عايش: يا الله روحوا لبيوتكم، لكن الشيخ أيوب ركب سيارته، ورافقناه، وتوجهنا لحلب، ولما دخلنا الكلتاوية فجر الاثنين وجدنا السيد الكريم في حجرته الشريفة قد واروه الثرى فقال الشيخ أيوب: «كيف طابت قلوبكم أن تحثو التراب على حبيبي» وهو يبكي ثم أنشد متمثلًا بالسيدة فاطمة البتول ﷺ(١):

ماذا على مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أحمدَ ... أن لا يَشمَّ مدى الزمان غواليا
صُبَّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنها ... صُبَّتْ على الأيامِ عُدْنَ لياليا

حقًّا يقينًا كانت كلمات الهائم الذي فقد قلبه ويبحث عن ذاته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة ١١٩).

ويوم الأربعاء ١٠ شعبان ١٣٩٤هـالموافق ٢٨ آب ١٩٧٤م هو يومُ وفاة الشيخ أيوب -رحمه الله- بعد أربعة أيام من انتقال سيدنا النبهان فكانَ أوّل الاحبّة لحوقًا بالسيد الحبيب، توفي في حماة وتَمَّ نقلُهُ إلى الكلتاوية، وغُسّلَ بنفسِ المكان والأدوات

(١) صحيح البخاري «كتاب الجنائز - باب مرض رسول الله ﷺ». (٦: ١٥) برقم (٤٤٦٢).

التي غُسّلَ بها سيدُنا، وهي خصوصية للشيخ أيوب، وزُفَّ من الكلتاوية إلى الفلوجة يرافقه وفدٌ كبيرٌ كريمٌ منهم: الشيخ بشير حداد، والحاج فوزي شمسي، والحاج جاسم الفياض رحمهم الله، بقيتُ في الكلتاويةِ لوجودِ كسرٍ عندي من أثر الحادث، وشهدتُ أوّلَ حلقة ذكرٍ بعد سيدنا أقامها فضيلة الدكتور الشيخ محمد فاروق النبهان -أطالَ الله بعمره- وهو يرتدي عباءة وعمامة جده سيدنا محمد النبهان، كان الحزنُ كبيرًا، وكأنّنا فقدنا قلوبَنا.

عدتُ إلى العراق يوم السبت وكان مُصابي مُضاعفًا فقدتُ المرجع الطبيب الذي نشكو لهُ آلامَنا ونطلب منه آمالَنا، وأيضًا فقدتُ الأخ القريب الذي لم أفارقْهُ يومًا، حدّثني قبيل وفاتِه فقال: الدنيا ليست طويلة وإن طالت فغدًا أرجع الى الفلوجة فأعتزل الناس، وأغلق داري إلى أن ألحقَ بسيدي. كلمات يُسلي بها نفسَه فأرادَ اللّهُ لهُ خيرًا ممّا تمنّاه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد ٢١). داومتُ بفضلِ الله على زيارتِهِ يوميًا والحديثَ معَهُ.

رحم اللّهُ الشيخ أيوب الذي كان دائمًا ينشدُ هذه الأبيات يهيم بها ويُطربنا وهي تُحاكي حالة الحب والصدق الذي كان عليها:

فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيدًا، فَمُتْ بِهِ[١] شَهيدًا، وإلاّ فالغرامُ لَهُ أهْلُ
فَمَنْ لم يَمُتْ في حبّهِ لم يَعِشْ بِهِ ودونَ اجتِناءِ النّحلِ ما جَنَتِ النّحلُ
أحبة قلبي والمحبَّةُ شافعي لَديكم، إذا شِئتُمْ بها اتّصَل الحبلُ
عسَى عَطفَةٌ منكُمْ عَليّ بنَظرَةٍ فقدْ تعبتْ بيني وبينكمُ الرُّسْل
أخذتمْ فؤادي وهوَ بعضي فما الَّذي يَضَرّكُمُ لو كانَ عِندَكَمُ الكُلّ
وقدْ علموا أنِّي قتيلُ لحاظها فإنَّ لها في كلِّ جارحةٍ نصلُ

---

(١) من تأليف سلطان العاشقين سيدنا عمر بن الفارض -رحمه الله- من قصيدة: هو الحب فاسلم بالحشا ماالهوى سهل. «ديوان ابن الفارض» (٩٣).

حَديثي قَديمٌ في هواها، وما لَهُ كما علمتْ بعدٌ وليسَ لها قبلُ
ولي همَّةٌ تعلو إذا ما ذكرتُها وروحٌ بذِكراها، إذا رَخُصَتْ، تغلُو
فهمْ نصبَ عيني ظاهرًا حيثما سروا وهمْ في فؤادي باطنًا أينما حَلُّوا.

اللّهُمَّ ببركاتهم اكتبنا في ديوان سيدنا محمد النبهان من المقبولين، آمين.[١]

وكتب لي الدكتور حامد فرحان: أثناء تشريف سيدنا رضي الله عنه للعراق بزيارته الثانية وفي بيت الشيخ أيوب محمد الفياض-رحمه الله تعالى- وكان الوقت ضحى جلس سيدنا رضي الله عنه ومعه ثلاثة من إخواننا الحلبيين وأنا الفقير وكان أحد الحلبيين ولا أعرف اسمه طلب من سيدنا أن نكون معه في الجنة كهذه الجلسة فقال: أنتم معي، فكاد من حضر أن يطير فرحًا.

سلام عليك يا أيها المحب الفاني، وسلام عليك أيها العاشق الملوع، رحمك الله، آنسك الله.

مصادر الترجمة:

- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (٢:٣٣٩).
- صديقه الشيخ حامد صخي، مراسلةً كتابيةً.
- الدكتور حامد فرحان، مراسلةً كتابيةً.

ملفات مسموعة:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

نشيد الشيخ أيوب وحامد الصخي أمام السيد النبهان في ذكر الكلتاوية.



(١) انتهى ما كتبه صديقه الشيخ حامد صخي.

(١٢) الشيخ جاسم الفياض

١٣٤٣ – ١٤٠٤هـ/ ١٩٢٥ – ١٩٨٢م



التاجر التقي، والدال الناصح الحاج جاسم بن محمد بن عبد الله الفياض.

ولد عام ١٩٢٥ م في مدينة كبيسة بالعراق، بمحافظة الأنبار.

نشأ في بيت تُقى وصلاح، فأبوه هو الحاج محمد الفياض، الذي قال عنه سيدنا محمد النبهان ﷺ: «الحاج محمد الفياض دَلّال ناصح» «نريد له المعرفة وسيدخل في المعرفة ولا يموت حتى يكمل». وهذه البشارة كُتِبَتْ للحاج محمد في دفتر له قد خَصّه لكلّ مهم في سَيْره وسلوكه، ومنها الأشعار التي يتغّنى بها والحِكَم والبشارات، وبالأخص التي تَرِده من سيدنا الذي أخذ قلبه ولم يلتفت لغيره.

الحاج جاسم هو الابن الأكبر لوالده الولي الشيخ محمد الفياض، رحمه الله.

كان للحاج محمد الفياض وأولاده مكانة خاصة عند سيدنا ﷺ، فقد جاء في تسجيل لسيدنا وهو يقول للحاج جاسم -رحمه الله-: «حاج جاسم الله بعث لكم أباكم رحمة فيكم، رحمة لكم، أولاده أولاد ما شاء الله، الحمد لله رب العالمين، أنا راض عن أولاده كلّهم، كلُّهم ما شاء الله عليهم، الله يجزيهم، الله يتولاهم، مليحين والله مليحين، أنا قلبي ذراتي أحب أخدمهم، أخدمهم أكثر من أولادي بكثير».

الحاج جاسم أشبه إخوته بوالده خَلْقًا وخُلُقًا، كان -رحمه الله- مُهابًا ذا شخصية مؤثرة وحضور مُمَيّز، إذا تحدّث نطق بالحكمة، وإذا تكلّم عن سيدنا النبهان ﵁ هامَ بذكرياته ونفحاته، تعيش معه الحدث مجسّدًا كأنّك تشاهده وتراه.

هو من أوائل العراقيين الذين صحبوا سيدنا النبهان، وتعرّفوا عليه وذلك عن طريق الشيخ محمود مهاوش-رحمه الله- حيث كانت له تجارة معه ثم انفصل عنه.

كان هو والشيخ محمود مهاوش سببًا وحلقة الوصل لمعرفة كثير من إخواننا العراقيين بسيدنا الكريم.

تزوّج الحاج جاسم من ابنة عمه الحاج حمد، والد الشيخ يحي الفياض، وابتدأ بالعمل التجاري في العراق، لكنّه لم يُوفق لحكمة، فقال له والده، وهو صاحب الفراسة التي لا تخطئ لأنّه ينظر بنور الله: «جاسم أنت رزقك ليس هنا، ارحل من العراق، رزقك ينتظرك في بلاد الشام»، فَشَدّ الرحال إلى حلب الشهباء، فأنزل الله عليه البركة في رزقه وعمله وعياله، حتى أصبح من أوائل التجار والصناعيين في حلب، كالحاج فوزي شمسي والحاج أحمد الصغير صهر سيدنا، وارتبط معهم بصداقة صدق وأخوة مودّة في السيد النبهان ﵁، فأقام -رحمه الله- في حلب من ١٩٥٤م إلى ١٩٧٦م.

قال عنه العارف بالله سيّدنا محمد النبهان ﵁: «جاسم صادق، هو ابن أبيه وأبو أبيه».

رأى الحاج جاسم سيّدنا بعد انتقاله ﵁ بين اليقظة والمنام فسأله: سيّدي ماذا فعل الله بك؟ فأجابه: «ما خرجت من الدنيا حتى شفّعني الله في أهل زماني».

كان الحاج جاسم محل الثقة عند الجميع، وحلقة الوصل بين تجار العراق والشام، فمن شركائه في التجارة الحاج محمود مهاوش، وكامل الدباغ، ومِنْ أعزِّ

أصدقائه المحب الصادق أخونا محمد نذير بِسْطَاطي[١]، الذي كان محبًّا لسيدنا الكريم ومحبوبًا عنده، ومن الرعيل الأول السابقين الأولين، وهو التاجر الصدوق.

يروي لنا الشيخ حامد صّخي فيقول: كنتُ في حلب بعد انتقال سيدنا وذلك بداية عام ١٩٧٥م فجاء إلى الكلتاوية ليدعوني إلى الغداء في بيته بالأنصاري، فأبلغني ولده الأخ الدكتور عبد الحميد بالدعوة، فقلتُ لهُ: أنا في ضيافة سيدنا لا أستطيع الخروجِ من الكلتاوية إلّا بعد الإذن من ابن سيدنا السيد أحمد أبي فاروق - تَغَمّده الله برحمته- وإذ بالحاج جاسم يأتي إلى سيدنا أبي فاروق في حجرته بالكلتاوية، ويستأذنه في دعوتي إلى بيته، فأذِن بذلك، كنتُ أنا وهو ومعنا الدكتور عبدالحميد فقال لي: كيفَ لا تأتي عندنا وأنت صديق الشيخ أيوب؟! دخلنا المنزل المبارك الذي شرّفه سيدنا كثيرًا، وإذ بحديقة البيت بستانٌ من الفواكه، فقطف فاكهة أظنها العَرْموط، وأعطاني إياها، جلسنا وهو يحدّثنا عن سيدنا وأيامه وعن الأولياء والصالحين الذين التقاهم، ومنهم الأبدال الذين جاؤوا إليه وطلبوا منه أن يكون أحدهم، فقال لهم: أنا مربوط بالسيد النبهان لا أقبل بوظيفة -سمعتُها منه مرات-، أكملنا الغداء وعدتُ إلى الكلتاوية فقال عني: «وجدتُ الشيخ حامد عقلُهُ أكبرُ من عمره»، وتلك شهادة أعتزّ بها وأرجو الله أن أكون عند حسن ظنه.

وقد رواها عنه الدكتور نوفل عبد الحميد الناصر مع زيادة فقال ناقلًا عنه: «عُرِض عليه من دولة أهل الله أن يكون بوظيفة بدل، فقال لهم: أنا لا أكون موظفًا. فقال له موفدهم: لك مهلة مدة عام، وبعدها ليس لك بعدها من الأمر شيء».

كان هناك مزرعة للحاج فوزي شمسي غربي حلب وكثيرًا ما تردد إليها السيد النبهان ﷺ مع أحبابه وخاصته وعقدت فيها حلقات المذاكرة وجلسات الأنس

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٦٣).

فاشتراها منه الحاج جاسم-رحمه الله-وسمعت أن سيدنا كان يذهب أيضًا هو وطلاب الكلتاوية في رحلة جماعية إلى كرم الحاج جاسم.

جاء في كتاب «السيد النبهان»[1]: حدّثنا الحاج جاسم محمد الفياض -رحمه الله تعالى- فقال: التقيت بأحد مريدي الشيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني اللبناني -رحمه الله- في بيروت فقال: نزلت إلى شاطئ البحر في بيروت، فرأيت حوتًا يهتف بلسان عربي فصيح: يا ابن نبهان، يا ابن نبهان! فرجعت إلى شيخي يوسف بن إسماعيل -رحمه الله- خائفًا مندهشًا، فحدثته، قال: تعال معي إلى المكان الذي رأيتَ وسمعتَ، حتى إذا وصلنا كانت الحوت لا زالت تنادي: «يا ابن نبهان يا ابن نبهان» فخاطبها شيخنا: أوَ تعنيني؟ فأجابت: لا بل نبهان حلب.

يتابع حديثه الشيخ حامد صخي فيقول: مرضتُ يومًا في بيتي القديم بالفلوجة، محلة الجمهورية فزارني الحاج جاسم بمعية ولده الأخ الدكتور عبد الحميد، جلس في حجرتي الخاصة وهو بيت أخته، زوجتي أم محمد -رحمها الله-، بقي يحدّثني أكثر من ثلاث ساعات عن سيدنا وعن أولياء الله، وما رأى منهم من كرامات، وعن أيامه وتجارب الأيام، وكانت جلسة تصلح أن تكون كتابًا يُدرّس، وكان الدكتور عبد الحميد ينتظر في الحجرة الثانية، حتى أحسستُ أنه مَلّ الانتظار، لكن أدبه مع والده وحُبِّه له لا حدود له، وهو يستحق ذلك.

ذلك الحاج جاسم وما أدراك من هو الحاج جاسم!

الكريم المتصدّق الذي لا تعلم شمالُهُ ما تنفق يمينه، المتواضع مع قوة الهيبة والشخصية، تعلوه السكينة والوقار.

شهد الحاج جاسم من كرم سيدنا رضي الله عنه ما أذهله وأبهره.

---

(١) كتاب «السيد النبهان» ط٣ (٢:٣٧٦).

يقول ابن أخيه عبد الحكيم إبراهيم الفياض: سمعت من عمي الحاج جاسم -رحمه الله- قال: كنت جالسًا في مكتبي في خان العادلية فرنّ جرسُ الهاتف الأرضي، فرفعت سماعة الهاتف فإذا بسيدنا ﵁ يقول لي بعد السلام: حاج جاسم تعال لتأخذ المصاري، وكان لي مبلغ اقترضه سيدنا ليساعد بعض الناس، يقول بعد السلام أغلقت التلفون وقمت وركبت سيارتي فورًا لأني أعتبر ذلك أمرًا ولم أتأخر سوى وقت مسافة الطريق، وعندما وصلت إلى سيدنا ﵁ قَبَّلْتُ يده وجلست عنده فقال لي: والله يا حاج جاسم لم أتمكن من الاحتفاظ بالمبلغ؛ لأنه جاءني صاحب حاجة فأعطيته المبلغ ولم أمنعه، يتكلم عمي الحاج جاسم -رحمه الله- وهو مسرور بذلك. يقول عن سيدنا ﵁: نادرًا ما تبيت عنده مصاري.

بعد عودته من حلب الشهباء شيّد دارًا واسعة في الفلوجة، أقام فيها وعائلته، وكنّا نتبرك بزيارته والاستماع إلى حديثه، كان بأتَمّ الصحة والهمة، وإذ بالمرض يفاجئه، فنُقِل إلى مشفى الكرامة في بغداد.

وعند فجر يوم ٣ ربيع الأول ١٤٠٢هـ الموافق ١٦ كانون الثاني ١٩٨٢م انتقل الحاج جاسم إلى جوار الله -عزّ وجلّ- ليدفن بجوار والده الحاج محمد الفياض، وعمه الحاج حمدان، وأخيه الشيخ أيوب في المقبرة التابعة لجامع الفاروق في الفلوجة، تراب المسك الذي احتوى أولياء الله -تعالى- وأخصّ أحباب سيدنا محمد النبهان ﵁.

مصادر الترجمة:

- كتاب «السيد النبهان» ط ٣ (٢:٣٧٦).
- صديقه الشيخ حامد صخي، مراسلةً كتابيةً.
- ابن اخيه عبد الحكيم إبراهيم الفياض، مراسلةً كتابيةً.

ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

قول سيدنا عن الحاج جاسم: أنا شهدت لك شهادة زينة قدام أبيك.	

(١٣) الشيخ حسان فرفوطي

١٣٤٦ - ١٤١٤هـ/ ١٩٢٨ - ١٩٩٤م

الخطيب الأديب البليغ، والمُدرس المحبوب.

نسبه وولادته:

ولد -رحمه الله- في حي باب المقام بمدينة حلب، عام ١٩٢٨م في أسرة مباركة تنحدر من بيت النبوة، فهو ينتسب إلى آل البيت من طريق سيدنا عبد القادر الجيلاني لأنه مَرَنْدِيّ، ولدى عائلته وثيقة محفوظة موقعة من العارف بالله الشيخ محمد النبهان تصادق على صحة نسبة الشيخ حسان -رحمه الله- إلى آل البيت الكرام.

كلمة «فرفوطي» من أين جاءت؟

قال الشيخ حسان، رحمه الله: «مثل سيدنا ما رأينا، ونحن عائلتنا مشايخ، جدنا فَرَطَ لجام الفرس».

ولعل اسم فرفوطي جاء من كرامةِ فَرَطَ لجام الفرس لأن لجام الفرس قوي من حديد وخاصة إذا كان من حلق متصلة بعضها ببعض بلحام، فَلانَ في يده وفرطه إلى قطع صغيرة كرامة.

دراسته:


الشيخ حسان فرفوطي

درس الابتدائية في مدرسة الأمل والإعدادية والثانوية في مدرسة الغزالي ثم تابع بدار المعلمين في حلب، وتخرج فيها ثم تابع بالدراسات الدينية والعربية بجامعة دمشق دراسة حرة انتسابًا.

عمله:

عمل -رحمه الله- مدرسًا في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، فكان مؤسس ومدرس الخطابة في المدرسة منذ افتتاحها عام ١٩٦٤م، حتى قبيل وفاته، وكذلك درس فيها النحو والقراءة والتعبير والأدب.

وعمل -رحمه الله- مديرًا لجمعية النهضة الإسلامية وذلك بعد تقاعده من التدريس في التربية، (والمدير في الجمعية غير الرئيس)، وكذلك كان عضوًا في الهيئة الإدارية في جمعية النهضة الإسلامية.

- ومديرًا لجمعية عباد الرحمن الخيرية.
- ومدرسًا الخطابة واللغة العربية في الثانوية الشرعية (الخسروية) بحلب.
- ومدرسًا في ثانوية الغزالي في حلب.
- ومدرسًا في مدرسة الاستقلال وكذلك في مدرسة الحمدانية في حلب.
- وخطيبًا في جامع الرحمن بحلب أول ما بدأ.
- وخطيبًا في جامع سيدنا بلال في حي الأعظمية لمدة طويلة حتى وفاته.
- وعضوًا في مجلس الوحدة في فترة الوحدة بين سورية ومصر وحاور الرئيس جمال عبد الناصر في قضية الحجاب في مجلس الأمة.

أولاده:

له أربعة ذكور وثلاث بنات، طلب قديمًا من ربه أن يرزقه طبيبًا وعالمًا فتحقق له ذلك، وأولاده الذكور هم: الدكتور طاهر، والشيخ أحمد زين الدين -تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٨٥م- ومحمد علي، ومحمد أنس، وكلهم سماهم سيدنا النبهان ﵁.

الشيخ حسان وصحبته السيد النبهان ﵁:

كان -رحمه الله- شديد الصلة بالسيد النبهان ومن الملازمين له والمنقطعين لخدمته، يتميز-رحمه الله-بالفصاحة في خطبه والقدرة على مخاطبة الجماهير وله مواقف مشهودة مشهورة، وكان السيد النبهان يحبه ويثق بحكمته ويكلفه بمهمات التواصل مع الآخرين.

أوصى به رسول الله ﷺ:

حدثني الأستاذ الدكتور محمود فجَّال -رحمه الله- قال: حسان لما جاء إلى سيدنا ﵁ في أول مرة أوصى به الرسول الكريم ﷺ، وعند سيدنا كانت له مكانة خاصة.

حلقة الشيخ حسان:

كتب لي أستاذنا الدكتور محمود فجال -رحمه الله-: «مِن أعمال السيد ﵁ قبل نشأة دار نهضة العلوم الشرعية توزيعُ إخوانه الخواص إلى خمس مجموعات، وكل مجموعة مرتبطة بأمير من أهل العلم ممن له قَدَم وقِدَم عند سيدنا ﵁، وهم الشيخ أديب حسون، والشيخ علاء الدين علايا، والشيخ محمد لطفي، والشيخ حسان فرفوطي وكاتب هذه الكلمة (محمود فجَّال)، والهدف من هذه الحلقات: اجلسْ بنا نؤمن ساعة، وطلب العلم، والتواصي بتلاوة القرآن، وبصوم الاثنين والخميس، وكان لهذه الحلقات لقاءات مع سيدنا في بيت أحد إخواننا، ويُسمح بحضور ضيوف سيدنا وبعض الأفراد من حلقات أخرى بدعوة سيدنا أو صاحب الدعوة».

حجه:

رافق السيد النبهان ﵁ في رحلة الحج عام ١٩٦٥م، وكان مسؤولًا على أحد باصات الرحلة، رأى فيها مشاهد عظيمة حدث عن بعضها.

روى لي تلميذه الشيخ حسين الأحمد قال: «حدثنا الشيخ حسان فرفوطي -رحمه الله- في أحد دروسه وكنا طلابًا عندما سألناه عن حجه مع سيدنا ﵁، قال: دخلنا مع سيدنا للسلام على سيدنا رسول الله ﷺ فرأينا يقظة رسول الله ﷺ وإلى جانبه الشريف سيدنا أبوبكر وسيدنا عمر ﵄ وقام سيدنا أبوبكر وضيّفنا تمرات لا شيء ألذ منها، وأجهش الشيخ حسان بالبكاء ولم يكف عن البكاء حتى نهاية الدرس، ولازلتُ كلما أذكر هذا الأمر يرتسم أمامي صورة الشيخ حسان وترتجف أعضائي».

ومن أحواله ومزاياه وخصاله -رحمه الله-:

آلمه مرة رأسه فبات الليل يصيح يا سيدي! رأسي رأسي، فنام وفي الصباح جاء إلى السيد النبهان فبدأه سيدنا وقال: ما لك يا حسان طوال الليل راسي راسي!

سمعت الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت قال:

«يمتاز شيخنا الأستاذ حسان بشدة محبته لسيدنا ﵁ فكان كلما ذُكر أمامَه بكى، ما رأيناه ذكر سيدنا إلا وبكى.

مدرستنا فيها حسان:

ذهب مرة إلى إدلب وقد افتتحوا هناك مدرسة شرعية فرآه سيدنا قادمًا قال: أين كنت؟ قال: سيدي افتتحوا مدرسة بإدلب مثل مدرستنا، قال له سيدنا: مثل مدرستنا! مدرستنا فيها حسان هم ماذا عندهم؟! قال له: سيدي مدرستنا فيها أنت وأنت الكل بالكل.

الخطيب المفوه:

كان -رحمه الله- خطيبًا مفوهًا، بليغًا قويًا، مؤسس علم الخطابة في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) بل إنه أضاف شيئًا هامًا لطلاب العلم لم يكن موجودًا عندهم، فقد كان طلاب العلم في حلب يخطبون وأمامهم الورقة فهو -رحمه الله- شجع الطلاب وأخرجهم من قيد هذه الورقة وألغاها، كان يشجع الطالب ويقول له: قل ما تشاء لكن لا تخطب من الورقة.

تخرج على يديه علماء ومحاضرون ومتكلمون وشعراء، يشجع الطالب ويعطيه الملاحظات التي تفيده في الحاضر والمستقبل.

وكان السيد النبهان يكلفه بإلقاء الخطب في الاجتماعات والمناسبات.

ومن ذلك الخطبة التي ألقاها في الجامع الأموي في حلب على إثر مظاهرة كان قد سيرها استنكارًا لموقف الحزب الاشتراكي، جابت شوارع مدينة حلب، ثم وقفت في الجامع الأموي تستنكر على هذا الحزب ومواقفه ومبادئه، وألقى أيضًا الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين كلمة، وقد ذكر هذا الخبر أكرم الحوراني في مذكراته عن أحداث سنة ١٩٥٦م.

وأذكر أيضًا -والكلام ما يزال للدكتور محمود حوت- ذلك المولد الذي أقامه سيدنا عام ١٩٦٦م وقدمت الوفود من المحافظات، وامتلأ المسجد وباحاته وكان عريف الحفل هو الأستاذ حسان، وفي أثناء الحفل قطعت الكهرباء عن الكلتاوية بقصدٍ، وصعد الأستاذ حسان فرفوطي -رحمه الله- على المنبر وبدأ يتكلم بصوت مجلجل وصوته وصل لأبعد مدى.

وكان -رحمه الله- ممن تشرف بإلقاء الخطبة أمام السيد رضي الله عنه على منبر الكلتاوية.

وهو –رحمه الله- من مؤسسي جمعية النهضة الإسلامية بحلب، وأحد أركان مدرسة الكلتاوية حين انطلاقتها، وله باع طويل في توجيه الطلاب وتهذيبهم وتنشئتهم وتربيتهم، وكان لا يخشى في الله لومة لائم» اهـ.

بشارة بالفتح:

كان في مجلس مع سيدنا رضي الله عنه فبشر سيدنا مَنْ في المجلس بالفتح والمعرفة ولو قبل الموت بساعة، وقال: لا تموتون إلا على الكمال.

كتب لي الشيخ محمد أكرم الزين: «كنا ننتظر جنازة أستاذنا الشيخ حسان -رحمه الله- وجاءت جلستي إلى جوار شيخنا أبي شوقي علاء الدين علايا -رحمه الله- وكان الشيخ علاء الدين يقول بصوت مسموع: نِيّاله (كلمة عامية تعني هنيئًا له) نِيّاله نِيّاله نالها، فسأله صديق لنا كان يجلس إلى جانبه من الجهة الأخرى فقال: أستاذ ماذا نال؟ قال: المعرفة، قال الطالب متعجبًا: المعرفة؟ فقال الشيخ علاء الدين: نعم قطعًا».

نسبه لآل البيت:

سمعت الدكتور محمود ناصر حوت قال: «قال الشيخ حسان لسيدنا رضي الله عنه: رأيت السيدة فاطمة في المنام مرة ولها ضفائر، فقال له سيدنا: لا يصح، لا يصح أن تراها غير واضعة على رأسها...لا.. فسكتُّ لأنني هكذا رأيتها، بعد ذلك قال له سيدنا: صحيح صحيح أنت ابنها.

كان -رحمه الله- محبًّا صادقًا لسيدنا وآله، وإيمانه مطلق، ودرسه فيه مرح، كان يفتخر بطلابه الذين علمهم ورباهم.

تأثرت به -رحمه الله- باللغة والتعبير والشعر والأدب».

غمضوا بِتْشُوفوا:

كان سيدنا ﵁ يقول في الذكر: «غَمْضُوا بتشوفوا» فالشيخ حسان كان لا يغمض عينيه، يقول له سيدنا: لماذا لا تغمض؟! فيقول سيدي: هل سأرى أحسن من هذا الوجه؟ فيقول سيدنا: أنت لا تغمض. ومع ذلك كان يرى أناسًا بعد انتقالهم في حلقة الذكر، فمرة رأى الشيخ بكري شوشة، والشيخ محمد حوت، ومرة قال: وأنا أخطب على المنبر وإذ بي أرى الشيخ محمد لطفي -بعد انتقاله-في جامع صلاح الدين وإذ بالشيخ محمد لطفي على المنبر يقول: جئت لتعلمني الخطابة، فقلت له: اذهب أريد أن أكمل الخطبة.

عنده -رحمه الله- صفاء قلب، وطيب نفس، مسامح،حليم.

كان -رحمه الله- من أعضاء لجنة اختبارات القبول الشفوية التي كانت تجرى في الكلتاوية بحضور سيدنا ﵁ ويحضر أيضًا فيها: المدير الشيخ محمد لطفي، والشيخ عمر ملاحفجي[(١)]، والأستاذ الدكتور محمود فجَّال.

الشيخ حسان والشعر:

كان - رحمه الله -كاتبًا بليغًا، ومن القصائد المنسوبة له:

ليلة الميلاد

ألقاها في الكلتاوية يوم الأربعاء ١١ ربيع الأول ١٤٠٢هـ:

رقصَ الوجودُ بقدِّه الميَّادِ ... طربًا يتيه بليلة الميلاد
وعرائسُ الروض الزهيّة أقبلتْ ... نشوانةً بشذا النبي الهادي
فإذا بها عدلٌ و أنسٌ طافحٌ ... قد حُوّلتْ أصنامها لرماد

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٤٤).

هو رحمة الرحمن أهداها لنا فلتفخرِ البشرى لكل فؤاد
يا قلبُ هيّا واستفقْ من غفلةٍ وتزودنّ فذاك خير الزاد
جاء الربيع يهيب في الذكرى بنا ويجدد الملكوت في ميعاد
دينٌ يشيده الإلهُ ويرتضي لعباده خير الدعاة منادي
أقبلْ حبيبَ الله حيَّتك المنى من روضة النبهان يصدح شادي
هذا عرين الليث حِبّك إنه أفنى الحياة بسُنّة ورشاد
حتى بنى للدين صرحًا قيّمًا يغني القلوب بخير زاد معاد
زهراته فواحة معطارة هي بهجة للعين أنس النادي
قد جدّدتْ دربَ الحياة كريمةً وترسمت خطواتِهِ بِسَداد
يا إخوتي أشبالَ نبهان انهضوا ولتحملوا الراياتِ للإسعاد
وتعهدوا حمل اللواء أشاوسًا تروي غليل الظامئين الصاد
فعليك صلى اللهُ سيد خلقه ما رددتْ ذكراكَ أي نواد
ولسيدي النبهان مني قبلة قدمتها محفوفة بِوِدادي

صاغت نسائم لطفكم ألحـانا

صاغتْ نسائمُ لُطْفِكُم ألحانا تغزو العقول وتوقظ الوسنانا
وتهزّ أوتارَ القلوبِ على شذى نَغَمِ الخلودِ وترشد الحيرانا
وتهبّ داعية إلى اللهِ الّذي برأ الوجود وأنشأ الإنسانا
يا أيها البدر المشعُ على الدنا نورًا يهزّ الوجد والوجدانا
أنفاسُ حبّك كم سَقَتْ من تائهٍ غيثًا فراح يَعُب منك حنانا
ماءُ السما أحيا أراضٍ بَلقعًا ومياهُ هديك أنبتت إيمانا
يا سيّدي النّبهان يا شمس الضحى يا تاج كل العارفين أتانا
إنّا بجاهك نستجير ونلتجي وبنور وجهك نستزيد تقانا

في يوم حشر الخلق عند مليكنا ... وحبيبنا وإلهنا مولانا
إذْ يوم لا تُجدي الفتى أمواله ... وفعاله إنْ لم تكن رضوانا
والأنبياءُ بباب أحمدَ خشّعٌ ... يرجون فضلًا منه أو إحسانا
فيفيضُ بالكرم العظيم على الورى ... بشفاعة تَهَبُ النعيمَ جِنانا
ويعانق الفردَ الّذي قد خصّه ... بالحب منه وكَنّهُ نبهانا

هبت سحيرًا نسمتي

هبَّت سُحيرًا نسمتي ... نشقت منها نفحتي
من روضة الحسن البديع ... تروي حديث أحبتي
تروي حديثًا من حلبْ ... عن سيّد عالي الرتب
فهو الإمام المنتخبْ ... سيْدي النبهان قدوتي
هو كعبة للعارفين ... وتاج أرباب اليقين
وإمام وفد الواصلين ... شيخٌ بهيُّ الطلعة
فهو لنا نِعمَ الإمام ... حبيبٌ إلى خير الأنام
بالملة السمحاء قام ... على الكتابْ والسنة
هو روح أسرار الوجود ... وتاج أرباب الوصول
وعين أصحاب الكمال ... وسر روح النجدة

كتب لي تلميذه الشيخ عبد الله محمد علي[1]: «سمعت أن أستاذنا الشيخ حسان فرفوطي -رحمه الله-رأى رؤيا وهو في المحشر أن لحية سيدنا الشريفة تغطي إخواننا وأنه حدث سيدنا بذلك فسُرّ سيدنا وصدقه».

(١) الشيخ عبد الله محمد علي: نال شهادة الكلتاوية في العام الدراسي: (١٩٨٣-١٩٨٤م)، ثم عمل مدرّسًا فيها، مراسلةً كتابيةً.

لسانه طويل بالحق:

دعي سيدنا إلى إحدى الولائم وكان الطعام فريكة بلحمة، وممن حضر مع سيدنا الشيخ محمد لطفي والشيخ حسان فرفوطي، كان رأس الخروف أمام سيدنا فأخذ بيده الشريفة لسان الخروف وأعطاه للأستاذ حسان فمازحه الشيخ محمد لطفي قال: سيدي من غير شيء لسانه طويل.

فأجابه سيدنا ﵁: لسانه طويل لكن بالحق.

أفطر معي يا أبا طاهر:

كتب لي الشيخ علي بعاق[1]: «حدثنا الأستاذ حسان فرفوطي -رحمه الله- قال: قال لي السيد ﵁ بعد أن سلمت عليه بعد درس العصر في رمضان: أبا طاهر إلى أين ستذهب الآن؟ قلت: إلى البيت سيدي إلا إن أمرتني بشيء، فقال ﵁: أفطر معي اليوم، فبقيت معه ﵁، وكان من عادة السيد أن يفطر على تمر فإن لم يوجد فعلى حلو، ولما حان الإفطار كان على المائدة كنافة فبدأ بها السيد ﵁ ومددت يدي لأتناول قطعة منها فقال السيد: انتظر أنا آكل كنافة وأنت قل كنافة، فقلت: كنافة فقال: استمر فجعلت أقول: كنافة.. كنافة، والسيد يمضغ لقمة الكنافة ثم قال ﵁: الفرق بين من يتحدث عن التصوف وبين من يعيش التصوف ويتذوقه كمن يأكل الكنافة ومن يقول كنافة».

---

(١) الشيخ علي بن محمد بعاق: نال شهادة الكلتاوية في العام الدراسي: (١٩٨٦-١٩٨٧م)، ويعمل الآن مدرّسًا في أبوظبي. (مراسلةً كتابيةً).

كرامة:

حدثني تلميذه الدكتور محمد ربيع زين[١] قال: حدثني أخي الشيخ يوسف زين[٢] -رحمه الله-قال: «حضرنا حفلة عقد قران أو مولد -والشك مني- مع سيدنا ﷺ، ولما جاؤوا بالضيافة وكانت راحة بالفستق فأخذ سيدنا الراحة من الصينية وراح ينثرها على الموجودين فأصابت طرف الراحة حاجب أستاذنا الشيخ حسان فرفوطي -رحمه الله- فنزل الدم ولما سئل الشيخ حسان -رحمه الله- عن ذلك قال: كان في حاجبي حبة أو كتلة صغيرة وكانت تحتاج لشق لإزالتها فزالت هذه الكتلة ببركة سيدنا ﷺ دون حاجة لعمل جراحي».

من ذكرياته:

كتب تلميذه الدكتور عثمان عمر المحمد: لما كنا طلابًا في مدرسة الكلتاوية حدث إحراق المسجد الأقصى من قبل الصهاينة، فأملى علينا الشيخ حسان موضوعًا تعبيريًّا في الخطابة، وهذا بعضه، وهو قطعة أدبية فنية نادرة:

(ما كنت أظن ولا كنت أريد أن يمتد بي الأجل فأرى يومًا قد تلبدت أجواؤه بالذل والاستكانة لمسلمي هذا العصر، وماكنا نعلم ماتخبئه لنا الأقدار جزاء

---

(١) **الشيخ الدكتور محمد ربيع بن محمد زين(١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)**: ولد في مدينة حلب، تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام١٩٨٤م. حصل على الليسانس من كلية أصول الدين في الأزهر الشريف عام ١٩٩٤م، وعلى الماجستير من جامعة الجنان في طرابلس عام ٢٠٠٢م، ثم حصل على الدكتوراه من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر عام ٢٠٠٩م. عمل إمامًا وخطيبًا في حلب، ثم في إمارة الفجيرة، ثم عمل باحثًا في دار البحوث الإسلامية في دبي، ثم عمل مدرسًا في مدرسة الكلتاوية، ويعمل الآن مدرسًا في كلية الإلهيات في مدينة كهرمان مرعش التركية. (مراسلةً كتابيةً).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٨٠).

بماكسبته أنفسنا، لقد استفاق العالم عامة واستفاق المسلمون والعرب خاصة على هول الصدمة ودوي الفاجعة، ذلك هو نبأ إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى.

أولئك الذين اتخذوا منا كُرة تتقاذفها أرجلهم، وظهروا على المسرح فريقين مختلفين ظاهرًا ومتفقين قلبًا وقالبًا وحقيقة، فئة تؤيدنا، وأخرى تخاصمنا وتؤيد إسرائيل ونحن نصدق المسرحية، وإن شئت قل: إنهم يفرضون علينا أن نصدق هذا..) هذا بعض النص.

وكتب لي تلميذه الشيخ محمد عثمان[١] قال: كان أستاذنا الشيخ حسان فرفوطي -رحمه الله تعالى- يقرأ في كتاب «شهداء الإسلام في عصر النبوة»[٢] ونحن في الصف الثاني: (الطلل الخابي) يا رسالة الخلد الا بدية! إنهم ما فهموا حقيقتك بعد، ولو اطلعوا على جوهرها السامي لعلموا أنه بجانبك تتضاءل الدنيا جميعها، فلا أهل، ولا ولدان، ولا مال، ولا متاع.

وأنت أيتها الدار الرفيعة المنار.

ما أشبه الليلة بالبارحة، إلى الله المشتكى، لك يا منازل في القلوب منازل.

كم علا في رحابك من أناشيد الوجود؟ وكم ذكر اسم الله؟

تلك الأصوات التي كانت ترتفع في جنباتك الواسعة أصبحت أثرًا يتحدث به الناس، وأصحابك الغر طواهم الدهر الرهيب إلا أنهم عاشوا وماتوا أكفاء لعباهلة الرجال.

وتوقف عن القراءة وأغمض عينه والدمع يجري منهما، ثم قال:

---

(١) الشيخ محمد عثمان: تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٨٩م. (مراسلةً كتابيةً).

(٢) «شهداء الإسلام في عهد النبوة» تأليف علي سامي النشار.

يا مَنْ يَعُزُّ علينا أنْ نفارقهم ... وُجْدانُنا كلَّ شيء بَعْدَكُمُ عَدَمُ

عشنا في كنف السيد النبهان في سعادة ونعيم وبدأ يستعيد ذكرياته، فكان مما ذكر لنا شوقه لتلك الأيام التي قضاها بمعيَّة السيد النبهان ورفقة الشيخ محمد لطفي والشيخ محمود فجَّال.

بِيْضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأُنُوف مِنَ الطراز الأوَّلِ

سأله أحدُ الطلاب عن صلاة الرسول ﷺ على نفسه في الصلاة؟

فأجاب الشيخ حسان -رحمه الله-: كان شخصُ الرسول ﷺ يصلي على ذاته ﷺ.

وبعد انتهاء الدرس ذهب الشيخ حسان إلى السيد النبهان وأخبره بسؤال الطالب وجوابه، فقال السيد النبهان: من الذي سألك ومن الذي أجاب؟

قال الشيخ حسان: فعلمتُ أنَّ السؤال والجواب من عنده رضي الله عنه.

وذكر لنا مودة السيد النبهان له الخاصة، وأنه مرة غضب سيدنا من إخوانه وحَزِنَ على اختلافهم ودخل غرفته وأغلق الباب ولم يسمح لأحد بالدخول إليه أبدًا، فتحيَّن الأستاذ حسان فرفوطي -رحمه الله- الفرصة ودخل، فقال له سيدنا: ما بك حسان؟!

قال: سيدي أريد أن أتكلم معك بعض الكلمات.

قال: قل. قال: سيدي لكن أريد ألم نشرح لا عَبَس.

قال: ما بك -سيدي- لِمَ غضبتَ من إخوانك؟!

قال: لأنكم لا تحبون بعضكم ومختلفون، لا تساعدون بعضكم، وجماعة الشيخ فلان يحبون بعضهم، وهم مجتمعون متعاونون.

قال له الأستاذ حسان: يا سيدي تسمح لي أن أحكي لك قصة؟ قال: قل.

قال: سيدي أنت تربي خيولًا، فهل يمكن أن نجمع فرسين أصيلين أو أكثر على مَعْلَف واحد؟!

قال: لا. يقتلون بعضهم.

قال: لو أدخلنا مئة حمار في إصطبل واحد ألا يمكن؟

قال: بلى.

قال: سيدي أصحابك وإخوانك كلهم خيل أصيلة، إخوانك كل واحد له رأيه المستقل واجتهاده الخاص، فَسُرَّ سيدنا، وقال: منين جبتها يا حسان؟!

قال: منك يا سيدي أنت علمتنا (أو بهذا المعنى).

وحكى بعض تلاميذه أنه ذكر لهم سيدنا عبد الله بن مسعود ﵁ وأنه صغير القامة دون المتر وأشار بيده. فقال له بعض الطلاب: أنت رأيته يا أستاذ؟ قال: نعم.

قال الطالب: أين؟

فقال الشيخ حسان: في مشهد.. وسكت، ثم لام نفسه أنه تكلَّم. وقال: ما صار إلا تكلمت! اهـ.

وفاته:

حدثني شيخنا الدكتور محمود حوت قال: «ابتلي -رحمه الله- في آخر عمره بالمرض الشديد.

زرناه عدة مرات، وقبل انتقاله بحوالي أسبوع روى لي منامًا فقال: رأيت سيدنا والرسول ﷺ يركبون سيارة، فركبت معهم، فلما نزلوا جئت لأسلم على النبي ﷺ فقال لي: اذهب وسلم على شيخك، فذهبت إلى سيدنا فقال لي: اذهب وسلم على الرسول ﷺ، فالنبي ﷺ قال: اذهب ليقرأ لك الشيخ محمد النبهان، فجئت ليقرأ لي فلم يقرأ وقال: اذهب ليقرأ لك الرسول ﷺ، فالنبي ﷺ قال: ليقرأ لك، فقرأ له

سيدنا وقال: لم يبق فيك شيء يا شيخ حسان، فعرفنا أنه سيتوفى لأنه قال لك: لم يبق فيه شيء وهذا ما حصل».

فتوفي -رحمه الله تعالى- يوم الأربعاء ١٤ شعبان ١٤١٤هـ الموافق ٢٧ كانون الثاني ١٩٩٤م في ليلة النصف من شعبان، وصلى عليه الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت في جامع الكلتاوية، أخذوه وحينما وضعوه في القبر كان المطر يهطل عند غروب الشمس في وقت التجلِّي الإلهي على السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان.

من رثائه:

كتب عنه تلميذه الشيخ إبراهيم الحمدو العمر:

مهما كان تصوّر الشيء في النفس عظيمًا فإن وقع ذلك الشيء أعظم من ذلك التصور مهما بلغت درجته في نفس متخيله، وهذا أمر طبيعي؛ فتخيل الشيء في الذاكرة ليس شيئًا أمام حقيقة ذلك الشيء ووقوعه، أرأيت إلى ولد منعم في كنف أبيه، تكلؤه رعايته وترعاه محبته ويعيش في ظله وحنانه، أيخطر في باله يومًا أن يفقده أو أن يعيش بدونه؟ أبدًا.

ولو تصور ذلك فإنه سيكون تصورًا بعيدًا، فإذا ما وقع فإنه سيكون مصابًا عظيمًا، كذلك كان إحساسنا بفقد أستاذنا «أبوطاهر حسان فرفوطي» -رحمه الله- الذي حل في قلوبنا منزلة الأب من ابنه البار من ابنه الوحيد المدلل.

لقد كنا ننتظر درسه من الأسبوع للأسبوع لا لشيء إلا لأننا كنا نجد عنده شيئًا فقدناه وأمرًا أضعناه، فنحن في درسه لا ندري هل نحن مع أب أم مع أستاذ؟! لشدة ولوعنا بدرسه.

نعم لقد كنا مع أب على طاولة أستاذ، لقد كان رحمه الله مثال الأب في رحمته ومعاملته ونصحه، وكان الأستاذ المخلص في توجيه تلامذته وإثرائهم بالمعلومات التي تفيدهم، وكان حلقة وصل بيننا وبين سيدنا ﵁، فكم من إشكال أزاله ببيانه

الواضح وكم صحيح فهم بينه لنا برايه الثاقب، وكم أرشدنا إلى سيدنا ﵁ بمعرفته به ومخالطته له، وكم كشف لنا من أسرار تلك الشخصية العظيمة، وكم عرفنا مالم نكن نعرف عنه.

كان يريد منا أن نوثق صلتنا بسيدنا ﵁ فبهذا نسعد وبهذا نفلح، وكم رأيناه يبكي ويغسل تلك الوجنات بدموع المحبة النبهانية حينما يذكر سيدنا ﵁ ويقول بلهجته المعروفة: «أبو أحمد أبو أحمد». أفلا يحق لنا أن نبكيه بقلوبنا؟ بلى والله.

وإننا لكذلك، بكت عليه قلوبنا قبل أن تدمع عليه عيوننا، ولقد انتقل من بيننا ولم نكن نتصور أنه ينتقل لما له من مكانة في نفوسنا.

فيا أيها الحبيب الذي شهد ذاك المحيا الجميل وتلك الطلعة البهية ضع يدك على قلبك وفؤادك فإنني أظن أنك ستجد فراغًا كان مملوءًا بمحبة تلك الشخصية العظيمة.

فرحمة الله عليك أستاذَنا أبا طاهر وهنيئًا لك تلك الرحلة الا بدية مع الأحبة محمد وصحبه، وبشراك بشراك فأنت الآن في كنف الحبيب تنعم بوصله ولا تخاف فراقًا بعد الآن.

ويا سحائب الرحمة والرضوان تنزلي على ذلك المرقد الطاهر، فهنيئًا لك ذلك اللقاء، وإن كان شيء يعزينا في فراقك فهو لقاؤك، أو كان شيء يسلينا عن بعدك فهو قربك أو كان شيء يصبرنا على انتقالك فهو وصولك، ولئن كان يرضينا شيء فهو أن تكون مع سيدنا النبهان ﵁.

مصادر الترجمة:

- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت، مراسلةً صوتيةً.
- الشيخ الدكتور محمود الزين -رحمه الله- مشافهةً.

- الشيخ أحمد فرفوطي ابن الأستاذ حسان فرفوطي[١] مراسلةً كتابيةً.
- الشيخ حسين الأحمد-رحمه الله-، والدكتور محمد ربيع زين، والشيخ علي بعاق، والشيخ محمد عثمان، والشيخ عبد الله محمد علي، مراسلة كتابية.

ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

تقديم الشيخ حسان لفعالية «تعالوا نؤمن ساعة» في حفل المولد النبوي الشريف في الكلتاوية عام ١٩٧٩م.



(١) **الشيخ أحمد زين الدين فرفوطي:** تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٨٥م (مراسلةً كتابيةً).

(١٤) الشيخ حسين أحمد المحمد

١٣٧٤ - ١٤٤٢هـ/ ١٩٥٥ - ٢٠٢٠م

العالم المفسر، المحبوب من إخوانه وطلابه.

المولد والنشأة:

ولد الشيخ حسين أحمد المحمد في قرية مَقْطَعْ حَجَرْ صغير (قرية تابعة لمنطقة منبج) عام ١٩٥٥م حسب القيود، والمولد الحقيقي ١٩٥٢م.

نشأ في حي كرم الميسر أحد أحياء حلب.

التحصيل العلمي:

قال -رحمه الله- [١]:

في عام ١٩٦٥م جاء زوج أختي محمد علي العيسى إلى بيتنا في حلب ليسجل أخاه محمد محروس العيسى في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، ودعاني إلى التسجيل فيها مع أخيه فذهبت معه وتم تسجيل اسمي واسم أخيه، وحدد يوم معين للاختبار الخطي، وهنا بدأت معارضة والدتي على تسجيلي في الكلتاوية، وأثّرت على والدي واشتدت المعارضة، ويوم الاختبار التحريري هربت

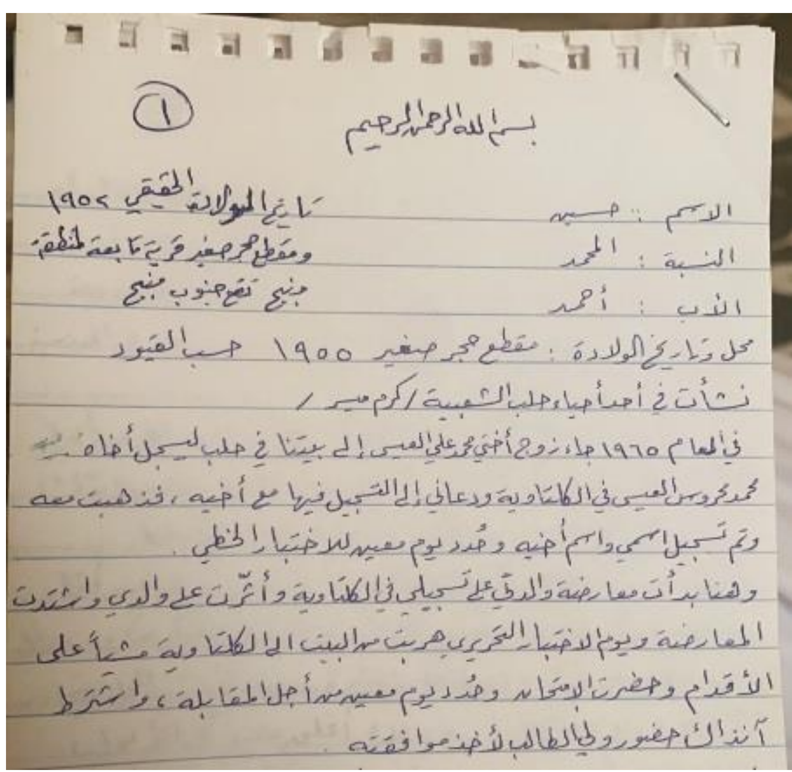
---

(١) من خلال أوراق كتبها لي خاصة، محفوظة عندي.

من البيت إلى الكلتاوية مشيًا على الأقدام وحضرت الامتحان، وحُدد يوم معين من أجل المقابلة، واشترط آنذاك حضور ولي الطالب لأخذ موافقته، وكالعادة هربت من البيت لحضور المقابلة، ولحق بي والدي ليمنعني من الانتساب إلى الكلتاوية، وعندما نودي باسمي دخلت إلى غرفة المقابلة، ودخل معي والدي، وكان سيدي النبهان ﵁ جالسًا وبجانبه الشيخ محمد أديب حسون، والشيخ محمود فجال -رحمهما الله- وسأل سيدُنا ﵁ والدي هل أنت موافق على دخول ابنك في المدرسة؟ فقال: لا ياشيخي لست موافقًا. فقال له سيدنا ﵁: ولماذا؟ فقال: أنا رجل كبير السن، وابني هذا يساعدني في المصروف، ولما سمعتُ ذلك سال الدمع من عيني خوفًا من أن أُرفض. فقال الشيخ محمود فجَّال: سيدي انظر إلى الولد إنه يبكي فأجهشت بالبكاء، فتوجه سيدنا إلى والدي، فاستسلم للأمر. وقال: ياسيدي أنا موافق لكن أمه غير موافقة، وسوف توجع راسي ولا أقدر على إقناعها فقال له سيدنا ﵁: ابعثها لعندي. ثم قال لي: اذهب فأنت مقبول. ففرحت وشعرت أني ملكت الدنيا، وعاد والدي، وبقيت في الكلتاوية مع الطلاب المقبولين، ونمت أول ليلة في المدرسة وشعرت كأني في الجنة، وجاءت والدتي تريد أن تأخذني، فخرج إليها الشيخ محمد أديب حسون ليقنعها فما أفلح، وخرج غيره فما أقنعها، فخرج سيدنا ﵁ وقا ل لها: لماذا لا تريدين أن يتعلم ابنك؟ قالت: أبوه رجل كبير وابني سيعمل ليقدم لنا فقال لها سيدنا ﵁: كم يطالع في اليوم؟ قالت: ليرة أو ليرتين. فقال ﵁: اتركيه وأنا أعطيكِ كل شهر مئة ليرة وأعطاها مئة ليرة. قالت: لكن أبوه مريض فقال لها: ابعثيه حتى أرسله إلى الدكتور، وأشتري له الدواء. وفعلًا أرسلت والدي، وبعثه سيدنا ﵁ إلى الطبيب واشترى له الدواء. وبذلك أعتبر ولا زلت أقر وأعترف أن سيدي وقرة عيني اشتراني من والدي ووالدتي.

وبقيت والدتي تأتي في كل شهر إلى سيدنا ﵁ وتأخذ منه مئة ليرة لمدة ثلاثة أشهر أو أكثر.

وكان أخي الأكبر غير راض على تصرف والدتي حتى أقنعها بألا تأخذ من سيدنا ﵁ شيئًا.


(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم: حسين — تاريخ الولادة الحقيقي ١٩٥٢

النسبة: المحمد — ومقطع حجر صغير قرية تابعة لمنطقة

الأب: أحمد — منبج تقع جنوب منبج

محل وتاريخ الولادة: مقطع حجر صغير ١٩٥٥ حسب القيود

نشأت في أحد أحياء حلب الشعبية / كرم ميسر /

في العام ١٩٦٥ جاء زوج أختي محمد علي العيسى إلى بيتنا في حلب ليسجل أخاه محمد محروس العيسى في الكلتاوية ودعاني إلى التسجيل فيها مع أخيه، فذهبت معه وتم تسجيل اسمي واسم أخيه وحُدد يوم معين للاختبار الخطي.

وهنا بدأت معارضة والدتي على تسجيلي في الكلتاوية وأثرت على والدي واشتدت المعارضة ويوم الاختبار التحريري هربت من البيت إلى الكلتاوية مشيًا على الأقدام وحضرت الامتحان وحُدد يوم معين من أجل المقابلة، واشترط آنذاك حضور ولي الطالب لأخذ موافقته.

سيرة الشيخ حسين الأحمد بخطه

وداومت مع زملائي وإخوتي في رحاب السيد النبهان ﵁ وكنت -والحمد لله- عند حسن ظن السيد النبهان ﵁ حيث كنت من الأوائل دائمًا.

وفي الصف الرابع استأذنت سيدنا ﵁ أن أنام في البيت فأذن لي حتى نهاية العام الدراسي ١٩٦٨- ١٩٦٩م.

زواجه:

وفي الصيف ونتيجة لإلحاح والدتي وأخي الأكبر تزوجت دون أن أستأذن سيدنا ﵁ وبدأ العام الدراسي ولم ألتحق بالدراسة فاستدعاني الشيخ منير حداد

-رحمه الله- ولما حضرت قال لي: لماذا لم تخبرنا بزواجك حتى نحضر، ومع هذا إذا تزوجت فهل هذا يجعلك أن تترك المدرسة وأقنعني -جزاه الله خيرًا-بالدوام، وخصص لي مبلغًا من المال أستعين به، وكل ذلك كان بتوجيه من سيدنا ﷺ وأمره.

في مدرسة الشعبانية:

وفي نهاية الصف الخامس لم يبق إلا خمسة طلاب من صفنا والبقية إما تركوا المدرسة أو ذهبوا إلى العسكرية، وعندما عرض الأمر على سيدنا ﷺ قال للشيخ محمد لطفي وكان مديرًا للدار: عين حسين الأحمد مدرسًا في المدرسة. وفرحت بذلك، ولكن بعدها جاءنا الأمر من سيدنا أن نذهب للمدرسة الشعبانية، والتزمنا الأمر، والتحقت بالشعبانية في الصف السادس ومعي الشيخ بلال حمزة، والشيخ فاتح مزود، والشيخ وليد الخطيب.

وأعطانا سيدنا ﷺ توجيهات التزمنا بها، وأثناء دراستي بالشعبانية أخذت وكالة إمام وخطيب في جامع الشيخ طه.

وتخرجت في مدرسة الشعبانية ونلت شهادتها الترتيب الأول، وبعدها بإذن من سيدنا سجلت في جامعة الأزهر -كلية أصول الدين- عام ١٩٧١-١٩٧٢م.

عمله:

وذهبت إلى قرية بلليرمون في حلب إمامًا وخطيبًا حتى عام ١٩٧٣م فذهبت برفقة الشيخ عثمان العمر إلى الطبقة بمحافظة الرقة، واستلمت جامع السلام إمامًا وخطيبًا مع ساعات في إعدادية الثورة للتربية الإسلامية، وتخرجت في جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، شعبة التفسير والحديث عام ١٩٧٦م.

وفي عام ١٩٧٧م عينت مدرسًا في التربية لمادة التربية الإسلامية في ثانوية جمال عبد الناصر في مدينة الثورة (الطبقة).

وفي عام ١٩٨٧م انتقلت إلى مدينة حلب مدرسًا لمادة التربية الإسلامية في إعداديات المدينة وثانوياتها.

وفي عام ١٩٩٢م ذهبت إلى الجيش وكنت مؤجلًا بالإعالة حتى هذا التاريخ وخدمت في الجيش مع أولادي الأربعة.

وفي فترة الجيش كنت أعمل مع فضيلة الشيخ نذير حامد في مشروع إعداد تفسير للقرآن الكريم جمعًا من المراجع، وأسند إلي المناسبات بين آيات القرآن الكريم، وبعدها أسند إلي إعراب القرآن الكريم كله وتم ذلك والحمد لله.

وفي عام ١٩٩٥م وبعد الانتهاء من الجيش تشرفت بالدعوة إلى التدريس في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، وقمت بتدريس مادة التفسير ثم درست الفقه الشافعي.

وفي عام ٢٠٠٧م قدمت استقالتي من التدريس في التربية حيث بلغت خدمتي أكثر من ثلاثين سنة. ومن انتقالي من الطبقة إلى حلب وأنا أخطب في جامع سيدنا محيي الدين في كرم ميسر حتى عام ٢٠٠٦م.

من شيوخي في الكلتاوية:

الشيخ نذير حامد، والشيخ نزار لبنية، والشيخ رجب الهيب، والشيخ الدكتور محمود فجال، والشيخ علاء الدين علايا، والشيخ صالح بشيرالحجي، والشيخ محمد لطفي، والشيخ عبد الرحيم حوت، والشيخ محمد أديب حسون، رحمهم الله.

ومن شيوخي في الشعبانية:

الشيخ عبد الله سراج الدين، والشيخ أحمد القلاش، والدكتور نور الدين عتر، والشيخ عبد الرحمن زين العابدين.

زملائي في مدرسة الكلتاوية:

بلال حمزة بلال، سهيل الإبراهيم العمر، فاتح البو جاسم مزود، وليد عبد الباري الخطيب.

ولازلت أتشرف بالتدريس في الكلتاوية لمادتي التفسير والفقه وأسأل الله تعالى ألا أقال من التدريس فيها كما أسأله تعالى أن يختم حياتي وأنا في خدمة الكلتاوية ورحاب السيد النبهان ﷺ.



من اليمين: الشيخ حسين الأحمد، ثم الشيخ رجيب الهيب، ثم الشيخ بلال حمزة

من كرم السيد النبهان ﷺ:

قال الشيخ حسين -رحمه الله تعالى-: «سيدي النبهان ﷺ كان لا يرد سائلًا، يوم كنا طلابًا كنت أحد الجالسين في غرفة سيدنا، وكان الوقت صيفًا، جاء رجل إلى

سيدنا -ولايعرفه أحد- فطلب من سيدنا مبلغًا من المال، فتح سيدنا سحابة الطاولة فلم يجد المبلغ المطلوب، وكعادته ﵁ يستدين، ولايردأحدًا، فقال للموجودين: من عنده ليقرضني؟ وكان الشيخ محمد الشامي -رحمه الله- واقفًا على يمين سيدنا، فأخذ يشير إلى الموجودين أن لا يعطوا سيدنا، فقام أحد إخواننا العرب، ووضع محفظة نقوده أمام سيدنا، فأخذ المبلغ المطلوب، وأعطاه للرجل، فأخذه الرجل وانصرف، فأخرج سيدنا دفترًا، وسجل أنه استدان من فلان كذا، ثم فتح صفحة أخرى ليكتب اسم المستدين فقال: ماسألناه عن اسمه، فأراد بعض إخواننا أن يلحق بالرجل فلم يسمح له سيدنا فقال الشيخ الشامي: سيدي اكتب بيد من لا يرد، فكتب سيدنا ونحن نسمع صوته الشريف: بيد من لا يرد.

والله إن ذكر الكرم فهو الكرم عينه.

ألم يُعط لوالدتي مئة ليرة كل شهر لكي تتركني أدرس في مدرسة سيدنا، ويومهاكانت أجرة العامل في اليوم ليرة ونصف، فأي كرم أعظم من هذا!».

صفاته:

كان -رحمه الله- صاحب قلب شاب، جميلًا بأخلاقه وطباعه، واسع العلم والاطلاع، دقيقًا في الحكم على المسائل العلمية، رؤوفًا رحيمًا محبًّا لتلاميذه، يخاف عليهم، ويعتصر فؤاده ألمًا إذا تأذى أحد منهم.

كان -رحمه الله- يقول لطلابه:

«هذه الكلمات التي أسمعها منكم وهذه المحبة هذا رصيدي، وهذا الذي يعطيني القوة للعمل، أن هؤلاء الشباب الطاهرين أصحاب القلوب النقية تحمل محبتي في قلوبها، حتى يوم القيامة إذا دخلتم الجنة ولم تروني تشفعون لي عند الله، يا رب عبدك فلان، فتشفعون لي عند الله، وبفضلكم وشفاعتكم ندخل الجنة إن شاء الله.

فإذا فقدتمونا فلا تنسونا -الله يرضى عليك- كما أنك في الدنيا ما نسيتنا، فأسألك واسأل الله أن يوفقك ألا تنسني في الآخرة أنت وأمثالك من الطيبين.

والله هذا الرصيد الذي يفرح قلوبنا أن المحبة والمودة خالصة لوجه الله -عز وجل-، وكله من منبع وتربية سيدنا النبهان قدس الله سره».

رحمك الله يا شيخنا وجزاك عنا خير ما جزى الأنبياء والمرسلين.

مرضه ووفاته:

توفي يوم الخميس ١ محرم ١٤٤٢هـ، الموافق ٢١ آب ٢٠٢٠م، ودفن في مقبرة كرز داده في حي قاضي عسكر في حلب.



رثاؤه:

كتب لي صديقه الشيخ عبد الجواد العاشق، حفظه الله:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

إخوتي أحبَّائي طلبة العلم:

أعزي نفسي وأعزيكم بوفاة الأخ والأستاذ والمدرس الشيخ حسين المحمد أو حسين الأحمد، كماهو معروف.

وهو بالنسبة لي أكثر من أخ، وأكثر من صديق، وأكثر من رفيق درب، فقد عاشرته صغيرًا، وعاشرته زميلًا في التدريس، وعاشرته في أكثر من موسم من مواسم الحج في عرفات ومزدلفة ومكة المكرّمة -حرسها الله- فبهذا عرفته في

السفر، وعرفته في الحَضَر، وعرفته في الصغر وعرفته في الكبر، وإن كنتم قد تعلمون عنه الشيء الكثير كمُدَرّسٌ ناجح.

صحبته في الحج فكان ملتزمًا بكل الآداب والسنن مهما كانت الظروف، فمثلًا كان لا يرمي إلا عند الزوال، وكنت أطلب منه التريث إلى المغرب أو العشاء من أجل الزحام أو شدة الحر فلا يرضى، ولا يرمي إلا بعد الزوال، وذلك من شدة اقتدائه بالنبي ﷺ، إلى ما هنالك من مواقف كثيرة معه.

وحدّثني يومًا عن رقيه أو شعوره باللطف الإلهي من جهة، والمواقف المؤثرة التي جرت له من جهة ثانية.

فقد توفي له ولدٌ وعمره في السنة الثانية والعشرين، وكان قد خلّف ابنًا وبنتًا صغيرين، وعلى إثر وفاة ولده مرض ولد ولده، وأخذ ينقله من مشفى إلى مشفى، ومن طبيب عام إلى طبيبٍ خاص، ثم البنت الصغيرة أصابتها بعض الحروق، وأيضًا انشغل بها كثيرًا، وظلت هذه الحالة معه مدة خمسة عشر يومًا، التقيت معه بعدها فأخذ يحدثني عن فضل الله ورأفته ورحمته بالعباد، ومن جملة الرحمة الإلهية به في هذه الأيام أنه عندما توفي ولده الكبير كاد هو وزوجته -أم الولد- أن يفقدا الوعي والإدراك، ولكن عندما انشغلا بالأولاد الصغار، وبالمشافي، وبالمرضى، وبتحصيل الأدوية، ولمدة خمسة عشر يومًا، نسي المتوفي وانشغلا بالأولاد الصغار حتى كأن تلك المصيبة لم تكن، هذا تعبيره هو رحمه الله.

إذن كان ينظر إلى المصيبة على أنها رحمة، وينظر إلى الشدائد وهي نعمة أنعم الله بها عليه عندما مرض الأولاد الصغار فانشغل بهم فكانت نعمةٌ كبرى فيما يقول هو بأنه انشغل عن المصيبة الأكبر، فشغله الله بهذه حتى ينسى تلك.

أما من حيث التدريس، والجد، والمثابرة، والمداومة، وعدم الغياب، فقد تكونون أنتم أعلم به مني في هذه الناحية.

هذا العالِم الذي فقدناه نرجو من الله -سبحانه وتعالى- أن يعوضنا بكم عنه، وأن يعوضنا بطلاب الكلتاوية عمومًا، وبمن درّسهم وشاهدوه خصوصًا، أن يعوضنا بكم عنه، وأن يعوضنا بهم عنه، وأن يجعلنا خير خلف لخير سلف، والشيخ حسين الأحمد الذي كان منذ طلبه -كما قلت لكم-كان مثالًا للجد والمثابرة، لا يعرف المزاح، ولا يعرف الكلام الذي لا حاجة إليه، وكان جدّيًا في كل أموره.

رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته، وجعله مع أساتذته، ومع شيخنا ومربينا وسيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ تحت ظل لواء الرسول ﷺ.

هذا ما يمكن أن أقوله عن الشيخ حسين في هذه العجالة، وجزاكم الله عنا وعن المسلمين كل خير، ودعواتكم له بالرحمة ودعواتكم له بالمغفرة قد تكون هي أيضًا من باب الرحمة الإلهية التي كان هو وكثيرٌ من مدرسي الكلتاوية -وإن شاء الله أن أكون أنا منهم- نقول دائمًا ونرجو ونأمل من التدريس في الكلتاوية أن نكون أساتذة لا للتدريس إنما رجاء أن تشملنا دعوةٌ من أحد الطلاب عندما يدعو لأساتذته ومشايخه بالرحمة، فنحصل على جزءٍ من فم صادقٍ، ومن قلبٍ صادقٍ، إن لم تكن هذه الدعوة من الكل فلتكن من البعض، فنرجو من الله الرحمة والرضوان لنا ولكم ولأساتذتنا ومشايخنا جميعًا لهم منّا الفاتحة.

أخوكم عبد الجواد العاشق. ٢٢ آب ٢٠٢٠م.

وقال **صديقه الدكتور عثمان عمر المحمد** في رثائه:

«إنا لله وإنا إليه راجعون. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران ١٨٥)، بمزيد من الأسى والحزن والرضى بقضاء الله وقدره، تلقيت نبأ انتقال الأخ العزيز الوفي الشيخ حسين الأحمد إلى رضوان الله وعفوه وكرمه، فلنعم الصديق، ولنعم الرفيق في السفر والحضر.

كنت مثال الوفاء، والصدق، والكرم.

صحبتك في مصر وسكنّا في شقة واحدة،كنتَ في السنة الثانية الجامعية، وكنتُ في السنة الأولى، فكنتَ مثال الأخ المستقيم الناصح، وصحبتك في مدينة الطبقة لمدة سنة ونصف وذلك في عام (١٩٧٣-١٩٧٤م) فكنت الأخ الكريم، وطالب العلم الدؤوب.

رحمك الله -يا أخي، يا أبا أحمد- رحمة واسعة.

فقدتك، وفقدتك الأمة الإسلامية وهي أحوج ماتكون لك ولأمثالك.

اللّٰهُمَّ أنزل على قبره الضياء والنور، والفرحة والبهجة والسرور، وأكرم نزله

وارفع مقامه، وارحمنا لما نصير إلى ما صار اليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين».

وقال **الشيخ إبراهيم الحمدو العمر** في رثائه:

في رثاء أستاذنا فضيلة الشيخ حسين الأحمد الذي وافته المنية يوم الخميس ١ محرم ١٤٤٢ هجرية، وكان مدرسًا لعلم الفقه والتفسير في دار السيد النبهان ﷺ:

مضى لسبيله والمجدَ أبقى ... وفي أوج المعالي نال سبقا
ومذ وافى الحبيب وفى صدوقا ... وعروته بهذا الحِب وثقى
وفي المضمار جلى مذ تجلى ... له غر الجبين إليه يرقى
فمن فيض العلوم له صبوح ... ومن عذب المناهل بات يسقى
وأعنق حين شام بروق شهبا ... يحث العيس تحنانا وشوقا
وفي جنباته اصطرعت أمانٍ ... جرى يرقى لها أفقًا فأفقا
وفي دار الحبيب أقام صبا ... كأن عليه دينا مستحقا
وراعيةٌ تنادي في حنان ... وهمٌّ يصدع الاضلاع خفقا
تُتَابِعُ خطوَه والطرف باكٍ ... وتصطلم الهموم تدق دقا
إلى النبهان؛ قالت: ذا معيلي ... وليس سواه بعد الله خلقا

فقال لك المعاش وذا هبيه لعلم من حواه فليس يشقى
مشى ومشت وعين الله ترعى فؤادين من الألماس أنقى
فياللّنور حين يضيء قلبا ويالَلحُب ما أرقاه ذوقا
حسين انعم حَباك الفَرْدُ عِزًّا وتزجيك يد العرفان رفقا

إبراهيم الحمدو العمر.

أبو ظبي، الجمعة ٢ محرم ١٤٤٢هـ، الموافق ٢١ آب ٢٠٢٠م. رحمه الله، آنسه الله.

وكتب **تلميذه الشيخ عبد الباسط شاكر**:

كان خبر وفاة الشيخ حسين كالصدمة الصاعقة لنا؛ إذ إنه مع كبر سنه، وكثرة أمراضه ما كنا نجد منه إلا همة الشباب، لا سيما نشاطه المتميز، وتفاعله الجذاب، في إعطاء الدرس أو حلبات العلم والمذاكرة.

قبل ثلاثة أيام كان في اجتماع بالكلتاوية تجهيزًا للعام الجديد، وحقق الله له أمنيته.. إذ وافته المنية وهو ما يزال متشرفًا بالتدريس بالكلتاوية.

كان -رحمه الله- فقيهًا متمرسًا، وذا رأي جريء، ونظر ثاقب، وصراحة لا تعرف الخوف أو الانحناء، وصبغة حديدية في الحق، وصدر رحب واسع لطلابه الذين كان يعاملهم كأبناء أو زملاء مهما بلغ فارق العمر والعلم بينه وبينهم.

لمسنا ذلك كله منه في أثناء تدريسه لنا، ثم في أثناء تدريسنا ومذاكراتنا معه في المدرسة المباركة، ثم في أثناء تنقلاتنا المتعددة معًا، وتقلباتنا في عدة مناطق منذ بداية الأزمة إلى حين وفاته.

كان نبهانيًّا عصامِيًّا في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، بعيدًا عن كل فتنة أو هرج مع ما ناله من بلاء وأذى من قبل البعض.

كان أعقل من أن ينساق مع أي إغراء أو تحت أي ضغط، وكان دائمًا يحوطنا بنظره الثاقب والشامل ذاك بغيرة الأب على أبنائه.

لَكم آلمنا وآسانا فراقه؛ إذ كان لنا معلمًا، وأبًا، وخِلًّا بتواضعه وتنزّله لأمثالنا واستيعابه لنا، وكنا نستشيره في كل فتوى أو معضلة، فنجد عنده لها حلًّا أو رأيًا.

كما كان لنا أبا رؤوفًا، نزوره فننثر له مشاكلنا وهمومنا.. التي قد لا نستطيع أن نطرحها إلا بين يدي من يعيش همومنا ومشاكلنا، فيستوعبنا بكل أنواع النصح والتوجيه المشوبة بالمباسطة والأريحية،كما يستوعب الأب أبناءه، يستمع ثم يهدّئ، ثم يباسط، ثم ينصح ويوجه.

كم كان يحدثنا عن عناية سيدنا به منذ دخوله للمدرسة الكلتاوية إلى حين تخرجه، ثم بعد تدريسه في الطبقةكيف ساقته التقادير الإلهية إلى التدريس في الكلتاوية، وكيف كانت تحوطه أنظار سيدنا، فلا يكاد يقع في شدة إلا ويقارنها الفرج والعناية لا سيما أثناء عسكريته، وتراتيب عمله ومعاشه.

رحمك الله أبا أحمد، أستاذًا فاضلًا، وأبًا ناصحًا، وخلًّا مؤانسًا.

جعلك الله فرطًا لنا إلى جوار السيد النبهان، وأمتع الله في أعمار الباقين من إخوان السيد، ونفعنا بهم آمين.

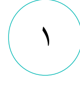
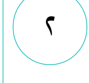
حلب الشهباء ٢ محرم ١٤٤٢هـ

مصادر الترجمة:

- الشيخ حسين أحمد المحمد، (أوراق كتبها لي رحمه الله).
- الشيخ عثمان عمر المحمد، والشيخ عبد الجواد العاشق، والشيخ إبراهيم الحمدو العمر، والشيخ عبد الباسط شاكر، مراسلة كتابية.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

	قول الشيخ حسين: فإذا فقدتمونا فلا تنسونا.	
	الشيخ عبد الجواد العاشق يرثي الشيخ حسين الأحمد.	
	الشيخ إبراهيم الحمدو يرثي الشيخ حسين الأحمد.	

(١٥) الشيخ حسين كنو

١٣٧٧ – ١٤٣٧هـ/ ١٩٥٦ – ٢٠١٤م



العالم الفاضل، والفقيه المتبحر، والمفتي الدقيق الورِع الشيخ حسين بن علي كنو.

ولادته:

ولد -رحمه الله- في قرية العطشانة التابعة لمنطقة منبج في حلب عام ١٩٥٦م.

دراسته:

دَرَسَ الابتدائية في قرية المهدوم بجانب قريته، ثم انتسب إلى مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) في حلب عام ١٩٧١م، وتخرج فيها، ونال شهادتها عام ١٩٧٧م، التحق بعدها بالأزهر الشريف كلية الشريعة الإسلامية عام١٩٧٧-١٩٧٨، وتخرج فيها عام ١٩٨١م.

عمله:

بعد تخرجه انطلق إلى ميادين الدعوة فشغل-رحمه الله- الإمامة والخطابة في العديد من مساجد حلب الشهباء، فتسلَّم جامع «حسين فتّال» في منطقة باب النصر في حلب ثلاث سنوات، وتسلَّم لأشهرٍ جامع «السيد البدوي» في حي الأشرفية، وخطب في جامع «الأبراج»، وفي قرية «تل كلبة» التابعة لإدلب، ومنذ

عام ١٩٨١م أصبح إمامًا في جامع «بان قوسا» في منطقة باب الحديد في حلب، وبقي فيه إمامًا ومُدَرِّسًا إلى عام ٢٠١٢م.

افتتح في سوق الزهراوي محلًّا تجاريًّا، فكان مثال التاجر الصادق الأمين قانعًا بالربح اليسير.

عمل أمينًا للمكتبة في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) عام ١٩٧٨م، ثم موجهًا ليليًّا فيها إلى عام ١٩٨١م.

دَرّس في مدرسة الكلتاوية من عام ١٩٨١م إلى ٢٠١٢م الفقهَ الشافعي، والحديث، والمنطق، والأصول، والنحو، من غير كللٍ ولا مللٍ ولا هزلٍ ولا تهاونٍ في أيّ يوم دراسيّ، مستغرقًا كل الفصول الدراسية، مستوفيًا جميع الحصص، ملتزمًا بساعاته الدراسية كلها، متقنًا لمادته، متمكنًا من حلِّ عباراتها عبارة عبارة، واستحضار مسائلها وأدلتها.



الشيخ حسين يلقي الدرس في مدرسة الكلتاوية

الكتب التي دَرّسها:

- تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.
- الميسر في أصول الفقه للشيخ إبراهيم السلقيني.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.
- الإقناع في حل ألفاظ متن أبي شجاع للخطيب الشربيني.
- الورقات في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني.
- السلم المنورق في فن المنطق للشيخ عبد الرحمن الأخضري.

شذرات من صفاته وأخلاقه -رحمه الله-:

وَصَفَهُ أقرانه العارفون به بأنه مكتبة متحركة، ولُقِّب بالشافعي الصغير.

كانت له جلسة علمية خاصة هو والشيخ أمين مشاعل[١] -رحمه الله- مع الشيخ نذير حامد في كتاب أوضح المسالك.

عُرِفَ الشيخ -رحمه الله- بنزاهته واستقامته، وتَبَتُّله في محراب العلم، وانزوائه عن زخرف الحياة الدنيا وبريق الشهرة، فلم يسع لمنصب، ولم يتزلف لأحد.

كما اشتهر -رحمه الله- بعفة لسانه، ورجاحة عقله، وكان مهيبًا في قلوب الطلاب، مُعَظَّمًا في نفوسهم على الرغم من الملاطفات التي تظهر منه دون تكلف بين الحين والآخر.

يعدُّ الشيخ حسين من المدرسين المتمكنين في الفقه، لا يكتفي بإصدار الأحكام الفقهية وإنما يُتْبِعُ الحكمَ بالدليل.

من شيوخه في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية):

- الشيخ عبد الرحيم حوت[٢]، رحمه الله.
- والشيخ عبد الباسط حسون، رحمه الله.
- والشيخ صالح حميدة الناصر[٣]، رحمه الله.
- والشيخ عبد الفتاح الشيخ[٤].

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٥٦).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٢٥).

(٣) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٢١).

(٤) من العلماء المبتعثين من الأزهر الشريف للتدريس في مدرسة الكلتاوية: عبد الفتاح الشيخ، ومحمود الجوهري، وعبد اللطيف شعبان، وعبد السلام الذهبي، وحمدي مبروك، ومحمد الأسطا.

- والشيخ محمود الجوهري.
- والشيخ عبد السلام الذهبي.
- والشيخ محمود فجَّال، رحمه الله.
- والشيخ صالح بشير الحجي[١]، رحمه الله.
- والشيخ علاء الدين علايا، رحمه الله.
- والشيخ حسان فرفوطي[٢]، رحمه الله.

زملاؤه في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية):

الفوج الثامن عام (١٩٧٦ – ١٩٧٧م):

أحمد العلي الفياض، وأحمد عيدو العكلة، وحسن عبد العزيز الحسن، وحسين كنو، وحمدو عبدو الصالح، وعبد الباسط كريدي، وعبد اللطيف رشواني، وعبد الله الشامي، وعبد الناصر زمزوم، وعبد الهادي بدلة، وعبد الودود سليم، ومحمد سعيد ياسين صباغ، ومحمد ضياء الدين ملاحفجي، ومحمد عيد شيخ حسين، ومحمد معصوم قليشارو، ومحمود علي الداود، ومحمود غزال أَنْتِيفَة.

في رحاب الكلتاوية:

صحب -رحمه الله- العارفَ بالله الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه ثلاث سنوات وذلك أثناء دراسته الأولى في مدرسة الكلتاوية.

سمعت من الشيخ حسين -رحمه الله- يقول: دخل سيدنا النبهان مرة باحة مدرسة الكلتاوية، فأسرع الطلاب لتقبيل يده الشريفة، ومشيتُ على مَهْلٍ حتى أتيت وقبَّلت يمينه المباركة فقال لي: «بدك تصير منيح».

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٢٠).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (١٣).

كان الشيخ حسين يقول: «أتمنى أن يكون آخر عهدي في الدنيا أن أكون فيها وأنا في الكلتاوية مدرسًا».

حدثني الشيخ حسين -رحمه الله تعالى- فقال: «الحمد لله الذي أعزّنا بالإسلام، وجعلنا من أمة خير الأنام سيدنا محمد ﷺ، وأكرمنا ومتّع أبصارَنا برؤية هذا الحبيب الكريم رضي الله عنه.

إن كان قد فاتنا رؤية النبي ﷺ فإنّا والحمد لله قد رأينا وارث نبيِّنا.

قد رأينا الكاملَ المحقق الذي كانت شخصيته الكريمة شخصيةً محمديةً كاملة. لقد مَنَّ اللهُ -تعالى- علينا برؤيته، ورأينا الكثير الكثير من العلماء والكبار وأصحاب التلاميذ الكُثُر والشهرة الواسعة، ولكن مثلَ سيدنا لم نرَ؛ إنه كان قوةً كاملة لا يعرف الخنوع، لا يعرف الذل، لا يعرف الهوان، وإنما كان شهمًا عزيزًا أبيًّا قويًّا.

إني لأتذكر تلك الأيام العظيمة وكنّا طلَّابًا صغارًا -وما زلنا صغارًا في هذه الدار- كنا طلابًا صغارًا نتحلّق حولَه، ونُقَبِّل يده، ونسير خلفَه، ونُمتِّع أنظارنا بالنظر إلى مُحيَّاه الشريف.

مرَّة كنَّا في مولدٍ في أحد المساجد، وفي عودنا من المولد رجعنا إلى هذه الروضة المباركة، والوقت آخر ليل، وكان سيدنا رضي الله عنه كما كان رسول الله ﷺ مشيه بقوة كأنما ينحط من صبب، نزوله وصعوده سيّان.

إني لأتذكر أنّنا كنّا في الصف الأول أو الثاني، وكنا وراء سيدنا وعند طلعة هذه الحارة المباركة ونحن نُجهد أنفسنا ونُسرع في الخُطى ولا نلحق بسيدنا رضي الله عنه وهو قد جاوز السبعين من عمره.

إني أحمد الله كثيرًا أنّي حظيت برؤية السيد النبهان رضي الله عنه، وإني لأشعر بالفضل العظيم عليّ تجاه هذا السيد العظيم، ولولاه لكنت اللهُ أعلم حيث كنت، إمّا راعي

غنم، وإمّا عاملًا، وإمّا لاهيًا، وإمّا غافلًا، وقد جاء الله بنا من البدْوِ إلى هذه الدار المقدّسة، الدار الطاهرة. فهل نعرف لها حقّها؟ هذا ما أريده لكم يا إخوتي، فإني لكم ناصح، وإن السيد النبهان ﷺ يريد منكم ذلك لأنّا فهمنا عنه مثل هذه الأمور».

حكى الحاج حسن مطر أنه رأى سيدنا النبهان يقول له في المنام: «الشيخ حسين ملئ علمًا وزهدًا». فمن تلك الرؤيا أحببت الشيخ حسين أكثر.

كانت تسوء حالته الصحية في بعض الأوقات، وإحدى المرات نقل إلى مشفى الطب العربي ووضع في العناية المركزة، وقلوب أهله تخفق، والطبيب لا يطمئن عن حاله ولم يشعروا إلا وقد أُخْرِج من العناية المركزة، وقال الطبيب: لقد تحسن فجأة والحمد لله، وبعد أن استيقظ سألوه عن حاله، فقال مسرورًا: رأيت سيدنا يتكلم معي بالهاتف.

كان -رحمه الله- إذا ساءت صحته يسمعه أهله يردد دائمًا: أستغفر الله، لا إلٰه إلا الله، سبحان الله، ويذكر الله.

نشاطه في الدعوة:

إذا كان منهج سيدنا النبهان العمل والنشاط والدعوة بالحال قبل القال، فَحَرِيٌّ بنا أن نذكر جوانب طالب من طلابه أثمرت فيه تعاليم السيد النبهان ﷺ.

لقد كان للشيخ حسين نشاطٌ قويٌّ في بناء المساجد، سعى سعيًا دؤوبًا في القرى النائية إلى عمارة مساجدها وترميمها والعناية بها وإرسال الأئمة والخطباء إليها.

أنشأ في قريته مسجدًا واسعًا، وأَسَّس بجانبه مدرسة لتحفيظ القرآن، لكن لم يتمكن من إكمالها، رحمه الله.

أما حرصه على العلم والتعليم والدعوة فقد كان له أثر كبير في مجتمعه.

ومما يذكره له أهل قريته إبطال عادة سيئة كانت متحكمة في مجتمعه، وضاقوا بها ذرعًا، وهم لا يستطيعون ردَّها، فقد كان من المتوارث عندهم عند موت أحد أن يَنْصِبَ العَزَاء أكثر من ثلاث، وكل شخص يحضر ذبيحة ويبقى جالسًا حتى يأكل من ذبيحته، فتزداد المصيبة مصائبًا عند أهل الميت، فينشغلون بالطبخ عما فجعهم بمن فقدوا، فعندما تُوُفي أخوه الحاج محمود -رحمهما الله- عام ١٩٩٤م، وبعد أن صلى عليه وقف أمام قبره، وقال للناس كلمة طيبة، ثم قال: نحن لن نقبل ما تعارفتم عليه، ولكن من أراد فليصنع لآل المرحوم طعامًا عاديًّا، وذَكَرَ لهم عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه لما أتى نبأُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه حين قُتل في مؤتةَ بالشامِ وجاء خبرُه إلى المدينةِ أمر النبيُّ ﷺ أهلَه أن يصنعوا طعامًا لآلِ جعفرٍ، قال: اصنعوا لآلِ جعفرٍ طعامًا فقد أتاهم ما يُشْغِلُهم، والحمد لله استجاب الناس له، وأُبْطِلت تلك العادة.

وقد جمع كثيرًا من أقاربه ممن هم بعيدون عن العلم والتفقه، ودعاهم إلى جلستين أسبوعيًّا، وقرأ عليهم تحفة الطلاب للشيخ زكريا الأنصاري الشافعي، وكان يشحذ هممهم وينصحهم بطلب العلم، وقد أثَّر ذلك فيهم، فمنهم من سلك طريق العلم بعد ذلك.

مرضه وانتقاله:

لم يهنأ الشيخ حسين -رحمه الله- بنومٍ قرابة عشر سنين، وذلك بسبب جهاز يلبسه عند النوم يقوم بتوسيع الرئتين وزيادة الأُكسجين.

وفي أوج الأحداث التي مرت بالديار الشامية ازداد الضيق على الشيخ بسبب انقطاع الكهرباء، وعدم القدرة على تشغيل جهاز الأوكسجين، فازدادت صحته انتكاسًا، وكان آنذاك قد انتقل من حلب إلى ريفها في قريته (جراح صغير)، فابتعد قهرًا عن جو العلم والتعليم فكان يقول: «أنا أموت ببطء لابتعادي عن الكلتاوية» فقد كان دعاؤه دائمًا أن يقبضه الله وسط الدوحة النبهانية في أثناء ممارسة التعليم، ولكن قدَّر الله وما شاء فعل.

وازداد ابتلاء الشيخ -رحمه الله- بانحباس السوائل في جسده، فكان يحتاج كل يومين إلى جلسة عند الطبيب لسحب السوائل بالإبرة في مشافي القرى المحيطة بقريته، ونستطيع القول بأن الشيخ نزل في جميع تلك المشافي والعيادات في المهدوم ودير حافر ومسكنة وآخرها منبج.

وكان أهله وأصدقاؤه يلحون عليه بالخروج إلى تركيا للعلاج، فكان يُصِرُّ أن يبقى في بلاد الشام ويكرر: هنا أفضل هنا أفضل.

واشتد به المرض، فنُقِلَ إلى مشفى الأمل بمدينة منبج، ومكث ثلاثة أيام، ثم فاضت روحه الطاهرة، يوم الأحد في الثالث من شهر شعبان المكرم سنة ١٤٣٧هـ الموافق ١ حزيران ٢٠١٤م.

وطُوِيت صفحة عالم عامل، قاسى ما قاساه من الشدة والابتلاء، بقلب صابر ولسان ذاكر، ودفن في مقبرة تُلُولْ بقريته، رحمه الله وجعل الفردوس مأواه.

رثاؤه:

كَتَبَ في رثائه صديقه الشيخ محمد ضياء الدين ملاحفجي(١):

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! حادث عظيم! وخطب جلل! نزعت اليوم عمامة من عمائم الفقه الشافعي في حلب وضواحيها من بلاد الشام، فأعظم الله أجر الأمة، وعَوَّض المسلمين خيرًا في علمائهم.

رحمك الله يا أخي الشيخ حسين، يا أبا ضياء، لقد كنتَ الأخ والحبيب والصديق والأنيس والجليس.

كم كنتُ أتمنى أن أكون بجانبك في محنتك الكبيرة الأخيرة؛ لأنك علمتني أن تكون معي دائمًا في كل محنة.

---

(١) الشيخ محمد ضياء الدين ملاحفجي(١٣٧٧هـ/١٩٥٨م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

أمضينا معًا ست سنوات من ربيع العمر في رياض الكلتاوية، وأربعًا في جامعة الأزهر، وأشهد أن كل شيوخك وأساتذتك أحبوك من قلوبهم.

كم وكم رغبتُ أن تجاور في المدينة المنورة لنستأنف معًا الدراسات العليا، ولكن الله أراد لك عزًّا وشرفًا أرقى من الماجستير والدكتوراه، ففي أكثر من ثلاثة عقود لقنت العلم في صفوف دار نهضة العلوم الشرعية، فتخرج الكثير منهم وهم في العلم فوق الماجستير والدكتوراه.

كنت أنيسي كلما اضطربت بي سفينة الحياة، وكنت جليسي كلما أردت أن أخلو مع أجمل ذكريات عمري أيام الكلتاوية ولياليها، ومصر وامتحاناتها، وأشهر الصيف وإجازاتها، وكنت لي ركنًا في الفتوى كلما طرأت (مسألة ولا أبا حسن لها) قلتُ: لها الشيخ حسين.

إن أسمى خُلُقٍ وجدته فيك تواضعك، وكأنه فيك جِبِلِّيٌّ خَلْقي، لا تعرف الغرور، ولا الكبرياء، ولا الزهو والإعجاب بالنفس، الذي ابتلي به الكثير من طلبة العلم اليوم، كنت في خُلُقِكَ هذا تحكي الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص ٨٣)، وإذا كان بعض المفسرين يقول: «هي أن لا يحب الرجل أن يكون شسع نعله أجود من شسع نعل صاحبه» فأحسبك من أهل هذا المقام، ولا أزكي على الله أحدًا.

كانت غرفتك المتواضعة في جامع بان قوسا بحلب القديمة خلية نحل، يأتيها التاجر والمزارع والبدوي والمعلم والمهندس والطبيب، هذا يقرأ عليك كتابًا في العلم، وهذا يسألك حلًّا لمعضلته، وهذا فتوى لمشكلته، فيتسع صدرك لجميعهم، تشرح بإسهاب دون ملل ولا ضجر، ويستوي لديك صغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، ومغمورهم ووجيههم.

يا أبا ضياء: لا أنسى يوم قدمت إليّ مولودك الأول وقلت لي: أسميته باسمك. وكأنك تعطي درسًا في الوفاء.

يا أبا ضياء: في الفؤاد حديث لا ينتهي عن خُلُقِك وأدَبِك، وكَرَمِك وسَخَائِك، ووَفَائِك ومُروءَتِك، ونَقائكَ وطَهارَتك، وسَلامَةِ صَدْرِك، وتُقاك وعِفَّتِك، وأدبِكَ وَحَيَائِك، فعسى الله أن يبارك في وقتي لأكتب للتاريخ سيرة عالمٍ فقيهٍ يحكي حَالُهُ مَقُولة الإمام الرِّفاعيِّ الكبير: «أنا حُميد اللّاش، أنا لاش اللّاش، أنا لستُ بشيخ، حُشِرتُ مع فرعون وهامان، إن خطر لي أني شيخٌ على أحدٍ من خلق الله».

آلمني رحيلك -والله- يا أبا ضياء، أحسست أَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ منْ كِياني تَشْعُرُ بالغُرْبَةِ بَعْدَكَ، وَإنَّ بينَ ضُلُوعي مَأْتمًا لا يَنْتهي.

إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا على فراقك يا أخي الشيخ حسين لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مصادر الترجمة:

- الشيخ حسين كنو، مقابلة معه في جامع بان قوسا، بحضور الشيخ مصطفى كنو، والشيخ محمود غزال، والشيخ عبد الرحمن مصطفى حوت، في ٢٠ أيار ٢٠٠٨م.
- الشيخ محمد ضياء الدين ابن الشيخ حسين كنو[١]، مراسلةً كتابيةً.
- الشيخ محمد ضياء الدين ملاحفجي، مراسلةً كتابيةً.

ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

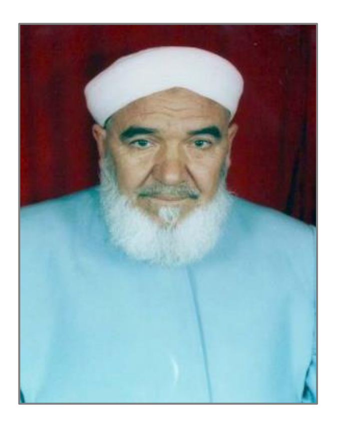
كلمة للشيخ حسين كنو عن السيد النبهان عام ١٩٩٧م في الكلتاوية.



(١) الشيخ محمد ضياء الدين ابن الشيخ حسين كنو تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ٢٠٠٣م، مراسلةً كتابيةً.

(١٦) الشيخ حمزة عباس مهنا[1]

١٣٦٠ – ١٤٢٦هـ/ ١٩٤١ – ٢٠٠٥م



المفتي المدرس، والخادم الناصح، والداعية الصابر الشيخ حمزة بن عباس بن مهنا بن حمد بن محمّد بن عبد بن منصور، من عشائر البو عيسى، التي تقطن الفرات الأوسط، وترجع أصولها إلى طَيِّئ.

ولد في منطقة عامرية الفلوجة عام ١٩٤١م، وترتيبه رابع بين ستة إخوة.

وفي كنف أبوين صالحين ومسكن قروي بسيط نما عوده وترعرع، فوالده فلاّح تقي لم يُطعمه إلا لقمة الحلال ولم يُهدِه إلا لجميل الخصال، لكنه بسبب الحاجة دفع بولده لأن يكون راعيًا عند أحد أقربائه، فأضفى عليه حنانًا كواحد من أبنائه، ومع هذا فإن حمزة يستشعر ضَياعًا ويتطلع إلى نقلة لحالة أفضل، يؤذن للصلاة في المرعى ويقيم، ويجد من نفسه أحيانًا خطيبًا في غنمه، فتتدفق على لسانه عبارات لا يفهم معناها! وهو يسمع عن الأولياء والعلماء ويتمنى رؤيتهم أو يكون أحدهم، وإذا أراد الله تعالى أمرًا هيَّأ أسبابه، فبعد أن أمضى سنتين في الرعي عزفت نفسه فتركه رغم معارضة أسرته، ولجأ إلى خالة له في مدينة الفلوجة

(١) انظر كتاب «السيد النبهان» ط١ (١: ٣٣١).

يبحث عن عمل، ويتردد إلى جامع الفلوجة الكبير «والجامع الكبير آنذاك أزهر علماء السنة، ومرجع الناس من داخل الأنبار وخارجها، حيث الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي -رحمه الله- ومدرسته الآصفية الشرعية».

وحمزة وما أدراك ما حمزة؟! يجلس في ناحية من المسجد ويرصد حلقة علم عن كثب، يرنو إليها بقلبه، ويتهيب التقرب منها، فلحظه شيخ الحلقة الحاج عبد الله حَدِيْدْ جَلْ -رحمه الله-، فاستدعاه وبادره بأسئلة عن اسمه، ومن أي الأعمام؟ وأين يقيم؟ وما هو عمله؟ فأجابه، وقدّر الله تعالى أن طلبه الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي -رحمه الله- في اليوم ذاته ليتعرف هو الآخر على هويته وبغيته، فقال: أبحث عن عمل، فأرشده إلى أحد البنائين ليشتغل معه في الجص والطين.

وذات يوم سأله الشيخ ثانية: هل تقرأ وتكتب؟

فأجابه: لا لأنني لم أدخل المدرسة، فقال: أتحب أن تتعلم؟ قال: نعم، فأدخله حلقة تعليم للقراءة والكتابة أعقبها ختمًا للقرآن الكريم، فاطمأن حمزة، وهدأت مشاعره وكأنّه أمسك برأس الحبل، ثمّ قَبِلَه الشيخ -رحمه الله- في الصف الأول في الآصفية وعمره واحد وعشرون عامًا وبالتحديد في ١٩٦٢م، وهي سَنَة قدوم السيّد النّبهان ﵁ أول مرة إلى العراق، فحظي برؤيته، وتعلق قلبه بشخصيته، وهكذا جمع الله تعالى لحمزة كل ما كان يحلم به، ويستشعر بفقده، وهو في أول مرحلة من طلبه العلم، فهجر العمل في الدنيا، وأقبل بكليته على الله تعالى، مكتفيًا بما تقدمه المدرسة له من مرتب متواضع أسوة ببقية أقرانه.

وخلال سني دراسته صحب الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي إلى حلب، فتشرف برؤية السيّد النّبهان ﵁ ثانية، وجلس منه مجلس المريد لمربيه، وسلك طريق أهل الله على يديه، وشكا له عدم حفظه وفهمه، يقول، رحمه الله: فدعا لي ﵁ فانشرح صدري، فصرت أقرأ وأحفظ وأفهم، ولا زالت آثار دعائه ﵁ ملازمة لي.

وبعد أن أكمل اثني عشر عامًا في الآصفية أجازه شيخه -رحمه الله- وشغل وظيفة وكيل مدرس بمدرسته، لكن عجلة طلبه للعلم لم تتوقف، فدخل كلية الإمام الأعظم في بغداد، وتخرج فيها بعد أربع سنوات، شغل أثناءها وظيفة الإمامة في جامع الخفافين، ثمّ انتقل بعد تخرجه في الكلية إلى مدينة العمارة إمامًا وخطيبًا، ثمّ عاد ليكون الساعد الأيمن للشيخ أيوب محمّد الفياض[1] مدرسًا في الأحمدية الشرعية في الخالدية في الأنبار، واستقر به الأمر إمامًا في جامع الوحدة في الفلوجة، ثمّ ترافقنا في آخر محطة له في طلب العلم عند مفتي الديار العراقية الشيخ العلامة عبد الكريم محمّد المدرس بالحضرة بالقادرية ببغداد، والملقب بعبد الكريم بيارة رحمه الله تعالى، فأمضينا عنده سنتين سوية، وبقيت بعده نصف عام.

وفي مدينة الفلوجة كانت انطلاقته واحدًا من أكابر علمائها، تشهد له مدينة الفلوجة بالفضل في الفتوى والتدريس وخدمة الفقراء والإصلاح وبناء المساجد، وحين افتتحت مدرسة الحضرة المحمّدية الشرعية كان أحد مدرسيها، وتسلّم إدارتها بعد ثلاثة عشر عامًا من تأسيسها، وفي هذه السنة كانت آخر سفرة له إلى حلب، وبصحبة أحب تلاميذه ومعاونيه في التدريس فضيلة الشيخ محمود حسين مجباس.

يتابع الشيخ هشام الألوسي فيقول: حدثني الشيخ محمود حسين قائلًا: «كان الشيخ حمزة شديد الخوف من الله تعالى، دخلت عليه ذات مرة بعد أن أنهى وضوءه وصلى ركعتين، فرأيته يضرب على رجله ويقول: إيه يا حمزة! ماذا تقول لربك غدًا؟ ويكثر من كلمات كان يرددها سيدنا النّبهان رضي الله عنه: «خَطْيٌ على ها العمر يُقضى مع زيد وعمرو».

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (١١).

كما كان يخشى مواقف الريبة والتهم، ويطلب منه أحيانًا أن يجمع تبرعات لمسجده فيأبى، ويخرج من راتبه ويضع في صندوق التبرعات، أو يدفعه لي أصرفه على المسجد، ويقول: خذ هذا المال عوضًا عن تقصيري في عملي في الجامع.

ومن كمال أخلاقه أنه في آخر أيامه قال: لماذا يتكلّم الناس عليّ؟ ثمّ تابع فأجاب: دعوهم ليتكلّموا، مسامحين لوجه الله».

وإني إذ أكتب عن الشيخ حمزة لا لكونه أخًا عزيزًا وصديقًا حميمًا، وإنما أذكر الصدق، والأدب، والحياء، والحلم، والتواضع، وكرم الضيافة، والزهد في الدنيا، والوفاء لشيخه ومرشده سيدنا النّبهان ﷺ، فلم أضعه بكلماتي فيه أكثر من مرتبته، وأقل ما يقال عنه: أنه عالم عامل، لا تأخذه في الله لومة لائم، يسترشد برأيه، وتعتمد فتواه، لم ينافق، ولم يثلم دينه، رجل تعلوه السكينة والوقار، وتحكم الشريعة أخلاقه وتعاملاته، لا ينطق إلا علمًا أو حكمة، ولا يُشغل نفسه بفضول، وهو على عهده مع سيدنا النّبهان ﷺ لم يتغير، وأجمل أيامه وأسعدها أن يصبح وقد رآه في منام فيحدث من حوله بما رأى.

وكنت أسمع منه من حين لآخر شدة إعجابه بسيدنا ﷺ، وينقل لي بعض أحاديثه، قال، رحمه الله: ومن خلال صحبتي لسيدنا النّبهان ﷺ تعرفت فيه على أشياء في سيرة المصطفى ﷺ لم تذكرها كتب السير، ولم أسمعها من فم أحد.

وحدثني مرة: أنه سمع سيدنا ﷺ يقول: «الدنيا أخذت الكثير من الأكابر».

لذلك تجد الشيخ حمزة -رحمه الله- متنكبًا سلاح الحذر من حب الدنيا، فلم يركن إليها، أو إلى الذين ظلموا.

وعرفت عنه مواقف التزامه الصواب، ومجانبة البدع والأحزاب والأهواء، فلم يجنح ولم يضعف.

وتمكن بتوفيق الله -تعالى- بعد سنتين من احتلال العراق ٢٠٠٣م من جمع علماء الفلوجة على اختلاف مشاربهم في (مجلس العلماء) الذي انتخب رئيسًا له، يتشاور فيه أولو الألباب بكل ما يخفف من عظم البلاء ولهيب الفتن، وآلت لهذا المجلس مرجعية الفتوى والقرار السياسي في المدينة، وإذا براعي الغنم أول حياته يرعى بفضل الله تعالى مدينة الفلوجة بالقول والفعل والحال والخلق.

رأيته -رحمه الله تعالى- في آخر يوم من حياته بجامع الحضرة المحمّدية وهو مدير المدرسة وقتئذ، فلم أشهد سرورًا على وجهه مثل ذلك اليوم، يتحرك في المسجد بين طلابه وإخوانه وكأنّه في مقتبل عمره أو من غير هذا العالم، ثمّ صلى الظهر في الجماعة وخرج.

وفي مساء ذلك اليوم: الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة ١٤٢٧هـالموافق ٢٩ تشرين الثاني ٢٠٠٥م كانت الفاجعة.

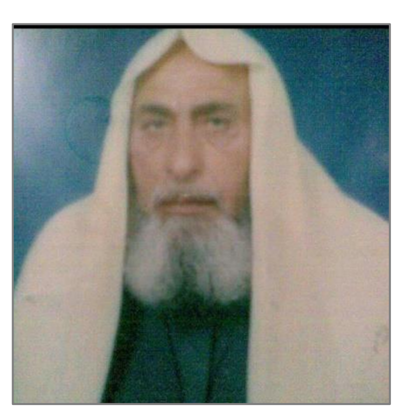
قال الشيخ هشام: حدثني فضيلة الشيخ محمود حسين مجباس قال: كنت مع الشيخ حمزة بمفردي بين المغرب والعشاء وهو يحمل بيده كسرات خبز يابسات كانت محفوظة في الثلاجة، يأكلّها ويشرب عليها الماء، وهو مسرور، فقال لي: يا أبا إحسان، اجعل صلتك مع الله، ولا تلتفت لما يدور حولك من آراء ومناقشات بلا فائدة.

وبعد أدائه صلاة العشاء خرج إلى بيته يحمل مسبحة بيده ويقرأ في سورة تبارك، فقتل على أيدي مجهولين في باب مسجده، ثمّ نقل إلى مستشفى الفلوجة ففارق بعد ساعة الحياة.

وفي اليوم التالي: خرجت الفلوجة عن بكرة أبيها تودعه إلى مقبرة الشهداء، وترك -رحمه الله- المدينة كلّها في ميتم، وخلف فراغًا لم يملأه أحد من بعده ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب ٢٣).

(١٧) الحاج رشيد مشعان

١٣٦٢ - ١٤٢٩هـ/ ١٩٤٣ - ٢٠٠٨م



محافظة الأنبار تمتد على جانبي الفرات مع البادية التي تطل على حدود سورية والأردن والسعودية، وتؤلف ثلث مساحة العراق، ولا تكاد تجد ناحية فيها إلا وبأكنافها للسيد النبهان ﷺ محبون صادقون وأتباع، وهكذا فلله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص.

وقبل أن ينتقل الأصحاب يخلفهم النشء في سائر البقاع بمدن القائم، وعانة، وراوة، والكرابلة، وحديثة، والبغدادي، وهيت، وكبيسة، والرطبة، والرمادي، والخالدية، والفلوجة، والصقلاوية، والعامرية، والكرمة، والحمد لله رب العالمين.

ونحن نتحدث عن «الأويسي وحده» كما أطلق عليه سيدنا النبهان ﷺ هذا العنوان.

هو واحد ممن هؤلاء الذين أصابهم وابل الهداية واختصته العناية بل كان من البَلَح العراقي المتميز الذي تعلق في كلتاوية حلب لينال حظه ووافر فضل الله عليه بالصحبة القلبية التي أمضى حياته فيها.

ولادته ونشأته:

ولد في جزيرة ناحية البغدادي بمحافظة الأنبار في العراق ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ.

ترعرع في بيئة صالحة على الفطرة في قرية هناك تعرف بـ (دُوَيْلِيبة) مصغرة من كلمة الدولاب أو ما يعرف بالناعور الذي يعتمده الناس في سقي مزروعاتهم كما هو الحال في نواعير مدينة حماة في سورية.

ورشيد بن مشعان بن حسين بن عبد الله من فخذ البوشطب العبيدية وقد اشتهرت القرية بـ (دويليبة البوشطب) التي أصبحت مستقر عائلته بعد أن هجرت التنقل بأغنامها طلبًا للعشب والماء.

أسرته:

نشأ -رحمه الله تعالى- بكنف أبوين صالحين، فوالده شيخ عشيرة البو غنام العبيدية وهو مشهور بكرمه وشجاعته ومكارم أخلاقه، وبيته لا يكاد يخلو من الضيوف وهو لا يتناول الطعام إلا مع ضيف.

أما والدته «نجمة الغدير» فهي تشارك زوجها بنفس الصفات.

وأمضت والدته عُمرًا قارب تسعين عامًا، لكن لم تفقد إدراكها ووعيها، ولما حضرها الأجل توجهت إلى القبلة ثم مدت يدها إلى الأرض وتناولت إناءً فارغًا وضعته على فمها وهي تقول: «الله أكبر لَمْ أشرب مثل هذا اللبن في حياتي» ثم تبسمت وسحبت الوسادة تحت رأسها وغطّت وجهها وفارقت الدنيا وهي تنطق بالشهادتين.

ووالده هو الآخر حين أدرك قرب وفاته بعث إلى المُلّا صالح في قرية أخرى وأخبره أنه سيموت هذا اليوم ويرجوه أن يلقنه وفارق الدنيا بنفس اليوم وهو ينطق الشهادة.

وهكذا كان أبواه مؤمنين ومن ينشأ في أسرة كهذه لا يكون غالبًا إلا صالحًا.

دراسته وصلته بالسيد النبهان:

دخل الابتدائية في الثامنة من عمره في مدرسة المسيرية في قرية مجاورة فإذا رجع منها ذهب يرعى غنم أهله، وأكمل الدراسة المتوسطة ثم التحق بالجيش على ملاك القوة الجوية برتبة نائب ضابط، وتَعرّف أثناءها على متطوعين معه محبين للعارف بالله سيدنا محمد النبهان ﵁ هم محمود رْحَيِّم الكبيسي[1]، وصباح أحمد راجح، وعبد الرحمن زيدان مشكور، وفي هضبة قاعدة معسكر الحبانية تحت أزيز الطائرات كان أزيز أشواقهم إلى سيدنا النبهان الحبيب وأخباره وهم بين الفينة والأخرى يتزاورون في الفلوجة، ويحضرون مجالس إخواننا لاسيما الشيخ محمد الفياض الكبيسي الذي يزيدهم مما أفاض الله عليه من دلالة على سيدنا ﵁ ولأن سفر العسكريين إلى خارج العراق محظور آنذاك لم يتمكن من الذهاب إلى حلب لكن صاحبه الحميم الحاج محمود رْحَيِّم بِغْزي تمكن أن يجتاز الحدود ويصل هناك.

على قدم سيدنا أويس القرني ﵁:

كان الحاج محمود رْحَيِّم عند سيدنا ﵁ في جلسة خاصة، فطلب من حضرته جَلْبَ صاحبه رشيد في المجلس فقال له سيدنا: «صاحبك هذا مجذوب» وذكر ﵁ أنه «أويسي لوحده»

وهي مرتبة تذكرنا بحالة سيدنا أويس القرني الذي منعته خدمة أمه الضريرة من المجيء من اليمن إلى المدينة المنورة، وأخبر عنه سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام وأعطى سيدنا عليًّا وسيدنا عمر ﵄ أوصافه وطلب منهما إذا اجتمعا به

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٦٨).

أن يطلبا منه الدعاء[١]، فكان لهما ذلك في خلافة سيدنا عمر وآمن به دون أن يراه ظاهرًا فبلغ من تعلقه بحضرته أن يجتمع به -عليه الصلاة والسلام- يقظة ويأخذ عنه مشافهة ويقول: «والله ما غزا رسول الله ﷺ غزوة إلا وغزوت معه ولا شُجّ وجهه الشريف في أحد إلا وشج وجهي ولا كسرت رباعيته إلا وكسرت رباعيتي»[٢]، وحين سئل سيدنا النبهان عن حالته هذه أجاب: «قال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب»[٣]

وإن الحاج رشيد ليس بعيدًا عن هذه المرتبة بالأخذ المباشر من سيدنا النبهان رضي الله عنه، فهو أويسي لوحده وهو على قدم سيدنا أويس القرني رضي الله عنه.

وبعد أن أكمل ثمانية وعشرين سنة في الجيش وتنقل بين مدينتي الحبانية والفلوجة سنوات عاد إلى القرية التي نشأ فيها واقتطع أرضًا من مزرعة له فشيد عليها مسجدًا وأصبح فيه الإمام والخطيب فحاربه المبغضون للأولياء وأرادوا به كيدًا فحفظه الله تعالى من كيدهم.

حدثني صديقه الشيخ حامد صخي قال: «كنتُ عند سيدنا النبهان -قُدّس سِره- في جلسة خاصة بحجرته المباركة في بيته يوم السبت عام ١٩٧١ م عندما كنا نودعه للعودة إلى العراق، فقلت: سيدي أوصاني محمود رْحَيِّم ورشيد مشعان يسلمون عليك، هل هم معك في الجنة؟ فأجاب بقوة وبصوت عال: « نعم هم معي في الجنة وأنت معي» كتبتُ هذه البشارة وأعطيتها لهما.

---

(١) رواه «مسلم» في «صحيحه» (كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أويس القرني) حديث رقم (٢٥٤٢) (٤:١٩٦٩).

(٢) ذكرها نُور الدَّين الحلَبي في «السيرة الحلبية» (آخر غزوة أحد) ط الأزهرية (٢: ٣٣٤).

(٣) رواه «البخاري» في «صحيحه» (كتاب الأدب - باب علامة حب الله عز وجل) حديث رقم (٦١٦٨) ٨: ٣٩.

آخى سيدنا النبهان رضي الله عنه بين الحاج رشيد مشعان والحاج محمود رْحَيِّم -رحمهما الله- فكانا مثالًا للأخوة الصادقة والإيثار والوفاء، إذا رأيتهما ذكرت الله تعالى، وكأنك في الرابطة الشريفة.

والأخ الحاج رشيد مشعان -رحمه الله- قال عنه سيدنا رضي الله عنه: «هذا على قدم أويس القرني» وكنا نلقبه في العراق «أويس النبهان» كان في شوق لرؤية سيدنا والاجتماع به في الدنيا فلم يحصل ذلك، وهذه مرتبة محمدية تحقيقًا لكلام سيدنا وقد انتقل إلى جوار ربه على الحالة هذه رحمه الله. سمعتُ سيّدَنا الكريم قُدّس سِرّه يلّقب الحاج محمود رْحَيِّم بـ «العسكري» وكذلك الحاج رشيد مشعان -رحمهما الله- لأنهمّا كانا سويةً في القوة الجوية بالحبانية، يشرفان على صيانة الطائرات وتجهيزها.

قال لي الحاج محمود رْحَيِّم: عندما دخلتَ أنتَ والشيخ أيوب عند سيدنا جلسة خاصة عام ١٩٧٣ م تَحَرّك قلبي ودخلتُ معكما وأخذتُ أنادي ها ها سيدي وأُغنّي «حَرّكْت الروح لَمّنْ فاركتهم» ونحن عند سيدنا في نفس اللحظة ابتسم سيّدُنا وقال: «هذا محمود العسكري جَدّوُبه» فَلَمّا عُدْنَا سألناه في تلك اللحظة ماذا كُنتَ تقول: قال: كنتُ انا وأخي رشيد مشعان نُجَهّز الطائرة وصوت محرّكها يُدّوي لايسمعنا أحد، رشيد ينادي بأعلى صوته: ها ها أبو أحمد ها سيدي، وأنا أغنّي «حَرّكْت الرُوح لَمّنْ فارَكتْهم».

وفاته:

انتقل إلى الرفيق الأعلى في الخامس من شوال سنة ١٤٢٩هـ الموافق للخامس من تشرين الأول سنة ٢٠٠٨م.

وشيع جثمانه إلى جوار مسجده في دويليبة، رحمه الله آنسه الله.

يقول ولده الأكبر محمد: بعد وفاته بثلاثة عشر يومًا كنت أصبغ في حواشي المسجد من داخله فاستشعرت دخول رجل فنظرت فإذا هو والدي -رحمه الله-

يقول لي: «اصبغ اصبغ لا تخف» كان يمشي واضعًا يديه الواحدة على الأخرى خلف ظهره مما يدلل على أن روحه مطلقة وتلك هي شذرات مختصرة من سيرته -رحمه الله- التي أكثر ما يميزها عن غيره هي الصحبة القلبية التي يؤكد عليها سيدنا النبهان الحبيب بقوله ﷺ: «الصحبة صحبة القلب».

اللَّهُمَّ حققنا بهذه المرتبة ووفقنا لأن نعطي صحبة سيدنا النبهان القلبية حقها يا رب العالمين.

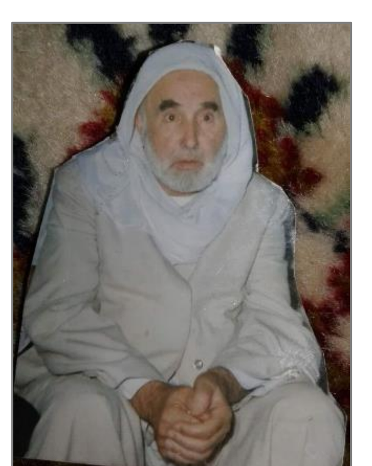


مصادر الترجمة:

- الشيخ هشام الألوسي، مراسلةً كتابيةً.
- الشيخ حامد صخي، مراسلةً كتابيةً.

(١٨) الدكتور سعيد عبدان

١٣٤٨ - ١٤٢٠هـ/ ١٩٣٠ - ٢٠٠٤م



الشيخ الشاعر الطبيب أبو إبراهيم سعيد طه عبدان التَّادِفي الحلبي.

ولادته ونشأته:

ولد في مدينة تادف، التابعة لمحافظة حلب، ونشأ يتيمًا فقد توفي والده وعمره ثلاثة أعوام فتولّت أمه تربيته.

دراسته:

درس المرحلة الابتدائية في حلب، وأنهاها عام ١٩٤٥م، ثم انتسب إلى مدرسة الخسروية بحلب، وتخرج فيها، ونال شهادتها عام (١٩٥٢ / ١٩٥٣م).

من شيوخه في الخسروية: الشيخ محمد راغب الطباخ، والشيخ محمد نجيب خياطة، والشيخ محمد جبريني، والشيخ محمد السلقيني(١)، والشيخ محمد أسعد

---

(١) **الشيخ محمد إبراهيم السلقيني (١٣٣٠هـ-١٤٢٢هـ)**: داعية فقيه، ولد في أسرة توارثت العلم والصلاح في مدينة حلب، أكمل الدراسة في الخسروية عام ١٣٤٨هـ، وعمل مدرِّسًا في الخسروية، وعمل مدرسًا في ثانويات ومساجد حلب كالأموي والصبحان، والعمري. توفي في حلب ودفن في مقبرة السفيري. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٥٤٨).

العبجي، والشيخ محمد الحكيم، والشيخ عبد الوهاب سكر، والشيخ محمد سعيد الإدلبي[1]، والطبيب محمد الريحاوي، وغيرهم.

بعد عام من أدائه خدمة الجيش في مدرسة الضباط في حمص بسورية، وذلك في عام (١٩٥٧م) ذهب إلى إستانبول (إسطنبول) بتركيا لمتابعة تحصيله العلمي، فدرس هناك الطب البشري مدة سبعة أعوام، ونال شهادة الطب عام (١٩٦٤م)، وفي تركيا أتقن اللغة التركية، وزار المتحف الإسلامي، كما زار بديع الزمان الشيخ المجاهد سعيد النورسي -رحمه الله تعالى-صاحب رسائل النور زاره في بيته بمدينة إسبرطة، ثم عاد إلى حلب.

عمله:

بعد تخرجه في كلية الطب في تركيا، وعودته إلى حلب، خطب الجمعة في مسجد ببلدة دير حافر التابعة لحلب، مدة سنتين حسبة، ثم مارس مهنة الطب البشري في عيادته الكائنة في جب القبة بحلب حتى آخر حياته، رحمه الله تعالى.

مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

لقد تعلق هذا الطبيب بالسيد النبهان، فكان يحضر مجالسه العامة والخاصة، ولا يشك كثيرون بولايته.

حدثني الحاج ناجي حمامي -رحمه الله- قال:

---

(١) **الشيخ محمد سعيد الإدلبي(١٢٩٢هـ-١٣٧٠هـ)**: فقيه محدث، تربى على يد العلامة الشيخ أحمد الترمانيني، وجمع من علماء حلب، كانت له دروس في مدرسة العثمانية، والخسروية، والدليواتية، والجامع الأموي في حلب. من مؤلفاته: كتاب في تجويد القرآن الكريم، شرح تائية السبكي في السيرة، توفي في حلب ودفن في مقبرة الصالحين. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (١٨٢).

«كان سيدنا ﷺ في غرفته وقد حضر الدكتور سعيد عبدان والفقير وكان الباب مغلقًا، طُرِق الباب فأمر سيدنا بفتحه، فدخل رجال مسؤولون كبار من الدولة، بقي السيد جالسًا لم يقم لاستقبالهم، قالوا: جئنا باسم الدولة نعتذر. قال السيد النبهان ﷺ: لا أكلمكم؛ كلموا هؤلاء. وأشار إلى الدكتور سعيد عبدان، واستدار بكرسيه نحو الجدار، وانطلق سعيد عبدان كخطيب مصقع مفوه وقال لهم: هل رأيتم الآن هذا الرجل؟ انظروا إليه وتفحصوه، هل هذا رجل يعادى؟

أنتم تسجنون الناس فيتعلمون كل الخبائث في السجن، وهو يربي رجالًا لا تصرفون عليهم شيئًا فيكونون نافعين للمجتمع، هو يُعَلم الناس الخير وأنتم لا تتركون مناسبة إلا وتحاربونه! انظروا إليه هذا هو تفحصوه، هو ينفق ماله كله وليس له غرض، وأنتم صادرتم ماله وتراقبونه ليل نهار ولولاه ما ألجمت الفتن ولا قضي على رأسها، يزرع ويحصد ويأكل من عمل يده. وكان قد ساد صمت وسكون وجلال ومهابة، وزلزلت أركانهم، فانطبع على وجوه هؤلاء القادمين الذين جاؤوا من دمشق ليعتذروا وبهتوا بما سمعوا، وسيدنا النبهان لم يلتفت وبقي بكرسيه أمام الجدار والدكتور سعيد عبدان يهدُّ هدًا. خطبة عصماء في كل حرف منها رجل فارس، طال الأمر ساعة أو أكثر والسيد النبهان على جلسته، قام الوفد العالي المستوى من الدولة وانسل واحدًا تلو الآخر، وحمم الدكتور سعيد عبدان تصب عليهم، فلما خرجوا استدار السيد النبهان فتقدم الدكتور سعيد عبدان وقبل يده، وكان يومًا عسيرًا على هؤلاء ومشهودًا».

الدكتور سعيد عبدان مقامه عند السيد النبهان ﷺ طويل المدى.

ذهب يدرس في إسطنبول الطب وتخرج في الأوائل.

روى لنا الدكتور عثمان عمر المحمد (أن سيدنا ﷺ بعث للدكتور سعيد وهو يدرس في تركيا مبلغ مئة ألف، وهو مبلغ كبير. يقول الدكتور سعيد: أنهيت دراستي، وبقي من المبلغ المرسل الكثير، فلما عدت إلى حلب وكان لي مزرعة في

بلدتي تادف، فبعتها، وأكملت المبلغ على المئة وجئت إلى السيد النبهان ﷺ، وقبلت يده، وأعطيته المبلغ، فقال السيد النبهان: يا دكتور سعيد أنا ما أعطيتك المال دينًا. قال فرجوته حتى أخذها مني).

كان الدكتور عبدان قلبه أقرب إلى الجذب، ولكنه في صحبة السيد الكريم رجل صاح، لا تشوبه شائبة، وعينه وقلبه على مولاه.

حدثني الشيخ محمود الزين -رحمه الله- أنه سمع الدكتور سعيد عبدان -رحمه الله- يقول: «أنه جاءني ذات يوم مريض فأعطيته دواءً فرجع بعد أيام وقال: لم أنتفع به. فغيّرت له الدواء، ثم جاء مرة أخرى وقال: لم أنتفع. فقلت له: تعال غدًا لأعطيك دواءً ستنتفع به إن شاء الله، فجاء في اليوم التالي فأعطيته زجاجة ملأى فأخذها وبعد أيام رجع وقد شفاه الله، قال له الرجل: هذا هو الدواء الناجع أعطني اسمه فلقد أفدت منه. قال الدكتور سعيد: اذهب إلى الكلتاوية واشرب من ماء بركتها فهذا هو الدواء الذي أعطيتك إياه».

كان -رحمه الله- عابدًا زاهدًا متواضعًا.

قال الدكتور عثمان عمر المحمد: كان الدكتور سعيد بارعًا في الطب وتشخيص المرض والعلة، فمثلًا لما مرض فجأة الشيخ محمد بن ناصر حوت -رحمه الله- وكان ذلك في مدرسة الكلتاوية، استدعي الدكتور سعيد لعلاجه، فلما جاء وعاينه التفت إلى الحاضرين وقال لهم: اقرؤوا له الفاتحة. ثم جيء بعدها بالدكتور متين طباخ -رحمه الله- وراح يعاينه، وهو متردد يقول: هل عنده صرع؟ ثم قال: نسعفه للعيادة الليلية، والدكتور سعيد واقف، فلما رأى تردد الدكتور متين وحيرته قال له بانفعال: دكتور اش عبتخربط! الرجل لن يعش أكثر من دقيقتين. والله ماجاوزها، فقد خرج الزبد من فمه وأنفه، ولفظ آخر نفس من أنفاسه، وأنا عثمان عمر واقف أشهد ذلك. وفي اليوم التالي التقيت بالدكتور سعيد وسألته فقال: لماعاينته سمعت خرير النزيف بأذني.اهـ.

شعره:

كان يشارك في المناسبات، ويكتب الشعر والنثر في بعض الصحف والمجلات، ومن عجيب ما حدث به أنه كتب قصيدة بعنوان: (قالت الروح للجسد) عندما كان في إستانبول، وأرسلها إلى حلب لنشرها في إحدى الصحف، وكان ثمن الجريدة عشرة قروش سورية، فارتفع ثمنها إلى ليرة سورية بسبب جودة القصيدة، وبيع منها أعداد كثيرة، كما نشر بعض قصائده في لبنان.

نموذج من شعره:

محاجرُ الكون غرق في مآسيها ... وزفرة الألم الدامي تُفشّيها
ما للأنين طغى تيّاره وربا ... يجيش من مقلة الدنيا فيذكيها؟
و للزمان جئيرٌ[١] من كوارثه ... ولليالي زئيرٌ من دواميها
واللاتُ! ما لجِباه القوم قد سَجَدَتْ ... لها و عبّ دماء القوم باغيها؟
وطفلةٌ ضرعت تهمي مدامعها ... لمَّا ووُودٌ أهالَ التُرْبَ يُرديها
طلعْتَ يا كوكبَ الدنيا وزينَتها ... فانجابَ مُظلمُها وانفكَّ عانيها
وأشرقَ الكونُ بسّامًا تضاحكه ... شقائقُ الروضِ سكرى في روابيها
لما تبدَّيتَ خرّ الظلمُ منصدِعًا ... و دولة الجَورِ دُكّت من صياصيها[٢]
دعوتَ مكة للرحمن فانصرفت ... عن هَدْيِ ربِّك لما كنتَ داعيْها
وجاوبتك شموس الهدي ساطعة ... من نور يثربَ وضّاحًا معانيها
شمٌّ صناديدُ من بطحائها اعتنقوا ... روح العقيدة واستلّوا مواضيها[٣]

---

(١) جئير: صياح و شكوى.

(٢) دُكّت: هُدَّت. و الصياصي: الحصون.

(٣) شُمّ: أصْحاب أَنَفَةٍ وَعِزَّةٍ. و الصِّنْدِيدُ: الشريف الشجاع. والبطحاء: أرض مُنْبِسطة فسيحة الأرجاء. و المواضي: السيوفُ القاطعة.

وقال مقدادهم[1] في وقعةٍ سلفت غراء كالفجر والتاريخ يرويها
إنا أشداء يا طه إذا اشتعلت نار المعارك أو نادى مناديها
دعوتَنا بسنا مجدٍ ومكرمة ودعوةُ الحق بالأرواح نفديها
أشكو إليك رسولَ الله داهيةً شديدة مثّلت فينا مآسيها
أصابتِ الأمة الشماءَ فانصدعت أركانها وطحت تهوي مغانيها

مصادر الترجمة:

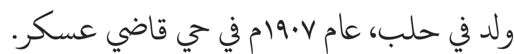
- لقاء أجراه معه فياض العبسو في عيادته بحلب يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ١٤١٩هـ، الموافق للثاني والعشرين من شهر تموز من عام ١٩٩٨م.
- الشيخ الدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلةً كتابيةً.
- الشيخ الدكتور محمود الزين -رحمه الله-، مشافهةً.
- الحاج ناجي حمامي -رحمه الله-، مراسلةً صوتيةً.

(١) المقداد بن عمرو المعروف أيضًا بـ«المقداد بن الأسود»، صحابي بدري، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ، وشارك مع النبي ﷺ في غزواته كلها، كما شارك في فتوح الشام ومصر، كان أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، وكان المقداد من أوائل من أظهر الإسلام بمكة، توفي المقداد سنة ٣٣ هـ بالجرف، فحُمل إلى المدينة، وصلى عليه عثمان بن عفان، ودُفن في البقيع، وكان عمره عند وفاته ٧٠ سنة.

(١٩) الحاج سليم التبان

١٣٢٥ – ١٤١٢هـ/ ١٩٠٧ – ١٩٩٢م

التاجر العَطَّار، والصابر المحتسب، الحاج سليم التبان (كما اشتهر)، واسمه: عبد السلام بن عبد الحميد بن محمد، وينتهي نسبه إلى سيدنا عبد القادر الجيلاني قُدِّس سِرُّه.



ولد في حلب، عام ١٩٠٧م في حي قاضي عسكر.

نشأته:

نشأ يتيمًا فقد توفي والده وهو صغير، له أخوان: محمد، وعبد الوهاب، عكفت أمهم على تربيتهم -وهي من أسرة الجسري- في كنف جدهم الحاج محمد تبان، وكان رجلًا صالحًا.

ظهرت على عبد السلام سمات الصلاح منذ نعومة أظفاره، فكان يجلس بجانب جده عند كل صلاة، وعندما يدعو دبر الصلاة كان يغترف من يده ويمسح بها وجهه.

زواجه:

تزوج عام ١٩٣٣م من السيدة صالحة ختام بنت الحاج شاهين ختام، وله منها أربعة ذكور: عبد الحميد، ومحمد تقي، ومحمد علي، ومحمد عارف، وخمس إناث.

صبره:

توفي للحاج سليم ولد شاب وهو في السادسة عشر من عمره (عبد الحميد)، وولدان صغيران: (محمد علي، ومحمد عارف)، وابنتان دون السنتين (عائشة وأميرة)، وبقي لديه فاطمة وعائشة ورشيدة.

أحد أولاده الصغار عانى كثيرًا في النزع إلى أن توفي، فسأل سيدنا ﵁: يا سيدي هؤلاء الأطفال لا ذنب لهم فما باله يتعذب في سكرات الموت؟!

أجابه السيد الكريم: «يا ولدي! هذا الطفل طلب من ربه مقامًا عاليًا وعمره قصير فشدد الله عليه سكرات الموت ليبلغ المرتبة التي طلبها».

وابنه الثاني أيضًا عانى كثيرًا في المرض إلى أن توفي، فسأل سيدنا ﵁، فأجابه: يا ولدي هذا العذاب ثوابه في صحيفة أبويه.

وبعد فقده لأربعة أولاد زوّج ابنه عبد الحميد وكان له من العمر ستة عشر عامًا، لكنه مرض أيضًا بعد أقل من ثلاثة أشهر وتوفي.

كان الحاج سليم مثال الصابر المحتسب، خاطب ربه قائلًا: يا رب أنا راض فارض عني.

توفيت زوجته عام ١٩٧١م فتزوج من السيدة عطيفة بازركان، ولم ينجب منها أولادًا، وتوفي عنها.

تعلم في حَيِّه مبادئ القراءة والكتابة وقراءة القرآن في الكتاتيب.

ذهب إلى الحج على الإبل وهو شاب.

ابتلي منذ طفولته بضعف شديد في بصره مما حال دون إكمال حفظه القرآن الكريم لكنه كان دائم التلاوة لا يلغو ولا يلهو منذ صباه، خلوق، ودود مع من حوله وخاصة مع أسرته، يحنو عليهم، ويلاطفهم، ويوجههم بأدب جم.

التعرف على سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

تشرف بصحبة السيد النبهان ﵁ عام ١٩٤٠م، وبقي ملازمًا له، متابعًا دروسه ومذاكراته، مرافقًا له في أغلب أسفاره وتنقلاته لاسيما في رحلته إلى الحج عام ١٩٦٥م فقرافق سيدنا النبهان هو زوجته وابنته الكبرى.

كان السيد النبهان في الحج جالسًا مع إخوانه يتذاكرون فالتفت إلى اخوانه وقال: يكفي أن معنا الحاج سليم.

وكذلك صحبه في رحلة القدس الشريف، فعندما سافر سيدنا ﵁ إلى القدس الشريف لحق به الحاج سليم مع أحد أقربائه الذين يعرفون السيد، وعندما وصل إلى هناك دخل المسجد الأقصى لأنه لا يدري إلى أين سيتوجه، فصلى ثم جلس في المحراب، وفي هذه الأثناء قال السيد ﵁ لأحد إخوانه: قم واذهب إلى المسجد، فامتثل ذلك الشخص دون أن يعلم لماذا، فلما دخل المسجد وجد الحاج سليم جالسًا في المحراب، فقال له: الآن فهمت لماذا أرسلني السيد إلى هنا، ثم اصطحبه ورجع إلى السيد.

يروي حفيد الحاج سليم قصة سمعها من جده حدثت مع السيد النبهان فيقول:

كان الحاج سليم بمعية السيد النبهان في المسجد الأقصى فراوده سؤال فقال: يا سيدي! عندي سؤال أريد أن أسألك إياه، فرد عليه بلهفة: قل يا ولدي. قال له: يا سيدي! هل يوجد من بعد نعمة الإسلام نعمة على الإنسان أكبر من نعمة محبة أهل الله؟ قال له السيد النبهان: «لا يا ولدي ولا يكمل الإيمان إلا بها».

زيارة سيدنا ﵁ الحاج سليم في عمله:

كتب الدكتور محمد فاروق النبهان[١] فقال: «كنت في العاشرة من عمري رافقت السيد النبهان ﵁ في زيارة له إلى المْدِينَة، وهي السوق التجاري القديم في حلب صاحب الشهرة التاريخية، وأهم معالم حلب التاريخية والأثرية، زار الحاج سليم التبان في خان العلبية، وكان من المحبين الصادقين الذين يحظون بمحبة السيد، وكان السيد كثير الثناء عليه.


الحاج سليم التبان

فرح الحاج سليم فرحًا كبيرًا، وأوقف كل عمله، فقال له السيد: تابع عملك ولا تنشغل بي، جلس قليلًا ثم تابع طريقه إلى سوق الجوخ».

من أقوال السيد النبهان ﵁ عن الحاج سليم:

«الحاج سليم جاءنا مُرَبّي ولكن عندنا انصقل».

وقال ﵁ مخاطبًا الحاج سليم: «حاج سليم أنت صدرك سليم، وقلبك سليم، وكُلُّك سليم».

وقال عنه أيضًا: «الحاج سليم وَلِيّ».

كانت ابنة الحاج سليم تتحدث إلى السيد ﵁ فقالت: سيدي أحيانًا أشعر بأنني شقية، فقال لها سيدنا: «لَهْ أنتم ذرية الحاج سليم ما فيكم شقي، كباركم وصغاركم رجالكم ونساؤكم غالين عليَّ أو أحبكم» الشك من ابنة الحاج سليم.

---

(١) صفحة فضيلة الدكتور بالموقع الاجتماعي (فيس بوك): اسم المستخدم (mfnabhan)، رابط: https://www.facebook.com/mfnabhan. بتاريخ ٢١ تشرين الأول ٢٠٢٠م.

ومرة كان السيد النبهان وإخوانه مجتمعين على وليمة في بيت الحاج فوزي شمسي فجلس الحاج سليم على المائدة ولم تَطُل يده إلى صحون الطعام غير صحن اللبن، فأكل منه حتى شبع ولم يمد يده إلى صحن أبعد، فانتبه إليه السيد النبهان وقال لصاحب العزيمة: «عمك الحاج سليم لم يأكل غير الخبز واللبن» فانتبه الرجل وأحضر له الطعام فقال السيد: «الحاج سليم جاءنا مُرَبّى ولكن عندنا انصقل».

حدثني الشيخ محمود حوت قال: «حدثني والدي الحاج ناصر حوت قال: لما توفي عبد الحميد تبان ابن الحاج سليم وهو ابنه الأكبر وكان عروسًا لثلاثة أشهر كنت حاضرًا غُسْله فدخل سيدنا النبهان ﵁ والمرحوم على خشبة الغسل فاستقبله الحاج سليم فقال سيدنا: هل أنت زعلان يا حاج سليم على عبد الحميد ابنك؟ فأجابه قائلًا: يا سيدي! والله لَأَن يموت ولدي هذا أهون عندي من أن يصاب ظفر إصبع قدمك الشريفة».

سأل سيدنا النبهان الحاج سليم: «لماذا تُحِبّنا يا حاج سليم؟ فرد عليه: يا سيدي! دروس ومذاكرات وأخلاق عالية وأنوار محمدية. فقال له السيد: يا ولدي هذه محبة صفاتية، يجب أن تكون محبتك ذاتية».

يروي الحج سليم قصة لأحفاده أنه كان ذات يوم يحدث نفسه ويقول: يا رب إذا جاءني ملك الموت فاجعله على هيئة السيد النبهان، فرأى في منامه ذلك اليوم ملك الموت وقد جاءه، فأعطاه يده فشمها واستيقظ مذعورًا، وذهب إلى السيد النبهان وروى له المنام يا سيدي جاءني عزرائيل في المنام، فسأله السيد: على الصورة التي طلبتها؟ فقال: لا يا سيدي، فقال السيد: إذًا زائرًا لا قابضًا.

يقول الشيخ هشام الألوسي: «حضرت ذات يوم عند محراب جامع الكلتاوية والشيخ بشير حداد والحاج سليم يتذاكران بسيدنا النبهان ﵁ بعد انتقاله بسنوات وأنا معهما أستمع فرأيت الحاج سليم يتحدث عن حضور سيدنا عليه يقظة ويشير بسبابته ففهمت أنه من أهل هذه الرؤية المباركة».

عمله:

كان يعمل عطارًا في حي قارلق جب الأحمدي، ثم انتقل عمله فكان أحد شركاء ثلاثة في محل تجاري بمنطقة المدينة (خان العلبية)، وجيرانه هناك يعملون بالأقمشة والخيوط، أما الحاج سليم فمحله فيه العطورات والبذور كالشاي والبن والتوابل وغيرها، أصر شركاؤه على حل الشراكة فقال: أذهب وأسأل سيدنا النبهان ﵁ هل أبيع حصتي أم أشتري؟ فجاء إلى الكلتاوية وسأله، فأجابه قائلًا: ياحاج سليم اشتر المحل ولو بالدين فالرزق تابع لك، وتلا الآية:

﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ (الكهف ١٦). مع أن حال السوق الذي هو فيه خلاف ذلك، وأن جيرانه تجار خيوط وأقمشة، فامتثل الحاج سليم واشترى المحل، وإذ بالخيرات تفيض عليه، وكان يقصده المشترون ويأتون إليه الصباح الباكر من الجزيرة.

إقامته:

كان مقيمًا في حي قاضي عسكر لفترة من الزمن ثم انتقل إلى دار قريبة من عمله بعد أن نقل عمله إلى المدينة، ثم اختار جوار السيد النبهان في عام ١٩٥٥م تقريبًا فسكن في محلة الجبيلة، وكل البيوت التي أقام فيها كانت بالأجرة، وفي عام ١٩٦٥م أراد أن يشتري بيتًا، فبحث عن بيت في الكلتاوية فلم يجد، ثم وجد بيتًا في محلة الجبيلة القريبة من الكلتاوية فذهبت ابنته الكبرى لتشكو أمرهم للسيد ﵁، فأجابها: «نعم بنتي خذوا بالجبيلة؛ الكلتاوية من الجبيلة والجبيلة من الكلتاوية، أنتم في ظل المئذنة».

أراد الحاج سليم أن يستشير سيدنا النبهان في أمر البيت، فذهب إليه وطلب من سيدنا ﵁ أن يرى البيت، فوافق سيدنا ﵁ ورافقه الحاج سليم، فدخلها سيدنا ﵁ وشرفها، ودخل إلى كل غرفة فيها، ثم قال له: حاج سليم اشترها، كُوَيْسة،

كُوَيْسة، وبعدما اشتراها دعا السيد إلى داره ليباركها، وخلال تلك الجلسة قال سيدنا ﵁ للحاج سليم: «إي ياحاج سليم مرجعك ما عنده بيت مُلْك وأنت صار لك بيت ملك؟!» وضحك السيد ﵁، فأطرق الحاج سليم رأسه خجلًا، فقال له السيد بقوة: «وهو يتولى الصالحين».

وزاره السيد في بيته ذاك مرات عديدة، كما زاره في بيوته السابقة.

دعا الحاج سليم تبان -رحمه الله- سيدَنا ﵁ إلى العشاء في بيته في محلة الجبيلة القريبة من الكلتاوية، وفي الطريق توقف ﵁ وقال: يا حاج سليم، العشاء لم يجهز بعد! فقال له: يا سيدي أنا أعلم أن العشاء جاهز. فقال له سيدنا: تفضل. فلما وصلا إلى البيت وجد العشاء لم يجهز بعد، فقال ﵁: ألم أقل لك أن العشاء لم يجهز بعد، قال الحاج سليم: آمنت وصدّقتُ.

وفاته:

لكل بداية نهاية ولكل آتٍ رحيل، إنها الأقدار.

قال حفيده عبد السلام: «مرض جدي الحاج سليم وبدأ يغيب تارة ويصحو أخرى، وآنذاك كان طبيب العائلة محمد عبيد شِشْمان -رحمه الله- جاء به والدي فحص المريض، وطلب بعض التحاليل، واشتد مرض جدي وغاب تمامًا إلا من تلاوة سريعة ومستمرة للقرآن، ووقف الطبيب أمامه ومعه ورقة التحليل وقال لوالدي: يا أبا سليم وضع عمي الحاج سليم انتهى -والله أعلم- ولم يبق في حياته إلا عدة أيام لكن استوقفني حاله يا رب رجل في الغيبوبة وهو يتلو القرآن هنيئًا له هذا المقام، منذ شهور استدعاني أحدهم لزيارة مريضهم بنفس مرض عمي الحاج سليم وما أن دخلت غرفته إذ بي أسمع السب والكفر. يا الله سبحانك من عاش على شيء مات عليه، انتهى كلام الطبيب ثم قَبّله وانصرف.

وبقي الحاج سليم -رحمه الله- ثلاثة أيام في غيبوبة وتلاوة إلى أن فارق الحياة قبل الفجر بقليل ونحن حوله مبهورون بنور سطع من صدره ما رأينا مثله».

توفي الحاج سليم في عام ١٩٩٢م في داره التي اشتراها باستشارة سيدنا رضي الله عنه، والتي ما زالت قائمة إلى الآن تسكن فيها ابنته.

حاليًّا لم يبق من أولاد الحاج سليم إلا ابنة واحدة وهي عائشة.

رحمه الله، آنسه الله، رفع درجته في عليين وجمعه بأحبابه في عالم الآخرة.

مصادر الترجمة:

- حفيد الحاج سليم: عبد السلام محمد تقي تبان، مراسلةً كتابيةً.
- الدكتور محمد فاروق النبهان، من ذكرياته التي نشرها في موقعه.
- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (٢: ٣٨٣).
- الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت، مراسلةً كتابيةً.
- الشيخ هشام الألوسي، مراسلةً كتابيةً.

(٢٠) الشيخ صالح بشير الحجي

١٣٥٦ - ١٤٤١هـ/ ١٩٣٧ - ٢٠٢٠م



العالم والفقيه المفتي الشيخ صالح بن محمد بن بشير بن أحمد الصالح الحجي المارعي.

ولادته:

ولد في بلدة مارع في منطقة عزاز التابعة لمحافظة حلب، يوم ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٥٦هـ، الموافق: ١ آب عام ١٩٣٧م.

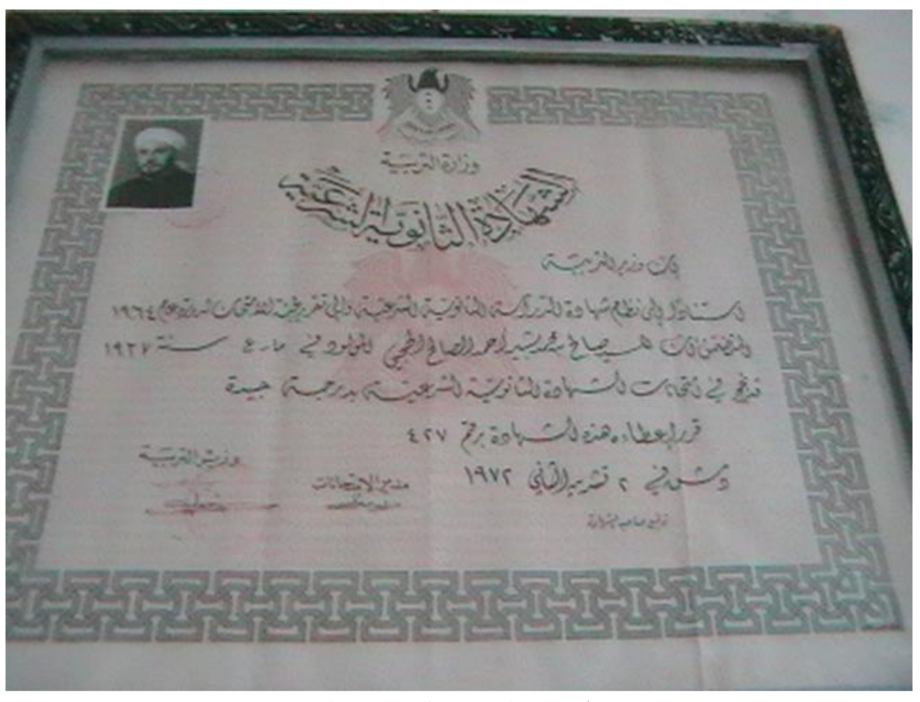
طلبه العلم:

درس السنوات الثلاث الأولى من الابتدائية في مدينة مارع، ثم انتقل إلى مدرسة سعد الله الجابري في منطقة قاضي عسكر في حلب، ودَرَسَ فيها الصف الرابع والخامس.

في عام ١٩٥٢م انتسب إلى معهد العلوم الشرعية (الشعبانية القديمة)، وأخذ غرفة في مدرسة العثمانية.

وفي عهد الوحدة بين مصر وسورية جرى مايسمى «إصلاح الأزهر» وفي سورية جرى إصلاح المعاهد الشرعية، فدمجت عدة مدارس شرعية، وضُمّت المدرسة الشعبانية (معهد العلوم الشرعية) للمدرسة الخسروية، وكان الشيخ صالح وقتها في

الصف الثالث الثانوي، فأدخل في الخسروية الصف الثالث الإعدادي، وفي الثالث الإعدادي لم يكن هناك تأجيل للجيش فذهب لخدمة الجيش مدة سنتين وأربعة أشهر، وبعد ما أنهى خدمة العَلَمِ عاد إلى الصف الثالث الإعدادي في مدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية)، فقدم الصف الثالث الإعدادي مع الفارق الكبير في العمر بينه وبين زملائه، وأتى مدير المدرسة بموافقة له من الوزارة نتيجةً لظروفه وقتها وتفوقه، فتقدم مباشرة للصف الثالث الثانوي، فحصل إذن على شهادة الكفاءة عام ١٩٦٢م، ثم حصل على شهادة الثانوية الشرعية «البكالوريا» عام ١٩٦٤م، وحصل على المجموع الأول في الثانويات الشرعية، وأهدوه ألف ليرة سورية مكافأة له، وكان الشيخ صالح وقتها متزوجًا وعنده أولاد.


وزارة التربية
الشهادة الثانوية الشرعية
إن وزير التربية
استنادًا إلى نظام شهادة الدراسة الثانوية الشرعية وإلى تقرير لجنة الامتحانات [illegible] عام ١٩٦٤
[illegible] صالح [illegible] أحمد الصالح [illegible] المولود في مارع سنة ١٩٢٧
فنجح في امتحانات الشهادة الثانوية الشرعية بدرجة جيدة
قرر إعطاءه هذه الشهادة برقم ٤٢٧
دمشق في ٢ تشرين الثاني ١٩٧٢
مدير الامتحانات
وزير التربية
توقيع صاحب الشهادة

شهادة الثانوية الشرعية للشيخ صالح بشير

انتسب إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق عام ١٩٦٤م، وتخرج فيها، ونال شهادتها عام ١٩٦٩م، أكمل فيها باستمرار بلا رسوب، والنجاح في ذلك الوقت قليل وصعب.

وكان في صف واحد مع جمع من إخوانه كالشيخ محمد لطفي، والشيخ منير حداد -رحمهما الله- والشيخ محمد زهير الناصر.

عمله: حين افتتح العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) في حلب عام ١٩٦٤م، كان الشيخ صالح بشير من أوائل من تشرف بالعمل فيها، فعمل موجهًا ومدرسًا فيها، هو والشيخ الدكتور محمود فجَّال -رحمه الله-، ولم يكن غيرهما موجهًا، وكانا يقسمان اليوم بينهما قسمين، ولا يوجد حينها إلا الموجهان والمدير، ثم من بعد الشيخ محمود فجال جاء الشيخ صالح حميدة الناصر –رحمه الله- وبقي الشيخ صالح أحد عشر عامًا في الكلتاوية لم يأخذ فيها إجازة قط، وكان ذلك من عام (١٩٦٤م إلى عام ١٩٧٥م). يقول رحمه الله: «قضيت مع سيدنا النبهان ﷺ عشرة أعوام ولم يعاتبني فيها مع أنني كنت قاسيًا على الطلاب، وكنت من أول ثلاثة أيام أحفظ أسماء الطلاب وقراهم».

خطب بعض الخطب في الكلتاوية وكيلًا عن الشيخ بشير حداد-رحمه الله- حين ذهب الأخير إلى الحج.

ثم تعاقد مع المملكة العربية السعودية، فدرّس في المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٩٠م، وذلك في مدينة حائل، والبكيرية، وسكاكا الجوف، وقنا.

بعد رجوعه من المملكة العربية السعودية عمل مديرًا للمعهد الشرعي في مدينة عين العرب إضافة إلى تدريس مادة المواريث مدة عام ونصف (١٩٩٠ / ١٩٩١م).

ثم عاد بعدها للتدريس في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) في عام ١٩٩١ م، وبقي فيها حتى عام ٢٠٠٥ م.

دَرّس الشيخ صالح في مدرسة الكلتاوية: متن أبي شجاع، وتنوير القلوب، وحاشية الشرقاوي، والإملاء، وتهذيب سيرة ابن هشام، والفرائض، ومصطلح الحديث، وغير ذلك.

ودَرّس في مدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية) بحلب، بنظام الساعات.

عمل إمامًا في مسجد شاهين بك بمنطقة «الجبيلة» بحلب.

وفي مارع كان خطيبًا لجامع الفرقان عام ١٩٩١ / ١٩٩٢م.

ثم رئيسًا للجنة الأوقاف في مارع وذلك من عام ١٩٩٣ حتى عام ٢٠٠٧ م.

كما عمل إمامًا في جامع سلمان في مارع من عام ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٥م.

من طلابه في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية):

الشيخ محمود العبيد، والشيخ بلال حمزة بلال، والشيخ حسين أحمد المحمد، والدكتور أحمد الموسى، والدكتور عثمان عمر المحمد، والدكتور محمود الزين، والدكتور عبد الله الحسن، والشيخ إبراهيم منصور، والشيخ عبدالرحمن زمة، والشيخ يحيي فاضل، والشيخ حسن حجازي، والشيخ عبد الجواد العاشق، والشيخ عبد المنعم سالم، والدكتور محمود حوت، والشيخ عبد الهادي بدلة، والشيخ محمد أمين مشاعل، والدكتور علي مشاعل، والشيخ يوسف الزين، وغيرهم كثير.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

حدثني الشيخ صالح بشير -رحمه الله- عن لقائه وتعرفه على السيد النبهان رضي الله عنه فقال -رحمه الله-: كان ذلك حين قدمت طالبًا إلى مدرسة الشعبانية عام

١٩٥٢م، فقد جاء الشيخ ياسين الويسي الحيدري[١] –رحمه الله- ليَدْرس العلم فيها، وهو وقتها في الثلاثين من عمره، وعنده زوجة وأولاد، وكانت هناك صحبة بين والدي ووالده، وكان الشيخ ياسين قد تعرف على السيد النبهان قبل دخوله إلى المدرسة فعرفني به رضي الله عنه.

حدثني الشيخ صالح بشير عن السيد النبهان رضي الله عنه قال، رحمه الله:

لقد أكرمني الله بخدمة طلاب العلم، كنت مرة مع سيدنا رضي الله عنه لوحدنا فقال لي: «الله أتى بك من مارع لتخدم طلاب العلم عظمة! عظمة!».

علمنا السيد النبهان ألا نهتم بالكرامات، وكان يقول: الاستقامة هي الأصل، وكان رضي الله عنه لا يهتم بالكرامات، يكفي السيد النبهان أن كرامته هي استقامته، يكفي السيد النبهان أنه توفي وداره هي بالآجار مع أنه يملك أموالًا طائلة يستطيع أن يشتري بها دورًا بدليل أنه اشترى لغيره دارًا وأسكنه فيها، ولكنه سخر ماله لخدمة عباد الله، ما كنا نهتم بالكرامة ولا تعنينا، ولا خطر في بالي يومًا أن السيد سيموت وأنني سأتكلم عنه أو عن حياته.

صحبناه رضي الله عنه فكنا نجده المثل الأعلى، يحب ضيوفه، ويكرمهم، ووجدت شيئًا من هذا خصوصًا عندما كنا نذهب بمعيته إلى قرية التويم بل لقد أطعمني بيده رضي الله عنه.

سيدنا النبهان أكرمه الله بمحبته ومحبة رسوله ﷺ، وترك الدنيا، وترك العز الذي كان عليه من قبل، كان يدخل على والده في آخر حياته فيقوم له فيطلب منه السيد عدم القيام فيقول والده له: سأبقى واقفًا حتى تجلس أنت؛ فأنت تركت أمك وأباك وليراتك واتبعت الله والرسول، والذي لا يحبك شقي. هذه سمعتها منه مباشرة وكان يقول: اللّٰهُمَّ نعم الذي لا يحبني شقي.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٧٨).

ولما حبب الله إليه العلم ترك كل شيء، فالله هو الذي اختاره، وهيأه ليكون لهذا الزمان، ترك المال، وترك الجاه، وترك الذهب، وكان الذهب عندهم كثيرًا يضعونه بالتنك.

وحين كان السيد النبهان يعمل في مال أبيه قبل العلم جاءه مرة من يطلب مالًا فأقرضه مبلغًا كبيرًا فلما جاء والده في المساء لينظر الحساب قال: ما هذا؟ قال: طلب مني فلان فأعطيته وهو في نفس الوقت أمين يسجل كل شيء، وجاء آخر مثل سابقه فأقرضه أيضًا فلما جاء والده ورأى ذلك قال: هل كلما جاء من يطلب مالًا تعطيه؟! حين أدرك عدم رضا والده صار يحدّث نفسه: كيف يكون عندي مال ويأتيني صاحب أو محتاج فأمنعه؟ يا رب أنا هذه الدنيا لا تعجبني، فخذني إلى دنيا غيرها، فألقى الله في قلبي حب طلب العلم. وهذا ما سمعته منه رضي الله عنه. ولما تقدم لطلب العلم تقدم بكليته رضي الله عنه لطلب العلم بصدق كبير.

عرف مشايخه له قدره رضي الله عنه، وأذكر أنني كنت مرة في مجلس سيدنا فأخرج صورتين قال: هذا تلميذ هذا، التلميذ سبق شيخه فاتبعه شيخه، مثلي ومثل شيخي، ثم قال رضي الله عنه: لا يقدر، لا يقدر. هذا سمعته من سيدنا مباشرة.

وشيخه حين قال له: «أنت سبقتني» لم يقلها له تواضعًا لأننا لا نحجر على الله أن يسبق التلميذ شيخه.

وقضية اجتماع السيد النبهان برسول الله ﷺ يقظة في مجلس شيخه مشهورة.

كنا يومًا جالسين مع سيدنا رضي الله عنه على الغداء فقال له أحد إخواننا: كان رسول الله ﷺ يكرم أصحابه ويطعمهم بيده.

فقام سيدنا رضي الله عنه وأطعم كل واحد من الحاضرين بيده الشريفة لقمة، وكنت أحدهم.

وشهادة شيوخ السيد النبهان له مشهورة ولقد قال له شيخه أبو النصر[١] كما سمعتها من سيدنا: أنت من أهل العناية.

كنت قريبًا مرة من سيدنا ﵁ وهو واقف بيني وبينه أقل من مترين فقال ﵁: صارت تخرج ذرة منه إلي وذرة مني إليه ﷺ حتى تبادلت ذراتنا وصرنا واحدًا.

أما مواقف السيد النبهان فهي كثيرة كثيرة، وأنا من الذين لا يحبون المبالغة إنما أريد ذكر الأمر كما هو عليه فهو يكفي وزيادة).

مرضه ووفاته:

عانى الشيخ صالح في السنوات الخمس الأخيرة من عدة أمراض في العمود الفقري، ونقص في تروية الدماغ، حتى لزم الفراش، واشتد به المرض في أواخر شهر رمضان المبارك ١٤٤١هـ، وصام منه أحد عشر يومًا، ثم اشتد به المرض أكثر فدخل في غيبوبة في ٢٤ رمضان، وأسعف إلى مستشفى في مدينة أنطاكية في تركيا، حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الثلاثاء ٢٦ رمضان ١٤٤١هـ، الموافق ١٩ مايو ٢٠٢٠م قبل المغرب بساعات، ودفن في مقابر السوريين في مدينة الريحانية يوم الأربعاء ٢٧ رمضان ١٤٤١هـ، الموافق ٢٠ مايو ٢٠٢٠م. رحمه الله، وأجزل مثوبته، ورفع مقامه.

رثاؤه:

كتب تلميذه الشيخ محمود العبيد[٢]:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وأصحابه الغر الميامين وأزواجه وآل بيته أجمعين، ووارثه الحبيب سيدنا محمد النبهان ﵁ وبعد:

---

(١) الشيخ محمد أبو النصر الحمصي (١٢٧٠هـ-١٣٦٧هـ): شيخ الطريقة النقشبندية في حمص، أجازه بالطريقة والده الشيخ سليم،كما أجازه الشيخ أحمد شريف شيخ الطريقة السنوسية. له الأثر الكبير في علماء حلب خاصة. انظر «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره». (٤٥)، و«السيد النبهان» (١: ٥٨)، و«علماء من حلب في القرن الرابع عشر » (١٨٢).

(٢) كتبه الشيخ محمود العبيد، في ٢٨ رمضان المبارك ليلة ٢٩ رمضان ١٤٤١هـ.

إخوتي الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأسرة النبهانية الكريمة أعظم الله أجركم بوفاة أستاذنا الفاضل الشيخ صالح بشير الحجي -بشره الله بلقاء الأحبة محمدًا وصحبه، ووارثه السيد محمد النبهان ﵁- رحم الله شيخنا وجعله في مستقر رحمته، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

إخوتي الكرام: أنا عشت مع أستاذنا الجليل طالبًا وموجهًا ومدرسًا وأخًا وصديقًا، فكان لي نعم المدرس، ونعم الزميل، ونعم الأخ الوفي، والصديق المخلص. كان التواصل بيننا مستمرًّا رغم بعد المسافات إلى يوم رحيله من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة.

إخوتي الكرام: إنني مهما حاولت أذكر جمائله الطيبة معي أو حسن المعاملة الأخوية والود والإخاء فلن أستطيع أن أحصي ذلك أبدًا، ولكنني سأعرض على حضراتكم مواقف مضيئة مع حياتي معه.

الموقف المشرق الأول شهادة من السيد الكريم ﵁ «شيخ صالح عظمة عظمة من مارع إلى خدمة طلاب العلم عظمة عظمة».

وتحدث السيد الكريم ﵁ مرة فقال: «عندي الموجهون يعاملون الطلاب كما يعاملون أولادهم، يمرون عليهم بالليل وهم مكشفون يغطونهم بالبطانية». وكان الشيخ صالح يومها موجهًا ليليًّا.

وأما محبته للسيد الكريم ﵁ وإخلاصه فحدّث ولا حرج، من ذلك:

أذكر موقفًا له معنا نحن الطلاب أننا استأذنا من الإدارة يوم الجمعة لزيارة أستاذنا الشيخ عبد الرحمن حوت -رحمه الله- لأنه كان مريضًا، وأستاذنا الشيخ صالح شدد علينا أن لا نتأخر عن حلقة الذكر، ولكن أستاذنا الشيخ عبد الرحمن

كان كريمًا فما تركنا حتى تغدينا عنده، فتأخرنا عن حلقة الذكر، ولما وصلنا مع صلاة العصر استدعانا فأقام علينا الدنيا ولم يقعدها وهو يقول: تتأخرون عن حلقة الذكر مع السيد! أما تدرون أن هذه الحلقة يحضرها الأنبياء وكبار الأولياء والصالحين! وبعد صلاة العصر دخلنا إليه واعتذرنا له بأننا لن نعيد ذلك أبدًا أبدًا، فقبل عذرنا؛ لأن قلبه طيب، وأخلاقه عالية، تربية سيدي أبي أحمد الوارث المحمدي.

أما الموقف الثاني المضيء في حياتي معه فبعد التخرج وخدمة الجيش كنت أبحث عن عمل فأمّنَ لي عملًا إمامًا وخطيبًا في قرية عران، ثم مشى معي إلي قريتنا، وخطب لي ابنة عمي أم محمد، وأخذ أولاده إلى مارع، وترك لي بيته جاهزًا من كل شيء، وقام معي بشراء الجَهاز، وقام هو وأخي أبو عمار محمد حسن حمو بحفلة العُرْس في حلب هم وأهلهم، وبقيت أكثر من شهر في حلب في بيت أخي الغالي ومعلمي الشيخ صالح بشير الحجي، ثم واصل معي الزيارة في قرية عران هو و أهله جميعًا، وآخر زيارة زارني هو وأخي الغالي أبو عمار محمد حسن حمو قبل انتقال السيد بيوم وعند الصباح وهم عندي قلت لهم: لنذهب إلى زيارة الشيخ حسين مُجَدّمي ريثما يجهز لنا الإفطار في الساعة السادسة صباحًا، فوافق بشرط نصف ساعة؛ لأن عنده مراقبة في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) الساعة العاشرة صباحًا، ولما وصلنا إلى الشيخ حسين وجدناه مهمومًا جدًّا فاستقبلنا لكن ليس كعادته: ثم قال لولده: أعط لكل واحد كعكةً وكأسًا من الشاي، ونقرأ الفاتحة إلى سيدنا نوح، والذي يريد أن يروح يروح. وبعد أقل من ربع ساعة تقريبًا وقف الشيخ حسين على الباب ثم قال لنا: ماذا قلنا لكم؟ فقمنا وودعنا الشيخ، وجئنا إلى عَرّان ولكن الشيخ صالح أصر على الذهاب إلى حلب، وحاولت به كثيرًا لتناول وجبة الإفطار فأبى مع أني كنت متفقًا معهما أني سأذهب معهما لزيارة السيد الكريم رضي الله عنه لأنهما أخبراني أنه دخل المستشفى وأنه سيخرج اليوم ٦ شعبان ولكنهما أصرا على الذهاب، فتوجها إلى حلب، وبعدهما بنصف

ساعة جاءني جارنا وكان في مدينة الباب وأخبرني بانتقال السيد الكريم ﵁ إلى جوار ربه، فلحقت بهم وحضرنا مراسم الدفن كاملة، وكان يومًا مشهودًا ما عرفت كيف ذهبت ولا كيف رجعت.

وبعد ثلاثة أيام ذهبت إلى الشيخ حسين فوجدته يبكي فقال لي: يا أخي ياشيخ محمود لا تؤاخذني ما قمت بالواجب، كان الشيخ طالبكم للحضور فورًا. نعم كان الطلب مستعجلًا، وكان ذلك ظاهرًا على وجهَيْ أخي محمد حسن وأستاذي الشيخ صالح بشير الحجي رحمه الله تعالى.

وأما الموقف الثالث: فهو كان صاحب اليد الطولى في خدمة الإخوة الذين معنا، وكان يمازحنا ويضحك معنا، مع أننا كلنا كنا من طلابه.

كل ذلك من طيب قلبه، ونبل أخلاقه، وحسن تربيته التي أخذها من الوارث المحمدي السيد الكريم ﵁ إي والله! هكذا كان أستاذي ومعلمي وأخي وصديقي الشيخ صالح بشير الحجي. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الموقف الرابع: ذهبت إليه مع أهلي معاتبًا؛ لأنني دعوته لحفلة عرس أحد الأبناء، وأرسلت له الدعوة، ولم يأتِ، وحضر الكثيرون من إخوتنا لكنه هو لم يحضر، وتعجب الأخوة جميعًا وأنا كذلك من عدم حضوره، والجميع يعلم محبته وتقديره لطلاب العلم وخاصة أنا، ثم بعد الانتهاء من حفلة العرس ذهبت أنا وأهلي إليه في مدينته مارع، ومن حسن الحظ وجدت عنده ثلة من طلاب العلم الفضلاء، ومنهم: الأخ الشيخ أحمد عبوش، وهالني ما رأيت رأيته جالسًا على الكرسي وقد كبر، فقلت له: أين الفتوة والنشاط يا أبا بشير؟! فقال: كما ترى، وأرجو عدم المؤاخذة لأنني ما استطعت تلبية الدعوة لحالتي هذه.

وكان ذلك اللقاء طيبًا مباركًا مع أستاذي ومعلمي الشيخ صالح بشير الحجي والإخوة الفضلاء الشيخ أحمد ورفاقه الكرام.

وأحمد الله أنه كان التواصل مستمرًّا معه حتى قبيل وفاته بيوم، ثم إعلان الوفاة في اليوم التالي، وكنت كلما اتصلت به يذكرني بالحديث النبوي الشريف «دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب دعوة لا ترد»[1] أخي الشيخ محمود العبيد ادع لي، أنا في كربة وغربة ومرض. الحمد لله رب العالمين على كل حال، نحن بخير والحمد لله رب العالمين، وشرط علي شرطًا أن لا أتأخر عنه في الاتصال أكثر من أسبوعٍ، وأحيانًا لما أتاخر عنه يعاتبني عتابًا شديدًا ويقول: أنا أفرح وأُسر لما أسمع صوتك وأطمئن عليك وعلى أهلك وأولادك.

نعم هكذا كان أخي الكريم الشيخ صالح بشير الحجي لا يناديني إلا بيا أخي الشيخ محمود، هكذا كان يحب ذلك، وأنا عند محبته لي، أناديه بيا أخي الفاضل الشيخ صالح بشير الحجي وداعًا إلى لقاء الأحبة -إن شاء الله- محمدًا وصحبه وآل البيت جميعًا ووارث نبيه سيدنا محمد النبهان ﵁.

جعلنا الله إياكم جميعًا تحت لواء سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ ووارثه السيد الكريم ﵁. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب في رثائه **تلميذه الشيخ الدكتور عثمان عمر المحمد**[2]:

العين تدمع والقلب يوجع، وإنا على فراقك يا أستاذنا وشيخنا أبا بشير لمحزونون، ولا نقول ما يسخط الرب، إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) أورده «الخرائطي» في «مكارم الأخلاق» (باب يستحب للمرء الدعاء لأخيه بظهر الغيب) حديث رقم (٧٨٦) (١: ٢٥٥). وهو عند «مسلم» في «صحيحه» بلفظ «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة» (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب) حديث رقم (٢٧٣٣) (٤: ٢٠٩٤).

(٢) كتبه فضيلة الدكتور عثمان عمر المحمد في ٢١ أيار ٢٠٢٠م.

درستنا وعلمتنا ووجهتنا، فلنعم التعليم تعليمك، ولنعم التوجيه توجيهك، درستنا مادة المواريث

فكنت في تعليمك رائعًا، ومُوَفّقًا تجلي المسألة وتوضحها حتى يفهمها أضعف طالب، ودَرّستنا تنوير القلوب في الفقه الشافعي فنوّرتَ به عقولنا وقلوبنا، كما درستنا مصطلح الحديث وعلومه، فجزاك الله خير ما جزى أستاذا عن طلابه وتلامذته.

وجهتَنا فكنتَ بنا الرؤوف الرحيم، إن قسوتَ في ساعةٍ فسرعان ما أرضيتَ الطالب ببسمة لطيفة من محياك جبرتَ بها خاطره، وعاد للاعتذار والتقدير والمحبة لك.

عشنا سنوات ست ترعانا كأبنائك، وتغذونا بحنانك وعطفك، وتهتم بصغيرنا وكبيرنا، تقضي له حاجاتِهِ الخاصة والعامة، كم من تلميذ ذهبت معه بعد تخرجه لتخطب له وتفرح به، وكم من طالب علم أقمت عرسَه في بيتك العامر، روح الأبوة سارية في دمك وعروقك.

كان فقيدنا -رحمه الله- آية في الذكاء والفطانة، في الأسبوع الأول يحفظ أسماء الطلاب وقراهم، ثم بأيام قليلة تمر يعرف آباءهم ومن يزورهم.

أخذنا من سيرتك العطرة دروسًا في التواضع والأخلاق والتربية والمحبة والإيثار.

لا أنسى عامًا قضيته في صحبتك في مدينة حائل في السعودية وذلك عام ١٩٧٧م، وتلك الأيام ذكراها العطرة وأريجها الفواح لا يُنسى، عام من العمر في الغربة لكن بصحبة شيخنا وفقيدنا نسينا الغربة،

وكنا يوميًّا نلتقي مرتين مرة في المعهد الديني الذي نُدَرِّسُ فيه، ومرة في المساء يسهر عندي، أو أسهر عنده. ما أشعرني في يوم من الأيام أنه أستاذي أو أكبر مني

تواضعًا وخلقًا وحسن عشرة وصحبة، تعلمت منه الكثير الكثير من دروس الحياة، وهو الذي كان يكرر على سمعي «شرط المرافقة الموافقة»، ولم تكن مجرد كلام بل تطبيق عملي في الحياة.

حججنا معًا في ذلك العام، وكان الفقيه والمعلم لي في أحكام الحج، خاصة أن تلك الحجة هي أول حجة لي، والحج أحكامه عملية أكثر مما هي نظرية.

يا لها من أيام لا تنسى أبد الآبدين ودهر الداهرين، لم نختلف يومًا واحدًا.

واهًا لها مِنْ ليالٍ هل تعودُ كما كانتْ وأيُّ ليالٍ عادَ ماضيها
لَمْ أَنْسَها مُذْ نَأَتْ عَنِّي بِبَهْجَتِها وأيُّ أُنْسٍ مِنَ الأيامِ يُنْسِيها

وبعد عام قدمتُ والمرحوم نقلًا من حائل إلى المدينة المنورة، فنُقلنا من حائل لكن إلى غير المدينة المنورة -على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم- فقالي لي مدير المعهد: هل قصرنا معكما حتى قدمتما النقل؟! والله نقلكما من المعهد كارثة على المعهد. لأنه كان محبوبًا للطلاب ولزملائه المدرسين، متفانيًا في تعليم تلاميذه، مؤثرًا بهم في علمه وأخلاقه وتواضعه الآسر للقلوب، مع غزارة علم وأسلوب فذٍ في العطاء.

افترقنا مكانًا لكن قلوبنا متواصلة، واتصالنا ببعضنا مستمر إلى آخر لحظة.

زرت الفقيد في دار إقامته في تركيا أكثر من مرة مع بعض الأحباب الخُلَّص، وقبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بيوم واحد اتصلت به لأستمتع بسماع صوته وأطمئن على صحته، فرد علي ولده البار الأستاذ محمد نبهان وقال لي: عمي أبو أسامة أدخلت والدي المستشفى وهو في غرفة العناية المشددة فقلت له: إذا سُمح لك بالدخول فقبل لي يده، واطلب لي منه الدعاء، ولكن في اليوم الثاني وفي ليلة مباركة هي أفضل من ألف شهر كان على موعد مع مولاه جل في علاه، ففاضت روحه الطاهرة شوقًا ومحبة للقاء الله ورسوله ومربيه سيدي العارف بالله سيدي

محمد النبهان ﷺ فهنيئًا لفضيلتك يا شيخنا هذا التكريم، وهذا التشريف العظيم.

عشتَ حياتك محبًّا لمربيك وشيخك سيدي محمد النبهان ﷺ، وعشتَ جلّ حياتك مغتربًا معلمًا ومربيًا للأجيال في حِلك وتَرحالك، ففضيلتك شهيد الغربة، وشهيد طلب العلم، وكان لقاؤك مع مولاك في ليلة القدر.

نقول لك في وداعك الأخير: إذا التقت روحك في عليائها في الملأ الأعلى برسول الله ﷺ فأقرئه منا السلام، واطلب لنا منه الرضى والشفاعة فإنا والله مقصرون.

وإذا التقت روحك في عليائها في الملأ الأعلى بسيدنا النبهان فأقرئه منا السلام، واطلب لنا من جنابه الرفيع الرضى والشفاعة فإنا والله مقصرون.

وأنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون، ولا نقول ما يسخط الرب. ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

(تلميذ الفقيد وصاحبه في غربته: عثمان عمر المحمد الويسي).

وكتب تلميذه **الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت**[1]:

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع، ولا نقول ما يسخط الرب، إنا على فراقك يا أستاذنا لمحزونون.

والله إني لأهنئك على هذه الخاتمة في هذا الشهر الكريم، وهذه الليلة المباركة، وهذه الشهادة فلقد لقيت ربك في دار الغربة. و(الغريب شهيد) كما ورد.

---

(١) كتبه فضيلة الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت في ٢١ أيار ٢٠٢٠م.

وأنت بحمد الله عالم من علماء هذه الأمة المرحومة، تخرج على يديك الجم الغفير من العلماء وطلاب العلم والفقهاء والأئمة والخطباء.

لقد ساهمت في تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، وتمكين الشريعة الإسلامية، وأنا واحد من أصغر تلاميذك وطلابك، تلقيت عنك الفقه الشافعي، وعلم المصطلح، وعلم الفرائض والمواريث، وعلم التوحيد، فشكرك شأوٌ بعيد لا تبلغه أشواطي.

إن مصيبتنا بك يا أستاذنا فادحة، وإن خطبنا بك جلل.

لقد كنت في توجيهك وتعليمك حركة دائبة نشطة، وإن طلاب دار نهضة العلوم الشرعية وأبناء الكلتاوية الذين عاصروا الفقيد الراحل إبان عمله -وأنا واحد منهم- لَيَشهدون أن أستاذنا الراحل كان رجالًا عدة في رجل واحد، وكان عدة أشخاص في شخص واحد، لقد أوكلت إليه عدة مهام وقتها في أعوام الستينات والسبعينات، فلقد كان موجهًا ومدرسًا ومحاسبًا وأمين سر ومعتمدًا لدى الدار.

عمل دؤوب، حركة نشطة، همة لا تعرف الكلل ولا الملل، ثم هو مع كل هذا مدرس حريص على طلابه، مهتم بعلمهم ودراستهم وتحصيلهم العلمي، وهذا الكلام يعرفه كل زملائنا وأترابنا من طلاب العلم.

والأهم من كل هذا وذاك ما وقر في قلب الفقيد ووجدانه ومشاعره وفؤاده الأهم من كل هذا حبه العميق وإيمانه المطلق وتعلقه بشخصية مربيه وعظمة مسلكه الوارث المحمدي السيد النبهان رضي الله عنه.

ولا أذكر أنني التقيت به إلا فاض لسانه بالحديث عن حبيبه ومربيه وفاضت عيناه.

كان آخر لقاء معه -رحمه الله- في تركيا منذ أشهر، وكان راقدًا على سرير المرض في بيته المتواضع وبصحبة نجله الأصغر السيد الأستاذ محمد نبهان، فأقبلت

عليه لأقبل يده وهو أستاذي ومعلمي وموجهي فخطف يدي وقبلها فجأة فأكببت على يديه أقبلهما وألثم الراحتين اللتين تعبتا من أجلي وأجل طلاب العلم، حفظهم الله تعالى ورعاهم.

ولعل من نافلة القول أن أذكر أن لي في عشيرة الشيخ صالح -رحمه الله- قرابة، ولي فيهم خؤولة، فهم أخوال جدي لأمي لأن والدة جدي هي عمة والد الفقيد، فهو من أخوالي وأخوال جدي لأمي، وهي صلة نفتخر بها ونعتز.

فرحمك الله يا فقيدنا الراحل، وهنيئًا لك لقاؤك الأحبة وأجزل الله لك المثوبة والعطاء والنور

فلقد أديت الواجب، ونصحت الطالب، فشكرك شأوٌ بعيد لا تبلغه أشواطنا.

ووالله إن في الحلق لغصة، ومن وراء الصدر نفثات كاوية ما كان أسعدني أن أبثها وأشرحها ولكن فلتحبس النار في الأعماق فربما اتخذت منها قبسًا ينير لي الطريق أو أجد على النار هدى.

(طالبك وتلميذك الداعي لك بالرحمة والمغفرة وعلو المقام: محمود ناصر حوت).

ورثاه تلميذه الشيخ إبراهيم الحمدو العمر[1]:

أَوْفَيْتَ سَبْقَكَ ليلةَ القَدْرِ التي ... وَافَى بها الرحمنُ بالخيراتِ
وَخَتَمْتَ شَهْرَكَ باللقاء ونِعْمَ مَنْ ... لاقيتَ يا بُشراكَ بالبركات
قد كنتَ تُوليه المَحَبَّةَ كلَّها ... تترشفُ الأسرارَ عَذْبَ فُرَاتِ
مِنْ مَارِجٍ وافيتَ شَهْبا قاصدًا ... ذاك الجَنابَ فَفُزْتَ بالرَّغَبَاتِ
وشَرَعْتَ تَنْهَلُ من كؤوس رووقت ... لله درُّ الكأسِ والرَّشَفَاتِ
ومضيتَ في دار الحبيبِ معلمًا ... وموجهًا نحو العُلا بثبات

(١) كتبه في أبو ظبي ٢٧ رمضان المبارك ١٤٤١هـ، الموافق ٢٠ أيار ٢٠٢٠م.

وبِهِمَّةٍ لم يَثْنِ عَزْمَكَ شاغلُ عنها ولم يغررك زَوْرُ حياة
فرقيتَ مجدًا لا يُطاوَل عزة ووطئت مهدًا عالي الشرفات
وحططتَ رَحْلَكَ في ذرًى قَعْساء لم تُدْرِكْ بغير الصِّدْقِ والوَثَبَاتِ
ما بين تعليم وعلم ترتقي أعظم بما تجني من الثمرات
خرّجت أجيالا دعاة تنقلب عنها النواظر خشعا حسرات
من كل أروعَ ماجدٍ ما هزه إلا العلا ليث العرين أباة
مثل النجوم تضيء في حلك الدجى أنعم بهم من مصلحين أُساة
بتواضع يدنيك من كل الورى وخلائل العلماء والسادات
ورّثت قومك تاج عَزٍّ ناصعًا وبنيك ما يرضي النهى لشُداة
أخلصت ما غيرت مذ قد شُرّفت عيناك بالنبهان ذي الآيات
ولزمت منهجه فنلت كرامة ورويت عنه خصائلًا وصفات
واليوم بشراك اللقاء وفز بما قد عشت ترجوه من القربات

وقال في رثائه تلميذه الشيخ علي الجالق(١):

إيهٍ أيا دمعَ عينيَ فابكِ عالمًا رَمتْه المنايا نِبَالا
كان يمشي كطُهْرِ النسيم نقاءً صالحًا عاملًا بعلمه مِفْضَالا
صادقَ القصْد جاءَ يبغي الكمالَ يتقفّى وارثَ الرسولِ مثالا
مذْ دَنا لِرُبا الحبيبِ اصطفاه سيدًا قد سبَى القلوبَ جمالا
وتَفَانَى يخدم الغِراس سِنينا طِبْقَ أمرِ الحبيبِ لا ليقالا
ينْثُرُ العلمَ رائقًا لغراسٍ مذْ سقاه الحبيبُ شَهْدًا حلالا
يسهر الليل يسْتَقي الوجدَ صِرْفا يَصْقُلُ الروحَ بالمحيّا اكتِحالا
وحباه الحبيب يومًا ببُشْرى يَهيم المحبُّ فيها دلالا

---

(١) كتبه في ٢٧ رمضان المبارك ١٤٤١هـ، الموافق ٢٠ أيار ٢٠٢٠م.

من قرى الريفِ قد دنوتَ إلينا	تخدم العلم تُنشِئُ الأجيالا
فضلُ ربِّي عليكَ كان عظيمًا	وبروض السيّد النبهانِ توالا
صالحَ الاسم والفعال سمَوتُم	وكريمُ أخلاقٍ روّضتْ أبطالا
قد سُقِيتَ من العلوم كؤوسًا	مترعاتٍ تفكّك الأَقفالا
وفهومٍ سَقاك وارثُ طه	رُوِّقتْ بالهدى تفوقُ الجمالا
وبعينِ عِنايَةِ الحِبِّ دومًا	كنتَ تمضيْ يشْدوه قلبُكَ حالا
وحفظْتَ العهودَ والوعْدُ قدسٌ	مُلِئَ القلبُ من الحبيب جلالا
نَحُلَ الجسمُ إذْ براه غرامٌ	إذْ رَبَا الوجدُ غدوةً آصالا
وبليلة القدر كان لقاكم	نلتَ فيها من العُلا استقبالا
ليس بِدعا كما شداه بلالٌ	لقيا الحبيبِ كان فيه مثالا
وستبقى ذكراكَ فينا دواما	ما نوى الليلُ والنهارُ ارتحالا

مصادر الترجمة:

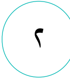
- الشيخ صالح بشير الحجي -رحمه الله- في لقاء مباشر في بيته بحضور الشيخ محمود العبيد وبعض طلاب العلم في ٢٠٠٨م، واتصالات صوتية.
- ولده السيد نبهان ابن الشيخ صالح بشير، مراسلةً كتابيةً.
- مجموعة «منتدى النفحات النبهانية» على برنامج (الواتساب).

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

١ قول الشيخ صالح: خلال عشر سنوات لم يعاتبني سيدنا فيها.





من أحوال سيدنا النبهان.
(الشيخ صالح بشير)





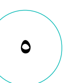
كان يحفظ أسماء الطلاب.
(الشيخ صالح بشير)





يعتذر من طلابه.
(الشيخ صالح بشير)





قول سيدنا تبادلت ذراتي بذراته.
(الشيخ صالح بشير)



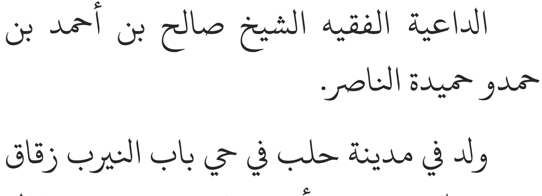


سؤال عن كرامات سيدنا.
(الشيخ صالح بشير)

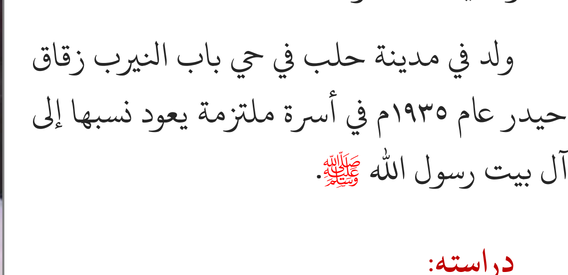


(٢١) الشيخ صالح حميدة الناصر

١٣٥٣ – ١٤٢٨هـ/ ١٩٣٥ – ٢٠٠٧م



الداعية الفقيه الشيخ صالح بن أحمد بن حمدو حميدة الناصر.



ولد في مدينة حلب في حي باب النيرب زقاق حيدر عام ١٩٣٥م في أسرة ملتزمة يعود نسبها إلى آل بيت رسول الله ﷺ.

دراسته:

نهل في مقتبل طفولته القراءة والكتابة وتلاوة القرآن على يد والده الشيخ أحمد ابن الشيخ حمدو حميدة الناصر مفتي القضاء الغربي لولاية حلب سابقًا.

ثم التحق بالمدرسة الابتدائية الأنصارية والحمدانية، ثم انتسب إلى مدرسة الخسروية في حلب وحصل على شهادتها، ثم التحق بكلية الشريعة في جامعة دمشق عام ١٩٥٦م.

صحب أثناء دراسته الجامعية مجموعة من الشيوخ في دمشق كالشيخ يحي الصباغ (١٢٩٦-١٣٨١هـ)، والشيخ سعيد البرهاني، والشيخ أحمد الحارون، والشيخ إبراهيم الغلاييني[(١)]، والعارف بالله الشيخ محمد الهاشمي، رحمهم الله جميعًا.

---

(١) **الشيخ إبراهيم الغلاييني (١٣٠٠-١٣٧٧هـ):** مفتي قطنا، وإمامها، وخطيبها، إبراهيم بن محمد

صحبته العارف بالله الشيخ محمد النبهان ﷺ:

ثم استقر به المقام في حلب وصحب العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ والتزم معه.

وحين افتتحت مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) في حلب عام ١٩٦٤م اختاره السيد النبهان ليكون موجهًا ومدرسًا فيها مع الشيخين: صالح بشير ومحمود فجال، رحمهما الله.

دَرّس فيها الفقه الشافعي «متن الزُّبد مع الشرح»، والأخلاق «موعظة المؤمنين» ودرّس المتون.

رافق السيد النبهان ﷺ في حجه عام ١٩٦٥م وكان مسؤولًا على أحد الحافلات ومن فيها في هذه الرحلة.

قال الحاج ملحم الحمد[١] -رحمه الله- كما نقل لنا ذلك ابنه الشيخ محمد: «أذكر أنه كان للشيخ صالح حميدة الناصر موقف في الباخرة، وذلك حين أمره

خير بن إبراهيم، الأصيل، الكيلاني، الشهير بالغلاييني، يتصل نسبه بسيدنا عبد القادر الكيلاني، وأصول أسرة الأصيل من حلب إلا أن جده رحل إلى دمشق، تلقى العلوم على أعلام دمشق كالشيخ محمد بدر الدين الحسني، وسليم المسوتي، وعبد القادر الإسكندراني، وغيرهم، سلك الطريقة النقشبندية على الشيخ عيسى الكردي، توفي ١٧ شوال ١٣٧٧هـ في دمشق، ودفن في مقبرة الباب الصغير بالقرب من شيخه محمد بدر الدين الحسني. وفد إلى سيّدنا النبهان ﷺ الشيخ أديب قسّام من منطقة (جبلة) في محافظة اللاذقية، وهو من صلحائها وعلمائها، سالك لطريق الصوفية على يد الشيخ إبراهيم الغلاييني -رحمه الله تعالى- فقال الشيخ أديب: سيدي: توفي شيخي إبراهيم الغلاييني وجئت لإكمال سيري عندكم. فقال ﷺ: (يا ولدي شيخك شيخ، ارجع إلى شيخك، الشيخ الذي يحجبه عن تربية مريديه حفنة تراب ليس بشيخ). وانظر«نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر» (٧٢)، وكتاب «السيد النبهان» ط ٣ (١:٣٥٩).

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٧٣).

سيّدنا ﵁ بالبحث والتفقد عن إحدى الأخوات -وقد تأخرت- فإذا هي في قضاء حاجتها، ومَسكةُ الباب قد خُلِعت، وكان هناك رجل أجنبي يبدو أنه يضمر سوءًا، فضربه الشيخ صالح حميدة الناصر، ثمّ أمسك به يريد أن يلقيه في البحر ولكنّ سيّدنا ﵁ منعه».

سيدنا ﵁ كان يكرم ويقدر الشيخ صالح حميدة الناصر لأن والده كان شيخ سيدنا ﵁ في الكتاتيب في حي باب النيرب.

ذكر لي الدكتور محمود ناصر حوت قال: «مرة جاء الشيخ صالح حميدة -رحمه الله- بوالده إلى حلقة الذكر، وقد بلغ والده قرابة مئة عام، وحينما دخل السيد ﵁ حلقة الذكر وقام له الناس ومن بينهم والد الشيخ صالح فرآه سيدنا ﵁ فأخذ بيده وقبلها وقال: هذا علمني القرآن».

وفاته:

كان -رحمه الله- خطيبًا في جامع المدرسة الطرنطائية، ولازم الشيخ عبد الله السلطان في جامع الإسماعيلية، وبعد وفاة الشيخ عبد الله السلطان عام ١٩٨٣م جلس مكانه الشيخ صالح في جامع الإسماعيلية يُذَكّر الناس، ويعلمهم، واستمر في ذلك حتى وافته المنية يوم الجمعة ٢٣ ذي الحجة عام ١٤٢٧هـالموافق ١٢ كانون الثاني عام ٢٠٠٧م، وصلي عليه في الجامع الأموي في حلب، ودفن في مقبرة الشيخ جاكير في حي باب النيرب.

مصادر الترجمة:

- ولده محمود صالح حميدة الناصر، مراسلةً كتابيةً.
- الشيخ صالح بشير -رحمه الله- لقاء مباشر لي معه.
- الدكتورمحمود ناصر حوت، مراسلةً كتابيةً.
- الشيخ محمد الحمد نقلًا عن والده الحاج ملحم الحمد، مراسلةً كتابيةً.

(٢٢) الشيخ عابد صالح الحماشي

١٣٥٧ - ١٤٢٩هـ/ ١٩٣٨ - ٢٠١٧م



المفتي والفرضي والمصلح الشيخ عابد صالح حَمّاشي بن محمد علي محمد النعيمي.

ولد في محلة الحوش في الرأس الغربي من مدينة عانة بمحافظة الأنبار في العراق عام ١٩٣٨م.

ترعرع في كنف أبوين صالحين من أسرة كريمة منسوبة إلى سيدنا الحسين ﵁ وحمّاشي جده لأبيه، ومنه يلقب بالحماشي.

دراسته وصحبة السيد النبهان ﵁:

أكمل دراسته في المدرسة الغربية الابتدائية، وأتم المرحلة المتوسطة في ثانوية عانة الغربية، ثم انتسب إلى دار المعلمين في الرمادي، حتى تخرج فيها ونال شهادتها، وتم تعيينه بعدها معلمًا في مدينة العبيدي التابعة إلى قضاء القائم، وبعدها بثلاث سنين نقل إلى مدرسة ابن رشد في قرية الحلابْسة التابعة لمدينة الفلوجة، فتأثر بالشيخ الولي الحاج محمد الفياض الكبيسي كثيرًا (وهو الدلّال الناصح) فأرشده للذهاب إلى العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁، ثم تعرف على المرحوم الشيخ العلامة عبد العزيز سالم السامرائي، وتتلمذ عليه، وبقي

ملازمًا لحلقات العلم عنده حتى أكمل، وقلبه معلق بالسيد النبهان ﵁ سلوكًا وتربية ومحبة.

وأصحابه آنذاك: الشيخ أيوب محمد الفياض، والشيخ محمد مطلك عبيد والشيخ الدكتور حامد فرحان الفهداوي، والشيخ مصطفى موسى النيجري، وهم طبقة واحدة في العلم والصحبة لسيدنا النبهان الحبيب الذي أخذ بشغاف قلوبهم كلهم.

ولما أمر سيدنا الحبيب بفتح مدرسة الأحمدية الشرعية في مدينة الخالدية كان الشيخ عابد واحدًا من أربعة عشر ارتحلوا إليها مؤسسين ومدرسين، والشيخ أيوب هو المدير، فأحيي بهم الله تلك المدينة ونورها، ثم استقر سكنه بأسرته في الخالدية حسب توجيهات سيدنا النبهان، واشترى دارًا واسعة فاقتطع جزءًا منها وشيده مسجدًا.

من صفاته:

هو في سمته وأخلاقه وتصرفاته يسبق إليك حاله قبل قاله، ولا تُعرف عنه صغيرة أو كبيرة، لا يمزح، ولا ينم، ولا يكذب، ولا يغتاب، ولا يضحك إلا تبسمًا، ومن رآه ذكر الله تعالى وهذه من صفات الأولياء، فسبحان من صاغه ووضع له القبول والمحبة في قلوب الناس أينما حل ونزل فمن رآه ذكر الله تعالى.

وقته لله تعالى وشغله بمراضيه لا يفتر، ديدنه النظر في كتبه مع حفظه للقرآن الكريم والتدريس في الأحمدية، وتلك حالة نادرة مع مرابطته القلبية ومحاسبته لنفسه.

وإن سيدنا الحبيب آخاه مع الشيخ شريف حمد الراوي، يلتقيان في كل أسبوع مرة يتذاكران ويتشاوران، فإذا رأيت أحدهما تذكرت الآخر وكأنهما روح واحدة في جسدين، وأخوتهما مضرب المثل.

يقول ولده عبد الله: حدثني والدي قال: في إحدى زياراتي لسيدنا النبهان ﷺ كنت مع سيدنا في جلسة خاصة فقلت لسيدنا: سيدي اذبحني. فتبسم سيدنا وقال: أذبح نفسك لا أذبحك». وأنه «كان في جمع من العلماء العراقيين والحلبيين عند سيدنا في حلب فخاطبهم ﷺ قائلًا: من يُسَلّمني منكم نفسه فأوصله إلى الله تعالى؟ أعادها ثلاثًا فلم يجب أحد. فقلت: سيدي أنا أسلمك نفسي فقال: نعم نعم أنت يا شيخ عابد».

ولما انتقل سيدنا الحبيب ﷺ إلى الرفيق الأعلى كان الشيخ عابد مأمورًا بالإقامة في الخالدية، وهو المفتي، والفَرَضي، والمصلح فيها، لكنه آثر أن يكون عمله في المسجد الذي اقتطعه من بيته ليكون روضة لحفظ القرآن الكريم، فتخرج فيه على يديه أكثر من مئة من طلبة العلم وغيرهم لكنه لم يهمل جامع الخالدية الكبير لاسيما حلق الذكر يوميًّا بعد العشاء.

وقد أحيل من مدارس التربية آنذاك على المعاش ليشتغل بالأعلى.

أولاده:

عبد الله، ومحمد، وأحمد، وعمر، وعبد الحكيم، وأسامة، وعثمان.

محنته:

اعتقله الأمريكان في مقر اللواء الثامن الذي يبعد ٥ كم غرب الرمادي مع ولده عبد الله فسأله أحدهم: أصحيح أنت تفتي الناس بقتالنا؟ فأجابه وهو مكتوف اليدين: نعم وكيف لا؟ ولو كنت أنا الذي جئت محتلًّا لأميركا هل تقاتلونني أم لا؟ قال: نعم نقاتلك. قال: وأنا كذلك.

ثم ظهر أهل العناد المبغضون لأهل الله تعالى فأفتوا بكفره لأنه صوفي العقيدة والمنهج، وناجزوه العداء، وهددوه بالقتل، فاضطر للهجرة إلى سورية، وأقام

ثلاث سنوات في مدينة أبو كمال، ثم ارتحل إلى حلب سنوات وأخفى سكنه لا يأتي إلى الكلتاوية إلا في الجمعة ويصلي في المقام الطاهر من جهة الرأس الشريف لا يتعرف على أحد ولا يجالس إلا نادرًا.

وبعد أن رجع من حلب توجه إلى مدينة الرطبة وأقام فيها شهرًا وثلاثة أيام.

يقول خادم العلم والعلماء والصالحين الحاج طالب جميل مسلم الكبيسي: «لما وفد الشيخ عابد صالح إلى مدينة الرطبة كنت قد انتهيت من تشييد مدرسة لحفظ القرآن في جامع سيدنا الزبير، ففرشت له حجرة مربعة طول ضلعها ثلاثة أمتار ونصف، وأنا متفرغ لخدمته ليلًا نهارًا، وهو ينام بعد صلاة العشاء ويفيق الساعة العاشرة، يسهر الليل كله قيامًا ومراجعة بحفظ القران ويبقى حتى يصلي الضحى، ثم يهجع ويستيقظ يعلم ويرشد من يحضر من الطلبة الراغبين بالحفظ.

أضاف الحاج طالب قال: كان يكاشفني كثيرًا وكنت أسمعه يتكلم ليلًا في غرفته، فإذا اقتربت من الشباك سكت، ورأيت منه تعلقه الشديد بسيدنا النبهان فقلت له: أرجو أن تقول لسيدنا يشفع لي يوم القيامة فقال: هو حاضر يسمعك الآن».

وفاته:

ثم رجع إلى الفلوجة وسكن في بيته بمنطقة (طَعِسْ نَعُّومِي) ثم غادرها في ١٦ صفر ١٤٣٦هـ إلى بغداد بعد أن احتلها الدواعش وبقي معتزلًا في حي الجامعة عند ولده عبد الله، وأقعده المرض أكثر من سنتين، وولده عبد الله قائم على خدمته، حتى وافاه الأجل ليلة الجمعة التاسع والعشرين من ربيع الثاني ١٤٣٧هـ الموافق للسابع والعشرين من كانون الثاني ٢٠١٧م، بعد أن أمضى ثمانين عامًا بالعلم والتقوى والتدريس وخدمة العباد.

شيع جثمانه من بغداد إلى الخالدية ليكون منزله الأخير إلى جنب أخيه المحب الصادق الشيخ شريف حمد الراوي.

هكذا ولد -رحمه الله- كما يولد القمر أول الشهر عرجونًا فتجلى بصلته بسيدنا النبهان الحبيب بدرًا وأمضى حياته عاشقًا متبتلًا ليوافي أجله في الربيع ليلة المحاق رحمه وآنسه وذكره في قلوب من عرفه لم يغب. والحمد لله رب العالمين.

مصدر الترجمة:

كتبها لي الشيخ هشام عبد الكريم الألوسي، بتاريخ ٩ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ، الموافق ٢٦ كانون الثاني ٢٠١٨م.

(٢٣) الشيخ عايش جروان الكبيسي

١٣٥٨ – ١٤٣٧هـ/ ١٩٣٩ – ٢٠١٦م



الشيخ المحب، والتاجر الصادق المنفق، المتمثل بمرتبة استدن عليّ، الشيخ عايش بن جروان بن عبد الله الكبيسي.

ولادته وأسرته:

ولد عام ١٩٣٩م، وسجل في هوية الأحوال المدنية ١٩٤٢م.

والده الحاج جروان كان يَعمل بالتجارة، وكان صادقًا صالحًا يبيع الناس بالدّين بالآجل؛ ليساعدهم في متطلبات الحياة، يَتَنَقّل على دابته في القرى القريبة من الفلوجة، فأحبّوهُ وأحبّهم.

أمّا والدته الحاجة حفصة بنت عبد الله الفياض وهي شقيقة الحاج محمد بن عبد الله الفياض، والحاج حمدان، والحاج حمد والد الشيخ يحي رحمهم الله، لهذا كان الحاج عايش كخاله الحاج حمدان كأنّهُ هو خَلْقًا وخُلُقًا، الحاج حمدان وما أدراك ما الحاج حمدان! ذلك الرجل الذي شهد له سيدنا محمد النبهان -قدس سره- بالولاية فقال: «الحاج حمدان ولي لا يعرف نفسه». وكان سيدنا الكريم يقرأ على روحه الفاتحة كلّما ذكره.

للحاج عايش أخ شقيق واحد هو الشيخ عكلة جروان[١] -رحمه الله- كان عالمًا ومدرسًا في الآصفية بالفلوجة، ومن أحباب السيد النبهان ﷺ.

وله عم واحد هو الحاج إبراهيم -رحمه الله-، وكان مُولعًا بالخيل وله إصطبلات متعددة منها إصطبل في مصر.

سأل السيد النبهان ﷺ الحاجَ عايش كيف حال عمك إبراهيم وأين هو؟ فقال: سيدي، هو في مصر مع الخيول، فقال سيدنا: «أحبّ الخيل وصاحبَ الخيل والكريم والشجاع».

دراسته وعمله:

تحدث هو عن ذلك كما نقل لنا الشيخ حامد صخي فقال: «قال الحاج عايش: كنتُ في المدرسة من الأوائل، وكان طموحي أن أكون محاميًا أكمل القانون لأدافع بالحق عن الناس، كانت المدارس في العراق تنتهي بالخامس الإعدادي (بكالوريا) وتخرّجتُ بمرتبة الأوائل، درجات تؤهلني للدخول إلى الطب والهندسة والقانون وأمثالها، لكن الله تعالى أراد غير ذلك فتقدّمتُ إلى دار المعلمين وتخرجتُ معلم أطفال أشفق عليهم، وأرحمهم، وأنظف ما اتسخ منهم، أدخل الدرس وأحيانًا أضرب

---

(١) الشيخ عكلة جروان الكبيسي (١٩٣٢-١٩٨٨م): هو الشيخ عكلة بن جروان بن عبد الله بن بطي بن محمد بن خليف، ويرجع نسبه إلى عشيرة المثلوثة في مدينة كبيسة. ولد في مدينة كبيسة عام ١٩٣٢م، أدخل مدرستها الابتدائية، ثم التحق بالمدرسة الآصفية الدينية وتخرج فيها، ثم التحق بكلية الإمام الأعظم في بغداد، ونال شهادتها، وكان من أوائل شيوخه الشيخ محمد أمين القاضي والشيخ حامد الملا حويش. دَرّس في معهد الدراسات الإسلامية في منطقة الخالدية، ثم انتقل إلى معهد الدراسات الإسلامية في الفلوجة، فكان من أبرز مدرسيه، وهو وأخوه الحاج عايش من أصحاب العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ. انظر «تاريخ علماء الفلوجة والشخصيات العلمية فيها» (٩٥).

التلميذ المقصر بقطعة قماش تُخرج صوتًا قويًا تخيفه ولا تُؤذيه، فإذا بكى أحدهم أجلس أبكي معه وأسترضيه، وفِي اليوم الثاني أجلب الحلوى لكل الصف وأدخل السرور على قلوبهم».

كان معلّمًا في قرية الزغاريد وتسمى (الزغاريت) التابعة لناحية الصقلاوية قرب الفلوجة، أحبّه أهلها وأحبهم، وتخرج من تلاميذه الأطباء والمهندسون وكثير من ضباط الشرطة والجيش الذين كانوا إذا التقوا به قبّلوا يديه.

تقدّم بعدها إلى وزارة الأوقاف فعادلوا شهادته بشهادة الأئمة والخطباء فبنى مسجدًا باسم (الروضة المحمدية) في القرية التي كان فيها مدرسًا، وبقي معهم إمامًا وخطيبًا حتى تقاعد، ولزم خدمة الفقراء وذوي الحاجة وزيارة الأرحام وإخواننا وخدمتهم بنفسه وماله.

كان بينه وبين خادم المسجد إشارة خاصة وعلامة تعني أنْ يصنع طعامًا للضيوف إذا قدموا دون موعد ليجدوا الطعام جاهزًا لكيلا يُعْطيهم فرصة الاعْتذار.

صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ:

تَعَرّف الحاج عايش على سيّدنا الكريم -قُدّسَ سِرّه- في بداية الستينات مع مواكب العراقيين الذين توافدوا إلى السيد النبهان في حلب، بعدها هام تعلقًا بتلك الشخصية الفذة، فلا تراه إلا رائحًا أو غاديًا إلى حلب الشهباء، قلبُهُ مُعَلّقٌ في الكلتاوية، لايستطيع الفراق، يصنع الحُجَج -الأسباب- للسفر، يقول: كنتُ مشغولًا بالسياسة وكثرة الأوهام ولم أجدْ دوائي إلّا عند سيدنا في رحاب الكلتاوية، ينشرح صدري، وترتاح نفسي، وأحسّ بالطمأنينة.

يقول الشيخ عايش -رحمه الله-: «هَيّجني الشوق مرة فذهبتُ إلى محطة الباصات في بغداد ومنها إلى دمشق، وأنا أنظم قصيدة بلا وزن ولا قافية، فَسَلّطَ

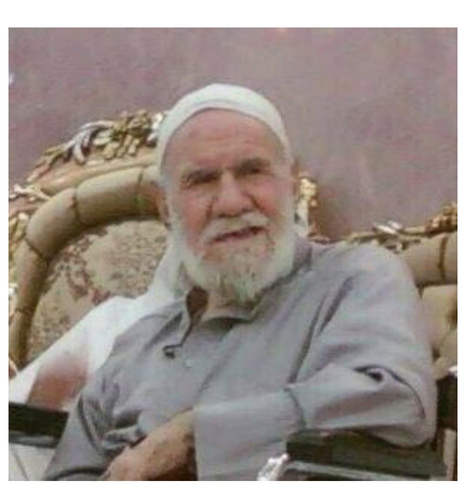
اللهُ تعالى عليّ طفلًا في الباص كان مع عائلته يأتي يضربني، وكلّما حاول أهلُهُ منعَهُ عاد ثانية إلى أن أخذَ عمامتي من على رأسي يلعب بها في الباص، فاضطررتُ أنْ أدخل الكلتاوية بالطاقية فقط، وأحمل قماش العمامة لأني لا أجيد لَفّها، دخلتُ الكلتاوية فوجدتُ سيدنا الكريم جالسًا وحوله جمعٌ من أحبابه، فلّما رآني على تلك الهيئة ابتسمَ فطلبتُ من سيدنا أنْ أقرأ بين يديه قصيدتي التي تحكي قصتي ومنها:

(سبع سنين مَرّتْ عليّ أبيتُ الليل مهمومًا حزينًا، أبيتُ الليل يتبعُهُ نهارٌ خاطر وسواسٌ شرحُهُ جدًا طويل، مشغول بالسياسة سقط فلان، استولى فلان، هذا شغل الغفلاني، جئتكم سيدي النبهان منكم دوائي، أشكو إليكم حالتي فارحموا عايش المسكينا... إلى آخرها)

سمعها سيدنا فَعَمّ المجلسَ بكاءٌ عظيم، فقال سيدنا: المعنى صحيح».

من صفاته:

وَرِثَ الحاج عايش من والده مالًا كثيرًا من ديون وغيرها فتصدّق بذلك كله، ثَمّ وصل به الحال يقترض ويعطي حتى قال له الشيخ يحي الفياض -رحمه الله-: «يا حاج عايش هذه مرتبة محمدية هذه مرتبة نبهانية (اسْتَدِنْ عليّ) نحن لسنا كذلك لا يجوز لك هذا. لكنّه كان يعود ويعود، ويقول: لا أستطيع أنْ أردّ أحدًا».



الشيخ عايش جروان

تميَّز الشيخ عايش بين إخوانه بالخدمة والتَودّد والإيثار.

وبالتفتّي عَلى الإخوان جُدْ أبدًا حِسًّاومَعنىً وغُضّ الطّرفَ إن عَثرَا[1]

يَتَفَنّن في كُلّ ما يُدْخل السرور إلى قلوب الآخرين، كان يؤثر إخواننا إكْرامًا لسيدنا، يُؤثرهم على نفسه في كلّ شيء حتى بالبشائر من سيدنا الكريم، يسأل لهم قبل أن يسأله لنفسه ويقول: سُروري إدْخال السرور والسعادة إلى قلوب إخواننا. وهذه صفة الأحرار.

تَمَسَّكْ إن ظفرتَ بذيل حُرٍّ فإنَّ الحُرَّ في الدنيا قليلُ

تَحَمّل الأذى والتزم الإحسان إلى مَنْ أساءَ اليه، وهي صفة ذاتية لازمته طوال حياته، تراهُ يحمل الهدية ويدّق باب من أساء إليه، ويقدّم الاعتذارَ إليه، سأله صديقه الشيخ حامد صخي يومًا لِمَ هذا التواضع الذي يراه البعضُ ضعفًا؟

فقال له: أنا أذهب إليه من أجل راحتي لكي لا يبقى قلبي مشغولًا بزعله، فإذا ارتاح ذهب الهمّ عني، «نَفُوس بِدها فُوس» وقد أوصاني خالي الحاج محمد الفياض -رحمه الله- فقال: من أساء إليك تستغفر له: اللّهُمَّ اغفر لي ولأخي ولوالدينا وللمسلمين مئة مرة ستسري إليه ويرتاح، ثم تشتري هدية وتذهب اليه وهذا هو الإحسان، ويقرأ قولَهُ تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران ١٣٤).

وامتاز الحاج عايش بصلة الأرحام بل هو السبّاق بمواصلة الأقرباء والغرباء يُشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم.

---

(١) هذا البيت من القصيدة الرائية لشيخ الشيوخ شعيب أبو مدين (ت:٥٩٤هـ) التي مطلعها: ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا.

قال الشيخ بشير حداد -رحمه الله-:

«يمتاز طائر البجع بوجود كيس جلدي مَرِنٍ يشبه المطاط يقع أسفلَ منقاره الطويل، يستخدمه كمخزن لتخزين عدة كيلو غرامات من الطعام ليأكلها أو يطعمها لصغاره بعد هضمها، وأيضًا يحمل به الماء ويضعه على رؤوس الجبال وممرات الطيور لعلّ طيرًا يروي عطشه فتراه يغدو ويروح لهذه الوظيفة، كذلك الشيخ عايش يشبه ذلك الطائر يروح ويغدو في خدمة الناس، لا لغرض، لا يطلب أجرًا، لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا».

إنّها مرتبة وهبه اللهُ إياها لا يستطيع الكثير تَحَمّلها.

يقول الدكتور عثمان عمر المحمد: (كان الشيخ عايش -رحمه الله- مثالًا للكرم والسخاء والإيثار، كنت في زيارة للفلوجة مع أخي الدكتور عبد الحميد جاسم الفياض عام ١٩٨٠م، فدعانا الشيخ عايش للغداء أو العشاء، فأردت أن أعتذر من أجل ألا أكلفه لكن قال لي أخي الشيخ هشام: إذا اعتذرت يزعل الشيخ عايش، فوافقت على العشاء ظنًّا مني أن العشاء لايكلف، فلما دخلنا بيته راح ينشد فرحًا بالضيوف، وإذ به يقدم مائدة لايقدمها الأثرياء، وهو مسرور فرح مرحب، ولما نوينا العودة أصر أن يذهب معنا إلى الرمادي ولم نعلم سبب ذلك، لكن بعدها اكتشفنا أنه يريد أن يحمل عنا أجرة السيارة التي سوف توصلنا فتخلصنا منه بحيلة،كان -رحمه الله-لايزور أحدًا إلا ومعه الهدايا والأعطيات، فكان كرمه ليس له حد، حقًّا إنه تلميذ السيد النبهان).

روى لي المهندس رياض صبحي[1] قال: «أذكر للشيخ عايش حادثة سمعتها منه يقول: كنت أركب بالباص عائدًا إلى الفلوجة في ساعة متأخرة من الليل وقد امتلأ

---

(١) المهندس رياض صبحي محمد علي حمو الأحمد الجبوري (١٣٧٩هـ/١٩٦١م): ولد في مدينة بغداد ٢٥ نيسان ١٩٦١م، ونشأ وترعرع فيها، تخرج في كلية الهندسة المعمارية في بغداد ونال

الباص بالركاب، وصعد بعد ذلك جنديان للالتحاق بوحدتهما أو للعودة لبيتهما لا أذكر، وبعد مدة وهم في الطريق وقد سمع أحدهما يقول للآخر: ما عندنا حظ؛ الله غاضب علينا حتى ما لقينا مكانًا نجلس فيه، فقام الشيخ عايش من مكانه وصاح على سائق الباص أنه يريد النزول، وعرض على الجندي الشاكي الجلوس مكانه لكي يقوي إيمانه، ويجعله يحسن الظن بالله، ونزل الشيخ عايش في الطريق المظلم لوحده قاصدًا الفلوجة مشيًا ولكن عناية الله له لم تتركه، فمر شخص من أهل الفلوجة بسيارة مرسيدس حديثة فرآه وعرفه فحمله إلى بيته معززًا مكرمًا جزاءً له من الله على كرم أخلاقه».

كتب لي الدكتور عمر الجبوري[1]: «وقعت حادثة أمام عيني وكنت طرفًا فيها، زارني مرة في محل كنت أعمل فيه في التجارة ومعه مبلغ كبير من الدولارات وطلب مني أن أحولها للدينار العراقي، وقمت بذلك ولما عدت إلى المحل سلمته المال عدًا ونقدًا، فأخرج مبلغًا وأعطانيه، وأقسم عليّ أن آخذه لقاء تعبي، فلم أستطع أن أرفض أمام إلحاحه ورجاء بركته، ولكن ليس هنا بيت القصيد إنما وافق وجود أناس في المحل فوزع لكل واحد منهم مبلغًا مع أنه لا يعرفهم فدهشت

شهادتها عام ١٩٨٤م، مارس العمل الهندسي مدة خمسة عشر عامًا مصممًا ومشرفًا ومنفذًا، مع أعمال تجارية أخرى بالتزامن مع العمل الهندسي، وما زال في العمل التجاري إلى يومنا هذا، وهو مقيم في الأردن من عام ٢٠٠٦م إلى الآن. (مراسلةً كتابيةً).

(١) **الدكتور عمر ذنون يونس حمو الأحمد الجبوري(١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)**: ولد في بغداد ١٩ إيلول ١٩٧٠م، تخرج في جامعة بغداد ونال بكالوريوس طب وجراحة الفم والأسنان عام ١٩٩٣م، ويعمل الآن طبيب أسنان، له صحبة طيبة مع أصحاب سيدنا في العراق، منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ هشام الألوسي، والشيخ عايش جروان الكبيسي، والشيخ عادل سعود، وغيرهم. (مراسلةً كتابيةً).

لتصرفه وأدركت أن المال والتراب عنده سواء، وكان أحدهم شيعيًّا تعلق به حبًا ودهشة لصنيعه».

وكتب لي الدكتور عادل كعيد[1]: «عرفت من صفات أخينا الحاج عايش:

- كان متواضعًا ليس مع أصغر إخواننا سنًا بل مع سائر الناس مهما كانت صفته ومعتقده.
- كان يوزع حصصًا تموينية على العوائل الفقيرة في أيام الحصار في التسعينات، فقد كان بيته يغص بالنساء الفقيرات يطلبن منه الطحين وغيره، ولا يرد واحدة منهن حتى لم يبق شيئًا لأهله، يحبه كل الناس، فقد كان رحيمًا ورفيقًا بعباد الله.
- كان -رحمه الله- إذا جاءه أحد إخواننا ليستدين منه مبلغًا من المال ولم يتوفر لديه المبلغ المطلوب لا يعتذر لأخينا طالب الدين بل يعطيه موعدًا قريبًا لجلب ما يريد من المال، وما كان هذا الموعد إلا ذهابه إلى أحد معارفه الأغنياء ليستدين المبلغ المطلوب دون علم أخينا ثم يحضره إليه، وما طالب أحدًا بالدين قط.
- كان -رحمه الله- يطربنا بأبيات جميلة بحق سيدنا النبهان تبين علو اعتقاده بالحضرة النبهانية فيرتجز طربًا».

أخوة في الله:

حدثني صديقه الشيخ حامد صخي قال: «آخى سيّدُنا بينه وبين الأخ الحاج عبد الحميد جرذي -رحمه الله- فما من يوم إلّا ويزوره فيه، فلمّا انتقل الحاج عبد الحميد جرذي إلى جوار الله تعالى بقي يواصل أهله وأولاده ماديًا ومعنويًا، وهكذا الحال مع بقية الاخوة تراهُ برفقة الحاج عبد العزيز محمد خضر العاني -رحمه الله-

---

(١) الدكتور عادل كعيد (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

والأخ الاستاذ محمد حمادي الراوي، والشيخ شريف الراوي، والشيخ عابد صالح[1] وغيرهم.

شَدَّ الشيخ عايش جروان الرحالَ قاصدًا بيتَ الله الحرام عام ١٩٧٦م، رافقه في تلك الرحلة كثيرٌ من إخواننا منهم: الشيخ عبد الله حسين الكبيسي، والشيخ صلاح يحيي الفياض، والشيخ عبد المنعم شاكر، والحاج رافع لا بد الراوي، ودعناهم من جامع الصديق في الفلوجة، قال لي الشيخ عايش: نويتُ الحج نيابةً عن سيدنا الكريم -نفعنا الله به-أكمل الحج والعمرةَ بلطافته المعروفة والمميّزة، وعادت بهم قافلةُ الحجيج إلى العراق، قال لي: كنتُ أنتظرُ إشارةً أو بشارةً فلمّا وصلنا مدينة العزيزة قبل بغداد، والسيارةُ تسيرُ أخَذَتْني سِنَةٌ من النوم، فجاءني سيدُنا مبتسمًا وقالَ لي: «تَقَبّلْنا حجتَكَ» فانتبهتُ مسرورًا ثُمَّ قالَ لي: لماذا في العزيزة؟ إنّه العزُّ بسيدنا هكذا أوّلَها.

ومن طرائف الشيخ عايش في تلك الحجة كما حكى لي قال: تهتُ في مكة المكرمة عن جماعتي في القافلة، فأخذوني في قسم التائهين، فلم أجدْ لَذّةً ولا قربًا أفضل منها لأنّي بقيتُ معهم ثلاثةَ أيام أخدمُ الفقراءَ والمحتاجين ومعي مبلغ من المال أشتري به الدجاج والفاكهة، وأتقرب الى الله تعالى بإطعامهم وخدمتهم.

وكان يقولُ لي: أنا سلوكي في سروري ويرددّ «سُرُوركَ سُرورُي» كلمة قالها له سيدنا في المنام.

يتابع الشيخ حامد فيقول: لَهُ أحوالٌ عجيبةٌ ومواقف نبيلةٌ، ولَهُ فضل وفضائل عليّ لا يتسع الوقتُ لذكرها، وفي مقدمتها: كنتُ ممسكًا بيد سيدنا اليمنى، نمشي من باب الحديد صعودًا إلى الكلتاوية، فلّما وصلنا بين البابين باب الجامع وباب الدار شَمَمْتُ كتف سيدنا فنظر رضي الله عنه إليّ وابتسمَ، فقال الحاج عايش: سيدي حامد يُحِبّك،

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٢٢).

قال سيّدُنا: «أحَبّهُ اللهُ الذي أحَبّني لأجْلِه» كان معنا الشيخ أيوب الفياض -رحمه الله- وجمع من إخواننا وذلك عام ١٩٧٣م، أهداني الحاج عايش قطعة قماش تشبه المنديل كان سيدنا الكريم يُنَشّف بها وجهه الشريف بعد الوضوء، كلّما شَمّمْتُها أجدُ ريحَ يوسف.

ومن لطائفه ما ذكره لنا الأخ الشيخ صلاح مخلف: أن الحاج عايش جروان أعد أضحية يضحيها عن سيدنا النبهان قدس سره العزيز قبل أيام من العيد فكان يطعمها اللوز والجوز وأرقى الحلوى إكرامًا لسيدنا. هنيئًا للحاج عايش هذه المحبة، وهنيئًا له هذه الأضحية.

وصفَهُ الشيخ أيوب الفياض -رحمه الله- فقال: «الحاج عايش صاحب المهمات الصعبة أرسِلْ حكيمًا ولا تُوصِهِ». وذلك بعد أنْ أرسله إلى سيدنا فأتَمّ المهمةَ على أحسن الوجوه، وجاء الشيخ أيوب بالبشرى ولإخواننا بالبشائر، فقال فيه أخونا الفاضل الشيخ هشام الألوسي حفظه الله: «أيا طيرَ البشائر يالّلي بالحب طاير».

عرفتُ الحاج عايش عند زيارة سيدنا الكريم قُدّسَ سِرّه للعراق عام ١٩٦٨م، وازدادت أخوتي به يومًا بعد يوم فهو صاحب الفضائل والمعروف، والسبّاق للمكارم يؤثر على نفسه، لقد غمرني بفضله ولن أستطيع مكافأته أبدًا، وهنا أذكر موقفًا نبيلًا لهذا النبهاني المحب الفاني، قصدني شخصٌ ما زال حيًّا يطلبُ مني قرضًا مبلغ ستمئة دينار عام ١٩٧٥م وكان في حينه كبيرًا يمكن به شراء بيتين للسكن، وكنتُ فقيرًا لا أملك شيئًا ولم أكن متزوجًا ولا بيت عندي، فاستضافه الشيخ عايش في بيته ثلاثة أيام واستقرض له المبلغ الذي طلبه وأعطاه إياه بحضوري، قال لي: اللّهُمَّ اشهد أَنِّي عملتُ هذا إكرامًا لأخي حامد من أجل عيون سيدي النبهان.

أخونا الشيخ عايش جروان من طرائفه أنه كان يقول: إذا أقول لكم على عيني قد لا يليق فبصري ضعيف، وإذا قلتُ لكم: على رأسي فأنتم أطهر مني وأجلّ. يقولها بصدق المحب كلّ هذا إجْلالًا لمقام سيدنا الكريم وإكرامًا لإخواننا»[1].

وفاته:

أقعده المرض حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى في مدينة السليمانية بعد معاناة طويلة، وشيع إلى مثواه الأخير مساء يوم ٢ رمضان ١٤٣٧هـ، الموافق ١٩حزيران ٢٠١٦م.



قبر الشيخ عايش

---

(١) انتهى كلام صديقه الشيخ حامد صخي.

رحل إلى مولاه طيّب النفس، سليم القلب، أجمع الناس على صلاحه وولايته، وصدق القائل:

سيذكرني قومي إذا جدّ جِدّهم　　وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ[1]

رحمك الله أبا محمد وأعلى منزلتك بمعيّة سيدنا محمد النبهان في مقعد صدق عند مليك مقتدر، رحمك اللهُ ابا البشائر والشيم والمكارم.

رثاؤه:

كتب في رثائه الشيخ هشام الألوسي:

أي سادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإنني أتقدم لأصحاب وأحباب سيدنا بأحر التعازي بفقد أخينا الغالي الشيخ عايش جروان الكبيسي. رحمه الله، آنسه الله بالحبيب.

إنه الشيخ اللطيف الودود عايش جروان عبد الله الكبيسي طير البشائر كما ورد في نشيد بلهجة عراقية:

يا رَايْحين لحلب حِبّي معاكم راح　　خُذوا عيوني وكَلْبي وآني كِسِير آجناحْ
أيا طير البشاير يا اللّي بالحب طايرْ　　مَشطوف عقله طايرْ لجنة الأرواح

كان كثير الأسفار إلى حلب، ينفرد بنا واحدًا واحدًا يقول: بيني وبينك لا تخبر سأسافر فهل لديك طلب عند سيدنا أو سؤال؟

ويوم سفره يكون أكثر إخواننا قد اطلعوا، فإذا غادر حمل القلوب الهائمة معه يدعون له بالتيسير، ويترقبون عودته، حتى إذا رجع أذاع بما رأى أو سمع من

(١) من قصيدة لأبي فراس الحمداني، أولها: «أرَاكَ عَصِيَّ الدّمع شِيمَتُكَ الصّبرُ».

حضرة الحبيب ﷺ فيدخل السرور على قلوبنا، ويثري مجالس أنسنا بالجديد عنه ﷺ.

وهو من لا يجاريه منا أحد بِنِيّاته التي يخفيها أو يبديها تجاه الحبيب ومحبيه وخدمتهم ومواساتهم.

زارني ليلًا في بيت الدرج الذي كنت أقيم فيه بجامع الفلوجة الكبير، وهو متعب مرهق، فنام على ظهره بجبته وعمامته ولم يخلع حذاءه إلى قبيل الفجر.

فقلت: إلى متى تبقى على حالتك هذه تحرق نفسك؟!

وقد حصلت مشكلة لصاحبه الشيخ عبد الحميد جرذي مع آخر فتعذر حلها، وهكذا كان وصفه لا يهنأ وهناك مهموم من محبي الحبيب حتى يزول همه.

وهو إنسان محبوب من سائر الخلق داخل الفلوجة وخارجها، لا يرد ذكره على لسان إلا بخير.

دَيْدَنه الخدمة وإدخال السرور على المهمومين والفقراء، والدنيا في يده وتحت قدميه، وقد توفي والده -رحمه الله-وترك ديونًا له عند الناس تؤلف ثروة، وكما أخبرني أنه أمسك سجل الديون التي ورثها يقلب صفحة فأخرى ويكتب: «واصل عن طريق المسامحة» فلم يبق منها شيء مع أنه في غاية العوز.

يطلب منه أهله أحيانًا أن يجلب لهم شيئًا من الخضار والخبز فيعود بعد الظهر تاركًا خرجه في مكان ثم يعتذر لأهله بعذر دون أن يقول لهم: ليس عندي ما أشتري به.

ومع هذا فهو لا يرد سائلًا بل يستدين ويعطي ويقضي حوائج الناس، وقد أمضى حياته على هذه الحالة وأخواله من آل الفياض الكرام أوفوا ما عليه مرتين، ثم باع بيته فشرى له الشيخان المحبان حامد صخي نجم الجنابي وصهره الشيخ صلاح يحيي الفياض قصرًا مجاورًا لجامع الحضرة المحمدية فأصبح دار ضيافة

ومأوى ذوي الفاقة ولكن ذلك القصر المؤثث لو قال له هشام: اخرج من بيتك لأسكنَ فيه لن يتوقف بل سيقول أمهلني أيامًا حتى أستأجر بيتًا أنتقل اليه.

كان أكثر سيره داخل المدينة في خدمة العباد على قدميه حتى تتهرأ جواربه يسير ويوزع الحلوى على الكبار والصغار أينما حل أو نزل.

والشيخ عايش -الذي قال عنه سيدنا الحبيب: «عايش له في قلبي منزلة»- إذا رأيته حسبته بهلولًا أو مجذوبًا وهو صحيح بهلول القلب سليم الفطرة مجذوب إلى الحبيب وبالحبيب مع كونه نادرة في ذكائه وأدائه، كما أنه رحيم بلغت به الرحمة حدًا مدهشًا حتى بالجمادات.

أذكر مرة أنه رافق جمعًا من إخواننا في سفرة إلى هيت لحضور حفل مولد، ومدينة هيت تبعد عن الفلوجة مئة كليومترًا، والسيارة تتسع لثمانية عشر، فركب فيها خمسة وعشرون أثناء عودتهم ومنذ أن خرجوا من هيت حتى وصلوا مشارف الفلوجة والشيخ عايش يبكي فقيل: ما يبكيك؟ قال: «أبكي على السيارة فاحطة» أي مثقلة.

تلك شذرات من سيرة رجل رباه حبيبنا سيدنا النبهان رضي الله عنه، ومآثره كثيرة تتطلب كتابًا، ولا أظن أحدًا عرفه إلا ويحفظ عنه شيئًا.

كنت أعتقد أنه مجاب الدعوة، ويوم كنا نبني جامع الحضرة المحمدية قلت له وأنا أمشي معه ليلًا بين الجامع الكبير والشارع العام: يا شيخ عايش أريد منك أن تدعو لي الله أن يرزقني غدًا عشرة آلاف دينار لمواصلة العمل، وإذا لم يأتني المبلغ غدًا سأقول عنك: لست وليًا ولا صاحب كرامات!

فتركني مسرعًا وأنا أنظر إليه كأنه طير مذبوح يرف جناحاه يرفع يديه ويتضرع، ولما كان اليوم التالي جاءتني عشرة آلاف دينار تبرعًا من الحاج حمود ذياب الكبيسي -رحمه الله تعالى- كدفعة أولى من أربعين ألفًا.

نجـــم هـــوى ومـــا هـــوى	بـــدر خـــفى ومـــا خـــفى
عنـــوان يعكـــس ذكـــره	قصـــص المحبـــة والوفـــا
وكـــأن ســـائر حـــاله	يســـعى بزمـــزم والصـــفا
وهيامـــــه في حلـــــب	مـــا زاغ عنهـــا أو غفـــا

رحمك الله يا أخانا.

لقد كنت بيننا علمًا وركنًا عظيمًا.

آنسك الله بقرب الحبيب وجواره، وإنا على فقدك لمحزونون، وإنا لله وإنا إليه راجعون. (هشام عبد الكريم الألوسي، بغداد، الرابع من رمضان، ١٤٣٧هـ).

ورثاه **الدكتور محمود ناصر حوت فقال**:

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إن العين لتدمع، وإن القلب ليوجع، ولا نقول ما يسخط الرب، إنا على فراقك يا أبا محمد لمحزونون.

أيها الفقيد العزيز: جلّ فقدك عن البكاء، وعز فراقك عن العزاء والرثاء، فلا الكلمات البليغة وافية بحقك ولا الزفرات الحرَّى مجدية بفقدك.

أنت عايش في القلوب وإن وافتك منيتك، وأنت حي في النفوس وإن غيبتك أقدارك.

كريم الأصل والمحتد، سخي اليد والنفس، شهد لك مربيك ومؤسسك على مكارم الأخلاق سيدنا وقرة عيوننا بأنك (لا تحب الدنيا) فأبشر أبا محمد بهذه الشهادة؛ فلست إلا محبًّا عاشقًا والهًا منذ اكتحلت عيناك بغرة الدهر وشمس المعارف السيد النبهان رضي الله عنه.

سلامٌ عليك سلامًا لا لقاء بعده في دار الفناء، فاذكرنا عندهم في دار البقاء.

(أخوك محمود ناصر حوت)

ورثاه **الدكتور عبد السميع الأنيس فقال**:

«وفاة رجل صالح»

«لقد فقد العراق والعالم الإسلامي الرجل البركة، الصالح، التقي، النقي، الحاج عايش جروان الكبيسي، رحمه الله تعالى.

فقد عرفت الفقيد قبل ستة وثلاثين عامًا في مدينة الفلوجة الجريحة الصابرة من مدن العراق فعرفت فيه الصلاح والتقوى والتواضع والصفات التي قلما تجدها في دنيا الناس.

كان -رحمه الله- آية من الآيات في قضاء حوائج الناس، والسعي البالغ في عونهم، ومساعدتهم.

متميزًا جدًا في إدخال السرور على أصحاب القلوب الحزينة، والنفوس المرهقة، وكان يملك حسًا نادرًا في كشف حزنهم وآلامهم.

هو البلسم للجروح الغائرة، مسعفًا بكل ما أوتي من قوة وجاه أصحاب الحاجات، والمصائب العارضة أو الدائمة.

وكان يتميز بسلامة الصدر، وطهارة القلب، رجل صدق وأخلاق عالية لا أظن أنه آذى أحدًا، أو تكلم على أحد، لا تصريحًا ولا تلميحًا.

وكان -رحمه الله- عابدًا، خاشعًا، بكاء في مجالس الذكر والعلم، غضيض الطرف، لا تفارق البسمة محياه في أشد الظروف». اهـ.

وكتب في رثائه **الشيخ محمد شيخ جمال شاكر**:

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب ٢٣).

هكذا يترجل رجل من أهل الله تعالى ملتحقًا بالرفيق الأعلى، يرحل الحاج عايش جروان -رحمه الله- تعالى بعيدًا عن فلوجته وعن عالم الدنيا.

رجل الفقراء والمساكين، رجل التواضع والخلق، رجل الأدب والمواقف الحسنة وما أكثرها! ولكل من يعرفه موقف جميل معه، كما كنتَ كريمًا سخيًّا في كل شيء، يعاملك الله تعالى بالكرم والعطاء فيختم الله تعالى لك بمكارم جسام، يطهرك الله تعالى بالابتلاءات وما أكثرها!، ينقيك ويرقيك بالمرض ومعاناته، ومن ثم تُهَجّر وتقاسي الغربة فترحل شهيدًا غريبًا وتُمْنح الانتقال في شهر الله شهر رمضان وبديار الغربة تدفن فأي كرم وعطاء هذا!

نعم الكل ترحل ولكن لحسن الخواتم مراتب، أقول اعتقادي: يا عمي يا حاج عايش أنت أهل لهذا، نعم هذا ما أعتقده فيك، ولسيرتك ومسيرتك شواهد كثيرة.

رحمك الله يا أبا محمد، رحمك الله يا راعي الفقراء، رحمك الله يا صاحب الأرامل والمساكين، رحمك الله يا حاج عايش، وأعلى نزلك، وجعلك قرة عين لسيدنا محمد ﷺ وسيدنا النبهان رضي الله عنه وأنزلك منزلًا هو يكرمك به على مقدار كرمه وحسن ضيافته.

والله لقد أوجع قلبي خبر انتقالك. وإن العين لتدمع وان القلب ليحزن وانا على فراقك لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا اليه راجعون.

مصادر الترجمة:

- الدكتور عمان عمر المحمد، والشيخ هشام الألوسي، والدكتور محمود ناصر حوت، والشيخ حامد صخي، والدكتور عادل كعيد، والمهندس رياض صبحي، والدكتور عمر الجبوري، والشيخ صلاح مخلف، والشيخ محمد جمال شاكر، مراسلة كتابية.
- الدكتور عبد السميع الأنيس (نشر على صفحته في مواقع التواصل).

ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

من حوار مع الشيخ عايش، وحديثه عن سيدنا النبهان.



(٢٤) الشيخ عبد البر عباس

١٣٥١ – ١٤٣٩هـ/ ١٩٣٣ – ٢٠١٨م

الشيخ العالم المحدث، المتواضع صاحب القلب السليم، عبد البر ابن الشيخ عبد السلام عباس.

ولادته ونشأته:

ولد -رحمه الله- في مدينة حمص السورية عام ١٩٣٣م، ونشأ في أسرة علمية متدينة -كما حدثني هو فقال: والدي الشيخ عبد السلام -رحمه الله- كان عالمًا من علماء القرآن وتتلمذ على الشيخ عبد العزيز عيون السود-رحمه الله تعالى- شيخ القراء[1]، وذلك بمدينة حمص، وأنا أخذت عن والدي القرآن.

---

(١) **الشيخ عبد العزيز عيون السود (١٣٣٥-١٣٩٩هـ)**: العالم المقرئ، الحمصي، أخذ العلوم عن الشيخ طاهر الرئيس، وعبد الجليل مراد، وعبد القادر الخوجة، ودرس في دار العلوم الشرعية التابعة للأوقاف، أصيب بمرض قطعه عن الناس فاغتنم الفرصة وحفظ القرآن، ثم تلقى القراءات السبع من الشيخ سليمان الفارس كوري، وقرأ على الشيخ محمد سليم الحلواني وأخذ عنه القراءات العشر بمضمن الشاطبية والدرة، وأخذ القراءات العشر بمضمن الطيبة من الشيخ عبد القادر قويدر، ثم قرأ على الشيخ أحمد حامد التيجي بمضمن الشاطبية والدرة والطيبة والفوائد المعتبرة، افتتح دار القراءات في حمص، توفي ساجدًا قبل الفجر، ودفن في حمص. انظر «نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر» (٧٤٨).

دراسته:

قال -رحمه الله- [١]: «درست الإعدادية وسنتين من مرحلة الثانوية وذلك في الثانوية الشرعية في حمص، ولم يكن عندهم وقتها شهادة ثانوية شرعية فحصلت على الثانوية العامة القسم العلمي، ثم ذهبتُ قبل افتتاح كلية الشريعة في دمشق فدرستُ في بيروت عامًا في قسم الرياضيات، ودرستُ في جامعة دمشق كلية الرياضيات أيضًا عامًا، ثم افتتحت كلية الشريعة في جامعة دمشق، فانتسبت إليها، وتخرجت فيها، ونلت شهادتها عام ١٩٥٨م.

من شيوخه في كلية الشريعة:

الدكتور مصطفى السباعي، والأستاذ محمد المبارك، والدكتور محمد معروف الدواليبي، والدكتور مصطفى الزرقا.

ومن زملائه في كلية الشريعة: عبد الرحمن عتر، محمد نذير حامد.

الوظائف التي شغلها:

وقال -رحمه الله-: بعد تخرجي في كلية الشريعة عُينتُ مدرسًا للتربية الإسلامية في المدارس العامة في كثير من مدارس حلب مثل: ثانوية هنانو -وهي أول مدرسة دَرَّست فيها- وثانوية المأمون، وكلية دار المعلمين، وغيرها كثير.

وحين أسست مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) عام ١٩٦٤م أتيت إليها مدرسًا، أولًا دَرّست الرياضيات، ثم الحديث الشريف ومصطلحه (منهل الحديث ونزهة النظر والإقراء)، وكان توجهي وقتها إلى الحديث الشريف فاهتممت

(١) في لقاء لي معه في حلب بتاريخ ٦ جمادى الأول ١٤٢٩هـ.

به، وبقيت مدرسًا في الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) إلى عام ٢٠٠٨م فاستقلت لكبر سني وتعبي».اهـ

سألته -رحمه الله-هل كان يحفظ صحيح البخاري كما هو مشهور؟

فأجابني: إنني قرأته مرتين وعملتُ له فهارس، وحفظتُ أحاديث كثيرة منه وليس كاملًا، وعملت فهارس مفصلة لفتح الباري، طُبعت ووُزعت في المكاتب».



الشيخ عبد البر في درس الكلتاوية

سلوكه عند العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

حدثني الشيخ عبد البر عن ذلك قال: «تعرفت على سيدنا النبهان عام ١٩٥٨م حين كنت أَدْرس في كلية الشريعة وذلك عن طريق الشيخ عبد الرحمن عتر -رحمه

الله- وكنا معًا في صف واحد في كلية الشريعة، فذكر لي أمر سيدنا في حلب وفضائله، فشعرت بشيء يشدني، فجاء سيدنا مرة إلى دمشق ونزل في فندق اليرموك في ساحة المَرْجة وكان معه الشيخ محمد الشامي[1]، فذهبت مع الشيخ عبد الرحمن فقال له: سيدي هذا أخونا عبد البر يريد أن يراكم. فقال لي: تفضل. فدخلت وبأول نظرة إليه رأيت نورًا خالصًا، ومن حينها أُخِذتُ به وتعلق قلبي وانجذب إليه.

بعد التخرج عُيّنْت في حلب مدرسًا، وهنا التزمت مع سيدنا، وحضرت مجالسه، وسافرت معه إلى الحج، وقد سافر السيد في الباخرة لكنني سافرت بالطائرة لأني كنت مدرسًا، ولا يعطونني إجازة أكثر من خمسة عشر يومًا إلا أنني سعدت ونزلت مع سيدنا، وكنت معه في كل مناسك الحج، وكذلك كنت معه في زيارة المدينة المنورة لكني لم أُكمل معهم المدة كاملة لانتهاء إجازتي.

وأجمل شيء في حياتي أني كنت مع سيدنا في رحلة الحج وكنت معه عن يمينه حين وقف أمام رسول الله ﷺ وقال له: السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا أبانا.

كان سيدنا رضي الله عنه يرعى شؤوننا ويحفظنا من أي مكروه.

مرة كنت أسكن في منطقة سيف الدولة، وكان في البناية جار ليس صالحًا فاتَّهم زوجته بأمور فاحشة، واشتكى عليها، ووضع اسم زوجتي للشهادة مع أننا لا صلة بيننا وبينهم، وجاءنا إشعار من القاضي بلزوم حضور زوجتي للشهادة في هذا الأمر، فاهتممت وذهبت إلى سيدنا رضي الله عنه وقفت أمام باب غرفته فخرج الشيخ حسان وقال: ما بك؟

قلت: أمر أشكوه لسيدنا.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٥٩).

قال: سيدنا مشغول.

وكانت وقتها مشاكل التويم، انتظرت قليلًا وإذ خرج سيدنا وقال: ما بك ياعبد البر؟

قلت: سيدي القصة كذا وكذا..

فقال ﷺ: «لا تذهب والقصة انتهت». وإلى اليوم لم يطلبنا أحد للشهادة في تلك المسألة ولله الحمد.

وبعد انتقال سيدنا ﷺ في أحداث الثمانينات كان يسكن في البناية معنا متهم، استيقظت لصلاة الفجر يومًا وصليت في الجامع، وبعد عودتي ودخولي البيت وإذ أصوات وضجيج وكانوا قد جاؤوا للقبض عليه، فأخذوه وانصرفوا، وبعد ذهابهم قال لي أحدهم: لو تأخرت خمس دقائق ورأوك لأخذوك وحققوا معك وقد لا تعود، فالله بسر سيدنا حفظنا.

وحدثت لي عدة قصص من هذا النوع كانت رعاية سيدنا لنا فيها واضحة.

ومن كرامات سيدنا ﷺ التي رأيتها أنه استعصت الولادة على زوجتي، فأتيت إلى سيدنا النبهان فقرأ على كأس من الماء ثم قال: اخرج يا غلام، اخرج يا غلام إلى الدنيا من الظلمات إلى النور. فذهبت إلى زوجتي أبشرها أنه صبي لأن سيدنا قال: اخرج ولم يقل: اخرجي. وهو ولدي محمد نبيل عباس».

ثم قال الأستاذ عبد البر: وأثر سيدنا في بيتي كبير فأولادي يعتقدون بسيدنا وربي وفقهم بذلك والحمد لله». قال سيدنا لنا: «أولادي أنتم محفوظون أنتم وأولادكم». والحمد لله وهذه بشرى.

رأيت مرة في نومي أنني داخلٌ إلى مسجد وفيه جمع من إخواننا وألبس ثوبًا أبيض والكل يلبس كذلك، فأتى واحد وسألني إلى أين أنت ذاهب؟ قلت: إلى الرسول ﷺ. دخلنا فالتفتُّ وإذ هو سيدنا ﷺ فنظر إليّ وضحك.

كنا في مجلس بين المغرب والعشاء ووقتها تكلم سيدنا أن الله خلّاق وقال: ما أتى يوم وربنا فيه ليس خلّاقًا، وبعد أن خرجنا وإذ بأحد إخواننا كأنه استصعب الجواب وقال: هذا قدم الحوادث. فقلت له: لا؛ اتهم فهمك لأن المخلوقات طالما لها بداية، ولها نهاية، فهي حادثة مخلوقة ليست مشاركة للقديم، فالله هو الأول الذي لا شيء قبله والآخر الذي لا شيء بعده.

لقد أكرمني الله أنني منذ أن اعتقدت بهذه المرتبة النبهانية أُسَلّم ولا يمكن أن أناقش.

ألحّ والدي أن أعود إلى حمص فجئت وشكوت الأمر إلى سيدنا فقال لي السيد النبهان: إذا أتى والدك إليك أخبرني، فجاءني مرة زائرًا فأتيت إلى السيد الكريم أخبره بقدوم والدي، فقدم ﵁ وكان مما قاله له: «عبد البر سيظل هنا فأنت والده في الجسم وأنا والده الروحي فهو ابننا». وزال عني هم الرجوع إلى حمص».

والشيخ عبد البر كان مأذونًا من سيدنا بقراءة إحدى وعشرين مرة: «يا رحيم» لمريض الشّقِيقَة.

من أخلاقه وصفاته:

الشيخ عبد البر يصدق فيه قول الله -تعالى-: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء ٨٩). فقلبه سليم صاف لا يعرف الغش أبدًا، وتواضعه يبهرك، سريع البديهة، واسع الاطلاع.

يتَّسم نقاشه بالعقلانية والمنطق السديد، حليم جدًّا.

من كلماته التي كان يرددها: «عمر الإنسان قصير لا يتسع لقراءة كل شيء، فلا تضيع وقتك ولا تقرأ إلا المفيد».

مخلص لا يحب الظهور، ذو أخلاق عالية.

مؤلفاته وآثاره:

١- تحقيق كتاب: دلائل النبوة للإمام أبي نعيم الأصفهاني، رحمه الله تعالى.

٢- تحقيق كتاب: الفتاوى الحديثية للإمام ابن حجر الهيثمي الشافعي، رحمه الله تعالى.

٣- وضع فهارس تفصيلية لكتاب: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، رحمه الله تعالى.

٤- سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه (مخطوط).

٥- سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (مخطوط).

مرضه ووفاته:

عانى -رحمه الله- أواخر حياته مع المرض ثم دخل الغيبوبة مدة حتى انتقل إلى رحمة ربه يوم السبت ١ جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ، الموافق ١٧ شباط ٢٠١٨م.

رثاؤه:

رثاه **العلامة الدكتور محمد فاروق النبهان فقال**: «بلغني اليوم نبأ وفاة الأخ الأستاذ عبد البر عباس -رحمه الله-، وأقدم أصدق عبارات العزاء والمواساة لأسرته الصغيرة و لأهله، ولكل أسرته العلمية الكبيرة في الكلتاوية التي عرفته منذ شبابه الأول عندما جاء إلى حلب منذ منتصف الخمسينات، وكان آنذاك طالبًا في كلية الشريعة في سنتها الأولى، وكنت يومها صغير السن، كان قادمًا من مدينة حمص، وعرف السيد النبهان -طيب الله ثراه-، ولازم مجالسه في الكلتاوية، وكان من المحبين الصادقين وهو ابن أسرة علمية في حمص، كنت أراه باستمرار رفقة مجموعة من أصدقائه ممن كانوا طلابًا في الجامعة أو يهتمون بالثقافة، وكانوا قرابة عشرة أفراد ما زلت أذكر أسماء بعضهم وهم: الأستاذ عبد الرحمن عتر، والأستاذ نذير

حامد، والأستاذ نزار لبنية، والأستاذ محمد لطفي، والأستاذ حسان فرفوطي، والسيد ناظم فرا، وانضم إلى هذه المجموعة فيما بعد عدد من طلاب العلم من أمثال: الدكتور محمود فجال، والشيخ منير حداد، والشيخ علاء الدين علايا، ثم أخذت قوافل طلاب الكلتاوية النبهانية تكبر وتتزايد، وأصبح الجيل الأول هو المؤتمن على التكوين والتعليم وتكوين الجيل الثاني والثالث، وبعد أكثر من ثلاثين عامًا كنت أزور المدرسة، وألتقي بذلك الجيل من علماء الكلتاوية في مجلسي الجمعة والأحد ممن تخرجوا أو ممن كانوا في الطريق، كنت أفرح بما كنت أراه، وتذكرت ذلك اليوم الذي جلست فيه إلى جانب السيد لاختيار أول طلاب المدرسة في اليوم الأول لافتتاحها، كانت ابتسامته كبيرة وفرحته ظاهرة.

وكان يحدثني عما يتمناه أن يكون عندما تكبر الأشجار، وتثمر وليس المهم متى، تذكرت تلك المجموعة الأولى التي كان يحضر فيها المرحوم عبد البر عباس وإخوانه، كانوا أقل من عشرة أفراد كانوا طلابًا يأتون من دمشق وهم يحنون إلى تلك المجالس الروحية، وأحيانًا كان يحضر معهم إلى حلب زميل لهم هندي من أسرة الندوي المشهورة، وكان السيد يهتم بهم، ويخصص لهم جلسات خاصة كانت تعرف بالمذاكرات، وينصت لهم وكانوا يجتمعون في منزل السيد ناظم الفرا في باب النصر، وكانت بعض الجلسات تمتد إلى الصباح، تعلق الأستاذ عبد البر بصحبة السيد في حياته وأصبح فيما بعد من أبرز أساتذة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية).

حضرت بعض هذه المجالس الروحية التي كانت ذات منهجية تربوية وروحية، وكان من عادة السيد النبهان أنه يخصص جلسة أسبوعية لكل مجموعة متجانسة ومنسجمة، فكانت هناك جلسة لطلاب العلم وجلسة للتجار وثالثة للمنهدسين والأطباء، وهناك درس النساء، بالإضافة إلى مجلس الجمعة، ومجلس الأحد الذي استمر طويلًا.

تذكرتُ كلَّ ذلك وأنا أرجع إلى الماضي، أكثر من ستين عامًا مضت، كان المرحوم ممن تميزوا بالعلم وبخاصة في علم الحديث وكتب الصحاح، وكان صالحًا وتقيًّا وترك أثرًا طيبًا لدى زملائه وطلابه.

أدعو الله تعالى أن يتغمده برحمته، وأن يسكنه فسيح جنته، وأن يجزيه خيرًا عما أحسن فيه، وإنا لله وإنا إليه راجعون». اهـ.

ورثاه **تلميذه الشيخ إبراهيم الحمدو العمر** فقال:

أَلِفَ الهوى بوجيبه[1] ونحيبه وشكا النوى بسهاده و رقاده
وطوى على ذكرى الفراق حشاشة فَنِيَتْ وما يفنى غرامُ فؤادِه
و مضى إلى العلياء يسمو همةً يشدو الكمال على خطى أفراده
ودنا إلى الشهباء يزجي مهجة أنقى من الألماس في أجياده
يرنو بعين الصقر ينشد عارفًا لم يَثْنِهِ عنه أذى حسّاده
وإذا الكميّ مضى بصادق همّةٍ تَخِذَ العزيمة من عتاق جياده
حمصٌ و آي الحسن في أرجائه واللطف في إنسانه ونجاده
لم تسبه وغدا إلى شهبائه (نبهان) ذاك القصد من أسياده
لما رأى النور المجسّد شخصه حثّ الخُطى ليكون من رواده
ومهاجرً للحقِّ (حاز بُنُوّة) في الروح فاعجب من نبا إسعاده
لغلامه: اخرج يا غلامُ فبوركتْ تلكَ الولادةُ يا لَلُطف وداده
أنقى من الزهر الضحوك لطافةً والعلمُ والأخلاقُ في أبراده
أَلِفَ الخفاءَ فلا يُرى متملقًا هذا الأنامَ وعاش من زهاده
مترهبٌ جعل الحديثَ مَرَامه يستظهر الإعجاز من إمداده

---

(١) وَجَبَ القَلْبُ: خَفَقَ، اِضْطَرَبَ.

متلمسًا حكم النبوة تاليًا ... آياتها و(الفتح)[١] من أوراده
الألمعي إذا تعارض نصه ... والصيرفي الفذ من نقاده
وإذا تكاثرت الفهوم فحيّرتْ ... أهل النهى رجعوا إلى (حماده)[٢]
وإذا الخصوم تنفخت أوداجها ... تلقى المقال الفصل في إيراده
مستحضرًا للآي حين نقاشه ... فكأنما حضرت على ميعاده
والسُّنةُ الغرّاءُ طوع لسانه ... فكأنما سكنت صميم فؤاده
فالبَّر (عبد البر) محفَل سنة ... غصّت مناهله لدى رواده
عَشِقَ الطُروسَ فلو رأيتَ خضوعه ... عند الكتابِ لقلتَ من عُبّاده[٣]
محرابه قلبٌ، و نُسْكُ حياته ... فِكْرٌ يحلّق في مدى آماده
مَنْ طوقَتْ ذا النشءَ أيدي فضله ... في (دار نهضتنا) مدى آماده
قد عشتَ في الدنيا ربيبَ عناية ... ما كنتَ إلا في اتباع مراده
كانت حياتك في منيع حصونه ... واليوم أنت إلى ذرى أطواده
غادرت دنيا لم تغرّك ساعةً ... مستبقيًا ذخرًا ليوم معاده
أمعاهدَ العلمِ الشريفِ ألا ابْكِهِ ... فلقد طواه الموت في أغماده

(١) المقصود فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني حيث عكف الأستاذ عبد البر على وضع فهارس لكتاب فتح الباري، ولا يزال مخطوطًا.

(٢) حماد بن أبي سليمان العلامة الإمام فقيه العراق، روى عن أنس بن مالك فهو في عداد صغار التابعين وتفقه بإبراهيم النخعي وهو أنبل أصحابه وأفقههم وأقيسهم وأبصرهم بالمناظرة والرأي، وحدث عن سعيد بن المسيب وعامر الشعبي وجماعة. لازمه تلميذه الإمام أبو حنيفة ثماني عشرة سنة، حدث عنه الأعمش وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحماد بن سلمة وخلق. كان أحد العلماء الأذكياء والكرام الأسخياء. عن مغيرة قال أتينا إبراهيم النخعي نعوده حين اختفى فقال: عليكم بحماد فإنه قد سألني عن جميع ما سألني عنه الناس. انظر: سير أعلام النبلاء ترجمة رقم [٩٩] (٥:٢٣١).

(٣) الطروس: الكتب.

رحمك الله يا شيخَنا ياعبد البر، وأجزل لك المثوبة والعطاء، فقد أديت الواجب، وعلمتَ الطالب، فشكرك شأوٌ بعيد لا تبلغه أشواطنا.

مصادر الترجمة:

- الشيخ عبد البر عباس، لقاء لي معه في حلب بتاريخ ٦ جمادى الأول ١٤٢٩هـ.
- الدكتور محمد فاروق النبهان، من خلال ما نشره في مواقع التواصل.
- الدكتور محمود ناصر حوت، مراسلة كتابية.
- الشيخ إبراهيم الحمدو العمر، مراسلة كتابية.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفين الصوتيين، فضلًا اقرأ الرمزين التاليين:



التسليم لأهل الله.

(الشيخ عبد البر عباس)



٢

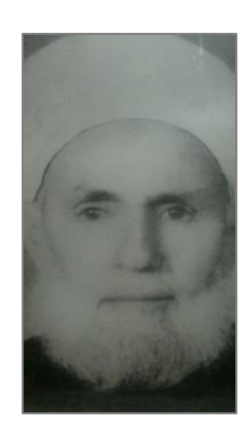
الله أكرمنا بشيء لكن ما أدينا الحقوق التي علينا.

(الشيخ عبد البر عباس)



(٢٥) الشيخ عبد الرحمن حوت

١٣٢١ - ١٤١٢هـ/ ١٩٠٤ - ١٩٩٢م



الشيخ العالم الفقيه عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين حوت، ويعرف باسم «عبد الرحيم حوت».

ولادته ونشأته:

ولد في قرية (التَّيَارة) شرقي مدينة حلب عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م من عائلة اشتهر أهلها بالبأس والقوة والاعتزاز بالانتماء إلى أصل ووحدة قبلية متكاملة، تملك الأراضي الممتدة الواسعة إلى الشرق من مدينة حلب، وهذه العشيرة تسمى الخضيرات، وتعود النسبة إلى معد يكرب الزبيدي.

طلبه العلم:

تعلم مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة القرآن في قريته، ثم ترك أهله وقريته باحثًا عن العلم وأهله تلبية لطلب ابن عمه الشيخ محمد النبهان والذي يسبقه في السن والدراسة، وقد كان الشيخ النبهان يَدْرُس في المدرسة الخسروية بحلب، فالتزم الشيخ عبد الرحيم بالمدرسة الخسروية عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، وبقي فيها سبعة أعوام، العام الأول كان فيها مستمعًا.

أتم الشيخ عبد الرحيم دراسته وتحصيله العلمي والشرعي، وتخرج فيها عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، في الفوج الرابع، وشهد له كبار علماء حلب الذين كانوا قائمين على الإدارة والتوجيه ونشر العلوم والأخلاق في المدرسة الخسروية بالاستقامة والجد

وحسن الخصال وحميد الأخلاق، وقد كان الطلاب يتلقون الدروس في النهار، ويبيتون في غرف في جامع الإسماعيلية والعثمانية، فكان الذي يتم تعليمه، ويتخرج من الخسروية، يحظى بمكانة رفيعة من التقدير والاحترام وخاصة إذا تلازم العمل والعلم.

من شيوخه في الخسروية:



الشيخ عبد الرحيم حوت

الشيخ محمد أسعد العبجي، والشيخ محمد نجيب سراج الدين، والشيخ إبراهيم السلقيني(الجد) [١]، والشيخ راغب الطباخ، والشيخ الكيلاني، والشيخ الناشد، والشيخ عمر المرتيني، والشيخ أمين الله عيروض، وغيرهم من أهل العلم والمعرفة.

عرف الشيخ عبد الرحيم أن تحصيله العلمي قد أثمرلكن قلبه مشغول متطلع إلى من يأخذ به للسلوك والمنهج اللذين يوصلانه إلى محبة الله وعبوديته على الوجه الذي يسمو ويرقى في معارج الوصول والكمال الإنساني.

أخذه الطريقة النقشبندية:

وقد اشتهر في زمانهم الشيخ المربي محمد أبو النصر خلف الحمصي بالطريقة النقشبندية، وكان صاحب سر وكشف انتشر أمره حتى وصل إلى حلب، فانتسب إليه السيد النبهان وكثير من مشايخ حلب، ومن جملتهم الشيخ عبد الرحمن حوت،

---

(٢) الشيخ إبراهيم السلقيني (الجد) (١٢٧٠هـ-١٣٦٧هـ): فقيه، عالم. ولد في قرية سلقين، وتلقى علومه في مدرسة الإسماعيلية، والقرناصية. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (١٧٩).

وقد كان طالبًا في الخسروية، وتمت هذه العلاقة بمشورة قريبه الشيخ محمد النبهان وصديقه الشيخ محمد سعيد المسعود، وقد زاره الشيخ أبو النصر -رحمه الله- عدت مرات.

ثم تابع سيره وسلوكه عند شيخه وابن عمه العارف بالله الشيخ محمد النبهان ولازمه.

وقد خطب ابنته الكبرى الشيخ محمد علي المسعود فتم العقد في الكلتاوية عند السيد النبهان عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، بحضور جمع من أفاضل علماء حلب.

من صفاته:

كان -رحمه الله- من أخلاقه تمسكه وحرصه على تطبيق الشريعة واتباع السنة المطهرة، شديد الابتعاد عن الرياء والتكلف، يرى في التصوف سلوكًا نقيًّا تتجسد فيه قيم الإنسانية العالية، يطربه سماع أخبار القوم أهل الطريق، يكثر من ذكرهم، وأكثر ذكره هو لسيدنا أحمد الرفاعي والإمام الشافعي وما تركوه من حياة مليئة بالنور، فلا يكاد يخلو مجلس للشيخ من ذكر شمائل ومواعظ وجود وكرم وأخلاق ومناظرات الشافعي.

كان -رحمه الله- ذا شخصية مهيبة قوية، وكان علو الهمة عنده من الثوابت التي لا يحيد عنها، يشارك جليسه وسامعه بطرفة أو قصة مع حسن الشاهد العلمي معبرًا بذلك عن فطانته وبعد نظره واتساع عقله، شهد له بذلك جلساؤه وعلى الأخص طلاب العلم النجباء في الكلتاوية، وكان محبًّا للضيوف، متفانيًا في الإحسان لمجالستهم ومؤانستهم، وكان ذا عفة متناهية حيث لا يرضى أن ينال أحد الناس من الدين بمهانة أو همز لأهله، وهو دائمًا يعلم طلابه ومجالسيه الثقة بما عند الله والترفع والزهد عما في أيدي الناس.

كان -رحمه الله- كثير الذكر والثناء على شيوخه والتودد لأصحابهم، فكان هذا من أخلاقه ومزاياه، وفي مقدمتهم محبته للسيد الشيخ الكامل العارف بالله محمد

النبهان، وحين قرر السيد النبهان أن ينشئ دارًا يدرس فيها أبناء الأمة العلم بالله- وحقق الله له ما أراد، وكان افتتاح مدرسة الكلتاوية عام ١٩٦٤م- اختار ابن عمه الشيخ عبدالرحيم مديرًا[١] موجهًا ومدرسًا يرعى شؤون الطلاب ليلًا ونهارًا، وبعد قرابة ستة أشهر اقتصر دور الشيخ عبد الرحيم على التدريس فقط، يدرس الفقه الشافعي والتفسير إلى عام ١٩٧٦م، ولما تقدمت به السن ولم يعد يستطيع الخروج من بيته ترك التدريس، لكن ظل قسم من الطلاب يقصدونه في بيته للأخذ عنه.

وكتب لي عنه تلميذه الشيخ محمود العبيد[٢]:

«كان شيخنا الشيخ عبد الرحيم متواضعًا زاهدًا عالمًا مرجعًا في فقه الإمام الشافعي، ومن أمانته العلمية أنه لما كنا طلابًا ونرى خطأ فنريد أن نصححه فيقول لنا: لا يا أبنائي لا تصححوا الخطأ في مكانه ولكن ضعوا خطًّا تحت الخطأ ثم اكتبوا على الهامش لعل الصواب كذا.

وكان يعيش معنا في جوٍّ طيب مرح، مرة دخل الصف علينا والجو بارد، فقمنا له إجلالًا واحترامًا، وقدمت له الكرسي قريبًا من المدفأة فقلت له: تقدم شيخي إلى النار. فقال لي: يا ولدي محمود! نحن نعبد ربنا من أجل أن يبعدنا عن النار وأنت تقدمنا إليها! فقلت له: معذرة شيخي ماذا أقول؟ فقال لي: قل: تفضل إلى الدفء، فأدخل السرور إلى قلوبنا بهذا العبارات الجميلة التي كلها عطف وحنان وتواضع».

---

(١) أول مدير لمدرسة دار نهضة العلوم الشرعية (الكلتاوية) الشيخ عبد الرحمن عبدالله حوت، ثم الشيخ محمد أديب حسون عام ١٩٦٤م، ثم الشيخ محمد لطفي من ١٩٦٥م إلى عام ١٩٧٢م، ثم الشيخ محمد منير حداد، ثم الأستاذ أحمد مهدي خضر، ثم الشيخ علاء الدين علايا، ثم الشيخ محمد رشواني، ثم الشيخ محمود الحوت من عام ١٩٨٣م إلى عام ٢٠١٢م.

(٢) الشيخ محمود العبيد القادري الحسني (١٣٦٦هـ/١٩٤٧م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

ويتحدث عنه تلميذه الدكتور عثمان عمر المحمد يقول:

«من أبرز صفات شيخنا عبد الرحيم حوت –رحمه الله- الكرم، فهو جبّلة له فطرة، مازرناه في بيته ونحن طلاب أو بعد تخرجنا إلا وقدم لنا طعامًا، حتى أن مرة ذهب إليه أخي الشيخ علي عمر المحمد –رحمه الله- ليصلح له المدفأة في يوم خميس، وكان أخي صائمًا فعرض عليه الطعام فاعتذر أخي لأنه صائم، ثم قال لأخي: تبقى عندي للإفطار حتى نتعشى فاعتذر أخي بحجة أن عنده اختبارات، فضحك الشيخ وقال له: ضرب مدفع الإفطار، اجلس وكُلْ. وكان الوقت بعد الظهيرة والصوم صوم نفل.

كان يحب طلابه ويكرمهم، زرته مرة في بيته وكنت قادمًا من القرية فأوقد مدفأة الحمَّام وأدخلني لأغتسل عنده. أساتذتنا كلهم كرام لكنَّ الشيخ عبد الرحيم كان آيةً في الكرم والتواضع والمباسطة لطلابه، كأنه صديق أو زميل لهم مع أنه أكبرُ شيوخنا بل هو شيخ لبعضهم.

كنا في عام ١٩٨٠م نأتي بعد العِشاء لبيته أنا وأخي الدكتور محمود الزين فنقرأ على يديه الفقه والرسالة القشيرية، ثم نتعشى عنده ونسمر، ثم ننصرف.

أحببنا الفقه بحبنا له، لم يكن أستاذًا ومعلمًا بل أبًا حنونًا لنا ولجميع الطلاب».

وكتب لي عنه تلميذه الشيخ عبد الجواد العاشق[(١)]:

«من مآثر الشيخ عبد الرحيم حوت -رحمه الله- أنه كان يحترم العلماء، ولا يسمح بأي تعليق على كلام العلماء السابقين فضلًا عن انتقادهم.

---

(١) الشيخ عبد الجواد العاشق (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

طلب منه الشيخ محمود الزين-رحمه الله- وكنا طلابًا في المدرسة أن يضع شرحًا على كتاب «تنوير القلوب» فاعتذر أولًا بأنه غير متفرغ لذلك، ولما أكثرنا الطلب منه قال: لا يحق لمثلي أن يعلق على كلام الشيخ أمين الكردي.

وكان محبًّا جدًّا لآل البيت مقدّرًا لهم، سئل عمن يتكلم على الملك الحسين بن طلال، فقال: يجب أن يقطع لسانه.

عمل في شبابه بالتجارة ونقل الحبوب بواسطة الخيول والبغال كما أخبرنا هو.

وعمل إمامًا وخطيبًا في قرية تركمان بارح، وفي قرية دابق فترة من الزمن لذلك فهو خبير بالمدن والقرى والتجارة والزراعة، وهو الفقيه علمًا وعملًا.

رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا».

وفاته:

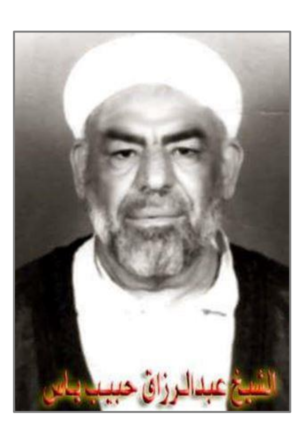
توفي-رحمه الله- عام ١٩٩٢م ودفن في مقبرة جامع وابصة بن معبد، في حي الميسر، في مدينة حلب.

مصادر الترجمة:

- ولده الشيخ جمال حوت، لقاء مباشر يوم ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ.
- «أعلام الطريقة النقشبندية في القرن الرابع عشر» للشيخ محمد زكريا المسعود.
- تلميذه: الشيخ محمود العبيد، والدكتور عثمان عمر المحمد، والشيخ عبد الجواد العاشق، مراسلةً كتابيةً.

(٢٦) الشيخ عبد الرزاق محمود حبيب(١)

١٣٤٤ - ١٤١١هـ/ ١٩٢٦ - ١٩٩٠م



لمدينة هيت العريقة في تاريخها وقيمها نصيبها الكبير من الرعيل الأول لأصحاب سيدنا النبهان، وكأن العراقيين في سباق بينهم للتعلق بتلك الشخصية الربانية التي أدهشتهم فلم يبق ما يشغل أفكارهم إلا ما يدفعهم ويقربهم من حضرته.

حين زار سيدنا ﵁ العراق عام١٩٦٢م خرجت مدينة هيت بعلمائها وصالحيها وشيبها وشبابها لاستقباله وبقي فيها ليلة قال بعدها: «مدينتكم هذه مدينة طيبة وجميلة نمت فيها نومة هادئة».

ومدينة هيت من أقدم المدن العراقية على نهر الفرات مع مدينة تكريت على نهر دجلة كلاهما من المدن الموغلة في قدمها عبر الزمن، وسمات أهلها الكرم والشجاعة والشرف مع محبتهم للأولياء، وعونهم لذوي الفاقة والنازحين واحترامهم وتقديرهم لكل وافد غريب.

---

(١) أعد لي هذه الترجمة الشيخ هشام الألوسي بالتعاون مع ولدي المترجم: الدكتور إبراهيم، وإسماعيل عبد الرزاق الهيتي، بتاريخ ١١ حزيران ٢٠١٨م.

مدينة هيت تتوسطها قلعة قديمة يعلوها مقام لأربعين وليًا يحسبها الناظر طيرًا بجناحين: أحدهما يطل على الفرات ويحتضن الشيخ علي الهيتي أحد شيوخ سيدنا عبد القادر الجيلاني ﵄ وتحيطه بساتين النخيل وأنواع الفاكهة. أما جناحها الثاني: فيطل على سكن واسع يكتنف مقام سيدنا عبد الله بن المبارك ﵁ وأكثر المساجد والمدارس من حوله وفيه الجامع الشرقي الكبير الذي شيده من نترجم عنه. رحمه الله.

اسمه ونسبه:

هو الشيخ عبد الرزاق بن محمود بن حبيب بن ياس بن خضير بن جاسم بن زكري بن جاسم بن محمد بن احمد بن محمد بن فهد بن زايد. من فخذ البو صالح في عشيرة الدواسر الملقبين بالبدارين النازحين من نجد بجزيرة العرب، ويلقب بالهيتي نسبة إلى مكان ولادته، والدوسري نسبة لعشيرته، والمؤذني نسبة للقب مهنة عشيرة الدواسر في هيت.

ولادته ونشأته:

ولد -رحمه الله تعالى- في مدينة هيت في محافظة الأنبار في العراق عام ١٩٢٦م.

وفي كنف أبوين صالحين نشأ وحظي بتربية راقية، فوالده محمود حبيب رجل صالح من أهل الفطرة، محب للعلم والعلماء والأولياء، قارئ متقن للقرآن الكريم، يرتل فيه ويتغنى به الليل والنهار، ويعلمه أبناءه، وأمضى عمره نساجًا للفرش والسجاد، ومن واردها الحلال يطعم الضيف والأهل والأولاد. قال سيدنا النبهان ﵁: «لقمة الحلال هي تدلكم على أهل الله».

وفي هذه البيئة الطيبة ابتدأ الشيخ عبد الرزاق حياته، وأشرقت بدايته في تعلم القرآن الكريم مع بعض الأناشيد والمدائح النبوية، فنشأ -رحمه الله- محبًا للعلم وأهله، مجالسًا لأهل القرآن وخاصتهم.

دراسته:

بعد أن أتقن القرآن الكريم على يد والده دخل المدرسة الابتدائية النظامية في قضاء هيت وبعد الدراسة الابتدائية أو في أثنائها قدم الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي إلى مدينة هيت في مطلع الأربعينات من القرن الماضي، وكان من أوائل من بادر بالدخول في عِداد طلاب المدرسة الدينية الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- وكانت مدة الدراسة فيها ست سنوات ومقرها جامع الفاروق في هيت.

عكف الشيخ عبد الرزاق يدرس عند شيخه الشيخ عبد العزيز السامرائي -رحمه الله- طيلة فترة بقائه في هيت حتى أصبح من خواصه الذين يوليهم الشيخ عبد العزيز عناية ومكانة خاصتين، حتى تأثر بشيخه تأثرًا كبيرًا فأحب العلم كحبه لشيخه، وواصل طلبه العلم حتى تخرج في المدرسة ذاتها بتفوق في عام ١٩٥٠م.

الوظائف التي شغلها:

بعد أن أتم دراسته في مدرسة (هيت) الدينية ومنح شهادة المدارس الدينية التابعة لمديرية الأوقاف العامة عُيّن إمامًا وخطيبًا في جامع القاضي في قضاء (عَنَهْ) عام ١٩٥٠م، وبقي في قضاء (عَنَهْ) يشغل هذه الجهة إمامًا وخطيبًا أكثر من سنتين، ثم نقل واعظًا سيّارًا في قضاء (راوة) عام ١٩٥٣م.

وبعد عام تقريبًا أصبحت جهة الإمامة في جامع هيت الشرقي شاغرة حيث كان ملّا جمعة حنتوش والد الحاج كريم إمامًا فيه فوافاه الأجل -رحمه الله-، عندئذ أشار الشيخ عبد العزيز -رحمه الله- على الحاج عبد الرزاق بأن يعود إلى هيت ويستلم وظيفة الإمامة والخطابة في الجامع الشرقي وما كان منه -رحمه الله- إلا أن امتثل أمر شيخه فعاد إلى مسقط رأسه هيت، وتولى هذه المهمة عام ١٩٥٤م.

في العام نفسه مَنَح الشيخ عبد العزيز الإجازة العالمية للشيخ عبد الرزاق، وكان الشيخ عبد العزيز لا يمنحها إلا لمن يستحقها ممن يعلم منه الرسوخ في العلم

وطلب الزيادة فيه، ومن يقرأ مضامين وبنود هذه الإجازة يجدها صعبة المنال ولا يستطيع الوفاء بها إلا من أخلص لله تعالى في العلم والعمل، وأصلح حاله مع الله تعالى قلبًا وقالبًا، فضلًا عما فيها من بركة اتصال سندها بالنبي ﷺ.

يقول الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله-: «دخلت المجلس العلمي للاختبار في بغداد وقد سألوني فيها أربعة عشر سؤالًا، وقد أجبت عليها كلها بفضل الله تعالى ثم بفضل دراستي على يد الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي».

بقي الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- إمامًا وخطيبًا في جامع هيت الشرقي منذ قدومه من عَنَهْ وكان يومها جامعًا صغيرًا، وسقفه من الخشب والطين كالسقوف القديمة في مدينة هيت، فلم يكن بهيئته الحالية، فاستمر يعمل في هذا الجامع بوظيفته إمامًا وخطيبًا وواعظًا، وقد أصلحه ووسعه، وجعله منارة علم وهداية.

حرص الشيخ -رحمه الله- على العلم، ومن شدة طلبه له دفعه ذلك إلى الرحيل في مواصلة طلبه، وأن يعيده مرارًا وتكرارًا، وسبب آخر وهو حبه الجم للشيخ عبد العزيز -رحمه الله- وحرصه على طول صحبته للإفادة منه، فأصر على أن يقبل ولده إبراهيم في المدرسة الآصفية الدينية في الفلوجة ليدرس عند الشيخ عبد العزيز فقرر أن يشتري بيتًا هناك ويتفرغ مرة أخرى لطلب العلم وأخذ إجازة رسمية من الوظيفة في الجامع الشرقي، وأناب مكانه الشيخ إسماعيل جلوب، وانتقل بجميع أفراد عائلته إلى الفلوجة عام ١٩٦٢م ليبدأ المرحلة الثانية له في طلب العلم.

يقول الحاج عبد الرزاق توفيق: قال لي الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- يومًا: «عندما ذهبت إلى عَنَهْ لم أر نفسي مؤهلًا لإفتاء الناس، فحرصت على العودة إلى أحضان الشيخ عبد العزيز لأكمل الصف الثاني عشر، لأني درست في هيت ست سنوات فقط». وهذا دليل واضح على علوّ همته في طلب العلم وحبه الجم لأهله واستزادته من العلوم والمعارف التي تمكنه من حمل الإجازة العلمية والقيام بحقها على أحسن حال، وتؤهله لمنصب الإفتاء والترجيح.

وفعلًا قدم إلى ما عزم عليه فانتقل إلى مدينة الفلوجة، وانطلق يواصل دراسته على يد الشيخ عبد العزيز، ولم يمنعه كبر سنه أو موقعه الذي شغله بكونه إمامًا وخطيبًا في أكبر جوامع هيت، أو أنه أصبح عنده من الأعمال ما يمنعه عن تحصيل ما يهدف إليه، فواصل دراسته حتى أتم ست سنوات أخرى يطلب فيها العلم عند الشيخ عبد العزيز -رحمه الله- فمُنح شهادة الثاني عشر المعادلة للشهادة الثانوية آنذاك وتخرج من هذه المرحلة متفوقًا، وكان ترتيبه الأول لنيله العلامات الكاملة في جميع المواد التي درسها في ذاك العام.

صلة الشيخ عبد الرزاق محمود الحبيب بالعارف بالله سيدنا محمد النبهان رضي الله عنه:

قال ابنه الأستاذ الدكتور إسماعيل عبد الرزاق محمود الحبيب[1]:

في أول زيارة للعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه للعراق عام ١٩٦٢م بدأ بهيت لوقوعها على الطريق الدولي الرابط بين حدود سوريا والعراق المؤدي إلى بغداد، فتشرفت هيت به أول يوم في ضيافة آل المرحومين سعود وحمود حجي عباس اللذين تربطهما بالسيد النبهان رضي الله عنه صلة ود واتباع قبل مقدمه المبارك، يرافقه جمع طيب من حلب.

وبعد مبيته في مضيف آل عباس كان والدي قد تشرف بضيافته في بيته.

وقد قويت رابطته بالسيد النبهان لعدة أمور:

أولًا: منهج أبي ودراسته عند الشيخ الرباني المرحوم عبد العزيز سالم السامرائي هو منهج شيخه نفسه [العلم والتصوف]، فهو صناعته وتربيته، وأجازه

(١) **الدكتور إسماعيل عبد الرزاق محمود الحبيب الهيتي الدوسري (١٣٧٥/١٩٥٦م)**: تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

بالإجازة العلمية بالمسلكين كليهما، فهذه الميزة وعقليته الصوفية أدت به بعد البحث والسؤال عن الوارث فوجد في سيدنا النبهان ما كان يصبو إليه، والشيخ عبد العزيز لم يَمنع طلبته الذين أتموا دراستهم من السلوك على يد السيد النبهان بل كان مؤيدًا ومشجعًا، لكنه كان يرغب بحكم منهجه أن ينتهي مع الطالب من تلقي دروسه العلمية ثم هو حر في سلوكه التصوف ومن هنا حصل بعض الجفاء بين الشيخ ومن خالفه في هذا المنهج ممن لم ينته من دراسته، وبما أن الوالد أتم دراسته فقد سمح له بالسلوك على يد السيد النبهان، بل كان مؤيدًا ومشجعًا له.

ثانيًا: توجيه الحاج محمد الفياض -المرشد الروحي المبارك المشهور، الذي كان الوالد مجالسًا ومصاحبًا له، وكان الشيخ الفياض قد اكتشف هذه الدرة النبهانية المباركة بعد بحث وعناء طويلين، وصرح بهذه الحقيقة، وقال قولته الشهيرة: [طفت البلاد السورية بلدًا بلدًا وقرية قرية أبحث عن الرجل الكامل العالِم العامل فوجدت كثيرًا منهم لديهم الكرامات الظاهرة، لكن ما رأيت أفضل وأكمل من الشيخ النبهان فليس له كرامة أعلى وأسمى من الاستقامة على العلم والعمل]. فأرشد والدي وغيره من تلامذة الشيخ عبد العزيز إلى التوجه للسلوك على يد الشيخ النبهان وأنه هو الوارث الحقيقي الموصل بهم إلى الله تعالى.

ثالثًا: صلة الوالد بالشيخ عبد الستار ملّا طه[(١)] عالم كبيسة الشهير، إذ كانت تربطه بالوالد –مع رابطة زمالة العلم عند الشيخ عبد العزيز– رابطة روحية صوفية كانا بها وكأنهما أخوان شقيقان، وكان قد تشرف بمعرفة السيد النبهان من خلال معرفة الشيخ عبد الستار الشخص الوحيد الذي كان يعرف السيد النبهان وكان يزوره في كلتاوية حلب الشهباء، ولذلك كان هدف توقف سيدنا بهيت هو تلبية دعوة وجهت إليه من الشيخ عبد الستار بكبيسة التي تبعد عن هيت نحو سبعة عشر كيلو مترًا الذي كان يشوق أهلها بهذا الوارث العظيم، وكان بعد أن

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٢٧).

استضاف الوالد السيد النبهان في اليوم الثاني من زيارته الأولى للعراق خرج متوجهًا من بيتنا إلى كبيسة لتلبية دعوة الشيخ عبد الستار في مدرسته الدينية، فذهبنا معه بصحبة الوالد وعدد من رجالات هيت، فاستقبله وجهاؤها ومشايخ العلم وشيوخ العشائر، فكان في ضيافة أهل كبيسة وعلى مائدتهم التي بسطوها في المدرسة الدينية واحتفوا به احتفاء يليق بمقامه الشريف، وبعدها توجه للاغتسال في عين ماء مشهورة لديهم، وباليوم التالي وبتنسيق مع الحاج محمود مهاوش عاد السيد النبهان إلى هيت في ضيافة المرحوم الشيخ إبراهيم رْحَيّم جِدِي[١]، وبعدها واصل الركب المبارك مسيرته للفلوجة، واصطحب السيد النبهان الشيخين الجليلين الوالد وعبد الستار معه لبغداد ذهابًا وإيابًا. وفي الفلوجة أمّ المدرسة الآصفية الدينية التي يديرها العلامة الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي، وكانت تلك السنة الدراسية أولى سنوات دراستي فيها، كان في ضيافة آل الفياض الحاج محمد، والحاج حمدان، والحاج يحي حمد الفياض.

ومما أذكر لسيدنا لا أدري في زيارته الأولى أو الثانية أنه لبّى دعوتين حضرتها أنا والوالد إحداهما: دعوة آل سليمان ضاري والد المرحوم الدكتور حارث، وثانيهما: دعوة الشيخ برغش فارس، فحلّ يومًا هنا ويومًا هناك، ومما أذكره في ديوان سليمان الضاري أُتِي بالمرحوم الشيخ حامد ملّا حويش[٢] كان مريضًا يتهادى بين رجلين فألقى قصيدة جاء فيها:

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٥).

(٢) **الشيخ العلّامة حامد المُلّا حويش (١٣١٦هـ-١٣٨٢هـ):** خطيب جامع الحضرة القادرية الشيخ حامد ابن الشيخ أحمد ابن الملا محمد حويش، ينتهي نسبه إلى الدوحة الرفاعية، ولد في محافظة دير الزور في سوريا، كان أول شيوخه والده، ثم عمه عبد القادر، ثم مشاهير علماء بغداد كالشيخ محمد رشيد آل الشيخ داود، والشيخ عبد الوهاب النائب والشيخ نجم الدين الواعظ. عين مدرسًا وإمامًا في العديد من مدارس بغداد.

ومن حلبٍ جاء الهدى لقلوبنا فقلنا له: افتح تعاليم ذي اللّبِّ
تقدّم أيا نبهانُ، إنا بحاجة إلى من يدلّ السالكين إلى الربّ

فكانت صحبة الوالد لسيدنا في الزيارتين كلتيهما في حله وترحاله جنّد نفسه لخدمته لم يفارقه أبدًا إلا في النوم حتى في بغداد كان ينزل الوالد في فندق الروضة الذي يرتاده الهيتيون، ثم ينطلق لصحبة السيد أينما يذهب للقيام بخدمته، ومما كان يرويه الوالد عن قصة تركه التدخين بشكل نهائي الذي كان يتركه مرارًا ثم يعود إليه، يقول: كنا في ديوان حميد عريم كان السيد مدعوًا عنده على عشاء في بيته بمنطقة الكسرة، وبجانبي كان يجلس المرحوم عَبْد إحْمَيّد أبو شويش فألقى السيد درسًا وأخذه حديثه للحث على ترك التدخين، وأن أولى من يقلع عنه هم علماء الشريعة، وتحدث بعبارة ولم أشك أنني أنا المقصود بها، إذ قال: «عِمّة وذقن -أي لابس عمامة، ومربي لحية- ومسبحة ويدخّن كيف هذا يصير؟!» يقول: فكنت أنظر في المجلس لا يوجد فيه أحد بهذه المواصفات سواي، فلما سمعت هذه المقولة كان لها وقعها الكبير في نفسي وآخر عهدي بالتدخين وإلى الا بد، ومن تلك اللحظة أخرجت القداحة من جيبي ووهبتها لحجي عبد احميد، قلت له: خذها لئلا يكون في إتلافها تبذير، وحين عدنا وصرنا فوق الجسر رميت بعلبة التبغ بنهر الفرات.

قال عن السيد النبهان قصيدة طويلة نظمها -رحمه الله- ترحيبًا به ﷺ خلال زيارته الأولى للعراق، وألقاها في منزل الشيخ محمد عبد الله الفياض الكبيسي في الفلوجة، جاء فيها:

ومن حلب جاء الهدى لقلوبنا فقلنا له: فافتح تعاليـــم ذي اللبّ
تقدَّم أيا نبهـان إنـا بحاجـةٍ إلى من يدلُّ المرشدين إلى الربّ

توفي في بغداد، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي. وانظر «تاريخ علماء الفلوجة والشخصيات العلمية فيها» (٤٩)، وكتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٢٦).

بعد أن أكمل الوالد دراسته وأجيز بِهيت من شيخه عبد العزيز، ورأى الشيخ قد سافر للفلوجة التحق به هناك لأجلنا نحن أبناءه، فبدأ بتلقي العلم من جديد في حلقة واحدة معنا سوية يجلس للتلقي معنا ثم يأمره الشيخ بالاستماع لي ولبقية الطلبة، وفي هذه الأثناء في السنة الأولى التي بدأت تلقي العلم عام ١٩٦٢م والتي كانت هي السنة الأولى لزيارة سيدنا للعراق وزار الفلوجة حصلنا ببركة زيارته على صحبة مجموعة طيبة مباركة في مدرسة الشيخ عبد العزيز الآصفية، كلنا قوي ولاؤنا بالعلم للشيخ عبد العزيز، وبالسلوك وطريق التصوف لسيدنا النبهان رضي الله عنه، ومن أبرز هذه الصحبة كنا في غرفة واحدة أنا والوالد والمرحوم أيوب محمد الفياض وهو من آخى سيدنا بيني وبينه، والحاج معروف الفياض، والدكتور حامد فرحان، وبجانب غرفتنا: الشيخان: محمد مطلك، وحمد عبيد الفلاحي، والمرحوم الحاج عبد الله الحديد، والغرفة كانت للمذاكرة والمحاسبة، وغيرها ومنها جمعية مصغرة يرأسها الشيخ أيوب وهي تكافلية لجباية وجمع بعض الأموال من المحسنين على بعض طلبة العلم المحتاجين، فكنا نعمل بالطريقتين مذاكرة العلم على نظام المدرسة، والسلوك التطبيقي للتصوف على منهج سيدنا.

فالوالد قد تشرف بالسيد بصحبته في أول زيارته، وأثرت به تأثيرًا جذريًا من الناحية الروحية ومنهج تصوفه، وكان مثله الأعلى قبل مقدم السيد النبهان في العلم والتصوف الشيخ عبد العزيز كان متمسكًا بما يفتي به ويمتثله بكل حركاته.

وكان قد بدأ الوالد ومن معه ببعض الآداب والأوراد مثل: (الله شاهدي، الله ناظري، الله معي) التي تنسب لسيدنا سهل بن عبد الله التستري، وأذكر أنه خطها بلوح وعلقها على جدار بيتنا وبدأ يلقننا إياها ويوصينا بترديدها دائمًا إحدى عشرة مرة بعد كل فريضة.

ومما عمل به الوالد هو التطبيق للمؤاخاة تطبيقًا عمليًّا بحذافيره، فإنه لما وصل السيد النبهان ﷺ إلى هيت آخى بين والدي والشيخ إبراهيم رْحَيِّم، ومنهج المؤاخاة هو مما يعتاده السيد مع تلامذته، ومن وظيفة المؤاخاة كان الشيخ إبراهيم رْحَيِّم يأتي كل يوم في ساعة معينة، والوالد يزور الشيخ إبراهيم في بيته بأوقات دورية منظمة يجلسان جلسات إيمانية ومنها المحاسبة، يحاسب فيه كلٌّ أخاه فيما فاته من فضائل وسنن، وما عسى أن يكون ارتكب من آثام ومكروهات، هذا الأمر كان له الأثر الطيب في سيرة واستقامة الشيخين الجليلين.

ولما انتقل الوالد للفلوجة آخى سيدنا بين الوالد والشيخ جمال شاكر النزال، ليستمر هذا العمل مؤثرًا في أتباع سيدنا واستقامتهم على طريقته، وأنا أيضًا آخى سيدنا النبهان بيني وبين الشيخ أيوب محمد الفياض لنكون جميعًا على المحجة البيضاء التي أرادها لنا سيدنا أن نسير عليها.

فأصبحت الإطلالة النبهانية وتشريف سيدنا لهيت نقطة تحول جذري في حياته الشخصية عمومًا ونذر نفسه خادمًا له، لكن السيد عرف إخلاصه فقبله في صحبته المباركة أينما يذهب، ورغبنا نحن أولاده على الفور بالسير على خطاه ويصطحبنا معه عندما كان في العراق.

الوالد أخذ كذلك بيدنا للكلتاوية (والكلام لولده) لننال التوفيق والبركات التي يمنحها الله لنا في حياتنا، ويرى أنها أمانة أداها كما يجب أن تؤدى، وأنا سمعت والدي في آخر أيامه يحمد الله -تعالى- أن وجهنا الوجهة التي ينبغي أن يوجهنا إليها علمًا وسلوكًا، وأنه قد قرت عيناه وتحقق حلمه الذي يحلم به أن وجهنا نحن أبناءه الأربعة الوجهة العلمية الشرعية والسلوكية، ويدعو لنا بالاستقامة على ذلك.

ومما يذكر من بعض التغيرات أيضًا التي طرأت على منهج الوالد بعد قدوم السيد هو الزهد في الدنيا، الزهد بمعناه الحقيقي الذي يجعل دنياه مطية للآخرة، وكان يتصف بالكرم، لكنه بقدومه أصبح سخاؤه يرى في وجهه الباسم، وترك عمل

السوق والصناعة وتوجه للزراعة لأن سيده النبهان هكذا يفعل، وكان يقول لنا مشجعًا على العمل أن نحصل على الكسب الحلال وننفق على عيال الله كما يفعل سيدنا، كان الوالد يأمل أن يصل للمستوى الذي بإمكانه أن يغدق على أهل الحاجة والمساكين، فذلك هو الزهد أن يكون مال المرء بيده لا بقلبه.

ومنها: أنه سمى أختا لنا باسم «رشيدة» تبركًا واقتداء بسيدنا لديه بنت بهذا الاسم، حتى من ناحية توجه الوالد المذهبي كان مذهبه حنفيًّا، فغير الوالد مذهبه شافعيًّا لما علم أن السيد مذهبه شافعي.

ومظهر الوالد أيضًا غيّره، فبعد أن كان يلبس الطربوش الأحمر واللفة البيضاء المحيطة به، أو العقال والغترة، بدأ يلبس العمامة البيضاء النبهانية، وعذبتين، وكذلك العباءة كان يلبسها سابقًا فاستبدلها بالجبة، لا بل حتى الثوب الذي يلبسه يتميز بكسرات على شكل خطوط على الصدر وجيوب صغار لا تتجاوز مساحتها الخمسة سنتمتر مربع، أي لم يترك شيئا من الناحية الشكلية إلا وفعل مثل ما فعل..

ومما أذكر في زيارة سيدنا الثانية للعراق عام ١٩٦٨م[١] أن الوالد طلب منه أن يعمل استخارة لزواجي فكتبنا له بعض الأسماء وأرشدنا إلى المرحومة أم أمجد وقال: هذه حسنة.

وسار الوالد على منهج الشيخ النبهان بعد أن عرفه لا يحيد عن أحكام الشريعة ولا يخرج عن مبادئها، ومنها الالتزام بتطبيق السنن من صلاة وصيام وأذكار، وقلة كلام، وأهم ما استرعى انتباهه منعه ترك العمل، بل كان مثالًا للحركة الدائمة فتراه يعمل بالزراعة والتجارة وأي عمل مشروع، وينهى عن الكسل والتواكل، ولو أراد أن يطلب من أرباب الأموال لأغنوه عن العمل والكسب ولأصبح غنيًّا، لكنه لم

---

(١) كانت زيارة السيد النبهان للعراق يوم الأحد ٨ شوال ١٣٨٨هالموافق ٢٨ كانون الأول ١٩٦٨م وانتهت يوم الاثنين ٧ ذي القعدة ١٣٨٨هالموافق ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٩م.

يمد يده لأحد بل يعمل بنفسه، وأراد إعطاء درس عملي للسالك بالاعتماد على كسبه وخبرته وأن لا يتقاعس في أي عمل يراه مشروعًا مع اعتقاده أن جالب الرزق هو الله، وما الإنسان إلا مباشر أمره تعالى بالعمل، وبهذا كانت له ثروة مباركة درت عليه أرباحًا كان للفقراء وطلبة العلم النصيب الأوفى منها، فتلك هي ترجمة التوكل الحقيقية، وكان ذلك درسًا مهمًّا ومنهجًا اقتدى به الوالد الذي لم يترك بعد أن عرف هذا المنهج يومًا بلا عمل، حتى وسع الله عليه رزقه في مزارعه التي يملكها في قرية الخوضة كان يشرف على إدارة أعمال الفلاحين والعاملين بنفسه، وحاول بعد إسناد مهام الخطبة لي أن لا ينقطع عن المنهج الذي اختطه سيدنا النبهان، فبقي إمام الجامع الشرقي، واستمر بالعمل في إدارة مزارعه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى. ويذكر أخي أيضًا عن سيدنا أنه كان يثني على والدي وعلى أتباعه ويشجعهم دائمًا على حب الله ورسوله والصالحين، وكان أيضا سيدنا يمدح الشيخ حمد يحي الفياض، ما رأيته أثنى على أحد مثلما أثنى عليه.

كان يوجهنا دائمًا لمحبة سيدنا النبهان رضي الله عنه ويقول: إنه تكاملت فيه أوصاف الكمال التي لخصها الإمام النووي رحمه الله في مقاصده بقوله: «ومن المطلوب اعتقاد مَنْ علم وعمل، ولازم الأدب، وصحب الصالحين»[1].

ومنذ صغري وعند قدوم السيد المبارك لهيت عام ١٩٦٩م أحفظ بيتي شعر خطا على لافتة وعلقت على أكثر من مكان قيل لي فيما بعد هما للشيخ إبراهيم رْحَيِّم استقبل بها أهالي هيت سيدنا معبرين بهما عن اعتزازهم وتشرفهم وترحيبهم بمقدمه الشريف، والبيتان هما:

هلّت بدورٌ من الشهباء مشرقة ... لمّا بدا السيد النبهان من حلبِ
فغرّد القلب في أكناف بهجته ... أهلًا وسهلًا بشيخ العُجم والعرب

---

(١) «المقاصد» لأبي زكريا يحي بن أبي يحي النووي (١٩).

وأيضًا كان والدي لما استعذب صوتي من حين صغري ويحفظني وإخوتي بعض المدائح ويسجلها لنا في المسجل ويستمتع بسماعها، ومنها:

يــــا ســـــيدي النبهـــــاني طريقـــــــــك الربـــــــــاني
معلـــــــــم الحقيقـــــــــة مهـــــــــذب الإخـــــــوان

وحين كنت أنشد له وللحاج أيوب قصيدة «خبّرينا» المشهورة في هيت وهي:

خبرينـــــا يـــــا منازلَنـــــــا هـــل يعـــود الدهـــر يجمعنـــا
خبّرتــــــني وهي قائلـــــــــةٌ عــــن قريــــب الله يجمعنـــا

وأعجبتهما القافية، نظما لي بيتين ساعد أحدهما الآخر في النظم وأمراني بإنشادهما وهما:

خبرينـــــا يـــــا ذوي الإرب عــــن حبيــــب حــــلّ في قــــرَبي
جئــت مــــن أهــــلي إلى حلــــب كي أزورك يـــــا حبيـــــب لنـــــا

ومن القصائد التي كانت ينشدها أهل هيت في حق سيدنا أبي حنيفة -رحمه الله- (نعمان يا نعمانينا) أظنهما هما وآخرون قاموا بمحاكاتها أو معارضتها إلى (نبهان يا نبهانينا) ويحب سماعها، ومنها:

نبهـــــان يـــــا نبهانينـــــا يـــــا محـــــيي ســـــنة نبينـــــا

وكان يعجبه أن يسمع مني دائمًا:

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادًا بلوغ كمال
واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فُنُوا به لم يشهدوا شيئًا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكًا في الماضي والحال والاستقبال

رحم الله الوالد لقد ربانا نحن أسرته جميعًا تربية إسلامية محمدية نبهانية، ونقر جميعًا بشمولنا بركات سيدنا وأنواره، فبعد فضل الله -تعالى- علينا يعود فضل مدده وإشراقاته الربانية لأسرتنا من طريق بركة سلوك والدي ومن معه من أسرته الحبيبية على يديه الكريمتين، ويشهد الله أنا نحبه وأن كل ما وفقنا إليه من خير فذلك بحبنا له، ونرتجي الخير دائما وأبدًا بحبه وعلى حبه، وأن يديم بركاته وأنواره علينا في الدنيا والآخرة، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا[١].

من خصاله وصفاته:

إن صفات الشيخ وأخلاقه عاطرة بسجايا عظيمة، فكان متواضعًا عفيفًا حييًّا حليمًا سمحًا بشوشًا هينًا لينًا دؤوبًا في عمله مجدًّا فيه، شديدًا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم وكان غضبه تعجبًا، حليمًا، رحب الصدر، سليم القلب، طيبًا كريمًا، ذا مروءة، شهمًا ماجدًا، حسن الرفقة.

يقول الشيخ عبد الغفور-رحمه الله- عندما نعاه: «وأما كرمك في بيتك فلم أر مثله، حيث إنني كنت في جنوب العراق مع شيوخهم، وفي بغداد وأطرافها كذلك فو الله لم أر نفسًا كريمة كنفسك الطيبة الطاهرة ولا كرمًا ككرمك وتُشعر الضيف وكأنه واحد من العائلة فينطبق عليك قول الإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنه نزيل هيت ودفينها:

يا ضيفنا لو جئتَنا لوجدتنا   نحن الضيوفَ وأنت رب المنزل».

(١) انتهى كلام الأستاذ الدكتور إسماعيل عبد الرزاق حبيب الهيتي.

ويقول الشيخ الدكتور هاشم جميل: «أحبه لخصلتين: إحداهما كرمه فما لقيت أكرم منه، والأخرى جمال صوته في قراءة القران في الصلاة فما يمل سامعه من تلاوته الحنونة الخاشعة».

يكسب رزقه بيده وعرق جبينه، فلم يمنعه كبر سنه وموقعه الاجتماعي أن يأخذ حد كفايته المشروع من متاع الحياة ليصون به نفسه وأهله عن الحرام.

كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- يحذر من الانتماء للأحزاب مهما كان هدفها، قال ولده الدكتور إبراهيم: لم يكن والدي -رحمه الله- يميل إلى السياسة أيًّا كانت ولا إلى أي حزب من الأحزاب؛ لاعتقاده أن الأحزاب لا تتناسب مع دور العالم في البلد بل عليه أن يجمع الجميع دون الالتفات إلى أحزاب أو توجهات.

كان يوصي تلاميذه بالاهتمام بالدروس اليومية وتكرارها فيقول: «الدرس حرف والتكرار ألف»، وكان إذا علم من طالب ضعفًا في حفظه قص عليه قصة ابن حجر -رحمه الله- فيقول له: يا ولدي إن الحافظ ابن حجر كان ضعيف الحفظ فمر ذات يوم على رجل يحز صخرة بحبل حتى ترك أثرًا كبيرًا فيها فأنشد يقول:

ألم تر أن الحبل بتكراره ... في الصخرة الصماء قد أثّرا

فتعلم ابن حجر -رحمه الله- أن تكرار الدرس يؤثر في رسوخه في الذهن فأخذ ابن حجر هذا المسلك في التعلم حتى أصبح من أعظم الحفاظ والمحققين.

أما هيئته فكان -رحمه الله- قصير القامة، مربوعًا، يرتدي عمامته البهية التي يغطيها خمار أبيض يعرف بـ (الغترة) ويرتدي الجبة بعد أن كان يلبس العباءة، ولا تراه إلا وهو بزيه الشرعي المعهود الذي عهده الناس به.

كان قبل أن يدخل طلب العلم وفي بداية طلبه يعمل في استخراج معدن القار ونقله وتجهيزه، وكان يراجع واجباته مستظهرًا لها وهو على ظهر دابته في ذهابه وإيابه إلى المقلع.

ومما ينقل عنه أيضًا أنه كان عنده محل تجاري (دكان) في ساحة باب الشرقي وموقعها مقابل مسجد (ست نفيسة) في قلعة هيت (لولاية) قرب دار أهله فكان هو وبعض إخوته يبيعون فيها القماش والغذائية والعطارية ونحوها إضافة إلى عمله نساجا مع والده أحيانا.

ولما استقر في هيت بعد طلب العلم بدأ بمراجعة أرضه الزراعية التي ورثها عن آبائه فكان يأخذنا -نحن أولاده وأحفاده- معه إليها لنعمل فيها ويوصينا بأن نتمسك بها ويقول: إنكم ستنتفعون بهذه الأرض وإن العمل عبادة فبقي يعاود مراجعته إليها مع عمله إمام الجامع الشرقي حتى توفي -رحمه الله- يجمع بين العبادة والعمل.

وفاته:

توفي -رحمه الله- صبيحة يوم الأربعاء ٢٢ صفر ١٤١١هـ، الموافق ١٢ أيلول ١٩٩٠م في داره في هيت، فنعته المآذن يومها وترحم عليه أهل هيت الذين امتلأ بهم المسجد يومئذ لأداء الصلاة عليه، ووقف الشيخ الدكتور عبد الملك السعدي أمام مشيعيه ألقى فيهم كلمة نعى فيها الشيخ وبين فيها مآثره ومكانته وبعض سجاياه ثم صلى عليه هو والحاضرون ثم شُيع بعد ذلك ودُفن في مقبرة الشيخ أحمد في حي الجمعية بعد أن قضى أربعة وستين عامًا حافلة بالعلم والعمل والدعوة.

ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:



خطبة للشيخ عبد الرزاق في عيد الفطر السعيد.

(٢٧) الشيخ عبد الستار الملّا طه

١٣٥٠ - ١٣٨٥هـ/ ١٩٣١ - ١٩٦٥م



الشيخ الإمام، والخطيب المقدام، والمفتي المصلح، عبد الستار ابن الملاّ طه بن ياسين بن عبد العزيز بن عبد الرزاق بن عبد الحافظ، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما.

والدته عمشة بنت حسون من عشيرة البو حيدر.

ولادته ونشأته:

ولد -رحمه الله-عام ١٩٣٠م في مدينة كبيسة، ونشأ في أسرة عرفت بالصلاح، فوالده إمام ومعلم للقرآن الكريم في الجامع الغربي فيها.

طلبه العلم:

وما أن أكمل دراسته الابتدائية حتى أنهى تلاوة القرآن الكريم وتجويده على يده، ثمّ ارتحل إلى الفلوجة لينهل كأس حظّه من العلوم الشرعية، فتتلمذ على يد الشيخ محمد أمين القاضي الخطيب الكبيسي، ثم على الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي -رحمه الله- عندما كان مدرّسًا في هيت، وقرأ عليه مختلف العلوم.



الشيخ عبد الستار، وثيقة المدرسة الآصفية

يقول الشيخ هشام الألوسي: حدّثنا الشيخ يحي حمد عبد الله الفياض الكبيسي أحد أقرانه في المدرسة قال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ أحد في الطلبة بعلو الهمة والحزم والمثابرة، ولا صاحب له إلاّ الكتاب، يحفظ المتن والشرح، وأذكر أنه حفظ «مغني اللبيب» في النحو إضافةً إلى كتب أخرى حتى أصبح يتوقف مع الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي في مسألة فيظهر الحق إلى جانبه، هذا مع شدّة أدبه ومحبته لشيخه، كما يظهر ذلك في قوله: لو احتاج شيخي عبد العزيز لأن يبيعني في السوق لكنت مستعدًا لذلك.

وحدث أن زار الشيخ قاسم القيسي[١] مفتي العراق مدرسة الفلوجة، فاجتمع حوله تلاميذها، فأراد أن يمتحن ذكاءهم وقابليّاتِهم، فبادر الشيخ عبد الستار بسؤال: ما سبب السكون في (ضربْتُ)؟ فأجابه على الفور: كراهة توالي أربع حركات في كلمة واحدة، قال المفتي: وما فرقها عن كلمة (بَقَرَةٌ) وقد توالت فيها الحركات الأربع؟ فأجاب: إن التاء في (بَقَرَةٌ) زائدة، على نية الانفصال، وهي تاء الوحدة الفارقة لها عن اسم الجنس بَقَرٌ، فأعجب المفتي رحمه الله بملَكته العلمية وسرعة بديهته.

سلوكه عند العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

وفي الحادي والعشرين من عمره عام ١٩٥٠م حجّ -رحمه الله-، وعاد عن طريق الأردن، فزار مدينة القدس، ثمّ عرّج إلى حلب ليتشرّف بالتعرّف على السيّد النّبهان رضي الله عنه ويكون في أوائل الوافدين عليه رضي الله عنه، حتى إذا وصل «حلب الشهباء»

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٥٠).

وجد بنفسه حاجة إلى سدِّ الرمق، فدخل مطعمًا فلم يأكل فيه لكونه وسخًا، ودخل آخر فوجده بإدارة امرأة، فعزفت نفسه عن الطعام، وطفق يسأل عن دار سيدنا ﷺ حتى إذا قيل له: في هذا البيت يقطن السيّد النّبهان ﷺ، طرق الباب، وكان سيدنا ﷺ آنذاك في بيته بحضور الحاج جاسم محمّد عبد الله الفياض الكبيسي.

يقول الحاج جاسم: كنت في جلسة خاصة مع سيدنا ﷺ في داره وكنت أتكلم عن صفات وأعمال الشيخ عبدالستار -رحمه الله تعالى-، وفي تلك الأثناء طُرق باب الدار، فما أن طرق الباب حتى قال سيدنا ﷺ: «قم يا حاج جاسم افتح الباب للشخص الّذي كنت تحدّثني عنه». فرحّب به ﷺ ثم بادره بالطعام، فقال الشيخ عبد الستار: شكرًا سيدي، أنا مكتفي. (قالها حياءً لأن الوقت متأخر ولم يرد تكليف أحد) فقال له ﷺ: أنت جوعان لم تأكل، أين أكلت؟! فأما المطعم الأول الّذي دخلته فهو وسخ، وأما الثاني فتديره امرأة.

تلك بداية صلته بالسيّد النّبهان ﷺ.

يقول شيخنا الأستاذ الدكتور محمود فجّال، رحمه الله: «الشيخ عبد الستار ملّا طه كان رفيقًا لي ولمحمد لطفي -رحمهما الله- في قراءة التجويد (الدرر الحسان) مع شيخ قراء حلب الشيخ محمد نجيب خياطة -رحمه الله- في أحد أروقة المدرسة الخسروية وأبدى إعجابه بغزارة علم الشيخ في هذا الجانب».

وبعد أن أمضى اثني عشر عامًا في الآصفية الشرعية منحه الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي -رحمه الله- الإجازة بعلوم العقل والنقل عام ١٩٥٧م.

وأعقب ذلك تعيينه إمامًا وخطيبًا في مدينته «كبيسة» ليحمل مشعل النور والهدى لأبنائها، ثمّ تتابعت زياراته إلى حلب الشهباء ثماني مرات.

يقول الشيخ هشام: حدثنا الحاج أحمد أفندي عبيد الكبيسي في الفلوجة بالعراق قال: حدثنا الشيخ عبد الستار الملاّ طه -رحمه الله تعالى-: أنه سافر إلى حلب ثماني مرات، وفي إحداها وصل بعد المغرب فوجد الطعام مهيًا بأمر من

سيدنا ﷺ قبل قدومه، وبعد أن أكل المقسوم واستمع إلى مذاكرة وأدّى معه صلاة العشاء أخذ ﷺ بيد الشيخ عبد الستار وانفرد به في باحة المسجد، وقال ﷺ: «ضع يمينك على كتفي، وأغمض عينيك ولا تفتحهما حتى آذن لك قل: بسم الله، وما هي إلاّ لحظات حتى قال: افتح عينيك، أتعرف هذه البلاد؟ قال: نعم، إنها القدس وهذا هو المسجد الأقصى، فدخلنا المسجد سويةً، ورحّب بنا شخص مهيب الطلعة ومعه شيخ آخر أقل منه على ما يظهر، فبدأهما بسؤال: أين أبو الباكستان؟ أين أبو بغداد؟ -عنى بهما مسؤولي البلدين في دولة أهل الله-

فأجابه: لقد اعتذرا عن الحضور بسبب ضيوف عندهما، وبعد أن أكمل حديثه قال: تعال يا شيخ عبد الستار ضع يمينك على كتفي، أغمض عينيك ولا تفتحهما حتى آذن لك، قل: بسم الله.. وما هي إلاّ لحظات حتى قال ﷺ: افتح عينيك فإذا بنا في المكان الذي عرجنا منه في الكلتاوية».

ولدى زيارة سيدنا ﷺ العراق أول مرة دعاه الشيخ عبد الستار إلى كبيسة، وخرج بأهلها رجالًا ونساءً شبانًا وأطفالًا يستقبلونه على مسافة خمسة أميال مهللين مكبّرين مرحّبين بقدومه، وارتجل الشيخ عبد الستار كلمة قال فيها: [إن كان الناس في بغداد قد استقبلوك بسياراتهم، فنحن الفقراء خرجنا نستقبلك بقلوبنا]. مما كان له الأثر الكبير في سرور السيّد النّبهان ﷺ.

في ميدان الدعوة:

ونعود إلى الشيخ عبد الستار في كبيسة لنرى ماذا عمل فيها بعد أن أصبح الإمام والخطيب والمفتي، هل اكتفى بالإمامة والخطبة ودروس الوعظ وبفتح دورة لأصول التجويد والتلاوة؟

لقد انطلق -رحمه الله تعالى- انطلاقة الصواريخ من قواعدها في شتى الميادين والأصعدة، فشيّد جامعها الكبير، وابتنى المدرسة الدينية، وأصلح الغدران التي اعتادت القبائل المترحلة أن تغشاها بالماشية، واقتاد حملة لتعبيد الطريق بين

كبيسة وهيت، وعاونه أهل مدينته الأغنياء منهم والفقراء، وشدّوا على سواعده في كل الاتجاهات حتى أصبح الشيخ عبد الستار كبيسة، وكبيسة عبد الستار يتواضع ويخدم ويتفقّد الفقراء متخفّيًا، ولم يشتغل بالزراعة والتجارة على عادة أهل مدينته، وبقي بالكفاف، ولم يتزوّج.

ذَكَره السيد النبهان ﵁ في درس فقال: «هناك واحد مات -الله يرحمه- من العراق كانت أمه تريد أن تزوجه وأنا لا أريده أن يتزوج، طالب علم جيد مليح، بعدها قلت له: أعمل لك استخارة، والنتيجة ما ظهرت استخارة جيدة. لما رحنا زرناه وكان ميتًا وأمه بينا لها. أبوه كان عالمًا، وهو ظهر محل أبيه وأنشط من أبيه أيضًا وأمه تحب أن تزوجه من أجل أن يشتغل».

والشيخ عبد الستار رجل المواقف تعلوه هيبة وجلال.

عاش -رحمه الله- قويًا في دين الله تعالى، ذائدًا عن الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم.

من صفاته:

ومن شجاعته -رحمه الله- ما ذكره الحاج عياش مطلك الكبيسي -رحمه الله- الذي كان من خواص أصحابه قال: كان الشيخ عبد الستار يتهجم بخطبه في جامع كبيسة على الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس العراق آنذاك بسبب إيوائه للشيوعيين وانتشار المفسدين فأرسل إليه الزعيم من يأتي به إلى بغداد فلما مثل بين يديه قال له مغضبًا: أنت تتهجم عليّ في خطبك، وتصفني بكذا وكذا؟! فقال الشيخ: نعم تهجمت عليك بخطبي ولا أزال أتهجم عليك، فسكن الزعيم وقذف الله في قلبه الرعب، وقال للشيخ: اصبر عليّ أيامًا وسترى ما يسرك. ثم قال له: يا شيخ اطلب ما تريد. قال: لا أريد شيئًا. قال: لا بد. قال الشيخ: إذا كان ولا بد فأن توصل الكهرباء لمدينة كبيسة.

وبعد أيام أوصل الكهرباء للمدينة، وقضى على الشيوعيين بصدقه وموقفه على الحق، رحمه الله.

والشيخ عبد الستار الملّا طه قدوة حسنة ومَثَل يقتدى به في العلم والعمل والسلوك ومحبة سيدنا ﵁ وفي جميع أحواله لا ينسب لنفسه شيئًا ولا يشهد لها حظًا.

حجه مع السيد النبهان ﵁:

وفي عام ١٩٦٥م حظي الشيخ عبد الستار بمرافقة سيدنا ﵁ في حجته الثانية، وعند إكمال الحج وَدّعَهُ سَيّدُنا بقوله: «معك رسولُ الله» وبعد عودته بأيام انتقل إلى جوار ربّه شهيدًا وكأنّ سيدَنا أشارَ الى ذلك الانتقالِ بقوله: معك رسول الله.

وسأله ﵁ قائلًا: «يا شيخ عبد الستار، ما تقول إذا سلّط الله عليك طلاّبك وتلاميذك؟ والشيخ يحب تلاميذه كثيرًا فأطرق رأسه ولم يجب، فأوصاه ﵁ بالصبر وأن يشهد أن المبتلي هو الله تعالى».

وبعد أن رجع من الحج مباشرةً كان الأمر كما أخبره سيدنا النّبهان، فابتلي بجمع من تلاميذه نابذوه الجفاء والعداء، وتسلّط عليه أصحابه الأقرب فالأقرب.

وفاته:

ولم تمضِ إلاّ أشهر حتى وافاه الأجل، بحادث انفجار سخّان حمام المدرسة، وانتقل إلى الرفيق الأعلى، يوم الخميس ١٠ رجب ١٣٨٥هـالموافق ٤ تشرين الثاني ١٩٦٥م، ودفن في غرفته بجامعه في كبيسة.

وعند زيارة سيدنا ﵁ الثانية إلى العراق قصد ﵁ مدينة كبيسة، وزار الشيخ عبد الستار في مرقده وكلّمه، فطلب من سيدنا أن يُطمئن والدته التي لا زالت تنحب عليه منذ أربع سنوات، فما أن فرغ ﵁ من الزيارة قال لمن حوله: خذوني إلى والدته، وذهب ﵁ بجمع من أصحابه إلى دارها وأخبرها الخبر ومما قاله لها:

بعلامة الرؤيا التي رأيتيها أول أمس كذا وكذا، وأنه يقول لك إنه في جنّة عدن. وهي تقول له: والله صدقت يا شيخي، صدقت والله يا شيخي، وقال لها: الشيخ عبد الستار يسلم عليك وهو مع رسول الله ﷺ فلا تبكي عليه، ففرحت وانقطع بعد ذلك بكاؤها عليه.

كان سيدنا رضي الله عنه يثني على الشيخ عبد الستار ويقول عنه: «نال المحبة». وهي مرتبة عظيمة، ويكثر من قراءة الفاتحة على روحه، ويذكره في المجالس والمذاكرات.

يقول الشيخ هشام: حدّثنا الشيخ يحيى حمد الفياض الكبيسي قال: رأيت الشيخ عبد الستار الملاّ طه في رؤيا بعد وفاته فقلت له: أنت الشيخ عبد الستار في الدار الآخرة دار الحق؟

فقال: نعم، أنا عبد الستار في الدار الآخرة دار الحق.

ثمّ كرّرت السؤال، وكرّر الإجابة نفسها.

قلت: ما فعل الله بك؟ قال، رحمه الله: زادونا معارف إلهية، ورفعونا مكانًا عليًّا، رحمه الله، آنسه الله.

مصادر الترجمة:

- دروس العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه المسجلة.
- ترجمة كتبها الشيخ هشام الألوسي، ونشرت في كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٢٨٨) وهي مأخوذة من الحاج يحيى حمد الفياض، والشيخ عبد العزيز محمد خضر العاني، والحاج أحمد أفندي عبيد، و الحاج عياش مطلك.
- «تاريخ علماء الفلوجة والشخصيات العلمية فيها». لعبود فياض المشهداني.

- الدكتور محمود فجال، والشيخ حامد صخي، والأستاذ عبد الحكيم إبراهيم الفياض، والشيخ عبد الله حسين حمدان الكبيسي، مراسلةً كتابيةً.

ملف مسموع:

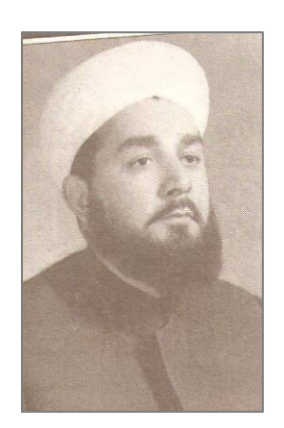
لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

تسجيل للسيد النبهان يتحدث فيه عن الشيخ عبد الستار ملا طه.



(٢٨) الشيخ عبد العزيز البدري

١٣٤٨ – ١٣٨٨هـ/ ١٩٣٠ – ١٩٦٩م



الشيخ العلامة، والداعية الإسلامي المجاهد عبد العزيز بن عبد اللطيف بن أحمد بن عبد المولى بن مصطفى بن طاهر بن عثمان بن محمّد بن دولة بن محمّد بن بدري بن حسين بن علي بن سعيد بن بدري بن بدر الدين بن خليل بن عبد الله بن إبراهيم الأواه بن يحيي بن شريف بن بشير بن ماجد بن عطية بن يعلى بن دويد بن ماجد بن عبد الرحمن بن قاسم بن إدريس بن جعفر الزكي بن علي الهادي بن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين عليهم السلام.

أبناؤه: أحمد، محمود، سعد، عمر.

أشقّاؤه: محمّد توفيق، محمّد شفيق، محمّد وفيق، إحسان، وليد.

ولادته:

يقول الشيخ هشام الألوسي:

«حدثنا شقيقه الحاج محمّد وفيق البدري قال: ولد -رحمه الله- عام ١٩٣٠م في محلة «سوق المعتصم» بمدينة سامراء في العراق، ووالده صاحب بساتين في قرى

«خرنابات» بمحافظة ديالى، وله علوة لبيع الخضر والفواكه، في شورجة بغداد تعرف بـ «علوة سويدان» ولمدة طويلة هو مختار منطقة بني سعيد.

دراسته:

أكمل دراسته الابتدائية في سامراء، وارتحل مع والده إلى بغداد، فأرسله إلى المدرسة الشرعية المرجانية لدى الشيخ فؤاد أحمد شاكر الألوسي، وكان يلقبه بالحلو، ودرس على الشيخ قاسم القيسي، والشيخ أمجد الزهاوي كما أخذ العلم الشريف من الشيخ محمّد القزلجي، والشيخ عبد العزيز الشواف، والشيخ شاكر البدري، والشيخ كمال الدين الطائي.

وبعد أن أتمّ اثني عشر عامًا في طلب العلم وحان وقت منحه الإجازة تردّد الشيخ الألوسي في منحها له، فدخل رجل من أهل الله مجذوب يتردد على الشيخ فؤاد -رحمه الله-، والشيخ البدري عنده في حلقة درسه فأشار إلى الشيخ عبد العزيز وقال: هذا يُعطى الإجازة، ومضى يومان، والشيخ البدري يبكي ويتضرع في خلوته، فأرسل إليه الشيخ فؤاد يقول له: كُتِبَتْ ثمّ وُقِّعَتْ، عنى بذلك سيدنا رسول الله ﷺ الّذي كتبها ووقّعها في رؤيا رآها -رحمه الله تعالى-.

ومنذ أن حصل على الإجازة ظل يتنقّل في وظائف الإمامة والخطابة داخل بغداد من جامع إلى آخر، وله من خلالها مواقف جهادية تتطلب لوحدها كتابًا.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ النبهان رضي الله عنه:

بدأت علاقته بسيدنا النّبهان رضي الله عنه إبّان زيارته الأولى للعراق عام ١٩٦٢م، فأحبه كثيرًا وتعلق بجنابه، وسافر إليه أول مرة بصحبة الشيخ الأمير ناظم العاصي،[١] رحمه الله تعالى.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٧٥).


الشيخ عبد العزيز البدري

وأضاف أخوه الحاج محمّد وفيق قال: يوم كان أخي عبد ال عزيز إمامًا وخطيبًا في جامع عادلة خاتون ببغداد دخل علينا الشيخ ناظم العاصي -رحمه الله تعالى- يحمل عمامتين نبهانيتين فقال: هذه لك يا عبد العزيز، وهذه لك يا محمّد وفيق، لفّهما سيدنا النّبهان ﷺ على رأسه وأرسلهما لكما!

وكانت عمامة أخي عبد العزيز من قبل طربوشًا أحمر ولفّة بيضاء فوقه.

قال سيدنا النّبهان ﷺ: الشيخ عبد العزيز البدري أول مجيئه إلى هنا حضر المشايخ ليسلموا عليه، قال لهم: لا.. أنا جئت عند الشيخ النّبهاني، ولا أجتمع مع أحد.

أما سفرته الثانية فكانت بدعوة من سيدنا ﷺ وحظي فيها بلقاءات طويلة خاصة لوحده، وتشرف بالاستماع إلى مذاكراته وتوجيهاته، فازداد تعلُّقًا بجنابه.

وهذه كلمات مسجلة يخاطب سيدنا فيها تُظهر مدى شغفه به ومحبته لحضرته.. قال الشيخ عبد العزيز البدري: «أليس من فضل الله علينا يا سيدي أن نأتي من العراق ونجلس عند قدميك

أجاب ﷺ: هذه عناية إلهية جاءت بك لتأخذ الزبدة بمدّة قليلة، يا شيخ عبد العزيز هذه عناية.

قال الشيخ عبد العزيز البدري، رحمه الله: سيدي! يغضبني في بعض الحالات واحد، فأراك أمامي فأسكت، والّذي رأيناه فيكم سيدي كلّه جميل، وأجمل ما فيه: تقول وتعمل، علّمت الناس بأن الرسول ﷺ يقول: استدن عليّ.. سيدي: الّذي رأيناه منكم ما سمعناه من أحد ولا قرأناه في الكتب».

وأما سفرته الثالثة فبصحبة ولده أحمد وأخيه محمّد وفيق عام ١٩٦٧م.

حدّثنا أخوه الحاج محمّد وفيق قال: وصلنا إلى الكلتاوية يوم خميس، وفي اليوم التالي همّ خطيب المسجد الشيخ منير حداد -رحمه الله تعالى- لارتقاء المنبر فاستوقفه سيدنا النّبهان ﷺ وأشار إلى أخي عبد العزيز فجأةً ليخطب الجمعة، فامتثل. وجلس ﷺ مقابلًا له، بدلًا من جلسته المعتادة عند المحراب، وارتجل أخي خطبة موضوعها: ﴿يا أيها الّذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (التوبة ١١٩). يحثّ الناس، ويحضّهم على صحبة السيّد النّبهان والصدق معه.

حتى إذا أنهى الجمعة سئل ﷺ: كيف رأيت يا سيدي الشيخ عبد العزيز البدري وهو على المنبر؟

أجاب ﷺ وهو يشير إلى عمامته: «رأيته نورًا من فوق رأسه إلى قدمه».

وحين قدم سيدنا النّبهان ﷺ إلى العراق المرة الثانية كان الشيخ البدري ملازمًا له، وعنده جدول تنقُّلاته وزياراته ودعواته.

يقول الشيخ يحيى حمد الفياض الكبيسي من الفلوجة بالعراق: كنا نتهيب أن نسأل سيدنا ﷺ أثناء مروره على مراقد الأولياء في بغداد، إلاّ أن الشيخ البدري كان يسأله عن مشاهداته، وسيدنا يجيبه بما شاهد وما جرى بينه وبين من يزوره من أحاديث.

لقد تعلق الشيخ البدري -رحمه الله تعالى- بسيدنا ﷺ تعلُّق الرضيع بأمه، فلم يفتر، ولم تكن له صبوة أو جفوة، ولم يزدد بصلته ومحبته إلاّ قوّة وصلابة في مواقفه، إذا رأيته جلس أو مشى أو تحدث لا تحسبه إلاّ أميرًا أو قائدًا، يعرض بعرض صدره الفتوة والرجولة والشجاعة، ويجسّد في شخصيته عزّ الإسلام والمسلمين.

مؤلفاته:

للشيخ البدري -رحمه الله تعالى- مؤلفات عديدة، منها المطبوع، ومنها المخطوط، مثل:

- الإسلام بين العلماء والحكام.
- حكم الإسلام في الاشتراكية.
- الإسلام ضامن للحاجات الأساسية.
- لكل فرد يعمل لرفاهيته.
- الإسلام حرب على الاشتراكية والرأسمالية. لم يطبع.
- القرآن كتاب الله الخالد. لم يطبع.

وفاته:

وهذا غيض من فيض، أمضى فيه حياته -رحمه الله- واستشهد في ٢٦ حزيران ١٩٦٩م، بعد أن سجن ثمانية عشر يومًا وعُذّب ومُثِّلَ به على أيدي المجرمين في مديرية الأمن العام، ودفن مجاورًا للشيخ أمجد الزهاوي -رحمه الله تعالى- بمقبرة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ﵁ ببغداد.

وحزن سيدنا النّبهان ﵁ لمصابه، وشهد له بشهادة سيدنا حمزة ﵁ وقال عنه: «ما جابته الجايبات». أي لم تلد مثله الوالدات في بغداد.

عاش -رحمه الله تعالى- أربعين عامًا، وأمضى حياته في الكفاف براتب الأوقاف، ورعًا عفيفًا، كلّه لله، بالله.

وقد عُرِفت له كرامات في حياته وبعد مماته، منها: أنه في كانون الثاني من سنة ٢٠٠١م أي بعد وفاته -رحمه الله تعالى- باثنتين وثلاثين سنة توفي أحد القادة

العسكريين المتقين، فحفر له إلى جنب الشيخ البدري -رحمه الله- فأصابت الفأس لحده فانفجر الدم منه. اهـ[١]

كتب لي الأستاذ الدكتور محمود فجَّال، رحمه الله:

«أحبابَنا أُبَيِّنُ صلتي بالشيخ عبد العزيز البدري، رحمه الله:

صليت الفجر في جامع الكلتاوية مع الشيخ بشير حداد، ثم قفلت إلى غرفتي وكان الوقت ربيعًا والروحانية تعبق بأريج الورد، وشجر الكلتاوية يصفق طربًا، وبلابلها تغرد فرحًا، وباب غرفتي مفتوح لأشم منه أريج الكلتاوية.

وأنا بين يدي كتابان أحدهما: فتح الباري لابن حجر، وثانيهما: عمدة القاري للعيني، أقرأ منهما شرح حديث واحد وأنا جالس على الأرض منحنٍ عليهما، ولا يوجد في المكان غريب غيري، وإن وجد فلا أنظر إليه إن مر وإذا بي أسمع تحية تجلجل في الغرفة في وقت هدوء وصفاء فنظرت إلى باب الغرفة وإذا برجل ملأ باب الغرفة يقول: السلام عليكم. أخوكم عبد العزيز البدري، فقمت محتفيًا به وسعيدًا بلقائه وأجلسته.

فقال معرفًا بنفسه: أنا من بغداد ضيف سيدنا، جئت ليلًا ولم ألتق به وترك لي خبرًا لأتشرف بلقائه في ضحوة النهار.

وقد رأيت في نومي هذه الليلة هذه الغرفة وبها سيدنا فصليت الفجر وقصدت هذه الغرفة على حسب ما رأيت في المنام.

وجلسنا معًا إلى وقت الضحى وأحضرت له فطورًا فقال: أنا مدعو لأفطر مع سيدنا وسأفطر معك وسأخبره أنني أفطرت معك.

---

(١) كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٢٩٥-٣٠٠).

فيا أسفاه! على أولئك الرجال الصادقين الذين يرحلون من بلد إلى بلد وقصدهم إرضاء الله ورسوله ﷺ وصحبةِ أحبابه.

وأتمثل بقول أبي مدين رضي الله عنه في لقاء الأحبة:

يحرِّكُنا ذكر الأحاديث عنكم ... ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا
أما تنظر الطير المقفص يا فتى ... إذا ذكر الأوطان حَنَّ إلى المغنى

ولما استشهد -رحمه الله- قال لي المرحوم محمد حوت: استَأْذِن لي سيدَنا رضي الله عنه لأذهب وأقتل من قتله، لأن الحزن خيم على الكلتاوية حين مقتله».

وحدثني عنه الدكتور عثمان عمر المحمد قال:

«في أيام عيد كان الشيخ عبد العزيز البدري ضيفًا على سيدنا رضي الله عنه وكنا مع السيد في الغرفة العليا من المدرسة (المكتبة) والشيخ عبد العزيز جالس على يسار سيدنا رضي الله عنه وسيدنا يتكلم فصاح أحد الحضور بصوت مرتفع: هو هو.

فسأل الشيخ عبد العزيز البدري سيدنا قائلًا: سيدي! ما تقول في هذا الصراخ؟

فقال رضي الله عنه: صاحبه إما صادق أو كاذب. إن كان كاذبًا فلا حديث لنا معه، وإن كان صادقًا فهي حالة ضعف وليست حالة كمال، أنا بحياتي ما صحت، ولم يكن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم يصيحون».

وكتب لي الدكتور حامد فرحان:

«كان سيدنا كلما قرأ الفاتحة للشيخ عبد العزيز البدري يغضب ويقول: لماذا لا تأخذون بثأره يا عراقيين؟!

الشيخ العلامة الداعية الإسلامي المجاهد الكبير عبد العزيز البدري قتل مظلومًا على يد ناظم كزار بعد أن لقي أصناف العذاب، وكان رحمه من محبي سيدنا

الصادقين، ولا يجلس مادام سيدنا موجودًا؛ بل يبقى واقفًا دائمًا، وقد أرسل علماء سورية وفي مقدمتهم سيدنا برقية إلى حكومة العراق يستنكرون جريمة القتل والتمثيل ووقعها سيدنا، وفيها: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّه﴾ (سورة غافر٢٨)، ولسوف يأخذ الله بثأرك يا أخي يا عبد العزيز.

وإن الله -عز وجل- قد استجاب لما قال وطلب سيدنا رضي الله عنه فقد قتلوا شر قتلة ومثل بهم أشنع تمثيل وأنكاه وأولهم ناظم كزار».

رحمه الله، آنسه الله، رفع درجته في عليين، وجمعه بأحبابه في عالم الآخرة.

مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لدي.
- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: -٢٩٥-٣٠٠).
- الدكتور محمود فجال، والدكتور حامد فرحان، والدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلة كتابية.

ملفات مسموعة:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

تسجيل للسيد النبهان يذكر فيه الشيخ عبد العزيز البدري.



(٢٩) الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي

١٣٣٧ - ١٣٩٣هـ/ ١٩١٧ - ١٩٧٣م

ركن العلم في العراق، وشيخ الشيوخ، من قال عنه السيد النّبهان رضي الله عنه: «ما رأت عيني مخلصًا بالعلم مثله».

نسبه:

الشيخ عبد العزيز بن سالم بن صنع الله بن علي السامرائي

ولادته:

ولد -رحمه الله تعالى- في مدينة سامراء عام ١٣٣٧هـ- ١٩١٧م لأسرة عربية مسلمة من آل مليسان الذين ينتسبون الى السادة الأشراف الحسنية.

طلبه العلم:

تلقى دراسته الابتدائية في سامراء، ثم اتجه إلى طلب العلم الشرعي، فانتسب إلى المدرسة العلمية في سامراء طالبًا، وتلقى العلوم الشرعية حتى نال الإجازة العلمية من شيخه أحمد الراوي مدير المدرسة الدينية، والشيخ السيد عبد الوهاب البدري، وتلقى العلم أيضًا على الشيخ عبد الكريم الدبان، والشيخ طه الياسين السامرائي.

سافر إلى مصر لتلقي العلوم الشرعية في الأزهر بعد أن أتم دراسته في سامراء ولم يلبث إلا أشهرًا معدودات فعاد بعدها إلى مدينته.

وظائفه العلمية:

عُين معلمًا عام ١٩٣٨م في مدرسة ابتدائية في مدينة الديوانية بجنوب العراق وترك الوظيفة بعد سنتين.

ثم عين واعظًا في قضاء «هيت» التابع لمحافظة الأنبار في عام ١٩٤٠م.

ثم عين مدرسًا عام ١٩٤٢م في مدرسة هيت العلمية لتدريس العلوم الشرعية وبقي فيها ستة أعوام.

انتقل في عام ١٩٤٨م إلى الفلوجة إمامًا وخطيبًا في جامع كاظم باشا (الذي يسمى الآن الجامع الكبير) ومدرسًا في مدرسته العلمية الدينية، واستمر بالتدريس فيها إلى عام١٩٧١م.

مؤلفاته:

للشيخ مؤلفات عديدة ولكن أغلبها ما زال مخطوطًا، وما هو مطبوع قليل، وتتجاوز مؤلفاته ثلاثين كتابًا، منها:

- أوضح المقال لبيان تحفة الأطفال.
- العقائد الإسلامية.
- مرشد الحجاج إلى بعض أحكام الحج.
- الأخلاق المحمدية.
- مجموعة الاستغاثات الربانية.
- جدول الأمثلة في الصرف.
- تحفة الإخوان في فن البيان، وغيرها.

تلاميذه:

تخرج على يديه جيل عظيم من شيوخ العلم الشرعي إذ يعد غالب علماء الأنبار الكبار من طلابه، وكثير منهم علماء معروفون على مستوى العراق والعالم الإسلامي.

الجامع الكبير في الفلوجة - العراق



كان من حُبِّهِ لطلابه يقول: «لم يعش لي ولد، ولكن الله تعالى عوضني بطلبة العلم، فإني أشعر أنهم كلهم أولادي».

ولمدرسته الآصفية الشرعية في الفلوجة أكبر الأثر في نشر العلم، وتخريج العلماء، وله -رحمه الله تعالى- من المؤلفات والدروس والمواعظ والمآثر في الحاضر والبادي ما يجعل ذكراه خالدة في قلوب الناس.

صلته بالعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

الشيخ عبد العزيز رفاعي المشرب، محبٌّ للعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه.

بدأت علاقته بسيدنا رضي الله عنه إبان زيارة السيد النبهان لعراق عام ١٩٦٢م، ثمّ قصده إلى حلب خمس مرات في خمسة أعوام، ويرافقه في كل مرة جمع من تلاميذه وأصحابه.

كان للولي الصالح الشيخ محمّد عبد الله الفياض-رحمه الله- أثر كبير في تقوية رابطة الشيخ عبد العزيز بسيدنا النّبهان، فتعلق به حتى إنه كان كثيرًا ما يورد توجيهات السيد النبهان في مواعظه وخطبه، مبتدئًا بحديث «إن الله ليبعث على رأس كل مِائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها»[1]. وأن هذا الوارث المجدد يقول كذا وكذا..

جاء في دروس سيدنا النبهان وهو يتحدث عن الشيخ عبد العزيز:

«أنا أريد من عبد الملك (السعدي) أن يخدم عبد العزيز قدر ما يقدر، قالوا لي: يخدمه، لكن أريد أكثر، نجعله هو شيخنا، نحن نريد أن نخدمه قدر ما نقدر، ويأتي، ومنه فائدة إن شاء الله، منه فائدة إن شاء الله، الوجهة التي عند عبد العزيز

---

(١) رواه «أبو داود» في «سننه» (أول كتاب الملاحم - باب ما يذكر في قرن المئة) حديث رقم (٤٢٩١) ٦: ٣٤٩.

تكاد لا توجد، بكليته، بسطه وسروره على هذه الحالة، عقيدته لا بأس بها، ما رأت عيني مخلصًا مثله بالعلم».

يقول الشيخ هشام الألوسي: «قرأتُ في كرّاس للشيخ عبد العزيز سالم السامرائي -رحمه الله تعالى- بخط يده ما نصُّه: «اليوم جاء إلى الفلوجة الشيخ العارف بالله محمّد بن نبهان الحلبي، وذلك في يوم السبت ١١ شوال ١٣٨١هـ الموافق ١٧ آذار ١٩٦٢م، وهو رجل عارف، يتكلّم بالحقائق ويقول: أجتمع بالنبيّ ﷺ يقظةً، وأكلّمه كما يكلم الجليس جليسه، وأكلّم سيّدنا زكريا في حلب كما يكلّم الجليس جليسه، وقد جذب قلوب الخلائق صالحهم وطالحهم، نفع الله به العباد بجاه سيد المرسلين ﷺ». اهـ.

يتابع الشيخ هشام فيقول: «حدثنا الحاج حمود الكربولي الهيتي وهو من أوائل الوافدين العراقيين على سيدنا رضي الله عنه قال: رأيت الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي في ساحة جامع الكلتاوية المتصلة بالمدرسة وقد ظهر عليه التأثر والحزن فقلت: ما بك يا شيخ؟ فقال: يا حاج حمود أنا صفر. فقلت: وماذا جرى لك؟ فلم يجب، وتبين لي من بعد أن سيدنا رضي الله عنه كان قبل يوم على موعد الساعة السابعة مساءً مع بعض رجال الحكومة فحضروا إلى غرفة الضيافة قبل مجيء سيدنا من البيت فاستقبلهم الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي وبادرهم بعد جلوسهم مباشرة يحك وجوههم بأصابعه ويسألهم: تحلقون لحاكم؟ ويدعو لهم الله أن ينبت الزرع (كناية عن شعر الذقن) فأزعجهم صنيعه إذ هم ليسوا من أهل الصلاة والعبادة بل من همج المسؤولين آنذاك، فتركوا الموعد والمسجد منزعجين، يقولون: نحن ما جئنا لنرى هذا الشيخ ولا ندري من هو؟ نحن عندنا موعد مع الشيخ محمد النبهان، ولما كانت الساعة السابعة حضر الحبيب فسأل عنهم فقال له الخدم: لقد جاؤوا وخرجوا زعلانين من صنع الشيخ عبد العزيز معهم، فتأثر سيدنا الحبيب وعاتب الشيخ عبد العزيز قائلًا: ما هكذا يا شيخ عبد العزيز! ما هكذا. هؤلاء لهم موعد معنا ونطمع في

ردهم إلى الله وإصلاحهم الذي فيه صلاح لغيرهم، فحزن الشيخ عبد العزيز -رحمه الله- على صنيعه لتدخله بطريقة أبعدت أولئك عن لقائهم بسيدنا».

جاء في كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١:٢٣٦): «سأل الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي سيدنا ﵁: سيدي لمّا وقف سيدنا أحمد الرفاعي ﵁ في حضرة المواجهة سلّم على رسول الله ﷺ وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبّل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فامتدّت له يد المصطفى عليه الصلاة والسلام، فقبّلها وبايعه بيعة كلية، فكيف كان الأمر معكم؟ فقال ﵁: (كان أعلى وأجلّ).

وعلّق على البيتين فقال ﵁: وأنا أقول دولة الأرواح لا دولة الأشباح. وعن رؤية سيدنا الرفاعي ﵁ قال: كانت الرؤية بعين البصيرة لا بالبصر».

تحدث لي عنه تلميذه الشيخ جمال شاكر النَزّال[١] **قال:** «حضرت مجلسًا لسيدنا النّبهان ﵁ في زيارته الأولى للعراق في بيت الحاج محمد الفياض-رحمه الله- وكان ممن حضر فيه الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي، فقال الشيخ عبد العزيز سالم مخاطبًا سيدنا ﵁: إذا واحد سألني عن رسول الله ﷺ أتكلّم له عنه، وعندي كتاب ألفته عن سيرة رسول الله ﷺ ولكن لما أرجع إلى نفسي أرى نفسي لا أعرف رسول الله ﷺ! فقال ﵁: صدقتَ يا شيخ عبد العزيز لأنه لا نسبة بينك وبين رسول الله ﷺ، ولا يمكن أن تعرف الرسول ﷺ حتى تفنى في العارف، فإذا فنيتَ في العارف وأشار إلى صدره الشريف فالعارف ينقلك إلى رسول الله ﷺ ومدّ كلتا يديه، فإذا فنيت في رسول الله ﷺ ينقلك إلى الحضرة الإلهية».

---

(١) **الشيخ جمال شاكر محمود النزّال (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م):** تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

يتابع الشيخ جمال شاكر النزال قائلًا: «جاء الشيخ محمود مهاوش يزور الشيخ عبد العزيز سالم بعد عودة الأخير من زيارة سيدنا النبهان في حلب، وخطب خطبة على منبر الجامع الكبير لم يسبق أن خطب مثلها في عمره فأبكى الحاضرين، وكان يتكلم عن حضرة سيدنا النبهان وكأنها الآن أمامي.

وفي يوم العيد سأل الشيخُ محمود مهاوش الشيخَ عبد العزيز قال: يا شيخ عبد العزيز أنت زرت الشيخ النبهان فكيف رأيته؟

قال الشيخ عبد العزيز: بعض العلماء بعض الأولياء يكون مظهرًا للعلم، بعضهم مظهر للكرم، مظهر للشجاعة.

فقال له الشيخ محمود: والشيخ النبهان مظهر إيش؟

فقال: الشيخ النبهان مظهر للحضرة الإلهية تسعة وتسعين اسمًا.

كنا في الفلوجة عند الشيخ عبد العزيز السامرائي وهو من المحبين للأولياء عمومًا وكان له اعتقاد خاص بالحاج محمد الفياض، ويقول: الحاج محمد الفياض عنده علم غير موجود في الكتب. ويتوقف عن درسه عندما يقدم الحاج محمد الفياض ويقول: درسي ودرسكم الآن من الحاج محمد الفياض.

ومما سمعته من الشيخ عبد العزيز أنه أتاه سيدنا الخضر عليه السلام وقال له: لا بدّ لكل عالم من رجل صالح يصحبه، وأرى صاحبك في هذا الزمان الحاج محمد الفياض».

وكتب لي تلميذه الدكتور حامد فرحان:

«في أول تشرفي بزيارة سيدنا النبهان قدس سره الشريف في عام ١٩٦٧م كان بصحبة شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن سالم السامرائي -رحمه الله تعالى- مع جمع من الإخوة، أصابتنا الدهشة والانبهار من هذه الشخصية العظيمة وهذا النور الذي يشع من ذاته رضي الله عنه، وعندما نسلم عليه ونقبل يده الكريمة يقبل وجوهنا

فتلامس لحيته الشريفة خدودنا، فلم ألمس في حياتي الين وألطف وأنعم من يده ولحيته ﵁.

وفي تلكم الزيارة قال سيدنا النبهان ﵁ للشيخ عبد العزيز وقد قام من كرسيه الذي يجلس عليه خلف المنضدة وأخذ كرسيًّا خشبيًّا وجلس قريبًا جدًّا من الشيخ عبد العزيز وقال له: يا شيخ عبد العزيز: سلم لي وأنا أوصلك إلى الله في خمس دقائق، وأجعلك من العارفين. وأظهر سيدنا في هذه الجلسة من التلطف والتودد بالشيخ عبد العزيز ما أدهشنا.

فقال الشيخ عبد العزيز: وكيف أسلم لك يا شيخي؟

فقال سيدنا: إذا قلتُ لك: طلق زوجتك أو اترك العلم تتركه.

فقال الشيخ عبد العزيز: إذا رأيتُ في ذلك مصلحة أتركه.

فقال سيدنا ﵁: إذن ما عملنا شيئًا. ورجع إلى مكانه.

ومن المعلوم أن سيدنا كان يسميه ركن العلم في العراق، وسمعته ﵁ يقول لأخينا السيد يوسف الرفاعي من الكويت في مزرعة الكرم وقد سأله عن سلوك الطريق فقال له: أن تسلم للمرجع تسليمًا مطلقًا بحيث إذا قال لك كلامًا فلا كلام غيره».

وكتب لي عنه تلميذه الشيخ الدكتور أحمد خضير الزوبعي[1]:

«كان شيخنا عبد العزيز سالم السامرائي يذكر سيدنا النبهان كثيرًا حتى في الخطبة ويستشهد بأقواله، ويقول: قال العارف بالله الشيخ محمد النبهان. فتعلقت قلوبنا بسيدنا حبًّا وإصغاءً لتوجيهاته، وحرصًا على تفعيل أقواله وأحواله في مسيرتنا على قدر الاستطاعة لأن المحيط لا يحويه فنجان قهوة، وكنا نحرص على سماع

(١) الدكتور أحمد خضير(١٣٧٤هـ/١٩٥٥م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

الدروس من المسجل وحينما نجلس لسماع درسه ينقلنا حاله الشريف نقلات نوعية لا يستطاع التحدث عنها، ونقول في أنفسنا: إذا كان هذا حالنا في سماع درسه الشريف، فكيف لو رأيناه معاينة؟! وأنا لا أبالغ إذا قلت بعد القيام من درسه لا نفكر في دنيا الناس، ونراها صغيرة في أعيننا وكان جلوسنا يشدنا إلى قراءة العلم، وإلى الإخلاص في التعلم.

وكان شيخنا عبد العزيز سالم السامرائي يجمع الطلاب حينما يزور المدرسة الولي الحاج محمد الفياض الذي كان كلامه غذاء وقوة تدفعنا إلى التمسك بأخلاق سيدنا وشيخنا النبهاني رضي الله عنه.

وأنا أذكر قبل لقائنا ورؤيتنا لسيدنا أن طالبًا كان معنا وبعد الصلاة بدأ يشتغل بالورد الذي كان الشيخ عبد العزيز يأمر الطلاب به وهو عبارة عن ذكر وصلاة على النبي ﷺ وقراءة سورة يس بعد صلاة الفجر وقراءة سورة نوح بعد صلاة الظهر وقراءة سورة عم بعد صلاة العصر وقراءة سورة تبارك بعد صلاة العشاء وتترك قراءة سورة الواقعة اختيارًا بعد صلاة المغرب يقول ذلك الطالب وقد أخذته حالة لاإرادية: أرى صورة سيدنا الشيخ محمد النبهان الآن أمامي. وذلك لكثرة التعلق به رضي الله عنه، وهو لم يره من قبل».

وكتب لي عنه تلميذه الشيخ الدكتور محمد مطلك[1]:

«المنة الكبرى والنعمة العظمى التي منّ الله بها علينا هي أن تشرفنا بسيدنا ومولانا وولي نعمتنا وصاحب الفضل والإحسان علينا سيدنا أبي أحمد محمد بن أحمد النبهان رضي الله عنه منذ أن دخلت في المدرسة الدينية عام ١٩٦٤م كان الشيخ عبد العزيز السامرائي يحكي لنا عن سيدنا النبهان رضي الله عنه وكان الحاج محمد الفياض كثيرًا

(١) الشيخ الدكتور محمد مطلك (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

ما يتكلم لنا كذلك عن سيدنا النبهان ويحثنا على الذهاب إلى حلب للتشرف بسيدنا النبهان رضي الله عنه.

وفي عام ١٩٦٧م منّ الله عليّ أن تشرفت بسيدنا النبهان في حلب الشهباء، وحظينا بالشرف العالي من مقام سيدي النبهان، وبفضل الله تعالى من ذلك الوقت نذهب إلى حلب في العام مرة أو مرتين وحظينا بجلسات كثيرة خاصة وعامة مع سيدي النبهان، وحضرنا في قرية التويم، وسافرنا مع سيدي النبهان ونسأل الله أن يثبتنا على أعتابه ومحبته.

وعندما شرّف سيدنا النبهان رضي الله عنه العراق، وكنت وقتئذ مع الشيخ عبد العزيز السامرائي في مستشفى اليرموك في بغداد، كنت مرافقًا للشيخ عبد العزيز أتشرف بخدمته في المستشفى نتناوب الخدمة مع الشيخ المرحوم أيوب محمد الفياض، وعند قدوم سيدنا النبهان إلى بغداد وفي اليوم التالي زار سيدنا النبهان الشيخ عبد العزيز في المستشفى ومعه إخواننا الحلبيون والعراقيون فدخل الغرفة التي يرقد فيها الشيخ عبد العزيز وسلم عليه وجلس عنده وأول ما تكلم به سيدنا النبهان أن قال:

وقاطعْ لمن وَاصَلْتَ أيام غَفْلَةٍ فما وَاصَلَ الأَحْبَابَ مَنْ لا يُقاطِعِ[1]

وبقي سيدنا يتكلم مع الشيخ عبد العزيز ما يقارب النصف ساعة وبقيت مع الشيخ عبد العزيز بعد ذهاب سيدنا فناداني وقال لي: يا محمد قلت: نعم شيخي. قال: كم عمري؟ قلت: عمرك طويل شيخي. قال لي: «عمري هذه النصف ساعة التي جلس فيها سيدنا النبهان عندنا». ولا نعلم ما السر في ذلك ولكن أحباب الله وأولياؤه نظراتهم ترياق مجرب.

---

(١) من قصيدة العينية، تأليف العارف بالله سيدنا عبد الكريم الجيلي، قدس سره.

وأذكر مرة كنت في حلب عند سيدنا النبهان فأعطاني دشداشة من دشاديشه [الكندورة أو الكلابية] وقال: هذه تعطيها للشيخ عبد العزيز، فلما وصلت إلى الفلوجة وسلمت على الشيخ فقلت له: هذه هدية من سيدي النبهان لجنابك، فطار فرحًا بها، وكلما دخل عليه جماعة قال لهم: الشيخ النبهان أرسل لي هدية مع محمد مطلك لو أعطوني بها آلاف الدنانير ما أعطيها لأنها جاءت من السيد النبهان ﷺ فأعتز بها كثيرًا».

زيارته مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية):

وقال الدكتور عثمان عمر المحمد: «كنا طلابًا في مدرسة الكلتاوية، وكان الشيخ عبد العزيز السامرائي في زيارة سيدنا ﷺ، ويبدو أنه مولع باللغة ففي يوم من الأيام كان يتجول أمام الفصول الدراسية، وكلما مرَّ بطالب سأله عن اسمه، فلما اقترب مني سألني عن اسمي، وكان حينها اسمي (محمود العمر) قلت له: اسمي محمود فسألني هذا على وزن ماذا؟ ما صيغته؟ فأجبته فظهر عليه السرور وانتقل إلى غيري».

وكتب لي الشيخ محمود العبيد: «وأنا لي قصة مع الشيخ الجليل عبد العزيز السامرائي -رحمه الله تعالى- دخل علينا في غرفة الدراسة، وسلم علينا وبدأ يسألنا عن أسمائنا فلما وصل إلى اسم أحمد العلاوي -رحمه الله تعالى- قال: وقف أحمد على بيت أحد الأغنياء البخلاء فطرق الباب فخرج إليه الخادم فقال له ماذا تريد؟ قال: أريد صاحب المنزل. فقال صاحب المنزل للخادم: أعطه كسرة واصرفه. فقال له أحمد: أنا اسمي أحمد لا أقبل الكسرة ولا أنصرف فقال صاحب المنزل: أضيفوه واجبروا كسره ثم خرج من صفنا إلى صف آخر ومن يومها عرفنا هذه القاعدة النحوية في حكم الممنوع من الصرف».

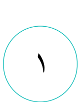
وفاته: عاش -رحمه الله- تقيًّا ورعًا غيورًا على الدين، قويًّا في الذب عنه، مصلحًا بين الناس، أوذي في سبيل الله وفي جسمه فصبر، وارتحل إلى مدينة سامراء وتوفي هناك في ٨ ذو القعدة ١٣٩٣هـ الموافق ٣ كانون الأول ١٩٧٣م.

مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لدي.
- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٣٠٦-٣٠٩).
- «تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري» (ص ٣٨٩).
- الشيخ جمال شاكر، والشيخ هشام الألوسي، والدكتور حامد فرحان، والدكتور محمد مطلك، والدكتور أحمد خضير، والشيخ محمود العبيد، والدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلة كتابية.

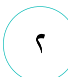
ملفان مسموعان:

لسماع الملفين الصوتيين، فضلًا اقرأ الرمزين التاليين:



قول سيدنا النبهان: الوجهة التي عند عبد العزيز السالم تكاد لا توجد.





قول الشيخ عبد العزيز السالم عن سيدنا، بصوت الشيخ جمال شاكر.



(٣٠) الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس

١٣٤٥ - ١٤٢٧هـ/ ١٩٢٧ - ٢٠٠٦م

ولادته ونشأته:



ولد الحاج عبد العزيز بن عبد الرزاق الغرس الكبيسي أبو خالد عام ١٩٢٧م في كبيسة، بمحافظة الأنبار في العراق، وبعد أن أكمل الابتدائية بسنين مارس التجارة في مدينة «الرطبة» بشركة مع الشيخ محمود مهاوش الكبيسي، وتعرّف بواسطته على العارف بالله سيدنا محمد النّبهان ﷺ.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ:

يقول الشيخ هشام الألوسي: كتب إلينا الحاج عبد العزيز بخطه قال: «زرته ﷺ في الخمسينات برفقة الحاج محمود مهاوش الّذي له فضل التعريف على أكثر الوافدين على سيدنا من العراق، فوجدناه في سَفرة قصيرة خارج حلب، ومذ رأيته أعجبت به، ولا أتمكن والله من وصفه، إذ هو جامع لصفات الكمال، ومع محبتي لخيرة مشايخ العراق كالشيخ قاسم القيسي، والشيخ عبد القادر الخطيب، والشيخ فؤاد الآلوسي، والشيخ أمجد الزهاوي لكنّ قلبي لم يأخذه شيخ رأيته قبله أو بعده، فهو سيد أهل زمانه في العلوم المنقولة والمعقولة.

سألت عنه مفتي العراق الشيخ قاسم القيسي، فقال: يا عبد العزيز، والله إن هذا الشيخ ما سارية الجبل عنه ببعيد، لقد أحضرت له ثلاثة عشر سؤالًا كلّها أسئلة عويصة، فأجاب عليها كلّها على ترتيبها وتسلسلها عندي دون أن أبدأه بسؤال.

وأضاف الحاج عبد العزيز الغرس: وكانت للشيخ قاسم صرخة في الذكر أو غيره، فشكى إليه حالته، فذهبت عنه.

ثمّ أكرمني الله -تعالى- بزيارة ثانية، وتشرفت بمرافقته إلى بيروت ورجعت معه إلى دمشق والحَمّة، ودعانا الشيخ أحمد الحارون -رحمه الله-، فرحب به أعظم ترحيب وقبّل يده وقال: والله يا أهل حلب لو سمح لي لقبّلت رجله، وأظهر له احترامًا لا نظير له، والشيخ الحارون وما أدراك ما الحارون؟! الولي الكبير الّذي تشهد له بلاد الشام كلّها».

وحين زار السيد النبهان العراق كان للحاج عبد العزيز حضور معه رضي الله عنه.

حدّثنا الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس الكبيسي -رحمه الله- قال: «عندما وصل سيّدنا رضي الله عنه إلى الفلوجة، نـزل في دار المرحوم الحاج محمّد عبد الله الفيّاض، فرافقته إلى بغداد لدار المرحوم الشيخ محمود مهاوش الكبيسي، وفي تلك الليلة ذهبنا بمعيته رضي الله عنه لزيارة الشيخ أمجد الزهاوي -رحمه الله تعالى-، ثمّ عدنا إلى دار الشيخ محمود مهاوش، صباحًا وعلى مائدة الإفطار كدت أفقد عقلي حين قال رضي الله عنه: (يا ليت لكم عيونًا لتروا الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه معنا على المائدة). ثمّ أضاف رضي الله عنه: ما كنت أتوقع أن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه بهذه المنزلة عند الله! لقد استقبلني الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه من الحدود العراقية.

وقد دعوته رضي الله عنه إلى بيتي (في محلة العطيفية) -والحديث لا يزال لعبد العزيز الغرس، رحمه الله- فسألت الشيخ محمود مهاوش: كم رجلًا سيأتي معه؟ فأجاب: بحدود الثلاثين، وكان رضي الله عنه في زيارة إلى النجف الأشرف وكربلاء، فلمّا رجع حضر

معه مئة وأربعون رجلًا من غير أقاربي ومعارفي، فساورني خوف لأنني ذبحت أربعة خرفان فقط، ولشدة ما حصل عندي من اضطراب خرجت إلى الشارع أندب سيّدنا رسول الله ﷺ فقلت: يا سيدي يا رسول الله، هذا ضيفك فلا تخجلني معه.

فصدّقني يا أخي يا هشام إن أكثر من نصف الطعام بقي من بركته! ونقلته بسيارة لفقراء الحضرة القادرية، ونام تلك الليلة المباركة بفراشي، فقلت لجنابه: سيدي إِن زوجتي بحاجة إلى عملية جراحية، فصلَّى ركعتين واستخار لها، وأعاد الاستخارة ثلاثًا وقال: العملية ناجحة إلّا أن عدّة الطبيب غير نظيفة.

فجئت الطبيب ورجوته أن يطهّر أدوات جراحته، فضحك! وكما قال سيّدنا النّبهان رضي الله عنه فقد تقيّح الجرح بعد إجراء العملية، وحصلت لدينا مصاعب يطول شرحها».

وروى لنا الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس الكبيسي فقال: «طلبت من سيّدنا رضي الله عنه أن يعمل لي استخارة بزواجي من (أم خالد) رحمها الله، فقال لي: نتيجة الاستخارة ستتعب! والاستخارة لا تنفع فذهبت إلى الشيخ ياسين سريّو المؤقت الولي في جامع سيّدنا زكريا عليه السلام، فأجرى لي استخارة، وقال لي: (ستتعب) وبقيت أريدها! فرأيت سيّدنا النّبهان رضي الله عنه في المنام فقال لي: قل: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم، وتكرر بها حتى تنام، وترى نتيجة الأمر الّذي تريده! فامتثلت لما أمرني، فرأيت ليلتها في المنام (كورة قير) تحتها نار! ومع هذا خالفتُ الاستخارة وتزوجت من (أم خالد)!! وفي سنة ١٩٦٥م تحققت نتيجتها بحادث اصطدامنا في سيارة على الطريق بين سوريّة ولبنان، وتوفيت زوجتي رحمها الله، وأتعبني الحادث».

ومعرفتي بالحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس أنه كان من أهل رؤية سيدنا رسول الله ﷺ ورؤية وارثه سيدنا محمّد النّبهان رضي الله عنه في اليقظة حيث فتح عليه في السنوات الأخيرة من حياته.

وكانت وفاته سنة ٢٠٠٦م في بغداد ودُفن بجوار سيدنا معروف الكرخي.

مصادر الترجمة:

- هذه الترجمة من كتاب «السيد النبهان» ط١ (١: ٢٥٨-٢٦٠) (١: ٢٨١) (٢: ٤١٤).

(٣١) الحاج عبد العزيز محمد خضر العاني

١٣٥٣ - ١٤٣٦هـ/ ١٩٣٤ - ٢٠١٥م



من أشعة الهداية النبهانية في العراق، واحد ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه، الحاج عبد العزيز بن محمد بن خضر بن عبد الرحمن آل قازان العاني.

ولقب العاني نسبة إلى مدينة «عانة»، وهي مدينة أثرية قديمة في أعالي الفرات غربيّ العراق، يعود تاريخها إلى حوالي خمسة آلاف سنة، كانت ممرًّا تجاريًّا مهمًّا على طريق الشام إلى أواخر العهد العثماني.

وآل قازان هم سادة من البيت النبوي الشريف، يعود نسبهم إلى سيدنا جعفر علي الهادي، ومنه بالسلسلة المعروفة إلى سيدنا الحسين بن علي -رضي الله عنهم جميعًا-، ولهم في هذا النسب شجرة قديمة -ما زالت محفوظة- تعود إلى مئات السنين.

وأخواله من بيت الصفّار، وتعود جذورهم إلى «الأَغَوات» من السادة الحَيّالِيّين في مدينة الموصل، ويتصل نسبهم بالسيد الشريف عبد الرزاق بن الشيخ عبدالقادر الجيلاني إمام المربّين، وقدوة السالكين، ومنه بالسلسلة الشهيرة إلى الحسن بن علي، رضي الله عنهم جميعًا.

الولادة والنشأة:

ولد -رحمه الله- في عام ١٩٣٤م، في مدينة «عانة»، في أسرة متوسطة الحال.

دراسته:

درس الابتدائية والمتوسطة في مدينة «عانة»، ثم درس في دار المعلمين في مدينة بعقوبة، مركز محافظة دَيَالى الشهيرة في العراق، في عام ١٩٤٩، وانتهى منها عام ١٩٥١م.

عمله:

عين في التعليم الابتدائي عام ١٩٥٢م في ناحية كُبَيْسَة، ثم ناحية الحَبّانِيّة، ثم قضاء القائم، وفي عام ١٩٦٢م استقرّ في مدينة الفَلُّوجة، حتى أحيل على التقاعد عام ١٩٨٣م.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

حُبّبت إليه مدينة الفلوجة لوجود الرجل الصالح فيها، وأعني به الحاج محمدًا الفياض-عليه الرحمة والرضوان- فقد كانت آثاره الروحية، وبركاته الظاهرة والخفية، باديةً على محبيه ومصاحبيه.

والحاج محمد الفياض هو الذي أخذ بيد الحاج عبد العزيز محمد خضر، وأرشده إلى صحبة مربي السالكين إلى الله الشيخ محمد النبهان ﵁، ولهذا الخبر قصةٌ، خلاصتُها:

دعاه مرَّة الحاج محمد الفياض، وجرى بينهما الحوار الآتي:

الحاج محمد الفياض: أنت تحبني؟

الحاج عبد العزيز محمد خضر: بالتأكيد.

الحاج محمد الفياض: يوم القيامة سوف تكرهني.

الحاج عبد العزيز محمد خضر: لماذا؟

الحاج محمد الفياض: لأنك سوف تعاتبني، لِمَ لَمْ تدلَّني على مَنْ هو أفضل؟ أنا أقول لك: اسلك على الشيخ محمد النبهان.

كانت هذه بدايةَ تعرُّفِهِ على سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ، فعزم السفر وزارَهُ أكثرَ من مرة في حياته، ومنذ ذلك التاريخ بدأت زيارات العاني لشيخه ومربيه، وتأثَّر به في شؤونه الروحية والدنيوية.

حَجُّهُ مع السيد النبهان:

مما ينبغي ذكره هنا هو أنه سمع بأنَّ سيدنا الشيخ النبهان يريد الحج، فبادر الحاج عبد العزيز بإجراءات السفر، وحجَّ من العراق، والتقى سيدَنا هناك في الحج، وكثيرًا ما كان يقصّ لزائريه ذكريات تلك الزيارة، وما جرى فيها من أحوال.

اهتمامه بسماع دروس السيد النبهان وأثر ذلك:

وقد جمع أغلبَ دروسِ سيدنا النبهان المسجلة بالأَشْرِطَةِ، فكان يُديم سماعَها، ويكثرُ تكرارها، ويمكن أن نقول: إنه لم يمرَّ يومٌ من دون سماع درس من تلك الدروس، وكان يحفظ كثيرًا منها عن ظهر قلب، ويتحدث في مجالسه بتلك المحفوظات مصحوبة بنبرات الصوت المسجَّل، من حيث الابتداء والوقوف، ورفع الصوت وخفضه، وقد يقتضي المجلس أن يستشهد بقول أو حَدَثٍ لشيخه فيعيده كما هو بأحواله المذكورة، وما ذلك إلا لصدق محبته وشدة تعلقه بشيخه وبكل كلمة كان ينطق بها، والتي كانت أحاديثَ مجالسِهِ، وراحةَ نفسِهِ، وسلوةَ قلبِهِ، يعيدُ الكلامَ مصحوبًا بما ذكرنا بكل دقة وتفصيل، وبهذا يعدّ من الرواة المُبَرّزِين لأقوال شيخه وأحواله، وقد أكسبته هذه الذاكرة الواعية محبَّةَ إخوانه من محبي السيد النبهان ممن رأوا الشيخ، ومن الجيل الذي سمع به ولم يره؛ فكانت له مجالس دائمة لأولئك المحبين في بيته، وفي بيوت من يدعونه إلى سماع تلك الأخبار والآثار، وللتنوّر بتلك الأحوال والأنوار.

يقول ولده الدكتور عمر: «كنتُ أساعده في متجره كل يوم صباحًا ومساءً، وكنت قد أحضرت إلى المتجر جهاز التسجيل (المسجّل) وأشرطةً لدروس الشيخ محمد النبهان، وأخرى لمديحٍ بصوت الشيخ محيي الدين الأحمد الحلبي -رحمه الله- منشد الحضرة النبهانية[1] في جامع الكلتاوية، وأشرطة أخرى بصوت المنشد محمد أديب الدايخ، والشيخ أحمد الجاكيري، وغيرهم، فكنتُ أُشَغِّلُ الأشرطة له وقت الفراغ من العمل، وأُوقِفَها في أثناء زحمة العمل، فكان حين يرتاح من زحمة العمل ينظر إليَّ منتظرًا أن أعود لتشغيل المسجّل، وأحيانًا لا أفطن لذلك، فيسألني: ألا تحبّ أن تسمع، فألتفت إليه لأرى شوقًا في عينيه، وَوَهَجًا في محيّاه، ولهفةً في قلبه إلى السماع، وحين أشغّل شريطًا أراه ينسى الدنيا والعمل، وتهيم روحُه محلّقةً في أجواء المحبة والشوق، مستحضرًا ما لم يغب عن مخيلته ساعة أو لحظة، فهو كان سلوكًا حقيقيًّا للحياة، مستصحبًا في سَيْرِهِ كلَّ ما تلقّاه من الشيخ محمد النبهان مشافهةً أو سماعًا من أسطوانات التسجيل التي كانت لا تفارقه حتى في أوقات خلوده إلى الراحة في حجرته في بيته.

كان لا يتحدث عن الدنيا، ولا عن الآخرة، كان حديثه عن الله والفضائل.

وقد أجازه السيد النبهان برقية لها آثارٌ سريعة، وقد جُرِّبت مرارًا، فباتت من المجرّبات التي لا تخطئ بإذن الله، وتقوم على كتابة اسم الله الرحيم مبدوءًا بياء النداء على ورقة من غير نقط، إحدى وعشرين مرة.

وقد حفظ من السيد النبهان معاني عليا من القيم الروحية والأخلاقية، وتمثّل بها في سلوكه، ويوصي بها كثيرًا، منها:

موضوع الحجاب وستر المرأة، والبعد عن مظاهر المدَنيَّة الغربية، والعفو عن المسيء، ومقابلةُ الإساءة بالإحسان، والرضا بالمصائب وبقضاءِ الله وقدرِهِ، وتمامُ

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٧٢).

التوكل على الله، والانكسارُ لله -سبحانه وتعالى-، والاهتمامُ بالإخلاص أكثرَ من الاهتمام بكثرة الأعمال الصالحة، ونسبةُ الفضل إلى الله -سبحانه وتعالى- في كل خصلة صالحة يحملها، وألَّا ينسبها إلى نفسه، ويُعيدُ الفضلَ في تعلمه تلك القيمَ إلى المرجع سيدِنا النبهان، والفضل في التمسّك بها إلى اللهِ الهادي سواء السبيل.

كان كثيرَ المحبةِ لطلاب العلم في الجامع الكبير في الفلوجة، والمتغربون منهم كان يدعوهم إلى بيته، ويحبُّ الاجتماع بهم.

لا يجلس مجلسًا لم يذكر فيه من أقوال سيدنا النبهان، فكان لا يخلو لسانُه من ذكر توجيهات سيدنا محمد النبهان.

كانت أحاديثُ مجالسِهِ سيرةَ الشيخ محمدِ النبهان، وكان لا يكاد يجلس مجلسًا إلا كان له فيه الحصة الكبرى في الحديث، كان مُجَالسُه يستشعر فيضَ صدقٍ يتدفق من قلبه فيبدو على وجهه الساطع نورًا، ولسانِهِ المتدفق عذوبةً وحلاوة.

كان يتحدث في سيرته ليس سردًا لتاريخ، وإنما كان يعيش لحظاتٍ صَحِبَ فيها الشيخ محمد النبهان بكل فصولها، ويتمثّلُ سيرةً رويت له ولم يعشها كأنه عاشها حقًّا.

كان في كلِّ جلسة يتمثّل الأدب الذي تربّى عليه في سلوكه طريق الشيخ محمد النبهان، منذ استيقاظه في الصباح، وفي عمله، وفي طعامه وشرابه، وفي حديثه العَذْب الذي لا يملُّه سامعوه ومُجالسوه، لم تكن حياته لنفسه يومًا، حتى في قضاء ما يلزم للحياة، وأمور الدنيا، والعمل، والوظيفة، والتجارة، كلها كانت ترتبط بالسلوك الصادق الذي كانت آثاره أشدّ ظهورًا عليه ممّن سواه، وقد شهد له الشيخ محمد النبهان بصدقه ذاك وبطهارة قلبه، حين أخبره قائلًا: «قلبُك أبيض ناصعُ البياض» وفي ذلك إشارةٌ إلى صدق سلوكِهِ ونقاءِ سريرته ورضا الشيخ عنه.

وكان الشيخ محمد النبهان يقرّبه ويبيّن له مكانته في قلبه، ومن شواهد ذلك ما رواه لنا أنه في إحدى زياراته للشيخ محمد النبهان في حلب، وعلى سُفرة الغداء،

اجتمع أتباع الشيخ ومريدوه، فدعاهم إلى الغداء، وقال لهم: «كل واحد يأكل مع ربيعه (أي صاحبه أو خليله)، وأنا سآكل مع ربيعي، تفضل يا شيخ عبد العزيز لتأكل معي»، وأخذ بيده وتناولا الطعام معًا». اهـ.

«روحي وروحك واحدة»:

وكتب لي الأخ عبد الحكيم إبراهيم الفياض: «في إحدى زياراتنا له عندما كان مريضًا وقبل وفاته بأيام سأله ابنه حمزة قال له: يا والدي ماذا قال لك سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ قال: قال لي: «روحي وروحك واحدة». يذكرها وهو مسرور بها». اهـ.

مدد سيدي النبهان:

روى لي الشيخ مأمون الراوي قال: حدثني الحاج عبد العزيز العاني -رحمه الله- في أثناء زيارتي له بعد عيد الفطر الأخير أنه كان في مدينة عانة، وكان في قارب في نهر الفرات والماء يجري سريعًا ويجرفني نحو الناعور (دولاب خشبي يستعمل لنقل الماء من النهر إلى الأرض) والناس على الأرض يصيحون: انتهى عبد العزيز. فلما اقتربت جدًّا من الناعور صحت مدد يا شيخ محمد النبهان. فجاءت موجة فحرفت القارب ونجوت. اهـ.

من صفاته:

مما امتاز به الحاج عبد العزيز هو الرحمة بجميع الخلق والخلائق، ويكرر الحديث عن الرحمة مما حفظه عن شيخه ووعاه.

يقول ابنه الدكتور عمر عبد العزيز العاني: «ومما أذكره أنني أهملت حديقة بيتي منشغلًا بواجبات الدراسة، فعاتبني وقال: إن هذا الزرع خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله، وَجَبَتْ علينا رعايتُهُ والعنايةُ به.

وحدثني خالي علاء الدين رشيد الصفار، قال: كنت صغيرًا بصحبة والدك للتسوق، فرأى طفلًا يحمل بيده عصفورًا، فقال له: أتبيع هذا العصفورَ بدرهم؟ وافق الطفل؛ لأن الثمن كان بخمسة أضعافه في تلك الأيام، فأخذ خالي العصفور، ثم قال له: هذه الطيور مثلنا، فكما أن لك أمًّا وأبًا وإخوة، فكذلك هذا العصفور، ما رأيك أن نطلقه ليعود إلى أسرته؟ فقلت له: نعم، كما ترى، فأطلق العصفور.

وله قصص في رحمته بالعُصاة، وبطلبته الذين تتلمذوا عليه، وأخذوا عنه.

كان لا يتركُ النصيحةَ كلما رأى منكرًا، أو رأى شخصًا يتقبل منه.

أتذكر في المدرسة الابتدائية أنه كان يُدرِّس اللغةَ العربية والرياضيات، ولكن يأخذ دقائق قليلة في قصص الصالحين، والحضِّ على الصلاة ومكارم الأخلاق.

في سنيِّه الأخيرة تفرّغ لتلاوة القرآن الكريم، وفي شهر رمضان، كان بعد أن ينتهي من ورده القرآني يطالع في كتاب «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» للعارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة، وأحيانًا يهتز لمعنى أفكار الكتاب، ولمعنى المعنى، فيعلو صوته بلفظ الجلالة (الله الله)، وله مكتبة صغيرة لكنها حاوية لنوادر كتب القوم، ومنها ما هو بحكم المخطوط، على الرغم من أنه مطبوع، وذلك لندرته في أسواق الكتب.

ومما يحلو ذكره هنا أنه كان له صديق صالح اسمه عبد الهادي، من أهالي مدينة بعقوبة، شمال شرقيّ بغداد، طرق على صديقه العاني في ظهيرة يوم صائف شديد الحر، وقال: جاءني سيدنا الرفاعي في الرؤيا، وقال: قل لعبدالعزيز: الرفاعي يسلم عليك ويقول: عندك نسختان من كتابي «البرهان المؤيد» أعط واحدة منها لعبدالهادي، قال العاني: نعم كانت عندي نسختان من هذا الكتاب.

وقد أُحْرِقت مكتبتُه عندما تعرَّض بيته للعدوان وقت احتلال مدينة الفلوجة عام ٢٠١٤م.

مرضه ووفاته:

وفي أيامه الأخيرة أصيب بأمراض عدة، لزم بسببها البيت، فاضطر إلى السفر إلى عمّان ليكمل علاجه هناك، وقد لبّى نداء الله فتوُفِّيَ وهو مريضٌ غريبٌ، ودفن في مقبرة سحاب، ظاهر العاصمة عمّان في ٣٠ أيار ٢٠١٥م، وقد قيّض الله له جمهورًا غفيرًا للصلاة عليه، والترحم والدعاء ممّن لا يعرفونه، إذ وافقت وفاته وفاة زعيم قبلي، فصُلِّي على كليهما، فغصَّ المسجد وساحته بالمصلين، وامتلأ الشارع كذلك في مشهد قُطِعَ بسببه السير، وكان في تشييعه فضيلةُ الشيخ خليل بن الشيخ محمد الفيّاض، وفضيلة الشيخ الدكتور عبدالملك السعدي».اهـ.

من المبشرات:

رأى صديقُه الحاج عايش جروان الكبيسي -رحمه الله- رؤيا، وقصّها على سيدنا الشيخ النبهان، فقال له: لا تقصّها على عبد العزيز، ولكن قل له: سيدنا يبشرك، ولم تعرف هذه الرؤيا حتى الآن.

ومن الرؤى المبشرة: أن المترجم له رأى في المنام قصرًا، وفيه حديقة، وكان هذا القصر لأم المؤمنين سيدتنا خديجة ﵂، وكان الباب مفتوحًا فدخل، واستدرك على نفسه وقال: كيف أدخل من غير إذن؟ وإذا بغلام في شرفة القصر فناداه العاني وقال له: هات لنا خبزًا نأكل منه للبَرَكة، وإذا بالنبي ﷺ يخرج من القصر، وكان طويلًا ويشع نورًا، قال: وصرت أمامه مثل الطفل أو القزم، فانحنى النبي الكريم ﷺ وقبّلني، فقلت له: من أنا لكي تقبلني؟ فقال له النبيّ الكريم: أقبّلك؛ لأنك من أتباع الشيخ النبهان.

وقد قصّ العاني هذه الرؤيا على الشيخ بشير حداد -رحمه الله-، فقال الشيخ بشير: في دخولك القصر من غير إذن إشارة إلى كونك منسوبًا إلى البيت النبوي الشريف الطاهر، فأهل البيت لا يحتاجون إلى الإذن.

رحم الله الشيخ عبد العزيز العاني وأحسن إليه.



من اليمين: الشيخ عبد العزيز محمد خضر، ثم الشيخ أحمد خضير، ثم الشيخ حامد صخي، ثم الشيخ عايش جروان

كتب لي الدكتور عادل كعيد عن بعض ما حدث مع الشيخ عبد العزيز العاني في سفرته لزيارة سيدنا النبهان: «مِنْ جميل ما سمعتُهُ من أخينا الحاج عبد العزيز محمد خضر، يقول -رحمه الله- كنتُ ذاهبًا إلى حلب الشهباء لزيارة سيدنا النبهان رضي الله عنه، قال: ذهبت عن طريق القائم (مدينة عراقية حدودية محاذية لمدينة الْبُو كَمَال السورية) وقبل دخولي الحدود السورية التقيتُ برجل عراقي يعرفني، فسألني: إلى أين أنت ذاهب؟ فقلت له: إلى الشيخ النبهان. فقال لي: سلم لي عليه. قلت له: يصل إن شاء الله. ثم افترقنا.

ومرة أخرى التقيت برجل آخر لي معرفة به أيضًا، وسألني نَفْسَ سؤالِ الرَّجُلِ الأوَّل، وأجبتُهُ نَفْسَ جوابِ الرجلِ الأولِ أيضًا. فقال لي سلِّم لي عليه. فقلت له: يصل إن شاء الله.

وواصلت سفري، ووصلتُ الكلتاوية، والتقيتُ بسيدنا ﵁، وقلت له: سيدي فلان من العراق يسلم عليك، وفلان من العراق يسلم عليك، فأجاب سيدنا ﵁ سلامُ الأوّلِ سلامٌ عابر، والثاني سوف يصل إلى الله، ويصلُ إلى الله».

وكتب لي عنه الشيخ هشام عبد الكريم الألوسي:

«إنه الشيخ عبد العزيز محمد خضر العاني، النجم اللامع، والبدر الساطع، من أشعة الهداية النبهانية في العراق، واحد ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

أمضى عمرَه بطهارة القلب، وصفاءِ السريرة، وتوجيهِ أفواج الوافدين إلى سيدنا بالذكر والمذاكرة والخدمة. إنه مثالٌ للصحبة الصادقة التي لم يطرأ عليها دَغَشٌ، والسيرة العطرة التي لم تنخدش. إذا تطلعت في جمال هيئته تكفيك وتنبئك عن كثير من معالم شخصيته.

لقد -رحمه الله- كان من السابقين أُولي الفضل، ولا يساورنا شَكٌّ أنه حاز على المعرفة بالله ببشارة من السيد الحبيب الذي رباه، كما حدثني هو آنسه الله عن سيدنا ﵁». اهـ.

وكتب لي عنه الشيخ حامد صخي: «ومن أصحاب سيدنا محمد النبهان وأحبابه الصادقين الذي لم نجد له كبوةً الأخ الصالح الناصح أبو محمود الشيخ عبد العزيز خضر العاني -رحمه الله، وتغمّده بعفوه ورضوانه- كان صادق اللهجة، والوجهة، والمحبة، وكان رفيق السير مع الشيخ الحاج عايش جروان والحاج عبد الحميد جرذي الكبيسي، وكان لا يفارقهما كأنّهم روح واحدة وبينهم وحدة حال، رحمهم الله.

كانَوا بحقّ مدرسةً نبهانيةً تمشي بيننا، يشدّ بعضه بعضًا، هؤلاء هم الرعيل الأول من السابقين الأولين، يُذَكرّنا حالهم بمعنى الأُخُوَّةِ والوفاء والتضحية والصفاء، إذا مَرَّ أحدُهم رأيتَهم كلّهم.

شَدَّ أخونا الشيخ عبد العزيز خضر العاني الرحال يومًا الى حلب الشهباء -حماها الله- لزيارة سيدنا الكريم، فأوصيْتُهُ يُسَلّم لي على سيدنا ويذكرني عنده، يقول جلستُ مع سيدنا فقلتُ: سيدي حامد صخي يسلم عليك ويطلب دعاءَك، فقالَ سيّدُنا: «قل لهُ غَضْبًا عليه يصير زين» وكُلّما رآني الأخ الحاج عبد العزيز يقول لي باللهجة العراقية: «ياالله بَعْدْ شِتْرِيْدْ؟ السيد قال: غَضبًا عليه يصير زين».

كانت مجالس الحاج عبد العزيز رابطة، يذكرّنا ويُذاكرنا بسيدنا ودروسِهِ ويحفظُ بعضَها ويعيدُ علينا جملًا منها لنحفَظها».

في رثائه:

كتب مصطفى عبد العزيز العاني في رثاء الشيخ عبد العزيز محمد خضر العاني -رحمه الله- فقال:

نعى فاستحال الشهدُ بالنعي علقما ... وأفنى فما أبقى فؤادًا محطما
قضيت زمانًا فيك بالوصل مشرقًا ... فلما دها قلبي رحيلك أظلما
رحلتَ وفي قلبي من البين غُصةً ... فخلفت في كل الجوانح مأتما
تداعت على قلبي همومٌ ألفتها ... وأودى به حادي المنايا وأسقما
أتوق إلى يوم به الدهرُ ضمنا ... وأحنو على عهدٍ سحيقٍ تخرّما[١]
أحنُ كما النوق الثكالى إذا غدت ... دموعٌ لها تهمي وكَبْدٌ تخرَما

---

(١) أشفق و أحنّ إلى زمانِ وصلٍ قديمٍ تقطّع و انتهى.

فيا أيها الناعي الذي أحزَن الورى ... رويدًا بقلبٍ من فراقٍ تضرّما
بكيت الخوالي إذ رحلن بذكره ... وصرحًا -بناه من شقاءٍ- تهدَّما
تموت بأرضٍ نائيًا عن أحبةٍ ... فتهمي قلوب الحزن من غصةٍ دَما
كبيرٌ علينا أن تُسَجّى بتربةٍ ... وليس اختيارًا أن تموت ونَسْلَما
كبيرٌ علينا إن رجعنا لدارنا ... نسائل عن ركنٍ لكم كيف أقتَما(١)
نسائل في كل الزوايا ونرتجي ... عسى حجرات الدار أن تتكلما
أُفتّش في ركنٍ لكم ضمَّ ريحكم ... وفيه بقايا من أريجٍ تقدّما
أُسائلُ نخلاتٍ لكم في ظلالها ... حديثٌ كأرطاب بها، طاب مطعما
أحنُ إليها مثل طفلٍ يسوقه ... إلى أمه الإرضاع، ما كان أُفْطما
خلتْ دارنا من وجهكم، ليت أننا ... خلونا إليكم قبلَ ليلٍ تجهّما
به جارَ سيفُ البين،كم كان ماضيًا ... ولا درّ درُّ الليل كم كان أشأما
سيذكرك الباكون، إذ كنت محسنًا ... وكنت رقيق الطبع في الناس أبسما
وكنت عظيمًا -طاب مسعاك- منصفًا ... عطوفًا سميحًا خافض الطرف مُكرِما
جليسًا لمسكينٍ، أنيسًا لمُدقِعٍ ... طبيبًا لذاوي القلب أو مُطعمًا فما(٢)
عليك سلامُ الله يغشاك نوره ... بجنات خلدٍ مُكرمًا ومُنَعّما

مصادر الترجمة:

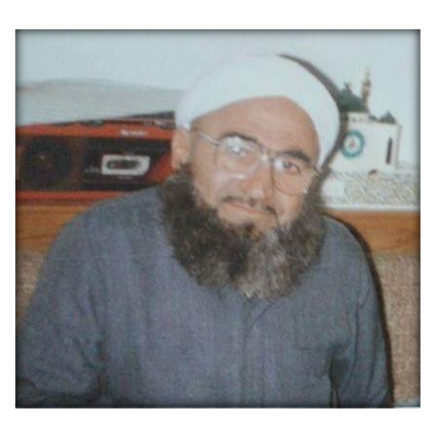
- ابنه الدكتور عمر عبد العزيز العاني، مراسلة كتابية.
- الدكتور عادل كعيد، والشيخ هشام الألوسي، والشيخ حامد الصخي، والشيخ مأمون الراوي، والأستاذ عبد الحكيم الفياض، مراسلة كتابية.

---

(١) نتساءل عن مكانكم المنير كيف أظلم .
(٢) مُدقع: شديد الفقر، ذاوي القلب : ضعيفه .

(٣٢) الحاج عبد القادر خوجه

١٣٤٦ - ١٤١٨هـ/ ١٩٢٨ - ١٩٩٨م



المحب الصادق الحاج عبد القادر حسن خوجه الجميلي النعيمي من نسل سيدنا الحسين رضي الله عنه.

ولادته ونشأته:

ولد في مدينة حلب بحي باب النيرب، عام ١٩٢٨م.

نشأ في محلّة باب النيرب، وعندما بلغ من العمر عشر سنين كان يجد في نفسه افتقارًا لشيء يكمّله ويحتاج إلى صديق كبير يصاحبه حتى يرفع به رأسه إلى السماء.

سلوكه عند العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

ما إن أتم الثامنة عشر من عمره حتى أخذ به صديق له وزميله في العمل إلى العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان قدس سره وذلك عام ١٩٤٠م، فما إن رآه وسمع كلامه حتى علم أن الذي يبحث عنه أمامه، فهذا هو الصديق، وهذا هو الحبيب المنتظر، هذا الذي يعلو ويرتفع به إلى حيث تهفو النفوس والأرواح، فعرف أنه شيخ الصدق وشيخ الوراثة المحمدية الحقة.

كان يجد أن حال السيد النبهان وأنفاسه هي عين الكرامات وخوارق العادات، فلزمه وأحبه بصدق، وكان ينظر إلى الكرامات أنها شأنُ من لازال يتردد ويبحث عما يصدقه، فكان الإتباع وتطبيق أوامر رسول الله ﷺ وتزكية النفس هو همّه وشغله، وكانت أعلى الكرامات عنده إذا وجد السيد النبهان أمامه، كان يجده مرتبة إلهية لا تزول بزوال الجسم أومضيّ السنين وإنما هذه المرتبة قائمة دائمة دوام قول الله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (الجمعة ٤).

كان أثر السيد النبهان ظاهرًا في حياته وعائلته وسلوكه، فهو لا يعرف شيخًا سوى السيد النبهان.

حدثني ابنه الشيخ محمد قال: «حينما زوّج سيدنا والدي من والدتي -رحمهما الله- وبعد عدة أيام على الزواج ذهبت خالتي الكبرى إلى بيت أختها العروس للمباركة والزيارة، ثم قامت بفتح الثلاجة لتجدها فارغة إلا من وعاء كبير مملوء بمجدرة البرغل[1] وليس معه أي شيء آخر من لبن أو سلطة أو مخلل ووجدت أن الفقر بادٍ وفي أيامٍ من المفروض بها أن تكون في حال أفضل، فذهبت إلى سيدنا رضي الله عنه وقالت: يا سيدي هذا عبدالقادر فقير جدًّا فقال لها: يا بنتي عبد القادر يعمل ويشتغل ويأتي بالغلة كلها لعندي. وكان معظم ما يأتي به من النقود المعدنية آنئذ يضعها في يد سيدنا لما يعلم من الديون التي تراكمت على سيدنا وهو لايزال يستدين وينفق، ثم قال لها رضي الله عنه: لو تعرفون عبد القادر لاشتريتموه.

وكان والدي في غاية السعادة حين يذكر ما قاله سيدنا في حقه حين أخبروه أنه يقول عنه: لو تعرفونه لاشتريتموه. وهو يعلم أن ما قام به هو رمزي بالنسبة لحجم الدين في ذلك الحين، ولم يكن يذكر هذا الأمر أمام أحد، وعرفته بعد حين من

(١) المجدّرة طبق من مأكولات المشرق العربي تشتهر بها سورية ولبنان والأردن وفلسطين والعراق. مكوناته الأساسية العدس والبرغل.

وفاة سيدنا حينما كانت والدتي سعيدة وممنونة لما قام به والدي وهما يتذاكران العهد الذي كانوا عليه مع سيدنا في حياته».

حضر فترة من الزمن دروس الفقه عند الشيخ محمد أديب حسون -رحمه الله- في جامع الكلتاوية بأمر من السيد النبهان ﷺ.

كان يهنئ نفسه بمعرفة السيد النبهان بعد أن يرى حال الناس وصفاتهم متدينين وغير متدينين فذكر ذلك للسيد النبهان فأقره بهذا الشعور وبهذا الفضل قائلًا: «يا أولادي هنئوا أنفسكم بأن جمعكم الله مع النخبة».

وبقي مصاحبًا له حتى حجّ معه ﷺ عام ١٩٦٥م، ولما ماتت زوجته الأولى قال له سيدنا: «قل الله واركض» ثم زوّجه من إحدى بنات إخوانه الذين وفدوا من مدينة حماة وهي عائلة بارودي، فزوجته هي أخت مأمون بارودي -رحمه الله-، وقال سيدنا لأهلها: «لو تعرفون عبد القادر لاشتريتموه» وكان سيدنا يقول له: «أنت محضر خير».

قال له يومًا وقد عاد من زيارة قبر والدته: يا سيدي! أمي تكلمت معي قالت لي: يا ابني نِعم السير سيرك، فقال سيدنا بقوة: سيري أنا.

كان -رحمه الله- لا تعنيه الدنيا في شيء أبدًا إقبالها وإدبارها سيان تمامًا.

بقي -رحمه الله- ملازمًا الكلتاوية بعد انتقال السيد النبهان ﷺ إلى أن وافته المنية، رحمه الله.

حدثني الشيخ محمود الزين -رحمه الله عنه- قال: «الشيخ عبد القادر رجل صالح صالح، كان يتكلم مع السيد النبهان مشافهة بعد انتقال سيدنا، وكنت أشاهده أنه يعيش في حيرة الدهشة فيتحدث عن الحضرة الإلهية حديث المندهش بعظمة الله -عز وجل- وجوده ورحمته، ويتكلم عن الرسول ﷺ حديث المندهش بعظمة شمائله وأخلاقه، وكذلك يتكلم عن السيد النبهان حديث المندهش».

كان -رحمه الله- أبعد الناس عن الغيبة والنميمة بل عن سماع ذلك.

بعد انتقال السيد النبهان لازم الشيخ عمر عابدين وهو الذي ساعده في الوصول إلى المشاهدة عيانًا للسيد النبهان ﷺ بعد انتقاله وكان عونًا له على السير.

حدثني الشيخ هشام الألوسي قال: «كان للشيخ عبد القادر وقت محدد يوميًّا بين المغرب والعشاء يجلس فيه مقابل الحضرة وظهره إلى سياج المطعم في الكلتاوية، وكان يدخل الحضرة الشريفة ويأخذ من السيد النبهان مباشرة، وأنا ممن خبره في ذلك فلقد طلبت منه أن يسأل السيد الحبيب عن أمر فجاءني بالجواب.

لم يكن للشيخ عبد القادر خوجه وجود مع السيد النبهان بل كان فانيًا، وكنت أعرفه من الطبقة الأولى في الصحبة والمحبة، رأى السيد النبهان بعد انتقاله فقال له: كل شيء على ما هو عليه إلا أنني اختفيت عن الأنظار، وكانت تربطني معه صلة وثيقة وهو من النوادر الذين صحبوا السيد الحبيب، وقد حفظت عنه رؤيته لسيدنا الحبيب في اليقظة وفيها أن سيدنا قال له مرة: «أنتم في بحبوحة الحضرة» وأن سيدنا قال له مرة عن قصيدة (أولو الألباب) «بدنا نطبعها رغم أنف كل منكِر».

كان يقول -رحمه الله-: المائدة دائمًا موضوعة ما رُفعت لا في زمان ولا في مكان فقط أنت شمّر وتفضّل.

كان محبًّا صادقًا متواضعًا رفيقًا كثير البكاء دائم الرابطة مع سيدنا النبهان ﵁، يحرص ألا يغيب عن صلاتي المغرب والعشاء في الكلتاوية، وكان يجلس بين المغرب والعشاء في حجرة سيدنا أمام الضريح جلسة الصلاة لا يتحرك ولا يتزحزح بخشوع وخضوع بين يدي سيدنا ﵁.

من أحواله آخر أيامه -رحمه الله-:

كتب لي ابنه الشيخ محمد: في آخر حياته -رحمه الله- كان يكثر من سماع المذاكرات حتى أهدي له شريط كُتب عليه اللوعة فمكث يسمعه مرارًا وتكرارًا حتى قلت له: لقد حفظته حتى أعلم متى يحرك سيدنا كأس الشاي قال لي: يا ابني كل مرّة أفهم شيئًا جديدًا.

وفي السنوات الثلاث الأخيرة شاءت إرادة الله أن ينزوي تمامًا في بيته فأضحى يصلي في مسجد قريب اختلفت عليه الأنفاس والأشخاص فقلت له: كيف تجد الأمر الآن بعد سنين تعوّدت عليها؟ فقال لي، رحمه الله: في كل السنين كنت أذهب لآخذ حصتي وها هي الآن أصبحت تأتي إليّ.

مرضه ووفاته -رحمه الله-:

اشتد به المرض في أيامه الثلاثة الأخيرة فارتفع الضغط إلى درجات تجاوزت الثلاثين وحملته إلى المستشفى وصحا صباحًا فلما رأى نفسه قد شلّت حركته ولم يعد يقوى على الوقوف رأيته يطلب اللقاء العاجل من الله، ثم راح في غيبوبة وليس حوله أحد سواي، وبين حين وآخر يريد أن يقوم ويهم بالوقوف ويرفع يده اليمنى التي توقفت فكانت ترتفع معه حتى وكأنه يحيّي أحدًا أمامه بشوق ثم يعود لغيبوبته، وكان يسمي مرضه ضغط الدم بضغط المحبة، واشتد به مرض ضغط الدم فأدى إلى نزيف في الدماغ و أجاب دعوة ربه بوجه لا يشك أيّ ناظر أنه يضحك ويبتسم ابتسامة الرضى الكاملة، وكان ذلك عصر يوم الاثنين ١٩ شوال ١٤١٨هـ ١٦ شباط ١٩٩٨م.

مصادر الترجمة:

- الشيخ هشام الألوسي، مراسلة كتابية.
- الدكتورمحمود الزين -رحمه الله- لقاءً مباشرًا.
- الشيخ محمد ابن الحاج عبد القادر خوجه[1]، مراسلة كتابية.

---

(١) الشيخ محمد ابن الحاج عبد القادر خوجه، تخرج في الكلتاوية في العام: (١٩٨٨-١٩٨٩م)

(٣٣) الدكتور عبد القادر العاني

١٣٦٤ - ١٤٣٠هـ/ ١٩٤٥ - ٢٠٠٩م



العالم العامل، والعلم النحرير، والشيخ الكبير والفقيه عبد القادر بن عبد الله بن خلف العاني، من فرع علي يونس في مدينة هيت من عشيرة «دلّة علي» في قضاء عانه في محافظة الأنبار بالعراق. قيل: إنّ نسبهم يرجع إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما لكنه لم يثبت، وأغلب الظن أنهم من الحروبيين.

ولادته ونشأته:

وُلد -رحمه الله تعالى- عام ١٩٤٥م في مدينة هِيت، ووالده الحاج عبد الله صاحب معمل للنجارة في ناحية الحقلانية التابعة للقضاء، كان وجيهًا في قومه معروفًا بتقواه وورعه وغيرته على دين الله تعالى، فعني بولده في صباه وشبابه.

طلبه العلم:

بعد أن أنهى المرحلة الابتدائية عام ١٩٦٢م التحق بالمدرسة الآصفية في الفلوجة، ودرس على شيخها العلامة عبد العزيز بن سالم السامرائي، ثم انتقل إلى مدرسة منورة خاتون في الرمادي عام ١٩٦٥م، ودرس على يد الشيخ الدكتور عبد

الملك السعدي، وفي عام ١٩٦٧م انتقل إلى مدرسة الحضرة القادرية ببغداد، ودرس عند شيخها العلامة عبد الكرسم المدرس المعروف بـ (بياره).

وفي عام ١٩٧٢م التحق بكلية الإمام الأعظم للدراسات الإسلامية في بغداد، وتخرج فيها ونال شهادتها عام ١٩٧٦م.

ثم حصل على الماجستير في الفقه المقارن في كلية الشريعة والقانون-جامعة الأزهر في القاهرة- عام ١٩٨٢م- بتقدير ممتاز.

ثم حصل على الدكتوراه في العلوم الإسلامية في كلية العلوم الإسلامية -جامعة بغداد- عام ١٩٩٦م، بتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها بين الجامعات.

وعنوان رسالته: «العوض في المتلفات الماليّة في الشريعة الإسلاميّة».

وعنده إجازات علمية متعددة من بعض مشايخ العراق كالشيخ عبد الكريم بيارة، رحمه الله.

صلته مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

كان والده قد تعرف على العارف بالله الشيخ محمد النبهان ﵁ الذي ظهر أمره في العراق آنذاك واشتهر في نهاية الخمسينات من القرن الماضي، فتعلق به الحاج عبد الله -رحمه الله- بعد زيارة السيد النبهان الأولى للعراق عام ١٩٦٢م.

ولما أكمل ابنه الشيخ عبد القادر مرحلة الدراسة الثانوية بتفوق سافر به إلى حلب لأول مرة فتعلق الشاب عبد القادر هو الآخر بسيدنا النبهان ﵁ تعلق الرضيع بأمه، وارتدى الجبة والعمامة وتوجه إلى طلب العلم الشرعي، ومن ذلك الوقت تواءم طلبه للعلوم الشرعية في آصفية الفلوجة مع سلوكه الصوفي، فأثار دهشة الناس من حوله حتى صار يشار إليه بالبنان، وكأنه طير الحر بين الطيور، ووجهه يطفح بالنور والسرور، وعليه من المهابة ما لا يخفى على أحد.

لقد انطلق الشيخ عبد القادر صادقًا في وجهته، مندفعًا أشد الاندفاع بالهمة العالية والإتباع.

وهناك سُنّة لا بد أن تصيب كل من يُرزق الصدق والإخلاص لله تعالى تلك هي الابتلاء قال سيدنا النبهان ﷺ: «كل عمل فيه إخلاص لله تعالى فهو متبوع بالابتلاء» فتوجهت إليه السهام من كل صوب وحدب، فلم يبق لديه قريب أو حميم إلا بضعة أفراد تجمعهم به نسبتهم الروحية أو حلقة العلم وإذا بأصدقاء الأمس أعداء، فاعتزلهم ليتحقق بغربته، ويزداد شغفًا وولعًا بمحبته لشيخه ﷺ.

قال ﷺ: «عبد القادر فيه جوهرة».

ووافق الابتلاء تفتحًا في نوافذ بصيرته القلبية ليرى أو يسمع أو يشم من الغيب ما شاء الله قال لي أكثر من مرة: «رأيت سيدنا النبهان ﷺ يقظة مرتين» هذا مع كثرة رؤيته له في الواقعة والمنام.

وأضاف -رحمه الله-: «رأيت يقظة سيدنا الخضر عليه السلام مرة واحدة».

وإذ تلك الجوهرة التي صاغتها العناية الربانية على يد السيد النبهان ﷺ قد أزهرت وأثمرت، وكلما تقدمت الأيام لم يزدد الشيخ عبد القادر إلا وصلًا وقربًا من شيخه ﷺ.

قال صديقه الشيخ هشام الألوسي: «رافقته إلى حلب قبل انتقال سيدنا ﷺ مرتين:

السفرة الأولى:

عام ١٩٧٠م فانطلقنا من الفلوجة تجاه الرطبة إلى سوريا، وصلنا إلى جامع الكلتاوية قبل الفجر بساعة ونصف، وكانت العادة أنهم يفتحون الباب قبل نصف ساعة فجلسنا ومعنا أمتعتنا على عتبة المسجد ولم تمض أكثر من عشرة دقائق حتى أخذ البرد الشديد منا مأخذه ثم سمعنا وقع أقدام من الدرج النازل وفُتح

الباب، فإذا به خادم سيدنا ﵁ الحاج مصطفى سروجي -رحمه الله- يرحب بنا ويدخلنا إلى الضيافة، سألناه كيف عرفت بنا؟ فقال: لقد اتصل بي سيدنا ﵁ بالهاتف.

وكانت لسيدنا ﵁ غدوة إلى المسجد ضحوة كل يوم، فتشرفنا برؤيته والجلوس بين يديه، وقد ضم المجلس جمعًا من إخواننا الحلبيين والعراقيين، فيهم الشيخ عابد صالح الحماشي العاني وثلاثة من طلبة العلم في مدرسة الرطبة الشرعية بالعراق، لم يكن للشيخ عبد القادر وجود بين يدي شيخه، رأسه مطرق على قدمه ولم يبادر بكلمة أو سؤال، فتحدث سيدنا ﵁ وهو متألم من موقف علماء العراق الذين لم يناصروا الشيخ عبد العزيز البدري[1] -رحمه الله- ولم يثأروا له بعد استشهاده على أيدي الظلمة.

السفرة الثانية:

كانت في شهر آب عام ١٩٧٤م وكان معي في هذه السفرة أخي حاتم الألوسي إضافة إلى الشيخ ناظم نجيب الأشعب مدير مدرسة الكرابلة الشرعية، والشيخ محمد حمادي الراوي، والشيخ عبد الكريم حردان حادي العلواني[2]، وآخرون غيرهم، وكانت تلك السفرة خلاصة أسفارنا وأجملها إذ تشرفنا بمجالسته كثيرًا، وتمتعنا بمرافقته بزيارةٍ معه إلى سبعة من القرى التي ينتشر فيها محبوه وأتباعه أذكر منها: «أم الكَراميل، والسكرية، والمليحية». ففي يوم الأربعاء الموافق للخامس والعشرين من رجب الخير عام ألف وثلاث مئة وأربع وتسعين للهجرة نودي على العراقيين في الكلتاوية ليصحبوا الحبيب إلى أرياف حلب، فشمل الكرم النبهاني العبد الفقير هشام وكلًّا من الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، والشيخ ناظم نجيب

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٢٨).
(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٣٥).

الأشعب، والشيخ محمد حمادي الراوي، وأخي حاتم عبد الكريم الألوسي، والأخ ياسين الصغير، وبقي في المسجد الشيخ عبد الكريم حردان حادي العلواني، والشيخ رافع لا بد الراوي، وركب سيدنا والبقية خلفه في سيارة الحاج حسن دانيال -رحمه الله-، وانطلق إلى قرية المليحية، والأناشيد ما فارقت حناجرنا مع الحبيب، واستقبل أهل القرية سيدنا بحفاوة عظيمة، ثم تقدم الركب إلى قرية أخرى، فأفطرنا على شواء لحم وبصل، فقال حبيبنا: أنا أحب اللحم، حتى إذا فرغنا من الطعام بادر الشيخ عبد القادر عبد الله العاني يسأل سيدنا الحبيب، والشيخ عبد القادر من نوادر العلماء بشتى العلوم.

فقال: سيدي هل صفات الله تعالى هي عين الذات أم لا هي هي ولا غيرها؟

فأجاب ﵁: لاهي هي ولا غيرها.

سيدي: هل لقمان نبي أم لا؟

فسكت سيدنا لحظات، فتابع أخونا بالسؤال قائلًا: إذا لم يحل جنابكم هذا الإشكال فمن يحله؟!

فقال حبيبنا: أنا عندي لقمان نبي.

سيدي: هل ذو القرنين نبي أم رسول؟

فأجاب ﵁: سيدنا ذو القرنين نبي ورسول.

ثم جيء بكاسات الشاي، فشرب من واحدة، فناولني إياها، فرشفت منها وناولتها إخواني واحدًا فالآخر، فشرب الجميع، فناولني ثانية، فآثرت بها إخواني فشرب كلهم رشفة رشفة، والحمد لله، ثم نهض الحبيب، وركبنا خلفه والإنشاد والذكر وأنفاسه فينا، ولا حد لفرحنا بحضرته، ثم اتجه ﵁ إلى أم الكراميل، وأهل القرية بمن فيهم الحاج موسى وغيره لا توصف بهجتهم، لكنه لم يتوقف فيها كثيرًا، بل اكتفى ﵁ باختراق الطريق بين البيوت مشيًا، ونحن خلفه، والناس

ترقب بلهف وشغف، وهو يلحظهم ويبادر بالتحية أو يجيب، والكوكب السيار يشع نورًا ويتهلل سرورًا، لله دره ما أحلاه! وما أجمله!

رجعنا في سيّارة أخينا الحاج حسن دانيال الحلبي -رحمه الله- وطريقنا بين قرية وأخرى ترابي لا يتسع لأكثر من سيارة واحدة تعترضه سواقي الماء وتحيط به الأراضي المحروثة المهيأة للبذار نزلنا من السيارة أكثر من خمس مرات لتجاوز السواقي وسيّدنا لا ينزل منها، ومع أن عددنا سبعة أشخاص معه ﵁ لا نتمكن من دفعها إلا إذا أذن وأدخلها السائق في أرض محروثة مرتين ونحن ننشد مع سيدنا ﵁ «محمولة كل الأكوان محمولة...» وسيدنا ﵁ يكرر: «أتيناكم أتيناكم» كأنه يخاطب عالمًا آخر.

رجعنا إلى حلب قبيل العصر بدقائق وتناولنا طعام الغداء في الكلتاوية من بيته ﵁ وما كنا نعلم أن تلك السفرة توديع لأهل القرى، ثم حضرنا معه ﵁ عقد قران، وأكرمنا الله تعالى بآخر حلقة ذكر أقامها ﵁ في الكلتاوية قبل أسبوع واحد من انتقاله ﵁ سافرت إلى العراق يوم السبت وبقي الشيخ عبد القادر ومن معه بلغني برواية الشيخ ظافر صبحي باقر العبيدي أن سيدنا ﵁ أجلسه على سريره إلى جنبه وقال له ﵁: «يا ولدي إني أحبك اطلب ما تريد»

فأجابه: لا أريد إلا رضاك فابتسم ﵁.

ورجع الشيخ عبد القادر إلى العراق وانتقل سيدنا ﵁ في السادس من شعبان سنة ١٣٩٤هـ السبت الثاني بعد سفري الموافق ٢٤ اب ١٩٧٤م وهو راضٍ عنه، والحمد لله رب العالمين.

لقد ودّع الشيخ عبد القادر شيخه ﵁ وما زال على عهده الأول معه وشغفه به فإذا سئل عنه قال: «ما رأيت شيخًا مثله أو ما رأيت له مثيلًا، إنه محيّر ولم يعرفه إلا القليل».

وتلك الكلمات قريبة من قول سيدنا النبهان ﵁ عن نفسه: «لم يعرفني إلا القليل من الأكابر، الأموات عرفوني من العلامة التي بيني وبين رسول الله ﷺ».

لكن الفترة التي بدأت بعزلته عن الناس وتسلط الناس عليه قد أعقبتها فترة أخرى مليئة بإجلال أهل العلم والفضل له أينما نزل وحيثما حلّ أو ارتحل سواء كان في العراق أو في الكويت أو في مصر أو في سوريا أو في الأردن أو اليمن.

ومن عجيب أمره أنه لحسن معاشرته ومحبة الخلق له أن ينسب إلى المدن التي أمضى فيها مدة من الزمن، فهو في مدن العراق في عانه عاني، وفي حديثة حديثي وفي هيت هيتي، وفي الفلوجة فلوجي، وفي بغداد بغدادي بل رأيت في إحدى التراجم عنه أنه أردني.

ولقد بلغ الصدارة بفنون الشريعة واللغة وتجاوز إلى علم بالفرق والحركات الإسلامية القديمة والمعاصرة.

وأكرمه الله تعالى بالسعة والرحمة لكل من يتعرف عليه بعيدًا عن الحزبية والعصبية والطائفية، يخدم بقوله وعمله، يحب الصحابة كلهم، ويحترم المنسوبين لآل بيت النبوة الأطهار ويجلّهم.

ولا يفوتنا أن نذكر أن للشيخ عبد القادر أصدقاء عرفوا بالولاية منهم: الحاج صبري النعيمي في بغداد، والشيخ علي النعيمي في الموصل، والشيخ الصوفي علي الصعيدي في صعيد مصر وغيرهم، وله مع كل واحد من هؤلاء جولة.

حدثنا الشيخ ظافر صبحي باقر العبيدي الذي صحبه في حلب وعمان وأخذ عنه ما شاء الله من العلوم قال: كثيرًا ما نرى الشيخ مهمومًا فإذا أردنا تفريج همّه وزوال كربه قلنا له: أعطنا درسًا وما إن يبدأ درسه حتى زال عنه الهم والغم، وإن أحد علماء العراق هناك قال له: لماذا لا تتعين مدرسًا في إحدى الجامعات؟! فأجابه: إن حضرة النبي ﷺ لا يرضى. وكان كثيرَ الرؤية في المنام للرسول ﷺ.

ويتابع الشيخ حديثه عنه فيقول: حدثنا الشيخ عبد القادر العاني -رحمه الله- عن علاقته بالأولياء الذين التقى بهم فكلما دخل على واحد سأله: ما علاقتك بالسيد النبهان رضي الله عنه؟ فيجيبه: هو شيخي ولكن من أعلمك بذلك فيرد عليه ذلك الولي: إنه قد دخل معك وهو الآن معك.

وأضاف أنه حين التقى بالشيخ علي الصعيدي في مصر عام ١٩٨١م فسأله نفس السؤال فأجابه نفس الجواب وأباح له بأسرار وطلب مني ألاّ أتحدث بها إلا بعد وفاته وتاريخ حديثه معه بعد ستة أشهر من ابتداء الحرب الإيرانية العراقية أيام صدام حسين مما دعاني أن أسأله الدعاء بانتهاء الحرب فقال: انس هذه لا تنتهي بأشهر وإنما بعد سنوات فقلت له: وماذا بعد ذلك؟ قال وبعد ذلك يمر عليكم من السلام وقت قصير جدًّا ثم يحتل العراق الكويت، ثم تأتيكم جيوش الأرض فيخرجونكم بالقوة، ثم يكون عليكم حصار لا مثيل له في التاريخ ولا ينتهي ما زال صاحبكم في الحكم وبعد مدة طويلة من الحصار تغزوكم أمريكا وجيوش الغرب من جديد فيعزل صدام ويحاكم ثم تعقبها حرب طائفية لكنها لن تطول وسيجعلك الله سببًا في الصلح بين السنة والشيعة والأكراد (فحصل ذلك لطيلة سنة من حياته يعمل في عمّان بين المتخاصمين) لتأليف القلوب ثم يأتي أناس يحكمون فترات قصيرة، بعد ذلك يحكم رجل (طويل ملّون العينين) عادل جدًّا منصف جدًّا فقلت له من أين لك هذا الوصف؟ فقال هو الآن أمامي فإذا حكم هذا الرجل يتمنى كل رجل على وجه الأرض أن تكون له جنسية عراقية للخير الذي سيكون في العراق».

من شيوخه:

الشيخ عبد الكريم الدبان، وشيخنا عبد الكريم المدرّس، الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي، والشيخ عبد العزيز البدري، والدكتور عبد الملك السعدي، والدكتور محمّد رمضان عبد الله.



من اليمين: الشيخ عبد القادر، ثم شيخه الشيخ عبد الكريم بيارة (رحمهما الله)

آثاره العلمية:

- تحقيق كتاب «خبايا الزوايا» للإمام الزركشي المشتمل على المسائل التي ذكرها الإمامان الرافعي والنووي في فتح العزيز والروضة في غير مواضعها في ٦١٢ مسألة طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت رسالة ماجستير.
- اشترك في تحرير الجزأين الأول والثاني من كتاب البحر المحيط في أصول الفقه للإمام الزركشي طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.
- العوض في المتلفات المالية في الفقه الإسلامي «رسالة دكتوراه».
- كتب للموسوعة الفقهية في الكويت بحوثًا عدة نذكر منها على سبيل المثال بحث (توسل) و(تيمم) و(تعدي) و(تعويض) وغير ذلك.
- بنية المسلم الأخلاقية.
- مسائل في فقه المرأة.
- أدب الحوار وقواعده.
- العلم الشرعي وأقسامه.
- أحكام الأسير في الإسلام.

- حقوق الوالدين وذوي الأرحام.
- آداب العالم والمتعلم.
- حقوق المسلم.
- المفتي والمستفتي.

نشاطاته وعمله الدعوي:

- إمام وخطيب في جامع الشيخ محمود مهاوش الكبيسي في بغداد من عام ١٩٦٨م إلى عام ١٩٧٢م.
- إمام وخطيب جامع الشهداء في أم الطبول، بغداد من عام ١٩٧٣م إلى عام ١٩٨٠م.
- باحث في الموسوعة الفقهية في الكويت من عام ١٩٨٢م إلى ١٩٩٠م. وكان عمله فيها كتابة البحوث الأصيلة والفرعية مع تكملة بعض البحوث، وفي لجنة التحضير المطبعي في الموسوعة.
- عضو لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت من عام ١٩٨٣م إلى ١٩٩٠م.
- محاضر في الجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٩٩٣/ ١٩٩٤م في العلوم الآتية: أصول الفقه، العقيدة الإسلامية، التصوف.
- محاضر في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد من العام الدراسي ١٩٩٣ /١٩٩٤م إلى عام ١٩٩٦م / ١٩٩٧م في العلوم الآتية: علم الحديث، والفقه الحنفي، والتصوف، وأصول الفقه، وفقه المعاملات، وفقه الجنايات.
- محاضر في كل من: كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد وكلية إعداد الأئمة والخطباء والجامعة الإسلامية (جامعة صدام للعلوم الإسلامية سابقًا) من العام الدراسي ١٩٩٨م / ١٩٩٩م إلى العام الدراسي٢٠٠٢ / ٢٠٠٣م لمرحلة الدراسات

العليا (الماجستير والدكتوراه) في العلوم الآتية: التفسير، آيات الأحكام، الفقه المقارن، أصول فقه، الاقتصاد الإسلامي، التصوف، الفرق الإسلامية.

- محاضر في الجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٩٩٧ / ١٩٩٨م في العلوم الآتية: الفقه المقارن، توفسير آيات الأحكام.
- الإشراف على الرسائل العلمية للماجستير في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد وكلية إعداد الأئمة والخطباء والجامعة الإسلامية.
- مناقشة الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد وكلية إعداد الأئمة والخطباء والجامعة الإسلامية بما يزيد على ٣٠ رسالة.
- المستشار الشرعي للمصرف الإسلامي العراقي، بغداد.
- عضو في هيئة كبار العلماء في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد (هيئة استثمار الوقف السني).
- الاشتراك في المؤتمرات والندوات الفقهية العديدة في الكويت والسعودية والعراق.
- محاضر في العديد من المساجد في محافظتي بغداد والأنبار.
- مدرس في الحضرة القادرية للفقه وأصول الفقه والتصوف والنحو والصرف والمنطق وعلم الكلام والبحث والمناظرة.
- تدريس الطلاب على طريقة المشايخ في أماكن متفرقة.

الكتب التي درّسها:

١- في اللغة العربية: شرح قطر الندى لابن هشام، شرح الأشموني على الفية ابن مالك.

٢- في المنطق: شرح السلم للملوي.

٣- البحث والمناظرة: البحث والمناظرة لعبد الرحمن حبنكة.

٤- الفقه الشافعي: كفاية الأخيار، وشرح المحلي على المنهاج بحاشيتي قليوبي وعميرة، ونهاية المحتاج للرملي شرح المنهاج للنووي.
٥- الفقه الحنفي: مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر، الدر المختار بحاشية ابن عابدين.
٦- قواعد الفقه: الأشباه والنظائر للسيوطي وشرح الحموي على الأشباه والنظائر لابن نجيم.
٧- أصول الفقه: أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبه الزحيلي، والبحر المحيط للزركشي.
٨- الفقه المقارن: مباحث من المغني لابن قدامة.
٩- التصوف: شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، وعوارف المعارف للسهروردي.
١٠- التفسير: تفسير النسفي.
١١- آيات الأحكام: مسائل من تفسير القرطبي.
١٢- الفرق الإسلامية: للدكتور عبد الحليم محمود.

- ترأس بعثة الحجّ العراقيّة الرسميّة أيّام الرئيس العراقيّ السابق صدام حسين، وشارك في أعمال وزارة الأوقاف بعدّة مناصب رسميّة، ولكنّه كان يُشارك أكثر بصفة شعبيّة وودّيّة.
- كما عمل مستشارًا في منظّمة المؤتمر الإسلاميّ الشعبيّ لسنوات طوال.
- عمل أمينًا عامًّا لمجلس الإفتاء العراقي، من حين تأسيسه عام ٢٠٠٤ إلى حين انتقاله.

أسّس مع مجموعة من علماء العراق جمعيّة علماء ومثقّفي العراق بعد الاحتلال عام ٢٠٠٥م.

هجرته:

بعد أن آذاه الاحتلال وأذنابه هاجر من العراق بعد أن تعرّض لعدّة محاولات اغتيال أصيب خلالها منزله بالهدم، ونجّاه الله، فأقام عامًا في حلب ثم استقر به المقام في الأردن فأصبح بيته مدرسة يختلف إليها العلماء من الأردن وسوريا ومصر والعراق واليمن ومع هذا العلم الواسع والمعرفة النادرة فإنه لم يخرج عن دائرة شيخه ومربيه سيدنا محمد النبهان ﵁ فلا يُسأل عنه إلا وقال: لم أرَ مثله وإنه محير لكل من رآه.

ولا بد من الإشارة هنا أن الشيخ جمال عبد الكريم الدبّان قد خلَف الشيخ عبد القادر بمنصب الأمانة العليا للإفتاء في العراق فأمضى فيها سنتين ووافاه الأجل في تكريت -رحمه الله، آنسه الله- ثم انتخب من بعد الشيخ الدكتور رافع العاني لمنصب مفتي الديار العراقية.

مرضه ووفاته:



توفي الشيخ عبد القادر العاني في المستشفى التخصصي في العاصمة الأردنية ضحوة يوم السبت ٧ محرم ١٤٣١هـ الموافق ٢٤ تشرين الأول ٢٠٠٩م وشيع جثمانه الطاهر في ٢٥ تشرين الأول ٢٠٠٩م إلى مدينة هيت في العراق في مقبرة (آل علي يونس العاني) شمال غرب هيت بثلاث كيلو مترات.

وأقيمت على روحه مآتم في هيت وبغداد وكربلاء وغيرها وألقيت فيها الخطب والأشعار، رحمه الله وآنسه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كتب لي عنه أخوه في الله العلاّمة الشيخ جمال شاكر النزال:

«عرفت أخي الشيخ عبد القادر عبد الله الخلف منذ أن قدم لدراسة العلم عند الشيخ عبد العزيز السامرائي -رحمه الله تعالى- وأنا وقتها كنت طالبًا عند الشيخ عبد العزيز في المدرسة الآصفية بجامع الفلوجة الكبير حيث قدم هو ووالده -رحمهم الله جميعًا- وقد رأيت على محياه الرجولة والشهامة..

كان -رحمه الله- يرغب بدراسة العلم الشرعي أشد الرغبة، وأحب أن يدخل هذا المضمار بعد الدراسة المتوسطة إلا أنه أتم الدراسة الإعدادية امتثالًا لرغبة والده، ثم دخل الدراسة الشرعية، وبدأت علاقتي به من أيامه الأولى في طلب العلم.

كان والده -رحمه الله- الحاج عبد الله الخلف محبًّا للأولياء والعلماء، وكان من محبي سيدنا النبهان ﵁ وله محبة وشوق لهذه الشخصية المحمدية، كما كانت له صحبة مع الأولياء وتربطه بالشيخ عبد العزيز مودة.

كنت أنا قد دخلت الدراسة الشرعية قبل مجيئي إلى الشيخ عبد العزيز بما يقارب السنتين وقد ربطتنا علاقة منذ أن دخل العلم، وقد توجه بكليته لتلقي العلم ولمست ذلك منه خلال معايشتي له.

وما إن قدم سيدنا النبهان ﵁ وتشرفنا بطلعته وتنورت الفلوجة وجامعها الكبير بإشراق هذه الشخصية المحمدية فما إن لحظته عيوننا حتى أشرقت منه في القلوب محبة ومن شخصيته وهيبته همة، فتوجهنا نحو هذه الشخصية المحمدية، وبدا لدينا التطلع للسير على طريق القوم.

وكان ممن توقدت في قلبه محبة هذه الشخصية والتطلع للاقتداء بها هو أخي في الله الشيخ عبد القادر عبد الله، فشدّ الرحال ضمن جموع أهالي العراق التي هاجرت وارتحلت للنيل من فيوضات وارث رسول الله ﷺ.

وقد كانت له سفرات ورحلات إلى حلب الشهباء، وكل سفرة تزيده حكمة وهمة.

وبعد مدة ارتحلت أنا إلى بغداد إلى الحضرة القادرية لإتمام تلقي العلم الشرعي لدى حضرة العلامة الشيخ عبد الكريم بيارة -رحمه الله- امتثالًا لأمر سيدي النبهان ﵁ حيث أمرني بإكمال علمي عنده وقال لي عنه: «عالم كبير تكمل علمك عنده».

وبينما أنا في رياض الحضرة القادرية وإذا بي أتفاجأ بأخي عبد القادر -رحمه الله- قادمًا إلي وقال لي: يا أخي يا جمال إني ذهبت إلى حضرة سيدنا النبهان وطلبت منه المؤاخاة معك وإكمال دراستي عند الشيخ عبد الكريم بيارة وأردف قائلًا لي: [وإن طلب الأعلى والأهم من سيدي النبهان هو المؤاخاة معك بالسير والسلوك] وقد أدى حضرة سيدنا النبهان الاستخارة لهذا الأمر وبشرني ﵁ بحسنها ومنفعتها، وها أنا قد أخبرتك الأمر.

فابتهجت لهذا الأمر وتلازمنا أخوين في الله تعالى تحاببنا به وامتثلنا أمر سيدنا النبهان ﵁ بمؤاخاتنا.

وهذا الأمر (المؤاخاة) هو إحياء لسنة المؤاخاة التي عملها نبينا الأعظم ﷺ بين أصحابه رضوان الله عليهم.

وبهذا أحب أن أشير إلى حرص سيدنا النبهان ﵁ على ألا يترك أدبًا أو عملًا من أعمال جده ونبيه ﷺ إلا وأداه بعلو همة وسجية حال من غير تكلف يشهد بهذا كل من عرفه وعايشه وكان يقول ﵁ عن المؤاخاة في الله: «الأخ في الله الصادق هو الركن الركين بالسير والسلوك بعد المرجع».

واستمرت مؤاخاتنا وطلبنا للعلم في الحضرة القادرية والتلمذة عند الشيخ عبد الكريم بيارة، طيب الله ثراه.

وكان حالنا على النحو التالي:

١- تلقي العلم من الشيخ بشتى تفرعاته ودرسنا معية عدة كتب وعلوم منها على سبيل الذكر (جمع الجوامع، المستصفى، مختصر المعاني، شرح المنهج، البحث والمناظرة، شرح النسفية للتفتازاني) إضافة إلى الكثير والكثير من العلوم وأمهات الكتب.

٢- المذاكرة ومحاسبة النفس على الدوام وبشكل يومي.

أما بالسير والسلوك فكنا نمتثل أمر سيدنا النبهان ﷺ فنبادر إلى النوم بعد صلاة العشاء بساعة، ونستيقظ من منتصف الليل نتوضأ ونصلي ركعتي التهجد ونبدأ بمراجعة دروسنا والتدارس امتثالًا لأمر سيدنا النبهان حيث يقول:

«طالب العلم ورده العلم، العلم الخالص لله تعالى لا للمعاش ومن طلب العلم ليعيش به فلا عيشه الله».

وكنا نتدارس حتى طلوع الشمس، ولازمنا صيام الدهر حيث كنا لانفطر إلا أيام العيدين وتقشفنا بالأكل تقشفًا شديدًا لا نأكل إلا التمر والزيت والخبز.

وبعد مدة تقاربت من السنتين أو نيف ذلك ذهب -رحمه الله- إلى إتمام الدراسة الأكاديمية وأكمل الدكتوراه وبقيت أنا في تلقي العلم عند الشيخ عبد الكريم بيارة -رحمه الله- حيث امتثلت أمر سيدي النبهان حيث منعني أنا من الذهاب لإكمال دراسة الدكتوراه.

وبقي حبل المودة بيني وبينه مستمرًّا رغم سنيّ الفراق التي غابها عن بلدنا العراق وبتلك السنين كان كله عطاءً ونشرًا للعلم وعمل ضمن الموسوعة الفقهية الكويتية عدة سنوات.

وما إن عاد إلى العراق حتى وجدته لا يزال ذلك الأخ وتلك الهمة العالية وتلك المحبة المتوقدة لأهل الله تعالى ولأوليائه.

وفي عام ٢٠٠٧ م زارني في بيتي بحلب الشهباء وذهبنا صحبة إلى الكلتاوية البهية حيث الحضرة النبهانية العلية، وجال بأذهاننا تلك اللحظات والأنوار، فتذاكرنا أيام زياراتنا لسيدنا النبهان، وتلقينا التوجيهات والإرشاد من لدن سيدنا ﵁.

وقد وافت المنية أخي الفاضل العلم النحرير والشيخ الكبير الدكتور عبد القادر عبد الله الخلف في بلد الغربة بالعاصمة الأردنية عمان وعهدي به هو ذلك العالم النحرير والبحر الكبير الرجل التقي المحب لأهل الله تعالى

وكان مهتمًا ومتفانيًا بشأن بلدنا العراق ومآله وما وقع عليه من ظلم وجور جامعًا قواه محاولًا بكل ما أوتي من جهد أن يعمل بروح إسلامية لإنقاذ بلدنا والحفاظ على وحدته أرضًا وشعبًا.

وقد ووري جثمانه الثرى بعد أن نقل إلى العراق في مدينة هيت بمحافظة الأنبار، ألا فرحمك الله وطيب ثراك وجعل قبرك روضة من رياض الجنان وحشرنا وإياك تحت لواء سيدنا محمد ﷺ».

مصادر الترجمة:

- الشيخ جمال شاكر النزال، والشيخ هشام الألوسي، مراسلة كتابية.
- «تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر» (٤١٥).

ملف مسموع:

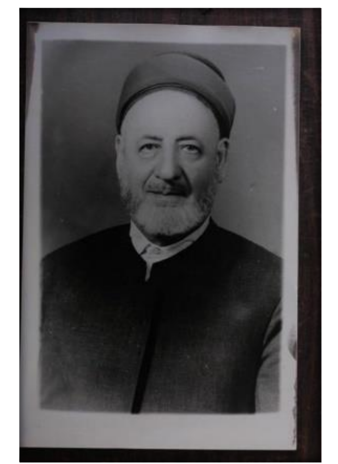
لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

كلمات للشيخ عبد القادر العاني عن طلب العلم.



(٣٤) الشيخ عبد الكريم الألوسي[١]

١٣٥٣ - ١٤٠٤هـ/ ١٩٠٠ - ١٩٨٠م



اسمه ونسبه:

واعظ عشائر قضاء الفلوجة في العراق، الشيخ عبد الكريم بن عبد الوهاب بن عبد الغني بن عبد اللطيف بن الشيخ عبد الواحد بن محمّد بن أحمد بن علي بن الشيخ عبد القادر الطيار الحموي من ذرّية الشيخ عبد الرزاق بن سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، ووالدته حبيبة بنت عبد المطّلب بن الشيخ عبد الواحد، وبه يلتقي نسب أمه بأبيه، فهو حسني الأبوين.

ولادته ونشأته:

يقول ولده الشيخ هشام الألوسي: ولد والدي عام ١٩٠٠م في آلوس بالعراق، وآلوس هذه جزيرة في أعالي الفرات، بين مدينتي هيت وحديثة وللثانية أقرب، ويرجع تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الإسلام، وهي بالفارسية: كمين السلاح، طولها ميل وعرضها بنصفه، يلحظها الناظر جنة خضراء، يحتضنها الماء، وهي بمظهرها الخلاب ومنظرها الجذاب قد اتّسقت كالهلال، سفينةٌ ومسجدها

(١) كتبها ولده الشيخ هشام عبد الكريم الألوسي، ونشرها في «السيد النبهان» ط٣ (١: ٣٠٩).

كالصواري، ملجأ للزهّاد، وخلوة للعبّاد، ونـزهة للقلوب والأرواح، يقصدها السيّاح من كل فج، ويرتادها المكروبون والمرضى، لعل همومهم تذهب وعناءهم يُمحى ببركة من فيها من أولياء، كالشيخ عبد القادر الطيار، والشيخ عبد الواحد آل الطيار، والشيخ الحاج مصطفى الجيلاني، وغير هؤلاء.

دراسته:

أدخله والده جدي-رحمه الله تعالى- في زمرة المتعلمين للقرآن الكريم، فتلقى التجويد والتلاوة في مدرسة الملاّ محمّد عيسى الحسيني المشهداني، ثمّ تابع دراسته في العلوم الشرعية والعربية فدرس على الشيخ التقي الورع محمّد سعيد بن ملاّ علي الخطيب الآلوسي، الّذي أخذ عنه أكثر من في تلك الناحية علومهم وقتئذٍ، فنال حظه وقسطه لاسيّما في القرآن الكريم والحديث والنحو والفقه الشافعي والمواريث والسيرة النبوية، وأكمل دراسته في دواوين آلوس.

فقويت علميته وتنوعت، حتى أصبح -رحمه الله تعالى- موسوعة علوم ومواعظ وسير وأمثال وأشعار، مع كونه أحد المراجع المهمّة في أنساب آل البيت الأطهار خاصة والناس عامة، يقصده الناس للفتوى والتبرُّك والرقية وحل الخصومات.

من صفاته:

وللوالد -رحمه الله- شخصية متميزة، ووجاهة، حباه الله تعالى حسن الخَلق والخُلق، وسلامة الصدر، وقوّة المنطق، وصلابة الوقوف مع الحق، كما وهبه الله تعالى فراسةً صادقةً، وميزانًا في تقويم الرجال، ولباسه -رحمه الله- الجبة والعمامة الخضراء شعار آل بيت النبيّ ﷺ.

عمله:

كان -رحمه الله تعالى- مزارعًا، له بعض البساتين، إلاّ أنّ بعض الأخيار حبّب إليه الوظيفة ليخدم دين الله تعالى في إحدى الجهات، وعيّن في١٧ ذو الحجة ١٣٧٧هـ

واعظًا سيّارًا في الرَّحَالية(١)، ثمّ مرّت بضع سنوات فارتحل بأهله إلى مدينة الفلوجة في ٧ رجب ١٣٨٢هـ ونقل بعدها إلى وظيفة واعظ عشائر قضاء الفلوجة ثم استقر أمره في السنين الأخيرة إمامًا في جامع سيدنا أبي عبيدة في الفلوجة.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ:

وفي الفلوجة هو أحد جلساء الولي الشيخ محمّد عبد الله الفياض، والشيخ عبد العزيز سالم السامرائي، والعبد الصالح الحاج عبيد عبد الله دريع الكبيسي، وهم خيرة أهل المدينة، فتأثّر بمجالسهم، وأرشده الشيخ الفياض إلى سيدنا النّبهان ﷺ فعقد نيته للسفر إلى حلب ليحظى برؤيته ويتشرّف بالانتساب إلى طريقته.

رافقته في السيارة من الفلوجة إلى بغداد في ٢١ محرم ١٣٨٧هـ ليبدأ سفره من هناك بحافلة تابعة لشركة الاقتصاد، وفي ساحة المتحف وقبل أن تتحرك الحافلة ولعلمي بأن سيدنا ﷺ قلّما يدع وافدًا عليه دون امتحان فقد ألهمني الله تعالى تذكيره، فقلت له: يا والدي، ربما تمتَحَن فكن على حذر! وأرجو أن ترجع وأنت ناجح، فقال، رحمه الله: يا ولدي، إن شاء الله سأنجح في الامتحان.

حدّثني -رحمه الله تعالى- قائلًا: وصلنا مدينة دمشق، وركبنا في سيارة ثانية إلى حلب، ورافقنا مطر غزير حتى إذا وصلنا حماة سلكنا طريق أريحا حلب ووصلنا جبل الأربعين كان المطر على أشدّه، ونـزلنا في وادٍ عميق أعاق سيرنا وانطفأ محرّك سيارتنا التي تحمل خمسة أشخاص، وخشية أن يجرفنا السيل العرم الّذي كاد أن يقتلع السيارة، خرجت مع اثنين معي، أما أنا فقد تمسّكت بأحد أعمدّة الهاتف، في وقت بدأ الحالوب -وهو البرد- يتساقط كأنّه البيض ما عهدت له مثيلًا في حياتي! وبلغ الماء منتصف صدري، وكانت معي أمانة كادت أن تضيع لولا كونها في محفظة بلاستيك ودبّ إليّ اليأس وأيقنت بالهلاك وصرت أصرخ وأنا

(١) الرحالية هي مدينة عراقية تقع غربي بحيرة الرزازة وتتبع إداريًّا لمحافظة الأنبار.

بوحشة الخوف والظلام والغربة: يا غوث، يا غوث، أنا قاصد رجلًا من الصالحين، وأنشدت باضطرار:

أيدركني ضَيْمٌ وأنتَ ذخيرتي وأُظْلَمُ في الدنيا وأنتَ نَصِيري
وعارٌ على راعي الحِمَى وهو في الحِمَى إذا ضَاعَ في البَيْدا عِقَال بَعِيري

فحفظت العمامة رأسي، ومضت ساعة أو أكثر، فخفّ المطر ثمّ توقف، فخطوتُ صوب السيارة وفقدت مداسي، وإذا بسائق السيارة يقول: أخونا العراقي حي!؟ وتناولت حقيبتي فأخرجت بعض ملابسي واستترت، وفقدنا اثنين ممّن معنا قد جرفهما السيل، ثمَّ وصلتنا عربة إنقاذ حكومية فأخذتنا إلى حلب، وكانت الساعة الواحدة ليلًا، فلجأت إلى أحد الفنادق، وأسلمت للعاملين ملابسي فتعهّدوا تنشيفها وكيّها، حتى إذا أصبح الصباح أوصلتني سيارة إلى باب الحديد فمقدّمة الدرج الصاعد إلى الكلتاوية، فاستقبلني شخص قال: أنت ضيف سيدنا؟ قلت: نعم، فحمل أمتعتي حتى أدخلني المسجد، ومع أنّها زيارة لأول مرة فقد عرفني خادم سيدنا: الحاج مصطفى سروجي -رحمه الله- وقال لي: أنت أبو هشام؟ قلت: نعم، ثمّ رحّب بي وقدّم لي طعام الإفطار، فأكلت وتضلّعت ثمّ رجوته أن يعرّفني على سيدنا ﵁ فدخلت عليه وكان ﵁ في مجلس مذاكراته: فإذا به ﵁ كالشمس لا يخفى على أحد، ونهض يستقبلني ويقول: أهلين وسهلين، أهلين وسهلين ثمّ شبكني وقال: أحبّك حبين: حب الإسلام وحب آل البيت، أآذاك المطر؟ أين بتّ البارحة؟ أنت كثيرًا كنت تصيح: يا غوث يا غوث أغثني يا غوث، أنا قاصد رجلًا من الصالحين وكلمات معها، قلها قلها، أيدركني ضيمٌ.

فذكرت له قصتي وهو عالم بها وكرّرت البيتين اللّذين كنت أردّدهما، فقال ﵁: «لا يرتضون العار، ولا تكن حبّابًا للدنيا، لأن حبّاب الدنيا لا يغيثه الله كل يوم، وأثناء جلستي قلت في نفسي مستذكرًا الإفطار الشهي الذي قدمه لي خادمه:

سيدي أنا ما جئت للأواني بل للمعاني، فكاشفني ﷺ بها وقال لي: مرحبًا بك للمعاني والأواني».

تلك الحادثة صنعت من الوالد -رحمه الله- إنسانًا جديدًا، بعد أن نجح في الامتحان، وبقي هناك عدة أيام، شهد فيها جوانب أخرى تعرّضت لبعضها في بحث: «الصوفي المجاهد».

ودعاه ﷺ لجلسة خاصة في بيته بعد الفجر، فلما نـزل من المسجد إلى باب الدار انفتح الباب أمامه، فخرج ﷺ من داخل البيت قائلًا: أهلين وسهلين، من فتح لكم الباب من فتح لكم الباب؟ قال: سيدي لم يفتحه أحد، بل فتحته بركاتُكم.

ورجع من حلب بالدهشة، بعد أن أجازه ﷺ بإقامة حلقة للذكر، والرقية بالفاتحة على كل مصاب وفي جعبته أجوبة على أسئلة منها:

السؤال الأول: ما هو علاج حب الدنيا؟

أجابه ﷺ: حب الصالحين، وصحبة الصادقين.

السؤال الثاني: هل الهدية على الرقية حلال أم حرام؟

أجابه ﷺ: حلال.

السؤال الثالث: لديّ بنات في المدارس هل أبقيهنّ في المدرسة؟

أجابه ﷺ بالموافقة على بقائهنّ واشترط الالتزام بحجاب الوجه، وأن يصلين التهجّد.

السؤال الرابع: ما هو علاج الغيبة؟

أجابه ﷺ: أكل الحلال، فالّذي يتغذّى من الحلال لا يغتاب الناس.

السؤال الخامس: أرجو أن تجعلوا لنا رابطة بكم في الفلوجة، نتلقى فيها نصيحتكم وتوجيهاتكم.

أجابه ﵁: في الأمور الروحية الحاج محمّد الفياض، وفي الأمور الشرعية ولده خليل.

قال والدي -رحمه الله-: وفي الجلسة الخاصّة قام ﵁ فقمت، فقال لي: أحبك يا سيد واحدة حب الإسلام، والثانية لنسبك.

ولما رجع -رحمه الله تعالى- من حلب صار يحدّث البادي والحاضر بما رأى وما سمع من وارث رسول الله ﵁، وبقي يحفظ الود والعهد لسيدنا ﵁ ويتذكّر شمائله ويبكي، وفي أثناء زيارة سيدنا الثانية للعراق مكث ﵁ في الفلوجة أيامًا، وتشرّفنا بزيارته لبيتنا، وقصّ -رحمه الله- للحاضرين ما جرى في سفرته إلى حلب وسيدنا يستمع لحديثه.

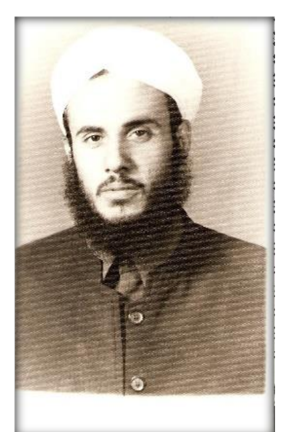
وفاته:

توفي -رحمه الله تعالى- بعد المغرب من يوم الأربعاء ١٠ ربيع الآخر ١٤٠٠ه، الموافق ٢٧ شباط١٩٨٠م. وكانت الإمامة في جامع أبي عبيدة في الفلوجة آخر محطّات وظائفه، وكان يكره الإحالة على التقاعد، فأحيل على التقاعد في اليوم الّذي توفي فيه.

وإنّه ليوم مشهود خرجت فيه الفلوجة بالأعلام والدفوف لتوديعه، وقد اعتلت النعش عمامة خضراء، ودفن في مقبرة الفلوجة محاذيًا للولي الشيخ محمّد الفياض -رحمه الله-، وترك وصيةً جاء فيها: هذا آخر عهدي من الدنيا، أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله، وأنا لا طالب ولا مطلوب.. وتركتُ لك يا ولدي وصية بثلث أموالي تنفقها على روحي في الصدقات الخيرية، ومئتي دينار ملفوفة في كيس نايلون لمجلس الفاتحة.

(٣٥) الشيخ عبد الكريم حردان العلواني

١٣٧٧ - ١٤١٢هـ/ ١٩٥٤ - ١٩٩٢م



ولد الشيخ عبد الكريم بن حردان حادي العلواني في مدينة الفلوجة بالعراق في عام ١٩٥٤م من أبوين صالحين غمراه بالتربية الصالحة والرحمة، فوالده من وجوه عشيرة البوعلوان وكان يكسب القوت بعمل يده، ويقيم حلقة ذكرٍ ليلة كل جمعة في بيته، فيجتمع عنده أبناؤه وبعض محبيه، وله جلسة على سطح داره نهارًا يأخذ ما بقي من فتات خبز ثم يبله بالماء ويطعمه للطير التي لا تألف الناس تطوف وتهبط على رأسه وظهره وذراعيه في عرس جماعي كل يوم لتأخذ من يده ما قسم الله لها من رزق، والأسرة طيبة كلها وعلى الفطرة في محبتهم للأولياء وعدم تكلفهم.

طلبه العلم:

وبعد أن أكمل الشيخ دراسته الابتدائية والثانوية في الفلوجة انتسب إلى كلية الدراسات الإسلامية في بغداد وتخرج فيها، ونال شهادتها، وعُيِّن مدرسًا في إعدادية الدراسات الإسلامية في الفلوجة.

في صحبة السيد النبهان رضي الله عنه:

وفي المدة التي زار فيها العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه العراق المرة الثانية كانت حدثت هَبّة في الأفواج من العلماء، والأولياء، والوجهاء،

والفقراء، والأغنياء، وطلبة العلم، يذهبون زرافاتٍ ووحدانا، ما بين مغادر إلى حلب وعائد منها، ليس من الفلوجة والأنبار فحسب وإنما من كل المحافظات التي يقطنها أهل السنة، فشملت خلقًا من بغداد، والموصل، وصلاح الدين، وكركوك، والسليمانية، ومن بين هؤلاء الشيخ عبد الكريم حردان.

وقد أشار البعض عليه أن يسلك على شيخ في أربيل، فلما رجع من زيارته قال: لم أجد لي نسبة معه، وإني أستشعر نسبتي مع السيد النبهان ﷺ في حلب، فكانت سفرته الأولى أن عَبَر فيها الحدود دون جواز سفر، وعاد على إثرها متخمرًا بتلك الشخصية المحمدية، ثم تكررت أسفاره تارة بجواز، وتارة بدون جواز، يمر من حرس الحدود ماشيًا وهو يقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس ٩).

حدثنا الدكتور أحمد الجنابي قال: «في عام اثنين وسبعين وتسعمئة وألف ذهبت للتشرف بزيارة سيدنا النبهان وحدي، والتقيت بالشيخ عبد الكريم في الطريق في الرمادي، وليس عنده جواز سفر، وأنا عندي، فلما وصلنا إلى القائم ذهبت إلى الجوازات، وهو ذهب ليعبر بدون جواز، فوجدته أمامي، وقد حجز لي في السيارة ينتظرني في مدينة البو كمال».

وهكذا كان يذهب ويعود بعدها من حلب على هذه الشاكلة، لقد تغيرت أحواله فلبس العمامة والجبة امتثالًا، واعتزل الناس، ولجأ إلى غرفة طولها متران، وعرضها متر في منارة جامع الفلوجة الكبير، وبعد أن أقام بها سنوات نزل إلى غرفةٍ جوار المئذنة، وهو يكتفي بقليل من طعام لا نَفْخَ فيه ولا طبخَ، ويصوم يوميًّا إلا العيدين وأيام التشريق، يعلوه الجلال، لا يمزح ولا يضحك إلا تبسمًا، وكلامه قليل إلا في تدريسه لطلابه أو في حلقات الذكر الخاصة بين إخواننا أو العامة في الجامع، لا ينم، ولا يغتاب، ولا يلهو، وليس له أصحاب إلا بعض محبي

سيدنا، وإن أخص أصحابه هو المهندس ماجد فنجان ابن شيخ الصابئة في الفلوجة الذي تمكن من خلاله أن ينفذ إلى عدد من شباب الصابئة فأسلموا على يديه.

وذكر لنا الحاج صباح غفوري قال: كان -رحمه الله- إذا حضر حلقة ذكر خاص يشتد به الحال حتى أنك ترى رأسه يبخر ويعلو منه البخار كأنه ماء يغلي.

وفي إحدى زياراته إلى حلب ذكر أنه وصل بعد العصر، وكان سيدنا -حفظنا الله به- في مجلس، فجلس عند أقدام سيدنا فقال له سيدنا: يَوَلْ صايم؟ فقال: نعم، فسقاه سيدنا بقية كأس الشاي الذي كان سيدنا يشرب منه.

كان -رحمه الله- ملتزمًا بتوجيهات سيدنا النبهان ﵁، سيماه الأدب والحياء، وإذا مشى فنظره على قدميه، همه واهتمامه تنفيذ أوامره ﵁، أمره سيدنا ﵁ بالقراءة في الرسالة القشيرية، وألا يلتفت إلى ما يرى من أحداث كي ينصرف اهتمامه بتزكية نفسه وطهارة قلبه حتى يكتمل حاله بشيخه.

وكانت في لسانه لثغة إلا أنه إذا دخل الدرس أو ارتقى المنبر يرتجل الخطبة بفصاحة وبلاغة.

وبقي -رحمه الله- على مجمل أحواله هذه، فإذا رأى شيئًا من أحد أو سمع فلا ينتقد ويقول: هذا هو الموجود.

وقد حفظه الله تعالى من صبوة الشباب، ولم يتزوج، ثم انتقل سكنه من الجامع الكبير إلى غرفة في جامع الهداية القريب من سكن أهله وإخوانه، وأخذ يفكر بالزواج لكن المرض عاجله في موت سريري لخمسة أشهر أمضاها في مشفى اليرموك في بغداد، وإخوانه: عبد الستار، وعبد الجبار، وعبد الرزاق، وصاحبه ماجد فنجان يتناوبون على خدمته.

وفاته:

وهكذا أمضى حياته وقبيل وفاته أفاق فقال: الحمد لله ثلاثًا، ثم فارق الحياة يوم الخميس ٤ ربيع الثاني ١٤١٣هـ، الموافق ١ تشرين الأول١٩٩٢م، وصدحت مآذن

الفلوجة قائلة: ﴿من الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب ٢٣) لتعلن رحيل أحد أعمدة الفلوجة ألا وهو الشيخ عبد الكريم حردان، وها هي الفلوجة تتهيأ للتوديع، فتخرج الجنازة تسلم على أهلها وأحبابها فتتزاحم الأيدي لحملها وتبدأ حفلة التوديع، نعم حفلة التوديع فتبدأ الحناجر بالتهليل، وترفع الأعلام، وتبدأ الدفوف ترن وتدق والجموع الفلوجية تودع وتزف عملاقًا من عمالقتها، وتم تشييعه في جمع مهيب خرجت فيه الفلوجة إلى جامع الفاروق، وألقيت الكلمات بتأبينه، ودفن في مقبرة الفلوجة القديمة.

رحمة الله عليك يا شيخ عبد الكريم حردان، وجمعك بمن تحب.

مصادر الترجمة:

- الشيخ هشام الألوسي، والدكتورأحمد الجنابي، والحاج صباح غفوري، مراسلةً كتابيةً.

(٣٦) الشيخ عبد الكريم حموية

غير معروف -١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م



جامع باب الأحمر في حلب

في جامع (باب الأحمر) أو (جامع أوغلبك) في حلب الشهباء -الذي أنشأه الأمير عثمان بن أحمد بن أوغل بك الحلبي الحنفي في عام ٨٨٥هـ في العهد المملوكي شرقي قلعة حلب- كان المربي الكبير الشيخ محمد أبو النصر سليم خلف -رحمه الله- قد أقام مريده الصادق الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه مديرًا ونائبًا عنه لختم جامع باب الأحمر، وكان هذا الختم ليس له نظير من عدة وجوه: أولًا: أن مديره هو الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه، وكان إذ ذاك في أوج سيره وسلوكه.

ثانيًا: كان يحضر هذا الختم غالب أهل العلم البارزين في مدينة حلب أمثال: الشيخ أحمد المصري، والشيخ حسن حاضري، والشيخ محمد ناجي أبو صالح، والشيخ محمد الجبريني، وغيرهم الكثير من علماء حلب ومريدي الشيخ أبي النصر.

ظهر السيد النبهان رضي الله عنه في ذاك الجامع لأول مرّة بعد مدّة أمضاها في وحشة وخلوة، فأحاط به جمع غفير بين سالك وتائب ومتبرك، وفي ختم الذكر الذي كان

يقيمه يحضر قارئٌ للقرآن الكريم حسن الصوت، رقيق القلب يَبكي ويُبكي سيّدنا ﷺ وكلَّ من معه، ويفترش بعضهم الأرض من غلبة الحال عليهم، فيخيّل لمن يمرّ بين القلعة والجامع أنّ القوم مجتمعون على جنازة، لما هم عليه من ذكر وضراعة.

قال سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ:

«كنت أطلع من الختم بباب الأحمر -وأنا مدير الختم، وأنا صغير، صار لها أكثر من أربعين سنة- لا أمشي مع أحد أبدًا أبدًا، أمشي على جنب الطريق. لماذا؟ أبكي وأنا رايح وأنا ماشٍ، لماذا أبكي؟ ليس لي ذنوب، ولا أعرف الذنوب، لكن أبكي لأنني أريد حبيبي، ما كنت أعرف أن حبيبي معي، هذه ما كنت أفهمها، أريد حبيبي، وأكثر من هذا لا أعرف، ولكن المذاكرة ما كنت أعرفها أبدًا ولا نعرف نتكلم أبدًا، يروحون معي كل ليلة إلى البيت أربعون خمسون يقعدون، أقول لهم: يا الله كل واحد يصلي مئة مرة على النبي ﷺ، كبيرًا كان أوصغيرًا، مُشَكَّلِين، تجار، وأهل علم، لا يقدرون أن يخالفوني أبدًا، يصلون على النبي، بعدها نتكلم كلامًا ليس دنيويًا، ما لنا وما للدنيا ولا الآخرة. نحن عبيد الله، نحن نريد الله، أكثر من هذا لا يوجد».

وهنا يحدثنا العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ عن شخصية رافقته في تلك المرحلة، فصحبته، وانجذبت به وبحاله، لكن لم يعرفه أحد من أصحاب سيدنا الذين عاصرناهم بعد ظهور هذا التسجيل، وقد تردد ذكره في كلام السيد النبهان ﷺ المسجل:

إنه الحاج عبد الكريم حموية -رحمه الله-:

شهيد الحب:

أحد الحضور في مذاكرة للسيد النبهان يقول: في تلك المدة أستأنس بعبد الكريم أكثر من كثير من المشايخ، أستأنس به، لما يجلس معي في الدكان أرى أُنْسًا أكثر من كثيرٍ من المشايخ.

فيقول السيد النبهان ﷺ: «هذا كان صاحبي، مات في حبي، قَتَله الحبُّ –رحمة الله عليه- قُتِل قَتْلًا، الحب قَتَله.

أحد الحضور: في ذاك الوقت كان في أثناء الذكر يقول: الله الله، بعدها صار يقول: نبهاني نبهاني [1].

السيد ﷺ: نعم، صحيح. من فمه قال لي رحمة الله عليه: كان يذكر الله وإذ طلعت الستة آلاف مرة نبهاني نبهاني، كان يحكي لي، أقول له: احكِ للشيخ أنا لا أعرف.

ومن ساعتها التَزَقَ [2]-الله يرحمه- إلى أن مات، من ساعتها، من دقيقتها، الله يرحمه، انجذب، طول ما هو جالس هكذا يعمل بي [يحدّق نظره إلي]، يعرف ذرات وجهي كلها، هكذا ينظر، حتى يجرّه بلنكو (الشيخ محمد بلنكو مفتي حلب) فما يقدر، لا يقدر أن يفارقني أبدًا.

كان صادقًا، وأنا صادق، وصحبتنا لله لا لغرض أبدًا، ليس هو بحاجتي، ولا أنا بحاجته.

يخاف مني، يا الله! كم يخاف مني! خوف الحب «أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه» [3].

وتعلق بعدئذٍ لكن صحبة، لا تعلق شيخ وتلميذ.. لا..

أحد الحضور: كان عمره خمسًا وعشرين سنة لما توفي.

---

(١) فني فغاب في ذكره، ومقام الفناء مشهور في كتب الصوفية.

(٢) أي التصق به، فلم يطق فراقه أبدًا.

(٣) «أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه» رواه «البخاري» في «صحيحه» بلفظ «والله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية» (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع) حديث رقم [٧٣٠١] ٩: ٩٧.

السيد رضي الله عنه: كان يقول لي: كلاب حارتكم أحبها.

هذه من علامة «وما حب الديار» هذه علامة الحب، يقول لي: كلاب حارتكم أحبها.

هذه علامة الحب، هذا الحب ينسيك الأم والولد والزوجة.

من أحواله:

وهو متزوج وله ولد وزوجة، هنا كان يقعد عندي، لا يروح بالليل أبدًا.

يأتي من العشاء لعندي إلى جامع باب الأحمر نعمل الختم، ونروح إلى البيت إلى باب النيرب نبقى إلى قبيل الفجر بساعة أكثر أو أقل ثم نأتي إلى هنا إلى الكلتاوية، نصلي ما يوفقنا الله إليه إلى أن نصلي الضحى، وهكذا كل يوم، عند الضحى ننام قليلًا.

كان –رحمه الله–أديبًا.

الطريق هكذا، كان صادقًا في الطلب.

يا شيخي! الحاج عبد الكريم صادق، رحمة الله عليه.

هكذا الطريق شيخي.

هو ما تحمّل، قُتِل من كثرة الحب؛ لأنه أتى أناس يريدون أن يفرقوا بيني وبينه، أنا لا يؤثر ذلك عليّ أبدًا، أنا ماهي فارقة عندي أبدًا، هو عندي شخص عادي لكن هو المسكين، أنا متعلق بالرسول ﷺ.

أحد الحضور: شيخي في بعض الأحيان يُصَفْرِن [يُغمى عليه ويقع].

السيد: يقع، لا يتحمل من الحب. في حمص صارت معه أكثر، الشيخ قال لي.

ما كان يتحمل، يقع، الحب يرميه، يصير مثل الخشبة أبدًا.

يلزمها قوة، ما كان يتحمل.

هو قلبه جدًّا كُوَيس، وبسيط، ما عنده كِبر، يحكي لي عن قضاياه ومسائله.

خصوصًا هو من بيت حمويّة، هو نخبة بيت حموية أجمع، هو الحاج عبد الكريم، رحمه الله.

كان كُوّيّس جدًّا جدًّا، الحاج عبد الكريم، كان كويس، الله يرحمه. رحمة الله عليه.

بعد موته ماتت زوجته لحقته، وعنده بنت أيضًا ماتت، لم يبق أحد. رحمة الله عليه.

هذا الطريق سيدي.

لم يعد ينفك عني إلا أن أبعثه أنا بعد العصر، بعد العصر أبعثه لأنه كان بيده الدفتر في دكانه، يكتب، هو بيده الكل، أبعثه أنا، الحاج مصطفى (حموية) قال لي: خالتي تعبت جدًا فليذهب ليرى خالتي، فلا يروح، لا يقدر أن يرى غيري أبدًا.

رحمة الله عليه، أبعثه بعد العصر يروح إلى المدينة (سوق المدينة) يأتي إلى البيت، له ورد بين المغرب والعشاء، العشاء يأتي لعندي إلى باب الأحمر، كنت أعمل ختمًا بباب الأحمر، يطلع معي إلى البيت، هذه يوميًا هكذا أبدًا، من أول يوم لآخر يوم كله على هذا الشكل، يروح معي إلى البيت نقعد في البيت إلى قبل الفجر بساعة نأتي إلى هنا، نصلي رُكَيعات، ثم نصلي الفجر، نعمل مذاكرة إلى ضحوة، في الضحوة نصلي الضحى، بعد الضحى ننام قليلًا، وهذا شأننا وديدننا.

هذا الصدق شيخي.

نالها -الله يرحمه-، أخذها، راح شهيدًا، لا شك أنه شهيد.

أحد الحضور: شهيد المحبة.

السيد: إي! معلوم، شهيد المحبة.

صادق معي شيخي، جدًّا صادق معي، امتحنته، صادق، أما أنا فهو بالنسبة لي شخص عادي، أحبه، أما هو فرائح، أنا مشغول، أنا كنت مشغولًا، أستأنس به استئناسًا لا أكثر، أما هو فبِكُلّيته، وصادق، وأخلاقه جميلة، حقيقة صادق.

وأخلاق جميلة، أخلاقه جميلة جدًّا، الله يرحمه.

وفاته:

توفي سنة ١٣٤٩هـ، الموافق ١٩٣٠م، أي منذ خمس وثلاثين سنة، في بيروت، رحمه الله.

هكذا يلزمها صدق، قضية الطريق لمن صدق لا لمن سبق».

أخيرًا: هذا ما حصلنا عليه من سيرة هذا المحب الصادق، ولم نستطع الوصول إلى معلومات شخصية أو علمية أو سلوكية أكثر.

مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لدي.
- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٦٧).

ملف مسموع:

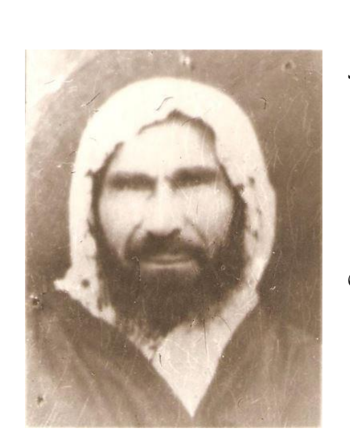
لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

تسجيل لسيدنا النبهان وهو يتحدث عن الشيخ عبد الكريم حموية.



(٣٧) الشيخ عبد الله حَدِيْدْ جَلْ

١٣١٨ - ١٤١٣هـ/ ١٩٠١ - ١٩٩٣م



العالم الفَرضي المقرئ الشيخ عبد الله بن حديد بن جَلْ بن أحمد بن صالح.

ولادته:

ولد -رحمه الله- عام ١٩٠١م في قرية النساف في الفلوجة.

دراسته:

تعلم في بداية حياته القراءة والكتابة في القرى والأرياف، كما دَرَس وتعلم القرآن الكريم على أيدي حفظته في الكتاتيب.

ثم تتلمذ على العلامة الشيخ عبد العزيز السامرائي كما أفاد من مجالسة الحاج محمد الفياض الكبيسي. رحمه الله.

وظائفه:

تولى الشيخ عبد الله حديد تعليم الوافدين الجدد إلى المعهد الإسلامي «المدرسة الآصفية» في الفلوجة.

أما في الجامع الكبير فله وظيفتان:

الأولى: تدريس أصول التلاوة لطلبة العلم، فبقي مدرسًا للقرآن الكريم في الجامع الكبير في الفلوجة مدة طويلة، وبداية تعيينه فيه عام ١٩٦٤م وكانت له غرفة خاصة فيه بعد انتقال الشيخ عبد العزيز من المدرسة بسبب المرض.

الثانية: تعلم الفرائض وضبطها، ومن أخص شيوخه فيها: العلامة الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي.

بعد أن أتقنها وأحاط بمسائلها قام بمهمة كتابة القسامات الشرعية أي ما يتعلق بالمواريث، فمن مات له ميت يأتي إلى الشيخ عبد الله ليقسم بينهم التركة وفق المواريث الشرعية فلا يَكِلُّ ولا يَمَلُّ، وأحيانًا تستغرق المسألة يومين أو أكثر بسبب كثرة الوفيات وارتباطاتها، وتسمى المناسخات ويلصق الأوراق بعضها ببعض، ثم يضع الناتج وكأنه حاسب آلي لهذه المسألة ويضع لكل نصيبه.

ومحكمة الأحوال الشخصية في الفلوجة كانت تحيل إليه القسامات الشرعية، فيأخذ عليها أجرًا، والأجر غير محدد بل هو على حسب حالة الوارث، فإن كان غنيًّا يأخذ منه ويرد ما أخذ على الأسر الفقيرة التي يعرفها ويذهب بنفسه إلى مواساتها، وأما متوسط الحال فيأخذ أقل مما يأخذه من الموسر، وأما الوارث الفقير فيعطيه مما أخذ من الغني أو من دونه، وهذه الطريقة أشبه ما تكون بعمل سيدنا النبهان الحبيب رضي الله عنه في سنوات عمله في التجارة أو هي تطبيق لتوصياته للتجار في التعامل مع المشتري.

فتجده في حلقته في الجامع الكبير يُذَكّر الناس بالتقوى والآخرة، ويعظهم ويوجههم.

وهو المصلح الناجح، فحين تقع الخصومات بين القبائل أو الأفراد يبادر إلى الصلح بينهم بعد أن يعظ طرفي النزاع، ويذكرهم بالاستسلام لحكم الله، ولا يهاب مخلوقًا، ولا يجامل أحدًا على حساب الحق لكن بالموعظة الحسنة.

كان -رحمه الله- يتعهد الفقراء والمحتاجين، والناس يثقون به فيعطونه زكاة أموالهم وصدقاتهم، فيوزعها بكل أمانة، وقلّ أن تجد أمينًا مثله بل كان ينفق عليهم من جيبه، ويوزع المؤن والقماش في أول الشتاء أو العيدين بنفسه على المحتاجين في بيوتهم.

مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

الشيخ عبد الله حديد جَلْ ممن تشرف بالقدوم إلى حلب وزيارة العارف بالله سيدنا محمد النبهان في الكلتاوية، وقال عنه سيدنا الحبيب ﵁: «هذا عنده استعداد» ويفهم من كلامه ﵁ استعداده السير والسلوك.

والشيخ عبد الله حديد جَلْ ممن شرفه الله بالحج مع السيد النبهان عام١٩٦٥م، وشهد المشاهد العظيمة.

قال الشيخ هشام الألوسي كما جاء في كتاب «السيد النبهان» ط ٣ (١:٢٣٤): «حدّثنا الشيخ عبد الله حديد الفرضي في جامع الفلوجة الكبير بالعراق، قال: حضرت بمكة المكرمة مجلسًا لسيّدنا النّبهان ﵁، وبينما نحن جلوس صعد إلينا شيخ مهيب الطلعة وهو ينشد:

طلــــــع البـــــــدر علينـــــا مـــــــن ثنيـــــات الــــــوداع

فظننته سيّدنا الخضر ﵇ وحين دخل وسلّم قال: يا شيخ، أرسلت لك سلامًا مع الريح! قال ﵁: (وصلني)! فتحدّثا ساعةً، ثمّ نهض وقال: هنيئًا لكم بصحبة هذا الشيخ، أرجو المعذرة يا شيخ، لقد أسأت الأدب معكم. ثمّ ودّعه وخرج!

فسألت عن الرجل، فقالوا: إنه الشيخ علوي بن عباس المالكي، مفتي المالكية بمكة المكرمة».

كتب لي الشيخ حامد صخي: «الحاج عبد الله الحديد هو ذلك الرجل الصالح الذي يدلّك حاله على الله تعالى، رافقَ سيدّنا النبهان ﵁ في حَجّهِ، وكانَ يحدثنا

بقسمٍ ممّا شهد ويبكي-رحمه الله-، وممّا سمعتُ منه دعاء سيدنا: «اللّٰهُمَّ ارزقنا الحج والناس راجعون» فسألتُهُ عن المعنى فقال: للحج موسمٌ يحجه الناسُ وأمّا العارفُ فكلّ أوقاته حجٌ فهو في حجٍ دائم.

إنّي أحبُّ الحاج عبد الله الحديد -رحمه الله- ولي معه ذكرياتٌ هو علّمني القرآن وكان يأتي للجامع الكبير في الفلوجة ضحىً، ولا يخرج منه إلا بعد صلاة العشاء، ولم أتذّكر يومًا تخلّفَ عن هذه العبادة، صامتًا متفكرًا ذا همّة عاليةٍ، أحبُّ مجالستَه فيقول لي: تكلم. فيأتيني الفتح الذي لم أجدْهُ مع غيره، أتكلّمُ وهو يبكي، وإذا أقيمت الصلاة أحاول الصلاة بجواره لأنّي أجدُ السكينةَ والخشوع تسري إليّ لكثرة بكائه بصمتٍ والإمام يقرأ.

قال عنه الشيخ بشير الحداد -رحمه الله-: «الحاج عبد الله يَتَرّقى باسم الله الكريم» لأنه كان يُكْثِر من ذكر هذا الاسم (الكريم)».



من اليمين: الشيخ عبد الله حديد جل، ثم الشيخ محمد بشير حداد (رحمهما الله)

من صفاته:

كانت الولاية ظاهرة عليه، إذا ما رأيته ذكرتَ الله، صادق اللهجة، مهابًا، لا يمزح إلا القليل، متواصل الفكر، بكّاء، ورعًا، لا تغيب عنه الآخرة ولقاء الله تعالى، زاهدًا لا تهمه الدنيا، لا يميل إلى صحبة المجاذيب بل يحث على صحبة أهل الكمال من أهل التقى والعلم، لا يحب الغيبة وأهلها، لا يهدأ لسانه من ذكر الله.

وصفه الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي فقال: «من أراد أن يرى الصحابة وحالهم فلينظر إلى الشيخ عبد الله حديد».

مرضه ووفاته:

في آخر أيامه كان يميل إلى الخلوة واعتزال الناس.

دخل الغيبوبة آخر حياته أربعة وسبعين يومًا حتى وافاه الأجل فتوفي -رحمه الله- يوم الاثنين ١٧ ذي الحجة ١٤١٣هـ الموافق ٧ حزيران ١٩٩٢م.

جرى له تشييع عظيم اشترك فيه العلماء ووجهاء البلد وجميع الطبقات ودفن في مقبرة الفلوجة القديمة محاذيًا للشيخ محمد عبد الله الفياض.

رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته، ورفع مقامه في عليين.

مصادر الترجمة:

- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٢٣٤).
- الشيخ هشام الألوسي، والشيخ حامد صخي، مراسلة كتابية.
- «تاريخ علماء الفلوجة والشخصيات العلمية فيها» (٥١).

(٣٨) الحاج عبدو البيك

١٣٤٥ - ١٤٠٤هـ/ ١٩٢٧ - ١٩٨٤م



التاجرالمحبّ، المتفاني في خدمة شيخه ومنهجه الحاج عبدو بن محمد البيك، و(عبدو) اسمه المعروف به والمثبت في الثبوتيات الرسميّة، واسمه الحقيقي (عبد الله صادق)، ولد في باب المقام في حلب عام ١٩٢٧م، وهو من أسرة معروفة بالثراء.

زوجته وأولاده:

تزوّج في عام ١٩٤٦م من الحاجة الصالحة التقيّة هدية بنت محمد عطّار، أخت الحاج صلاح عطّار، ورزق منها بأربعة أبناء وثلاث بنات، وهم (بحسب ولادتهم): مَلَك (زوجة الشيخ محمود فجّال)، محمد عدنان، وعبد الهادي، وفاطمة، وسكينة، وعبد الحكيم، وأحمد ياسر.

أعماله:

ولد الحاج عبدو وفي فمه ملعقة من الذهب كما يقال، فقد كان والده الحاج محمد من أعيان حلب المرموقين، ومن أثرى أثريائها البارزين، حيث يملك الكثير من الأراضي والضياع والخانات والأملاك وجرات الذهب الكثيرة، وهو من الذين ساهموا بدعم الثورة ضد الاحتلال الفرنسي.

توفيت والدته (عدويّة دبَّاغ) ثم والده وهو لم يبلغ الحلم، فتحمَّل أعباء إخوته وأخواته، وورث من والده شيئًا من أعماله، من تجارة المنتجات الزراعية والحيوانيّة، الحبوب والأغنام والأصواف ونحوها، إلى أنْ سلّم عهدة العمل بها لأخيه أحمد توفيق؛ لظروف الحياة القاسية آنذاك بوجود المحتل وسرقته الكثير من الغلات، وليتفرغ لتجارة الملابس والمناشف والجوارب ونحوها، تصنيعًا وتجارة وبيعًا بالجملة إلى جميع محافظات سورية، وأسَّس مصنعًا ضخمًا للألبسة الداخلية القطنية في باب المقام بحلب، وهو من أوائل الذين عملوا في هذا المجال في سورية، واستمرّ فيها حتى وافته المنيّة.

كان الحاج عبدو أمين سر جمعية أسر شهداء الثورة ضد الفرنسيين الخيريّة، ومن المناهضين للمحتلين الفرنسيين بماله ونفسه، فقد شارك مع زملائه في المظاهرات المندّدة بالاحتلال الفرنسي، ويُحكى أنّه مرّة أطلق النار على الفرنسيين الذين جاؤوا لفض إحدى المظاهرات، فحاصروه وقد نفدت ذخيرته من الرصاص، فالتجأ إلى بعض الأزقة حيث عرفته إحدى النساء وأخبرها بنفاد ذخيرته، فأمنته عندها حتى جاء والده وعدد من رجاله، وعاد إلى منزله سالمًا غانمًا بفضل الله.

وهو -رحمه الله- من الداعمين الكبار لجمعيّة النهضة الإسلاميّة، ومسؤول عن الأضاحي فيها وأموال التبرعات إلى أن أمَّمت الدولة الجمعيّة سنة ١٩٨٤م.

وفادته على العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

في البداية كانت زوجته أم محمد وابنته الكبرى ملتزمتين بالذهاب إلى السيد النبهان رضي الله عنه وحضور درس النساء، فأثّرتا على الحاج عبدو بالحال والقال، حتى ذهب إلى سيدنا، بحدود عام ١٩٦٠م، فلما جاء جعله السيد النبهان بجانبه، فسمع كلامه ورأى محبة الأصحاب للسيد، ولهفتهم على خدمته، وسماع كلامه مع ما رآه من احترام الأحباب له فإذا قام قاموا، وإذا جلس جلسوا، مجلس علم وفضل، كما أعجب بعنايته بنظافة المدرسة وترتيبها، فوقع حبُ السيد في قلبه فلازمه.

لازم الحاج عبدو البيك سيدنا محمد النبهان ﷺ في كثير من أسفاره، فنال شرف الحج معه بالباخرة في عام ١٩٦٥م. كما نال شرف ملازمته ومرافقته في كثير من تنقلاته في حلب وخارجها.

وحظي بشرف الدفاع عنه حين تعرضت حياة سيدنا لخطر عام ١٩٦٧م، إذ كان مع الثلة التي خططت وعملت لتضليل المراقبين للسيد الراغبين في اعتقاله، وخرج السيد النبهان متخفيًا لابسًا منديلًا بدل العمامة، مع عِقال كلباس شيوخ العشائر العربية، وودعه في الكتاوية الحاج عبدو البيك ومجموعة من أصحاب السيد، فهاجر ﷺ متخفيًا -تأسيًا برسول الله ﷺ- من الكلتاوية إلى قرية البويدر (وهي قرية جنوب حلب تتبع لناحية تل الضمان التابعة لمنطقة جبل سمعان في محافظة حلب).

وسبب هذه الهجرة الاعتقالات التي حدثت للعلماء وقتها وما رافق ذلك من أحداث، ووقوفه ﷺ ضد ذلك، وتهديد الدولة له وقتها، وعلى إثرها اعتقل الحاج عبدو مدة ربت عن أسبوعين، ولما أُطْلق سراحه لازم المسجد ومعه ثلة من أصحابه حراسة وحماية لأهل بيت سيدنا ﷺ.

ولازمه أثناء العملية التي أجراها السيد النبهان في مستشفى الدكتور فاتح عطار في منطقة السبيل بشارع فيصل وناوب معه ليلًا نهارًا.

وختام الشرف أن حظي بالمشاركة بتغسيل الجسد الطاهر وتكفينه ومواراته إلى مثواه الأخير.

وهكذا حظي بالقرب الشديد من السيد ﷺ، وسبق غيره في المحبة والملازمة، فكان يجالس السيد كثيرًا، وتطول المجالسة أحيانًا حتى الثانية قبيل الفجر في الكلتاوية، أو في منزل الحاج عبدو، وكان أحباب السيد إن أرادوا شيئًا منه دفعوا الحاج عبدو ليكون شفيعًا لهم عنده.

ومرة قالت زوجته أم محمد لسيدنا: بس عبدو عصبي، فقال لها: «لا، حج عبدو جوهرة، حج عبدو منيح، أنا أحب حج عبدو». وجعل يمدح الحاج عبدو.

وقد شرف سيدنا منزل الحاج عبدو بزيارات عديدة، وكان ﷺ يقول: «أنا آكل عند الحاج عبدو وأتضلع لأنه كريم».

قال صهره الشيخ محمود فجّال -رحمه الله-: «وكان الحاج عبدو كثير الحرص على دعوة سيدنا وإخواننا بصحبته إلى بيته في حي باب المقام بقرب القلعة، وكان سيدنا يحب طعامه ويقول: الطعام أنفاس. أي: طِيب الطعام بطيب أهله الذين يقومون بطبخه. وربما كان سيدنا يقول: يا حاج عبدو أنا جعت، فيضع الطعام مرة ثانية. وكان سيدنا يعمل المذاكرة عنده إلى الفجر، يفرشون له فراشًا يجلس عليه وإخواننا متحلقون حول السيد الحبيب، وكلهم في خشية وأدب، ولا تنس نكت الأستاذ حسان اللطيفة إن فسح السيد ﷺ له المجال، وترى الجمال والكمال يخيم في جنبات فناء الدار العربية التي كان سيدنا ﷺ يحبها وترى في الإخوان البكّاء والخاشع والمتأمل والهائم والسائل ومن يرقص باطنه طربًا.

وأحيانًا يكون الليل ليلة النصف فترى القمر منيرًا عليهم، مرسلًا أشعته التي تلامس الوجوه ولا تجرحها، هائمًا بالنظر إليهم، وذلك في سكون الليل وهدأته وعند نسمات السحر ورقتها، وشعاع السيد ونوره الذي يغزو القلوب وينيرها، وترى الإخوان سكارى بالله وفي الله ومع الله وما شربوا مدامًا.

أيام مباركات عشناها مع السيد الحبيب ليالي وصال آهًا لها ثم آهًا هل تعود كما كانت، لقد مزجت أنفاس السيد المسكية باللحم والدم والعظم، وبالهواء الذي نستنشقه، والنسيم العليل يعود بنا إلى تذكار تلك الليالي السالفات بما اشتملت عليه من الذكريات العطرات، والعمر مع سيدنا هو العمر، وهو الحياة، ولو تعلم الملوك ما نحن عليه من السرور والحبور لسابقونا عليه بكل غال ونفيس، اللّٰهُمَّ زدنا ولا تنقصنا، وأتمم نعمتك علينا بوجه مَن وجهته إليك حتى صار لا يتكلم إلا

بك، ولا يسمع إلا بك، ولا يبصر إلا بك، وحتى ذاب كله بك فهو عبدك وحدك، فحياته ومماته وصلاته ونسكه لله رب العالمين، ولا حركة له ولا إرادة إلا به».

صفاته:

اشتهر الحاج عبدو بصفات يعرفها عنه كل من اتصل به، كالشجاعة والرجولة والدين، وكان سخيًّا كريمًا يعطي عطاءً لا حدَّ له، دون منٍّ أو أذى، وأمضى جلَّ وقته في خدمة الفقراء والمحسنين والمشاريع الخيريّة، وكان يتقصى أحوال الفقراء في الأحياء الشعبيّة لمنحهم المعونات الماديّة، وله الفضل في انتشال عدد من الأسر من الفقر، كما عُرف بطيب القلب، ودماثة الأخلاق، وكل من عرفه أحبّه، كما كان متعلقًا بأبنائه وأبناء أولاده، ولما توفي في السيارة كان بصحبته اثنان من أحفاده الصغار، وكان محبًّا صادقًا ومتفانيًا في خدمة الشيخ النبهان.

تزويج ابنته للشيخ محمود فجّال:

قال الشيخ محمود فجّال: «وكانت أم محمد -ابنة الحاج عبدو البيك- تُخطب كثيرًا، وحينما يذكرون ذلك لسيدنا يرفض كلّ خاطب، ويقول: هذه ابنتي وأنا سأزوجها. وكان سيدنا يلوّح ويقول: عندي اثنان ذاتيان واحد متزوج والآخر غير متزوج. وذلك في مجالس خاصة للنساء».

وقال: «طلبت من سيدنا عمل الاستخارة على ابنة الحاج عبدو فقال سيدنا: «الاستخارة كويسة شيخي كويسة».

بعضٌ من أقارب الحاج عبدو البيك -رحمه الله-:

قال الدكتور محمد فاروق النبهان: «كان الحاج عبدو -رحمه الله- محبًّا صادقًا ومتفانيًا في خدمة الشيخ، كما اشتهر عدد من أفراد هذه الأسرة رجالًا ونساءً وأطفالًا في ملازمة الشيخ منهم الحاج هيثم وإخوته، وكان الشيخ يثني عليهم، وحظي أطفالهم برعاية الشيخ ومحبته، وكانوا قريبين منه وينتمي معظمهم إلى الجيل الثاني والثالث من إخوان الشيخ».

وقال الشيخ محمود فجّال: «هيثم ولؤي ونجيب أولاد الحاج عبد الغني البيك ابن عم الحاج عبدو، وزوج أخته، وكانوا محبين لسيدنا، والحاج عبد الغني مات بدمشق فجأة، وضع رجله في السيارة ومات ولم يستطع إدخال الثانية إلى السيارة، ونقل إلى حلب ترافقه زوجته، يقول سيدنا رضي الله عنه: جاء به إلى حلب سيدي عبد القادر الجيلاني؛ لذلك طويت له الأرض. ومات الساعة الثامنة صباحًا وفي الظهر كان موارًا في رمثه، ومات في أواخر الأربعينات.

وكان الحاج عبد الغني -رحمه الله- محبًّا لسيدنا رضي الله عنه وكانت تقام في بيته صيغة الصلاة على النبي ﷺ كل ليلة جمعة وهو خادم لهم، وكانت زوجته وأولاده يحبون سيدنا ويداومون على مذاكرته».

وفاته:

توفي في حادث سير على طريق جبلة واللاذقية في الثاني من رمضان عام ١٤٠٤هـ. الموافق ٢ حزيران ١٩٨٤م، ودفن في مقبرة السفيري الوسطى بحلب بالمعادي.

مصادر الترجمة:

أعد هذه الترجمة سِبْطَهُ الأستاذ الدكتور يوسف فجَّال[1] من المصادر التالية:

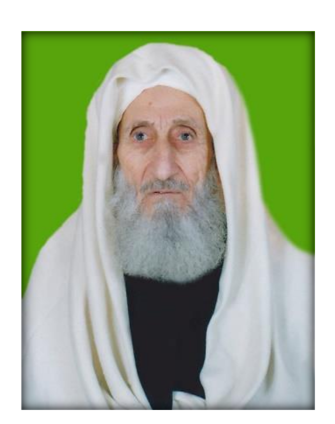
- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- صهر الحاج عبدو البيك والدي الشيخ محمود فجَّال، رحمه الله.
- ابنة الحاج عبدو البيك.
- أبناء الحاج عبدو البيك: أحمد ياسر، وعبد الحكيم، ومحمد عدنان.

---

(١) **أ.د. يوسف بن محمود فجّال (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م):** حلبي من مواليد القاهرة ١٩٧٧م، حاصل على درجة الدكتوراه في اللغويات، يعمل أستاذًا في جامعة الملك سعود بالرياض منذ عام ١٤٣٦هـ، وله من المؤلفات: الجهود النحوية والصرفية عند ابن الخشاب، وشرح شواهد المفصل لفخر الدين الخوارزمي- دراسة وتحقيق، ولعل في القرآن الكريم دراسة تركيبية دلالية، وأثر تعلم النحو في تنمية القدرات الفكرية والعقلية. (مراسلةً كتابيةً).

(٣٩) الشيخ علاء الدين علايا

١٣٣٧ - ١٤٣١هـ/ ١٩١٩ - ٢٠١٠م



العالم العامل، المحقق الحاذق، صاحب قوة البرهان، وسطوع البيان الشيخ العلامة علاء الدين علايا.

ولادته ونشأته:

ولد -رحمه الله- عام ١٩١٩م في مدينة تادف التابعة لمدينة حلب، وينتهي نسبه إلى سيدنا العباس ﵁ عم الرسول الأعظم ﷺ.

والده الحاج حسن عبود علايا كان تاجرًا في مدينته (تادف).

والشيخ علاء الدين أصغر إخوته، وشاء الله أن يكون يتيم الأب وهو في الرابعة من عمره، وكانت وصية والده: (إني أرى فيه طالب علم، وأريده أن يكون طالب علم).

ما إن أصبح في التاسعة من العمر حتى لحقت أمه بأبيه، فصار يتيم الأبوين ولكن إخوته الحاج محمد والحاج يوسف -رحمهما الله- التزما بوصية والديهما واعتنيا به كل الاعتناء.

وحين بلغ الثانية عشرة من عمره طلب من أخويه الالتحاق بالثانوية الشرعية في حلب لطلب العلم، وكان -رحمه الله- أول فرد في الأسرة يطلب مثل هذا الطلب.

لم يقتنع أخواه بهذا الطلب خوفًا عليه فقد كان حديث السن قليل الخبرة، لكنه ظل متشبثًا بطلبه حتى وافقا عليه، وتحققت رغبة والده، رحمه الله.

كان أخوه يحثه على الجد في طلب العلم ويقول له: إذا لم ينجح إلا واحد في الصف فيجب أن تكون أنت ذاك الواحد.

تزوج -رحمه الله- عام ١٩٤٩م وله أربعة أبناء وبنتان.

دراسته:


الشيخ علاء الدين علايا

انتسب إلى المدرسة الخسروية في حلب عام ١٩٣٣م، ثم انتسب إلى الأزهر الشريف عام ١٩٥١م.

ثم التحق بكلية التربية في دمشق عام١٩٦١م.

في العام الذي انتسب فيه إلى الأزهر الشريف التحق أيضًا بجامعة القاهرة كلية الحقوق واستمر فيها مدة عامين.

من شيوخه في العلم:

الشيخ محمد أسعد العبجي، والشيخ فيض الله الأيوبي، والشيخ محمد سعيد إدلبي، والشيخ نجيب خياطة، والشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ محمد السلقيني. رحمهم الله جميعًا.

من زملائه في الدراسة:

الشيخ عبد الله علوان، والدكتور عبد الفتاح أبو غدة، والدكتور محمد علي الصابوني، والأستاذ عبد الرحيم علاف، والدكتور محمد رواس قلعة جي

والدكتور الطبيب ناظم النسيمي، والشيخ محمد أديب حسون، والأستاذ عبد البر عباس. رحمهم الله.

صفاته:

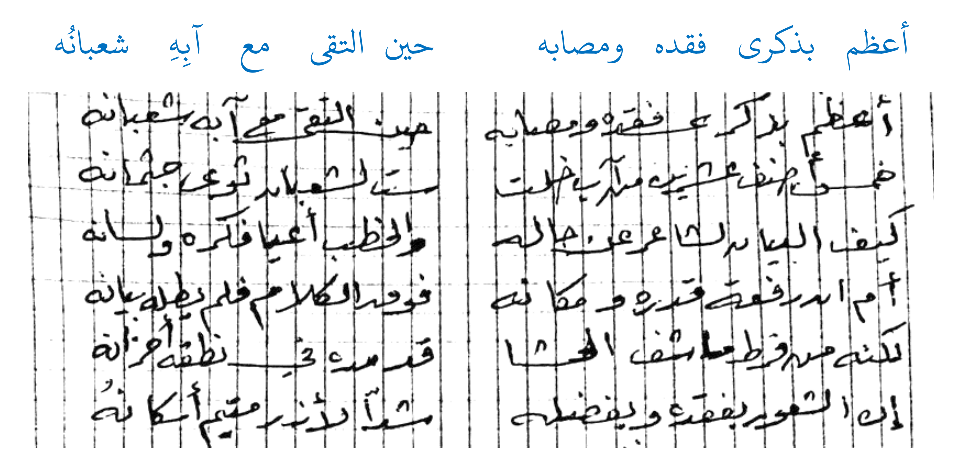
هو معتدل القامة، مائل إلى الطول، نحيف، سريع الخطو والكلام والبديهة، قلما تراه مازحًا، جادٌّ، مسكون الذهن دائمًا بتأملاته، محبوب، موقر، قريب جدًا من الجادّين من طلابه، مكانته في العلوم مكينة، وحذاقته في التنقيب والغوص على المعاني حادة، ومناقبه الشخصية جعلته في عِلية العلماء، وعالية النقباء.

أوتي الشيخ علاء الدين علايا قوة البرهان، وسطوع البيان مع الصبر والمصابرة.

له اهتمام خاص بالأدب والشعر، أَلّفَ قصيدة ألفية في مدح السيد النبهان استعرض فيها كل حياة السيد ﵁.

يقول في مطلع هذه القصيدة:

أعظم بذكرى فقده ومصابه ... حين التقى مع آبِهِ شعبانُه


أعظم بذكرى فقده ومصابه ... حين التقى مع آبه شعبانه

نموذج من خطه وشعره (رحمه الله)

له بحوث عديدة ألقاها في مناسبات رسمية عديدة كبحثٍ كتبه عن (منع الحمل) ألقاه محاضرة في المركز الثقافي في حلب أواخر السبعينات.

في بداية الستينات عُيّن موجهًا لمادة التربية الإسلامية عن المنطقة الشمالية والشرقية (من حلب إلى أبو كمال) في القطر السوري.

وكذلك في أوائل الستينات كُلِّفَ وفضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم السلقيني -رحمه الله- بتأليف مناهج التربية الإسلامية لكل الشهادات (الكفاءة العامة، والثانوية العامة بفرعيها العلمي والأدبي، ودار المعلمين) ودُرِّست في المدارس والثانويات ودور المعلمين السورية.

الشيخ علاء الدين وصحبته للعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

مواقفه وحضوره عند السيد النبهان معروفة مشهورة.

كان الشيخ علايا يلتقي بسيدنا رضي الله عنه مرارًا وتكرارًا حين كان يقيم في جامع الإسماعيلية عام ١٩٣٦م.

سمعت منه -رحمه الله- مسجلًا يقول:

« الشيخ محمد أسعد العبجي كان محترِمًا ومعظمًا السيدَ محمد النبهان منذ عام ١٩٣٦م بالضبط، وكان سيدنا النبهان وقتها إمامًا بديلًا عن الشيخ عبد الله سلطان (الحفيد) الذي ذهب إلى مصر ليكمل دراسته، ومما منّ الله به عليّ أني أخذت غرفة في ذاك الجامع مقابل غرفة السيد النبهان، وكان الشيخ أسعد يأتي ويقف على باب غرفة سيدنا فيطرق الباب بأظافره، وأنا أتصور صورته الآن وبيده سبحة طويلة يسبح بها، أشاهده وهو ينتظر أمام غرفة سيدنا أحيانًا خمس دقائق وأحيانًا عشر دقائق، فيُؤذَن له فيدخل، وأحيانًا لا يؤذن له، فيكرر الاستئذان، وأحيانًا تطول الفترة إلى ثلث ساعة، وما هذا الانتظار إلا لأنه عرف من هو الشيخ محمد النبهان.

كان اعتقادي بسيدنا منذ رأيته وسمعت به أنه عالم ليس كالعلماء وهذا قبل أن آتي إلى هنا بشكل مستمر».

الشيخ علايا لم يستسلم للسيد النبهان مريدًا وسالكًا إلا بعد عودته من اللاذقية حيث كان مدرسًا في ثانوية جول جمال في مدينة اللاذقية وذلك في عام ١٩٦٤م فلزم -رحمه الله- سيدنا النبهان ﷺ، وغيّر زيه وكان أفنديًا فارتدى الجبة والعمامة النبهانية.

ومما يذكر أنه في أول مرة غيّر الشيخ علاء الدين لباسه من لباسِ أفندي إلى لباس العلماء (جبة وعمامة) أنه دخل على السيد النبهان يومها، فلما جلس قال أحد الحضور: سيدي هل لاحظت أبا شوقي؟

قال: ما بِهِ؟

قال: سيدي يلبس جبة وعمامة.

فقال السيد: أنا هكذا كنت أراه.

تحدث هو -رحمه الله- عن سبب تعلقه بسيدنا ﷺ فقال كما هو مسجل:

«السبب الذي استحوذ وسيطر عليّ وأخذ بلبّي وكياني هو فهمه وتحقيقاته في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهو ما قرأ قولًا إلا وحققه، وما طلبتُ منه كرامة وما خطر في بالي أن أطلب منه كرامة، لا استهانة بالكرامات ولكنني لا أعتمد على الكرامات، فالكرامة هي دليل على صدق من أجرى الله على يديه الكرامة، وأنا كنت موقنًا ومصدقًا به إذن فلماذا أطلب الكرامة!».

يروي الدكتور محمود الزين -رحمه الله- ناقلًا عنه، يقول الشيخ علايا: «كنت مولعًا بالأمور العلمية جدا، فجئت وحضرت مرة عند السيد النبهان، فسمعته يتكلم بتحقيقات علمية راقية، وكنت كلما جلست إليه أسمع شيئًا جديدًا، فقلت

في نفسي: إن هذا ليس تحقيقًا عقليًّا أو قراءة في كتب، هذا لا يكون إلا عن فتح إلهي فلازمت السيد النبهان ﵁».

الشيخ علاء الدين علايا صاحب عقلية مستقلة لا قابلية لديه للتبعية أبدًا، وما كان يسلّم لأحد إلا للسيد النبهان.

يقول تلميذه الشيخ محمود العبيد: «مرة كان يناقش شيخنا الشيخ علايا -رحمه الله- الطالب عيد الإبراهيم في مسألة، فلما أُخبر أن السيد النبهان ﵁ يخالفهما في الرأي توقف فورًا وقال لعيد الإبراهيم: عقلي وعقلك ورأيي ورأيك في سلة المهملات إذا قال أهل الله قولًا يخالف رأينا».

في عام ١٩٦٥م صحب -رحمه الله- شيخه الشيخ محمد النبهان ﵁ في حجته الثانية، حيث ولاه السيد النبهان إمارة الحجيج الذين حجوا معه، وهم ٢٤٠ رجلًا، و١٦٠ امرأة.

تحدث -رحمه الله- عن بعض مواقف الحج فقال -كما سمعته مسجلًا-:

«جاء الإمامان إلى سيدنا ﵁، وأنا رأيتهم بعيني، توضؤوا وضوءًا جديدًا من ماء زمزم، وكان سيدنا جالسًا أمام مزراب الرحمة، فأتى أحدهم وأخذ يد اليسار لسيدنا فقبلها، والثاني أخذ اليمين فقبلها أيضًا، وأخذ صاحب اليمين يمص إصبع السيد، وصاحب الشمال بدأ يسأل السيد ولكن لا بلسانه، إنما بقلبه يسأل ويجيبه السيد ولا أحد يسمع، وهناك عالم من علماء رجال الأمر بالمعروف يقول لواحد من جماعتهم: انظر كيف سجدوا له! وهو يقصد الإمامين لما قبلوا يد السيد، هناك واحد من إخواننا تاجر كبير يريد أن يرد عليه وأنا كنت واقفًا جنبه، فأشرت له قلت: لا تعكر صفونا في الرد عليهم، وإذ هناك واحد شكله باكستاني أو أفغاني ملتح أسمر سمت جميل فقال له: ابق مع سيدنا، لا تُذهب نورك مع هؤلاء المظلمين، هؤلاء إن سمعت منهم فلا ترد عليهم فسأله أخونا الحلبي: هل أنت

تعرف سيدنا؟ فقال له: أنا من قبل سبعة أشهر لي خبر وأُذِن لي أن أحج لأجتمع معه.

لما حججت معه ﷺ عام ١٩٦٥م كانت الكرامات يأخذ بعضها برقاب بعض، من التسهيلات، من الأمور العظيمة، فما كنت أنظر إلا إلى تحقيقاته.

تميز حج سيدنا النبهان بأن عددًا كبيرًا من الرجال والنساء حج معه، ولم يختلط رجل بامرأة مهما كانت، وذلك من حلب إلى حلب، ولم يحدث أي انشقاق أو خلاف حتى أن بعض العلماء عندما اجتمعوا بسيدنا، وشاهدوا هذا العدد الكبير من النساء، والكل يرتدي لباسًا موحدًا ساترًا، ولا يسمع لهم جلبة ولا صوت، فقال: يكفي هذا المشهد ليدل على تميزك، نحن نصحب معنا بعض النساء واحدة أو اثنتين، ونعجز عن التحكم بهن».

كانت هناك جلسات عديدة للسيد النبهان يخص بها الشيخ علايا -رحمه الله- في بيته، وآخر دعوة للسيد في بيت الشيخ علايا على الغداء عام ١٩٧٣م.

والشيخ علاء الدين علايا أحد أكابر أصحاب سيّدنا ﷺ، استقى من معينه وشاهد المشاهد الكثيرة والكرامات العظيمة فهو صاحب صحبة صادقة مع السيد النبهان قدس سره.

كان للسيد النبهان مجلس خاص يوم الجمعة بعد العصر في بيت من بيوت أصحاب سيدنا يحضره عدد من أهل العلم وإخوان السيد، وكان الشيخ علاء الدين علايا ممن يحضر هذا المجلس.

ومرة كان الشيخ علايا في مجلس خاص فيه بعض إخوان سيدنا فقال لهم السيد ﷺ: «لا أموت حتى أكملكم كلكم».

حين أجرى السيد النبهان عملية جراحية قبل وفاته بفترة كان يوضع له فراش عند النافذة الغربية لغرفة الضيوف بعد العصر ويلتف الحاضرون من أحباب

السيد حوله، والشيخ علاء الدين ممن واظب على هذا المجلس وكان هو أكثر الحاضرين أسئلة للسيد، وكان يحضر المجلس الذي خصه السيد النبهان للعلماء، ويواظب عليه وقرئ في كتاب إحياء علوم الدين مدة، وكان الشيخ علاء الدين يقرأ والسيد يعلّق.

أعماله ووظائفه ودعوته:

- عمل مدرسًا في العديد من مدارس حلب وغيرها كمدرسة جول جمال في اللاذقية، وثانوية هنانو في حلب؛ وكان له أثر بارز فيها، والمدرسة الخسروية، وكذلك كان موجهًا لمادة التربية الإسلامية في مدارس حلب.
  كان الشيخ علايا يدرّس التربية الإسلامية في مدارس التربية في حقبة من تاريخ بلاد الشام المعاصر التي تعدّ الأكثر حراكًا وعراكًا بين الإسلام والحركات والأحزاب فكان يخوض حوارات طويلة عريضة مع أصحاب تلك التيارات.
- عين مديرًا في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، وكذلك مدرسًا، فدرّس فيها: أصول الفقه، والثقافة الإسلامية ومصطلح الحديث، والإقراء، والفرائض، والبلاغة، والعروض، وقصص الانبياء، دَرّس في مدرسة الكلتاوية منذ افتتاحها عام ١٩٦٤م إلى وفاة السيد النبهان رضي الله عنه ١٩٧٤م.
- كان له درس فكري روحي قبل صلاة الجمعة في جامع الكلتاوية من عام ١٩٨٧م إلى عام ١٩٩٥م.
- له درس خاص يوم الاثنين بعد العصر إلى المغرب يجيب عن أسئلة الصفوف الأخيرة في المدرسة، وكثير منها مسجل.
- ظل الشيخ علاء الدين علايا مدة طويلة يحضر عند ابن سيدنا السيد أحمد النبهان أبو فاروق بعد صلاة الجمعة حيث يستمع الحاضرون شريط درس أو مذاكرة بصوت السيد النبهان، ثم يشرح الشيخ علاء الدين علايا ويجيب على أسئلة الحاضرين وقد استمر ذلك مدة طويلة.

مشاهد ومواقف:

وهنا أنقل بعض المشاهد التي حضرها وتحدث عنها -كما هو مسجل- يقول، رحمه الله:

«ذُكِر الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي -قدس سره- أمام سيدنا النبهان وكنت أنا جالسًا فقال أحد الأشخاص وتلا قول الشيخ الأكبر:

لكلِّ عَصْرٍ واحدٌ يَزْهُو به وأنا لباقي العَصْرِ ذاك الواحدُ

وأنا بنفسي قرأت هذا الكلام وهو مكتوب على مدخل مزار الشيخ الأكبر في دمشق.

فأنا تدخلت بالموضوع أمام سيدنا فقلت له: سيدي! يمكن أن يكون في الرواية تحريف، والشعر يحدث فيه تحريف، فأصل البيت كما قلت أنا: «وأنا لهذا العصر ذاك الواحد» وإذ بسيدنا يقول: لا «لباقي العصر» فسكتُّ، وما خطر ببالي ما الذي أبقاه لسيدنا إنما ثبت عندي أن هذا البيت صحيح وهذه الرواية صحيحة، أحد الأشخاص بعدما انفض المجلس استأذن سيدنا وقال: سيدي! أنا عندي استفسار؟! فقال له سيدنا: تفضل. قال: سيدي إذا كان الشيخ الأكبر هو لباقي العصر ذاك الواحد فما أبقى لجنابكم؟ قال سيدنا: «الشيخ الأكبر صفاتي وهو يتكلم عن الصفاتيين».

ومرة سأله أحد الإخوة وقد سمعت ذلك منه مباشرة قال: سيدي ماهي مرتبتك في الوجود؟! قال: «أنا الفرد الذاتي».

كان سيّدنا ﷺ يشرّفنا بالحضور كل يوم جمعة بعد صلاة العصر إلى فئة من الإخوة منهم: الشيخ حسان فرفوطي، والحاج أبو بشير الرفاعي، والشيخ محمّد لطفي، وكنّا مرّة بصحبة سيّدنا ﷺ في بيت أخينا الحاج حسن ابن محمّد إسحاق ابن عمر المكنّى بحسن دانيال، وحضر المجلس اثنان من الشيوخ المصريين: الشيخ عبد

اللطيف شعبان والشيخ محمود جوهري اللذين كانا مدرِّسين في دار نهضة العلوم الشرعية وقد انتهت مدّة إقامتيهما، فطلبا مني أن أكلم سيّدنا ﵁ ليكرمهما بشيء قبل سفرهما، فبادرت وقبلّت يده وقلت له: سيّدي إنّهما يريدان إكرامًا من جنابك، وعندها قال ﵁ مباشرة: هذا رسول الله ﷺ. فالتفتُّ عندها فرأيت رسول الله ﷺ[١].

كنا في غرفة سيدنا ﵁ فخرج سيدنا من الغرفة للوضوء فقال أحد إخواننا: إن لإخواننا العراقيين مكانة عند سيدنا أكثر من الحلبيين، فأجابه الشيخ علايا: لا تنس أن لطلاب مدرسة الكلتاوية مكانة كبيرة عند سيدنا، فدخل سيدنا ﵁ بعد أن فرغ من الوضوء فأخبروه بالحوار فقال ﵁: «لو كان قلبي يتسع لغير رسول الله لكان لطلبة الكلتاوية».

حضرت بنفسي في غرفة السيد التي فيها مقامه الشريف جاء إليه ثلاثة أشخاص يحملون الدكتوراه أحدهم في علم النفس والآخران في علم الاجتماع «التاريخ والجغرافية» وسيدنا من ناحية الدراسة دراسته شرعية فقد درس في الخسروية وفي الأزهر الشريف العلوم الشرعية[٢]، دار الحديث، ومنّ الله عليّ أن حضرت هذا الاجتماع، وإذ بأحدهم يوجه السؤال لسيدنا فيقول: ما درجة حديث «علمت علم الأولين والآخرين، وسلوني ما شئتم ما دمت في موقفي هذا»؟ ما درجة هذا الحديث من حيث المصطلح وعلم الحديث؟

---

(١) للفائدة انظر بحث :«رؤية الرسول ﷺ في اليقظة». تأليف: الدكتور محمود أحمد الزين.

(٢) لكنه لم يكمل الدراسة في الأزهر الشريف، دخل ﵁ الأزهر بالرقم: ٦٧٩ /ش / محمد أحمد نبهان، حلب / سورية، تاريخ الانتساب ٧ رجب ١٣٤٦، الموافق ٣١ كانون الأول ١٩٢٧م، وترك الأزهر في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٤٧، الموافق ٦ تشرين الأول ١٩٢٨م. انظر كتاب «السيد النبهان» ط٣ (٧٩:١).

فأجابه سيدنا جواب الحكيم كما أجاب القرآن حين قال: يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس، قال السيد النبهان: «إيش نريد من درجة الحديث؟ أنا أمامكم، سلوني ما شئتم ما دمت في موقفي هذا، إي أنا وارث محمدي أجيب كما أجاب محمد ﷺ، أنت يا عالم النفس، وأنت يا عالم التاريخ، وأنت يا عالم الجغرافية سلوني ما شئتم ما دمت في موقفي هذا».

وهذا برهان على أنه الفرد المحمدي الذاتي، وهذا غيض من فيض ونقطة من بحر.

سمعت السيد النبهان -حفظنا الله به- من فمه لأذنيّ وكنت أجلس على كرسي أمام طاولته في غرفته وكنت لوحدي يقول: «مما منّ الله به على أنني ما تركت أحدًا أمامي، وقال: كنت أتمنى أن أعود ابن ثلاث سنين لأسير سير سهل التستري أما الآن فلا أتمنى».

سمعت سيدنا من فمه الشريف لأذني -واللهُ على ما أقول شهيد- في غرفته هذه وأنا كنت بجانبه فسأله أحد إخوانه: هل صحيح هناك مجدد ألف ومجدد مئة؟ فقال: نعم ثم قال -وبكل صوت متواضع-: «وأرجو الله أن أكون مجدد الكل».

ذكر أحد إخوان سيدنا أمام السيد النبهان أن الشيخ عبد الغني النابلسي قال: منّ الله علي أنني في ليلة من ليالي الأسبوع تنام عيناي ولا ينام قلبي فقال سيدنا رضي الله عنه: «وهذا سمعته بأذنيّ هاتين» مما منّ الله علي به أنني على الدوام تنام عيناي ولا ينام قلبي.

ويقول رضي الله عنه: بعضكم وهو في بطن أمه أنا استلمته، وبعضكم من عالم الذر.

قال أحد إخوان سيدنا وكنا في بيته مدعوّين في آخر أسبوع قبل انتهاء أجله يقول لسيدنا الشيخ محمد النبهان ونحن جالسون معه: يا سيدي إن شاء الله في الدار الآخرة نجلس مثل هذا المجلس فقال له: نعم مثلما نحن جالسون نجلس هناك ثم انعطف إليه وقال: ولكن أنت على ما أنت عليه وأنا على ما أنا عليه «أي

أنت في مرتبتك وأنا في مرتبتي» فعلم من علم من الإخوان أن أجل هذا الأخ قد انتهى وفعلًا توفي بعد فترة وجيزة.

سمعت من فمه الشريف لأذنيّ هاتين في غرفته التي فيها قبره الشريف: أبو شوقي! هذه العلوم التي عندي وأشار إلى صدره الشريف هل ترجع معي؟! «يعني ما وجد لها حملة ممن عاصره».

ويتحدث -رحمه الله- عن انتقال سيدنا فيقول: كان انتقال سيدنا فقدانًا لحقيقتنا وفقدانًا لذواتنا، ولا يحافظ لنا على هذه الذوات إلا المحبة، وفقداننا له فقدان للتحقيق والتجديد في بيان حقيقة وجوهر الشريعة الإسلامية فلا شك أنه مجدد ومجدد الكل كما سمعته شخصيًّا من فمه الشريف لأذني بأنه مجدد الكل، وأنه محقق، وأنه ما من قول إلا وحققه ماعدا القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ فهذه خسارة عظمى لا تعادلها خسارة وفداحتها كبيرة لا يساويها أي شيء في الوجود لأننا خلقنا للمعرفة إذن فقدنا التحقيق والتجديد، والتجديد يعني إعادة وتقويم مفهوم الدين المفهوم الصحيح للقرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، فهذا التحقيق وهذا التجديد لا يعادل فقدان الوجود بأسره».

هذا غيض من فيض سيرته العطرة، فرحمه الله آنسه الله رفع درجته في عليين.

مرضه ووفاته:

لازمه المرض أواخر حياته إلا أنه لم يغير فيه شيئًا من عقله ودقة فهمه واستحضاره العلوم.

يقول الشيخ محمود الزين، رحمه الله: «زرته في عام ٢٠٠٨م فوجدته كما هو في عقليته وتفكيره ومعالجته للمسائل، لم يغيره الكبر ولا المرض».

توفي عصر الجمعة ١٧ جمادى الأولى ١٤٣١ للهجرة، الموافق ٣٠ نيسان ٢٠١٠. م

وصلي عليه في جامع الكلتاوية ودفن في مقبرة البادنجكية في حلب الشهباء.

رثاؤه:

رثاه تلميذه الشيخ محمود العبيد فقال:

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بادئ ذي بدء أعزي نفسي ومدرسة الكلتاوية والأمة الإسلامية جمعاء بوفاة العالم الجهبذ فضيلة العلامة المربي الشيخ: علاء الدين علايا.

تغمده الله تعالى بوافر رحمته، وأسكنه فسيح جنته، وأنزل عليه السكينة والأمان، وجعل قبره روضة من رياض الجنان، وحشره مع سيد الأنام مولانا محمد والصحب الكرام.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم ٢٤).

إذا كان هذا الوصف لكلمة طيبة فكيف يكون الوصف لعالم جهبذ، ومربٍّ صادق، ومعلم بارع، جعل الرسول قدوته، ومحبة الصالحين بضاعته، ومجالسة العارفين سجيته؟!

فقد كان لهذه الخصال الحميدة أثر في أخلاقه وأحواله وتصرفاته.

ولك أن تتصور معي أخي الكريم حال من لازم الصالحين وأخذ عنهم.

كان -رحمه الله- وقّافًا عند حدود الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، عُمَريٌّ في طبعه، تساوى عنده الكبير والصغير «وأعني هنا المراتب الدنيوية الزائفة والطبقات الاجتماعية البالية» فكان لا ينظر إليهم بمنظار الدنيا الفانية، ولكن بمنظار الحقيقة، بمقياس أهل الله، حيث إن الكبير عندهم هو الله تعالى.

ولعلي أذكر موقفًا لي معه يدل دلالة واضحة على قبوله الحق من أين أتى فالحق عنده أحق أن يتبع.

تعلمنا منه أصول النقاش والحوار، حصل خلاف بيني وبينه عندما كنت مراقبًا في مدرسة الكلتاوية بعد وفاة السيد النبهان ﵁، فاستعملت معه نفس الأسلوب الذي يسير عليه في النقاش، فلما غلبته بالحجة وأثبت له الدليل قال لي: أنا أخطأتُ والحق معك.

وكان محبًّا لأهل الله، ملازمًا لهم، متأدبًا في حضرتهم، مقتفيًا أثرهم، متمثلًا بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام ٩٠) فانبثق النور المحمدي من قلبه ليظهر على لسانه وقلمه، حتى شهدناه مخلصًا تقيًا ورعًا.

كان مثالًا يحتذي به ويفتخر طالب العلم منا بالانتماء إلى هذه المدرسة المحمدية.

فو الله إن الكلمات والمعاني لتزدحم في ذكر مناقب هذا الشيخ الجليل والوالد المربي، ولكن مهما كتبنا في حقه فلن نوفيه قدره.

فوداعًا يا أبا شوقي، لك منا التحية والسلام، ولتسعد روحك في عليين.

فطبت -يا شيخنا- وطاب مسعاك، وجمعنا الله وإياك في رحاب خير الأنام سيدنا محمد بدر التمام وآله والصحب الكرام.

ورثاه تلميذه الدكتور أحمد الموسى فقال:

(الشيخ علاء الدين علايا أستاذ العقلانية والمعاصرة)

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر ٢٨-٢٩)

وداعًا أستاذ الأساتيذ، رحمة الله عليك، وجزاك خير ما جزى أستاذًا عن العلم وطلابه والتربية وشُدَاتها.

لقد كنا ولا نزال نحن طلابك ندعو لك في صلواتنا ومنتدياتنا، فائذن لنا اليوم أن ننشر بعضًا من مآثرك في سطور وكلمات وفاءً لروحك الطاهرة، وإنصافًا للرجال الذين لم يطوِ القدر صحف عمرهم المبارك حتى رفدوا الحياة بأجيال أخرى روت للتاريخ قصص عباقرة العلوم الإسلامية في حلب الشهباء حاضرة الدين، والثقافة، والتراث، والتقى، والتسامح في بلاد الشام.

أول لقاء كان لي به يوم تقدمت إلى معهد دار نهضة العلوم الشرعية للانتساب إليه في صيف عام ١٩٦٦م كان يجلس بوقار إلى جوار اثنين هو ثالثهما: المربي الكبير مؤسس المعهد سيدي محمد النبهان -طيب الله ثراه- وشيخي محمد أديب حسون، رحمه الله.

ثم صار الشيخ علاء الدين علايا أحد شيوخي الأكثر تأثيرًا في تخصيب عقليتي، وتنمية معارفي، كان أستاذي في العلوم التي ثوّرت عقليتي الناقدة والمتوثبة، كعلم أصول الفقه، ومصطلح الحديث، والمنطق، وأحيانًا البلاغة العربية، وكلها علوم لا يدرّسها إلا من وُهب العمق والحذق والتفنن في العقليات والذوقيات، وكان الشيخ علايا بحق أستاذها وفارسها.

والطريف مع هذا أننا كنا في معهد ليلي نهاريّ، مسوّر لا يسمح لنا بمخالطة الناس إلا بندرة، فلا نزور أو نُزار إلا في المناسبات، فنحن منقطعون للتعلم والتربية، وكأن من استراتيجية التخطيط التربوي حينذاك أن نتفرّغ تفرّغًا تامًّا من كل شواغل الدنيا.

ولأن الطموح والتطلع لا يمكن أن يُسوّرا بإحكام كان الشيخ علايا يمثل لنا بوابة عبور، نتعرّف من خلالها على تيارات الحداثة والمعاصرة، وما يُشعِل الحراك الطلابي من أسئلة عصرية في المدارس الحكومية، فقد كان الشيخ علايا يدرّس في تلك المدارس التربية الإسلامية، وفي حقبة من تاريخ بلاد الشام المعاصر تعدّ الأكثر حراكًا وعراكًا بين الإسلام والحركات والأحزاب العلمانية، فكتب على

مدرسي التربية الإسلامية أن يكونوا في واجهة هذا الحراك وحواراته، ولذا كان أستاذنا يحضر إلينا غالبًا بعد الظهر وقد أنهى دروسه في المدارس الحكومية، وخاض ما خاض من صراع عالي الموج، فإذا وصل إلينا -ونحن قلة- ألقى عصاه واستقر به غمار التحديات وتنفّس الصعداء، كأنه يشعر إذا التقانا براحة الجسد والأعصاب، ثم يشرع في تدريسنا بعقلية أخرى وروحية أخرى.

لقد أوتي شيخنا قوة البرهان، وسطوع البيان مع الصبر والمصابرة.

وما كان أحوجنا نحن المنقطعين عن العالم إلى استطراداته! وهي في الأغلب نفثات متأمل، أو ملاحظات أو تعليقات من خرج من الحوارات توًّا، وكلها أمور نطالع فيها ما يفكّر به أترابنا من الطلاب كالاشتراكية والوجودية والليبرالية والرأسمالية والديمقراطية، والحريات، والتي كنت أراها من ألصق ما يجب تدريسه في فصول العقيدة، بدل تاريخ الفرق ومقولاتها.

إن نجاحي في حياتي العلمية والعملية يعود بعد فضل الله تعالى إلى شيوخي الأوائل ومن أبرزهم الشيخ علاء الدين علايا.اهـ.

وقال في رثائه **تلميذه الشيخ إبراهيم المنصور**(١):

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أحسن الله عزاءنا، وعزاء إخواننا زملاء الدراسة، وعزاء المسلمين في أستاذنا الكبير، المربي الفاضل، والعالم العامل، والحاذق العاقل، شيخنا أبي شوقي، الشيخ علاء الدين علايا، رحمه الله وأحسن مثواه.

لقد عرفناه في الروضة الربانية الزكية، والدار النبهانية البهية، مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية، سقى الله أيامها ما كان أصفاها! وأحلاها من أيام!

---

(١) الشيخ إبراهيم منصور (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

كان أستاذنا الراحل أصوليًّا، فرَضيًا، لغويًّا، أثريًّا، كان حَبرًا في العلم، رحبًا في الفهم، بحرًا في العقل والتحقيق، فارسًا مجليًا في الحوار والحِجَاج، جبلًا في الصدق والثبات، مثلًا في الإخلاص وحسن الصحبة لشيخنا ومربينا العارف بالله سيدي محمد النبهان قدس الله روحه.

قال لنا مرة: إن الذي شدني إلى سيدنا الشيخ ما رأيت عنده من العلم والتحقيق. «أو كلمة بهذا المعنى».

ومن أهم ما يميز فقيدنا -رحمه الله- أنه كان صيـِّنًا ديـِّنًا، لم تنل الدنيا من دينه شيئًا، لا المناصب ولا المطامع، ولا العمائر والمزارع، بل ولا المنابر والمجامع، فقد كان من الأخفياء الأتقياء.

كان -على جلالة قدره وذيوع اسمه في الوسط العلمي والتعليمي في حلب الشهباء، في الثلث الأخير من القرن الهجري الماضي- خامل الذكر في سنوات الفتن والمطامع التي أشرعت أبوابها بعد ذلك.

يذكرني حاله بحال سيدنا سعد بن أبي وقاص ﵁، الذي كان من السابقين، ومن وجوه الصحابة ﵃، ومن العشرة المبشرين، ولكنه آثر العزلة إبان الفتنة، وغادر المدينة إلى العقيق فرارًا بدينه، ولما عوتب في ذلك قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»(١).

وأحسب أن أستاذنا الراحل قد كان من أولئك الأتقياء الأخفياء، أحسبه كذلك ولا أزكيه على الله.

وأشهد أني زرته في منزله بحلب، بصحبة بعض زملاء الدراسة، قبل قرابة عشر سنوات، فوجدناه وحيدًا في شقته، ليس معه فيها أحد، قد كف بصره أو كاد،

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الزهد والرقائق) حديث رقم [٢٩٦٥] ٤: ٢٢٧٧

فتملكتني حسرة وحيرة، كيف يكون رجل بهذا القدر-قد كان قبلُ ملءَ السمع والبصر في الساحة العلمية في البلد- مغمورًا مستورًا على هذا النحو المحزن؟! ولكنها الصيانة والديانة.

والسلامة لا يعدلها شيء، فهل في هذا عِبرة لمعتبِر، أو قدوة لمدَّكر؟!

رحمك الله أبا شوقي رحمة واسعة، وأنزلك منازل الصديقين، وجزاك الله عن أجيال الناهلين من علمك، والمسترشدين بهديك، خير ما جزى به عالمًا عن علمه، وسلفًا عن خلف، وجمعنا بك في عليين في مستقر رحمته، إنه أرحم الراحمين. آمين.

ورثاه تلميذه الدكتور محمود أحمد الزين -رحمه الله- فقال:

في وداع العلامة أستاذنا علاء الدين علايا، -رحمه الله-، أستاذيَ العلامةَ المفضال وشيخيَ المحقق في كل ما قال.

رحمك الله قدر ما أفدتُ منك وأفاد كل محب للعلم والتحقيق، وقدر ما رفعتَ للحق من منار أضاء كل طريق، رحمك الله قدر ما قدمت للأجيال من علم ممزوج بنور الهداية، رحمك الله قدر ما أحببت السيد النبهان وأحبك وسقاك من نوره فسقيت به المحبين، أبكيك أم أبكي يوم وفاتك العلم والتحقيق ونصرة الحق وإخماد الباطل ونشر أنوار السيد النبهان؟! بل أبكي ذلك كله، وأبكيك أنت أولًا، فأنت منبع لذلك كله وأنت علاء الدين.

ودّعِي شهباءُ ذا الوجهَ الوقورْ ... ودّعِي في العلم سَفانَ البحور[1]
غاص في العلم إلى أعماقه ... واقتنى منه دراري النحور
وغدا التحقيق طبعًا عنده ... في عويص العلم في أخفى الأمور

(١) السَّفَّانُ: قائدُ السفينةِ.

ما ارتوى لكـن مضـى مسـتطلعًا عن ذوي العرفان سادات الصدور
فـإذا النبهـان شـمس في الضـحى وسناها مشـرق مـلء الدهـور
فـدنا مقتبسًـا لكنـه صـار في أفلاكهـا دون شـعور
ورآه النـاس نجمًـا سـاطعًا فيـه مـن أنوارهـا وجـه البـدور
عاش يـزداد ضـياءً بعـدها ويناجيهـا بطـور بعـد طـور
ويبـثُّ العلـم ممزوجًـا بـه فـإذا طلابـه فخـرُ العصـور
غـير أن الشـوقَ للنبهـان مـا زال يغـلي مثلمـا غليُ القـدور
فأتـت مـن فـوق أطبـاق السـما دعـوة نـادت فلـبّى في حُبـور(١)
كيـف لا والسـيد النبهـان في وجهـه يلقـاه في أعلى القصـور
طـار يشـتدُّ إلى أعتابـه حـولَه الأحبـابُ في أسـمى سرور
طابـتِ اللقيـا وعاد النجـم في لُجّـة النـور كمـا مـاضي العصـور
غادرَ الدنيـا وفيهـا أهلـه ومحبـو العلـم، ممزوجًـا بنـور
أدمعًـا حـرَّى قلوبًـا خشـعًا وحنينًـا دائمًـا مـلء الصـدور
يـا عـلاءَ الديـنِ دعهـم يهنـؤوا بـالذي أبقيـت فضـلًا ذا ظهـور
واهـنَ بالنبهـان في فردوسـه وتجـلي الله في مَـرِّ الدهـور

وكتب في رثائه الشيخ إبراهيم الحمدو العمر:

أيُّ صبْرٍ على طويلِ بِعادي بعضُ هذا النوى مُعَنٍّ فؤادي
كلمّا قلتُ: إن عارِضَ حزني ينجلي، قال: إنه في ازدياد
زهرة العمر لا يدوم جناها والأماني لمَنْ جنى شرّ زاد
ومنى الحُرّ ضاق ذا الدهر عنها بائداتٌ على الصخور الشداد

---

(١) حُبور: بهجة و سرور.

وإذا سار ظامئ خلفَ آلٍ[١] كان ريّاه نفحة من رماد
رب طَوْدٍ تَحَارُ فيه الدواهي قد طواه الفناء سَلْسَ القياد[٢]
وعظيمٍ قد سدَّ أُفْقَ المعالي أمكنَتْ منه مهلكات العوادي[٣]
هَتَفَ الموتُ بالجميع فهبُّوا إنَّ ذا الخلقَ طائعٌ للمنادي
والبرايا ذا قادمٌ لحياةٍ لم يُرِدْها، و ذاهبٌ لِمعاد
رحلة حيَّر العقولَ مداها سار فيها الحمقى وأهلُ الرشاد
أيّهذا الثرى المليءُ جسوما أترى ما سئمت حضن العباد
كم جليل يهز متن الدراري سكن الرَّمْسَ[٤] كوكبًا ذا اتِّقاد
ولقد جاءك (العلاء) نزيلا بعد أن كان في منيع العماد
فاغتبطْ يا ثراه فُزْتَ بِطَوْدٍ كان زين الملا وتاج النادي

مصادر الترجمة:

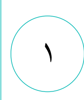
- ولده الأستاذ محمد علاء الدين علايا، لقاء مباشر معه.
- دروس الشيخ علاء الدين علايا المسجلة.
- الدكتور محمود أحمد الزين-رحمه الله- لقاء مباشر.
- الشيخ محمود العبيد، والدكتور أحمد الموسى، والشيخ إبراهيم منصور، والشيخ إبراهيم الحمدو العمر، مراسلة كتابية.

---

(١) الآل: السراب.
(٢) الطَّوْدُ :الجبلُ العظيم . و سَلِسُ القِيَادِ: يُقَادُ بِسُهُولَةٍ وَلُيُونَةٍ.
(٣) العوادي: المصائب.
(٤) الرمس: القبر.

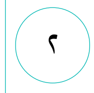
ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:



أبيات من قصيدة الشيخ علايا بصوته، عن سيرة سيدنا النبهان.





في وداع الشيخ علاء الدين علايا، تأليف وأداء الدكتور محمود الزين.





في وداع الشيخ علاء الدين علايا، من دروس الشيخ عبد المنعم سالم.



(٤٠) الشيخ علي عمر المحمد

١٣٦٩ - ١٤٣٩هـ/ ١٩٥٠ - ٢٠١٧م



هو الشيخ علي عمر ابن الشيخ أحمد المحمد الأويسيّ الحسيني.

ولادته:

ولد -رحمه الله- في أسرة متواضعة كريمة في قرية حزوان التابعة لمنطقة الباب في محافظة حلب عام ١٩٥٠م من أبوين صالحين، وكان والده يتمنى أن يكون له أولاد طلاب علم، والشيخ عمر عابدين -رحمه الله- كان يقول للشيخ علي وعثمان: والدكما ولي لا يعرف نفسه.

دراسته:

درس الابتدائية في قرية حزوان، وكان قد دخل أخوه عثمان- وهو أصغر سنًّا منه- مدرسة الكلتاوية عام ١٩٦٦م فطلب من الإدارة قبول أخيه علي فقبل ودرسا معًا في عام دراسي واحد، وكان سيدنا كلما قلّب دفتر الطلاب الذي فيه صورهم ووصل إلى صورة الشيخ علي وعثمان يقول: «الصغير جاء بالكبير»، تكرر مرض الشيخ علي في الصف الخامس، فتخرج الشيخ علي بعد أخيه بسنة، وذلك في العام الدراسي ١٩٧٢-١٩٧٣م في الفوج الرابع.

انتقل بعدها إلى الأزهر الشريف، وتخرج في كلية الشريعة الإسلامية، ونال شهادتها عام ١٩٧٧م.

يقول الشيخ علي -رحمه الله-: «في أيامنا الأولى في الدار اكتحلت عيوننا بطلعة السيد النبهان ﵁ فملأ حبه جوارحنا.

كان للسيد مذاكرة للعلماء يوم الثلاثاء بين المغرب والعشاء، فكنت أحضر أنا وأخي مع أساتذتنا بأمر منه ﵁ ونحن في بداية طلب العلم.

في السنة الأخيرة من الدراسة في الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) خطبت منه زوجتي (أخت الشيخ محمد الرشواني) وبعد التخرج زوجني ﵁ وأسكنني قريبًا من بيته.



من اليمين: الدكتور عثمان عمر المحمد، ثم شقيقه الشيخ علي (رحمه الله)

لقد أظهر ﷺ الاعتناء بنا، وكنت كلما أحببت أن أدعوه لبيتي المتواضع يلبي دعوتي، ويظهر السرور في ذلك، ويقول لي: «أنت ولدي وفي أي وقت يخطر ببالك أن تدعوني فادعني» فكنت لا أتحرج من دعوته، فبلغتْ ست دعوات، وكان سيدنا يلبي الدعوة في بيتي المتواضع، ويظهر السرور في ذلك».

يقول أخوه الدكتور عثمان: «آخانا سيدنا ﷺ مع بعض، فنحن إخوة أشقاء، وإخوة في الله».

ومرة دعاه الشيخ علي مع بعض إخواننا ووضع المسجل في الغرفة ليسجل الجلسة، لكن دون استئذان سيدنا وأخفاها، وبعد انتهاء الجلسة -وكان فيها جمع من إخواننا العلماء- خرج الكل وبقي الشيخ محمود فجال -رحمه الله- وكان قد علم أن الشيخ علي يسجل، فقال: يا شيخ علي أخرج المسجل لنسمع التسجيل. وإذ بالمسجل قد سجل فقط صوت الملاعق أثناء الطعام ولم يسجل شيئًا من كلام سيدنا أبدًا، فدهش الشيخ محمود فجال، وقال: لو لم يسجل المسجل صوت الملاعق لقلنا: هو متعطل، وتلك مشيئة الله، ولكن أن يسجل فقط صوت الملاعق ولا يسجل بقية الأصوات فتلك كرامة عظيمة.

عمله:

عمل مدرسًا وموجهًا في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) حين كان طالبًا في الأزهر وذلك عامًا واحدًا.

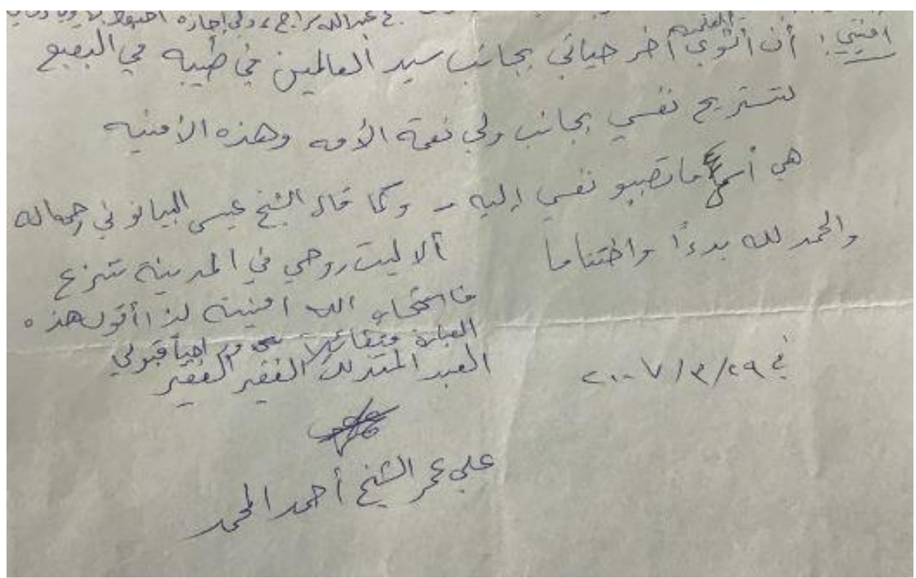
ثم عمل في السعودية مدرسًا في المعهد العلمي في منطقة عرعر عشر سنين فدرّس فيه الفقه الحنبلي والأصول والمصطلح.

انتقل بعدها مجاورًا في طيبة الطيبة فعمل محاضرًا متعاونًا في كلية التربية ثلاث سنوات، ودرّس فيها المدخل إلى الدراسات الإسلامية، والسيرة، والثقافة.

أصيب بعدها في نظره، فترك التدريس، وجلس مجاورًا للحبيب الأعظم ﷺ.

إجازاته العلمية:

حصل على إجازة تبرك من السيد الشيخ حسن الشاطري الحضرمي، والشيخ عبد الله سراج الدين.


أمنيتي: أن أثوي آخر حياتي بجانب سيد العالمين في طيبة في البقيع
لتستريح نفسي بجانب ولي نعمة الأمة وهذه الأمنية
هي أسمى ما تصبو نفسي إليه - وكما قال الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله
ألا ليت روحي في المدينة تنزع
والحمد لله بدءاً واختتاماً
في ٢٩/١٢/٢٠٠٧
العبد المتذلل الفقير
علي عمر الشيخ أحمد الحمد

سيرته كما كتبها لي بخطه (رحمه الله)

أمنية:

قال رحمه الله: أن أثوي آخر حياتي بجانب سيد العالمين في طيبة في البقيع لتستريح نفسي بجانب ولي نعمة الأمة وهذه الأمنية هي أسمى ما تصبو نفسي إليه.

وكما قال الشيخ عيسى البيانوني، رحمه الله[1]: «ألا ليت روحي في المدينة تنزع» استجاب الله أمنيته فتوفي في ليلة عرفات بعد منتصف الليل يوم الخميس بتاريخ

---

(١) الشيخ عيسى البيانوني (١٢٩٠هـ-١٣٦٢هـ): العالم الفقيه، ولد في قرية بيانون في ريف حلب الشمالي، تخرج في مدرسة العثمانية في حلب، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ محمد

٩ ذو الحجة ١٤٣٨ الموافق ٣١ آب ٢٠١٧م وكانت الصلاة عليه في مسجد رسول الله ﷺ بعد صلاة المغرب من يوم عرفة، ودفن في جنة البقيع.

مصادر الترجمة:

- الشيخ علي العمر -رحمه الله- أوراق كتبها لي بتاريخ ١٠ ربيع الأول ١٤٢٨هـ.
- أخوه الدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلة كتابية.

أبي النصر خلف الحمصي، توفي في المدينة ودفن في البقيع. وانظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (١٥٤) و«نثر الجواهر والدرر» (٩٤٣). جاء في كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١:٩٢): قال رضي الله عنه: طلب مني الشيخ عيسى البيانوني -رحمه الله تعالى- المطالعة معه في كتاب إحياء علوم الدين محبة في مجالستي، فقلت: بشرط أن نعمل بما في الكتاب، فقال: ومن يقدر على هذا يا شيخ محمّد؟! الله يقطع ذقن كل من لا يحبّك).

(٤١) الحاج علي القصّاب

(غير معروف وقت ولادته، ولا وقت وفاته)

أول خادم للسيد النبهان ﷺ حين كان في منطقة باب الأحمر بحلب القديمة.

قال الدكتور محمد فاروق النبهان: «ومن أهم أسر المرحلة التي رافقتُ السيد النبهان فيها أسرة القصاب. وكان الحاج علي القصاب من أقدم إخوان الشيخ، ويعرف عن الشيخ ما لا يعرفه غيره من أحواله ومجاهداته، وكان محبًّا، شديد التعلق بالشيخ، ويحكي في مجالس مرضه عن الشيخ ما لا يعرفه الآخرون، وكان يبكي كلما رأى الشيخ. وتوفي في وقت مبكر»[١].

قال الشيخ هشام الألوسي [٢]: «لا يلمس الناس الصدق والإخلاص في رجل إلا وتنافسوا في التقرب منه وإبداء المحبة والخدمة له، فسبق القوم إلى السيد النبهان شخص من أبناء محلته يدعى الحاج علي القصاب، كان قَصّابًا ومؤذنًا في جامع (باب الأحمر) في حلب القديمة، زرناه في بيته -ونحن ثلاثة- فإذا هو في التسعين من عمره، قد طفح نور وجهه وغشيته السكينة والوقار، قلنا: يا شيخ بلغنا أنّك خدمت سيّدنا النبهان، فهلاّ حدّثتنا عن أيامه الأولى؟

وكان -رحمه الله تعالى- واحدًا ممن رأيناهم إذا حدّثوا عنه بكوا.

فقال: -ودموعه تنساب إلى شفتين يحركهما ببطء-: كنت أرقب سيدنا وصاحبه معروف الدواليبي، وهما طالبان في الخسروية، فلا أراهما إلا ملكين، فلما

---

(١) «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» (١٤٧).

(٢) كتاب «السيد النبهان» ط٣ (٦٦:١).

أقام ﷺ في جامع باب الأحمر، تشـرّفتُ بخدمته، وأنا أمتهن آنذاك القِصَابة، وكنت أبيع الذبيحة، وأنتهي منها ظهرًا، ثم أشتري لسيدنا ﷺ ما أوصاني به، وأخرج معه إلى مزرعة الكرم، وأبقى معه، فالسيد ﷺ يدخل غرفته بعد العشاء، أما أنا فلا أنام الليل كله، حتى إذا خرج قبل الفجر وصلى الصبح اقتديت به، ثم نزلت إلى حلب، لا أعرف النوم زمنًا طويلًا، كيف؟ لا أدري!

ثم منَّ الله تعالى عليّ ببركة تلك الخدمة بترك مهنة الذبح والسلخ التي تورث القلب قسوة وجلادة.

يتابع الحاج علي وصفه حال السيد النبهان في بدايته فيقول: وطعامه آنذاك التمر المقلي أو البيض المقلي، أو ما تيسّر من فلفل وزيت وزعتر وكسر الخبز، ولم يتجاوز ما فرضته الخسروية له من مصروف، وهي ليرة ذهب واحدة في السنة أكلًا وشربًا ولبسًا.

قلنا: أما تحدّثنا عن شيء من كراماته؟ قال: عن أيها أتحدَّث؟ فحركاته و سكناته وأحواله وأقواله وأفعاله وأخلاقه كلها كرامات، كرامته: استقامته.

كانت لنا بغلة نركبها سوية إلى مزرعة الكَرْم فخرجنا ليلة إلى بستان له هناك -وخاله حارس فيه- فما أن وصلنا حتى فاجأنا خاله بإطلاق نار، ظنًّا منه بأنّنا لصوص، فصرخ ﷺ: لا يا خالي قتلتني! وتناثر الرصاص عن صدره دون أذى! فذلك هو بداية أمره».

كتب الأستاذ الدكتور محمود فجال، رحمه الله: عُينت مدة إمامًا وخطيبًا في جامع باب الأحمر، وكان الشيخ علي القصاب هو المؤذن، وكان -رحمه الله- يقرأ في الختم الذي أداره سيدنا في جامع باب الأحمر، وكان كلما التقينا يحدثنا عن سيدنا ﷺ.

وكتب لي عنه الدكتور عثمان عمر المحمد: الحاج علي القصاب مؤذن جامع باب الأحمر كان أبيض الوجه، مشربًا بحمرة، جميل الوجه، مشرق المحيا، نحيفًا،

ممشوق القامة، فانيًا في حب شيخه سيدنا النبهان ﷺ، ولايته ظاهرة في وجهه، من رآه ذكر الله تعالى.

كان أخي الشيخ علي-رحمه الله- ينوب بالإمامة عن الأستاذ الدكتور محمود فجال في جامع باب الأحمر حين ذهب إلى مصر للدراسة، وكان مؤذن جامع باب الأحمر الحاج علي القصاب، وكان مريضًا معقود اللسان، لايتكلم، فأخذ أخي الشيخ علي ماء وكلم سيدنا النبهان أن الحاج علي القصاب مريض ويريد زيارته، فقرأ السيد على الماء ونفث فيه وقال: سلم لي على الحاج علي القصاب، وأثنى عليه وعلى صدقه ومحبته ثناء عاطرًا. توجه أخي لبيت الحاج علي، واستأذن فأذن له، فدخل وسلم، وبلغه سلام سيدنا فراح الحاج علي يبكي وينتحب والدموع تبلل لحيته البيضاء، ثم انطلق لسانه يتكلمُ عِلْمًا أنه من أيام لم يتكلم، ثم قال لأخي: يا ابني كنتُ قصّابًا، وكان السيد يقضي أيامًا طويلة في الكرم، فكنت لما أنتهي من بيع ذبيحتي أذهب إلى سيدنا في الكرم، وأبقى بين يديه إلى أن أصلي العشاء مقتديًا بسيدنا ﷺ ثم يدخل السيد إلى غرفته للنوم، وأبقى أنا الليل كله أرقب النجوم، وأرقب استيقاظ سيدنا فيخرج سيدنا من غرفته فأصلي الفجر مقتديًا بسيدنا، ثم يوصيني سيدنا ببعض الأمور من حلب فأنزل وأذبح ذبيحتي، ومأن يحين وقت صلاة الظهر إلا وقد بعت اللحم، واشتريت حاجات سيدنا، فآخذه وأذهب للكرم، وهكذا كل يوم، هكذا كانت حياتي معه ﷺ.

هذا ماحصلنا من سيرته، رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته.

مصادر الترجمة:

- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- كتاب «السيد النبهان».
- أ.د محمود فجال، مراسلة كتابية.
- الدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلة كتابية.

(٤٢) الحاج عمر ططري

١٣٣١ - ١٤١٨هـ/ ١٩١٣ - ١٩٩٨م

خادم السيد النبهان الحاج عمر ططري (أبو أمين).

ولد -رحمه الله- في حلب القديمة في حارة قسطل المشط عام١٩١٣م.

والده محمد أمين ططري، وأمه عائشة الصباغ.

وأسرة «ططري» من الأسر الحلبية التي لازم الكثير من أفرادها العارف بالله الشيخ محمد النبهان، وأبرز رجال هذه الأسرة الذين كانوا أوفياء لمنهج شيخهم هو الحاج عمر ططري، ذلكم الرجل الصالح الوفي الذي هو آية من آيات السيد الحبيب، فهو الصادق الصادق الهائم بحضرة الحبيب.

عمل -رحمه الله- في شبابه مُعَلّمًا في صناعة الحلويات.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

أكرمه الله تعالى بزيارة العارف بالله السيد محمد النبهان -قدس سره- برفقة الحاج جميل الذهبي (أبو نادر) أحد أقرباء زوجته (أم أمين) وذلك في عام ١٩٤٧م، وكان حينها شابًا وسيمًا، أبيض اللون، أشقر الشعر، يلبس البياض من الثياب، ولما وصل إلى السيد النبهان وألقى عليه التحية قال له سيدنا: «انظر يا عمر إلى هذين البرميلين المتسخين فوق هذا المكان في الجامع اصعد إليهما نظفهما ثم املأهما ماء

نظيفًا» والعناية أدركت الحاج عمر فلم يتأخر ثانية واحدة بل صعد بكل همة ونشاط، وبدأ بتنظيف برميلي الماء، والشيخ يضحك، وقد بدا السرور على محياه، وبان الفرح في وجهه الشريف من سرعة المبادرة وصدق الوجهة وعدم التردد.

ولك أن تتأمل حال ذلك الشاب صاحب الجمال، والمال، والحسب، والنسب في بيت الططري، وآل زوجته الذهبي، وإذ به يصعد بلحظة إلى سطح الغرفة في الجامع لينفذ أوامر سيدنا، وينظف البرميلين حتى يصلحهما ليكونا صالحين للشرب، وهو يلبس طقمه الأبيض، وكان إلى جانب سيدنا هنا الشيخ محمد أديب حسون -رحمه الله تعالى- ولكن أدب الحاج عمر منعه من أن يسأل عن سبب ابتسامة وفرح سيدنا به سنين طويلة إلى ما بعد انتقاله، فسأل الشيخ أديب حسون فقال له: كان سيدنا مسرورًا من صدقك، وتنفيذك للأمر مباشرة.

بعد هذا اللقاء العظيم رافق الحاج عمر سيدنا طوال حياته الشريفة في الحل والترحال حتى آخر حياة سيدنا، ورأى من جنابه الشريف ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وشاهد بأم عينيه كرامات وخوارق من سيدنا ما يبهر الأنظار ويسحر العقول والألباب.

صار بعدها الحاج عمر يسأل سيدنا عن كل أحواله حتى الخاص منها.

شكاه مرة عمه والد زوجته إلى السيد النبهان ﵁ لأنه رمى مفاتيح محله للخردوات في باب النصر عازمًا ترك العمل هناك، فقال له السيد النبهان ﵁:

«ارجع وخذ المفاتيح، وسيفتح الله عليك». وامتثل الحاج عمر للأمر، وتحققت فيما بعد بشرى سيدنا ﵁ له بالفتح.

وسأل السيد النبهان عن بعض أحوال أهل بيته في دراستهم، فحدث أن ابنته الأخيرة لم تحب مدرسة معينة، فقال له سيدنا: «غَيّر لها المدرسة ولتكن مدرسة حكومية عادية، وعليك أن تتركها تتابع دراستها» وفعلًا كانت هي الوحيدة التي

تابعت دراستها، ودخلت الجامعة، ودرست الرياضيات، وأفادت وسافرت إلى الخليج، وكانت أحسن أخواتها في التحصيل العلمي والمادي.

في الخدمة:

والحاج عمر لازم شيخه السيد النبهان في جامع الكلتاوية، وقام على خدمته ليل نهار، وكان لا يذهب إلى بيته إلا ساعات قليلة، وربما طرق أحدهم باب المسجد ظهرًا وقت راحة الشيخ، فيقول له سيدنا: «قل لهذا الذي يطرق الباب أمرك كذا، وجئت لأمر كذا، وجوابك كذا، والشيخ الآن في وقت راحة» وكم جرت هذه الكلمات على فمه الشريف.

ومن عظيم مشاهداته ما نقله الشيخ هشام الألوسي حين قال: «حدّثنا الحاج عمر ططري قال: أيام كان سيّدنا رضي الله عنه ينام في الجامع صيفًا كنت أضع سريري قريبًا منه لخدمته، شهدت يقظة حين زاره فيه سيّدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، جلسوا عنده ساعة من الوقت، وتحدثوا ثمّ انصرفوا».

حدثني الدكتور علي مشاعل قال: «قال لي الحاج عمر ططري، رحمه الله: رأيت السيد النبهان رضي الله عنه في النوم قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ورأيت في حِجره طفلًا رضيعًا، فقمت لأنظر إلى وجه الطفل، فغطى السيد وجه الطفل عني ثم استيقظت، فجئت في اليوم التالي إلى مجلس السيد، وقصصت عليه الرؤيا إلى أن وصلت إلى قولي فقمت لأنظر إلى وجه الطفل..» وإذا بالسيد قبل أن أكمل قال: لا لا كيف تراه؟! لا يمكن. قلت: لقد غطيت يا سيدي وجهه عني. قال: نعم. قلت: فمن هو سيدي؟ قال: هو الخليفة بعدي وإني أتعهده وأربيه.

وكان مما قاله وحكاه لي الحاج عمر ططري أبو أمين -رحمه الله- في بيتي في المدينة المنورة قال: استأذنت السيد رضي الله عنه في بعض السنوات لكي أحج، فأذن لي فودعته وسافرت، ولما ذهبت لزيارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وسلمت عليه، وجلست في مواجهة الحجرة الشريفة وأنا أنظر إليها والناس في زحمة الحج

والزيارة، وإذا بي أرى السيد ﷺ يقصد الحجرة الشريفة فأقعدتني الدهشة والاستغراب، وقلت في نفسي: هل جاء السيد إلى الحج بعد أن ودعته؟ هل حقًّا ما أراه؟ وصرت أفرك عيني! أأنا في يقظة أم في منام! فما زلت أراه قاصدًا الحجرة الشريفة وهو متجه إليها ففتح بابًا فيها ودخل وأطبق الباب وراءه، وأنا أسمع صوت الباب وأرى دخول السيد إلى الحجرة ولما رجعت من الحج إلى حلب

وجاء السيد إلى بيتي يسلم علي قلت له: سيدي هل حججت السنة؟ لقد رأيتك. فقال: يا بني لا تتكلم.

يقول الحاج عمر: فلم أتكلم عن هذه الأمور إلا بعد انتقال السيد ﷺ.

وفي يوم من الأيام جاء رجل بصورةٍ لسيدنا محيي الدين بن عربي ﷺ ووضعها في يد سيدنا ينظر إليها ويشاهدها، وإذا بالشيخ عمر يدخل من المطبخ وقد حمل بيده كوبًا من الماء أو كأسًا من الشاي وقدمها لسيدنا، وما أن رأى صورة رسم سيدنا ابن عربي حتى صاح يا سيدي! هذه صورة سيدنا الشيخ محيي الدين بن عربي؟! فنظر إليه سيدنا بدهشة واستغراب قائلًا: ومن أين أنت تعرف سيدنا محيي الدين بن عربي؟ أو كما قال سيدنا، فأجابه الحاج عمر وصار يذكّر سيدنا بذات يوم أنه كان في خدمة سيدنا الحبيب ليلًا وهو على سريره صيفًا في الباحة التي بين حضرته الشريفة والسياج المطل على مطعم الطلبة الآن وإذا بالشيخ الأكبر يحضر عند سيدنا ويجلس معه على السرير، فطلب أن آتيه بإبريق ماء فجئته به فتوضأ وصار الحاج عمر يصف لسيدنا سيدنا ابن عربي والزمان والمكان وأحداث تلك الواقعة فأسكته سيدنا وقال له: لا تكمل.

نعم فالسيد النبهان هو الذي قال: لو أحد أخذ قلبي غير رسول الله ﷺ لأخذه الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ﷺ».

حجه مع السيد النبهان ﵁:

أكرم الله الحاج عمر بصحبة سيدنا النبهان في حجه عام١٩٦٥م فرأى هناك بعينه ما يسلب العقول والألباب، فلقد أقسم بالله العظيم أنه كان جالسًا أمام الحجرة النبوية الشريفة هائمًا بالحبيب الغالي العظيم الجاه العالي سيدنا محمد ﷺ وإذ يتقدم السيد عالي المقام سيدنا النبهان إلى باب الحجرة النبوية الشريفة ويدخل من الباب بأدب جم وتواضع لا مثيل له، والحاج عمر في ذهول تام ودهشة عارمة هل هو في حلم أو في يقظة! وإذ به يقفز بنفسه بلا تردد أو انتباه فينهض بسرعة ويتقدم ليدخل مع سيدنا النبهان إلى حضرة سيدنا محمد ﷺ ولكن الباب يغلق ولا يستطيع الدخول، فحدث سيدنا بما جرى معه وسأله لمَ منع من الدخول فخفف عنه سيدنا ولاطفه قائلًا: «لعل الدعوة كانت خاصة يا حاج عمر».

سفرة إلى تركيا:

وفي تركيا رأى العجائب، وزار العديد من الأماكن والشخصيات بصحبة شيخه السيد النبهان، كان الضباط الأتراك هناك يقفون بأدب، ويقدمون التحية لموكب سيدنا عندما يمر أمامهم.

في أول سفرة للسيد إلى تركيا وكان معه الحاج عمر كدليل وخادم لسيدنا -هنأه الله- وفور وصولهم قاد السيد النبهان دليله في الظاهر إلى مكان ما، هنا دهش الحاج عمر واستغرب، بل أسقط في يده أين أخذني سيدنا؟! أنا دليله هنا؟ أم هو دليلي سوف يعلمني المناطق؟! امتثل لأمر سيدنا وركبا السيارة بسرعة واتجهوا حيث أمرهم السيد النبهان ﵁ نزلوا في مكان فيه قبر عالم من أكبر قراء القرآن الكريم في العالم الإسلامي، فقال الحاج عمر: يا سيدي أنا ابن هذه البلاد ورحت وجئت إليها سنين، ولا أعرف هذا المكان ولا صاحبه ولا أظن أن الناس هنا تعرفه أو حتى يعرفون هذا المكان وجنابك جئت من حلب إلى هنا لأول مرة، وتأخذني إلى

هذا المكان! لا حرمنا الله منكم يا سيدي، وبدأ سيدنا يشرح للموجودين في السيارة في طريق العودة عن هذا الرجل الشخصية العظيمة التي زاروها.

وزار مع السيد النبهان في تركيا آثارًا إسلامية عظيمة وأضرحة رجالات الإسلام عبر التاريخ، وهناك مزارات لا يعرفها حتى أهل تلك البلاد أنفسهم وقتها، وممن زارهم سيدنا: (كركوز وعيواظ) في قبريهما، وكذلك جُحا، ولما زار سيدنا كركوز وعيواظ ضحك سيدنا وهو واقف على قبريهما ثم مشى بسرعة عنهما فسأله الحاج عمر عن ذلك فقال له: «والله يا أبو أمين صاروا يمثلون لي في قبريهما» وقال للحاج عمرططري: «إن هؤلاء من أهل الله ولكن مرحلتهم ورسالتهم للمسلمين كانت بهذه الطريقة لتصل إلى كل الناس بأبسط صورة وأسرع وأقوى تأثير وأبلغ عند العامة من الناس».

ومن أثر سيدنا في تركية ما حدثني به الدكتور محمود الزين -رحمه الله- قال: سمعت من الحاج عمر ططري -رحمه الله- أنه كان مع سيدنا في تركية ومرة كان سيدنا جالسًا في بيت يتحدث، فمر بالبيت عابر طريق سكران، فرأى البيت يشع نورًا، وقف أمام البيت وجعل ينادي: افتحوا الباب؛ لأرى ما هذا النور! ويطرق الباب افتحوا الباب، بعدها أتت زوجته وأهله قدموا اعتذارهم وأخذوه، في اليوم التالي أتى إلى السيد جلس أمامه واعتذر منه وجعل السيد يتحدث معه حتى أعلن توبته.

قال الشيخ هشام الألوسي في كتاب «السيد النبهان» ط٣ (٢٤١:١): «حدّثنا الشيخ عمر ملاحفجي، والحاج عمر ططري رفيقاه رضي الله عنه في السفر قال: كنّا نقول له: سيّدي، انظر هذا الجمال الطبيعي والعيون والجبال والأشجار، فلا يلتفت ويقول: حبيبـي محمّد رسول الله ﷺ: ﴿ما زاغ البَصَرُ وما طغى﴾ (النجم: ١٧). وتلك إشارة منه رضي الله عنه لأصحابه لئلّا ينشغلوا بالصنعة عن الصانع وبالصور عن المصوِّر، أما هو فلا يشهد غير مولاه عز وجل.

ورحّب به محافظ إستانبول ولدى دخوله القصر طلب منه أن يجلس على كرسيّ الخلافة، وقال المحافظ: أحقّ الناس بالجلوس على هذا الكرسيّ هو أنت. وأُخرِجتْ له جبّة رسول الله ﷺ وبعض آثاره.

ورافقه في جولته هذه شيخ الإسلام في أنقرة الشيخ إبراهيم بك.

حدّثنا الحاج عمر طظري بحلب قال: لدى زيارته رضي الله عنه لأحد المساجد ليلًا أسرع الخادم إلى المصابيح فأطفأها وقال: من عنده هذا النور لا يحتاج إلى الكهرباء.

زار السيد النبهان تركية عدة مرات وأمضى عدة أيام في مدينة إسطنبول وكان الحاج عمر طظري يتولى مهمة شرح المعالم الإسلامية في هذه المدينة نظرًا لصلاته الأسرية بتركيا، وإتقانه اللغة التركية».

الحاج عمر صادق:

يقول الأخ محمود البيك: «حدثني منشد الحضرة النبهانية محي الدين أحمد العمر -رحمه الله- أن سيدنا كان يتكلم عن الرجال، فسأله عن مقام الحاج عمر طظري؟ فأجابه سيدنا: «الحاج عمر صادق. ومدّ سيدنا بالألف بعد الصاد، وكررها رضي الله عنه ثلاثًا صادق».

كان الحاج عمر طظري -رحمه الله- يحسن لكل أحباب سيدنا وهو الذي كان يقف ليأخذ لهم الإذن من السيد للدخول عليه، وكان يقول: الحمد لله -ياولدي- ما أغضبت أحدًا من أحباب سيدنا ولا مرة، أو أحزنته، بل بالعكس كنت أحاول مساعدتهم قدر ما أستطيع.

قال محمود البيك: قبل وفاة عمي الحاج مأمون -رحمه الله- بشهر ونصف قال لي الحاج عمر: رأيت في منامي سيدنا النبهان، وأنا كعادتي أطلب الاستئذان لفلان وفلان ليدخل إلى سيدنا، وإذ بي أشاهد في غرفة سيدنا كل أحباب سيدنا الذين

انتقلوا، ومن بينهم: الحاج فوزي والشيخ الشهيد منير حداد وغيرهما، ومن بينهم: عمك الحاج مأمون بارودي يجلس معهم في غرفة سيدنا، ويلتفت إليّ قائلًا منبهًا لي ألا أحدّث عمي الحاج مأمون بهذه الرؤيا كيلا يحزن، ولكنني رأيتها بشرى لعمي فلم أستطع كتمان البشرى أكثر من أسبوع كامل، وبثثتها لعمي حج مأمون فبكى وقال لي: آه يا بني هذا من حسن ظن الحاج عمر بي، أين أنا من رجالات وأحباب سيدنا! وبكى بكاءً شديدًا على غير عادته وطبيعته المنبسطة الفرحة المبتسمة دائمًا.

الوداع:

مما رواه الحاج عمر طظري -رحمه الله- قال: قال لنا السيد ﷺ قبل وفاته بأيام: هل بقي شيء ما بيّنته لكم؟ يوم السبت ٢٤ آب يوم الأحد ٢٥ آب يوم ٢٥ يوم ٢٥!! ولم يفهم أحدٌ منّا مقصدَه، حتى كان يوم الوفاة والتشييع.

وعندما كان سيدنا النبهان في المستشفى في مرضه الأخير ﷺ كان يردد الحاج عمر على سمع سيدنا أنه سيُخرجه من المستشفى إلى بيته الصغير يقصد هنا الحاج عمر بيته هو ليرتاح عنده ثم إلى بيته في الكلتاوية المباركة ولكن سيدنا كان يقول له: ياحاج عمر ما هو اليوم وبكرة والذي بعده؟ وبعد أن يعد الحاج عمر أسماء وتواريخ تلك الأيام الثلاثة يقول له سيدنا: احفظ هذا التاريخ يا أبا أمين ويناديه وكثيرًا ما كان سيدنا يطلبه في المستشفى.

وهنا نذكر كلمة كم سُمِعتْ من الحاج عمر عندما كانوا يقولون له: الله يهنيك يا عمي خدمت سيدنا، فيجيب باكيًا: «آه يا بني أنا لست خادمًا أنا خُوَيدم، لا يحق أن أقول: أنا خادم».

وانتقل السيد النبهان إلى حيث شاء الله له من مقامات، وحزن الحاج عمر حزن الصحابة الكرام على وفاة نبي الرحمة والهدى سيدنا محمد ﷺ وتابع الحاج عمر حياته في المحل الذي أمره سيدنا بأخذ المفاتيح من عمه والعمل فيه مع ولديه

أمين وأحمد إلى أن توفي -رحمه الله- وهناك ابن ثالث للحاج عمر ططري بين أمين وأحمد هو محمد ربيع موظف حكومي في مالية حلب.

ولكم حدث أولاده أن أباهم لم يكن له اهتمام زائد بالمحل والشغل والعمل إلا بعد انتقال سيدنا، فقد كان همه وشغله الشاغل خدمة سيدنا والسفر معه واستقباله في محله أو مرافقته إلى حيث يريد، ودائمًا تراه مجهزًا أدوات شرب الشاي وحملها لخدمة سيدنا أينما توجه.

وفاته:

في يوم السبت ٢٢ ذي القعدة ١٤١٨هـ، الموافق ٢٢ آذار ١٩٩٨م، توفي الحاج عمر في بيته في محلة المرتيني بحلب، لا تشوبه شائبة لا في جسمه ولا في عقله ولا في نفسه الطاهرة.

ويوم وفاته كان المطر ينزل بغزارة وهم في جامع الكلتاوية يصلون عليه صلاة الجنازة، وقد انشغل أهله وذووه كيف سيكون الدفن والوقوف على القبر في هذا اليوم! لكنهم عندما حملوه في السيارة واتجهوا إلى المقبرة -وهذا حالهم- وإذ بالجو يسفر عن شمس دافئة لطيفة ويتوقف هطول المطر ويدخل خادم السيد النبهان -كما كان يحلو أن يقال له: «خويدم سيدنا»- يدخل قبره عبر تكبيرة لرجل الدفن وخادم المقبرة قائلًا «الله أكبر ما هذا الوجه المحمدي النوراني! أنا ما دفنت ولا رأيت مثل هذا الوجه ميتًا».

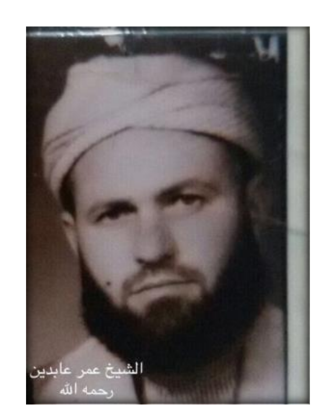
رحمك الله أيها المحب الصادق وجمعك بأحبابك في دار الخلد إن شاء الله.

مصادر الترجمة:

- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» (١٤٣ و ٢٠٣).
- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٢٤١).
- الدكتور محمود الزين، والدكتور علي مشاعل، ومحمود البيك، وأحمد ومحمد ربيع أبناء الحاج عمر ططري بواسطة الشيخ هشام، مراسلةً كتابيةً.

(٤٣) الشيخ عمر عابدين

١٣٤٧ – ١٤٠٠هـ/ ١٩٢١ – ١٩٨٠م



الولي الصالح، الطاهر النقي، المثال الحيّ لأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الشيخ عمر عابدين بن رستم آغا[١].

ولادته ونشأته:

هو من أسرة من أصل تركي تقيم في مدينة أنطاكية، فارتحلت زمن العثمانيين إلى حلب، وأقامت قريبًا من قلعتها، فرزقت في عام ١٩٢١م بالمولود المبارك عمر، لينشأ طفلًا مدللًا في كنف أبوين صالحين حرصا على تربيته أكثر من حرص الحلبي على عنايته بحياض الزهور؛ لأن أهل حلب لهم اهتمام خاص بالورود.

وترعرع الصبي عمر، وتعلم الكتابة والقراءة في الكتاتيب وكبر.

صفته:

قامة ربعة، وللطول أظهر، جميل المحيا، بهي الطلعة والمنظر، عليه إطلالة نور وجذب وصفاء، تنقلك رؤيته إلى الرعيل الأول في صدر الإسلام من الأصحاب

---

(١) لايقصد بكلمة (الشيخ) هنا شيخ العلم إنما المعنى الاصطلاحي حين تطلق على من كان ذا فضل وولاية حتى لو لم يكن أهل علم ظاهر.

وآل بيت نبينا الكرام ﴿رضي الله عنهم﴾، وتدفعك أن تقول: ما شاء الله ما شاء الله على رجالٍ عند حبيبنا سيدنا النبهان.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﴿رضي الله عنه﴾:

قد حبا الله تعالى الشيخ عمر عابدين بجمال وأدب يجلب إليه من يراه، ويتمنى كل واحد من أقرانه أن يكون صديقه الذي يتمناه، لكنه مشغولٌ عن هؤلاء غير آبهٍ بمن حوله، قلبه مجذوب، وعيناه ترقب بدرًا يظهر له في الصلاة ثم يختفي حتى أخذ مجامع قلبه وتضلعت به حنايا صدره، وكان قد رأى سيدنا رسول ﷺ يرشده للارتباط به وتلقي توجيهاته.

والعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان هو ذلك البدر، وكان آنذاك إمام جامع الإسماعيلية المجاور للقلعة، نيابة عن الشيخ عبد الله سلطان (الحفيد) وهو مَنْ أمره ﷺ بالذهاب إليه ﴿رضي الله عنه﴾ والأخذ عنه في رؤيا منامية، وقد تعلق قلبه به قبل أن يؤمر، لأنه كان لا يتغيب عن حضور الجماعة للصلاة خلف من أحبه، لكنّ سيدنا النبهان كان لا يفسح مجالًا لمن لم يختط شاربه بعدُ، وكان الشيخ عمر أمرد جميًلا، حتى إذا تعطلت الإنارة في غرفة السيد النبهان في جامع الإسماعيلية رآها فرصة يستفيد منها فقال: سيدي أنا أصلحها، فأصلحها ثم لفت نظره أن السيد النبهان كان ينظر إلى شعره نظرة إنكار -وكان شعره طويلًا يصل إلى شحمتي أذنيه أو أطول- فجاءه اليومَ التالي وقد حلق شعره تمامًا ليكون على مراد من يحب، وذلك حين بلغ ستة عشر عامًا، فرمى بنفسه بين يديه وتلك هي ساعة مولده الجديد؛ ليحظى بما شغله من زمن، ويفيض عليه الحبيب من توجيهات لم تزده إلا تعلقًا وتألقًا، وهو في ريعان شبابه، فلم ينفك عنه بل أفرد حبيبه بتجريد وتفريد، ليعرج على سلالم السير والسلوك، ويرقى بمراتب الإحسان والتوحيد.

يقول سيدنا الشيخ محمد النبهان ﴿رضي الله عنه﴾: «واحد من إخواننا (عمر) كان عمره ستة عشر عامًا أتى لعندي، يومان ثلاثة صار عنده محبة، قلت له: كم عمرك؟

أرّخْ اليومَ ولدتَ، الستة عشر سنة رميناها، عند أهل الله العمر عمر أحمدي لا محمدي وهو ولادة السماء ولادة المعرفة الإلهية».

وبعد أن أتم سيدنا ﵁ سنتين في الإسماعلية، ورجع إلى الكلتاوية، رابط معه الشيخ عمر هناك حتى ظهر سيدنا النبهان للناس وهو في مقدمة أصحابه.

زواجه:

زوجه أبواه من السيدة زليخة محمود الزرقا، وهي واحدة من مئات النسوة اللواتي حظين بتربية سيدنا، وإن والدَيِ الشيخ عمر ما لبثا أن توفّاهما الله، وقد تركا له ما يكفيه من وارد حلال، فإذا فاض عنده شيء أوصله لسيدنا؛ ينفقه على طلبة العلم والفقراء، وبقي مع زوجته الغيورة ولم يرزق منها بولد.

وذات يوم اختفى عنها فجأة، فخفق قلبها، واضطرب خوفًا عليه، حيث لم تلحظ خروجه من البيت، فهرعت إلى سيدنا؛ تبث حزنها، فصعد السيد النبهان إلى الجامع فرآه يتوضأ، فنهاه أن يعود لمثلها؛ لأن طي الأرض وخطوة السر من الأمور الباطنية للا بدال التي يتحتم كتمها.

قال سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁: «لكل جواد كبوة إلا عمر عابدين».

كان سيدنا ﵁ يمتدح أدب الشيخ عمر وصدقه، ويذكر عنه أنه إذا حضر مجلسه يكاشف سيدنا بالكلام الذي سيتحدث به، وأنه كان رسولًا بينه وبين سيدنا زكريا ﵇ بمقامه في جامع حلب الكبير، يرسله بقضايا، فيرجع بما يبلغه به ﵇.

من كراماته:

وقد عرف الشيخ عمر بكرامات كثيرة، لا تجد أحدًا ممن حظي بمجالسته إلا ويحفظ منها شيئًا.

كان -رحمه الله- يكثر أن يقول: «اللَّهُمَّ ثبت. وحين يسأل عن سبب ذلك يقول: عندنا في حلب مثل يقول: الطُّوْلِة بْتِكْشُف [١]، الثبات نبات».

كان -رحمه الله- إذا رأيته فكأنك تنظر إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ، يلبس ثوبًا قصيرًا، ويضع عمامةً فوق جمة جميلة، ويحمل بيده حربة طويلة، ولا يترك السواك في كل حال، وكان -رحمه الله- يواظب على صلاة المغرب والعشاء في جامع الكلتاوية، وقد سئل عن ذلك فقال: منذ أكرمني الله بسيدنا وأنا على هذه الحال، وبقي كذلك حتى توفي.

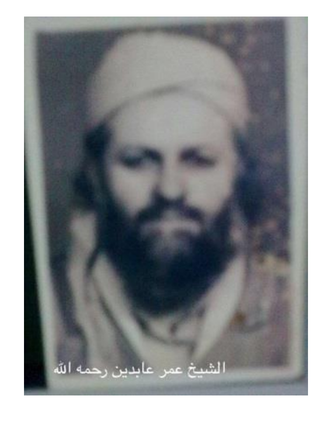
سمعت من شيخنا الدكتور محمود الزين -رحمه الله- (وهو مسجل عندي)

قال: «سمعت أستاذي الحبيب الشيخ محمد لطفي -رحمه الله تعالى- ينقل عن الشيخ عمر عابدين أنه رأى سيدنا محمدًا النبهان -قدس الله سره- مرارًا في صورة الحبيب الأعظم سيدنا محمد ﷺ.

وحدثني الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- قال: كان الشيخ عمر عابدين يصيح في الذكر، وتكرر ذلك، فمنعه سيدنا من الكلام مع إخوانه، قال الشيخ لطفي: حين منعنا سيدنا من الكلام معه فهمت أن المنع باللسان، فخاطبته بقلبي: يا شيخ عمر لِمَ منعنا سيدنا من الكلام معك؟ ولم تصيح في الذكر؟ قال: يا شيخ محمد إني أرى أمورًا عجيبة لا أطيقها، ومن ذلك: أنني إذا دخلت الكلتاوية أرى سيدنا بصورة رسول الله ﷺ، وأرى كل إخواننا بصورة الصحابة، فقال له الشيخ محمد لطفي: وأنا بصورة من تراني؟ قال: أراك بصورة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال الشيخ لطفي: بعد ذلك تأملت نفسي لأنني أحب سيدنا عليًّا لكن لا أقدمه على سيدنا أبي بكر، لكن له مكان خاص بقلبي.

---

(١) أي مع الوقت يظهر معدن الإنسان وتنكشف حقيقته.


الشيخ عمر عابدين رحمه الله

وكان الشيخ عمر عونًا لكثير من أصحاب سيدنا الذين وصلوا إلى المشاهدة كالشيخ عبد القادر خوجه[١] وغيره.

وقد رأيت بأم عيني الشيخ العلامة محمد علاء الدين علايا والشيخ الولي الصالح محمد لطفي يقبلان يد الشيخ عمر عابدين رحمهم الله جميعًا».

روى لي الدكتور عثمان عمر المحمد قال:

«جاء سيدنا الخضر إلى الشيخ عمر عابدين-رحمه الله- فقال له: أنا الخضر. فرد الشيخ عمر: «خضر لحالك، أنا شيخي السيد محمد النبهان».

قال سيدنا عنه: «عمر عابدين صادق من أول قدم إلى آخر قدم».

ومن لطائف ما سمعت من الشيخ عمر عابدين -رحمه الله-: الذي تشغل فكرك فيه ينشغل فكره فيك.

وكنا إذا سألنا الشيخ عمر عابدين -رحمه الله- أن يسأل سيدنا (بعد انتقاله) كان يرد علينا بالجواب بقوله: «كأن مراد سيدنا كذا وكذا» يُوَري ولا يريد أن يقول صراحة: سألت سيدنا وقال لي: كذا. وهذا -والله أعلم- من باب التستر وعدم حب الظهور والميل إلى الخفاء».

حدثني عنه الدكتور محمود ناصر حوت قال:

«الشيخ عمر عابدين في الأشهر الأخيرة من عمره كنتُ حينما أراه أرى في وجهه صورةً حيَّةً لسيدنا ﵁ فأخبرته، فكان جوابه -رحمه الله- هذا لابن الفارض:

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٣٢).

فلم تهوَني ما لم تكن فيَّ فانيًا ولم تفنَ حتى تُجتلى فيك صورتي

فكرتُ بالسفر إلى السعودية مع زملائي الشيخ محمود الزين -رحمه الله- والشيخ عثمان العمر فكان الشيخ عمر -رحمه الله- لا يوافق ويقول: أنت للكلتاوية.

ومرة كنت أنتظر تأجيل الجيش بفارغ الصبر فذهبت إلى شعبة التجنيد في آخر موعد ولم يأت التأجيل فصعدت إلى الكلتاوية كئيبًا محبطًا لأجد الشيخ عمر -رحمه الله- يخرج من عند سيدنا ﷺ مبتسمًا ويقول: أبشر لقد جاء تأجيلك، قلت: كنت للتو هناك ولم يأت قال: بلى قد جاء، فعدت إلى الشعبة وإذا بالتأجيل قد وصل بعد خروجي من عندهم.

والشيخ عمر عابدين -رحمه الله تعالى- ودّع جميع أساتذة وطلاب الكلتاوية الشريفة يوم وفاته، ثم ذهب إلى بيته، وأمر أهله بتطييب غرفة نومه بمسكٍ كان يدخره لذلك، قال لهم: طيبوها فإن زوّاري من الملائكة اليوم كثير، ولما اقترب الموعد قال لهم: اخرجوا ودعوني لوحدي فخرجوا ثم دخلوا بعد هنيهة فوجدوه قد فارق الحياة، رحمه الله».

وكتب لي عنه الدكتور علي مشاعل[1]:

«الشيخ الولي، والطاهر النقي، حبيبنا الشيخ عمر عابدين -رحمه الله وأعلى مقامه حول السيد النبهان ﷺ-، كان مثالًا حيًّا كريمًا لأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. ومنهم: «شاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»، وكان كذلك في محبته لأحباب السيد فردًا فردًا وكنتُ معه كذلك، «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»، نقف في المسجد وحديثنا عن سيدنا ونفترق كذلك، وخصوصًا في

(١) الشيخ الدكتور علي بن أحمد مشاعل (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

السنة الأخيرة في المدرسة (الصف السادس)، وهي السنة التي تلت انتقال السيد ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فكنتُ أزور سيدنا بعد الصلاة وخصوصًا الظهر حيث يُغلق الشيخ عمر أبواب المسجد، وألتقي معه، وأنا خارج من غرفة السيد من الباب الداخلي، فيقف عندما يراني، وأقبل يده مسلمًا، وفاجأني ذات يوم وأنا خارج من غرفة السيد بأن وقف مأخوذًا بكليته نحوي، وقال لي: -وهو يقرأ أحوالي ورابطتي وخيالي وقلبي- لقد رأيت السيد النبهان فيك وأنت خارج، وهذا يدلنا على عظمة السيد، فما أن تأخذ الرابطة معه بصدق إلا ويكون هو أنت، ويتجلى فيك بقدر حبك وصدقك، ويشهد ذلك ويشهد عليه المقربون ذوي المراتب العلية وأصحاب الكشف والبصيرة، ويدلنا أيضًا على أن الشيخ عمر كان يرى ما بقلبك وداخلك مجسدًا، فقد كان من أهل القلوب والبصائر والكشف، وبقي التواصل بيني وبينه بعد التخرج، وعندما تعينت إمامًا في مدينة بانياس الساحلية وفي يوم من الأيام وأنا هناك تذكرت اللقاءات والوقفات والكلمات التي تقطر طهرًا ونورًا ورحمةً وحبًّا من الشيخ عمر، فتوجه قلبي نحو ذيّاك الحمى وأنوار سيدنا وروضته وبقي هذا الحال فترة، ثم لما ذهبتُ إلى حلب بعد أيام وزرت السيد، والتقيت بالشيخ عمر قال لي: لقد تحرك قلبي قبل أيام نحو بانياس وهممت بالسفر إليك ثم ضعف ذلك، فعلمت كثيرًا من لطفه ونوره وصفائه وكشفه وولايته، وقد كنت أعلم ذلك فيه من قبل ولكن زادت المعرفة واليقين حتى صارت حق اليقين.

قال لي، رحمه الله: جئت إلى السيد ﷺ وأنا في السابعة عشرة من عمري، فقال لي في أول جلسة معه: «بدي أذبحك» فرضيت وسلمت، وفهمت بعد ذلك أنه يريد ذبح نفسي وتزكيتها، وكنا نسمع كيف كان السيد النبهان ﷺ يختار الشيخ عمر فيرسله إلى سيدنا زكريا في الجامع الكبير بحلب ليسأله عن أمور فيذهب -رحمه الله- فيسأله ويسمع جوابه، ويرجع إلى السيد بكل قوة وأمانة، حاملًا الرسالة ومبلغًا الأمانة، ومعلوم أن سيدنا لا يحتاج إلى هذه العملية كلها، فالأكابر يأتونه ويلتقي بهم لأنه صاحب الوقت والوارث المحمدي الأكمل، ولكن يروض مريديه

ويرقيهم ويريهم الأكابر، ويري الأكابر ثمار تربيته، وينهض هممنا ويقول لنا بلسان الحال: «إن صدقتم فلا حجاب يبقى لديكم بل يكرمكم الله بالكشف والنور والحقيقة».

الشيخ عمر عابدين -رحمه الله- بعد انتقال السيد كان يقول لي مرارًا: بعد عشر سنوات. ويكرر ذلك وسبحان الله!، ما كنت أريد أن أسأله ماذا بعد عشر سنوات خشية أن أسمع مكروهًا من فقد وموت له -رحمه الله- وكان الفكر يذهب بي مذاهب ومنه موته، وقد كان يريدني أن أبقى في حلب ولا أخرج إلى السعودية، ولكنه لما علم أن أمامي أحد أمرين: إما الجندية وإما السفر ودفع البدل النقدي، ويراني أرغب في الثانية فأحسست منه عدم الرغبة وكأنه وافق في النهاية على غير رغبة، وفعلًا عانيت بعد سفري معاناة لا يعلمها إلا الله في تجديد الجواز وغيره، فأدركت سر عدم رغبته بسفري.

الشيخ عمر عابدين -رحمه الله- كان يتابعنا، ويسأل عنا ونحن طلاب، يسأل عمن يحبه ويتابع اجتهاده وبشرني بالدرجة الأولى في الكلتاوية، وقال الدرجة الأولى والدرجة الثانية كلها أولى.

الشيخ عمر -رحمه الله- كان قلبه مع السيد وجسمه في المسجد ولسانه وذاكرته وعقله في كتاب الله في القرآن العظيم في أي وقت نظرت إليه وجدته يقرأ القرآن ويتلوه ويحفظه ويعيده من كثرة ما يقرؤه ويمسكه كنت ترى المصحف في وجهه نورًا وبهاء».

كتب لي عنه الشيخ حامد صخي قال:

«الشيخ عمر عابدين كلّنا يعلم صفاء سريرته وتَجَلّي السيد عليه عندما يرسله سيدنا ليكلّم نبي الله سيدنا زكريا عليه السلام.

حدّثنا الأخ الحاج عبدالعزيز خضر العاني -رحمه الله- قال: شَدّ الرحالَ الشيخ إبراهيم رُحَيِّم الهيتي -رحمه الله- لزيارة سيدنا في الكلتاوية، فعند وصوله أبلغوه بأنّ

سيدنا في بيروت ولم يحدّد وقت عودته، فتألّم الشيخ ابراهيم وجلس في باحة المسجد مشتاقًا حزينًا وإذا بطفل لم يبلغ الحلم يأتي إلى الشيخ ابراهيم يقول له: خرج سيدنا النبهان من بيروت فلم يعبأ لقوله، ثم عادَ إليه وقال: دخل سيدنا الحدود السورية، فقال له الشيخ إبراهيم: اذهب عني، ثم جاءه الثالثة فقال: وصلَ سيدنا حلب، فمسكه الشيخ ابراهيم وقال له: مايُدريك؟ فقال: ذاك الشيخ هو الذي يرسلني ويقول: قل له: كذا، يعني الشيخ عمر عابدين، فقد كان يتابع رحلة سيدنا وهو معه في كل خطوة ونفس، فقام الشيخ إبراهيم يُقبِّل الشيخ عمر عابدين وإذا بسيدنا الكريم يدخل الكلتاوية.

إذا دخلتَ الكلتاوية ستجد الشيخين المُرابطين في اعتكاف دائم لا يفارقان المسجد الجامع هما مع الرابطة الشريفة.

رأيتُ الشيخ بشير في محراب الكلتاوية يَقْرَأ القرآن ويُقْرئه (خيركم من تعلم القران وعلمه) ثُمّ نظرت إلى باحة المسجد وإذا بالشيخ عمر عابدين يَقْرَأ القرآن جالسًا على كرسيّه مُسْندًا ظهره على الجدار عن يمينه دار سيدنا الكريم وعن شماله حجرة سيدنا -قُدّسَ سِرّه-، هو يتلقى المعاني والمواهب من الجهات الست، وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا».

وحدثني الحاج ناجي حمامي -رحمه الله-قال: «أذكر أنه -رحمه الله- في آخرِ يومٍ له في الكلتاوية قبيل انتقاله ودَّعَنا حين كنا في درسِ القرآن في الجامع، وكان أستاذنا الشيخ محمود حوت هو المدرس آنذاك، تفاجأنا بالشيخ عمر عابدين يأتي إلينا، ويجلس معنا في الحلقة، وجاء دورُه في التلاوة، فقرأ مقطعًا من سورة النحل -وكأني به يقرأ الآن أمامنا-وختم قراءته بالآية الكريمة: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾». (النحل ٦١).

وفاته:

انتقل هذا المحب الولهان إلى الرفيق الأعلى بعد صلاة العشاء في شهر محرم عام ١٤٠٠ هـ في خريف عام ١٩٨٠م.

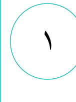
رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لدي.
- الشيخ هشام الألوسي، والدكتور عثمان عمر المحمد، والدكتور علي مشاعل، والدكتور محمود حوت، والحاج ناجي حمامي، والشيخ حامد صخي، مراسلة كتابية.
- الدكتور محمود الزين، لقاءً مباشرًا.

ملفان مسموعان:

لسماع الملفين الصوتيين، فضلًا اقرأ الرمزين التاليين:



كلام للسيد النبهان عن الشيخ عمر عابدين.



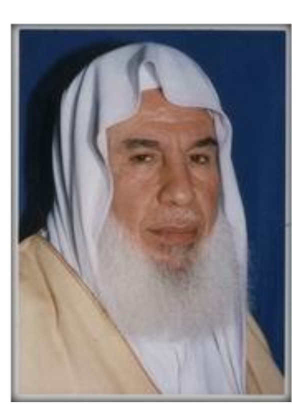
٢

الدكتور محمود الزين يتحدث عن قصة للشيخين عمر عابدين ومحمد لطفي.



(٤٤) الشيخ عمر ملاحفجي

١٣٥٠ - ١٤٢٣هـ/ ١٩٣١ - ٢٠١٢م



العالم العامل، النّسابة، الحسيب النسيب، المصلح الاجتماعي، ذو المكانة والصحبة المميّزة الشيخ عمر ابن الشيخ محمد ملاحفجي النعيمي الحسيني.

ولادته ونشأته:

ولد الشيخ عمر في مدينة حلب عام ١٩٣١م، في حي الأوظلية في حلب القديمة.

نشأ الشيخ عمر في بيئة امتازت بالعلم والصلاح؛ حيث كان والده الشيخ محمد المشهور «شيخ القصير أبو قبقابة» يقوم بتدريس العلوم الشرعية لطلبة العلم في زمانه فضلًا عن كونه خطيبًا بارعًا وطبيبًا شعبيًا ماهرًا ومصلحًا اجتماعيًّا موفّقًا في حل ومعالجة الكثير من القضايا في زمنه، و يلقى قبولًا ومحبةً وتقديرًا في قلوب معاصريه، فكانت نشأة ولده الشيخ عمر في هذا الجو محفِّزًا له بأن يسلك مسلك والده في طلب العلم ومجالسة كبار العلماء في زمانه والاستفادة من علمهم، وبما أن والده الشيخ المعروف عند أهل زمانه كان نيّر البصيرة، فقد كان يولي ولده الشيخ عمر اهتمامًا ومحبة خاصة، حيث كانت ظهرت على الشيخ عمر منذ صغره علامات الصلاح والتقوى فضلًا عن حبه وتفانيه بالأولياء والصالحين وخدمتهم والجلوس بين أيديهم، فالتحق بالمدرسة الخسروية لينهل من العلم الشرعي فيها ويعيش في أجوائه أكثر وأكثر، فدرس فيها سنتين فقط، ثم تابع طلب العلم على

مشايخ حلب وعلمائها مما زاده معرفة وصلة بكثير من علماء بلاد الشام خصوصًا و العالم الإسلامي عمومًا.

تزوج وعمره واحد وعشرون عامًا من ابنة الولي التركي الشيخ كُوْجُوْكْ مُلّا وأنجب منها ولدين وخمس بنات.

أولاده:

الشيخ محمد ضياء الدين، تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٧٧م.

والشيخ عبد الله عز الدين، تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٧٨م.

أما صهره (زوج أخته): فالشيخ عمر زيتوني -رحمه الله- والحاج بدر الدين ملاحفجي، والمهندس جعفر الطيار، والأستاذ أسامة المدني.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان قدس سره:

التقى الشيخ عمر بالعارف بالله الشيخ محمد النبهان قدس سره عند الشيخ عبد الله سلطان الذي كان السبب في انتسابه لذاك الجناب وعمره آنذاك سبعة عشر عامًا، فتعلق به كثيرًا وأحبه، فكان الشيخ عمر ملازمًا ومحبًّا للسيد النبهان بل والسيد النبهان يحبه ويداعبه في مجلسه نظرًا لصلاحه وتعلقه وإيمانه واعتقاده بالصالحين والمجاذيب وخدمتهم وحرصه على خدمة الناس، فكان رجل دعوة وصلاح وحب للخير.

أدى ذلك إلى اعتماد السيد النبهان عليه في كثير من الأمور كتكليفه أحيانًا بأمور هامة، وكذلك بمقابلة بعض الشخصيات المهمة وتقريب وجهات النظر بين المختلفين.

وهذه بعض الأحداث التي عايشها الشيخ عمر مع السيد النبهان ﷺ كما حدث هو بذلك:

أولًا: الشيخ عمر هو القائم على توزيع المساعدات لأهل البادية عام الجفاف والمجاعة عام ١٩٥٨-١٩٥٩م فكان قائمًا على توزيع المساعدات التي قد جمعها السيد النبهان وأمر بإعطائها لأهل البادية الذين هلكت عندهم الإبل والماشية بسبب الجفاف والقحط الشديد.

قال الشيخ عمر ملاحفجي، رحمه الله[١]:

«أمر السيد النبهان ﷺ أن يكون التقسيم على النحو التالي:

١-كيس من الدقيق سعة مئة كيلو غرام أو يزيد مع خصف تمر لكل عائلة.

٢-يعطى لشيخ النُّزل ضعفان

٣-خمسة أضعاف لشيخ العشيرة

وسبب التفاوت بالحظوظ مناسبة لأحوال كل من الثلاثة المذكورين لحاجتهم في الضيافة فشمل العطاء البادية المنكوبة من أبو كمال على الحدود العراقية وحتى مشارف مدينة حمص وهكذا قضى على المجاعة وأنقذ الأرواح».

حدثني عن ذلك الحاج ناجي حمامي قال:

«سنوات عجاف وفقدان للحنطة وهي أساس الغذاء، وفي صبيحة يوم من الأيام المباركة والسيد في مجلسه العامر دخل رجل في الأربعين من العمر، أقبل على السيد الكريم قال: يا سيدي! أنا رجل جئت عن عشيرتي الجائعة أريد أن تعطيني حنطة لنأكل، قال له السيد الكريم: من أين أنت؟ قال: من قلعة جعبر ولم يبق عندنا لا زرع ولا ضرع، قال السيد النبهان مباشرة: اجلس، وفتح هاتفًا للحاج

---

(١) كتاب «السيد النبهان» ط ٣ (١: ١٨٥).

كامل حوت -رحمه الله- وكان عنده خان في باب الحديد، وطلب منه شاحنة قمح كبيرة، صعق الحاج كامل وقال: سيدي! القمح قليل وأيام قحط. قال له: حاج كامل نفذ ما طلبت منك، قال: سيدي! القمح سعره غال. قال له: مهما يكن السعر. وجهزت السيارة، وكان في ذاك الوقت يُمنع فيه انتقال كيس واحد ولو من بيت إلى بيت فيحجز ويسجن صاحبه، أيام قاتمة جدًّا وجوع.

أعطى السيد النبهان ﵁ رقم هاتفه للرجل، وصحب الرجل السيارة ووصل إلى منطقة على الفرات اسمها منطقة مريبط، وقد غمرت المنطقة بعد سنوات بسد الفرات، وفي مريبط أوقفت الشرطة السيارة للحجز، قال لهم الرجل: هذه السيارة من عند الشيخ النبهاني، وعشيرتنا جائعة وأعطانا السيارة منحة لنا وليست تجارة، وتم حجز السيارة، اتصل الرجل بالسيد الكريم وحدثه بما كان معه، نادى السيد النبهان وكنت حاضرًا فقال لي: اذهب إلى أبو فاروق وأخبره بذلك وماذا يفعل.

واتصل السيد النبهان ﵁ بأخينا الشيخ عمر ملاحفجي -رحمه الله- فحضر إلى منزل أبو فاروق، وقال الشيخ عمر ملاحفجي: أنا صديقي محافظ الرقة، واتصل به في المحافظة، فقالوا: إنه بحلب، فاتصل بمنزله فوجده فأخبره عن السيارة وأن السيد النبهان اشتراها لهم لأنهم جائعون، قال المحافظ وهو من بيت رَحّال: تكرم شيخي سأكون صباحًا في منطقة مْرِيْبِط، واتصل المحافظ بشرطة مريبط وأمرهم ألا يتصرفوا بالسيارة حتى يحضر إليهم.

وفي الصباح كان الشيخ عمر ملاحفجي -رحمه الله- في منطقة مريبط وحضر المحافظ الرحال وكتب كتابًا للرجل ألا يعترضه أحد وأنها معونة لا تجارة من حضرة الشيخ محمد النبهاني، ووصلت السيارة إلى حيث جورة جعيبر عند قلعة جعبر، وكان يومًا مشهودًا وسط عجب الناس ودهشتهم، والاستقبال كان عجيبًا من العشيرة، سألوه كيف كان ذلك؟! قال لهم: والله ما سألني عن اسمي والحنطة مفقودة واشتراها بسعر غال جدًّا وحدثهم بالقصة كلها».

موقف مع المنشد بكري الكردي، رحمه الله:

كان السيد النبهان يرسل الشيخ عمر لدعوة الشيوخ والوجهاء لحضور المناسبات.

قال الشيخ هشام الألوسي[1]: حدثنا الشيخ عمر ملاحفجي قال: «أمرني سيّدنا ﷺ أن أدعو بعض الشيوخ والوجهاء في حفل افتتاح جمعية النهضة الإسلامية الّذي أقامه ﷺ في جامع الكلتاوية، فذهبتُ إلى المنشد الكبير بكري كردي فقال لي: لقد اعتزلت الحفلات، فرجوته كثيرًا لكنه رفض.

ثمّ عدت وأخبرت سيّدنا ﷺ برفضه الدعوة، فقال ﷺ: اذهب إليه وقل له: بالغَصْب عن رأسك ستحضر وتقيم الحفلة، فرجعت إلى بكري فوجدته يتلو القرآن الكريم وهو مضطجع على سريره فقلت: أخبرت سيّدنا النّبهان بامتناعك، فقال: اذهب إليه وقل له: بالغصب عن رأسك ستحضر. فانتفض من سريره مرتعبًا وجثا على ركبتيه ووضع يديه على رأسه! وقال: هكذا قال الشيخ؟ قلت له: نعم، وهكذا أمرني أن أقول لك، قال: سأحضر على رأسي قبل رجلي.

قلتُ: لماذا لم تستجب في المرة الأولى وقد كررت عليك الرجاء؟! وإلى أن سمعت كلام الشيخ «بالغصب عن رأسك» وافقت؟ قال رحمه الله: الشيخ له حق عليّ كبير، وله معي قضية مهمّة، فمنذ خمسة وثلاثين عامًا كانت لنا جلسات معه، فمرض ولدي الوحيد مصطفى، فأخذته إلى طبيب للمعاينة فدعا لجنة أطباء فاتفقوا أن لا فائدة من علاجه، وقالوا: انتظر موته فإنّه في خطر شديد، وانقطع عن الأكل والشرب والكلام، فبقيت أنا وزوجتي بشرٍّ حال ننتظر النهاية، وحان موعد جلستنا مع الشيخ حفظه الله، فتأخرت، فسأل عني أين بكري كردي؟ قالوا: ولده يحتضر. قال: ائتوني به. فلما حضرت وأنا بأسوأ حال، قال: ما بك؟ قلت: سيّدي ولدي

(١)انظر كتاب «السيد النبهان» ط٣ (٢: ٣٧٢).

مصطفى يحتضر، والأطباء قالوا: لا أمل في حياته، وانكسرت وبكيت فأطرق رأسه الشريف لحظات، ثمّ قال لي: «يا بكري، رجونا لك الحضرة الإلهية أن لا يموت ولدك» فداخلني الاطمئنان، وأحييت الليلة عنده بالنشيد والذكر.

ولما رجعت إلى البيت قرأتُ البشرى على وجه أم مصطفى، قالت: أبشّرك منذ قليل استيقظ مصطفى وطلب الماء، وفي اليوم التالي كأنّه نشط من عقال! فقابلني بعض الأطباء الّذين عاينوه، وسألوني أمات أم لا؟ قلت: الحمد لله، في تمام العافية، فلم يصدقوا حتى رأوه. قال بكري: فكيف لا أذهب والشيخ يطلبني بنفسه؟!».

رحلة إلى الحجاز:

الشيخ عمر ملاحفجي كان ممن رافق السيد النبهان في رحلته إلى الحجاز ورأى فيها العجائب، وكانت الرحلة لأداء فريضة الحج عام ١٩٦٥م وروى عن تفاصيل هذه الرحلة الشيء الكثير.

قال الشيخ هشام الألوسي[١]: حدّثنا الشيخ عمر ملاحفجي واعظ سجن حلب وأحد مرافقيه في السفر قال: «لم يبق عالم من علماء مكة وشيوخها إلّا زاره في العمارة التي نزلها، منهم شيخ شيوخ مكة محمّد العربي التباني، والشيخ محمد أمين الكتبي، والشيخ حسن المشّاط، والشيخ محمّد نور سيف، والشيخ علوي بن عباس المالكي، وردّ لهم الزيارة في منازلهم.

وفي المدينة المنورة رجوت سيدنا أن لا يخلع حذاءه فأجابني ﵁: نحن لسنا أفضل من الإمام مالك ﵁ فقلت: سيدي إن شوارع المدينة ليست على ما كانت عليه أيام الإمام مالك، وإنها مزفّتة، فعدل عن رأيه، وتقدّم ﵁ إلى حضرة المواجهة الشريفة مستقبلًا وجه رسول الله ﷺ، دون أن يمسّ الشبك، فجاءه أحد الحرس

(١) انظر كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٢٣١ ومابعدها).

فقبّل يده، وقال: أستاذ تقدّم -خلافًا لما هو مألوف هناك من الشرطة- فقال ﷺ: عندما تأدّبت مع الرسول ﷺ تأدّب معي الشرطي، وقال: أستاذ تقدّم.

يتابع الشيخ عمر ملاحفجي حديثه فيقول: نظرت فإذا بأخينا الحاج عبد اللطيف أبودان قد سقط مغشيًّا عليه، وهو يرتعش! فأخذت بيده، فلما أفاق قلت: أسألك بالله وبمحمّد رسول الله إلاّ حدّثتني بما شاهدت من الأنوار، فقال: والله يا شيخ عمر رأيت رسول الله ﷺ خرج من غرفته الشريفة، فعانق سيدنا النّبهان، ولا أدري ما بعدها.

وزرنا في المدينة المنورة الشيخ أبا الحسن الندوي[١]، ولمّا وصل سيدنا ﷺ ضحوةً جلس وصحبه حول بركة ماء، فرأى فيها رمالًا وأوراق شجر قد تجمعت، فنهض مشمّرًا عن ذراعيه ينظّف حوضها، قال الشيخ الندوي: لا يا سيدي نحن ننظّفها، قال ﷺ: «يا أبا الحسن، الصوفي ظاهره النظافة وباطنه اللطافة». قال الندوي: إني رددت على من قال: الصوفية والبطالة توأمان، قال ﷺ: «الصوفية

---

(١) الشيخ أبو الحسن الندوي (١٣٣٣هـ-١٤٢٠هـ): المفكر الإسلامي الكبير، المحدث المفسر، رئيس جامعة ندوة العلماء بلكنو الهند، مؤسس المجمع العلمي الإسلامي في الهند ورئيسه، له مايزيد عن ثلاثين مؤلفًا، منها: إلى الإسلام من جديد، ربانية لارهبانية، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مذكرات سائح في الشرق العربي، توفي في قرية تكية كلان بمديرية رائ بريلي (يوبي) الهند.
جاء في كتابه «مذكّرات سائح في الشرق الأوسط» ط٣ (٣٣٧): (غرة ذي القعدة يوم السبت ١٣٧٠هـ١٩٥١/٨/٤م، كان مما يستحق التسجيل هذا اليوم زيارة الشيخ محمّد النّبهان في بيته، وهو رجل يمتاز بقوّة إيمانه، وتأمله في القرآن، ويظهر أنّه من طراز خاص، يفتح عليه في الدين ويتكلّم فيه عن يقين). وقال للسيد النبهان أيضًا: (كنت أرى أنّ الصوفيَّ إنسانٌ خمول، فأفهمتني بحالك أن الصوفي هو ذو الهمّة العالية والنشاط). وانظر «نثر الجواهر والدرر» (١٩٨٥)، و«الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» (١٢٢) وكتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٢٣٨).

والبطالة لا تتلاءمان» فقال الندوي: كنت أظن أن الصوفي هو البطال، فأفهمتني أنت الآن أن الصوفي هو صاحب النشاط حقا، قال ﵁: «ذلك هو المتصوف، أما الصوفي فلا».

يقول الدكتور عثمان عمر المحمد: «زرت أنا وأخي الدكتور محمود الزين -رحمه الله- العلامة أبا الحسن الندوي في الرباط الذي زاره فيه سيدنا النبهان ﵁ ولما عَرَفنا أبو الحسن أننا من أتباع السيد النبهان قص علينا زيارة السيد له كما رويت آنفًا».

يتابع الشيخ عمر فيقول: ولما قدمنا من الحجاز ووصلنا مشارف حلب، تخفّينا عن الموكب، فصليت معه ﵁ المغرب والعشاء جمعًا، وأبت عبديّـته أن يتصدّر ذلك الموكب الّذي لا تحظى الملوك بمثله، وعظم عليه استقبال الجمع الكثير له، قال ﵁: «أنا عبدٌ لله لا أحب هذه الطنطنات، هذه لكم وليست لي». فوقع بصره ﵁ بعد الصلاة مباشرةً على سيارة أجرة قديمة، فركبت معه، وقال لصاحبها: خذنا إلى الكلتاوية. حتى إذا وصلنا لم نجد في المسجد أحدًا، إذ كل من فيه مع المستقبلين.

فهذه عبديته في جميع أحواله، يغار على ربه وبارئه، وعلى حبيبه المصطفى ﷺ حتى من نفسه، ولحق بنا جمع المستقبلين إلى الكلتاوية، وأقيم حفل وحلقة ذكر وألقيت الخطب والأشعار ترحيبًا بقدومه ﵁».

إلى تركيا:

رافق الشيخ عمر ملاحفجي السيد النبهان في رحلته إلى تركيا، وحدث عن هذه الزيارة، فيما حكاه الشيخ هشام الألوسي: «حدّثنا الشيخ عمر ملاحفجي، والحاج عمر ططري[1] رفيقاه ﵁ في السفر قال: كنا نقول له: سيدي، انظر هذا

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٤٢).

الجمال الطبيعي والعيون والجبال والأشجار، فلا يلتفت ويقول: حبيبي محمّد رسول الله ﷺ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم ١٧). وتلك إشارة منه ﷺ لأصحابه لئلاّ ينشغلوا بالصنعة عن الصانع وبالصور عن المصوِّر، أما هو فلا يشهد غير مولاه عزّ وجل».

أما زيارته الثانية لتركية فيقول عنها الشيخ هشام: «حدثنا الشيخ عمر ملاحفجي مرافق السيد النبهان في تلك الرحلة: بعد معاينة الطبيب في مدينة (أضنة) قال له الطبيب بعد أن فحص أسنانه: أنت تمضغ كثيرًا أنت لا تمرض، ثمّ قال له: لا يوجد فيك مرض لأن جسمك نظيف وقلبك نظيف، وأي طبيب يقول لك: أنت مريض فليس بطبيب، ووافق زيارته ﷺ هطول أمطار غزيرة على تركيا بعد انقطاع طويل.

ودعاه الحاج أحمد الناصر أخو الحاج ناصر عبد الحميد الناصر الحلبي إلى بيته هناك، فرضي ﷺ، فجاء الحاج أحمد في اليوم التالي وقد أعد ضيافة محملة بسيارة تكفي لشهر، ففوجئ باعتذار سيدنا! فقال: سيدي، أنت وعدتني، قال ﷺ: نعم، ولكنني أعتذر، فألح الرجل، فقال سيدنا للحاج محمود الناشد: اسحب بنا إلى حلب)، فقال الناشد: سيدي، أمس جئنا؟ قال ﷺ: هناك من أهل الصدق من ينتظرنا.

فلم يبقَ ﷺ إلا ليلة واحدة بعد أن كان ينوي البقاء فيها شهرين! ولما وصل ﷺ الكلتاوية وجد الشيخ يوسف سِيْدِي رئيس جماعة مدارس تحفيظ القرآن الكريم للعالم الإسلامي قد قدم من الهند لزيارته.. فإذا بالشيخ الهندي يفاجأ! ويقول: كيف جئت يا سيدي؟ فأجابه ﷺ: صدقك جاء بنا!

وكان الشيخ الهندي حين حضر ولم يجد سيدنا قال له أصحابه: لا ندري متى يعود ﷺ، ولا نظنّه يأتي قريبا، فوقف ورفع بصره إلى السماء وقال: يا رب، أنا جئت

أريد أن أرى الشيخ النّبهان، ولا أستطيع البقاء أكثر من يومين، فإذا بسيدنا ﷺ يرجع فجأة».

وكان الشيخ عمر يجلس مع السيد النبهان في لجنة اختيار طلاب دار نهضة العلوم الشرعية.

والشيخ عمر ملاحفجي كان من الخواص الذين يحضرون جلسة درس العلماء بين المغرب والعشاء من كل ثلاثاء للسيد النبهان، قدس سره.

وتشرف الشيخ عمر ملاحفجي، وأكرمه الله بالقيام بتغسيل السيد النبهان عند انتقاله وكان معه الشيخ بشير حداد رحمهما الله.

وعظه في السجون:

كان الشيخ عمر ملاحفجي يَعِظُ في السجون السورية ويُرشد ويُدَرِّس، وتحقَّق على يديه نفع عظيم في هذا المجال، فقد تاب على يديه الكثير، وخرج الكثيرون من السجن بفضل جهوده ومساعيه الحثيثة التي كان يبذلها لإصلاح الأمور و تسوية الخلافات بين السجين وخصمه خارج السجن، وكثيرًا ما كانت تثمر ولله الحمد، وبما أن الشيخ كان يتمتع بنظر ثاقب بعيد المدى يوظفه لتحقيق إصلاح النفوس ونشر النفع بين الناس، وهذا ما كان يشغل جلّ وقته وفكره وعقله فقد كان يدعو بعض من يعرف من العلماء الأجلاّء لزيارة السجن ليستفيد النزلاء من علمهم وفضلهم ويتأثروا بهم، وكانت تترك زيارة هؤلاء العلماء أثرًا في نفس كل من يلتقيهم كما يذكر الشيخ، وكذلك عمل واعظًا في سجون المملكة العربية السعودية والإمارات سنين طويلة.

زيارة إلى السجن:

زيارة السيد النبهان السجن الذي كان يعظ فيه الشيخ عمر ملاحفجي في مدينة حلب.

قال الشيخ هشام الألوسي[١]: حدثنا الشيخ عمر ملاحفجي واعظ السجن آنذاك قال: بادر ﷺ مرة بزيارة لسجن حلب، فكان يومًا مشهودًا، استبشر فيه السجناء المنسيون والمحرومون، واحتشدوا في تظاهرة كبيرة داخل السجن، وألقيت فيها كلمات الترحيب، وهتافهم آنذاك «يحيا الشيخ محمّد النّبهان ويعيش» وتاب على يديه من تاب، وفرّج الله -سبحانه- عن بعض المحكومين بالإعدام ببركة دعائه.

الشيخ عمر الغيور:

قال الشيخ هشام الألوسي[٢]: حدثنا الشيخ عمر ملاحفجي وهو أحد أصحابه المقرّبين قال: سألت سيّدنا ﷺ: سيّدي أسألك بالله وبسيّدنا محمّد رسول الله! هل أنت مأذون بدرس النساء من رسول الله ﷺ؟ فأجابني ﷺ: «ويلك يا جدّوبة والله أنا مأمورٌ به أمرًا من رسول الله ﷺ لولا أنّ رسول الله ﷺ يأمرني، ما أعمل درسًا للنساء، أنا أقعد مع النساء! النساء أو المردان!».

الشيخ كُوْجُوْكْ ملَّا:

عم الشيخ عمر والد زوجته هو الولي المهاجر الشيخ كُوْجُوْكْ ملاّ الذي فر بدينه من قمع العلمانيين في تركية.

حدثني الشيخ الدكتور عثمان عمر المحمد عن زيارة السيد النبهان الشيخ كُوْجُوْكْ قال: «كنا في مدرسة الكلتاوية وانتهت السنة الدراسية وأردنا الذهاب إجازة لقرانا فقالوا: سيدنا اليوم في مدينة الباب وكنت مع عدد من الطلاب من مجموعتنا منهم: أخي الشيخ علي، والشيخ الدكتور عبد الله الحسن، والشيخ محمد الحاج

---

(١) كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ١٠٩).

(٢) كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١ : ٢٠٦).

حسن، والشيخ عبد الله الصالح فبدأنا نسأل عن السيد أيَّ بيت تنور به وأي سعيد استضافه فاتصلنا بالشيخ حمدان الصالح والشيخ المفتي محمد سعيد المسعود وسألناهما عن السيد ﷺ فقالا: لا نعلم، هل السيد في مدينة الباب؟ قلنا: نعم. قالا: بشركم الله بالخير سنسأل عن مكانه، وأخيرًا اهتدينا أنه ضيف عند الشيخ كُوْجُوْكْ ملا وكان المضيف وليًّا يزيد في العمر على التسعين وهو والد زوجة الشيخ عمر ملاحفجي ذهبنا إلى السيد واستقبلنا الشيخ عمر ملاحفجي وحضر الشيخ محمد سعيد المسعود والشيخ حمدان الصالح، وكانت جلسة من العمر لا يشابهها ولا تقاربها مجالس الدنيا، وكان صاحب البيت الشيخ كُوْجُوْكْ ملا يضع بإناءٍ السكر ليتغذى الذباب وأتي للسيد بلَطّاشة ذباب يضرب كل ذبابة تأتي حوله، والشيخ كُوْجُوْكْ ملا يفرك يديه ويقول: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فسيدنا عذره، وقال: هناك بعض الأولياء يغلب عليه جانب الرحمة في كل شيء، وحدثنا الشيخ عمر بعد سنين أن عمه الشيخ كُوْجُوْكْ ملا تراجع عن موقفه في آخر حياته وكان يقول: الحق مع السيد النبهان في قتله الذباب، وفي تلك الجلسة الربانية المباركة طلب الشيخ محمد سعيد المسعود -رحمه الله- من سيدنا ﷺ أن يحدثنا عن الغمامة التي ظللت السيد وأتباعه ومحبيه لما أرادو الرجم عند الظهيرة بعد الزوال مباشرة؛ لأن الشيخ المسعود -رحمه الله- كان مع السيد ﷺ في تلك الرحلة وذاك الموكب النوراني الرباني، فحدثنا ﷺ ونحن في أتم سعادة وأكمل سرور».

قلبك مثل قلبه:

كتب لي الدكتور عادل كعيد فقال: «جلسنا في بيت الحاج محمود الناشد في باحة الدار التي يتوسطها نافورة ماء، وكان سيدنا ﷺ مسترخيًا على كرسي مفتوح، وكان بجانبه مجذوب حمصي يلبس عمامة خضراء مع طربوش أحمر حيث كان يتحدث مع صاحبه الشيخ عمر ملاحفجي -رحمه الله- الذي كان يقابل الرجل والشيخ عمر يجلس بجانبه على كرسي صغير، وكان هذا المجذوب يتكلم بكرامات،

وسيدنا صامت فثقل علينا، والشيخ محمود مهاوش سأل سيدنا الحبيب قائلًا: سيدي هل يوجد مأذونون بالتحدث في مجلسكم؟ فأجابه: نعم. مما أراحنا بأن الحمصي كان مأذونًا، وسيدنا ﵁ صامت لا يتكلم، ثقل علينا هذا الوضع، فنحن لا نستطيع أن نرفع بصرنا بحضرة سيدنا ﵁ إلى أن قال الشيخ عمر ملاحفجي لسيدنا ﵁: سيدي أنا والله قلبي يحب هذا الرجل فأجابه سيدنا ﵁: «إي قلبك مثل قلبه، الاثنان مجذوبان» عندها تنفسنا الصعداء وارتحنا لكلام سيدنا ﵁ حيث أعلمنا بالحال».

لقد رأى الشيخ عمر كثيرًا من تلك الأحداث المهمة في حياة السيد النبهان.

صلته بعلماء حلب:

كان للشيخ عمر مكانة وصحبة مميّزة عند علماء حلب، فمنهم على سبيل المثال: الشيخ أحمد الإدلبي، والشيخ أحمد البيانوني، والشيخ عبد الله سلطان، والشيخ محمد جميل العقاد(١)، والشيخ أبو الخير زين العابدين، والشيخ عبد الفتاح أبو غدّة، والشيخ زين العابدين الجذبة، والشيخ عبد الله سراج الدين الذي كان يحب الشيخ عمر ويقدّره تقديرًا خاصًّا، والشيخ محمد علي مسعود وغيرهم الكثيرون من علماء حلب القدامى الأجلاّء الذين أعادوا للنهضة العلمية في حلب رونقها ومجدها.

أما صلته وعلاقته بعلماء سورية عامة فأكثر من أن تُحصى بكلمات، فهو يحظى بحب وتقدير علماء بلاد الشام له عمومًا، وأجازه الكثيرون منهم، وكانت له

---

(١) **الشيخ جميل العقاد (١٣١٦هـ-١٣٨٧هـ):** فقيه شاعر، متحدث، ولد في حي الجلوم في حلب، جاور في الأزهر ينهل من علومه أربعة عشر عامًا، عمل في مدارس التجهيز ودور المعلمين، وخطب في أموي حلب، له العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات، توفي في حلب، ودفن في مقبرة الصالحين. «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٣٠٥).

لقاءات وعلاقة بالسيد مكي الكتّاني، والشيخ ملّا رمضان البوطي[1]، والشيخ حسن حبنكة الميداني [2]، والشيخ أحمد الحارون، والشيخ محمد الهاشمي، والشيخ يحي مصطفى بستنجي، والشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ محمود جنيد والشيخ محمد علي مراد، والشيخ محمد الحامد وغيرهم، وكلهم كان يحبه ويثني عليه وعلى فضله.

---

(١) الشيخ ملّا رمضان البوطي (١٣٠٦-١٤١٠هـ): الفقيه الزاهد. ولد بقرية جيلكا التابعة لجزيرة (بوطان)، المعروفة بجزيرة (ابن عمر) في محافظة (شرناق) في تركيا، أخذ العلم عن كثير من الشيوخ كالشيخ سعيد المشهور بسيدا، وملا محمد الزفنكي، هاجر إلى دمشق عام ١٣٥٢هـ. لم يعش له من الذكور إلا ابنه العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، توفي عن عن عمر جاوز المئة، ودفن في الباب الصغير عند قبر الشيخ إبراهيم الغلاييني. انظر «نثر الجواهر والدرر» (١٨١٨).

(٢) الشيخ حسن حبنكة الميداني (١٣٢٦-١٣٩٨هـ): العالم المجاهد، حسن بن مرزوق حبنكة الشهير بالميداني، ولد في دمشق في حي الميدان، أخذ الطريقة البدوية عن الشيخ عمر الحمصي، والطريقة النقشبندية على الشيخ عبد الرزاق الطرابلسي، تتلمذ على كبار علماء دمشق كالشيخ عبد القادر شموط، والشيخ عبد القادر الإسكندراني، والشيخ سعيد البتليسي، والشيخ أحمد العطار، والشيخ علي الدقر، وغيرهم. أسس مدرسة (وقاية الأبناء) بالميدان، و المعهد الشرعي في جامع تنكز، وجمعية التوجيه الإسلامي، له دروس في مساجد متفرقة في دمشق. كانت له مواقف مشهورة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، انتخب عضوًا للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة، توفي في دمشق، ودفن في حجرة من ملحقات جامع الحسن في الميدان. يقول زياد نصّار الدمشقي أحد تلامذة الشيخ حسن حبنكة، رحمه الله تعالى: قلت للشيخ حسن حبنّكة بعد درس الفقه بعد الفجر: سيّدي أطال الله عمركم، جنابكم شيخ علماء دمشق، وسيّدنا الشيخ محمّد النّبهان شيخ علماء حلب، فقال: لا يا بني! أخطأت القياس؛ نحن علماء ورق، والشيخ النّبهاني عالم رباني. ويقول الدكتور محمود أحمد الزين: سمعت من الشيخ حسن حبنكة أثناء زيارتي له في بيته بدمشق (قلت للشيخ محمّد النّبهان: إن الله وضع لك القبول في القلوب). وانظر«نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر» (٣٦١) و«السيد النبهان» ط٣ (١: ٢٩).



من اليمين: الشيخ محمد زكريا البخاري[1]، ثم الشيخ عمر ملاحفجي، ثم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (رحمهم الله جميعًا)

---

(١) **الشيخ محمد زكريا البخاري (١٣٢٨- ١٤٢٦هـ)**: ولد هذا الولي الصالح في مدينة (مرغيلان) من أعمال بخارى، طلب العلم وهو صغير في بخارى، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ إسكندر أفندي، وفي الخامسة والعشرين اصطحب والدته وهاجر إلى المدينة المنورة مشيًا على الأقدام، ومن أبرز شيوخه: علوي المالكي، وأبو الخير المداني، وإبراهيم الغلاييني، وحامد ميرزا، ومحمد حسن المشاط، ولم يزل في طيبة مجاورًا، وهو مأوى الأولياء وكهف الصالحين، ولم يخرج من المدينة المنورة طيلة سبعين سنة من حياته، إلا للحج مرتين ومرة واحدة زار فيها بلاد الشام وبيت المقْدِس، يقول الدكتور عثمان عمر محمّد الويسي قائلًا: (أكرمني الله تعالى فترة إقامتي في المدينة المنورة بزيارة الشيخ محمّد زكريا البخاري مرات عديدة، وكلما ذكرت لفضيلة الشيخ أنني من أتباع العارف بالله السيّد النّبهان ﷺ يذكر لي زيارة سيّدنا له مع الشيخ عمر الملاحفجي ويقول: -(أطعمت الشيخ محمّدًا النّبهان «حبحب» ثمّ صببت على يديه، ومن غير شعور منّي أخذت غسيل يديه وشربته، الشيخ من الواصلين، الشيخ من

صلته بعلماء العالم الإسلامي:

سافر الشيخ عمر إلى كثير من البلاد الإسلامية كالحجاز ومصر والسودان وبلاد المغرب العربي وتركيا والإمارات وغيرها الكثير وصاحب كبار علمائها في ذلك الوقت وأخذ عنهم العلم أو الإجازة، وكانت تربطه معهم صلات روحية وودّية وثيقة حتى لُقّب بقاموس الأولياء، وكان بعضهم يسمّيه بالشيخ المدلّل وذلك لكثرة محبة العلماء له وعلاقاته المميّزة بهم.

هجرته إلى المدينة المنورة:

بقي الشيخ عمر في حلب يعايش هذا العهد الذهبي الذي شغف به وأصبح هو جزءًا منه، رحل الكثيرون من علماء حلب الكبار وبقي قلّة كالمصابيح يستفيد الناس بنورهم وعلمهم، وبعد هذه الفترة الذهبيّة وفي أواخر السبعينات من القرن الماضي هاجر إلى المدينة وهاجر إليها رغبة بجوار رسول الله ﷺ الذي طالما تعلّقت به روحه، ولم يألُ جهدًا هناك بنشر هدي ومشرب أهل الله.

وفاته:

مرض الشيخ عمر أواخر حياته وأقعده المرض إلى أن وافته المنية في طيبة الطيبة، وذلك يوم الجمعة ١٢ ذي القعدة ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٨ أيلول٢٠١٢م، ودفن في جنة البقيع.

مصادر الترجمة:

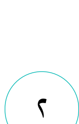
- كتاب «السيد النبهان».
- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- أولاد الشيخ عمر-رحمه الله- مراسلة كتابية.

الواصلين). وكان يقولها بغبطة وسرور، والحبحب: هو البطيخ الأحمر في الحجاز، أو (الجبس) في سوريا، أو (الرقّـي) في العراق. انظر كتاب « السيد النبهان» ط٣ (١: ٢٧).

- الدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلة كتابية.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

١	ختام الحضرة النبهانية بصوت الشيخ عمر ملاحفجي.	
 ٢	السيد النبهان رضي الله عنه يتحدث عن لقائه بالشيخ أبي الحسن الندوي.	
٣	السيد النبهان رضي الله عنه يتحدث عن لقائه بالشيخ يوسف سيدي.	

(٤٥) الشيخ عواد زوبع الكربولي[١]

١٣٠٧ - ١٤٠٣هـ/ ١٨٩٠ - ١٩٨٣م

الشيخ عواد بن زوبع بن خليل بن حسن بن شهاب بن محمّد بن حمد الكربولي، يلقّبه الناس بـ (سيد عوّاد) من ناحية (الكرابلة) التابعة لقضاء (القائم) بمحافظة الأنبار في العراق.

ولادته ونشأته:

ولد عام ١٨٩٠م، وبداية أمره هو أعرابي متنقل بأهله وغنمه، يأخذ القوت من وارد الغنم، ويتصدّق بالفضل، جذبته العناية الإلهية فأقام بماشيته في أرض تقع غرب بغداد على بعد خمسة وعشرين كيلو مترًا، و تُعرف اليوم بحي الرسالة، وظهر عليه الجذب، فوضع عمودًا عاليًا جنب إقامته يؤذن فيه للصلاة ويقيم، فاتهمه البعض بالجنون، فهجرهم هائمًا في حب الله تعالى، وخلع ما عليه من ملابس وارتدى الجنفاص (وهو في اللهجة العراقية الدارجة كيس من الجنفاص تجمع فيه المحصولات الزراعية ويعرف في بلاد الشام بالجوال وفي العراق الكونية).

من أحواله:

وأمضى أكثر عمره سياحةً، حافي القدمين، أشعث، أغبر لكنه جلالي المنظر منوّر، أسمر مشرب بحمرة، ذو لحية كثة بيضاء مسترسلة، محبوب عند الناس،

---

(١) لم تتوفر صورته لعرضها.

يجلونه ويظنّونه من الا بدال أو الأوتاد، من يراه يهابه ويظنّه ليس من عالم أهل الأرض، ثمّ صار يصوم الدهر ولا يفطر إلاّ خمسة أيام هي أيام الفطر والأضحى.

وكيف بدأ بصيام الدهر؟

مر في مدينة أثناء سياحته فعطش عطشًا شديدًا، وتوقف عند محل مليء بقناني الشراب، فطلب من صاحب المحل ماءً، فقال له: يا عم! هذه حانة خمر ليس فيها ماء، فحرّم على نفسه وضع قنينة في فمه، ثمّ جاءه الأمر بصيام الدهر، وكما حدثني عن نفسه: أن شيخه في الباطن هو سيدنا أويس القرني ﷺ وليس له شيخ في الظاهر، وأنّه التقى بسيدنا الخضر عليه السلام فسأله عن أمور، وحين عرفه صار يصيح ويصرخ، وأول أمره كان يتعاطى التدخين، قال -رحمه الله-: وإذ بشيخي أويس القرني في المنام يعطيني هديةً كنت أظنها صرةً من تبغ، فلما فتحتها وجدتها روث حيوانات! فتركت التدخين ولم أعد إليه.

ثمّ رجع إلى موطنه الأول في ناحية الكرابلة، وابتنى بيتًا ومسجدًا من طين وحجر، فرأى ذات يوم في منامه رجلين يحملانه من إبطيه ويخطان بأصابع أقدامه الأرض، وأبلغاه بأن هذا مكان خلوته، فلما استيقظ وجد الخطوط كما رآها في المنام فاستدعى من يثق بهم ولم تغب شمس ذلك اليوم حتى اكتمل بناء الخلوة حتى البياض، أما الرجلان اللّذان حملاه فهما سيدنا عبد القادر الجيلاني وسيدنا أويس القرني رضي الله عنهما.

من صفاته:

وقد عُرفت فيه صفاتٌ أهمها: شدة تمسُّكه بأمر الله ونهيه، واتباع سنة نبيه ﷺ وشغفه بالصلاة والذّكر، حتى أنه علّق فوقه مسبحةً يزيد ارتفاعها على مترين ونصف. هذا مع شدة التزامه بقول الحق: ﴿لَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة ٥٤) وحث النساء على الستر والحجاب وعدم النياحة على الأموات، وتحذيرهنّ من الخرز والحجر التي ترتجيه بعض الخرِفات من النسوة لجلب النفع ودفع الضرّ،

وتوجيههنّ إلى النافع والضارّ الحقيقي الله تبارك تعالى، وإذا جاءه من يستشفي لمريضه أجابه بأربع كلمات: الله هو المشافي والمعافي. وحضر عنده مرة بدوي فحان وقت صلاة العشاء فنادى به وبأولاده ليتهيؤوا، فقال البدوي: أنا لا أصلي قال: لماذا يا ابني؟ وإذا كنت بحاجة إلى غسل حتى نهيئ الحمام ونحضر الماء قال: أنا جئت لأبحث عن علف لأغنامي، فلن أصلي وهي جائعة حتى تشبع! فأجابه، رحمه الله: وما دام كلامك هكذا اخرج من بيتي وأنا عواد الزوبع قل عني: بخيل ويطرد الضيف.

وتاب على يده خلق، وعرفت عنه -رحمه الله تعالى- كرامات كثيرة.

منها: أنها أقام حلقة ذكر فحضر عنده فيها جمع من الدراويش، فتحداه بعضهم، فطلب من أحد الحضور أن يحمل بندقية ويصوب بها إلى بطنه فانفجرت الطلقة وتناثرتْ عن بطنه دون أن يصاب بأذى.-

وفي أول السبعينات دُعي إلى دائرة الأمن في القائم للتعرف عليه، فأرسلوا أشخاصًا، وإذا بالسيارة التي تقلُّهم تتحرك شتى الاتجاهات إلاّ إلى الجهة التي هو فيها (الكرابلة) فتراجعوا.

وفي سنة ١٩٨٠م أغلقت الحدود بين سوريّا والعراق، فاتجه من بعد صلاة الفجر مشيًا على قدميه فوصل إلى نقطة السيطرة في القائم ضحىً، ووجد الحارس نائمًا، فأيقظه وقال له: يا ولدي حافظْ على سلاحك من السرّقة فبهت الجندي، ثمّ غادر الشيخ إلى أبو كمال داخل سوريّا ولم يعترضه أحد.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

أما رابطته بسيدنا النّبهان ﵁ فقال: كانت لي زيارة في كل عام مرة لسيدنا عبد القادر الجيلاني ﵁ وبعد عودتي من بغداد أمرّ بمدينة الفلوجة لزيارة العلماء، منهم الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي، والرجل الصالح الحاج محمّد عبد

الله الفياض الكبيسي، وألبس الكونية (الجنفاص) فاعترضني الشيخ عبد العزيز ثلاث مرات في ثلاث زيارات يأخذ مني الكونية ويلبسني الدشداشة (وهي ثوب يكسو جميع البدن ويسمى بلهجة بلاد الشام القنباز أو الكلابية). فجئته مرة أجمع مالًا لبناء جامع، وأنا ألبس الجنفاص المرقع، فزجرني -رحمه الله- لكني رفضتُ خلع الكونية وقلت: يا شيخ عبد العزيز، إني أحترمك، وجئت لزيارتك، ولم ألبس هذه الكونية باختياري، فـأنا عبدٌ مأمورٌ. فأجابني: هذا اللبس لا يوجد في الإسلام وأسمعني كلامًا فظًّا، فخرجت غضبان، فأخذ بيدي أحد الأشخاص إلى الحاج محمّد الفياض الكبيسي، فشكوت ما دار بيني وبين الشيخ عبد العزيز، فقال لي: مشكلتك هذه لا يحلها إلاّ الشيخ النّبهاني، فهاك مبلغًا من المال قسم منه لعيالك وقسم تذهب به إلى الشيخ النّبهاني، وأخبره عن لبس الكونية المرقعة، فإذا قال: ارمها، فارمها، وإذا قال: لا فلا.

فسافرتُ إلى حلب، وركبت من سيارة إلى سيارة فلم يأخذ مني أحد أجرةً، ولما وصلت قيل لي: إن الشيخ النّبهاني في الضيعة بقرية التويم التابعة لحلب، فركبت في القطار حتى إذا وصلت الضيعة وجدت في المحطة قومًا كأنّهم من الصحابة، فاستقبلوني ورحّبوا بي ترحيبًا عظيمًا، وقالوا: أنت ضيف سيدنا من العراق؟

قلت: نعم.

ومن أخبركم؟

قالوا: لقد أخبرنا سيدنا قبل ساعات أنه سيقدم علينا اليوم من العراق مجاهد لنفسه كبير، وأمرنا باستقبالك.

وأخذوا بيدي إلى حيث إقامة الشيخ، فقال قبل أن أفاتحه: «يا عبد العزيز ماذا تريد من هذا المسكين!؟ رابعة العدوية ماتت وهي ترتدي الكونية» فرحّب بي، ولم يسألني عن شيء، ولم أذكر له سبب زيارتي له، ثمّ نهض رضي الله عنه واتجه إلى العراق وأخذ ينادي: يا أبا صالح.. يا أبا صالح، يقصد سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه فصرت أسمع كلامه مع الشيخ النّبهاني ولا أراه، وبعد انتهاء الحديث بينهما قال لي: هذا

شيخك أذن لك بنـزع الكونية، فخلعتها، فالشيخ النّبهاني له فضلٌ عليّ كبير في تخفيف هذا الأمر حيث أن الناس لا يعرفون مظهري وطريقتي، فأصبحت ألبس ما يلبس الناس.

وفاته:

توفي -رحمه الله تعالى- سنة ١٩٨٣م، ودفن في منطقة الكرابلة.

مصادر الترجمة:

- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ٣١٩).

(٤٦) الدكتور عيادة الكبيسي

١٣٦٥ - ١٤٤٠هـ/ ١٩٤٦ - ٢٠١٩م



العالم الفاضل، والخطيب المصقَع، والمدرس الناجح، والواعظ المؤثر الشيخ الدكتور عيادة بن أيوب بن سويدان الكبيسي.

ولادته ونشأته:

وُلِدَ في مدينة «كبيسة» في محافظة الأنبار غربي العراق عام ١٩٤٦م.

طلبه العلم:

دَرَسَ فيها المرحلة الابتدائية، ثم دخل المتوسطة في الفلوجة حتى الصف الرابع.

ثم انتقل بعدها إلى المدرسة العلمية الدينية في كبيسة عام ١٩٦٠م، وتلقى فيها العلم عند الشيخ عبد الستار مُلّا طه الكبيسي، وهو من أكثر شيوخه تأثيرًا فيه، وكان يبيت معهم في المدرسة، ويصوم معهم، ويوقظهم لصلاة التهجد، ولا يذهب إلى أمه إلا نادرًا.

يقول الشيخ عيادة، رحمه الله: «الشيخ عبد الستار كان يعلمنا السلوك في أثناء العلم، وكان لنا جلسات معه من الصباح إلى الظهر، ولنا معه دروس عملية يعلمنا السيرة العملية لرسول ﷺ».

توكيله بالخطابة:


الدكتور عيادة الكبيسي

حدثني -رحمه الله-: «طبعني الله على الحياء وأنا صغير، من الصعب أن أخرج أمام الناس، سافر الشيخ عبد الستار يوم الأربعاء وترك وصية أن الذي يكتب الجمعة نيابة عني الطالب فلان (عيادة الكبيسي) وهل يعقل ذلك! هذا المسجد الكبير الذي فيه أقربائي وزملائي لكن كلمة الشيخ لا ترد، فجلست في مكتبة الشيخ من الصباح إلى الظهر أحضر الخطبة، وقبل الظهر بنحو نصف ساعة ما كتبت إلا نحو سطرين، فتركت الكتب على جنب، وأمسكت القلم وبدأت أكتب، وبدأ القلم يسير، وخلال نصف ساعة كتبت أربع صفحات، فلما أنجزتها قلت: هذه الخطبة فكيف الإلقاء؟! وتهيبت من صعود المنبر وأرتجف قبل الخطبة لكن سبحان الله أول ما وضعت رجلي على أول درجة في المنبر تغير كل شيء وذهب عني ما أجد، فبدأت أخطب وكأنني أخطب لوحدي، وكانت خطبة مؤثرة والناس تبكي والناس يثنون عليها.

ثم جعلني الشيخ عبد الستار مدرّسًا معه أنا والشيخ عبد المجيد سعود، وكان ينوي يوم الاثنين أن يذهب ليسجل ذلك رسميًّا في الأوقاف فعاجلته المنية وتوفي، رحمه الله.

فهو -رحمه الله- من غرس في قلوبنا حب الصالحين، وكان يمزج درسه كله بهذه المعاني».

ثم انتقل الشيخ عيادة إلى بغداد، وحصل على الثانوية العامة في المدرسة القادرية عام ١٩٧١م، وكان ترتيبه الأول على معاهد العراق بتقدير (ممتاز).

ومن شيوخه في هذه المرحلة: العلامة الشيخ عبدالكريم المدرس في بغداد، الذي جرت بينه وبينه محبة، وكان يرسل له كتبه ويقول: إلى ولدي المحبوب عيادة بن أيوب، وكان عجيبًا في العلوم العقلية.

وكذلك صحب الشيخ مصطفى التازي في مرحلة الماجستير، وهو من الصالحين، وصارت بينهما صلة، وفي آخر ما قرأ عليه قال: إلى هنا خاتمة طَيِّبَةٌ إن شاء الله وكررها ثلاث مرات، ورآه الدكتور عيادة مرة في المنام وجاء يلبس عمامة وجبة سوداء-وهو لباسه سعودي في حياته- وقبل أن يأتي قال واحد في المنام: سيأتي الشيخ التازي يحضر المناقشة. فقال في قلبه: كيف يأتي وقد توفي! فقال هذا الرجل: نعم هو متوفى، وهو مدفون في الحجون، مسلط عليه نور قوي، وهو مكلف بجمع الصالحين في المناسبات، والآن يأتي مع جمع من أهل ليبيا.

ودرس عند الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي دراسة خارجية ليست نظامية، وكان يأتي يجلس عنده كثيرًا ويسأله.

ثم دخل كلية الإمام الأعظم ببغداد وحصل فيها على البكالوريوس في الشريعة الإسلامية، وكان ترتيبه الأول على دفعته، وتقديره (ممتاز).

وفي أثناء تحصيله العلمي هذا وبعده عمل إمامًا وخطيبًا في عدد من جوامع بغداد، آخرها وأهمها في حياته جامع الفرقان في منطقة الصليخ.

تحصيله العلمي العالي:

تابعَ تحصيلَه العلمي العالي في جامعة أم القرى في مكة المكرمة.

وحصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية (كتاب وسنة)، بتقدير (ممتاز)، وكان عنوان رسالته: «صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة».

ونال الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، بتقدير (ممتاز)، مع التوصية بطبع الرسالة، وكان عنوان رسالته «تفسير سورتي الأنفال والتوبة لابن أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٧) ـ دراسة وتحقيق وتخريج»، وتقع الرسالة في (١٠٥٦) صفحة من القطع الكبير.

وظائفه العلمية:

بدأ بعد نيله شهادةَ الدكتوراة مشواره التعليمي، وقد دَرّس في ثلاث كليات:

-كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد في باكستان، وقد درّس فيها سبع سنوات (١٩٨٨-١٩٩٥).

وبعد شهورٍ قضاها في (دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي) انتقل إلى:

كلية الدراسات الإسلامية والعربية في الإمارة نفسِها، وبقيَ فيها إلى عام(٢٠٠٥م)، ونال في هذه السنوات درجة أستاذ مشارك، ودرجة أستاذ.

ثمَّ انتقل إلى كلية الشريعة بجامعة الشارقة، وعَمِلَ فيها إلى عام (٢٠١٦م).

وتفرَّغ بعدها لأعمالِ العلمية، والتدريس مُحاضِرًا، وإلقاءِ المحاضرات، وتقويمِ الأبحاث العليمة والمؤلفات التفسيرية الواردة إليه من الجامعات والمراكز المختصة، ومنها تقويمُه «تفسير القرآن الكريم» الذي أُعِدَّ في دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي.

وعلى هذا يكون الشيخُ قد قضى في التعليم الجامعي والعمل العلمي أكثر من ثلاثين عامًا، أفادَ فيها مِنْ علمه وسمته وهديه أعدادٌ غفيرةٌ من الطلاب والطالبات مِنْ بلدان شتى، وما منهم مِنْ أحدٍ إلا وهو يذكرُ الشيخَ بالتبجيل والثناء، والمحبة والدعاء.

وكانت كلماتُ الشيخ تنطبعُ في قلوبهم وتؤثرُ فيهم ولا ينسونها كما قال لي عددٌ منهم، وهذا علامة الإخلاص والقبول.



من اليمين: الدكتور نوفل الناصر، ثم الدكتور أحمد خضير، ثم الدكتور عيادة الكبيسي

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ:

حدثنا الدكتور عيادة الكبيسي-رحمه الله- في جلسة خاصة بحضور الدكتور أحمد خضير والدكتور نوفل والشيخ مأمون الراوي وجمع من الإخوة:

«رزقني الله خدمة والدتي-وكانت مريضة- وأنا ولدتُّ وهي مريضة، ومن أسرار اسمي (عيادة) أن الله أراد لها الخير، هي مريضة بمرض أشبه بالشلل، وولدت في ذاك الوقت، وكنت وأنا صغير لا أذهب لأي مكان حتى للمسجد إلا أستأذنها، فمرة في صلاة العشاء استأذنت أن أذهب لصلاة العشاء، والمسجد القريب منا مسجد طاهر شاكر في الفلوجة أما المسجد الكبير فبعيد عنا، فأردت أن أذهب لمسجد

طاهر شاكر لكن كأنّ أحدًا يجذبني أن أذهب إلى الجامع الكبير فذهبت، وإذ بالسيد النبهان هناك، فصلينا معه العشاء، وقدم الشيخ عبد الستار إمامًا، وهذه في السفرة الأولى (١٩٦٢) لكن كان لقاء عابرًا، وسلمت عليه مع المُسَلّمين، وكأنني سقت سوقًا لذلك، لأنني يجب أن أرجع سريعًا إلى أمي.

وبعدها سافرت أربع أو خمس مرات، إحداها كانت وحدي، ومرة مع أخي، ومرة مع صالح منصور، وفي تلك السفرة كان السيد في المستشفى وزرته هناك.

وأول سفرة إلى حلب لرؤية السيد النبهان كانت مع الشيخ جمال شاكر، وهذا الرجل كان بَكَّاء، وله سجع وأمثال أخذها من الشيخ عبد العزيز، فلو رأيته في الكلتاوية لسمعت صوته المرتفع بالبكاء من بعيد.

ومرة كنا في دير الزور نركب حافلةً، وكان الذي نحجز عنده كنيته أبو أحمد وهو يقول: يا أبا أحمد يا حبيبي. وذاك يتصور أنه يقصده.

وجلست مع السيد جلسة خاصة في هيت ومع أننا طلاب صغار لكن ميزة السيد أنه كان لا يرد أحدًا يطلب جلسة خاصة، فيلبي ذلك مع كثرة أشغاله وأعماله، وكنت وقتها وحدي وسألت بعض الأسئلة.

حثني السيد النبهان على وعظ الناس، وقال: وعظ مرة مرتين، مرة مرتين، وهذا زين لك. فهذه الأخيرة أرجو الله أن ينفعني بها، ومن فضل الله حتى في الخطبة وغيرها إذا رزقني الله اليقظة فكأني أجرد من نفسي شخصًا آخر أخاطبه.

آخى سيدنا النبهان بيني وبين عبد اللطيف سالم غامس، وهو زميلنا في الدراسة، مليء بالأدب وكان شيخنا الشيخ عبد الستار يجله.

بعد وفاة السيد بمدة رأيته أبهى من الحقيقة في رؤيا عجيبة، وكان يؤكد تأكيدًا قويًّا على الشريعة.

مرة كنت في الجامع الكبير أقرأ، وعندنا اختبار في مادة التاريخ، وكنت أقرأ قصة سيدنا علي ﵁ فطبقت الكتاب في يدي وأنا أمشي وأفكر في حالة سيدنا علي ﵁ ولا أتكلم بل هو في نفسي، فدخل الحاج محمود رْحَيّم فرآني وقال: ما شاء الله ياشيخ عيادة سيدنا علي يمشي معك.

سألته ﵁: قلت: هناك أحاديث لم يصححها المحدثون يقولها العارفون؟ فردني بهدوء وقال: العارفون لا يكذبون على رسول الله ﷺ.

وسألته مرة فقلت: يا سيدي نقرأ لبعض المحدثين الذين نثق بهم أنهم لا يجيزون الاحتفال بليلة النصف من شعبان ولا قيامها ولا صيامها فأجاب: صيامها وقيامها أفضل أو قال خير من الترك.

رأيته ﵁ أيام إقامتي بمكة في حشد كبير، وهو بعيد عني، فقلت: كيف الوصول إليه وسط هذه الجموع؟ فسمعت بيتًا من الشعر وإذ أنا بين يديه أقبله وأحضنه وهو مقبل علي في شوق وحال، فاستيقظت وأنا على تلك الحال.

كنا جالسين في الجامع الكبير في الفلوجة وكان معنا رجل فتكلم بشئ من الحقائق ففهمت أن في ذلك إخلالًا بمقام التوحيد، أنكرت عليه فغضب وقام، فتألمت خشية أن أكون أغضبت بعض أحباب الله، وهذا أصعب شيء علي، حتى إذا يسَّر الله ذهابي إلى حلب والتشرف بالجلوس بين يدي سيدنا ﵁ وعنا به سألته عما قال الرجل وعما قلت، فقال: هو كذاب كذاب كذاب. وأيدني فيما فعلت، والحمد لله رب العالمين. أقول: وسنبقى كذلك يا سيدى مع الشرع الشريف كما علمتنا وربيتنا.

حتى نحن الذين لم ندرس في مدرسة الكلتاوية التي تتحدثون عنها كان ﵁ يعاملنا بالرفق والحنان، وكان يجيبني بخط يده عن كل ما سألته عنه، ويبدو أنه يقرأ الرسالة كلمة كلمة. سبحان الله! مع كثرة أشغاله يهتم بنا هذا الاهتمام.

وأنا أستمع إلى سيدنا ﷺ وهو يبين أن الأمر ينكشف بدون تفكير تذكرت أن أحد الإخوة أرسل معي سؤالًا مفاده أن الأطباء أخبروه أن زوجته لا تلد إلا بعملية فتح بطن في المستشفى فماذا يصنع؟ فلما أكرمت بالجلوس بين يدي سيدي عرضت ذلك السؤال فقبل أن أكمل قال لي: لا يدخلها المستشفى؛ تلد في البيت أو قال نحو هذا. فذهبت فورًا الى البريد في حلب، وكتبت إليه برقية هكذا (رجب لا يأخذ زوجته إلى المستشفى) ومن الطريف أن الموظف قال لي: اكتب للمستشفى بدل إلى المستشفى ليوفر لك أجرة كلمة. وفعلًا ولدت في البيت ولادة طبيعية والحمد لله، ومثل هذا تكرر في مواقف متعددة.

نقل لي إخواني أنه كان ﷺ يقول عني: إنه تقي وكلامه يؤثر في السامعين من التقوى. فالحمد لله رب العالمين.

حين تأملت صورة سيدنا تذكرت بيتين قلتهما منذ أكثر من ثلاثة عقود:

لله دَرُّكَ مِـــنْ إمـــامٍ ماجـــد ... أحيـا القلـوب وأرشـد الضُّـلالا

فأنـــار دَرْبَ الســالكين بهمـــة ... حـتى غـدا للمرشـدين مِثَـالا».

وكتب لي صديقه الشيخ حامد صخي:

«حين ودعنا الشيخ بشير من جامع الصديق في الفلوجة ألقى الشيخ الدكتور عيادة أيوب حفظه الله كلمة رائعة أبكت الجميع قال فيها: أبلغ سيدنا محمد النبهان بأننا معه فَوَالله لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون.

قد حملت من شيخنا الدكتور عيادة رسالة إلى سيدنا الكريم -نفعنا الله به- في زيارتي له في الكلتاوية -حماها الله- في نهاية الرسالة اسم الدكتور عيادة أيوب الكبيسي، فقرأها السيد الكريم كلها أمامي ثم قال: كبيسة شجاعة وكرم».

مؤلفاته وبحوثه:

وفَّق الله -عز وجل- الشيخ لنشر العلم عن طريق آخر وهو التأليف والتحقيق، فألَّف كتبًا غزيرة الفائدة، وحقَّق كتبًا قيمة، على رأسها أجزاء من تفسير ابن أبي حاتم الرازي.

ومنْ مؤلفاته النافعة المباركة كتابُه: «الأربعون المنيرة في الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة»، وقد استخرجتُ منه مطويةً بعنوان: «دليلك إلى العمل اليسير والأجر الكبير». وأحسب هذا الكتاب يجسِّد شخصية مؤلفه.

وكلُّ أعمال الشيخ من المؤلَّفاتِ -النثريةِ والشعريةِ- والمحقَّقاتِ والبحوثِ والمقالاتِ أعمالٌ علميةٌ عمليةٌ مباركةٌ نافعةٌ تمسُّ الحاجة إليها، ويعظمُ الانتفاعُ بها، وهذا ثبت بمؤلفاته وأبحاثه:

أولًا: الكتب المنشورة:

١- تفسير سورتي الأنفال والتوبة لابن أبي حاتم الرازي، دراسة وتحقيق وتخريج، رسالة دكتوراه، دار ابن الجوزي.

٢- صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب والسُّنة، رسالة ماجستير، دار ابن حزم، الثانية، ١٤٣٠هـ.

٣- تفسير سورة المائدة لابن أبي حاتم الرازي، دراسة وتحقيق وتخريج، دار ابن الجوزي.

٤- تفسير سورة يونس -عليه السلام- لابن أبي حاتم الرازي «دراسة وتحقيق وتخريج»، كتاب يقع في (٥٣٨) صفحة، دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥- قصة هاروت وماروت في ميزان المنقول والمعقول، وكان بحثًا صغيرًا، طوّره إلى كتاب، دار ابن حزم، الأولى، سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦- تفسير سورة الناس للبرهان النسفي (٦٨٧) «دراسة وتحقيق مع إحدى وعشرين فائدة تفسيرية تتعلق بالسورة الكريمة» يقع في (٢٣٥) صفحة، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٧- أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم، كتاب يقع في (١٥٢) صفحة من القطع المتوسط، نشرته دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، الثالثة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، الرابعة دار ابن حزم ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٨- الأربعون المنيرة في الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة، كتاب يقع في (٤١٤) صفحة، دار ابن حزم، دبي، الرابعة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٩- الوسوسة: أسبابها وعلاجها، كتاب يقع في (١٨٩) صفحة، دار ابن حزم، الثانية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٠- لباس التقوى والتحديات المعاصرة للمرأة المسلمة، كتاب يقع في (٣٤٠) صفحة، دار ابن حزم، الثالثة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١١- دعائم السلوك الأمثل من الكتاب والسُّنة، كتاب يقع في (١٧٦) صفحة، دار ابن حزم، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٢- الأرجوزة المكية في الصلوات السنية بالأسماء الإلهية والشمائل المحمدية، كتاب يقع في (٢٠٠) صفحة، دار ابن حزم، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٣- دراسات في التفسير ومناهجه، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

١٤- الأربعون القدسية، شرح وتعليق، تقوم على طباعته جائزة دبي الدولية ـ وهو قيد التنفيذ والإخراج، ٢٠١٩م.

١٥- الأربعون الخطيرة في عقوبات كبيرة على أعمالٍ اتقاءاتُها يسيرة، وافقت على طباعته جائزة دبي الدولية.

ثانيًا: الأبحاث المنشورة:

١- القصّ.. بين الهدف النبيل والانحراف المسيء. نشرته حولية الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان. العدد (١) المجلد (١)، (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م).

٢- البسملة وسبب سقوطها من سورة براءة. نشرته مجلة الدراسات الإسلامية، إسلام آباد. العدد (٣) المجلد (٢٦)، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٣- قراءة البسملة أول سورة براءة للإمام ملا علي القاري، دراسة وتحقيق وتعليق. نشرته مجلة الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، باكستان، العدد (٤) المجلد (٢٨)، (١٤١٢هـ- ١٩٩١م).

٤- تفسير الخازن والإسرائيليات، نشرته حولية الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان. العدد (٢) المجلد (١)، (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م).

٥- البرهان النسفي وتفسيره «كشف الحقائق». نشرته مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبـي. العدد (١٤)، (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

٦- النصر في القرآن: الأسباب والمعوقات. نشرته مجلة الأحمدية التي تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي. العدد (١)، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

٧- شبهات حول تفسير الرازي، عرض ومناقشة، نشرته مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي. العدد (١٦)، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٨- تدبُّر القرآن الكريم بين المنهج الصحيح والانحرافات المعاصرة. نشرته مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي. العدد (١٩) (١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م).

٩- ابن أبي حاتم الرازي وتفسيره المسند. نشرته مجلة الدراسات الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد. العدد (٣) المجلد (٢٤)، (١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).

١٠- إمعان النظر في فواتح السور، مجلة الدراسات الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، باكستان. العدد (٢) المجلد (٢٥)، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

١١- قصة هاروت وماروت في ميزان المنقول والمعقول. نشرته مجلة الدراسات الإسلامية، وهي مجلة محكمة تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية ـ الجامعة الإسلامية العالمية -إسلام آباد- باكستان. العدد (٣) المجلد (٢٧)، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

١٢- رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ﴾ الآية للشيخ علي الأجهوري المالكي (ت ١٠٠٦هـ): دراسة وتحقيق. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، في العدد الخامس والعشرين (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

١٣- البيِّنات في بيان بعض الآيات للإمام ملا علي القاري (ت ١٠١٤): دراسة وتحقيق. مجلة الأحمدية في العدد الخامس عشر (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

١٤- أهمية التفسير المأثور في الدراسات القرآنية، من خلال التفسير المُسند لابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧). مجلة الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان، العدد الثاني، المجلد الحادي والأربعون (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

١٥- المحكي في القرآن: حكمه أنواعه دلالاته. نشر في مجلة الأحمدية في العدد الرابع والعشرين (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).

١٦- القراءة الجديدة للقرآن الكريم بين المنهج الصحيح والانحراف المسيء. نشرته حولية جامعة أفريقيا العالمية بالسودان في العدد الحادي عشر (١٤٢٩-٢٠٠٨).

١٧- حديث القرآن عن الفتح وأنواعه وهداياته. نشرته مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر في العدد السادس والعشرين (١٤٣٠هـ-٢٠٠٨م).

١٨- القصّر ومَن في حكمهم في النظرة القرآنية. نشر في مجلة جامعة القرآن الكريم ـ الخرطوم (١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م).

١٩- مناهج المفسِّرين بين الأثر والتجديد. نشر في مجلة كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد (٢٠١٠م).

٢٠- الاستطاعة بين التقوى وإعداد القوة في القرآن الكريم. نشر في مجلة الدراسات الإسلامية بإسلام آباد العدد الأول ـ المجلد السابع والأربعون (١٤٣٣ -٢٠١٢م).

٢١- شُعيب عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة موضوعية. وافقت على نشره موسوعة التفسير الموضوعي لموضوعات القرآن الكريم بتاريخ ٩ربيع الأول ١٤٣٤هـ. الموافق ٢١ كانون الثاني ٢٠١٣م.

٢٢- عناصر القوة بين الأخذ والترك وأثر ذلك في نهضة الأمة. نشرته مجلة معالم القرآن والسُّنة التي تصدر بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية ـ العدد الحادي عشر ٢٠١٥م.

٢٣- أهمية القضاء الشرعي في حياة الأمة الإسلامية في العصر الحاضر. نشرته مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة الجزائر، مخبر الشريعة في العدد التاسع (٢٠١٥م).

٢٤- التزكية وأثرها في السلوك الأمثل: الأمير عبدالقادر الجزائري أنموذجًا. وافق على نشره مركز البحث في الأنثروبولجيا الاجتماعية والثقافية بمدينة وهران في الجزائر (٢٠١٦م).

الكتب والبحوث المعدّة للنشر:

١- من هدايات القرآن، دروس على المنبر في تدبر كتاب الله العظيم من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة التوبة.

٢- الاستطاعة بين التقوى وإعداد القوة في القرآن الكريم (معد للطبع).

٣- منبر الجمعة، مِنْ هدايات القرآن، تفسير خَطابي دعوي (عدة مجلدات).

٤- مقدمة تفسير «كشف الحقائق» للبرهان النسفي (ت ٦٨٧): دراسة وتحقيق.

٥- مقالات هادفة تهم كل مسلم ومسلمة، الجزء الأول.

٦- شذرات مِنْ مزايا رجال صحبتُهم أو لقيتُهم.
٧- أيها الحفيد.

من أشعاره:

كان من أواخر ما كتبه الدكتور عيادة الكبيسي -رحمه الله- وكان يبكي كلما سمعها:

أرجوك ربي بِلُطفٍ منك ترحمُني ... أرجوك ربي بفضلٍ منك تغمُرني
أرجوك يا واسعَ الإحسان منْ قِدَم ... على عيوبي بجودٍ منك تقبلني
أرجوك عند خروجِ الروحِ من بدني ... أرجوك باللطف والإحسان تنظرني
وتُحسنُ الخَتْم بالتوحيد أعلنه ... على الحنيفية السمحاء[1] تقبضني
أرجوك لمّا يصير التربُ مفترشي ... وصار حِبي بذاك الترب يدفنني
أرجوك فاجعله قبرًا مشرقًا نضرًا ... أرجوك في ظلمة الأجداث تؤنسني
أرجوك بالأمن يا مولاي تحشرني ... أرجوك أرجوك بالرضوان تبعثني
أرجوك تغفرُ ما قد كان مِنْ زلل ... ومِنْ عيوب بلطفٍ منك تسترني
أرجوك يا مُولِيَ الإحسانِ مبتدأ ... أرجوك أرجوك ربي لا تخيبني
أرجوك أقبلْ بقلبي نحوَكم كرمًا ... أرجوك مِنْ رقدة الغفْلات تنقذني
قد كنتَ في صِغَري باللطف تكلؤني ... أرجوك في كبري ألا تضيعني[2]
رباه صلِّ على الهادي بلا عدد ... حتى بصحبته في الخلد تدخلني
والآل والصحب والأحباب قاطبة ... ومَنْ دعا لي بأنَّ الله يرحمني

---

(١) الحنيفيَّةُ : دين الإسلام.
(٢) تكلؤني: تحفظني و ترعاني.

مرضه ووفاته:

مرض -رحمه الله-، وأدخل مستشفى توام في مدينة العين في دولة الإمارات العربية المتحدة، وخرجَ بعد مدة -قبيل عيد الأضحى- وقد بدتْ عليه علامات العافية، واستأنف خطبة الجمعة، وسُرَّ به محبوه ومتابعوه، ثم عاوده المرض، فأدخل المستشفى المذكور مرة أخرى، وقدر الله وفاته فجر يوم السبت السابع عشر من ربيع الآخر سنة ١٤٤١هـ، وقد صُلِّي عليه في مسجد الصحابة في إمارة الشارقة في جمع غفير، ووري الثرى في مقبرتها.

رثاؤه:

رثاه الدكتور عبد الملك السعدي فقال(١): (عالم فقدناه)

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مصطفاه، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه.

وبعد: فيقول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الاحزاب آية: ٢٣).

وقال رسول الله ﷺ: «مَوْتُ الْعَالِمِ مُصِيبَةٌ لَا تُجْبَرُ، وَثُلْمَةٌ لَا تُسَدُّ، وَنَجْمٌ طُمِسَ، وَمَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ»(٢).

---

(١) كتبها أ. د عبدالملك عبدالرحمن السعدي، في ١٦ ربيع الثاني ١٤٤١هـالموافق ١٤ كانون الأول ٢٠١٩م.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (السابع عشر من شعب الإيمان وهو باب في طلب العلم- فصل في فضل العلم وشرف مقداره) حديث رقم [١٥٧٦] ٣: ٢٢٣. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض .

وثقتي أن ممن يشمله النصان أعلاه، عالم فاضل خطيب مصقَع ومدرس ناجح وواعظ مؤثر، يتمتع بروحانية فائقة، وخلق رفيع.

مارس التعلم منذ نعومة أظفاره فكان من الطلاب المتميزين ثم صار من العلماء العاملين.

ذلكم هو الرجل البارع والشيخ النافع الأستاذ الدكتور عيادة أيوب الكبيسي.

فقد تلقى باكورة علمه على يدي أخينا وزميلنا الشيخ عبد الستار ملا طه الكبيسي في مدرسة كبيسة.

وبعد وفاته واصل الدراسة على مشايخ آخرين في كبيسة وبغداد.

ولم ينقطع طموحه في التلقي فواصل مراحل الدراسة الجامعية البكالوريوس والماجستير، وكان خاتمة المسك مجاورته لبيت الله الحرام في مكة المكرمة لنيل درجة الدكتوراه.

وكانت فرصة ثمينة أن جمعني الله وإياه في هذا البلد الأمين في هذه الفترة لنيل درجة الدكتوراه فكان -رحمه الله- خير رفيق وخير جيران في جوار الكعبة المشرفة.

ثم واصل تدريس العلوم الشرعية واللغوية في الخليج، فأفاد طلابه ونهلوا من علمه مع الحفاظ على تلك الروحانية التي يتصف بها.

وبعد هذا فلا يسعني إلا أن أقول: رحمك الله يا أبا عامر، وجعل الجنة مثواك وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وعوض الله المسلمين من يسد فراغك.

كما أتقدم بخالص التعزية للمسلمين بصورة عامة ولأهله وذويه وطلابه وأحبابه وزملائه بصورة خاصة، وأدعوا الله للجميع بالصبر، إنه سميع مجيب.

وإنا لله وإنا اليه راجعون.

رثاه الدكتور عبد الحكيم الأنيس فقال: أيها الشيخ الجليل:

أنتَ ذكَّرتَنا رجالَ العراقِ   مِنْ أُولي المكرُماتِ والأخلاقِ

والخصالِ التي تشعُّ ضياءً والفعالِ الشديدةِ الإشراقِ
كنتَ في هذه الحياةِ شعاعًا خالصَ النُّور واضحَ الإبراقِ
نافعًا بالمقالِ والفعلِ حِينًا ثمَّ حِينًا بالحبرِ والأوراقِ
مستقيمًا على الطريق حييًّا خاضعَ الطرفِ دائمَ الإطراقِ
بلسانٍ باللهِ يلهجُ ذكرًا وفؤادٍ بحُبِّهِ خفّاقِ
فهنيئًا لكَ القدومُ عليه فإليهِ قدْ كنتَ بالأشواقِ

ورثاه الأستاذ الدكتور عبدالستار فاضل خضر النعيمي فقال:

أزمعتَ يا شيخَ العلومِ مسيرا وتركتَ جَمْعَ العاشقينَ كسيرا
فلقدْ ملكتَ فؤادَ مَنْ جالستهم وأحبّكَ القاريْ لديكَ سطورا
وسعيتَ ما بين الورى متعلّمًا ومعلِّمًا للمدلجينَ سميرا[١]
زانتك في دنيا الأنام شمائلٌ وطلعتَ بدرًا ساطعًا ومنيرا
تبكيكَ أعوادُ المنابرِ خاطبًا كم قد صدحتَ مبشرًا ونذيرا
و نأيتَ عن مهدِ الصبا بغضاضةٍ وتركتَ أحبابًا به والدورا
واليوم ترحلُ في البِعاد مودعًا من بعد لقياك البلاء صبورا
فعليك من رب العباد سحائبٌ من رحمة تحيا بها مسرورا
هذا رثائي قد أتاك مؤرِّخًا: يُكسى (عيادةُ) جنّةً وقصورا

وقال فيه الشيخ الفاضل محمد عبدالله ناصر المفتي في دائرة الشؤون الإسلامية بدبي:

نــال المــنى مِــنْ ربــه ومــرادَهْ وانســاقتِ الحُســنى له وزيــادَهْ
قضّىــ الحيــاة مجاهــدًا ومهــاجِرًا ومفارقًــا أوطانــه وبــلادَهْ

---

(١) أدلج القومُ :ساروا اللّيلَ. و السمير من يتحدّث مع جليسه ليلًا.

فحوى جميلَ محاسن التطـواف في ... كلّ البـــلادِ بطاعـــةٍ وعبـــادهْ
كمْ غالبَ الجهلَ المقيتَ فما ارعوى ... عـــن غيـــه إلا بحـــرب إبـــادةْ
طلابُــــه لا يــــذكرون خصـــاله ... إلا بوصــــفٍ طيـــبٍ وإشـــادةْ
جعــــل الإلهُ له البريـــة تــــرتجي ... رحماتــــه، ونباتــــه وجمـــادهْ
بــــدقائق التفســـير أعلى رتبـــة ... قـد حازهـا قـدْمًا بغـير شـهادهْ
ناهيــك عــن بــاقي العلــوم فإنــه ... قـــد نالهـــا بجـــدارة وريـــادهْ
لا زال بالذكر الجميل يعيش في الـــ ... أحيـــاء نـــبراس الحيـــاة عيـــادهْ

ورثاه الشيخ محمد أبو المعالي السيد أحمد الشنقيطي:

اذْرِ الدَمُوعَ لِخَطبٍ حَلّ بِالْبَلدِ ... لَمْ يُبْقِ لِلنّاسِ مِنْ صَبْرٍ وَلَا جَلَدِ
قَدْ فَاجَأ الكلَّ بالْأحْزَان فَاجِعُهُ ... فَأَظْلَمَتْ بالضّحى الدنيَا عَلَى الْخَلَدِ
وقَدْ فَزِعْنَا إلى تَكذِيبِ نَبْأَتِهِ ... حَتّى تَرَامَتْ به الْأَنْبَاءُ فِي الْبُرُدِ
وَبِالْهَوَاتِفِ حَتّى لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ ... إلا وَقَدُ غُمّ مِنْ هَوْلٍ وَمِنْ كَمَدِ
عَيَادَةٌ نَجْلُ أيُوبَ الْكُبَيْسِي مَضَى ... إلى رضى الله ذَا زَادٍ مِنَ الرَشَدِ
وَاهًا لِثَلْمَةِ دينِ الله كَيْفَ لَنَا ... بِرَتقِ فَتْقِ علومِ الدّينِ وَالسَّدَدِ
فَاعْمُرْ أيَا عَامِرُ الرَبْعَ الَذي غَنِيَتْ ... شَمَائِلُ الشَّيْخِ فيهِ الْغُرُّ وَاجْتَهِدِ
وَاصْبِرْ لِرَبِّكَ قَاسِي وَقْعِ صَدمَتِهِ ... إِلَيْهِ - تَحْمَدُ غِبَّ الصّبْرِ - إِنْ تَهُدِ
وَاصْبِرْ مُحَمّدُ وَارْجُ الْأَجْرَ مُحْتَسِبًا ... وَارْصُدْ بِبَنْكِ الْبَقَاءِ الْكَنْزَ للا بد
كذاك نَاصِرُ عَبْدُ اللهِ قُدْوَتُنَا ... فِي الصّبْرِ عِنْدَ حُلُولِ الْحَازِبِ التّكِدِ
يا سَادَتِي - وَسَبِيلُ الْمَوْتِ سَالِكَةٌ ... وَلَيْسَ يَبْقى عَلَى الْأَيّامِ مِنْ أَحَدِ -:
قَدْ كانَ عَيَّادَ مِنْ مَوْلَاهُ عَارِيَةً ... ثُمَّ اسْتُرِدَّ بِأَمْرِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ
وَاصْبَحَ الْيَوْمَ فِي الْمِيزَانِ عِلْقَ مُنًى ... تَلْقَوْهُ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْعُمْرِ فِي الْخُلُدِ
وَيا إِمَارَاتُ قَدْ آوَيْتِ مِنْ كَرَمٍ ... مَنْ كانَ فِي الْعِلّمِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ
لا بُدَّ لِلْمَرءِ مِنْ أَوْبٍ لِبَارِئِهِ ... لَوْ أَنَّهُ زَادَ تَعْمِيرًا عَلَى لُبَدِ
وَأَزْلَفَ اللهُ مِنْ فِردَوْسِ جَنَّتِهِ ... قَصْرًا لِعَيَّادَ مَرْفُوعًا عَلَى الْعَمَدِ

يُسْقى مِنَ الْكَوْثَرِ الرِّضْوَانِ عَاتِقَةً   أشْهَى مِنَ الْقَرْقَفِ الصَّهْبَاءِوَالشُّهُدِ[١]
وَالْحَمْدُ للّهِ أَنْ أَبْقى خَلِيفَتَهُ   يا قُرَّةَ الْعَيْنِ دُمْتَ الدّهْرَ في مَدَدِ
وَبَارَكَ اللّهُ أَهْلَ الْبَيْتِ قَاطِبَةً   وَلِلْقِرَاءَاتِ دَامُوا أَرْفَعَ السَّنَدِ

مصادر الترجمة:

- الدكتور عيادة الكبيسي لقاء مباشر معه في بيت الشيخ مأمون الراوي في دبي، بحضور الدكتور أحمد خضير، والدكتور نوفل الناصر، وجمع من الإخوة بتاريخ ٢٢ آب ٢٠١٤م.
- ترجمة كتبها صديقه الدكتور عبد الحكيم الأنيس، ونشرها في مواقع التواصل.
- الدكتور عبد الملك السعدي، صفحته في مواقع التواصل.
- الشيخ حامد صخي، مراسلة كتابيةً.

ملفان مسموعان

لسماع الملفين الصوتيين، فضلًا اقرأ الرمزين التاليين:

١	أول لقاء للدكتور عيادة مع السيد النبهان، وسفراته.	
٢	الدكتور عيادة يتحدث عن كلمته أمام السيد النبهان.	

(١) يُسقى من نهر الكوثر كأسًا ألذ من الخمر و العسل.

(٤٧) الحاج عيسى الكْواتي

١٣٤٠ – ١٤٣٨هـ/ ١٩٢٢ – ٢٠١٧م



العاشق الولهان، والمحب الصادق للسيد النبهان.

ولد الحاج عيسى الكْوَاتي في قرية (الأعيوج) الواقعة في محافظة الرقة وذلك عام ١٩٢٢م. وهو مشهور باسم: (الحاج عيسى الهْبَيّس).

ترعرع الحاج عيسى في أسرة تُعرف بمكارم الأخلاق والعادات العربية الأصيلة، فهو من فخذ العَفَادلة من عشائر (البو شعبان)[١].

من صفاته:

شهد له معاصروه بأنه من الرجال المعدودين في الشجاعة، فلوحده تخاف منه قرية، له مواقف عجيبة أيام الثارات بين القبائل وغزو القبائل بعضها لبعض قبل أن ينتسب إلى السيد النبهان.

---

(١) تفرعت قبيلة «البو شعبان» من زبيد، نسبة لـ «شعبان بن عمرو»، وهو جد جاهلي يماني له عقب في أغلب الأصقاع العربية. «الأعلام» (٣: ١٦٤).

كان في شبابه -رحمه الله- شديد البأس وصاحب شرف وغيرة لا توصف، وكرم قلّ نظيره، وفي أيّام مجاعة تبرع بأغلب ماله وكان كل من يأتي من حلب فيزوره في بيته في الرقة يذبح له رأس غنم.

وفي سنواته الأخيرة مع الظروف الشديدة (بانقطاع الكهرباء أحيانًا وندرة الغاز كثيرًا) ما ترك الضيافة أبدًا، يجمع الأحباب والجيران على مائدة عنوانها محبة الله ورسوله ﷺ.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

الحاج عيسى هو من خيرة أصحاب العارف بالله السيد محمد النبهان رضي الله عنه قلبًا وقالبًا ظاهرًا وباطنًا.

بدأت قصة هذا العاشق الولهان والمحب الصادق مع السيد النبهان في مطلع الخمسينات وتحديدًا عام ١٩٥٤م.

كان يذهب الحاج عيسى إلى حلب تاجرًا وفي إحدى المرات بعد انتهاء التجارة زار مسجد الشيخ حسن حساني، وسمع كلمة من أحد الجالسين يقول: «ما في مشايخ مثل الشيخ حسن حساني، والشيخ النبهان».

أما الحاج عيسى فلم يكن قد سمع بالسيد النبهان بعد، فأحب أن يتعرف عليه فسأل عن مكانه ومسجده، فأخبروه بذلك، ثم انصرف عائدًا إلى الرقة دون أن يلتقي به.

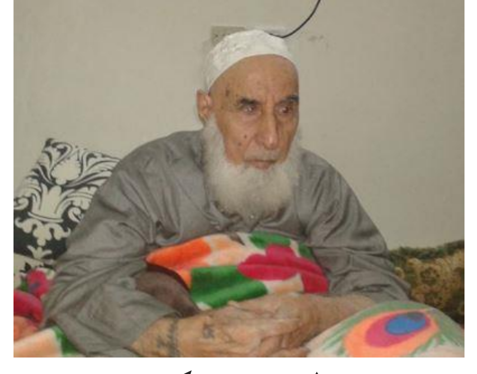
وفي إحدى زيارات حلب للتجارة ذهب الحاج عيسى إلى باب الحديد، ودخل مسجد الكلتاوية، وإذ بأحد السادة العلماء يلقي درسًا على الناس، والناس حوله بكل أدب وخشوع وبكاء في جامع الكلتاوية، فقال الحاج عيسى في نفسه: لمَ هؤلاء القوم يبكون؟! مستخفًّا بهم، وهو لم يذق ما ذاقوا بعد بل إنه ما عرف يومًا أن الرجال تبكي، وسأل عن السيد النبهان فقيل له: لم يأت بعد، فلما وصل السيد

النبهان ورآه الحاج عيسى يقول: «والله بدأت أصرخ في نفسي: هذا هو الشيخ، هذا هو الشيخ، فقد ملأ قلبي وفكري وعقلي».

وعندما جالس القوم الذين كان مستخفًّا بهم بالأمس متعجبًا منهم لمَ يبكون؟ صار يبكي مثلهم حبًّا وخشوعًا، ويقول: «هؤلاء هم الرجال هؤلاء هم الرجال».

ولو ذقتَ من طعم المحبة ذرة ... عذرتَ الذي أضحى قتيلًا بحبنا
ولو نسمتْ من قربنا لك نسمةٌ ... لمتّ غرامًا واشتياقًا بقربنا[1]

ومن أحواله:


الحاج عيسى الكواتي

أنه آخى السيد النبهان بينه وبين المحب الصادق عمر عابدين.

وقال سيدنا عنه: «حج عيسى منيح»، «حج عيسى بألف».

صار الحاج عيسى بعد لقائه الأول ملازمًا مجلس السيد النبهان، لكنه ما اكتفى بالمجالسة، وإنما أراد ان يكون أقرب من ذلك، فقرر أن يرحل من الرقة إلى حلب مصطحبًا متاعه وزوجته وأولاده، فسعد بالسكن بمجاورة السيد النبهان في الكلتاوية وكان يقول: «ما بيني وبين سيدي سوى حائط واحد فقط». ترك الرقة وله فيها أراضٍ ومعارف وأصحاب وكلمة مسموعة بين العشائر هناك.

---

(١) البيتان لسيدي أبي المواهب الشاذلي -رحمه الله- من قصيدة أولها:

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا ... فإنا منحنا بالرضا من أحبنا

وأول ما تشرف بأعتاب السيد الكريم، وكان يسمع عن ساداتنا الأنصار ﷺ عن الإيثار والمحبة الذي كان عندهم، فحين جاء من الرقة واستقر في حلب جاء بمخدة ممتلئة نقودًا وأنفقها كلها على إخوان السيد النبهان المحتاجين.

رافق هذا المحب العاشق شيخه أينما حلّ وحيثما ارتحل، فهو معه في إقامته وسفره.

وفي عام ١٩٦٥م أكرمه الله بالسفر إلى بيت الله الحرام والمشاعر المقدسة مع السيد النبهان ﷺ وصحبه الكرام في رحلة الحج المشهورة.

وكذلك سافر معه إلى الشام والتقوا هناك بالشيخ أحمد الحارون.

وقد زاره السيد النبهان في قريته مع الحاج عمر طظري وعبد السلام قمري صهر ابن سيدنا أبي فاروق.

ومرة كان يعمل في بناء الكلتاوية وتوسيع الجامع القديم وقع الحاج عيسى في حفره عمقها عشرة أمتار تقريبًا، يقول الحاج عيسى: والله ما أصابني شيء، وكأنني وقعت على وسادة، فصرت أنظر إلى سيدي النبهان، وهو في أعلى الحفرة وأقول: داخل عليك يا سيدي فقال لي: «أنتَ عندنا أمانة ياحاج عيسى» فقلت له: في الدنيا والآخرة يا سيدي؟ قال: «في الدنيا والآخرة».

وعندما غادر سيدنا إلى قرية البويدر كان الحاج عيسى مسؤولًا عن حماية السيد، ولَم يترك رجال نواف الصالح يقومون بحراسة سيدنا فقط بل هو من وزع الحماية والرجال، وكان وقتها لا ينام أبدًا حينما يكون سيدنا نائمًا، وله الكثير من المواقف.

رافق شيخه قرابة سبعة عشر عامًا ملازمًا له فاكتسب من نوره الشيء الكثير، وكان معه ومع آله وآثاره بالأدب التام فلا يمد رجله إلى جهة حلب وهو في الرقة احترامًا لشيخه.

هو المتواضع الوفي الذي كان يعشق تراب الكلتاوية، ويحب شيخه وآل شيخه حبًّا يفوق الوصف، وكان يقبل يد كل صغير من آل السيد النبهان ﷺ.

من كرامته الاستقامة على شرع الله فلا يخرج عن أوامر الله ورسوله أبدًا، إذا جلست معه فكأنك تجلس مع صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ عاد الحاج عيسى من حلب إلى الرقة عام ١٩٧٠م حاملًا معه التجارة الرابحة ألا وهي ميراث النبوة.

كان عنده أرض شمالي الرقة تبعد عن الرقة (٧٠) كم، أعطاها لسيدنا -قدس سره العزيز- هدية ليزرعها كيفما شاء.

قال وكيل سيدنا ﷺ بالزراعة الحاج أديب حيّاني -رحمه الله-: اشترى سيدنا لي موتورًا من نوع (سيكل) كبير مثل موتورات الشرطة، ومرة أمرني سيدنا -قدس سره العزيز- أن أسافر من حلب إلى الرقة عند الحاج عيسى، فلما وصلت الرقة قلت: يا حاج عيسى نريد أن نخرج فنتفقّد الزرع، قال: خير إن شاء الله. قال: فركبنا الموتور، ووصلنا الأرض، وصرنا نتمشى بالزرع، وكان شعيرًا، وأعجبنا زرع سيدنا ﷺ والوقت بعد العصر قال الحاج عيسى لأديب: شغل موتورك أريد أن أذهب لأقضي حاجتي قال: فجئت لعند الموتور أشغله فما اشتغل قال: فتحت مكان تخزين البنزين وإذ هو فارغ ونسيت أن أملأه من الرقة، وليس هناك أحد حوالينا كأنها مقْطعة، جاء الحاج عيسى قال: ما بك؟ قال: قلت له: انقطعنا، قال: لماذا؟ قلت: يا حاج عيسى ما في الخزان بنزين قال الحاج عيسى: أرني! قال أديب: فتحت الخزان وإذ بالخزان قد امتلأ. يا الله قال الحاج أديب: شغلت فاشتغل الموتور ومشينا حتى وصلنا الرقة (٧٠) كيلو.

حمل الحاج عيسى معاني الأدب والحب في الله ومحبة أهل الله فما تغير عن نهج شيخه بعد انتقاله بل ازداد محبة وتعلقًا ولا تراه إلا ذاكرًا بكاءً شاكرًا الله على نعمة محبة طلاب العلم والصالحين، وبقي على العهد، فكان يزور الكلتاوية

باستمرار-رحمه الله- وكان وكيل ابن سيدنا أبي فاروق في الزراعة أيضًا كما كان لشيخه وسيده من قبل، وكما اشتغل بخدمة سيدنا كذلك اشتغل بخدمة ابن سيدنا (أبو فاروق)، وهو الذي ذهب يسأل عن عبد الرحمن ابن أبي فاروق وعرف أنه استشهد في الحرب، وعمل مع ابن سيدنا بالغنم لمدة ست سنوات.

وفاته:

توفي الحاج عيسى في قريته الأعيوج بعد معاناة لأشهر مع مرض البروستات وذلك في شباط عام ٢٠١٧م.

سلام عليك أيها المحب العاشق، فقد كنت نعم المتبع الصادق.

مصادر الترجمة:

- الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت، مراسلة كتابية.
- الحاج خليل الأحمد، مُذَكّراته.
- السيد محمد ابن الحاج عيسى، مراسلة كتابية.

(٤٨) الحاج فاضل قَرَه بِلّلي

١٣٤٣ - ١٤٢٧ هـ / ١٩٢٤-٢٠٠٧م



الحافظ المتقن لكتاب الله، المحب لمجالس العلم.

ولادته ونشأته:

ولد الحاج فاضل قَرَه بِللي -رحمه الله- في حي المغازلة -قرب ساحة بزه- في حلب القديمة عام ١٩٢٤م.

ونشأ محبًّا للعلم والعلماء في بيت علم ودين وأخلاق.

عكف -رحمه الله- على قراءة القرآن حتى أتقنه حفظًا وتجويدًا.

ساقته السعادة إلى رحاب السيد النبهان رضي الله عنه فكان ملازمًا مجلسه منذ أن عرفه متبعًا مقتديًا به، فتراه إذا سمع منه بسنة بادر إليها والتزمها.

هو ممن أكرمه الله بقراءة القرآن في حلقة الذكر بعد صلاة الجمعة في الكلتاوية، وظل مواظبًا على ذلك فترة طويلة.

ولقد ثبّت حفظه وإتقانه عند الشيخ محمد بشير حداد -رحمه الله- في جامع الكلتاوية.

كنتَ ترى الشيخ بشير الحداد وقت الفجر وهو يخرج من بيته ليأتي الجامع ويضطجع بين السنة والفرض وبعد الصلاة ثم يجلس مع رفاقه الحاج فاضل قره بللي والحاج سليم تبان ويتدارسون فيما بينهم القرآن.

في صحبة السيد النبهان ﵁:

كان مِن أعمال السيد النبهان ﵁ قبل نشأة دار نهضة العلوم الشرعية توزيعُ إخوانه الخواص إلى خمس مجموعات، وكل مجموعة مرتبطة بشيخ من أهل العلم ممن له قَدَم وقِدَم عند سيدنا ﵁ والهدف من هذه الحلقات: اجلسْ بنا نؤمن ساعة، وطلب العلم، والتواصي بتلاوة القرآن، وبصوم الاثنين والخميس. وكان لهذه الحلقات لقاءات مع سيدنا في بيت أحد إخوانه.

وكان الحاج فاضل في الحلقة التي يشرف عليها الدكتور محمود فجال -رحمه الله- ومعه فيها الحاج ناصر حوت، ناصر كحيل، مصطفى حوت، أديب عينتابي وأخوه، أحمد اللولو، محمد نتّة ومحمد جانات، أحمد الزين، محمد المغربي.

والحاج فاضل قَرَه بِللي ممن أكرمه الله بالخدمة عند السيد النبهان ومعه مصطفى سروجي، ورجب الهيب، وكانوا يتناوبون على الخدمة.

وقد قال سيدنا ﵁ عن الحاج فاضل قَرَه بِللي: «هو مثل بنت البيت». وذلك من شدة حيائه، رحمه الله.

وقال عنه أيضًا: « الحاج فاضل قَرَه بِللي يشبه سيدنا آدم، عليه السلام».

كان الحاج فاضل قَرَه بِللي -رحمه الله-الرجل الصالح، الورِع الزاهد، الذي يُتبارك به، لفطرته الصافية وصفاء قلبه، متواضعًا على خلق رفيع، طيبته تلقائية، نوره لا يخفى على ذي بصيرة، يدخل القلوب دون استئذان، من جلس إليه أحس بالأمان، وإذا رؤي ذكر الله.

وكان -رحمه الله- محافظًا على صلاة الجماعة، فلم يتركها إلا في حال مرض، عرف بصلاحه وتقواه، وهو صهر الشيخ العلامة نذير حامد.

قال الشيخ هشام الألوسي: رأيته يرتجف صدره حين يقرأ القرآن بين يدي الحبيب في حلقة ذكر الجمعة، زرته في بيته في المرض الذي فارق الحياة فيه، وقد

ارتسم وجه سيدنا النبهان الحبيب على وجهه، فقلت لمن كان معي: انظروا وجه سبدنا فيه، فاستغرق بالبكاء.

رحمه الله، آنسه الله، ورضي الله عنه وأرضاه.

توفي -رحمه الله- عام ٢٠٠٧م، وصلى عليه الشيخ أحمد ناصر حوت[1] في جامع الكلتاوية.

مصادر الترجمة:

- الأستاذ الدكتور محمود بن يوسف فجال، رحمه الله.
- الشيخ هشام بن عبد الكريم الألوسي.
- الدكتور محمود بن ناصر حوت.
- «موسوعة الدعاة والأئمة والخطباء في حلب» للشيخ أحمد تيسير كعيد.

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٨).

(٤٩) الحاج فوزي شمسي

١٣٣٩ – ١٤٠٩هـ/ ١٩٢١ – ١٩٨٩م



التاجر الصالح، رئيس جمعية النهضة الإسلامية، صاحب الشهرة التجارية والمنزلة الاجتماعيَّة في أسواق حلب، الحاج فوزي بن بكري شمسي.

ولد في مدينة جسر الشغور التابعة لمحافظة إدلب في سورية، عام ١٩٢١م ودرس فيها وحصل على شهادة السرتفيكا (certificate) وهي كلمة فرنسية تدل على شهادة التحصيل الابتدائي.

نشأته:

أصل عائلته من حلب، إلا أن والده المرحوم الحاج بكري انتقل من حلب إلى جسر الشغور من أجل تجارته هناك في سوق السنجق الذي كان نقطة الوصل ما بين حلب وتركيا.

توفي والده وعمر الحاج فوزي سبعة عشر عامًا، فانتقل مع أمه وإخوته إلى حلب ليتحمل مسؤولية العائلة في سن مبكرة.

وهناك بدأ بالعمل في تجارة الأقمشة التي كانت مهنة أبيه وجده، وافتتح محله في خان الجوخ، وبدأت تجارته تتوسع لتشمل كافة المدن السورية ولبنان والعراق ثم افتتح فرعًا جديدًا له في مصر مع إخوته عبد القادر وطارق وعبد الملك.

أسرته:

تزوج من عائشة بنت أحمد نعساني الرفاعي، وأنجب منها ثمانية أولاد، وأربع بنات.

أولاده: محمد وليد -رحمه الله-، بكري -رحمه الله-، محمد بدر الدين، المرحوم محمد نجم الدين، محمد شمس الدين -رحمه الله-، عبد الإله، أحمد محيي الدين، الدكتور محمد أنس.

صلته بالعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

قال الدكتور محمد فاروق النبهان [1]: «الحاج فوزي شمسي كان من أبرز إخوان الشيخ وأكثرهم ملازمة له في مجالسه وأسفاره ويتميَّز بالفصاحة والشخصيَّة الواعية، وهو من التجار المشهود لهم بالكفاءة والمنزلة الاجتماعيَّة، وكان السيد النبهان يعتمد عليه في المهمَّات ويثق بحكمته، وله عدّة إخوة، منهم: السيّد عبد الملك شمسي، وطارق، ومنير، وعبد القادر».

وقال في مذكراته: «كنت في العاشرة من عمري رافقت السيد النبهان رضي الله عنه في زيارة له إلى (المدينة)، وهي السوق التجاري القديم في حلب صاحب الشهرة التاريخية، وأهم معالم حلب التاريخية والأثرية، فزار الحاج سليم التبان[2] في خان العلبية، وكان من المحبين الصادقين الذين يحظون بمحبة السيد، وكان السيد

(١) «الشيخ محمد النبهان، شخصيته، فكره، آثاره» (١٤٠).
(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (١٩).

النبهان كثير الثناء عليه، فرح الحاج سليم فرحًا كبيرًا وأوقف كل عمله. قال له السيد: تابع عملك ولا تنشغل بي.

جلس قليلًا ثم تابع طريقه إلى سوق الجوخ وهو السوق التجاري الأكثر شهرة فاستقبله الحاج عبد الحميد المهندس الشقيق الأكبر للحاج محمد هدى المهندس، وكان من إخوان السيد المقربين إليه، جلس السيد في الغرفة الصغيرة في صدر المحل التجاري وكانت لا تتسع لأكثر من عدد صغير من الزوار. استدعى الحاج عبد الحميد جيرانه من التجار وهم الحاج فوزي شمسي والحاج محمد الحمامي الرفاعي والحاج أحمد الصغير، وكانت محلاتهم مجاورة لمحل الحاج عبد الحميد على اليمين وعلى اليسار وأمامه، وانضم إليهم شاب لا يتجاوز العشرين من عمره كان محله في منتصف سوق المحمص أمام سوق الجوخ مباشرة هو السيد زهير النعساني، وكان يُنادى باسم سبيع النعساني. أخذ السيد يتكلم والكل واقف ينصت، استمر الحديث لمدة ساعتين، كان السيد يتكلم عن محبة الله ومقام الربوبية والألوهية ومرتبة العبدية وما يجب على العبد أن يفعله لكي يحظى بمحبة الله، والكل كان ينصت باهتمام وأدب. لم يكن من عادة السيد أن يسأل أحدًا عن عمله وتجارته وأحوال السوق، لم يكن هذا مما يشغله أو يثير اهتمامه، لم يكن من عادة من ينصت لمذاكرة السيد النبهان أن يسأله في أثناء حديثه، انتهت الجلسة وودَّع السيد من كان حاضرًا هذا اللقاء، وعاد إلى الكلتاوية.

بعد ثلاثة أيام كان السيد في الكلتاوية في مجلسه المعتاد دخل عليه أربعة رجال، هم الذين التقى بهم في سوق الجوخ، الحاج فوزي والحاج محمد الحمامي والحاج أحمد الصغير والشاب زهير النعساني، كانوا شبابًا في الثلاثين من العمر وفي غاية الوسامة والأدب والوقار. سلموا على السيد بأدب وقبلوا يده وجلسوا في مجلسه، رحب السيد بهم أجمل ترحيب وخصهم بالرعاية والتكريم، جاؤوا بغير ما كانوا عليه في اللقاء الأول، ومنذ ذلك اليوم لازموا مجالس السيد ولم يتخلفوا يومًا

عن زيارة الكلتاوية أو غيرها بل أصبحوا من أكثر إخوان السيد قربًا منه، تغير كل شيء في حياتهم وسلوكهم واهتماماتهم».

الحاج فوزي شمسي وجمعية النهضة الإسلامية:

أقدم العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ مع جمع من أصحابه إلى مشروع إسلامي كبير باسم (جمعية النهضة الإسلامية) في حلب، وانتخب لها هيئة مؤسِّسَة وأعضاء.

وضمَّت الهيئة الإدارية والتأسيسية السادة: الحاج صبري شربجي (رئيسًا فخريًّا)، والحاج فوزي شمسي رئيسًا تنفيذيًّا من حين تأسيسها عام ١٩٦٠م حتى إغلاقها عام ١٩٨٤م، والحاج محمد عجم نائبًا للرئيس، والحاج عبد اللطيف أبو دان أمينًا للسر، والحاج محمد شبارق خازنًا.

والأعضاء: السيد عبد الوهاب السباعي، والشيخ محمد عبد الله الشامي، والأستاذ محمد عطا سالم، والحاج محمد محمود بادنجكي، والأستاذ ناصر عبدالحميد ناصر، والحاج أحمد الصغير، والشيخ حسان فرفوطي.

وبعد أن أجيزت الجمعية أقام السيد النبهان لافتتاحها حفلًا كبيرًا في الثامن من ربيع الأول عام ١٣٧٩ هـ، الموافق للتاسع والعشرين من أيلول عام ١٩٦٠م، ومركزها وقتئذٍ جامع الكلتاوية، ثمّ انتقل إلى بناية العصرونية قرب خان الوزير.



اجتماع أعضاء جمعية النهضة الإسلامية
من اليمين: الحاج عبد اللطيف أبو دان، الحاج ناصر الناصر، الحاج محمد عجم، الشيخ حسان فرفوطي، الحاج فوزي شمسي، الشيخ محمد الشامي، السيد سليمان النسر مدير أوقاف حلب، الحاج محمد محمود بادنجكي (رحمهم الله)

تعتبر جمعية النهضة الإسلامية بحلب

جمعية خيرية ذات نفع عام بموجب المرسوم الجمهوري رقم [٧٥٨] وتاريخ ١٩ / ٢ / ١٩٥٨ المنشور في الصحيفة / ١٦٧١ / من العدد / ١١ / من الجريدة الرسمية الصادر بتاريخ ٢٢ / ٢ / ١٩٥٨ .

قرار شهر الجمعية

وزارة الشئون الاجتماعية والعمل
ش / ٢ / ١٣٩٦٧

الى جمعية النهضة الاسلامية بحلب

عن طريق مديرية الشؤون الاجتماعية والعمل بحلب

عملاً بأحكام المادة / ٩ / من قرار رئيس الجمهورية رقم ١٣٣٠ لسنة ١٩٥٨ المتضمن اللائحة التنفيذية لقانون الجمعيات والمؤسسات الخاصة :

تمّ شهر نظام جمعيتكم بالقرار رقم (٥٣٦) وتاريخ ٢٣/ ٨/ ١٩٦٠ ونشر ملخص هذا الشهر في العدد /٣٦/ من ملحق الجريدة الرسمية الصادر بتاريخ ٨ / ٩ /١٩٦٠ .

دمشق في ١٩٦٠/٩/٢٥ وزير الشئون الاجتماعية والعمل

التوقيع

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

نظام جمعية النهضة الاسلامية في حلب

الفصل الاول

مادة ١ - تؤسس في حلب جمعية باسم جمعية النهضة الاسلامية في حلب ويتناول نشاط الجمعية محافظة حلب ، وهي فرع لجمعية النهضة الاسلامية في حماة .

مادة ٢ - أغراض الجمعية مايلي :

آ - القيام بالاعمال الاجتماعية والخيرية التي يتطلبها المجتمع ومساعدة الأفراد والعائلات المعوزة وتشغيل القادرين منهم .

ب - العمل على كفالة الأيتام وتشغيلهم .

جـ - العمل على رعاية الأحداث المشردين من أبناء الفقراء وتوجيههم نحو الأخلاق الفاضلة والعمل المفيد .

٣

د - العمل على تأسيس دور للعجزة .

هـ - رعاية المكفوفين وتأهيلهم مهنياً والسير بهم إلى حياة أفضل .

و - العمل على إنشاء مستشفيات تعالج الفقراء وغيرهم .

ز - العمل على ترحيل الغرباء المنقطعين إلى ديارهم .

ح - العمل على إنشاء دور للتأهيل المهني ومعامل لتشغيل الأيدي العاطلة عن العمل تعود على الجمعية بموارد ثابتة .

ط - العمل على إحداث مدارس ورياض للأطفال تضم أبناء الفقراء وغيرهم تعلمهم وتوجههم نحو الخير والمثل العليا .

ي - العمل على مكافحة التسول بشتى أشكاله وصوره ورفع مستوى هذه الفئة .

ك - العمل على تربية جيل مؤمن بالله معتز بإسلامه مزوّد بثقافة اسلامية صحيحة عامل على التقدم بأمته ووطنه ،قوي بروحه وعقله وجسمه وأخلاقه ، محب للمواطنين متسامح

٤

معهم ، وتعمل الجمعية على تكوين وحدات علمية ودينية مستمدة في ذلك كله مبادئها من القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين والسلف الصالح .

مادة ٣ - لاتتدخل الجمعية في الأمور السياسية والمقائد الدينية .

مادة ٤ - تتألف الجمعية من أعضاء عاملين وأعضاء مؤازرين وأعضاء شرف .

آ - العضو العامل هو الذي يساهم فعلياً بالعمل في سبيل تحقيق أغراض الجمعية .

ب - العضو المؤازر من تقدم بطلب انتساب إلى الجمعية وساهم في بعض أعمالها .

جـ - عضو الشرف من أسدى إلى الجمعية خدمة لها أثر في تقدمها وقرر مجلس الادارة تسميته عضو شرف .

٥

٦٢٣

القرار الرسمي في جمعية النهضة الإسلامية، ونظامها

مجمل الأعمال والمشاريع التي تضطلع بها الجمعية:

أولًا: في مجال خدمات البر:

- رعاية الأسر الفقيرة، وقد بلغ عدد الأشخاص المستفيدين من إعاناتها شهريًّا بعد سنة من تأسيسها (٥٣١٧) شخصًا في ألف وست مئة أسرة موزّعة في جميع أحياء حلب.
- مشروع الأضاحي: تحقيقًا للسنّة النبوية الشريفة، وبلغ عدد المستفيدين من لحوم الأضاحي في أول سنة لهذا المشروع ثلاثة آلاف أسرة بمعدّل: ثلاث كيلوات لكل أسرة.

ثانيًا: في مجال الثقافة والعلم والصناعة

- أَنْشأت الجمعية مشغلًا لليتيمات الفقيرات باسم (مؤسسة التدريب المهني للإناث) آوَتْ فيه (١٤٠) طالبةً يتعلمن فيه الخياطة والتطريز وسائر المهن النسوية، مع دروس مهمة في الفقه والسيرة والأخلاق، وتقدّم لهنّ فيه الغذاء والدواء والكساء وسائر اللوازم، ومدة التعليم فيها سنتان، وقد تم بعدها إنشاء مدرسة شريعة للبنات، بمنهاج شرعي كامل مع شيء من دروس الخياطة والتطريز.
- تمنح الجمعية لكل متخرّجة ماكينة خياطة، تعمل عليها في أسرتها، لتعاونها بكدّها وجهدها وترفع مستواها المعاشي.
- تفتح الجمعية خلال العطلة الصيفية مراكز في أهم أحياء البلد، لتعليم القرآن الكريم والفقه لطلاب المدارس الرسمية والخاصة، كما تفتح مراكز ليلية في أثناء السنة الدراسية للغرض نفسه، لتعليم العمال الذين لا تمكنهم أعمالهم في النهار من تلقّي الدراسة.

- أقامت الجمعية معرضًا لإنتاجها الفني في سوق الإنتاج الصناعي والزراعي بحلب عام ١٩٦٦م، ونالت عنه شهادة تقدير من محافظ حلب، وأقامت معرضًا لإنتاجها الفني في معرض دمشق الدولي.

ثالثًا: الأعمال الصحية

- أَنْشَأَت الجمعية مستوصفًا صحيًّا، يؤمّن المعاينة ويقدّم الأدوية مجانًا للفقراء.
- تؤمّن الجمعية الدم والتصوير الشعاعي والتحاليل المختبرية للمرضى والعاجزين.
- تجري العمليات الجراحية للمحتاجين لدى المتشفيات الخاصة على نفقتها في الحالات المستعصية.
- بلغ عدد المرضى الّذين عالجتهم الجمعية خلال عام ١٩٦٢م: (٢٣٠١) مريضًا، بينما قفز هذا العدد إلى (٤٧٨٧) في السنة الثانية.

رابعًا: في الخدمات الاجتماعية

- تكافح الجمعية التسوّل والتشرّد، وذلك بطوافها بسيارة الجمعية ثلاث ساعات يوميًّا في الشوارع للقيام بأعمال المكافحة.
- ترسل المحترفين المتصنّعين منهم إلى القضاء لمحاكمتهم.
- ترسل العجزة منهم إلى دور العجزة عن طريق النيابة العامة بحسب الأصول.
- تسفّر الغرباء منهم إلى بلادهم وقراهم.
- تعين عائلات المتسوّلين المساقين إلى القضاء ودور العجزة وتكفل حياة أسرهم وأولادهم[١].

---

(١) كتاب «السيد النبهان» ط ٣ (١٩٥-٢٠١:١).

مدارس الجمعية:

أسهمت الجمعية بتأسيس مدارس ومعاهد متعددة، وأهمها (مدرسة دار النهضة الإسلامية) التي أُنْشِئت في الكلتاوية، وكانت الجمعية تشرف عليها من الناحية المالية، وتوفر لها إمكانيات الاستمرار. ولما رحل السيد النبهان عام ١٩٧٤م استمرت الجمعية مدة عشر سنوات في أداء رسالتها الثقافية والاجتماعية، وكان لها مشروعات طموحة في مجال العمل الإنساني والخيري، وما زالت مدينة حلب تذكر هذه الجمعية التي حظيت بالثقة واشتهرت بالصدق والإخلاص وعرف القائمون عليها بالورع والنزاهة[١].

أسفاره:

سافر الحاج فوزي شمسي مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ إلى العديد من البلدان والقرى داخل سورية وخارجها.

فمنها:

رحلة الحج عام ١٩٦٥م:

حين قام السيد النبهان برحلة الحج رافقه جمع من إخوانه من الرجال والنساء، وكان فيهم الحاج فوزي شمسي، رحمه الله.

كانت رحلة عظيمة في دلالتها وفي أخلاقية المشاركين فيها، كانوا جميعًا في غاية الأدب والنظام والسعادة، كان حدثًا كبيرًا اهتمت الحكومة السعودية، ولما عاد السيد النبهان إلى حلب خرجتْ حلب كلها لاستقبال الشيخ وصَحْبِهِ، امتلأت الطريق من أورم (بلدة غربي حلب) إلى حلب بالسيارات، لكن الشيخ نزل لأداء

---

(١) « الشيخ محمد النبهان، شخصيته، فكره، آثاره» (٤٤٥).

صلاة المغرب في مزرعة الحاج فوزي شمسي التي اعتاد أن يذهب إليها عصر كل يوم وكانت في مدخل حلب، فتوقف الموكب الكبير، صلَّى الشيخ المغرب وطلب من أحد إخوانه أن يذهب به إلى الكلتاوية من طريق فرعي بعيدًا عن هذا الزحام.

رحلة إلى لبنان:

سافر السيد النبهان عدة مرات إلى لبنان، بيروت وطرابلس وبعلبك، وأمضى مرة مدة شهر في مدينة سير اللبنانية الصغيرة الواقعة بقرب طرابلس، والتقى عددًا كبيرًا من إخوانه في لبنان، وكان يرافقه في سِيْر كل من فوزي شمسي وأبو عمر الدباغ[١] وأحمد الصغير.

أما في زيارته إلى بيروت فكان يرافقه الحاج محمود مهاوش العراقي، ومحمود الناشد، وفوزي شمسي، وأمضى بضعة أيام في مدينة (حمّانا) وزار مدينة بعلبك بآثارها التاريخية[٢].



الحاج فوزي شمسي

زيارة ضريح مولانا الشيخ خالد النقشبندي في جبل قاسيون في دمشق -رحمه الله-[٣]:

كتب الدكتور محمد فاروق النبهان: «قرر السيد النبهان ﷺ أن يزور دمشق، وكان يرافقه عدد من إخوانه، الحاج فوزي شمسي، والحاج أحمد الصغير، وأبو عمر

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٥٨).

(٢) «الشيخ محمد النبهان، شخصيته، فكره، آثاره» (٣٠٣).

(٣) صفحة الدكتور فاروق النبهان بموقع (فيس بوك): اسم المستخدم (mfnabhan)، على رابط: https://www.facebook.com/mfnabhan. الاقتباس في ٢١ تشرين الأول ٢٠٢٠م.

الدباغ، والشيخ أديب حسون، والحاج محمود مهاوش الكبيسي، والحاج محمود الناشد، وكانوا من أصحابه المقربين وهم رموز محترمة من تجار حلب.، وكنت أرافق الجد في هذه الرحلة وكنت صغير السن في الرابعة عشرة من عمري، تم إعداد الفندق الذي سينزل فيه في دمشق.

وعندما وصل السيد إلى دمشق قال لأصحابه: سنزور أولًا ضريح مولانا خالد النقشبندي وهو من الأولياء المشهود لهم بالولاية، وكان ضريحه في سفح جبل قاسيون في مكان معزول عن أحياء دمشق وفي أعلى حي المهاجرين.

دخل الشيخ الضريح ولم يكن هناك سوى خادم الضريح ويسكن في غرفة متواضعة وإلى جانبها غرفة أخرى يدخل إليها زوار الضريح عندما يزورون الضريح، دخل الشيخ إلى تلك الغرفة المتواضعة وشرب الشاي فيها وطال مقامه وصلى المغرب والعشاء، لم يسأله إخوانه عن سر هذه الجلسة الطويلة، والكل يتساءل في سره عمَّا يريد الشيخ أن يفعله، بعد العشاء استدعى الشيخ خادم الضريح الذي كان سعيدًا بزيارة الشيخ ومرافقيه، وسأله هل تسمح لنا بالإقامة في هذه الغرفة في ضيافة صاحب الضريح؟ فرح الرجل فرحًا شديدًا ولم يصدق أن الشيخ سيقيم في هذا الضريح المنعزل وفي هذه الغرفة المتواضعة.

أقام الشيخ وكل مرافقيه ثلاثة أيام، كانوا يعدون طعامهم بأنفسهم وينظفون الغرفة بأيديهم، وينامون على البساط المتواضع، والأغطية المتوافرة، واشتروا بعض ما يحتاجون إليه لتيسير إقامتهم. كان الشيخ سعيدًا وكأنه يقيم في قصر مريح، أحس الجميع بأنس لا حدود له وطمأنينة وسكون».

حادث في قرية الكَيْصُوْمَة:

قال الدكتور محمد فاروق النبهان: «انتقل السيد النبهان إلى قرية الكيصومة التي تقع إلى الشرق من حلب، في الطريق المؤدي إلى الجزيرة ودير الزور بالقرب من «قرية مَسْكَنَه» وكانت الكيصومة قرية كبيرة ممتدة، ليس فيها بساتين وأنهار، بل

هي أرض بعلية تسقى من ماء المطر، وتزرع الحبوب فيها. اشتراها الشيخ بالاشتراك مع آخرين، وكان يريد أن يقيم فيها مشروعات فلاحية واسعة ويخرج الماء من أعماق الأرض، لكي يجعلها سقوية، ولكن هذه القرية كانت لها مشكلات كثيرة، ولم يكن الشيخ يحب ذلك. كان من عادته ألا يحب أي خلاف في شؤون العمل، وكان يردد أن البركة توجد في صفاء نية الشركاء والعاملين وحب بعضهم للبعض الآخر، وحرص كل فريق على مصلحة أخيه، وعندئذ يبارك الله في هذا العمل، ويدفع الأخطار المحيطة به، فإذا وقع أي خلاف أو سوء تفاهم بين الشركاء فسرعان ما ينسحب منه متخليًّا عنه زاهدًا فيه. وقد أمضى الشيخ قرابة سنتين في هذه القرية، كان يمضي مدة من الربيع ومدة من الصيف فيها، وكان يستقبل فيها إخوانه وتعقد فيها مجالسه المعتادة، ولا أذكر الكثير من أيامها. وأذكر حادثة وقعت للشيخ أثناء عودته من هذه القرية إلى حلب، كان في سيارة أديب النعساني الشقيق الأكبر لزهير النعساني، وكان من المحبين للشيخ، ومعه في السيارة كل من فوزي شمسي وجاسم الفياض وأبو عمر الدباغ، وكان الوقت شتاءً والأمطار تهطل، فانزلقت السيارة وانقلبت، وأصيب الشيخ بكسر في يده، اضطر على أثرها ملازمة الفراش لمدة شهر، وكان يستقبل زواره في داره التي انتقل إليها بحارة الباشا، ولم يتوقف نشاطه خلال هذه المدة. باع الشيخ القرية بعد ذلك»[1].

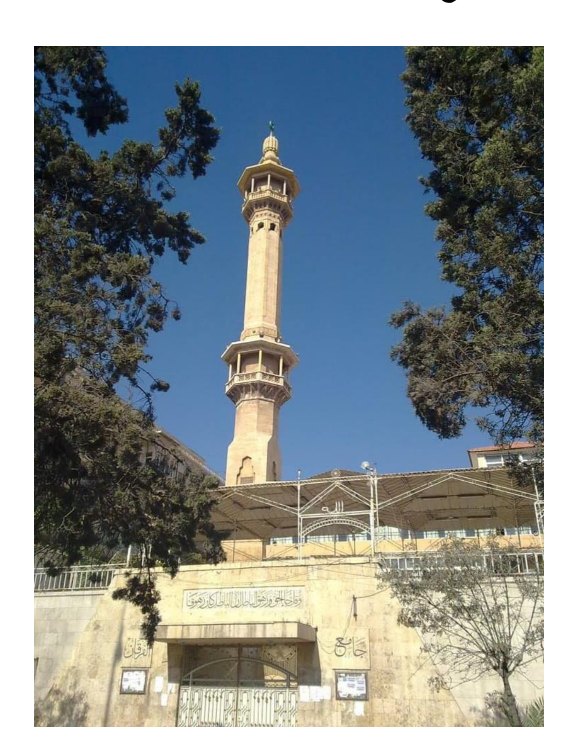
جامع الفرقان:

وفي عام ١٩٧٠م شارك الحاج فوزي شمسي -رحمه الله- في شراء ملهى المونتانا وتحويله إلى جامع الفرقان حين أقدم السيد النبهان ﵁ على أمر لا يثير فتنةً ولا يعمّق جرحًا، فنادى بمن حوله لشراء المبنى، وتم ذلك مع جمع من إخوان سيدنا النبهان ﵁، ولم تمضِ إلا أيام حتى أقيم في المونتانا حفل كبير ارتفع فيه صوته بالأذان الله أكبر، وأعلن ﵁ من هناك أن المبنى أصبح جامع الفرقان.

(١) كتاب «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» (٩٣).



مبنى جامع الفرقان عندما كان يسمَّى (ملهى المونتانا)



جامع الفرقان بمدينة حلب

قال الشيخ محمد سعيد مؤرخًا لهذا الحَدَث الجليل[1]:

قصر فخيمٌ شِيدَ في شهبائنا ليكون مرتع زمرة الشيطانِ
يمسي ويصبح والفضائح جمَّةٌ بين الجوانح منه والأرْزانِ
زُكمتْ أُنوف القوم من ريح الخَنا والخمر أم الخبث بـ (المونتانِ)
بل ضجَّت الشرفات من أبهائه تدعو المهيمن من صميم جنانِ
أن يبدِّل المولى بخيرٍ شره بالعلم بالتقوى وبالإحسان
حتى تداركه الإله بِهِمَّةٍ عليا حباها شيخنا (النبهاني)
وبخيرة الشهباء سادات الندى فغدا بحمدٍ (جامع الفرقان)
وغدت تهب على المدينة ريحه فتعطر الأرجاء بالإيمان
رباه توج بالسداد أمورنا وارفع منار الدين والقرآن
وارحم نويظمها لعلَّ ذنوبَهُ ستؤول في التاريخ (للغفران)

مع أصحاب سيدنا في العراق:

كان الحاج فوزي شمسي له علاقات وثيقة مع أصحاب السيد النبهان في العراق، فآخر رسالة بعث بها الشيخ قاسم القيسي مفتي العراق إلى سيدنا النّبهان ﵁ بعد أن نال المرتبة وفتح الله عليه بفتوح الأولياء إلا أنه -رحمه الله- لم يرسلها مباشرة، بل دفع بها إلى الحاج فوزي شمسي رئيس جمعية النهضة الإسلامية بحلب، وقال له: لا أتمكن من مباشرة شيخي بخطاب، وألتمسك تقديم رسالتي إليه، مقترنة ببطاقة تهنئة بالعيد، متمثّلًا ببيتين من الشعر، ومختومة بتوقيعه على كلمات (عُبَيدكم قاسم).

(١) «أعلام الطريقة النقشبندية في بلاد الشام المباركة» (٢: ١٧٤).

يـــا ماجــــدًا قـــدرًا أن نهنيـــه الدهر أنت ويوم العيـد منـك ومـا
لنـــا الهنـــاء بظـــلٍ منـــك ممـــدود في العرف أنا نهـني الدهـر بالعيـد(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

٩ من ربيع الثاني ١٣٧٦هـ
الموافق ٦ من كانون الاول ١٩٥٦م

الحمد لله الذي ولهت بمحبته قلوب ذوي العرفان. وتاهت في بيداء وحدانيته أهل الإيقان. والصلاة والسلام على منبع الفضل والإحسان وعلى آله وصحبه القائمين بالسنن والأركان. أما بعد فإني أسأل عنكم باللسان والجنان وأشتاق إليكم كما يشتاق إلى الماء الظمآن ولله در القائل حيث قال

حديث ذوي الألباب أهوى وأشتهي * كما يشتهي الماء المبرد شاربه

ولذا قد انشرحت بكتابكم وامتلأت سرورا وزدت به فرحا وحبورا وحمدت المولى على صحتكم وسلامتكم كما احمده على صحتي وسلامتي وأترقب لكم الرقي والراحة كما أترقب رقيي وراحتي، أي أخي فوزي عليك بالتمسك بنصائح شيخك الكبير فإنها الذهب والإكسير فإني اختبرت هذا الشيخ الكامل فرأيته يعطي المعنى الكبير بلفظ قليل صغير فمن جملة ما قال حين سألته عن كمال الحال فذكر أن الوصول إلى الله الملك المجيد بالمحبة والتوحيد والتجريد فذكر شيئا يوافق ذوقي ويميل إليه شوقي وهذا كلام جل ذاتي في درجات [illegible]

رسالة من الشيخ قاسم القيسي إلى الحاج فوزي شمسي (١)

(١) البيتان لابن زيادة (ت ٥٩٤هـ) يهنِّئ بهما الخليفة العباسي أبي المظفر يوسف بن محمد المقتفي (٥١٨-٥٦٦هـ). «وفيات الأعيان» (٦: ٢٤٤).

رسالة من الشيخ قاسم القيسي إلى الحاج فوزي شمسي (٢)

أرسل الشيخ قاسم القيسي رسالة يوصي بها الحاج فوزي شمسي بصحبة السيد النبهان وملازمته، قال فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم

٩ من ربيع الثاني ١٣٧٤هجري، الموافق ٦من كانون الأول ١٩٥٤ ميلادي

الحمد لله الذي ولهت بمحبته قلوب ذوي العرفان، وتاهّت في بيداء وحدانيته أهل الإيقان، والصلاة والسلام على منبع الفضل والإحسان وعلى آله وصحبه القائمين بالسنن والأركان.

أما بعد: فإني أسأل عنكم باللسان والجنان، وأشتاق إليكم كما يشتاق إلى الماء الظمآن، ولله درّ القائل حيث قال:

حديث ذوي الألباب أهوى وأشتهي كما يشتهي الماءَ المبرّدَ شاربُه

ولذا قد انشرحت بكتابتكم وامتلأت سرورًا وزدت به فرحًا وحبورًا، وحمدت المولى على صحتكم وسلامتكم كما أحمده على صحتي وسلامتي، وأترقب لكم الرقيّ والراحة كما أترقب رقيّي وراحتي.

أي أخي فوزي: عليك بالتمسك بنصائح شيخكم الكبير فإنها الذهب والإكسير، فإني اختبرت هذا الشيخ الكامل فرأيته يعطي المعنى الكبير بلفظٍ قليل صغير.

فمن جملة ما قاله حين سألته عن كمال الحال فذكر أن الوصول إلى الله الملك المجيد بالمحبة والتوحيد والتجريد فذكر شيئًا يوافق ذوقي ويميل إليه شوقي.

وهذا كلام رجل ذائق وفي درجات اليقين فائق، وقد ذكر هذا في النظم التركي.

والعبد الفقير يقول: يلزم الإخلاص في العمل، قال صاحب الحكم العطائية: الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها.

قال بعض العلماء: مَثَلُ المرائي بعمله كمثل من يدخل السوق وكيسه ملآن بحُصيّات فإذا أراد أن يشتري شيئًا فلم يعط شيئًا بتلك الحصيّات التي كانت تظن أنها دراهم.

وعليك بالتواضع وكسر النفس فإن النفس هي الحجاب الأكبر بين العبد والرب، ولذا قال صاحب الحكم العطائية: أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا

عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟! وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟!

ولله درّ الإمام البوصيري إذ يقول:

وخالف النَّفْسَ والشيطانَ واعصِهما   وإنْ هما مَحَّضاك النُّصْحَ فاتَّهِمِ

ولا تُطِعْ منهما خَصْمًا ولا حَكَمًا   فأنت تَعْرِفُ كيدَ الخَصْمِ والحَكَمِ[١]

وذكر في الطبقات الكبرى للشعراني أن رجلًا من الصالحين كان يرى الخضر عليه السلام فسأله يومًا عن القاضي زكريا الأنصاري وعن حاله، فقال: هو رجل من الصالحين إلا أنه فيه نُفيسة، والسبب في ذلك أنه كان يقول عند الشفاعةِ لشخص عند الوالي قل له الشيخ زكريا يقول: كذا وكذا ولم يقل زكريا.

انظر حبيبي إلى الأكابر يعاتبون على أدنى شيء.

وعليك حبيبي بالتمسك بشيخك، واربط قلبك بحبه فإن من نظر إلى شيخين أو أكثر تشوش.

حتى أن ولدًا كان له شيخ وكان الخضر -عليه السلام- يأتي إلى الولد كل يوم ويزوره ويعطيه رغيفًا من خبز، فانقطع الولد عن شيخه أيامًا، ثم جاء اليه فقال له الشيخ: ما هذا الانقطاع يا ولدي؟! فقال: الخضر يأتيني كل يوم برغيف ويزورني.

---

(١) من قصيدة البردة أو قصيدة البُرأة أو الكواكب الدريّة في مدح خير البرية، إحدى أشهر القصائد في مدح النبي ﷺ، كتبها الإمام محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (٦٠٨ هـ- ٦٩٦ هـ / ١٢١٣ - ١٢٩٥م).

فقال له الشيخ: إن كنت تلميذي فلا تذهب إلى الخضر، فجاء إليه الخضر وقال له: إن شيخي يقول: لا تذهب إلى الخضر ـ فقال له الخضر -عليه السلام-: هكذا افعل والزم وتابع الشيخ كشيخ واحد فإنما هو أنا كما قال بعضهم:

أَنا مَن أَهوى وَمَن أَهوى أَنا نَحنُ روحانِ حَللَنا بَدَنا
لا أناديه ولا أذكره إن ذكري وندائي يا أنا(١)

هذا وسلامي وفائق شوقي واحترامي إلى سماحة شيخكم الكبير، وإلى الحاج محمود الكبيسي وصاحبه الحاج جاسم الحاج محمد الفياض، وإلى حضرة عبد الحميد المهندس، وإلى محمد أبو عمر الدباغ. قاسم القيسي».

مزرعة الكرم:

تحيا بهم كلُّ أرضٍ ينزلون بها كأنهم في بقاع الأرضِ أمطارُ

على شمال الطريق المؤدية من حلب إلى دمشق تقع مزرعة مرتفعة، تُعرف بـ (مزرعة الكرِم) تتوسطها عينٌ للسقي، وتتخللها أشجار الفاكهة، وقد ابتلي المكان منذ زمن بمالكه وأصحابٍ له غافلين واشتهر باللهو والشرب، وكل ما هو منافٍ للأخلاق.

وحان الوقت لأن يقرر سيّدنا ﵁ أمرًا يمحو به ظلمة تلك الضاحية، فخرج إليها بجمع من أصحابه التجّار، وجلس في المكان الذي اعتاده الماجنون.

قال الشيخ محمود مهاوش -رحمه الله- كما هو مسجل بصوته، وحدثني بذلك ابنه محمد ماهر: كنت مع إخواننا نذهب بسيدنا حول بساتين حلب، وفي إحدى الجولات وكنت أقود السيارة وإذا أمامي بستان، وفيه مائدة وحولها نساء شبه عاريات وشباب وأمامهم مائدة خمر، فأدرت السيارة لأسلك طريقًا لا يمر عليهم

(١) الأبيات لحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـ) انظر: «ديوان الحلاج، الأعمال الكاملة» (١: ٣٠٧).

أدبًا مع سيدنا، فلما أردت أن أستدير وإذ بسيدنا ﷺ يقول وبصوت عال: «اشبك حج محمود وين؟» يقول الوالد: قلت: سيدي من أجل هؤلاء أهل البستان، فقال سيدنا لي: «سوق عليهم» أي ارجع بطريقك، فامتثلت الأمر، ورجعت إليهم، ولما رأى الجمع أننا متوجهون إليهم وقد عرفوا السيد النبهان وإذا بهم من يرفع الخمر ومن تبحث عن شيء تستر به بدنها، فنزل سيدنا وسلَّم عليهم، واستقبله صاحب المزرعة فقال سيدنا له: «جئنا نشرب عندكم الشاي». وجلسنا وشربنا الشاي وسيدنا يتكلم بكلام عادي لم يزجرهم أو يقول لهم شيئًا ثم أردنا الانصراف فقال صاحب المزرعة لسيدنا: كرمال رسول الله يا سيدي بكرة عشاءك عندي في البيت فقال سيدنا له: «وهو كذلك، بكرة نتعشى عندك». وفي اليوم التالي ذهبنا مع سيدنا إلى بيت الرجل، فلما دخلنا البيت وإذا البيت كله صور وتماثيل لنساء شبه عراة، فجاءت زوجته وقالت يا سيدي أنقذني فأنا لي أربعة عشر عامًا لا يعرفني؛ بل من امرأة إلى أخرى.

وبعد جلوسنا جاء صاحب البيت وسيدنا كان في الجلسة مسرورًا ويتكلم مع الرجل ويلاطفه وبعد العَشَاء وشُرْبِ الشاي طالت السهرة عند الرجل في بيته ولم يزعج سيدُنا الرجلَ بكلام عن الحال الذي هو فيه بل بالعكس كان يلاطفه ويتحدث معه عن عمله والمجلس كله سرور، ونحن بأشد استغراب فلما أراد سيدنا الانصراف واستأذن من صاحب الدار وقف صاحب الدار على الباب وقال: يا سيدي أشهدك أني تائب إلى الله على يديك والمزرعة التي كانت سببًا لقدومك وسببًا لتوبتي هي هدية لك. فرح سيدنا بتوبته وقال له: نحن يدنا يد العطاء لا يد الأخذ فلم يرضَ أن ياخذ المزرعة، فأبى الرجل إلا أن يعطيها لسيدنا فقال له السيد: إن كان ولا بد فنأخذها بثمنها وحدد الثمن فقال سيدنا: ادفع يا حاج محمود ويا حاج جاسم ويا حاج أحمد الصغير ويا حاج فوزي شمسي قيمة المزرعة للرجل ودُفِع ثمنُها، ثم اشتراها له الحاج فوزي، وباعها بعد ذلك للحاج جاسم الذي باعها كذلك عام ١٩٧٦م.

ومنذ شراء هذه المزرعة صارت أحد مراكز دعوته، ومأوى للصالحين ونزهة للمتقين، وانقلبت الحال من دار للفسق والفجور إلى رحاب للهدى والنور.

مواقف:

حدثني الدكتور نوفل الناصر قال: «الحاج فوزي شمسي -رحمه الله وطيَّب ثراه-، شخصيةٌ نبهانية فذةٌ قوية، راسخة في إيمانها وعقيدتها، ومخلصة في حبها لسيدها السيد النبهان ﷺ نعم إنها مواقف عظيمة لكنك لن تستغرب حين تسمع كلمة الحاج فوزي: «كلما كنت في موقف أو شدة أَجِكْ الفيش مع سيدي النبهان» أي آخذ الرابطة القوية بالسيد النبهان ليحل لي مشكلتي.

وهل تُعرف الرجال العِظام إلا بثباتها ومواقفها المخلصة؟

وهنا نذكر موقفين بارزين لرئيس جمعية النهضة الحاج فوزي شمسي:

الأول: في خمسينات القرن الماضي حيث صدرت توجيهات عليا [أيام الشيشكلي] تقيد العلماء في لباسهم وأمور أخرى وفي واجباتهم الدينية، فاجتمع العلماء والوجهاء في تلك الفترة مع المحافظ في مكتبه بهدف الإلغاء أو وقف التنفيذ، وتكلموا معه باللطف والمجاملة تارة، وبالطلب تارة أخرى، والمحافظ كان لا يستجيب، بل يتعالى عليهم ويتغطرس ويتكلم بعنجهية، فانطلق العم الحاج فوزي رافعًا يده ليتحدث، وكان واقفًا في نهاية القاعة، أُعطي الأذن بالكلام، فانبرى كالنسر الجسور قائلًا: سيادة المحافظ: أرسلني سيدي الشيخ محمد النبهان لأقول لك: «إما أن تلغي الأمر أو أنه سيقلب هذه الطاولة التي أمامك على رأسك». بهت المحافظ، وسكنت القاعة تمامًا، وتغيرت موجة الحديث، وتغير وجهه تمامًا واستدار الكلام مئة وثمانين درجة، فإذا بالمحافظ يستعطف الحاج فوزي ويقول له: أنا لست ضد الدين، أحضروا الكرسي للحاج فوزي ليجلس جنبي، وأَجلَس الحاج فوزي بجواره ملاطفًا له ومستجيبًا لطلبات السيد النبهان، وأدرك الحاضرون أنه لولا رسالة الحاج فوزي لأُسقط في أيديهم.

أما الموقف الثاني فكان في بداية الثمانينات من القرن الماضي.

أبلغت الجمعية بخطة تغيير مناهج دار نهضة العلوم الشرعية وإلحاقها بوزارة التربية، تحفَظت الجمعية على هذا القرار، وحدد اجتماع المحافظ ورئيس البلدية بمقر البلدية، حددت لجنة الاجتماع مع المحافظ برئاسة الحاج فوزي وعضوية الحاج ناصر ناصر والحاج محمد عجم، وبدأ الاجتماع في القاعة الممتلئة، وكانت تضم بعض القساوسة.

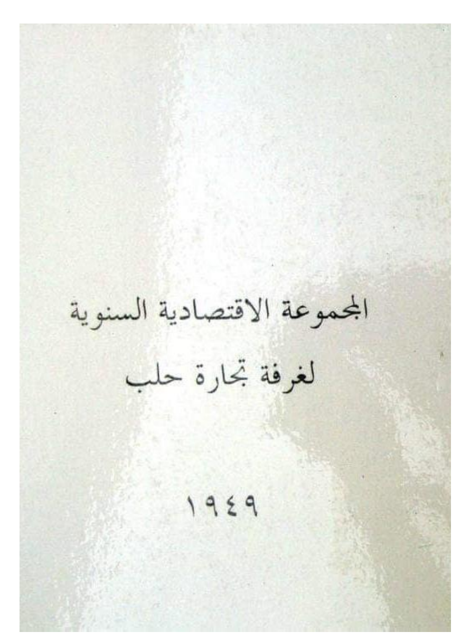
كان لوفد الجمعية صدارة المجلس، استهل المحافظ الجلسة بالتعالي والغطرسة والكلام القاسي، وأن هذه المدارس تخرج المخربين والمتطرفين والقَتَلة، وأن هذا لن يكون بعد الآن، فانبرى له رئيس الجمعية الحاج فوزي قائلًا:

سيادة المحافظ مدرستنا تعلم الدين والأخلاق والقيم والإنسانية، وأتحداك أن تأتيني بطلاب منها قاموا بتلك الأوصاف التي ذكرتها، واعلم أن المتطرفين والمجرمين والقتلة الذين وصفتهم هم خريجو مدارسكم، مدارس التربية مدارس الحكومة. استشاط المحافظ غضبًا وأمسك هاتفه، واتصل بفروع الأمن وطلب منهم ما يؤيد كلامه ضد مدرسة الجمعية.

ثم استأنف الحديث مهددًا، فقال الحاج فوزي: إن تهديدك على البلاط، بإمكانك إغلاق المدرسة كسلطة، ولكن لا تقدر أن تفرض علينا مناهجك، وتابع رئيس الجمعية -رافعًا سقف التحدي-نحن شرفاء نظيفو اليد ولا نخاف أحدًا إلا الله. القاعة صامتة تمامًا إلا من صوت الحاج فوزي مع المحافظ، والكل يترقب، فإذا بالمحافظ يتغير وتسقط التقارير الأمنية بين بيديه مؤكدة كلام الحاج فوزي، وبدأ يتكلم مع الحاج فوزي بلطف، قائلًا: والله أعرفكم جماعة طيبين ومسموعاتكم حسنة، واستدار المحافظ نحو الحاج ناصر مستفسرًا عن دراسته الجامعية، فقال: أنا حقوقي [محامي] فقال له: الحل عندك، وتمت التسوية، وانتهت

الجلسة، وقام المحافظ وودعهم والحاضرون في المجلس منبهر بهؤلاء الثلاثة؛ دخلوا مجابهين وخرجوا موفقين ومنتصرين.

وصعد الوفد بعدها في يوم الجمعة إلى رحاب السيد العظيم سيدهم وولي نعمتهم شاكرين المولى، وعقدوا اجتماعًا في المدرسة بحضرة ابن سيدنا أبو فاروق وإدارة المدرسة وبعض الأحباب، استعرض فيه الحاج فوزي ما حصل، وقال للإدارة: سيروا على ما أنتم عليه وعلى بركة، فزالت الغمة، وعمت الفرحة وانتشرت البشائر».



عبد الله محي الدين الشامي	محاصيل	باب الحديد
نجيب عمر شان	〃	باب جنين
صبحي كنجو شطط	موبيليا	سويقه
ميشيل شاشاتي	صادر ووارد	خان فيلكروز
مصطفى وعبد الهادي شماع	اقمشة واموال نسائية	سوق استنبول
فوزي شمسي	〃 〃 〃	سوق الجوخ
يوسف طويل شتليان	قهوة ومطعم	بستان كل آب
نعوم شراباني وشركاه	تجارة وقومسيون	خان البنادقه
عبد الله شيط	اجواخ	جادة حمام الميلوني
يوسف محمد شمعون	مواد بناء	شارع الخندق
حنا نعوم شاشاتي	خيوط	خان العلبيه
توفيق شمعون	خردة	سوق الطيبه
محمد شعبان	تمهدات	قسطل الحجارين
علي شحيبر	اكياس	سوق خان الحبال
عبد الرحمن شيخوني	محاصيل	برية المسلخ

موقف يوم مشكلة إبراهيم خلاص:

روى لنا الدكتور محمود الزين -رحمه الله- فقال: «كان للحاج فوزي شمسي- رحمه الله- وإخوان سيدنا النبهان ثقل تجاري في سوق المدينة، فإذا جاءهم أمر من السيد النبهان التزموا به، وتبعهم السوق، فلما كتب إبراهيم خلاص في المجلة

كلمة استهزاء بالدين أوعز السيد النبهان للناس أن يصير إضراب بالبلد، وبدأت إضرابات الأسواق خصوصًا من جهة الجامع الكبير (المْدِيْنِة) [١] فأضربت البلد وقامت الحكومة تقهر الناس بالقوة أن افتحوا المحلات، وصادروا بعض محلات أصحاب الشخصيات المهمة في الحركة، ومن جملة ما صادروا محل الحاج فوزي شمسي فاهتم الحاج فوزي فقال له سيدنا: «حاج فوزي محلك سوف يرجع» ورجع بعون الله بينما هناك أناس صادروا لهم محلات وبقيت لمدة عشر سنين».

استفسار:

قال الشيخ هشام الألوسي: كنت مرة في مجلس السيد النبهان فقال له مرة الحاج فوزي شمسي: سيّدي، نذكر لك بعض الناس فتقول: أكسّر رؤوسهم، فما رأيناك كسرت رأس أحد؟ فأجابه ﷺ: «والله إذا وقعوا أحط لهم يدي»[٢].

مسابقة:

يقول السيد النبهان ﷺ: «أنا سابقت ابن الحاج فوزي شمسي، لن ينسى هذا الطفل أنه سابق الشيخ محمّد النّبهان»[٣] وكان الغرض من المسابقة التنزل لعقل الصغير وربطه به.

قبر السيد النبهان:

الحاج فوزي شمسي -رحمه الله- هو الذي قال: أنا سمعت من السيد النبهان ﷺ أن مدفنه ومكان قبره مكان طاولته في غرفته، ﷺ.

(١) المْدِيْنِة: اسم سوق تجاري يقع بجانب الجامع الكبير بحلب.
(٢) كتاب « السيد النبهان» ط٣. (٢١٥:١)
(٣) كما هو مسجل في (أقراص) دروس سيدنا ﷺ، المحفوظة لدي.

دعاء:

مرة تكلم بعض الناس على الحاج فوزي شمسي فلم يرض سيدنا وقال: الله يخلينا حج فوزي) أي أدام الله الحاج فوزي[١].

استدن علي:

قال السيد النبهان ﷺ كما هو مسجل: «الحاج فوزي [شمسي] أراد مرة أن يحسن إليَّ لكن يسيء إلي. قال: الله ما كلفك تستدين وتعطي.

قلت له: يا حاج فوزي، واجب عليك أن تسجد على النار شكرًا؛ لأنك تسمع الرسول يقول: استدن علي. يا ترى صحيح هكذا؟! لكن الله بعث لك من تراه أمامك بعينك يستدين ليعطي، ألا يلزمها شكر؟! لا.. تاب، هو مسبوق بها بسيدنا عمر، قال: يا رسول الله ماكلفك الله بذلك. قال: أنفق بلالا ولاتخش من ذي العرش إقلالا.

أنا ربي كريم، أنا أموت وما يوفي دَيْني؟! أنا لا أعتقد هذا الاعتقاد.

أنا أخاف أن يأتيني واحد يكون صادقًا وأنا آكل وأشرب شايًا وذاك يكون جوعان؟ أعوذ بالله. جدًّا أخاف».

مشاهدة عظيمة:

روى لي الشيخ حامد صخي فقال: حين حججت في عام ١٩٧٤م كان معي في قافلة الحج هذه فضيلة الأخ الدكتور الشيخ عيادة أيوب الكبيسي[٢] وجمع مبارك من المشايخ الكرام، علمت بقدوم جمع من إخواننا الحلبيين ومنهم الحاج فوزي شمسي -رحمه الله- فزرتهم في محل إقامتهم في المدينة المنورة -على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم- فتحدث الحاج فوزي وأقسم فقال: لقد تقدمت للسلام على

---

(١) نقلًا من الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت.

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٤٦).

رسول الله ﷺ فرأيته جالسًا على كرسي من نور كأنه عرشٌ وعن يمينه السيد محمد النبهان وعن شماله الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي وكان الشيخ أيوب الفياض معهم متوَّجًا بعمامة خضراء ويقوم بخدمتهم.

مرضه ووفاته:

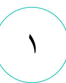
بدأت صحة الحاج فوزي تتدهور بعد إغلاق جمعية النهضة في عام ١٩٨٤م التي تلتها وفاة زوجته الحاجة عائشة في عام ١٩٨٥م، وأصيب بآخر حياته بشلل نصفي، وتوفي -رحمه الله- في عام ١٩٨٩م، ودفن في مقبرة العْرَابي في حلب، رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لديّ.
- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- مذكرات الدكتور محمد فاروق النبهان، نشرت في موقعه.
- كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١: ١٩٥و١٨٩-٢٠١).
- وثيقة بخط الشيخ قاسم القيسي.
- الدكتور محمود الزين، والدكتور نوفل الناصر، لقاءً مباشرًا.
- الدكتور محمود حوت، والشيخ حامد صخي، مراسلةً كتابيةً.
- حفيده أحمد بن محمد بدر الدين فوزي شمسي.

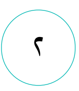
ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:



كلام السيد النبهان عن مرتبة استدن علي.





كلام السيد النبهان عن مسابقة بكري ابن الحاج فوزي.





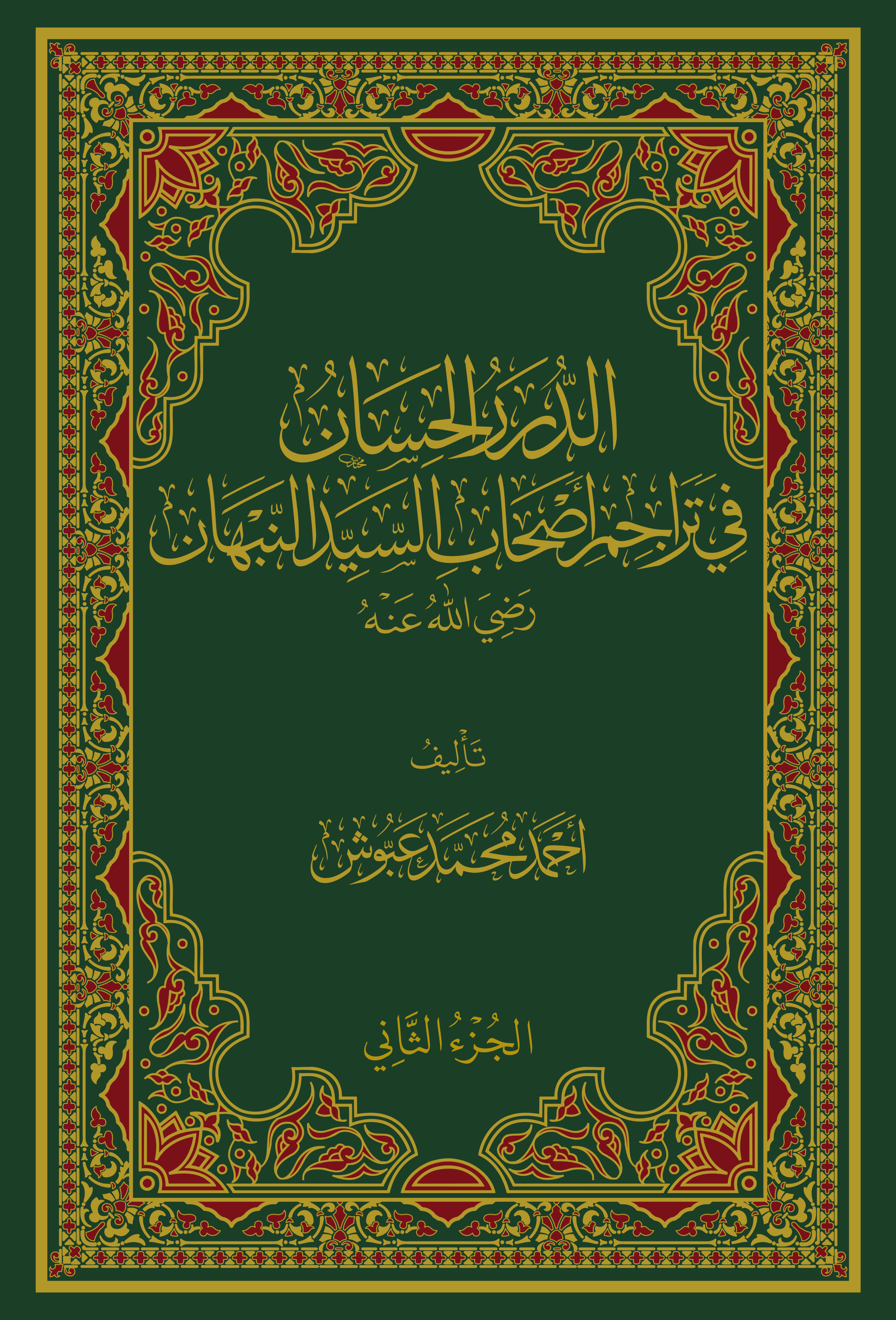
كلام السيد النبهان عن موقف لجمعية النهضة.



مُحتوَى

الجُزءُ الأوَّل


تم الجزء الأول بحمد الله
ويليه الجزء الثاني


الدرر الحسان
في تراجم أصحاب السيد النبهان
رضي الله عنه
تأليف
أحمد محمد عبوش
الجزء الثاني


الدرر الحسان
في تراجم أصحاب السيد النبهان
(رضي الله عنه)

الدُّرَرُ الحِسَانُ
فِي تَرَاجِمِ أَصْحَابِ السَّيِّدِ النَّبْهَانِ
(رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)

تأليف
أحمد محمد عبوش

الجُزْءُ الثَّانِي

الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

الردمك ٦-٧٤٠-٧٢-٩٩٥٣

«إصدار إلكتروني ثان، مصحح بتاريخ ١ رمضان ١٤٤٢هـ»



يحتوي الكتاب على رموز (QR Code) لسماع ملفات صوتية تخص التراجم، عن طريق مسح الرموز بأي برنامج قارئ للرموز في الجوال

للتواصل مع المؤلف

abouch70@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٠) الشيخ قاسم القيسي

١٢٩٣ - ١٣٧٥هـ/ ١٨٧٦ - ١٩٥٥م



مفتي العراق الشيخ قاسم بن أحمد بن خليل بن حمد بن حسين بن خلف بن إبراهيم بن سلطان بن ملَّا يوسف من البونـزال من فخذ المصاليخ بعشيرة الكروية القيسية في العراق، موطن أسرته الأصلي مدينة جلولاء بمحافظة ديالى، ثمّ ارتحلت إلى بغداد، وفي محلة الفضل من بغداد أقامت تلك الأسرة الكريمة.

ولادته:

ولد الشيخ قاسم عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، ونشأ وترعرع في بيت علم، فوالده -رحمه الله- من أعلم الناس بالفرائض، ولكثرة اشتغاله به لُقِّب بأحمد الفرضي، فدفع بولده إلى مدرسة أهلية يتلقى مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم وتجويده، ثمَّ أخذ بيده إلى مدرسة أهلية ثانية يديرها الشيخ (منيف أفندي) أحد أرباب العلم المشهورين بميدان بغداد، فتعلَّم اللغتين التركية والفارسية، ثمّ دخل المدرسة الحيدرية، وقرأ الصرف والنحو والمنطق والكلام والتصوف على الشيخ عبد المحسن الطائي، ولجأ بعدها إلى جامع الفضل وأقام فيه متجرِّدًا لطلب العلم، هذا مع كونه أديبًا ذكيًّا حازمًا حباه الله -تعالى- حسن الخَلق والخُلق، وجمع فيه كمالات الفتوة وأمهات الفضائل، وتابع -رحمه الله- طلب العلم على يد الشيخ

عبد الوهاب النائب، رئيس محكمة التمييز الشرعي، وأخذ علوم العربية والفقه وأصوله، فأجازه فيما أخذ عنه، كما درس خلاصة الحساب والهندسة وعلم الهيئة وعلم الكلام على يد الشيخ غلام رسول الهندي القرشي، وأجازه إجازة خاصة بعلم الحديث، كما أجازه العلاّمة الشيخ عبد السلام الشوّاف سيبويه عصره بإجازة خاصة وعامة في العلوم العقلية والنقلية، فأخذ العلم عن أهله، ونبغ حتى أصبح من الأفراد الّذين يشار إليهم بالبنان، ويسترشد بهم الضال، وتُشدُّ لفضلهم إلى بغداد الرحال.

وشغل -رحمه الله تعالى- مناصب دينية منها: التدريس والوعظ والإرشاد في مدينة خانقين، وانتقل بعد عام لمثلها في قضاء الصويرة، ثمّ استدعي لنيابة الباب في بغداد فقبلها على مضض؛ لأنه لا يميل إلى القضاء، ثمّ أعفي بناء على رغبته، وعيّن عضوًا لمجلس المعارف ببغداد، وعضوًا لمجلس الأوقاف العلمي، وشغل عضوية مجلس التمييز الشرعي في الفترة من ١٩٢٢م لغاية ١٩٢٨م.

عرف العراقيون الشيخ قاسم القيسي رجل العلم والتقى الّذي لا تأخذه في الله لومة لائم، كما عرفته كلية الشريعة ببغداد خيرة أساتذتها والمربي لتلاميذها.

حاز -رحمه الله- مراتب أهل الرياسة في العلوم النقلية والعقلية ونال فيها الصدارة عن صدق وجدارة، وانتخب لمنصب مفتي العراق بعد وفاة الشيخ يوسف عطا، رحمه الله تعالى.

ويعدُّ مجلسه على شاطئ دجلة بمحلة السفينة بالأعظمية من أفضل مجالس بغداد وأنفسها، يختلف إليه العلماء والوجهاء، ويلتقي فيه الطلبة والبلغاء والشعراء من كل صوب، تولّى التدريس في مدرستي القبلانية والقادرية، فتخرّج على يديه علماء فحول، رضعوا العلم والمعرفة، ورشفوا الأدب والتقى من فيضه، أمثال: الشيخ عبد القادر الخطيب أفندي، والشيخ حامد الأورفلي، والشيخ حامد الملّا حويش، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ عطا الله الخطيب، والشيخ حسن

النائب، والشيخ علاء الدين النائب، والشيخ محمود مهاوش الكبيسي وغيرهم، رحمهم الله تعالى أجمعين.

لقاؤه مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

ومع هذا كلّه فإن ذاته الكريمة وشخصيته الفذّة تتعشّق أذواقًا صوفية وصحبة مرشد كامل، يأخذ بيده إلى تطلعاته، ويوصله إلى تمنياته، حتى إذا ذاع أمر السيّد النّبهان ﵁ واشتهر كان -رحمه الله- في أوائل الوافدين إليه، بصحبة تلميذه الشيخ محمود مهاوش في السنوات الأخيرة من حياته مرتين. وكانت الأولى عام ١٩٥٢م للتعرّف والاختبار، فاجتمع بسيدنا ﵁ ولحظ بعين المتفحّص أفعاله وأحواله، وعاين أذواقه وفهومه وعلومه، وأحضر له ثلاثة عشر سؤالًا، فأجابه ﵁ دون أن يبدأه بسؤال ورجع بالدهشة والإعجاب، يتحدث للشيوخ وأولي الألباب.

يتابع الشيخ هشام الألوسي فيقول: «حدثنا الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس الكبيسي[1] وكتب إلينا بخط يده: سألت الشيخ قاسم القيسي -رحمه الله-: ماذا رأيت يا سيدي من زيارتك للشيخ النّبهان ﵁ في حلب؟

فقال لي: يا عبد العزيز، والله إن هذا الشيخ ما «سارية الجبل» عنه ببعيد، لقد أحضرت له ثلاثة عشر سؤالًا كلّها أسئلة عويصة، فأجاب عليها وعلى ترتيبها وتسلسلها عندي دون أن أبدأه بسؤال.

وأضاف الحاج عبد العزيز الغرس: كانت للشيخ قاسم صرخة في الذكر أو غيره، فشكى إليه حالته، فذهبت عنه.

وتعلّق قلبه -رحمه الله- بشخصية السيِّد النَّبهان، فكتب إليه رسالة يشرح له فيها مشاعره وأحاسيسه إلا أن سيدنا ﵁ لا يذر من يفد عليه دون امتحان، لا

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٣٠).

سيّما أصحاب النفوس والشخصيات الكبيرة، يمتحنهم ترويضًا لأنفسهم، ليصل بهم إلى تواضع المريدين لأشياخهم، فينقادوا لتوجيهاتهم وينالوا بالتسليم لهم حظهم في السير والسلوك والمعرفة الإلهية والوصول إلى الله تعالى؛ ولأجل ذلك لم يردّ الجواب، فانفلت زمام الصبر من الشيخ المفتي -رحمه الله- بعد أن يئس من الإجابة على رسالته، وباشر بثانية محمّلة بفنون التلهف والعتاب.



١- الشيخ محمود مهاوش ٢- الشيخ قاسم القيسي

حدثنا الشيخ محمود مهاوش الكبيسي -رحمه الله تعالى- وسمعت ما حدّثني به يخاطب به سيدنا رضي الله عنه في درس مسجّل قال الشيخ محمود: ذهبت يومًا كعادتي إلى الشيخ قاسم القيسي لآخذه بسيارتي إلى كلية الشريعة يلقي دروسه على طلبتها فإذا به في أضنك حال.

قلت: ما بكَ يا أفندي؟

قال: أنا هذا اليوم ما صليت الصبح جماعة، ولا أفطرت، ولن أذهب إلى الكلية.

قلت: لماذا يا أفندي؟ لعلك قد عملتَ مكسورة؟ [أي لعلك أتيتَ مخالفة كبيرة]؟

قال: ويلك يا محمود! من أعلمك بهذا؟ والله أنت عنتيكا [بطل حاذق]!

قلت: حالك يدلّ على ذلك.

قال: أنا كنت الليلة الماضية قد كتبت إلى الشيخ النّبهان رسالة عتاب، لأنه لم يردّ عليّ الجواب:

إذا كتب الخليل إلى خليلٍ   فحــقٌّ واجبٌ ردُّ الجـواب[1]

أنا الشيخ قاسم مفتي العراق أكتب له رسالة ولا يردّ عليّ الجواب!

ثم أنني نمت يا حاج محمود فرأيت سيدنا الخضر عليه السلام، وكنا ثلاثة، فأما الاثنان معي فرحّب بهما، سلَّما عليه وقبّلا يديه، وأما أنا فقال لي: رُحْ، أنت مطرود، كيف تكتب رسالة هكذا إلى الشيخ محمد النبهان؟!

أنا ما لي وعتاب الشيخ محمد النبهان يا حاج محمود؟!

ما الذي ألجأني لهذه الورطة يا حاج محمود؟

لعله مدلل عند الله مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني!

ثم مزَّق الرسالة.

قلت: ما هو رأيك يا أفندي نذهب ثانيةً إلى حلب؟

---

(١) جاء في «آداب الصحبة» لمؤلفه: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) (١: ١٠٥): أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّبَرِيُّ الْكَاتِبُ قَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ الْكَاتِبُ لِابْنِ هَنَّانَ:

إِذَا كَتَبَ الْخَلِيلُ إِلَى الْخَلِيلِ   فَـــــحَقٌّ وَاجِبٌ رَدُّ الْجَوَابِ
إِذَا الْإِخْوَانُ فَاتَهُمُ التَّلَاقِي   فَمَا صِلَةٌ بِأَحْسَنَ مِنْ كِتَابِ

قال: نعم، نذهب إلى حلب، فسافرنا معًا.

وصلنا إلى جامع الكلتاوية والشيخ قاسم ينقل خطواته على الدرج الصاعد ويقول: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم ٥٧).

والتقينا بسيدنا النّبهان ﷺ فرحّب بنا أجمل ترحيب، وأمضى الشيخ قاسم ليله يبكي إلى مطلع الفجر، ويقول لي: يا حاج محمود، والله أنا أعتقد بالسادات الصوفية وأحبهم، ولكن لماذا لا يُذَيقونني شيئًا من كراماتهم ومن معارفهم؟

فذلك الشيخ قاسم مفتي العراق الذي جاء في السفرة الأولى شيخًا ورجع شيخًا، أما في هذه السفرة فيستأذن بالدخول على سيدنا ويقول: «قويسم بالباب، فإذا دخل خاطبه: يا حبيبـي.

حدثنا الحاج محمّد بشير سروجي -رحمه الله- أحد أصحاب سيدنا ﷺ قال: كان عمري يوم قدوم الشيخ قاسم المرة الثانية ستة عشر عامًا، فقال له سيدنا ﷺ: تحدّث لإخواني يا شيخ قاسم، فألقى موعظةً حفظت منها: «يا أولادي: كلكم مؤاخذون عند الله تعالى مسؤولون يوم القيامة عن هذه الشخصية التي لم تعطوها حقها، والله يا أولادي نحن من بغداد نستمد نور الإله من هنا» [١].

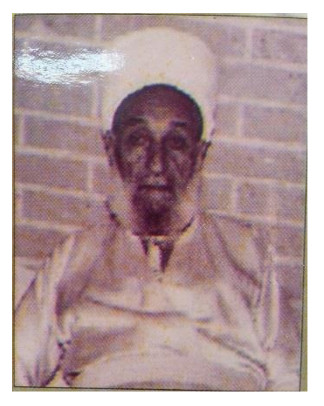
جاء في المذاكرات المسجلة لسيدنا النبهان بحضور الشيخ محمود مهاوش:

«قال الشيخ محمود مهاوش -رحمه الله- وهو يتحدث عن الشيخ قاسم: طلب من سيادتك اجتماعًا في بيت الحاج أحمد الصغير

فيقول سيدنا: وكان يبكي، ويبكي، ويبكي.

قال لي: إيش حجابي؟

(١) كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١:٢٦٧).


الشيخ قاسم القيسي

فيقول الشيخ محمود مهاوش: وجلس مع جنابك إلى الفجر قال لي: أنا أعتقد بالسادات الصوفية وأحب السادات الصوفية.

فيقول سيدنا: صحيح.

قال الشيخ محمود مهاوش: لماذا لا يذيقونني شيئًا من كراماتهم، من أشيائهم، هل هناك مانع؟

فجنابك قلت له: مانعان، وليس مانعًا واحدًا، المانع اثنان: الحَجِّيَّة (الزوجة) والإفتاء.

وبالمرة الثانية لما راح جئتُ إليه مرة من المرات الصبح، قال: محمود! قلت له: إيه، قال: ادن مني.

قال: أبشرك أنا اليوم صرت وليًّا، اليوم صرت وليًّا، أنا شيخ العراق، مفتي الديار العراقية، أبشرك، أنا اليوم صرت وليًّا، جاء الرجال الأربعون وقالوا لي: نحن لا نبخل عليك بالولاية، لكن الإفتاء لا يوجد له غيرك، إذا أعطيناك الولاية تزهد بالإفتاء ولا يوجد غيرك بالإفتاء.

مرة جئته بالليل والأطباء منعوا أحدًا يدخل عليه، عنده شريان، وكان قال لبنته: إذا جاء الكبيسي فليدخل، هذا لا مانع عليه، قالت عمي: أبي يقول لي: أنت تدخل عليه فقط وغيرك لا يدخل.

صعدت عليه قال لي: كذب، أنا غير مريض، الأطباء سخرهم الله لي، أنا ما بي شيء، هذه الخلوة الله ساواها لي، شيخك قاعد هنا بجانبي على التخت، الشيخ نبهان موجود معي هناك.

يعلق سيدنا فيقول: صحيح، هذا الصادق، هذا الشيخ قاسم، الشيخ ميزته قلبه، ما شاء الله!، الدنيا مالها قيمة عنده، له قلب من أجمل القلوب، لا عجب فيه أو كبر، محفوظ منه، قلبه بهلول، صدره سليم، ما شاء الله!».

يتابع الشيخ هشام قوله: نعود إلى الحاج محمود مهاوش -رحمه الله- ليكمل حديثه قال: وفي تلك السفرة قال لي الشيخ قاسم: أُدنُ مني، أنت موطن سرّي، اكتب عني يا حاج محمود، اكتب: «المجموعة التي في صدري ما عاصرني بها أحد، رأيت من يفوقني في فن من الفنون، إلا أن المجموعة التي في صدري ما وُجدت لا في مصر ولا في سورية ولا في العراق، وأنا الشيخ قاسم، أنا الشيخ قاسم اكتب عني: أنا ما رأيت مثل شيخك».

قال الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس الكبيسي: «وبعد ثلاثة أيام من زيارة الشيخ قاسم لسيدنا أذن له السيد رضي الله عنه بالعودة إلى بغداد، فودّعه وتأخرتُ قليلًا، فقال لي رضي الله عنه: «الحق بالشيخ قاسم وبشّره بالمرتبة». فلحقت به وأبلغته البشرى.



جمع من علماء العراق يتوسطهم الشيخ قاسم القيسي، و الشيخ نجم الدين الواعظ.

حدثنا الشيخ طراد عبطان محمّد ياسين الشامي الكبيسي من الرطبة في العراق قال سمعت سيدنا النّبهان ﷺ يقول: إن الفتح الذي حصل للشيخ قاسم القيسي كان قبل وفاته بأربعين يومًا فقط ونال فيه مرتبة الأبدال».

رسالة أخيرة:

وآخر رسالة بعث بها الشيخ قاسم إلى سيدنا النّبهان ﷺ بعد أن نال المرتبة وفتح الله عليه بفتوح الأولياء إلا أنه -رحمه الله- لم يرسلها مباشرة، بل دفع بها إلى أحد أصحاب سيدنا الحاج فوزي شمسي رئيس جمعية النهضة الإسلامية بحلب، وقال له: لا أتمكن من مباشرة شيخي بخطاب، وألتمسك تقديم رسالتي إليه، مقترنة ببطاقة تهنئة بالعيد، متمثّلًا ببيتين من الشعر، ومختومة بتوقيعه على كلمات (عُبَيدكم قاسم):

يـا ماجِدًا جَلَّ قدرًا أنْ نُهَنِّئُهُ لَنَـــــا الهناءُ بِظِلٍّ منك مَمْدُودِ
الدَّهْرُ أنت ويومُ العِيْدِ منك وما في العُرْفِ أنَّا نُهَنِّي الدَّهْرِ بالعِيدِ

تلك هي حالة واحد من أعلم أهل الأرض آنذاك كيف سلّم لشيخه المربي فنال ما نال ولمثل هذا فليعمل العاملون.

وقد نشرنا في ترجمة الحاج فوزي شمسي رسالة من الشيخ قاسم القيسي ويتحدث فيها عن سيدنا النبهان ﷺ، ومما جاء فيها:

«أي أخي فوزي: عليك بالتمسك بنصائح شيخكم الكبير فإنها الذهب والإكسير، فإني اختبرت هذا الشيخ الكامل فرأيته يعطي المعنى الكبير بلفظٍ قليل صغير.

فمن جملة ما قاله حين سألته عن كمال الحال فذكر أن الوصول إلى الله الملك المجيد بالمحبة والتوحيد والتجريد، فذكر شيئًا يوافق ذوقي ويميل إليه شوقي، وهذا كلام رجل ذائق، وفي درجات اليقين فائق.

والعبد الفقير يقول: يلزم الإخلاص في العمل، قال صاحب الحكم العطائية: «الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها».

وعليك حبيبي بالتمسك بشيخك، واربط قلبك بحبه فإن من نظر إلى شيخين أو أكثر تشوش».

من رسالة الشيخ قاسم القيسي إلى الحاج فوزي شمسي

وفاته:

في صبيحة السابع والعشرين من محرم سنة ١٣٧٥هـ الحادي عشر من أيلول ١٩٥٥م أيقظت إذاعة بغداد الناس على نبأ مؤلم ومصاب جلل، وابتدأت الجموع تتوافد على الأعظمية من كل فج، في وقت اقتصرت الإذاعة برامجها على القرآن الكريم والمدائح النبوية والمواعظ، حتى إذا كانت الساعة الخامسة عصرًا غصّت الشوارع بالجماهير المنتحبة، ثمّ صُلي عليه في جامع سيدنا أبي حنيفة النعمان، وأمّهم الشيخ نجم الدين الواعظ، وزحفت مئات الآلاف تحمل عزيزها على الأعناق، يتصدرهم العلماء والوجهاء والأمراء، وتعتليهم الرايات واللافتات والأعلام، وأهل

التكايا يضربون بالدفوف ويرتجزون المدائح التي اعتاد أهل بغداد تشييع أكابرهم بها «شال بحر العلم شال، شال شيخ للشريعة، شال بحر العلم شال، شال أبو عيون الوسيعة، شال بحر العلم شال».

وقد أغلقت الأسواق والمقاهي وتوقفت حركة السيارات والعمل لأكثر من ثلاث ساعات، وهكذا ودّعتْ العاصمة العراقية فقيدها ومفتيها رغم الحر الشديد ومسافة لا تقل عن خمسة أميال إلى أن وصل الموكب إلى الحضرة القادرية، ليقضي الشيخ قاسم القيسي -رحمه الله- حياته البرزخية في أكنافها.

ترك -رحمه الله تعالى- آثارًا جليلة قاربت الأربعين مؤلفًا في شتى العلوم والفنون، لم يكتب لأكثرها أن يرى نور الشمس، فبقيت مخطوطات، وحين وافاه الأجل كان خطيب الحضرة القادرية، ورئيس جمعية الهداية الإسلامية.

وبعد رحيله بثلاث عشرة سنة كانت زيارة سيدنا النّبهان رضي الله عنه الثانية إلى العراق، فسمعته يذكر الشيخ قاسم القيسي -رحمه الله- بقوله: «الشيخ قاسم القيسي والشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ فؤاد الآلوسي لهم مجلس معنا عند رسول الله». وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون».

اللّٰهُمَّ اجعل كتابه في عليّين، وألحقه بالنبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لدي.
- كتاب «السيد النبهان» ط ٣ (١: ٢٦٧).
- رسالة من الشيخ قاسم القيسي إلى الحاج فوزي شمسي، رحمهما الله.
- الدكتور محمود أحمد الزين -رحمه الله- مقابلة مباشرة.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

	تسجيل للسيد النبهان: مفتي بغداد قال: من أنا حتى تأتي على بيتي!	
	تسجيل للحاج محمود مهاوش عن الشيخ قاسم وقصته مع سيدنا (١).	
	تسجيل للحاج محمود مهاوش عن الشيخ قاسم وقصته مع سيدنا (٢).	

(٥١) الحاج مأمون البارودي(١)

١٣٥٥ – ١٤١٣هـ/ ١٩٣٦ – ١٩٩٣م



ولد الحاج مأمون عمر عبد الله البارودي عام ١٩٣٦م في مدينة حماة.

توفي والده وعمر مأمون سبعة أعوام، وأبوه الحاج عمر تاجر الأغنام التقي الورع، وجده الشيخ عبد الله البارودي، رحمهم الله.

أما والدته فهي كوثر قنوت، من عوائل حماة الأصيلة.

والبارودي لقبٌ عرفت به أسرتهم الكبيرة في حماة؛ لأنهم كانوا قديمًا يشتغلون بالبارود.

بعد أن بلغ -رحمه الله- الثالثة والعشرين من عمره ارتحل مع من ارتحل من أسرة البارودي إلى حلب، وكان بمعية والدته وأخواته الثلاث: رباب، وأميمة -زوجة الشيخ عبد القادر خوجه-، ويسرى -زوجة الشيخ المهندس الزراعي محمد

---

(١) أعد لي هذه الترجمة الشيخ هشام الألوسي، بالتعاون مع أولاد الحاج مأمون، وصهره الأستاذ محمود البيك.

رضوان إيمش-، واستطابوا الإقامة فيها أواخر الخمسينات حيث النعيم المقيم والسعادة الأبدية في الرحاب النبهانية، فسماهم سيدنا النبهان بالمهاجرين.

عمله:

عمل -رحمه الله- موظفًا في مؤسسة التأمينات الاجتماعية، ثم مديرًا لمكتب مدير أوقاف حلب، وهو مسرور بما كان يقدمه من عون لشيخ أو طالب علم أو محتاج أو خدمة في إنشاء مسجد أو ترميمه، ومع أن رزقه كان بالكفاف إلا أنه مضياف كريم، يصل رحمه، ولا يدخر من يومه لغده شيئًا، وهذه صفة أهل الله المتوكلين الذين عرفوا أن لهم ربًّا لا ينسى رزقهم ولا يذلهم.



من يمين الناظر: رضوان عجم، ثم ياسر عجم، ثم عبد المنعم السيد، ثم الحاج وجيه السيد، ثم الحاج مأمون البارودي

صلته بالعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

أكرم الله الحاج مأمون بمشاهدة سيدنا الحبيب أكثر من مرة عن بُعد، وقد اعتاد مأمون أن يحضر مجلس نشيد وذكر عند أحد الشيوخ، فجاء إليه أحد أحباب سيدنا النبهان وهمس في أذنه قائلًا له: سيدنا النبهان يقول لك: «مكانك ليس هنا، أنت عندنا». و مأمون لم يكن قرير النفس بتلك المجالس، بل نفسه تتوق إلى السمو والعلو، وقد وجد بتلك الهمسة ضالته، فنهض لملاقاة الحبيب، فقال لسيدنا ﵁: «أنا حموي، أتعلم منك، وآخذ لأهلي في الدار أعلمهم، ولا داعي لحضورهم للمسجد» فوافق السيد النبهان الذي كان مظهرًا للحكمة بل ومنبعًا لها، ولما تخللت محبة سيدنا ذاته وذراته، وسرى جذب المتبوع إلى محبه التابع الصادق سمح لأهله جميعًا بالتشرف لحضور مجالس سيدنا الحبيب -قدس سره العزيز- التي تخص النساء، بل وأمرهم بالحضور.

ومما أثر عنه أنه كان يحلق لحيته، فذهب ذات مرة إلى الحلاق، فلما نظر مأمون في المرآة كشف الله له فرأى صورة سيدنا النبهان ﵁ فيها، ولم ير صورة نفسه، فأطلق لحيته من حينها ولم يحلقها بعد ذلك، وهذه الرؤيا يعرفها و يدركها أهل المحبة الصادقة التي أتتهم من حضرة الحبيب سيدنا النبهان الذي كان ينظر في المرآة فلا يرى إلا وجه الحبيب المصطفى، عليه الصلاة والسلام.

في شتاء بارد طلب من السيد النبهان شيئًا يستدفئ به في الجامع حيث أن مأمونًا -رحمه الله- عاش فيه سنة كاملة تحت أنظار سيدنا، فلم يُحضر له السيد النبهان مدفأة، لكنه -حفظنا الله به- قال له: «إذا بردتَ فاجلس على هذا الكرسي الخيزران»، فكان -رحمه الله- يُقْسِم أنه كان إذا برد ولو بردًا شديدًا فيجلس على الكرسي فيصير كأنه نار، ويدخل فراشه حاملًا معه ما أكرمه الله به من كرامات السيد النبهان.

زواجه وأبناؤه:

تقدم بطلب إلى سيدنا يبغي الزواج، فقال له ﷺ: «أنا أزوجك يا مأمون أم تريد أن تتزوج أنت إحداهن يا بنيّ؟ أنت تحتاج بنتًا عاقلة تطيعك وتطيع أمك التي معك، هل عندك استعداد أن ترى واحدة تتأفف فيك وفي أمك إذا قلت لها: هاتي كأس ماء لأمي؟ فأجاب: أمرك سيدي وكما ترى».

فخطب له الحاج عمر ططري السيدة صفية -بأمر سيدنا- ابنة المرحوم أحمد السيد ابن الشيخ عمر السيد الذي يقول فيه سيدنا: «إنه من أهل التوحيد».

أولاد الحاج مأمون:

فاطمة، ومحمد. وقد سماهما سيدنا النبهان، ولم يسم محمدًا -وهو الابن الأكبر- على اسم والد الحاج مأمون كما هي العادة.

وراضية. أشارت والدته باسمها، لكن مأمونًا طلب من سيدنا أن يختار لها اسمًا، ولم يخبره بحواره مع والدته، فقال له ﷺ:«ماذا قالت لك أمك؟» قال: راضية، فقال له السيد الحبيب: «سجلها مثل ما قالت لك». وهي زوجة أحمد ابن الحاج عمر ططري، رحمه الله.

وأم كلثوم. سماها السيد النبهان أيضًا.

ثم أحمد، وبعد انتقال سيدنا رزقه الله عائشة البراء.

لم يكن لمأمون أخ خاص بل كل محبي الحبيب إخوانه وأصدقاؤه، لكنه لم ترق له إلا صحبة الحبيب ﷺ التي سلبت عقله وقلبه، وجعلته يزهد بمن سواه، ومع أنه لم يكمل البكالوريا إلا أنك إذا جالستَه واستمعت إلى فهومه تظنه قد حاز الدكتوراه.

وهذه بركة الصحبة الصادقة التي لا تريك صغيرًا في أتباع السيد النبهان، ولا تخال أحدهم إلا ملاكًا أو أميرًا بما هم عليه من شخصية وأحوال صادقة وأذواق وأنوار ساطعة وأدب وسكينة ووقار.

ومن فضل الله عليه أن سيدنا قد أكرمه بزيارات نبهانية عديدة في بيته، وحَدَث أن دعا مأمونُ السيد النبهان ﵁ ذات مرة لزيارته، فوافق أن رجلًا آخر دعا السيد النبهان -وهو ذو مكانة- في اليوم نفسه، وعند المساء انتظر مأمون سيدنا فلم يأتِ فتوجه للنوم، وقبل أن يغفو إذ بالباب يطرق، مَنِ الطارق في هذه الليلة؟! إنه سيدنا -حفظنا الله به- وهرع الجميع لاستقباله في دهشة وحيرة، فقال الحاج مأمون: يا سيدي! قلتُ في نفسي: إنك لن تأتي حيث إنني رأيتُ أنه دعاك ذاك الرجل صاحب المكانة فقال سيدنا: لا؛ أنا وعدتك ولا بد أن آتي إليك.

رأى مأمون سيدنا الحبيب بمنامه في حال حياته ﵁، فسأله: ما الذي يمنعني من الوصول إلى الله؟

فأجابه ﵁: (سِتْ نَفُوسْ)، وعند المساء ذهب مأمون ليحدث سيدنا بما رأى، طرق باب بيته فلم يفتح سيدنا باب الدار فقال مأمون في سره مخاطبًا سيدنا: «يا سيدي إن لم أكن أهلًا للدخول إلى حضرتك، فألبسني منك خلعة أدخل بها إليك». فلم يكمل جملته الأخيرة حتى فتح السيد النبهان باب المنزل بسرعة ثم قال مداعبًا: «من أين أتيت بها؟!». قال: تعلمتها من الشيخ الأكبر ابن عربي، حيث قالها لربه جل جلاله.

فقال له سيدنا: ماذا تريد الآن؟

فقال: سيدي ما يمنعني من الوصول إلى الله؟

فقال: «ألم أعطك الجواب في المنام؟ ست نفوس».

وذات يوم و هو في طريق عودته من سفرة سمع اثنين يتحدثان في السيارة، فقال أحدهما: انظر إلى جامع النبهاني يحسب نفسه سيدنا محمدًا، قد دهن قبة جامعه بطلاء أخضر، وكلامًا آخر، ولم يكن طلاء القبب منتشرًا آنذاك، فسمعهما مأمون، فقال لهما: لنذهب فورًا إلى هذا الشيخ قبل أن نذهب إلى بيوتنا ونتحرى صدقه، فذهبوا، ودخلوا الجامع، ولم يُسلّم مأمون على سيدنا كيلا تدخل الريبة قلوبهم، وجلسوا حيث انتهى بهم المجلس، فكان مما قاله سيدنا محمد النبهان ﵁: «هناك ناس يتكلمون علينا أننا طلينا قبة جامعنا بالطلاء الأخضر، ونظن حالنا سيدنا محمدًا ﷺ، يا سيدي يكفينا إذا رأى أحدهم أو نظر إليها أن يتذكر سيدنا محمدًا ﷺ، ويقول: اللّٰهُمَّ صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، يكفينا هذه الذكرى والصلاة عليه ﷺ أو كما قال ﵁».

مرضه ووفاته:

مرض مأمون بسرطان المثانة ستة أشهر، وثقل عليه المرض، لكنه كان يقول: لا يهمني كل هذا لكن الذي يؤثر عليّ ويكاد أن يذبحني أنني لا أرى سيدنا، وقبل وفاته بشهر ونصف شاهد الحاج عمر ططري في منامه سيدنا النبهان في غرفته، وأصحابه يستأذنون للدخول عليه، قال: وإذ بي أراهم كلهم من أصحاب سيدنا الذين توفاهم الله، وإذ بعمك-يقصد الحاج مأمون- يا ولدي منهم، أرجوك يا محمود (البيك) لا تخبر عمك لكيلا يتأثر، فبقيت أسبوعًا أو أكثر لا أذكر ذلك رحمة ورأفة به وحزنًا على فراقه، ولكني رأيت بهذا بشرى له، فقدمت له وأخرت ثم حدثته بمنام عمي الحاج عمر ططري -رحمه الله- فقال لي باكيًا: آه يا بني! أأنا من رجالات وأصحاب سيدنا! هذا من حسن ظن الحاج عمر بي، وبكى وبكيت بكاءً شديدًا معه، وثقل عليه المرض أكثر، وانتقل من حلب إلى دمشق للعلاج ثم عاد إلى حلب، وأخيرًا حط رحله في المشفى الذي توفي فيه سيدنا الحبيب (مستشفى حلب الوطني) وانتقل فيه إلى -رحمة الله-، وخلال أيامه الثلاثة الأخيرة

كان يردد عليه الشيخ عمر طظري أنه سيزوج ابنه أحمد، وأنه سيفعل كذا وكذا، ولكنه كان يقول ويردد في كل مرة: عمي حاج عمر أين توفي سيدنا؟ ومن أين أخرجنا الجسد الشريف؟ أين كانت آخر أيامه ﷺ؟ والله لن أخرج من هنا إلا الى قبري، وغدًا ستقول الحاج مأمون قال ذلك.

وبعد ثلاثة أيام فقط وصباح السبت أواخر تشرين الأول أو الثاني عام١٩٩٣م شاهد الحاج عمر طظري سيدنا في منامه، فحدث بهذه الرؤيا ابن الحاج مأمون محمدًا أنه شاهد سيدنا في منامه يقول لأبيه الحاج مأمون: (جهز نفسك اليوم ستأتي لعندنا).

ثم فاضت الروح إلى بارئها بعد أن تشرفت برؤيا الحبيب عن عمرٍ يناهز الثامنة والخمسين.

وزوجته لم تعش طويلًا بعد وفاة زوجها مأمون، وقد أخبر من قبل أنها لن تتأخر باللحاق بي، فتوفيت في أيلول ١٩٩٨م، عن ثلاث وخمسين سنة، رحمهما الله، آنسهما الله.

مصدر الترجمة:

أعدها لي الشيخ هشام الألوسي من محمود البيك صهر مأمون بارودي.

(٥٢) الشيخ محمد أديب حسون

١٣٣٢ - ١٤٢٩هـ/ ١٩١٣ - ٢٠٠٨م



العالم العامل، المدير الثاني لمدرسة الكلتاوية، الداعية المؤثر الشيخ محمد أديب حسون، رحمه الله.

ولادته ونشأته:

ولد في قرية «ياقد العدس» التي تقع في الشمال الغربي لمدينة حلب عام ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٣م فعاش فيها السنوات الأولى من عمره، وتعلم فيها القرآن الكريم عند إمام الجامع الشيخ أحمد العنداني.

دراسته:

انتقل بعدها إلى مدينة حلب وأخذ غرفة في جامع القرناصية فجاور فيها طالبًا للعلم في مدرسة الشعبانية «معهد التعليم الشرعي» عام ١٩٢٧م.

شيوخه:

يقول الشيخ أديب، رحمه الله: «في عام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧م أكرمني الله تعالى بدخولي في المدرسة الشعبانية الشرعية، وكان فيها نخبة من أهل الفضل والعلم، ومن أمنّهم عليّ الشيخ محمد الجبريني -رحمه الله- بينما كنت في أول العقد الثاني من عمري ورزقني الله محبته، وحنا علي حنوّ الوالد، فكنت أراجعه في كثير من أموري».

ثم انتقل إلى المدرسة الخسروية، فلازم شيوخها، وأخذ عنهم مختلف العلوم الشرعية والعربية.


الشيخ محمد أديب حسون

فأخذ علوم القرآن على الشيخ أحمد التيجي -وهو ذو سند عال في القرآن الكريم كما نقل تلميذه الشيخ بشير حداد-، والتفسير على الشيخ أحمد الشماع[1]، والفقه وأصوله على الشيخ محمد أسعد العبجي والشيخ محمد سعيد الإدلبي، وعلوم الحديث والسيرة والتاريخ على الشيخ محمد راغب الطباخ، والتوحيد والمنطق على الشيخ فيض الله الأيوبي، ومن شيوخه فيها كذلك: الشيخ محمد نجيب خياطة والشيخ محمد نجيب سراج الدين والشيخ إبراهيم السلقيني (الجد) والشيخ أحمد الزرقا[2]، رحمهم الله. وتخرج فيها عام ١٣٥٣هـ.

من زملائه فيها:

سليم الرفاعي، عبد الباسط خلف، محمد الياقتي، أحمد المايري، عبد الله حلاق، عبد الجواد العطار، عبد الرحمن الصباغ، عبد القادر بللو.

---

(١) الشيخ أحمد الشماع (١٢٨٧هـ-١٣٧٣هـ): فقيه حنفي، ولد في حلب، تخرج على يد الشيخ أحمد المكتبي(الجد) وكذلك الشيخ بكري الزبري، له دروس في مدرسة الخسروية، وجامع الديري، وجامع أغير، والأموي الكبير في حلب، توفي في حلب ودفن في مقبرة الصالحين. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٢٢٠).

(٢) الشيخ أحمد الزرقا (١٢٨٥هـ-١٣٥٧هـ): الجوهرة الثانية في سلسلة الذهب كما وصفهم الشيخ علي الطنطاوي، أمين الفتوى في حلب، وقاضيها، ومعاون أمانة الإفتاء العام في القسطنطينية. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (١٤٨).

عمله:

بدأ دعوته إمامًا ومدرسًا في عدة جوامع بحلب مثل جامع قارلق وجامع حمزة بيك وجامع الحدادين، وحين تم بناء جامع أسامة بن زيد بأقيول انتقل إليه إمامًا وخطيبًا ومدرسًا عام ١٩٦٠م فمسجد أسامة بن زيد في محلة أقيول من معالم الدعوة البارزة في حلب الشهباء، فهو عامرٌ بدروس العلم والإرشاد والذكر والقرآن من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد العشاء، ويَؤُمُّه الناس على اختلاف فئاتهم.

وكان من شأنه وسيرته في البذل والعطاء أنه إذا حضرت لجانٌ لجمع المال في المسجد لجهات الخير يكون هو من يفتتح العطاء، ويَظْهر أثرُ ذلك وصِدْقُه في تسابق الحاضرين في الاقتداء به، فتكون ساعات مشهودة يكثر فيها الخير والعطاء.

كان أول من صلى فيه وافتتحه العارف بالله الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه وله مذاكرات خاصة في غرفة الشيخ أديب فيه، وبقي الشيخ أديب فيه إمامًا ومدرّسًا وداعية إلى وفاته.

درّس الشيخ أديب في المدرسة الشعبانية والخسروية والكلتاوية مواد الفقه والحديث والتفسير والأخلاق.

واستقال من التدريس حين بلغ من العمر ستين عامًا، لكنه بقي ملازمًا إعطاء دروس عامة للناس في جامع أسامة بن زيد.

أولاده:

تزوج الشيخ أديب -رحمه الله- أربع نساء، وأنجب أربعة عشر ولدًا سبعة ذكور وهم: عبد الباسط، محمد، أحمد، يوسف، فاتح، عبد الله، محمود، وسبع إناث.

مؤلفاته:

ألف الشيخ زهاء عشرين مؤلفًا بين كتاب ورسالة في موضوعات عدة، منها:

- إرشاد الطائعين لزيارة البلد الأمين.
- التفسير الأنيق لسورة يوسف الصديق.
- مختصر الأذكار.
- النوافح المسكية في الفتوحات المكية.
- اللؤلؤ والمرجان في سيرة ولد عدنان.
- مختصر كتاب المجموع في الفقه الشافعي.
- مختصر العهود المحمدية.
- شحذ الهمم في شرح الحكم العطائية.
- لوامع الأنوار في ترتيب الأذكار للإمام النووي.
- السبع المنجيات.
- أخوة الإيمان.
- مختصر كتاب التاج.
- آلاء الرحمن على العارف النبهان.

السير والسلوك وصلته بالعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

في صيف عام ١٩٢٧م اصطحبه الشيخ محمد الجبريني للسلام على الشيخ المربي أبي النصر محمد سليم خلف، وكان الشيخ -رحمه الله- حينما يأتي إلى حلب تهتز المدينة فرحًا به ويؤمها الكثير من أهل القرى للسلام على الشيخ أبي النصر، وكان جلّ علماء حلب يأتون إليه كالشيخ محمد نجيب سراج الدين وسعيد الإدلبي وغيرهم كثير، وفي بيت الحاج عبد الله لاجين في محلة الشرعسوس أمر الشيخ أبو النصر الشيخ عبد الرحمن حميدو (المنغي) بتلقين الشيخ أديب الذكر وذلك بحضوره ثم لازمه وسلك على يديه وواظب على أوراد الطريقة وأذكارها.

وفي باب الأحمر كان قد أقام السيد النبهان الذي كان في أوج سيره وسلوكه حلقة ذكر بأمر من الشيخ أبي النصر فحافظ الشيخ أديب على حضور هذا الختم.

وكان هذا الختم كما يقول -الشيخ أديب- ليس له نظير من عدة وجوه:

أولًا: أن مديره هو الشيخ محمد النبهان ﷺ، وكان إذ ذاك في أوج سيره وسلوكه.

ثانيًا: كان يحضر هذا الختم غالب أهل العلم البارزين في مدينة حلب أمثال: الشيخ أحمد المصري، والشيخ حسن حاضري، والشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ محمد الجبريني وغيرهم الكثير من علماء حلب ومريدي الشيخ أبو النصر، فكنت ترى حلقة الختم قد زانها العلم وكملها الطريق.

ظهر السيد النبهان ﷺ في ذاك الجامع لأول مرّة بعد مدّة أمضاها في وحشة وخلوة، فأحاط به جمع غفير بين سالك وتائب ومتبرك، وفي ختم الذكر الذي كان يقيمه يحضر قارئٌ للقــرآن الكريم حسن الصوت، رقيق القلب يَبكي ويُبكي سيّدنا ﷺ وكلَّ من معه، ويفترش بعضهم الأرض من غلبة الحال عليهم، فيخيّل لمن يمرّ بين القلعة والجامع أنّ القوم مجتمعون على جنازة، لما هم عليه من ذكر وضراعة.

قال سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ كماهو مسجل: «كنت أطلع من الختم بباب الأحمر وأنا مدير الختم، وأنا صغير، صار لها أكثر من أربعين سنة، وكنت لا أمشي مع أحد أبدًا أبدًا، أمشي على جنب الطريق. لماذا؟ أبكي وأنا رايح وأنا ماشٍ، لماذا أبكي؟ ليس لي ذنوب، ولا أعرف الذنوب، لكن أبكي لأنني أريد حبيبي، ما كنت أعرف أن حبيبي معي، هذه ما كنت أفهمها، أريد حبيبي، وأكثر من هذا لا أعرف، ولكن المذاكرة ما كنت أعرفها أبدًا ولا نعرف نتكلم أبدًا، يروحون معي كل ليلة إلى البيت أربعون خمسون يقعدون، أقول لهم: يا الله كل واحد يصلي مئة مرة على النبي ﷺ، كبيرٌ صغيرٌ مُشَكَّلِين، تجار، أهل علم، مشكل ملوّن، لا يقدرون أن يخالفوني أبدًا، يصلون على النبي، بعدها نتكلم ليس دنيويًا، لتُوَلّ الدنيا، ما لنا وما للدنيا ولا الآخرة. نحن عبيد الله، نحن نريد الله، أكثر من هذا لا يوجد».

نعود إلى الشيخ أديب وهو يحدثنا: «ألا وإن أكبر أثر لشيخنا أبي النصر هو شيخنا الشيخ محمد النبهان، عشت معه قرابة ثلاثين سنة، فلله آثارها ولله أنوارها ما أبركها وما أطيبها!

حضرت مرة وكنا مواظبين على الورد فأخذ المجلس من قلوبنا كل مأخذ وخرجت من الختم وذهبت إلى غرفتي في مدرسة القرناصية، فلم أقدر على المطالعة لقوة الورد، فاضطجعت وإذ بي أرى شيخنا أبا النصر في الرؤيا وهو مستلق على ظهره في إحدى الغرف، ودخلت عليه وإذا به يفتح ذراعيه مشيرًا إلي للاضطجاع بجانبه، فاضطجعت ولما استيقظت وجدت نقشًا على ذراعي كهيئة الشجرة الجميلة ونسيت الرؤيا فكنت أتوضأ والنقش باق على ذراعي مدة ثلاثة أيام، وعندما ذهبت في اليوم التالي إلى المدرسة نبهني بعض رفاقي على أثر نقش آخر في رقبتي وهنا تذكرت الرؤيا فذهبت بصحبة الشيخ محمد الغشيم إلى سيدي محمد النبهان في الكلتاوية، فقصصت عليه ما رأيت، ومن ذلك اليوم بدأ ارتباطي بحب الشيخ».

ولما استقر العارف بالله الشيخ محمد النبهان ﵁ في الكلتاوية ودخل فيها الخلوة كان لا يأتي إليه فيها إلا الخواص من إخوانه كالشيخ أحمد المصري، والحاج محمود حموية، والشيخ أديب، وغيرهم، ثم كان بعدها للشيخ أديب غرفة خاصة في الكلتاوية وهي مكان الصف الثالث بجانب القبو الذي كان مطبخًا في البناء القديم، فحافظ الشيخ أديب على حضور مجالس السيد النبهان ﵁.

قال الشيخ أديب -رحمه الله- وهو يتحدث عن الكلتاوية: «وتمر الأيام وإذا بمسجد الكلتاوية يصبح مقصدًا للصادقين ليل نهار، وأنوار الشيخ النبهان تشع على الجميع، وسكونه في مراقبته يسبي العقول، وبكاؤه في لياليه يأخذ بألباب المتعبدين، فملأ السمع حديثه العذب، وملأ البصر وجهه الجذاب، وأما نظراته الأخاذة فكان لها وقع الغيث في الأرض المجدبة، ولم تمض سنوات حتى صار جامع الكلتاوية كما تراه زينة للبلدة وملجأ لطالبي الحق».

كان -رحمه الله- يعرّف الناس بسيدنا النبهان ويقول لهم: هناك في زماننا من هو مثل الإمام الرفاعي مثل سيدنا الجيلاني. ويعني بذلك سيدنا النبهان رضي الله عنه.

كان سيدنا النبهان -قدس سره- يثق بالشيخ أديب ولذا فقد أوكل إليه العديد من الأمور في الكلتاوية.

تدريس أصحاب السيد النبهان قبل بناء مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية):

كتب لنا الدكتور محمود فجَّال، رحمه الله: «قبل نشأة دار نهضة العلوم الشرعية أمر السيد بتوزيع إخوانه الخواص إلى خمس مجموعات، وكل مجموعة مرتبطة بمسؤول عليها من أهل العلم ممن له قَدَم وقِدَم عند سيدنا رضي الله عنه وهم الشيخ أديب حسون، والشيخ علاء الدين علايا، والشيخ محمد لطفي، والشيخ حسان فرفوطي، والشيخ محمود فجَّال، والهدف من هذه الحلقات: اجلسْ بنا نؤمن ساعة، وطلب العلم، والتواصي بتلاوة القرآن، وبصوم الاثنين والخميس، وكان لهذه الحلقات لقاءات مع سيدنا في بيت أحد إخواننا، ويُسمح بحضور ضيوف سيدنا وبعض الأفراد من حلقات أخرى بدعوة سيدنا أو صاحب الدعوة».

المدير والمدرس:

وبعد افتتاح المدرسة «دار نهضة العلوم الشرعية» كان الشيخ أديب -رحمه الله- من أوائل المدرسين فيها، وكذلك هو من أعضاء لجنة اختبار قبول الطلاب التي يتصدر فيها السيد النبهان ويحضر فيها أيضًا الدكتور محمود فجال وأحيانًا الشيخ عمر ملاحفجي.

ودرّس فيها الشيخ أديب -رحمه الله- الحديث الشريف (منهل الحديث)، وكتاب (فتح الخلاق في مكارم الأخلاق)، والشمائل المحمدية، ودرّس أيضًا فيها الفقه.

كان له أسلوب رائع وشيق في تدريس الشمائل المحمدية لطلابه فيشبه لهم هيئة وصورة رسول الله ﷺ بالسيد النبهان ويشرح لهم فيحببهم به ﵁، فكان طلابه ينتظرون درسه ويحبونه.

كتب لي تلميذه الشيخ الدكتور عبد الله الحسن[(١)]: «لقد أكرمنا الله بمعرفة وارثه الكريم سيدنا محمد النبهان ﵁، ومَنَّ علينا بالتَّلقي عن أساتذةٍ مِنْ ذلك الدَّوْحِ النَّضير، ومِنَ الرعيل الأول، منهم: شيخنا وأستاذنا الشيخ الفاضل والمربي المتفاني في خدمة طلابه ومريديه بصدق وإخلاص =نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا= الشيخ محمد أديب حسون، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنا خير الجزاء- وكان مما تلقينا عنه الحديث النبوي الشريف، ومادة الأخلاق والفقه الشافعي.

فكنا نرى الأخلاق متجسدة فيه، تتجلى في سَمْتِه، ونبرات صوته، ونظراته، وحُنُوِّه على طلابه، ولا زلت أذكر وأردد تلك الأبيات التي اختارها لنا في إكرام العلم وعزة العلماء، والتي كنا نراها متجسدة فيه:

وهي قصيدة طويلة، منها هذه الأبيات[(٢)]:

يقولـــــون لي فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلًا عن موقفِ الذلِّ أحجما
ولـــو أن أهل العلمِ صانوه صانَهُم ... ولـــــو عَظَّمُوه في النفوسِ لَعَظَّما
ولكــــــــن أهانوه فهانو ودَنَّسُوا ... مُحَيَّاه بالأطمـــــــاعِ حتى تَجَهَّما

(١) **الدكتور عبد الله محمد حسن (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)**: تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

(٢) من قصيدة للقاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز، المتوفى سنة ٣٩٢هـ «ديوان القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز» (١٢٧). بتحقيق: سميح إبراهيم صالح، دار البشاير، دمشق سورية.

وقال أحد تلاميذ مالك: ما تعلَّمنا من أدبِ مالكٍ أكثرُ مما تعلَّمنا من علمه، وتعلمنا منه الكثير.

وأقول: ونحن ما تعلمناه من أدب شيخنا أكثر مما تعلمنا من علمه، وإن كان علمه لكثير. كيف لا وهو الشيخ أديب».

أصبح مديرًا لمدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) بعد الشيخ عبد الرحمن الحوت عامًا واحدًا ١٩٦٤ – ١٩٦٥م ودرّس فيها إلى عام ١٩٧٢م.

قصة استقالته من إدارة الكلتاوية:

كتب لنا الدكتور محمود فجَّال -رحمه الله-: «جاءني الشيخ أديب حسون وكان مدير الدار إلى غرفتي وجلس معي وصار يعدد لي مهامه، وارتباطاته، وأشغاله، وأبدى إليَّ عدم ارتياحه في إدارة مدرسة الكلتاوية؛ لأنه بحاجة أن يكون المدير متفرغًا، وهو غير متفرغ لما ذكر من أشغاله.

ذهبت إلى سيدنا ﵁ وكان في التويم -قرية جنوب غرب حلب وكان فيها مشروع زراعي لسيدنا النبهان- وليس من عادتي أن أذهب إلى التويم، فسلمت على سيدنا وقلت له: جئت لأمر مهم، فطلب من إخواننا أن يخرجوا ثم قال: ما هو؟ فذكرت له ما قاله لي الشيخ أديب من دون أن أذكر له أن الشيخ أديب جاءني وشكى لي وطلب أن يكون المدير غيره وأن يعفيه سيدنا من الإدارة على أن يكون ذلك ابتداء مني، -وقد كان- فقلت لسيدنا: نريد أن يرتاح الشيخ أديب من عمل الإدارة وتُعَيِّنوا مديرًا غيره، فقال سيدنا ﵁: من أين آتي بمدير؟ أنت من ترى يصلح؟ فقلت له: محمد لطفي فأطرق سيدنا زمنًا ثم قال: حينما أنزل إلى حلب سأضعه. وجاء الشيخ أديب يستأذن سيدنا للذهاب إلى الحج، فقال سيدنا له: سلم الشيخ محمد لطفي إدارة المدرسة، وهكذا استمر بها محمد لطفي سبع سنوات، فكانت حِقْبَةً مباركة والحمد لله».

درس الرجال:

الشيخ أديب هو العالم الوحيد الذي كان يوكله السيد النبهان بدرس الرجال مساء الجمعة في جامع الكلتاوية، وكان يحضر فيه جمع من العلماء، ويلقي الشيخ أديب الدرس إما من (لواقح الأنوار القدسية) أو (موعظة المؤمنين) أو من (تنوير القلوب).

درس النساء:

أما درس النساء فلم يُوَكِّل السيد النبهان ﷺ به أحدًا كما في تسجيلات له.

قال السيد النبهان ﷺ: «هل أنا أريد أحدًا يدرس النساء بحلب؟! لا أريد؛ لأنني أخاف عليه لا أخاف منه، قلت للشيخ أديب -يريد أن يُدَرس- قلت: اقرأ لكن دائمًا خائف عليك لا خائف منك، خائف أن يتوجه قلبه لامرأة تأخذ قلبك، أنا قلبي لا أحد يأخذه، أخاف عليكم كلكم».

اسألوه:

الشيخ أديب كان مصدر ثقة عند السيد النبهان قال ﷺ لبعض أصحابه: «إذا سألتم الشيخ أديب فحطوا أرجلكم في ماء بارد» أي اطمئنوا لفتواه.

قال لسيدنا أحد أصحابه: سيدي بعد عمر طويل إذا انتقلت فمن أسأل؟ قال: اسأل الشيخ أديب.

قال عنه سيدنا ﷺ: «الشيخ أديب أديب».

حلقة الذكر:

وكان يوكل إليه سيدنا النبهان إدارة حلقة الذكر إذا لم يكن موجودًا.

سئل سيدنا ﷺ: سيدي إذا لم تكن موجودًا في الذكر فمن يدير الحلقة فقال: الشيخ محمد أديب حسون فإن لم يكن موجودًا فالشيخ محمد لطفي فإن لم يكن موجودًا فالشيخ علايا.

أسفاره مع السيد النبهان:

صحب الشيخ أديب السيد النبهان داخل سورية وخارجها، فكان معه في رحلة العراق والكويت وتركية ولبنان، وكان معه في زيارات عديدة إلى دمشق والقرى والأرياف كقرية الجابرية وغيرها.

حجه:

قال -رحمه الله تعالى-: في عام ١٣٨٤هـأمرني السيد النبهان بالحج، فامتثلت أمره وكانت أول حجة حججتها، وتمم فضله وبركته علي، وقد أرسلت له رسالة من مكة مؤثرة تفيض بالمعاني الروحية، ولما رجعت من الحجاز لأسلم عليه وذلك قبل أن أدخل بيتي وهذا هو الأدب فبشرني قائلًا: في السنة القادمة سنكون في الحج جميعًا إن شاء الله. وهكذا كان فكان معه في رحلة الحج عام ١٣٨٥هـويوكل إليه تعليم الحجاج شعائر الحج وما يحتاجون إليه من أمور شرعية، ومن هذه الدروس ماهو مسجل، وكان مسؤولًا على إحدى الناقلات طوال الرحلة.

إجازة بإرشاد الناس وإدارة حلقة الذكر:

كتب الشيخ عبد الباسط أبو النصر[1] -رحمه الله- إجازة بطريقة السادة النقشبندية للشيخ محمد أديب حسون وأتى بها إلى السيد النبهان ﷺ فوافق ووقع عليها.

---

(١) الشيخ عبد الباسط أبو النصر (١٣٣٠هـ-١٤٠٢هـ): شيخ الطريقة النقشبندية بعد والده، ولد في

هذا وقد فهم بعضهم خطأ من خلال هذه الإجازة أن السيد النبهان جعل الشيخ أديب خليفته وهذا أمر أنكره الشيخ محمد أديب حسون -رحمه الله- فضلًا عن تبيين السيد النبهان أنه لم يُخَلِّف أحدًا واللهُ يضعُ أمرَه حيثما شاء.

حدثني الشيخ عثمان عمر المحمد قال: زرت شيخنا الشيخ أديب -رحمه الله- فسألته عن قضية الخلافة فقال: «يا ابني أنا ما صرت تلميذًا صادقًا عند السيد النبهان حتى أكون خليفته، سيدنا لم يخلّفني».

قال السيد النبهان ﵁: «أنا ما أعطيت ثقة لأحد، لا من الرجال ولا من النساء حتى يبقى ببالكم! لا يأتي أحد ويرجع يكذب عليكم يقول لكم: الشيخ أعطى».

والثقة التي قصدها هنا السيد النبهان هي الخلافة، لا مجرد إذن بتدريس أو وعظ أو إدارة ذكر فذلك موجود.

مناجاة:

مناجاة له -رحمه الله -يخاطب فيها شيخه السيد النبهان ﵁: يا رعى الله ذلك الوجه الصبوح، يا رضوان الله على ذلك القلب السمح الكبير. آه يا مجالس الخير والبر! آه يا مجالس المذاكرة والنور!

آه يا سيدي: لقد تركت قلوبًا حيرى والهة لا تقنع بعد وجهك، ولا يملأ قلوبها بعد نورك نور.

إي وربي! إن المنصفين قليلون.

حمص، ونشأ في حجر والده المربي الشيخ محمد أبو النصر وأخذ عنه العلوم، ثم انتسب إلى مدرسة الخسروية حتى أنهى دراسته فيها عام ١٣٥٣هـ، له دروس ومجالس ذكر في جامع (أبي ذر) وجامع (العثمانية)، توفي في حلب، ودفن في مقبرة الصالحين. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٣٤١).

سيدي لا أقدر أن اخاطبك بكنيتك أبي أحمد فالصغير لا يليق به أن يخاطب الكبير بغير سيدي.

أقول سيدي وأُقِرُّ وأعترف بفضل تربيتك وبحسن توجيهك وإخلاصك لله في سائر ميادين حياتك. طبت حيًّا وطابت آثارك.

سيدي لقد فقدنا فيك المربي الكامل، والمرشد العظيم، جزاك الله عنا خير ما جزى مرشدًا كاملًا عن إخوانه وأحبابه.

سيدي يطيب لي أن أناجي روحك الخفاقة فوق هاماتنا.

يطيب لي أن أناجي روحك الشفافة، وطيفك الحبيب حيث أرى مثالك البسام الفياض باللطف حيث أرى في وجهك الحبيب آثار الحب لله، والخشية منه، آثار المراقبة. ما أحلى بسماتك المليئة بالفيض والنور!

ماذا أعبر؟ غيض من فيض. سيدي طبت وطابت أقوالك وأفعالك وحياتك كلها. والسلام عليك كلما حنّ حبيب إلى حبيب وكلما غرد على فنن عندليب.

تلقين السيد النبهان رضي الله عنه:

الشيخ محمد الشامي هو الذي نعى سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه على مئذنة الكلتاوية، وكان الشيخ محمد أديب حسون هو الذي شارك في تغسيل السيد النبهان ثم صلى عليه ولَقَّنَهُ التلقين المعروف.

كلمة للشيخ محمد أديب حسون في تأبين السيد النبهان رضي الله عنه:

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة ١٥٦) ونحن نقول: إنّا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللّهُمَّ أجرنا في مصيبتنا يا رب، وأخلف علينا من عبادك الصالحين ما يقوم مقام عبدك الذي أخذته إليك وأحَبكَ طيلة حياته.

والذي كان لا يدع أن يقول: «إني لا أحب أحدًا أكثر من ربي ومن رسولنا».

يا سادة: إنما يُعرف الإنسان بآثاره، وسيدنا الذي هو أمامكم رجع إلى ربه، ونرجو من الله تعالى أن يكون راضيًا مرضيًّا.

الذي عرفه منذ صغره وشبابه منذ أن كنا في زمن شيخنا أبي النصر -رحمة الله عليه ورضوان الله عنه- كان هو ﵁ المريد الأول عند شيخنا أبي النصر -رحمه الله-، وكان إخوانه كلهم ينظرون إليه بنظرة الاحترام والتكريم والتعظيم لما يرون من نظر الشيخ إليه ذلك النظر الحسن.

ولقد منّ الله عليه فيما سمعنا مرارًا وسمعتم جميعًا أن الله تبارك وتعالى مَنَّ عليه بالحب الكامل لرسول الله ﷺ حتى كان لا يفارقه في يقظته ولا في سائر أحواله حينما كان ملتهب القلب بمحبته ﷺ.

وكان حين يجلس أمام الشيخ -رحمه الله- يقول الشيخ أبو النصر لأبي حسن المنشد -رحمه الله-: أنشدنا يا أبا حسن:

أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي ... يضرُّكم لو كان عندكم الكُل[١]

فكان لا يتمم هذا البيت حتى يؤخذ عن الشيخ الذي هو أمامنا -رحمه الله ورضي عنه- فتأخذ السيد النبهان غيبوبة تامة برسول الله ﷺ، فلا يصحو إلا بعد ساعات فيحدث عن نفسه أين كان.

---

(١) البيت لسيدي ابن الفارض، أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، من حماة في سورية، وتوفي في مصر (٦٣٢هـ).
وانظر «ديوان ابن الفارض» (٩٣). مطبعة مصطفى بابي الحلبي.
وهذا البيت من قصيدة مطلعها:
هو الحُبُّ فاسلَمْ بالحشا ما الهوى سَهْلُ ... فما اختارَهُ مُضْنًى به ولَهُ عَقْلُ

وحينما ترعرع وتقدّم كان مربيًّا للمريدين.

وإن شيوخ الإرشاد رضي الله عنهم لهم علامات، وعلامات، ومن أعظمها وأكبرها: أنهم يُسيّرون كل مريد على حسب حاله، ويعرفون كيف اتجاهه، وهكذا كان سيره -رحمه الله ورضي عنه- مع جميع من حوله، فكان يُسَيّر كل إنسان بما يناسبه ويعرف الخواطر حينما تذكر له خاطرة كيفما كان وإذ به يبادرك بأن هذا من الشيطان أو من الرحمن أو ملكي أو ربّاني، وهذه المعرفة من أبرز صفات شيوخ التربية.

ولقد صحبناه رضي الله عنه بعد فقدنا لشيخنا أبي النصر -رحمه الله ورضي عنه- مدةً طويلة، وسمعنا منه أنه كان يقول: «لي خمسون سنة وما فعلت خلاف الأولى، بل ما خطر على بالي أن أفعل خلاف الأولى أبدًا». والله إنها منقبة كبرى.

ومن آثاره رضي الله عنه ما نحن الآن جالسون فيه هذه المدارس، هذه المدرسة التي تُقَرّ بها عيون المؤمنين التي تجمع نحو مئتي طالب علم، ويتخرج فيها كل سنة طلاب يقرّون عيون المؤمنين في هيئتهم وفَهمهم وعلمهم، وكلهم يلتحقون بالأزهر ويأخذون العلامات الحسنى الجيّدة.

كما أن المدرسة الثانية لتنشئة البنات تنشئة دينية، ولتعليمهنّ تعليمًا مهنيًّا مع علمهنّ الديني يكون له أكبر الاثر ومن أفضل الحسنات لدى العوائل الفقيرة.

وعند جمعية النهضة الإسلامية التي غرسها بيده، وسقاها بنصائحه، وربّاها بتوجيهه، ودفع بأعضائها بهمته وتوجيهه لهي من أحسن الجمعيات التي تخدم الفقراء والمساكين من جهة أنها تصرف وتعول قريبًا من ألف عائلة كما أنها تعول هاتين المدرستين العظيمتين، إن هذا الأثر له أثر كبير عند الله، عز وجل.

وزد على ذلك ما سمعته منه يقول: «إن هنالك عوائل كبرى وكثيرة لا تعرفونها ولا تعرفها النهضة ستُذكَر بعد مماتي وسَيُعلَمُ الفضل بعد انتقالي».

إن الذي يصاحب الشيخ وصَحِبَه بإخلاص لا بدّ أن يُجِلَّهُ كل الإجلال.

إنه العالم الشجاع الذي قاوم الكل بكلامه القوي.

إنه الذي لا يخشى في الله لومة لائم.

إنه الذي كان يبعث الوفود إلى أن ذهب الاستعمار الفرنسي، إلى اليوم يبعث بالوفود ويُمَوّلها إن اقتضى ذلك ليدافع عن الإسلام، وكان في خدمة الإسلام وفي خدمة المسلمين. فاز بها من فاز، وربح بها من ربح.

وعلى كل ما سيذكره الناس بعد وما سيظهر بعد أكثر مما سمعتم.

لذلك أُعزّي المسلمين جميعًا بهذا المصاب، ونقول: إنا لله وإنّا إليه راجعون.

اللّٰهُمَّ اجعل لنا في علمائنا وفي طلابنا وإخواننا المؤمنين ما يقوم لنا بدل هذه الخسارة. إنك سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

وفاته:

توفي الشيخ العلامة محمد أديب حسون عن عمر يناهز ثلاثة وتسعين عامًا وكان ذلك بحلب مساء يوم الاثنين ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٣ حزيران ٢٠٠٨م، وصُلي عليه ودُفن في جامع أسامة بن زيد.

مصادر الترجمة:

- كتاب «آلاء الرحمن على العارف النبهان» للشيخ محمد أديب حسون.
- كتاب «علماء حلب في القرن الرابع عشر».
- دروس ومذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لدي.
- دروس الشيخ علاء الدين علايا المسجلة.
- الدكتور محمود فجال، والدكتور عثمان عمر المحمد، والدكتور عبد الله الحسن، والدكتور محمود حوت، مراسلة كتابية.
- تسجيلات جامع الكلتاوية.

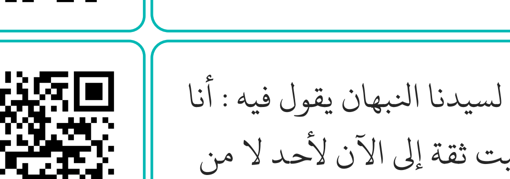
ملفات مسموعة:

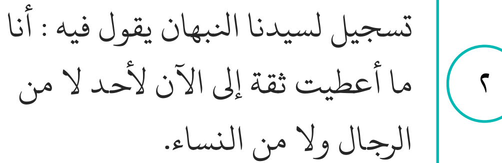
لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

١ تسجيل لسيدنا النبهان يتحدث عن تدريس النساء.



٢ تسجيل لسيدنا النبهان يقول فيه : أنا ما أعطيت ثقة إلى الآن لأحد لا من الرجال ولا من النساء.





٣ كلمة للشيخ أديب عن السيد النبهان.



٤ تلقينه سيدنا قبل الدفن.



٥ تأبين الشيخ أديب للشيخ محمد حوت.



(٥٣) الشيخ محمد بشير حداد

١٣٢٧ - ١٤١٢هـ/ ١٩٠٩ - ١٩٩٢م



العالم الحافظ، المتقن، المقرئ، إمام جامع الكلتاوية وخطيبها الأول، هو الشيخ محمد بشير ابن الشيخ أحمد حداد الحلبي، واشتهر ب«الشيخ بشير».

نسبه ومولده:

ولد في حلب عام ١٩٠٩م. حدث ولده الشيخ عبد المحسن ابن الشيخ بشير حداد أن أصلهم من مصر من بيت العَلَمي من آل بيت النبي ﷺ.

نشأته: نشأ في حلب يتيمًا فقد توفي والده وعمره أربع سنوات، فرعاه شقيقه الأكبر محمد علي الذي كان يعمل مؤذنًا لجامع الحدادين بحلب ومختارًا في محلة الشميصاتية لعشرات السنين، وحرص على تعليمه القرآن الكريم فسجله في مدرسة الحفاظ في حلب، فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد بيازيد وعمره لم يتجاوز الخامسة عشرة.

أولاده:

الشيخ محمد عبد المحسن، والشيخ أحمد مهدي، والشيخ محمد منير، وسعد الدين، وبنتان.

دراسته وشيوخه:

ثم التحق بمدرسة الحلَوية بحلب، وبقي فيها بضع سنوات.

ثم قرأ على الشيخ العلامة أحمد الكردي في جامع العثمانية حاشية ابن عابدين، كما قرأ حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح على الشيخ محمد الناشد في جامع الحدادين، وقرأ على الشيخ شريف كردي كتاب «ملتقى الأبحر» مع شرحه كتاب «مجمع الأنهر ملتقى الأبحر» مدة عشر سنوات في منزله.

ومن شيوخه أيضًا:

الشيخ محمد سعيد الإدلبي، ودرس عليه قطر الندى، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ محمد خير عقيل، وتلقى عليه الفقه الشافعي حيث قرأ عليه «حاشية الباجوري على ابن قاسم» في دكانه في سوق الزهر في محلة باب الحديد، والشيخ محمد سليمان حيث تلقى عنه الفقه الشافعي، والشيخ علي العالم الكيالي الطيار ودرس عليه الفقه الحنفي في المدرسة العثمانية، والشيح محمود العلبي ودرس عليه الفقه الحنفي.

وكان هو والشيخ عبد الله الريحاوي، والشيخ عبد القادر الكوراني، يتدارسون العلم على الشيخ محمد أسعد العبجي في جامع العثمانية لعدة سنوات.

وقرأ القرآن على الشيخ أحمد أبو تيج، والشيخ أحمد أبو تيج له سند لكن الشيخ بشير لم يكن يدري عن شيخه أن له سندًا إلا بعد وفاة الشيخ أحمد أبو تيج بعشرات السنين.

قال تلميذه الدكتور عثمان عمر المحمد: «بشرني بهذه البشارة في المدينة المنورة فقال: الحمد لله أنَّ أستاذي في القرآن له سند متصل وإجازة، فكل من قرأ عليّ أخذ بسند متصل».

عمله:

تسلّم إمامة مسجد الكلتاوية وهو في السادسة عشرة من عمره، وكان مسجدًا صغيرًا مكونًا من مصلى وغرفة فقط وسط مقبرة الكلتاوية، وبقي فيه إمامًا للصلوات الجهرية ما يقرب من خمسين سنة، وإمامًا لصلاتي الظهر والعصر في جامع بان قوسا سنوات عديدة.

حدث الشيخ بشير حداد -رحمه الله تعالى- عن قدوم السيد النبهان إلى الكلتاوية فقال كما جاء في كتاب «السيد النبهان»[1]:

بينما كنت في الكلتاوية إذ أقبل رجل في الثلاثين من عمره يبحث عن إقامة له فيها، وليس معه إلا حزمة كتب وحصير عتيق، وكانت هناك غرفة طين صغيرة فاستقر بها، ديدنه العلم والذكر، لا يختلط بالناس، ولا يسمح لأحد بالدخول عليه إلا نادرًا، طعامه قليل، ولباسه بسيط، لكنه نظيف، فمذ نظرته أخذ قلبي ووقع فيه أنّه من الأكابر، كان رضي الله عنه ينظر إلى ساحة المسجد ويقول: «إني لأرى هناك مدرسة دينية وطلبة علم بعمائم بيضاء، فهل ترى مثل ما أرى؟».

ثم بعد ذلك هدم السيد النبهان المسجد القديم وبنى مسجدًا آخر كبيرًا مكانه، وهو المسجد الحالي وبضعة غرف؛ لتكون نواة لمدرسة شرعية، وتسلم الشيخ محمد بشير تدريس القرآن الكريم في مدرسة الكلتاوية طوال إقامته في حلب، من افتتاح المدرسة عام ١٩٦٤ م إلى ١٩٨٠م، وكان يُدَرّس القرآن كذلك في المسجد من بعد صلاة العصر حتى العشاء.

وعُين خطيبًا في جامع الكلتاوية عدة سنوات، فهو أول من خطب بين يدي السيد النبهان باعتباره الإمام والخطيب الراتب في جامع الكلتاوية في عهد المسجد

---

(١) انظر كتاب «السيد النبهان» ط٣. (١:٨٥).

القديم ثم الجديد، وكانت خطبه مكتوبة على الورق -رحمه الله تعالى- ثم خلفه ابنه الشيخ منير، رحمه الله.

وخطب الشيخ بشير كذلك في جامع الفردوس، ثم في جامع المدرسة الشعبانية، ثم في جامع الترمذي في جُبّ القُبّة، كما أنشأ مكتبًا لتحفيظ القرآن الكريم في جامع الحدادين وغيره سنين طويلة.

مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ:

قال عنه سيدنا الكريم: «الشيخ بشير قطبنا في القرآن، الشيخ بشير ما صبأ ولا يعرف الصبأ».

يقول الشيخ حامد صخي: «هذه العبارة قالها سيدنا بحضور جمع في الكلتاوية كان منهم الشيخ أيوب الفياض -رحمه الله- وكنت معهم، وقال سيدنا: يا شيخ أيوب خذ الشيخ بشير يعرّف بي، وكان الشيخ بشير يكررها دائمًا عند مجيئه في سفرته الأولى إلى الفلوجة، وهذه شهادة عظيمة من سيدنا للشيخ بشير أنه لم يعرف غير سيده ولم يملأ قلبه سواه.

كان الشيخ بشير حداد -رحمه الله- يصف سيدنا الكريم فيقول: «هُوَ الجامع المانع» ويكرّر قوله: «واللهِ حَيّرَني أخذَ قلبي» يعني سيدنا الكريم ﷺ.

حضر الشيخ محمد بشير حداد مشاهد عديدة مع السيد النبهان، ومن أهمها: أنه حج مع سيدنا عام ١٩٦٥م، وكذلك تشرف بغسل السيد النبهان في الكلتاوية عند انتقاله ﷺ.

سفرة الشيخ بشير الأولى إلى العراق:

كتب لي تلميذه الشيخ حامد صخي: «طلبَ الشيخ أيوب الفياض من سيدنا الكريم ﷺ أن يُرسل الشيخ بشير -رحمه الله- معنا إلى الفلوجة ليعلّم إخواننا

القرآن وأصول التجويد، فوافق سيدنا على طلب الشيخ أيوب. كدنا أنْ نطير فرحًا وسرورًا، وأمّا الشيخ بشير مع عظيم سروره فلا يريد أن يفارق الكلتاوية فقال له سيدنا: «أنا آمرك أن تذهب اذهب عَرّفْ بي» وقبل سفرنا جاء سيدُنا الكريم بعد صلاة العصر، وجلس في حجرة سيدنا أبي فاروق على الكرسي والشاي مع الليمون على الطاولة يشرب منه ويُحدّثنا فقال للشيخ أيوب: «خُذْ معك الشيخ بشير شهرين، سنة أكثر».

الشيخ بشير كان جالسًا يستمع ووجهه يتهلّل نورًا فقال سيدنا الكريم ﵁: «الشيخ بشير ما صبأ، ولا يعرف الصبأ» فنظرتُ إلى الشيخ بشير والدموع تسيل على خديه ثم قال سيّدنا للشيخ أيوب: يا الله قُلْ. (أي أنشد) فأنشد وكنا نردّد وراءه وسيدنا يشاركنا.

واللهِ إنّ العيدَ وأيام الجنة لهي نفحة من تلك اللحظات المباركة، وإنّنا في شوق لتلك الأيام العامرة بالله.

وبعد صلاة الفجر في جامع الكلتاوية خرجنا إلى السيارة التي كانت بانتظارنا لتنطلق إلى دمشق الشام، وإذا بسيّدنا الكريم يخرج معنا إلى السيارة يودّعنا فقال للشيخ أيوب: «وَصّي أمك ادير بالها على الشيخ بشير». الله الله هناك سِرّ لم نفْهَمْهُ، والدة الشيخ أيوب الحاجة مريم كريم لم تَرَ الرجال ولم يروْها إنّها حرم الحاج محمد الفياض الغيور الذي يستمد صلاحه وغيرتَهُ من سيدنا، بقي الشيخ أيوب يردّد الوصية لي لعلّه يفهم بعض معانيها ثم قال: في الوقت الذي منح الشيخ بشير خصوصية واهتمامًا وعناية تَفَضّل على والدتي بالذكر والخدمة والولاية.

تحركت السيارة وإخواننا حولها يودعوننا كان في صدرها عند السائق الشيخ بشير والأخ الشيخ محمود علي داود البعقوبي، وخلفهم الشيخ أيوب وراء الشيخ بشير على اليمين، وأنا الفقير حامد في الوسط، ومعنا الرجل الأفغاني وراء السائق، وهذا الرجل كان معتكفًا في الكلتاوية وانتهت صلاحية جواز سفره ولا توجد سفارة

أفغانية في سورية فأرسله سيدنا الكريم معنا وأوصانا به أن نجدّد جواز سفره وقال سيدنا: «ديروا بالكم عليه». وتم القيام بهذه الوصية.

وصلنا دمشق فَقَرّر الشيخ أيوب أن نرتاح ليلة في فندق البحرين عند ساحة المرجة، وفي الصباح اتصل بمطعم سحلول، وطلب كلّ أنواع الطعام للفطور مائدة ملكية، يقول لي: هذه كلّها من أجل سيدنا كيف لا أكرم رسوله؟! وبعد الفطور انطلقت بنا سيارة أجرة مرسيدس وكلّما مرَرْنا بقرية أو بلدة يقرأ الشيخ بشير الفاتحة ويقول: «أشُمّ لكل قرية رائحة لا تشبه الأخرى، في كلّ قرية وليّ من أولياء الله». وصلنا الفلوجة، واستقرّ الشيخ بشير في بيت الشيخ أيوب الذي كان سكنًا لسيدنا عند زيارته الثانية للعراق، وقد قال: «الفلوجة دار هجرتي» هناك في الفلوجة أسرار ومَدَدُ سيدنا محمد النبهان وأنوارُهُ تَجَلّتْ على الشيخ بشير فأفادَ واستفاد، حكاية رحلته هذه لها من العجائب والأسرار ما يعجز اللسانُ عن وصفه والقلمُ عن رسمه، حتى قال الشيخ أيوب: «لقد تَعَلّمتُ وأفدت من الشيخ بشير كثيرًا وكأنّ سيدنا أرسله معي ليعلّمني اللطف والتواضع والكمالات، إنّ الشيخ بشير لطيف الجسم والاسم إنّه ألطف من اللطف».

عودته من العراق إلى الكلتاوية:

بعد شهرين ستين يومًا بالتمام والكمال التزامًا بأمر سيدنا قضاها الشيخ بشير بيننا، اجتمعنا لوداعه في جامع الصديق بالفلوجة، وألقيت الكلمات، وكان يومًا مشهودًا ووداعًا يليق بمقام سيدنا الكريم رضي الله عنه.

وألقى الشيخ الدكتور عيادة أيوب كلمة رائعة أبكت الجميع قال فيها: أبلغ سيدنا محمد النبهان بأننا معه فَوَاللّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون.

وصل الشيخ بشير إلى كلتاوية المعرفة والكمال، فالتقى بسيدنا وولِيّ نعمتنا يحكي لحضرته الشريفة أيامَ رحلته وما وجده من تعظيم وإكرام لِيُبلغه أنّ إخواننا في العراق كلّهم شوقٌ لزيارتكم الثالثة، وقد وجدتُهم رجالًا صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه، يستمع المُرّبي الكبير ووجهه يتهلّل سُرورًا وبنور وجهه نستزيد تُقانا.

بعد عودة الشيخ بشير -رحمه الله- زرنا الكلتاوية بمعيّة الشيخ أيوب فرأيتُ الشيخ بشير يريد أنْ يُكافئ الشيخ أيوب على ضيافته وخدمته له بكلّ ما أمكن حسًا ومعنًى، يتودّد إليه تودّد الأب الحنون والأخ الكبير الصدوق، لا يفارقه، يدعونا إلى بيته ليلًا أو على الفطور، ويحدثنا عن أيامه التي قضاها في العراق ويقول: «وَجَدْتُ أهل العراق أهل فطرة واعتقاد سليم فِطْرَةَ اللّهِ الّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا» فقال له الشيخ أيوب: سأطلب من سيدنا تروح معنا سنة كاملة، صلينا الظهر في جامع الكلتاوية وكان الإمام الشيخ بشير وبعد الصلاة خرج الجميع من الحرم بقيتُ أنا والشيخ أيوب والشيخ بشير، أسندَ الشيخ بشير ظهره على جدار المسجد يسار المحراب الجهة المجاورة لمكان الوضوء، كان بيده كتاب (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني -رحمه الله- فأهداهُ للشيخ أيوب، وقال له: هذا لكَ وكُلّي لكَ، كنتُ مُسْتمعًا فنظرَ لي الشيخ أيوب ثم أعطاني الكتاب، وقال: خُذْهُ هذا لك وكُلّي لكَ، استغربَ الشيخ بشير من تصرّف الشيخ أيوب منبهرًا في حيرة دون أنْ يتكلّم، لم يكن عندي تَطَلّع أو استشراف ولكن أعلمُ مكانتي عند الشيخ أيوب في قلبه وهذا فضل الله، فأرادَ الشيخ أيوب أنْ يقول لا فرقَ بيني وبين حامد، أو بمعنى آخر أرادَ أنْ يقول: كلّنا تحت عباءة الوارث المحمدي سيدنا محمد النبهان، قُدّس سِرّه العزيز.

كانت مجالس الشيخ بشير عامرةً بذكر الله، فكم سمعته يكرّر في مجالسه قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما يصعد على الصفا ويمسك بلسانه ويقول: «يا لسان! قل خيرًا تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم من قبل أن تندم».

سمعتُ الشيخ بشير حداد -رحمه الله- يقول: لا بد من التلقي، تأخذ القرآن ممّن ارتبط بالسلسة المُحمّديّة ليسري فيك ذلك النَّفَس الرّباني، سيّدُنا رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين مع ذلك كان شيخُهُ في القرآن سيدنا جِبْرِيل -عليه السلام- تعليمًا لنا بالالتحاق بالسلسة المباركة والنّفَس الرّباني، قال تعالى: ﴿وإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: ٦). إذن لا بد من التلقي لا بد من نَفَس المرجع لتعمّ البركة والأنوار، وختم الشيخ بشير قولَهُ: لقد أنعم اللهُ عليّ بتعليم القرآن ومدارسته وأحسبُ أنّ ثلاثة الآف حفظوا القرآن المجيد على يدي، وهذا بعد فضل الله تعالى هو مدد سيدي محمد النبهان لي وأنْفاسه معي، ثم يقول: «خَيّوُ واللهِ حَيّرني أخذ كُلّي».

ومن دعاء الشيخ بشير -رحمه الله-: «اللّهُمَّ سَلّمْنا، وَسَلّمْ بنا، ولا تَنْزع عند الموت إيمانَنا عنا، وتَوفّنا على أحْسن حالة تُرْضيك عنا».



الوداع الأخير للشيخ بشير حداد في الفلوجة بحضور جمع من العلماء

السفرة الثانية:

سمعتُ عن سيدنا الكريم ﷺ أنه قال: «الفلوجة دار هجرتي» فكان من تلك الإشارات هجرة الشيخ الفاضل بشير الحداد -رحمه الله تعالى- إليها ومكوثه ثمانية أعوام مباركة، وكنتُ أسمعه يتلو كثيرًا قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء ١٠٠) جاءنا فضيلة الشيخ بشير الحداد -رحمه الله- مُهاجرًا أيام الفتنة في سورية، وتشرفنا بخدمته ثمانية أعوام يُتْحفنا بعلومه وفهومه.

كان الشيخ بشير -رحمه الله- يُعلِّمنا القرآن فإذا ختم يدعو ويقول: كانَ أحد الأولياء ذكر اسمه ولم يحضرني إذا ختمَ القرآن يدعو: «اللّٰهُمَّ لا تَفْتِنّي» سبعين مرة.

كنّا عند الحاج محمد السروان -رحمه الله- بالخالدية على وجبة عَشاء فلّما عُدْنا ليلًا بسيارة الشيخ أيوب -رحمه الله-، قال الشيخ بشير:

هَيّا بِنا لِنَصْطلح فبابُ الرضا قد فُتِح، ثم أَنْشد:

جُرْحُ قلبي مِنَ الهوى ليس يَبْرى ... كيف يبرى وداخلُ القلب جَمْرا
كَتَبَ الهوى على خديك سطرا ... بيّنًا واضحًا لمن كان يقـــرا
لو قَرَاه محبٌّ صـــار باكٍ ... وبل الثياب من الدَّمع قَطْرا
وإذا مِتُّ فاحفروا لي قَبْـــرا ... عند قبر الحبيب ولو كان شِبْرا
واكتبوا مِنْ دَمي على لَوْحِ قَبْري ... رَحِمَ الله عاشقًا مات صَبْـــرا

فأحَبّها الشيخ أيوب -رحمه الله- وحفظها عن ظهر قلب، ودائمًا كان يَتَغّنى بها.

كان الحاج عبد الله الحديد -رحمه الله- في باحة الجامع الكبير عند سياج المسجد الذي على نهر الفرات يذكر الله ويتفكّر وإذا برجلٍ غريب يأتي إليه سلّمَ عليه، وبدأ يسأله، وكلّما أجابه قال: صحيح. رآهما أخونا الشيخ عبد الله عبد العزيز فَتَقدّم وسلّم عليهما فقال الرجل: كيف حال والدك إنّه رجل صالح، ثم

ذهب الرجل قال الحاج عبد الله حديد للشيخ عبد الله عبدالعزيز: يظهر أنك تعرف الرجل؟ فقال لا، أول مرة أراهُ قال الحاج عبد الله حديد: وأنا اول مرة أراه لكن الغريب يسألني فإذا أجبتُهُ قال لي: صحيح، كان الشيخ بشير في حجرته فذهبا إليه وحدثاه بما جرى، فقال لهما: لا تشغلوا أنفسكم هذا رجل من عباد الله، فأقْسما عليه بالله من يكون؟ فقال لهما: هذا سيدنا الخضر عليه السلام جاء للسلام عليّ كان عندي الآن.

«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» لقد خَصّ اللهُ تعالى الشيخَ بشير بهذه الخيريّة، كان في الفلوجة رجلٌ يعمل خياطًا وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب اسمه (خضر العيساوي) يحب القرآن فطلب من الشيخ بشير أنْ يُعَلّمه القرآن، فلازم الشيخ بشير مدة وجوده في جامع الفلوجة الكبير حتى تعلّم القرآن بل حفظه كلّه عن ظهر قلب وأصبح معلّمًا للقرآن، هذا مثال من آثار بركة سيدنا محمد النبهان قدس سره على الشيخ بشير تحقيقًا لقوله: «الشيخ بشير قطبنا في القرآن»[١].

كان يردد -رحمه الله- كثيرًا هذا الدعاء: «اللّٰهُمَّ تقبل منا واقبلنا وتوفنا على أحسن حالة ترضيك عنا»

ولسفرة الشيخ بشير ذكريات عند العراقيين لا تنسى.

كتب لي الدكتور أحمد الجنابي: نعم لقد عشنا مع الشيخ بشير -رحمه الله- سنوات عديدة كانت أيامًا نورانية، إذا جلسنا حوله لا يسمح لنا أن نتكلم بشيء إلا بالسيد النبهان أو نقرأ القرآن، وإذا ذكر سيدنا النبهان امتلأت عيناه بالدموع فليس عنده إلا السيد، فرحمه الله من مُعلِّم ومُوجه، وجزاه الله خيرًا.

ويتحدث تلميذه الأستاذ صلاح مخلف فيقول: «حين تَشَرَّفَت الفلوجة بقدوم الشيخ بشير -رحمه الله تعالى- كان أحباب سيدنا لقاءاتهم قليلة، وكانت حلقة

---

(١) انتهى ما كتبه تلميذه الشيخ حامد صخي.

الذكر لا يحضرها إلا القليل، وما أن تشرف الجامع الكبير بهذا الوجه النبهاني المبارك إلا وكأن مناديًا ينادي: يا خيل الله ارجعي، فبدأت حياة جديدة في الجامع، فحلقة الذكر بدأت تغص بالحضور، والجامع امتلأ بالشباب يتلقون القرآن الكريم، وصار الجامع الكبير في أوج نشاطه وروحانيته.

بعد قدوم الشيخ بشير -رحمه الله- بحوالي شهرين نشبت الحرب بين العراق وإيران فكان حال الناس بكرب وشدة وضيق، وأكثر إخواننا بجبهات القتال فكانوا عند إجازتهم يأتون للجامع الكبير، ويجالسون الشيخ بشير -رحمه الله- ويخفف كثيرًا عن معاناتهم وكربهم.

كان مجلسه مجلس علم وتلاوة القرآن، لا قيل ولا قال، وكانت مجالستي له ثمان سنوات لم يذكر أحدًا بسوء، أو تفوه بكلمة سيئة، رحمه الله.

كان يتحدث عن سيدنا ﷺ والدموع تسيل على وجنتيه.

أحبه أهل الفلوجة حبًّا كبيرًا لما رأوا منه مِنْ رحمة وخُلُق نبيل، يحتضننا كالأب ويتفقَّدنا إذا غبنا، يفرح لفرحنا، ويحزن لحزننا.

من كراماته: -وكله كرامة- ما ذكره لي الأخ الشيخ عبد الله عبد العزيز قال: كنت عند الشيخ بشير في ساعة متأخرة من ليالي الشتاء استأذنت الشيخ للذهاب إلى البيت الذي كان بعيدًا ولا توجد سيارات أجرة في هذا الوقت، لكن الشيخ بشير قال لي: اجلس فسوف يهيئ الله لك من يوصلك للبيت. بعد قليل طُرِقَ بابُ الجامع، فقال لي الشيخ بشير: قم افتح الباب، فتحت الباب وإذ الشابان عبد الواحد جاسم الفياض وعبد اللطيف أيوب الفياض وكانا يتحاوران بينهما، عبد الواحد يقول: الشيخ بشير عالم وليس بولي، عبد اللطيف يقول: الشيخ بشير عالم وولي، دخلوا جميعًا لغرفة الشيخ، والتفت الشيخ بشير للشيخ عبد الله وقال له: أما قلت لك اصبر يهيِّئ الله لك من يوصلك حتى يعرف عبد الواحد أني ولي.

فمن مدحه الحبيب كيف لا يكون وليًّا؟».

ويروي لنا تلميذه الشيخ عبد الله القيسي فيقول: حينما كنت إمامًا في الجامع الكبير، كان أحد المصلين في الجامع معلمًا واسمه وليد، حدثني مرة قال: كنت أنكر في قلبي على الشيخ بشير -رحمه الله تعالى-، وأقول في نفسي: هذا رجل كبير السن لو يرجع إلى أهله في سورية، ويكون عند زوجته تخدمه لكان خيرًا له، وكنت لا أرتاح له، وفي يوم من الأيام أردت الدخول إلى حَرَمِ المسجد للصلاة ووافق أن كنت قريبًا من الشيخ بشير عند باب الحرم وقال لي: «خيّو ما بدنا نتصالح» وقلت في نفسي: أنا لا أرتاح له وهو يتحارش بي.

ومرت أيام وبعدها رأيته في رؤيا في المنام، وإذا به يأتي إلى داري ومعه سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني -قدس سره-، وهما يتنقلان في البيت من غرفه إلى أخرى، وينظر إلى ويقول: «خيّوه ترى إحنا صوفية» وبعدها ذهبت إلى مكان بيع الأغنام واشتريت خروفًا وذبحته وقلت لأهلي اعملوه لنا غداء. قالوا لمن؟ قلت لرجل إذا جاء يتغدى به، وإذا لم يأت فكلوه أنتم. وذهبت إلى الحاج جميل وقلت: تذهب معي إلى الشيخ بشير لندعوه إلى الغداء لعلاقتك الطيبة معه لعله لا يستجيب لي، وأول ما دخلنا باب غرفته في الجامع التفت إلى أشخاص كانوا جالسين عنده وقال لهم: جاء الذي عمل لنا الغداء، فقلت له: نعم شيخي غداؤك عندي اليوم، ولم أكن أخبرته سابقًا بهذا، ودعوت معه الشيخ خليل الفياض ومعه أناس غيره، وحينما دخل البيت أخذ يتنقل من غرفه إلى أخرى كما عمل في الرؤيا، والتفت إليّ وقال: أخي أنا جئت إلى هنا قبل هذه المرة؟ ويقصد بها الرؤيا. قلت له: نعم شيخي، وأصبح الشيخ بشير بعدها من أحب الناس إلى قلبي.

هذه من بركات الشيخ بشير -رحمه الله تعالى- لشخص من أهل الفلوجة مستمدة من بركات سيدنا النبهان، أمدنا الله ببركاته وأنواره وأسراره.

يقول تلميذه الدكتور عثمان عمر المحمد: «كان شيخنا محمد بشير حداد – رحمه الله- آية في التواضع والصفاء، فطرة خالصة، أكرمني وزارني أكثر من مرة في

بيتي المتواضع، وكنت أزوره في بيت ولد سعده الذي استقر عنده آخر حياته في المدينة المنورة، وإذا تأخرت عن زيارته يتصل بي ويقول: أما اشتقت إليّ؟ آنا آتيك إذا لم تأت. فأسارع في زيارته.

لله دره من أستاذ معلم ومربٍّ! يشع وجهه نورًا، وهمته في قراءة القرآن الكريم لا تفتر لا في ليل ولا نهار، كان يقرأ به في قيامه وقعوده ومشيه، فهو شغله الشاغل، كان صاحب حب وتفانٍ في شيخه سيدنا محمد النبهان ﵁».

قال تلميذه الشيخ علي ناصر الناصر: ما أجمل أستاذنا الشيخ بشير الحداد وقت الفجر وهو يخرج من بيته ليأتي الجامع ويضطجع بين السنة والفرض، وبعد الصلاة يجلس مع رفاقه الحاج فاضل قره بللي[١] والحاج سليم تبان، ويتدارسون فيما بينهم القرآن وأحيانًا كنت أصحبه إلى بيته بيت الكرم وكان يشرب الماء بصحن معدني مكتوب عليه ويقول لي: نحن لا نشرب بالكاس، وكان يضع الطاقية على ركبته ويصنع عمامته. أولئك سلفنا الصالح، رضي الله عنهم وحشرنا معهم في ظل مولانا وسيدنا النبهان قدس الله سره العزيز.

ويقول تلميذه الشيخ مأمون الراوي: كان الشيخ بشير الحداد -رحمه الله- يردد لنا بعد درس القرآن:

كلام قديم لا يُمَـــلُّ سماعُــهُ ... تَنَزَّهَ عن قول وفعل ونيتـــــي

به أشتفي مِنْ كُلِّ داء ونُـــورُهُ ... دليلٌ لقلبي عند جهلي وحيرتي

فيـــا رب متعني بسِرِّ حروفه ... ونور به عقلي وقلبي ومقلتـي

ويوم يصل لقوله: (قلبي) يمسح صدره بيده اليمنى.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٤٨).

وفاته ودفنه:

توفي الشيخ محمد بشير حداد في المدينة المنورة مساء الجمعة ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٣ه الموافق ٢٣ تشرين الأول ١٩٩٢م، وصلي عليه بعد صلاة الظهر يوم السبت في الحرم النبوي الشريف ودفن في جنة البقيع، وبينه وبين وفاة ابنه الشيخ محمد منير ٤ شهور و٢٢ يومًا، رحمهما الله.

مصادر الترجمة:

- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- كتاب «السيد النبهان».
- الشيخ حامد صخي، والدكتور أحمد الجنابي، والشيخ عبد الله القيسي، والدكتور عثمان عمر المحمد، والشيخ صلاح مخلف، والشيخ علي ناصر الناصر، والشيخ محمد جمال شاكر، والشيخ مأمون الراوي، مراسلة كتابية.

ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

ما تيسر من سورة البقرة وآل عمران والنساء بصوت الشيخ محمد بشير حداد.



(٥٤) الحاج محمد تركي

١٣٥١ - ١٤٣٢هـ/ ١٩٣٣ - ٢٠١١م



هو الحاج محمد بن تركي بن سليمان، ينتهي نسبه إلى آل البيت الكرام، فهو من ذرية الشيخ عيسى دفين قرية الشيخ عيسى التي به سميت، والشيخ عيسى من ذرية سيدنا عبد القادر الجيلاني -قُدِّس سرُّه- الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما.

ولادته ونشأته:

ولد الحاج محمد تركي في قرية الشيخ عيسى التابعة لمدينة حلب عام١٩٣٣م.

نشأ -رحمه الله- فيها، وعاش مع أخيه الحاج سليمان تركي وثلاث أخوات حياة بسيطة فقيرة، تحت رعاية والدهم الحاج تركي الذي تربى يتيمًا بين أقربائه.

ابتدأ حياته بتعلم القراءة والكتابة والقرآن في الكُتَّاب في جامع القرية على يد الشيخ علي النايف، وأكمل حياته بعدها مزارعًا ماهرًا متقنًا لعمله.

تزوج -رحمه الله- في السابعة عشرة من عمره، فرزقه الله سبعة أبناء: عبدالقادر، وعبدالرحمن، وعبد الله (تخرج في مدرسة الكلتاوية ١٩٧٩م) وأحمد،

ومحمود، ومحمد وقد أسماه سيدنا ﷺ فقال له الوالد: أنا محمد. فأجاب سيدنا: «وهو محمد بن محمد» وعمر (أيضًا تخرج في مدرسة الكلتاوية عام ٢٠٠٠م) وأربع بنات.

صلته بالعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ:

حدثني ابنه الشيخ عمر قال: حدَّثني والدي فقال: «يا ولدي لقد سبقني جدك الحاج تركي وعمك الحاج سليمان إلى سيدنا ﷺ، وكنت مخلصًا لإمام الجامع الذي كان صاحب طريقة، ويعطينا أورادًا وأذكارًا نجلس عليها كل ليلة، وقد طلب مني جدك وعمك مرارًا أن أرافقهم إلى سيدنا ﷺ فلم أستجب.

وذات يوم قبل فجر الجمعة كنت جالسًا مغمض العينين أذكر كلمة (الله) عشرة آلاف مرة لكن بسرعة حتى لا يكاد السامع أن يفهم ما أقول، فإذا بيدٍ على كتفي، التفتُّ فإذا بشيخ جميل الصورة مشرق الوجه قال: «يا ولدي هيك بتذكر الله! قول: الله الله» قالها بهدوء ولفظ واضح مفهوم، فوالله يا ولدي عندما قالها سمعت كل شيء من حولي يرددها بنفس الصوت واللفظ، فالتفتُّ حولي فلم أرَ أحدًا، عندها قررت الذهاب إلى الكلتاوية، وفي نفس اليوم صباح الجمعة رافقت جدك وعمك إلى الكلتاوية، ووقفنا أمام الحجازية ننتظر قدوم سيدنا ﷺ وعندما أطل علينا فإذا هو الشيخ الذي رأيته ليلًا، تقدمت إليه وبلا شعور أريد تقبيل يديه، فنظر إليَّ وقال: هِيْك بدّك حتى تجي».

ومن يومها لازَمَ -رحمه الله- أعتاب الحضرة النبهانية، وكان عمره بين الخامسة عشر والسابعة عشر عامًا، وبعد انضمامه إلى رحاب الدوحة النبهانية أمره سيدنا النبهان ﷺ بالعمل على آلة الجرّار، فكان ينقل محاصيل سيدنا الزراعية من مكان إلى آخر.

خضوعه للامتحان:

قال -رحمه الله-: «وفي يوم من الأيام كنت متوجهًا إلى حلب بحملٍ من القمح فاستوقفتني امرأة على الطريق، وطلبتْ مرافقتي، وقالت: سرْ بي إلى حيثُ تريد،

وكنت متلثمًا بمنديل، فلم أكلمها وكشفتُ لها عن لحيتي، فتفلَتْ علي وقالت: تريد أن تريني لحيتك؟! فأكملت طريقي وأنا مكسور الخاطر، وذهبت إلى الكلتاوية فلما دخلتُ وجدتُ سيدنا ﵁ يلقي درسًا، وهو يتكلم بقصة سيدنا عبد العزيز الدباغ مع شيخه وكيف تمثَّل له بصورة امرأة ليختبره، ثم أكمل سيدنا ﵁ وقال: أولادي لا تتعجبوا بِتْصِير وممكن هلق تصير مع أي واحد منكم» ثم نظر ﵁ إليّ.

وبعد هذه الحادثة أمرني سيدنا ﵁ أن أنتقل إلى حراثة الأراضي بالقرى.

وبحكم عملي كنت قريبًا من النساء اللاتي يعملن بالأرض، وفي أحد الأيام اضطررت إلى الكلام معهن من بعيد، فقلت: يا أخواتي! سيدنا أمرني بفلاحة الأرض، وأنتن بعملكن تَمنَعنني من ذلك، فإما أن تجمعن حطب القطن بمكان واحد، أو أخرجنه خارج الأرض، وكُنَّ يجمعنه على شكل أكوام صغيرة فما أن انتهيت من كلامي حتى تركن كل شيء وذهبن إلى القرية، أكملت عملي إلى وقت الظهر، وذهبت إلى القرية من أجل الاستراحة والتزود بالوقود، فاستقبلني أهل القرية بالترحيب والمديح على غير عادتهم، فسألت الحاج أديب حياني عن السبب وكان هو المسؤول عن العمل فقال: جاء النسوة وقلن: الحضري يكلمنا، واجتمع أهل القرية وعزموا على قتلك، فقلت لهم: هذا من قِبَل سيدنا، دعونا نرسل أحدكم إلى سيدنا فإن أمرنا بقتله أكون أنا أولكم، فكان جواب سيدنا ﵁: «هذا الحضري ابن سيدتنا فاطمة، هذا أمين على الحريم مثل ما أنا أمين عليهم». وكان والدي -رحمه الله- يفتخر بهاتين الشهادتين.

حجه مع سيدنا النبهان ﵁:

ولما بلغ والدي من العمر اثنين وثلاثين عامًا أكرمه الله بمرافقة سيدنا ﵁ إلى الحج عام ١٩٦٥م، فقام مع أخيه الحاج سليمان تركي بتسجيل أسمائهم مع والدتهم للحج، وطلبت والدتي من والدي الحج برفقة سيدنا فلم يستجب لضيق الحال، ولما

فقدتْ الأمل قالت لوالدي: سأشكو أمري إلى سيدنا، وهي في القرية ولم تلتق بسيدنا تلك المدة.

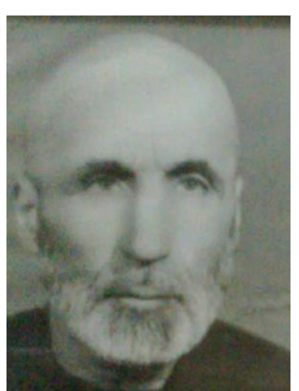
قال والدي (والكلام لابنه الشيخ عمر): ذهبت إلى الكلتاوية، وعندما وصلت إلى باب الجامع فإذا بباب بيت سيدنا يفتح، ويخرج سيدنا وعليه قميص طويل فقال: «حج محمد روح لعند الحاج علي النبهان، وخود منه مصاري، وسجل للحجة رَحْمة بدنا ناخذها معنا إلى الحج».

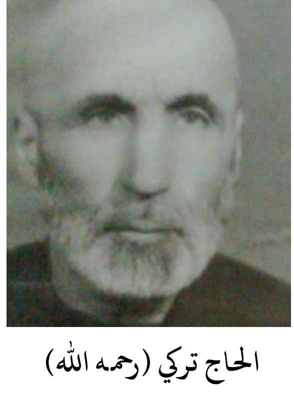
كان والدي -رحمه الله- يحدثنا عن حَجِّه مع سيدنا، وعن أحداث الحج، وقصة وفد الملك فيصل، وعن الغمامة التي ظللت سيدنا ﵁ في ذهابه ورجوعه إلى مكان رمي الجمرات، وعن زيارة سيدنا ﵁ إلى المدينة المنورة وزيارة سيدنا رسول الله ﷺ، وكيف صلَّى بهم سيدنا ﵁ إمامًا في المسجد النبوي الشريف، وبعد الصلاة كان يلتفت إلى المصلين ويعطيهم كتفه الأيسر ووجهه ﵁ إلى الحجرة النبوية الشريفة.

إكرام سيدنا ﵁ للحاج تركي:

قال الشيخ عمر: حدثني أخي عبد الرحمن بن محمد تركي فقال: لم يرافق الحاج تركي سيدنا النبهان ﵁ في حجه، لكنه في شهر شوال ١٣٨٨هـ، الموافق كانون الأول ١٩٦٨م سافر سيدنا النبهان ﵁ إلى العراق، وفي أثناء غيابه عن حلب قام بعض أصحابه بالسفر إليه، ومن بينهم الحاج أسعد الخطيب من قرية الشيخ عيسى، وفور وصوله العراق أمره سيدنا بالرجوع إلى القرية وقال له: «قول للحاج محمد والحاج سليمان: يطالعوا جواز سفر لأبوهم بدي أبعته عالحج».

ولما حان وقت الحج وأراد الحاج تركي السفر ذهب إلى سيدنا ﵁ لوداعه، فقال: يا سيدي نحن هنا معك وأنت معنا، هناك ما معنا أحد، فقال له سيدنا ﵁: «حَجْ تركي أنا معكم هُوْن وهْنِيك».

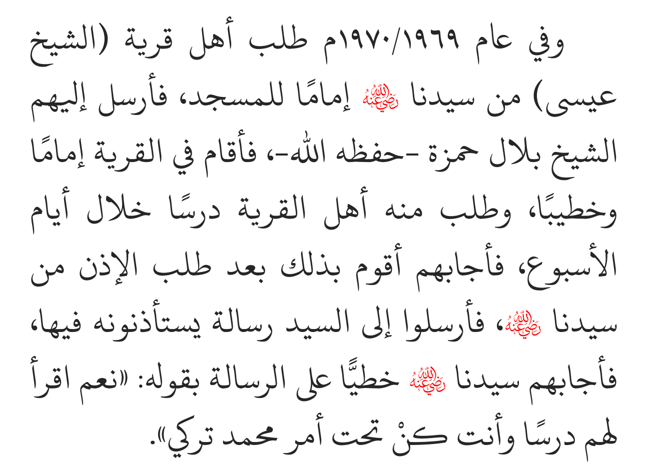




الحاج تركي (رحمه الله)

ثم التفت سيدنا ﷺ وخاطب مَنْ حوله، وكان منهم الحاج عمر ططري والحاج أحمد اللبابيدي: «روحوا مع أبو سليمان إلى الشام، روحوا ودعوه، بد و يصير ما في أحسن منو». سافر الحاج تركي، وتوفي بمكة محرمًا، ودفن فيها.

الشيخ بلال حمزة إمام وخطيب في قرية الشيخ عيسى بأمر سيدنا ﷺ:



وفي عام ١٩٦٩/١٩٧٠م طلب أهل قرية (الشيخ عيسى) من سيدنا ﷺ إمامًا للمسجد، فأرسل إليهم الشيخ بلال حمزة -حفظه الله-، فأقام في القرية إمامًا وخطيبًا، وطلب منه أهل القرية درسًا خلال أيام الأسبوع، فأجابهم أقوم بذلك بعد طلب الإذن من سيدنا ﷺ، فأرسلوا إلى السيد رسالة يستأذنونه فيها، فأجابهم سيدنا ﷺ خطيًّا على الرسالة بقوله: «نعم اقرأ لهم درسًا وأنت كنْ تحت أمر محمد تركي».



الحاج سليمان (رحمه الله)

زيارة سيدنا النبهان ﷺ قرية الشيخ عيسى:

حدثني أخي عبد الرحمن وعبد الله قالا: أكرمنا سيدنا ﷺ وشرّف القرية وأهلها بثلاث زيارات، وكان دائمًا ينزل في بيتنا.

الأولى: كانت بعد الحج بأيام قليلة مع بعض إخوانه، قام والدي بدعوته ﷺ فلبى الدعوة، وأشار عليه البعض أن يصطحب معه الطباخين، فرفض وقال: «حريمهم بيطبخوا أحسن» ثم التفت إلى والدي وقال: «حج محمد خلِ الحجة رحمة تطبخ».

الثانية: جاءنا ﵁ من غير ميعاد ففرح أهل القرية والتفوا حوله، وأراد الوالد أن يذبح له فمنعه ﵁ وقال لمن حضر: (كل واحد يرجع للبيت وشو عندو يجيب) فمنهم من أحضر المجدرة، ومنهم من أحضر المخلل، و منهم من أحضر اللبن، ومنهم من أحضر الحليب إلى آخر هذه الأنواع الكثيرة، فجلس سيدنا ﵁وقال: (أنا اليوم بدي آكل متل أكل الرعيان بدي آكل مرجوجة) فمزج اللبن بالحليب وأكل منه ﵁.

الثالثة: جاءنا ﵁ مع بعض أصحابه العراقيين، وكان منهم: الشيخ أيوب الفياض، والشيخ حامد صخي، والشيخ جمال شاكر، والشيخ محمود علي داود البعقوبي، وباتوا عندنا تلك الليلة، أقام سيدنا ﵁ فيها مذاكرة عظيمة وأنشد فيها أصحابه، فكانت ليلة لا توصف.

وفي هذه الزيارة كان العشاء حامض مع الدباء باللحم، فقام ﵁ بوضع الخبز بالمرق وتناول الطعام، فأخذت الوالدة الصحن والملعقة وبدأت تطعم الأطفال مما تبقى بالصحن بتلك الملعقة.

وتحدث الشيخ حامد عن زيارة سيدنا لقرية الشيخ عيسى فقال: (زار سيدنا في أيامه الأخيرة كثيرًا من القرى يودع أهلها، ولم نعرف أنه يقول: لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، أذكر أننا وصلنا إلى قرية أكثر سكانها من الأكراد، وفيها بئر ماء يتدفق فأخذ سيدنا كأسًا يغرف الماء، ويسقينا بيده الشريفة، وركبنا السيارة والشيخ أيوب يقودها، وقد حدد له السيد السرعة مئة كيلو بالساعة سابقًا لكن سيدنا أمر الشيخ أيوب أن أسرع فيسرع، والسيد يقول له: زد السرعة حتى قال لي الشيخ أيوب: ضغطت على أعلى سرعة بالسيارة وكان سيدنا يردد قوله تعالى ونردد معه: «فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ» ثم قال: «فَرِّينا وخلصنا» ثم ختم بالدعاء: اللّٰهُمَّ يا أرحم الراحمين ارحمنا وعافنا واعف عنا اللّٰهُمَّ آمين.

كنا بمعية سيدنا أنا والشيخ أيوب، والشيخ جمال شاكر، والشيخ محمود علي داود البعقوبي، ومعنا شخص يدلنا الطريق وصلنا القرية فقالوا لنا: هنا مدفون

الشيخ عيسى ابن الشيخ عبد القادر الجيلاني -رضي الله عنهم جميعًا-، وصنعوا لنا طعامًا فأكلنا بمعية سيدنا ثم طلب السيد أن ينام حتى سمعنا له غطيط النوم.

أذكرُ من لطائف ذلك المجلس المبارك كان بيدِنا دفتر مكتوب فيه بعض قصائد وأناشيد الشيخ هشام الآلوسي في حقّ سيدنا الكريم فأخذهُ سيدُنا يتصّفحهُ ويقرأُ فيه بصوتٍ مسموعٍ وبعضه باللهجةِ العراقيةِ «ياگلْبي جاوِرْ هلَك وسلّمْ بالكلتاويه» وتعني (ياگلْبي) يا قلبي فقرأها سيدُنا ياگلْبي جاوِرْ هلَك، اي من الكلب وهو يبتسم ﷺ وكان يستمع لأناشيدنا العراقية بلهجتها وأحيانًا يشاركنا بنفس اللهجة.

وكنّا عائدين معه من قرية الشيخ عيسى إلى حلب عصرًا قبيل صلاة المغرب عام ١٩٧٤م والشيخ أيوب يقود السيارة وسيدنا عنده في الصدر فأنشدنا أبياتًا من قصيدة للشيخ هشام «سيدي لَمّا يلبس نظارات تشّع من عينه الآيات» نكـّرّرها وسيدنا يردَدّ معنا، وقد خلع الشيخ أيوب نظارته الشمسية الراقية لون زجاجها أخضر زيتوني وقالَ لي: ألْبسها لسيدِنا لأنّي كُنْتُ جالسا خلفَهُ ﷺ، لكي تخفف أشعة الشمس الساطعة، فأخَذْتُها وَألْبَسْتُها سيدنا فقال لي الشيخ أيوب باللهجة العراقية: (على كيفك) أي بالراحة والهدوء فقال سيدنا: لا، مو على كيفه على كيفي. لبس سيدنا النظارات فأخَذَتْنا نشوةُ الحال والإنْشاد وتَجَلّي سيدُنا بالجمال، فطلبنا من سيدنا النزول من السيارة وقلنا سيدي ننزل لِنَدْبَكَ طَرَبًا (الدبكة) دبكة الذكر والحال، فكان رَدُّ سيدنا قويًا وحازمًا فقال: «لا لا، بِدّي رجال ما بِدّي نسوان» قالها سيدنا بجلالٍ فأسْكَتَنا).

وفاته -رحمه الله تعالى-:

وهكذا لزم والدي -رحمه الله- سيدنا النبهان ﷺ، وكان يستشيره بكل أمر من أموره إلى انتقاله ﷺ.

وبقي ملازمًا آل سيدنا محبًّا لهم وللكلتاوية لم ينقطع عن تلك الرحاب إلى أن توفاه الله يوم الأحد ١٦ محرم ١٤٣٢هـ، الموافق ١١ كانون الأول ٢٠١١م.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب حضرة سيدي الشيخ حفظنا الله بك آمين

وبعد: سيدي إننا نريد من جنابكم أن تأذنوا للإمام الشيخ بلال حمزه أن يجعل لنا حصة درس في اليوم وطلبنا منه فقال لا أستطيع حتى أستأذن السيد حفظه الله فنرجوا من جنابكم أن ترسلوا له الإذن على هذه الورقة

المرسل ولدكم محمد تركي الشيخ عيسى والسلام

نعم اقرأ لهم درساً وانت كن تحت امر محمد تركي

والسلام ١٢ آب ١٩٧٠

محمد النبهان

رسالة من الحاج محمد تركي إلى السيد النبهان، مع جوابه رضي الله عنه

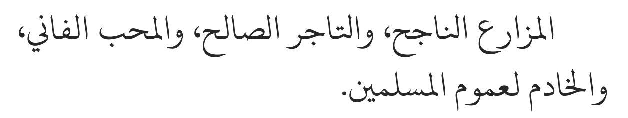
مصادر الترجمة:

- أعدها لي ابنه الشيخ عمر محمد تركي سماعًا من والده -رحمه الله- ومن أخويه عبد الرحمن وعبد الله.
- الشيخ حامد صخي، مراسلة كتابية.

(٥٥) الحاج محمد حسن العبد الله

١٣٤٥ – ١٤٢٥هـ/ ١٩٢٧ – ٢٠٠٥م





المزارع الناجح، والتاجر الصالح، والمحب الفاني، والخادم لعموم المسلمين.

ولادته ونشأته:

ولد الحاج محمد حسن العبد الله عام ١٩٢٧م في قرية تل سلمو المجاوِرة لبلدة (أبو ظهور) التابعة لمحافظة (إدلب) في سورية.

كان والده الحاج حسن العبد اللّه من وجهاء تلك المنطقة.

عاش -رحمه اللّه- حياة بدوية بسيطة في رعي الأغنام وزراعة الأرض، يحب ركوب الخيل، والرمي، ثم عمل بالتجارة في آخر عمره.

له ثلاثة إخوة: أحمد، وسُوْعَان، والشيخ خليل الذي تخرج في الفوج الأول في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية).

أولاده: تزوَّج -رحمه الله- زوجتين، وله ثمانية أبناء: (أحمد، وحسن، ومحمود، ومحمد، وعبد الباسط - توفي قبل تخرجه في مدرسة الكلتاوية-، وعبد القادر، وعبد الحميد، وعبد المجيد) وعبد الحميد وعبد المجيد كلاهما تخرج في مدرسة الكلتاوية، وثماني بنات.

من أصهاره:

الشيخ محمد أحمد مشاعل، تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٩١م. وتم عقد قرانه عند ابن سيدنا أبي فاروق في القاعة الكبيرة، ويعمل الآن إمامًا وخطيبًا في دبي.

والشيخ الدكتور عمر عبد الغفور، تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٩١م. وتزوج ابنة الحاج محمد حسن العبد الله، ويعمل الآن مدرّسًا في دبي.

صحبته العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

تخطى الحاج محمد حسن حواجز العشائرية ولحق بركب الصالحين، وأكرمه اللَّه بصحبة سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه فقد تعرَّف عليه بواسطة التجار الحلبيين الذين كانوا يشترون الألبان ومشتقَّاتها من الريف والبادية.

كان الحاج محمد حسن الرفيق الملازم للشيخ الداعية ياسين الويسي -رحمه الله- في حله وترحاله، وكان اليد اليمنى للحاج أديب حياني وكيلِ سيدنا في الزراعة.

قال الشيخ ياسين الويسي: «إن سيدنا النبهان رضي الله عنه أمرني أن أرسل إلى العراق مَن يأتي بمجموعة من الخيول والغنم إلى قرية التويم، فأرسلتُ الحاج محمد حسن، فسألني سيدنا: مَن أرسلت إلى العراق؟ قلت: الحاج محمد حسن، فقال سيدنا رضي الله عنه واصفًا إياه: هو القوي الأمين».

عُرف الحاج محمد حسن بين أصحابه بشجاعته، ومساعدة الآخرين، وإغاثة الملهوف، ومشاركته الواسعة في إعمار بيوت الله تعالى وإكسائها.

قال عنه الشيخ ياسين الويسي: «لم أرَ رجلًا في شجاعة وقوة الحاج محمد، لا يهاب الموت».

ومن لطائف امتثاله لشيخه السيد النبهان ﵁: يقول الحاج محمد حسن، رحمه الله: جاءتني رسالة من سيدنا ﵁ موقَّعًا عليها بيده الشريفة، فيها أمرٌ بعدم إخراج المعدات الزراعية من المستودع، وفجأة جاء بعض من رجال الحاج نوري النواف يريدون المعدَّات، فمنعْتُهم من أخذها، حتى كدنا نقتتل، وفجأة جاء الحاج نوري وقال: يا حاج محمد لقد أذن لي سيدنا الشيخ بأخذها، فقلت: دعني أذهب إلى حلب لأتأكد من ذلك، فوصلتُ صباحًا إلى الكلتاوية وبيدي رسالة سيدنا ﵁، فقلت: يا سيدي وصلتني رسالة من جانبكم بعدم إخراج المعدات والحاج نوري يقول: أذنت لهم بذلك؟ فقال سيدنا ﵁: دعهم يأخذوها.

وعندما خطب سيدنا ﵁ لأحد إخوانه وهو الحاج عبد الله الأسود الأخت الصغرى للحاج محمد حسن رفض قسم من أهلها، وتغالَوا كثيرًا في مهرها، لكن الحاج محمد حسن وافق مراد شيخه في إتمام ذلك الزواج فتمَّ.

تزوج الحاج محمد حسن زوجته الثانية بمباركة من سيدنا النبهان ﵁، وأرسل الشيخ ياسين الويسي لعقد النكاح، وبنى له بيتًا بجوار بيته في قرية التويم. ولما رُزق منها بأول أولاده ذهب به إلى سيدنا ﵁، فوجده واقفًا أمام بيته في التويم عند الضحى، قال: فقبَّلتُ يده الشريفة وقلت: سيدي! هذا ولدكم، ماذا تسمونه؟ فقال: هو محمد الثاني، فسمَّاه «محمد محمد حسن».

قال الحاج محمد: رَمِدتْ عينا ابني محمد حتى لم يعد يستطيع النوم، فأخذتُه إلى سيدنا ﵁، فحمله وقرأ له ثم تفل في عينيه، فبرأ، ولم يشتكِ منهما مرضًا إلى يومنا هذا.

حجه مع سيدنا ﵁:

أكرم اللَّه الحاج محمد حسن برفقة سيدنا النبهان ﵁ في حجته الثانية في الباخرة عام ١٩٦٥م، فكان قريبًا من شيخه يخدمه، وكانت هذه الرحلة من أجمل لحظات حياته، كلما حدثَنا عنها رأينا السعادة في وجهه -رحمه الله- وكان دائمًا

يحدثنا كيف دخلوا مكة المكرمة وجاء وفد من الملك فيصل آل سعود يرحبون بقدومه ويدعونه ليكون في ضيافة الملك، فاعتذر سيدنا النبهان ﷺ منهم قائلًا «نحن في ضيافة ملك الملوك».

يقول الشيخ ياسين الويسي -رحمه الله-: الحاج محمد كان يشتد غضبه إذا ذَكر أحدٌ سيدنا النبهان أمامه بسوء، أو تكلَّم في حق سيدنا بما لا يليق.

وفي حادثة التويم المشهورة كان ممن سُجن الحاج محمد حسن، وبقي في السجن بدمشق ثلاث سنوات، وكان الأشقَّ عليه من غياهب السجن وصول ذلكم الخبر الذي لم يكن يريد سماعه، بل كان عليه -كما قال- أصعب اللحظات، أنْ أخبروه ومن معه بانتقال سيدنا ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وعندما خرج من السجن، كان أولَ أمرٍ قام به قبل ذهابه إلى زوجته وأولاده أنْ ذهب إلى الكلتاوية وزيارة السيد ﷺ.

قال -رحمه الله-: وقفتُ أمام الضريح الشريف قبيل الفجر، وأُغمي عليَّ من شدة البكاء، فإذا بابن سيدنا أبو فاروق -رحمه اللَّه تعالى- يضرب على كتفي ويقول: حاج محمد، حاج محمد! ووالله كنت أرى ذرَّات النور تخرج وقتها من مقام سيدنا إلى أبو فاروق، رحمه اللَّه تعالى.

وهذا ما جعله يحب ابن سيدنا أبو فاروق -رحمه اللَّه تعالى-محبة لا مثيل لها، فكان يقول عن أبو فاروق، رحمه اللَّه تعالى: «هو سيدنا وابن سيدنا».

مرضه وانتقاله:

مرض الحاج محمد حسن سنتين تقريبًا، وكان لا يفارق لسانه ذكرَ سيدنا النبهان والكلتاوية، وكان في كل يوم جمعة يقطع المسافات -رغم اشتداد مرضه- للصلاة في الكلتاوية وزيارة مقام سيدنا ﷺ.

وفي مدة مرضه لم يترك قيام الليل الذي كان دأبًا له من قبل، بل كان يقوم الليل متضرعًا مبتهلًا إلى الله تعالى مرددًا المدائح في حب سيدنا النبهان رضي الله عنه حتى فارق الدنيا عن عمرٍ يناهز الثامنة والسبعين عامًا، في ٩ ذي الحجة ١٤٢٥هـ، الموافق ٢١ يناير ٢٠٠٥م، بعد صلاة المغرب ليلة عيد الأضحى المبارك.

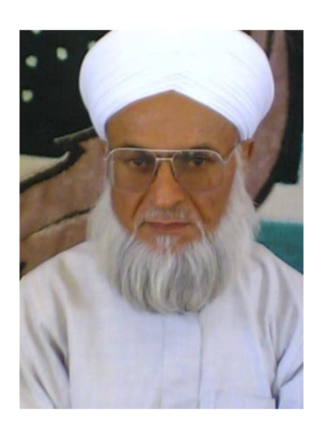
وقد أوصى أن يغَسِّله ويصلي عليه الشيخ ياسين الويسي، فغسَّله وصلَّى عليه صلاة الجنازة بعد صلاة عيد الأضحى، وشهد تشييعه آلاف الناس، ودُفن في قرية (أبو ظهور).

مصادر الترجمة:

- الشيخ ياسين الويسي، رحمه الله.
- أولاده وآل بيته.
- صهره الشيخ محمد مشاعل.

(٥٦) الشيخ محمد حسين مشاعل

١٣٧٤ – ١٤٢٧هـ/ ١٩٥٥ – ٢٠٠٦م



العالم النحوي، الأديب، البليغ، المتواضع، اللطيف الشيخ محمد حسين ابن الحاج علي مشاعل، الشهير بين طلابه وزملائه بـ «محمد أمين مشاعل» وأمين هو لقب لازمه من صغره.

ولادته ونشأته:

ولد الشيخ محمد أمين -رحمه الله- في قرية الشيخ عيسى التابعة لمدينة عزاز في محافظة حلب، عام ١٩٥٥م.

نشأ في بيئة علم وأدب وصفاء ومحبة لأهل الله، فقد كان والده الحاج علي مشاعل من محبي العارف بالله سيدنا محمد النبهان رضي الله عنه.

تربى الشيخ محمد أمين ونشأ وترعرع في هذه القرية، فتعلم فيها القرآن ومبادئ القراءة والكتابة، وكان مجدًّا ذكيًّا نشيطًا.

في رحاب الكلتاوية:

لما كبر اصطحبه والده إلى الكلتاوية حيث النور والعلم حيث مجالس السيد النبهان رضي الله عنه.


الشيخ محمد أمين مشاعل

وكان انتسابه لمدرسة دار نهضة العلوم الشرعية (الكلتاوية) عام ١٩٦٧م.

نهل خلال هذه السنوات من تلك العلوم والمعارف والأنوار التي يفيض بها شيوخ الكلتاوية الأوائل مع تربية ومتابعة من العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه فقد عاش معه ما يقرب من ثمانية أعوام، صحبه فيها وأحبه، واستقى من معينه.

من شيوخه:

كان لشيوخه الأثر الكبير عليه، وأخذ منهم الكثير، أمثال: الشيخ محمد لطفي مدير المدرسة ، والشيخ علاء الدين علايا، والشيخ محمود فجَّال، والشيخ محمد نذير حامد، وغيرهم -رحمهم الله.

بقي في جد ونشاط حتى تخرج فيها عام ١٩٧٣م، في الفوج الرابع.

زملاؤه في الدراسة:

إبراهيم منصور، وأسعد زين العابدين أحمد، وحسن حجازي، وعبد الباسط حج قدور، وعبد الرحيم بن الخياط الزكاري المغربي، وعبد الرحمن زمة، وعلي عمر المحمد، ومحمد أديب محمد صالح، ومحمد العبو، ومحمد علي العلي الفياض، ومحمد يحيي فاضل، ومحمود الجابر، ومحمود محيو، ويوسف حوت.

عمله:

بعد تخرجه عمل إمامًا وخطيبًا في قرية زرزور الواقعة في منطقة جسر الشغور.

انتسب إلى جامعة الأزهر -كلية اللغة العربية- عام ١٩٧٣م، وحصل على شهادتها عام ١٩٧٧م.



الشيخ محمد أمين على منبر الدرس في الكلتاوية

كان -رحمه الله- عاليَ الهمة نشيطًا، يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها.

بعد أن تخرج في جامعة الأزهر عين مدرسًا وموجهًا في مدرسة الكلتاوية، وذلك عام ١٩٧٧م، وبقي يعلم وينشر العربية فيها حتى أواخر حياته.

من صفاته وأخلاقه:

حياته في مدرسة الكلتاوية -خلال تسعة وعشرين عامًا- حافلة بالعطاء، ونشر العلم، وتخريج العلماء، دَرّس فيها عددًا من العلوم، مثل: النحو، والصرف، والبلاغة، والمنطق، والعروض، والتفسير، ومتن ألفية ابن مالك، ومفردات القرآن الكريم.

كان -رحمه الله- مثال المعلم الوقور، والشيخ الملتزم في دروسه ومنهاجه الذي لا يغيب عن درس ولا يتأخر.

أحبه طلابه حبًّا ملك فؤادهم، فتراهم يحبونه، ويجلونه، ويقدرونه؛ لما رأوا فيه من إخلاص وتفانٍ في عمله، بل كان محبوبًا حتى من جيرانه وأصحابه ومشايخه، يحترم الكبير، ويعطف على الصغير، يدلل الأولاد، وينشد لهم الأشعار.

هو الرزين الحليم، الذي يجمّله تواضع العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء.

له وجه يتلألأ بأنوار المودة، يغزو القلوب بعذوبته، إذا صمت جلله الوقار، وإن تكلم سماه البهاء، صادق كريم الشمائل، لا ينطق إلا بالطيب من الكلام كأنما فمه روضة ولسانه ريحانة، ولا ينثر إلا الجمال، رقيق الشعور، بليغ اللسان، بارع الذهن، عذب الحديث، أبيّ من غير تكبر، يحب الناس ويكرمهم ويخاطبهم على قدر عقولهم.

كانت حياته كلها جهادًا وتحصيلًا، كثير القراءة والمطالعة قلما كان يرى إلا والكتاب في يده.

صاحب زهد، وورع، وأخلاق عالية، وصفات فاضلة، كثير العطف والحب على الفقراء والمساكين، لا يرد سائلًا، اشتهر بين إخوانه وطلابه بالتماس الأعذار، كان مضرب المثل في اللطف والود والخلق الرفيع.

وكان -رحمه الله- حريصًا على حضور درس سيدنا رضي الله عنه في الكلتاوية يومي السبت والثلاثاء مع الطلاب، فضلًا عن درس يوم الأحد مع شيوخ الدار والخريجين مما يدل على عظيم حبه وتعلقه بالسيد العظيم رضي الله عنه.

مرضه ووفاته:

أصيب -رحمه الله تعالى- بحادث سيارة في شهر محرم ١٤٢٦هـ لدى ذهابه إلى الكلتاوية صباحًا مما أدى إلى كسور في أضلاعه فلزم الفراش عدة أشهر.

بعد ذلك أصيب بفقر الدم، ودخل المستشفى عدة مرات، اشتد مرضه في رمضان ١٤٢٧هـ، وتداعت عليه الابتلاءات من كل جانب، منها: ضعف البصر، وفقر الدم، والسكر، والضغط، والقلب، وأشدها الفشل الكلوي، حيث كان يتعرض

إلى ثلاث جلسات أسبوعيًّا لغسل الكلى، لكنه كان صبورًا مُسلّمًا أمره إلى الله تعالى، لا يفتر لسانه عن ذكر الله والتوسل برسول الله ﷺ وبالسيد النبهان رضي الله عنه.

وفي صباح أخرج من المستشفى بسيارة الإسعاف ولدى مروره بمنطقة ميسلون طلب من السائق أن يمر بباب الحديد -وهو ملقًى على ظهره- وعندما وصل نظر نظرة المودع، وقرأ فاتحة الكتاب، وكأنه يعلم أنها النهاية.

في يوم الأحد زاره بعض إخوانه من الأساتذة والطلاب، وقرؤوا سورة يس حيث كان الشيخ لا حراك به، وجرى بين الحاضرين حال غريب، صحا بعد ذلك صحوة الموت وأوصى أولاده وبناته وذويه فردًا فردًا بتقوى الله، ثم طلب منهم أن يخرجوا قائلًا: اتركوني مع ربي. وكان لا يفتر عن قول: الله الله الله. يا دليل الحائرين.

وفي فجر الثلاثاء ٢٣ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ/ الموافق ٢٠ حزيران ٢٠٠٦م راح يقاسي سكرات الموت حتى لفظ -رحمه الله- أنفاسه الأخيرة وفاضت روحه الطيبة، وتوفي -رحمه الله- وغُسِّلَ وصُلِّي عليه في جامع الكلتاوية، ودفن في قرية الشيخ عيسى بجوار والده، رحمه الله.

كتب لنا صديقه الدكتور عثمان عمر المحمد: «رحم الله حبيبنا الغالي الشيخ أمين مشاعل، كان قليل الكلام في المجلس، كثير السماع للغير، وهذه صفة نادرة أنه يحسن الاستماع للغير، تربطني به مودة خاصة لما كنا طلابًا في الدار، ابتعدت عنه جسديًّا بسبب غربتي لكن بقيت أرواحنا متقاربة، فإذا التقينا فكأننا لم نفترق، وبسمته اللطيفة لاتكاد تفارق شفتيه، زارني في بيتي مع صديقه الأستاذ محمد علي الناصر، وودعته الوداع الأخير في المستشفى، ثم سافرت وتلقيت بعدها اتصالًا من أخي الأستاذ محمد علي الناصر وهو يجهش بالبكاء وينعي لي الشيخ أمين. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته».

وكتب لنا عنه صديقه في الدراسة الشيخ إبراهيم منصور:

رحم الله الزميل والصهر الشيخ أمين، زميل الدراسة من أول يوم في الكلتاوية إلى التخرج، ولقد فتح الله عليه في النحو بشكل لافت في السنة الخامسة أو قبلها بقليل، وتجلى نبوغه فيه في السنة الأخيرة.

وأذكر أني خرجت يومًا من فحص النحو «أوضح المسالك» لأستاذنا الشيخ نذير حامد في الصف السادس خرجت مترددًا في بعض إجاباتي، فراجعت الشيخ أمينًا فصوّب إجابتي، ولا زلت أذكر سروري بذلك.

وأذكر أني كنت -بحمد الله- قارئ الأستاذ الشيخ محمد لطفي في جميع دروسه عندنا على مدى المرحلة الإعدادية، وشطرًا من المرحلة الثانوية.

فلما بدا تميز الشيخ أمين في النحو تحول الشيخ محمد لطفي إليه وجعله قارئه. وإنه بذلك لجدير.

لقد كان الشيخ أمين ثروة في النحو حقًّا

أسأل الله أن يجزيه خيرًا عما تعلّم وعلّم، وأن يعوض الأمة منه خيرًا.

وفي اليوم الذي وصلْنا من السعودية في إجازة صيف ٢٠٠٦م وصل نعي الشيخ أمين -رحمه الله تعالى- فحضرنا في جمع من قرية دابق الدفن والتعزية في قرية الشيخ عيسى. رحم الله الشيخ أمين، وأحسن مثواه. اهـ

ورثاه تلميذه الشيخ إبراهيم الحمدو العمر فقال:

كان لأستاذنا الشيخ أمين قدرة عجيبة على المناقشة النحوية وتوجيه أقوال النحويين، وكنا نظن أنه يحفظ شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري لكثرة استحضاره لمسائل هذا الشرح، وتوجيه الأقوال الواردة في أوضح المسالك.

وكانت له -رحمه الله- قدرة عجيبة على التأليف لما كان يتمتع به من عقلية علمية حاضرة، ومن ذهن وقّاد، ومن توفر أدوات الكتاب لديه، ولكن الذي منعه من الكتابة هو انشغاله بالتدريس في دار سيدنا النبهان منذ أن تخرج في الأزهر إلى أن لقي ربه.

وقد تجلّت موهبته في التأليف (دراسته الصرفية لألفاظ القرآن الكريم) حيث عمل دراسة صرفية لكل ألفاظ القرآن الكريم، شارك بها في (موسوعة التفسير الميسر) التي عملها أستاذه محمد نذير حامد-رحمه الله- ودراسته موجودة عند ابنه الأكبر الشيخ علاء الدين الآن.

وأهديه هذه الكلمات:

أرجُ التقى أو جَوْنَةُ العطـــار أو ... عبق الهدى أو نفحة الإيمـــان

ما كان إلا زهرةً فوّاحـــــــــةً ... عَبَقَتْ بدوحة سيدي النبهـــان

ينبوعُ لطف زانه ثِقْـــل الحِجا[1] ... يُوْلي الجليس لطـــائفَ الإحسان

أأمينُ لم يخطئْك حظك في العُلى ... فرحلتَ تبغي عالياتِ جنـــــانِ

هي جنة الذات التي طَرِبت لهـــا ... عطفاك لا الحور ولا الولـــدان

مصادر الترجمة:

- أولاد الشيخ أمين، رحمه الله تعالى.
- صهره الشيخ أحمد العبيد[2].
- الدكتور عثمان عمر المحمد، والشيخ إبراهيم المنصور، والشيخ إبراهيم الحمدو العمر، مراسلة كتابية.

---

(١) الحِجَا: العقل والفِطْنة.

(٢) تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٩٩م.

(٥٧) الشيخ محمد حوت

١٣٦٧ - ١٣٨٩هـ/ ١٩٤٦ - ١٩٧٠م



المحب الذاتي، الشاب الذي نشأ في عبادة ربه، شهيد المحبة الشيخ محمد بن ناصر بن محمد بن ناصر بن حسين بن حمود بن خضر.

ولادته ونشأته:

ولد في حلب القديمة عام ١٩٤٦م، في حي قارلق.

ويرجع نسبه من جهة أم جده إلى آل البيت من السادة الحسينية الرفاعية.

وانتسابه لآل البيت من طريق جدته لأمه، وأما من جهة والده فله قرابة عمومة مع السيد النبهان ﷺ.

نشأ وترعرع في بيت قال عنه سيدنا النبهان ﷺ: «أشبه البيوت ببيتي بيت الحاج ناصر».

هذا البيت كان أبناؤه كلهم طلاب علم: محمد، وأحمد -رحمهما الله- ومحمود، وعبد الله -رحمه الله- وعبد الباسط.

دراسته:

درس الشيخ محمد المرحلة الابتدائية في مدرسة أبي بكر الصديق في حلب، والمرحلة الإعدادية والثانوية في مدرسة الخسروية.

من شيوخه فيها: الشيخ أبو الخير زين العابدين، والشيخ محمد الملاح، والشيخ عبد الله الريحاوي، والشيخ محمد السلقيني، والشيخ عبد الرحمن زين العابدين، والشيخ عبد الله سراج الدين.

ومن زملائه فيها: الدكتور حسن أبو غدة والشيخ: سعيد المصري، وغيرهما.

انتسب بعد مدة إلى الأزهر الشريف (كلية اللغة العربية) فأتم السنة الأولى ووافته المنية في السنة الثانية.

تحدَّث الشيخ الدكتور محمود فجَّال -رحمه الله- عن مراحل من حياة الشيخ محمد حوت، فقال:

سفره إلى مصر للدراسة:

«حينما أردت الذهاب إلى مصر للدراسة في الأزهر قلت لسيدنا رضي الله عنه فقال: «الشيخ محمود يريد الذهاب إلى مصر؟!» إبداء الاستغراب من سيدنا لأنني لا أخرج من الكلتاوية حيث كنت مجاورًا فيها قبل خدمة العلم وبعدها، فقلت: إن لم ترغب يا سيدي فلا أسافر. فقال لي: «أنت لا أقول لك لا تسافر ولكن أعمل لك استخارة» فقلت: يا سيدي والشيخ محمد بن ناصر حوت والشيخ صالح حميدة يريدان السفر معي للتسجيل في الأزهر. فعمل سيدنا الاستخارة للثلاثة، ثم قال: «يا شيخ محمود أنت سيخرج على وجهك كنز واذهب، والشيخ محمد حوت يذهب ما في ضرر، والشيخ صالح لا يذهب، ولكن اجعل الجواب منك لا مني». أما محمد حوت فدخل الامتحان للسنة الأولى ونجح، ثم مات قبل مجيء السنة الثانية وهذا معنى قول سيدنا: ليذهب ما في ضرر.

على جبهتكما صورة محمد النبهان:

كنت أنا والمرحوم الشيخ محمد حوت في مسجد سيدنا الحسين في القاهرة فرآنا شيخ من أصحاب الأحوال وله مريدون[١]، حينما نظر إلينا ونحن نمشي وهو يمشي وقف وقال: «على جبهتكما صورة محمد النبهان».

قلت له: وما يدريك بالشيخ محمد النبهان؟

قال: النبهان هذا سلطان الأولياء نلتقي معه كل أسبوع أو شهر (الشك مني).

قلت: هل التقيت به في الظاهر؟

قال: لا وأعرفه في الباطن فقط.

حضرت له أنا ومحمد حوت حضرة في مسجد سيدنا الحسين، وله حال وكلام عال، وفي حضرته خشوع، فتبارك الله الذي جعل سره في خاصة عباده.

استخارة زواج:

قلت لسيدنا: يريد الشيخ محمد حوت أن يتزوج فقال سيدنا: لا.. لا أزوجه أريد أن أرسله إلى مكان، وقال: أعمل له استخارة على بنت من بيت الخياطة فكانت نتيجة الاستخارة أنها سودة.

أخوة الطريق والمحاسبة:

كان محمد حوت طالبًا في الثانوية الشرعية وهمَّ بتركها، يحضر مذاكرات سيدنا بين الفينة والفينة، فكان يتكلم معي بحياءٍ وكنت أجيبه بحياء لأنه أمرد، فكنتُ مُثَبّتًا له فيها، وقلت له: لا تستمع للناس، وكان يمشي مع أي شخص فسيدنا منعه

---

(١) أخبرني الدكتور محمود ناصر حوت أن المقصود الشيخ المربي المصري صالح الجعفري، رحمه الله.

من أن يسير مع أحد إلا مع محمود فجال، ومحمود كان مستغرقًا في المراقبة وشديدًا على نفسه، فسار معي الشيخ محمد فكنت أحاسبه على ألفاظه وحركاته وتصرفاته حتى أحيانًا يكاد يضجر، ولكن المحبة مسكتة، قمت بالإضافة إلى المحاسبة الشديدة أقرأ له النحو والصرف وغيرهما، وكنت أدَرّس الشيخ محمد حوت مادة الإنجليزي، وكنت شديدًا عليه إن غفل عن الله.

سيدنا فرد وأنا سأكون مثله:

كان يرافقني دائمًا حتى سافرنا معا إلى مصر أربع مرات، وصار مراقبًا في دار نهضة العلوم الشرعية بعد زواجي، وفي شهر رمضان خرجنا من الذكر يوم الجمعة قبل صلاة العصر بقليل والتقينا أنا وهو والشيخ محمد لطفي -رحمه الله- وصار محمد حوت يمزح معي ويقول: أنت ما يأتيك ذكور إلا بنات لأنه من مودته لي يريد أن يأتيني ولد ذكر حتى يجعله صاحبًا له، وكانت روحه منورة وخفيفة وبحكم الصحبة كان محبًّا لسيدنا عاشقًا والهًا حتى كان يقول: «سيدنا فرد وأنا سأكون مثله» يعني خليفته، وكان إذا ذهب إلى القرية يقبل الأرض الزفت التي تصل إلى طريق سيدنا، وإذا حصل أنني زعلت منه ما يستطيع المنام وله أحوال في الحب عجيبة».

عمل الشيخ محمد حوت موجهًا ومدرسًا في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) مدة ستة أشهر.

خُطْبته:

كتب لنا عنه الشيخ الدكتور محمود فجَّال -رحمه الله-:

«خطب الشيخ محمد -رحمه الله- في عدة جوامع في مدينة حلب وخارجها، فخطب في منطقة الجَلُّوم في حلب، وكذلك في جامع الكلتاوية وكان وقتها عمره

ثمانية عشر سنة، وخطب في خان شيخون وكان قد أرسله السيد النبهان، وكان خطيبًا مفوهًا.

طلب أهالي خان شيخون من سيدنا عالمًا يخطب عندهم الجمعة ويصلي بهم صلاتها، فأرسل إليهم سيدنا ﵁ الشيخ محمد حوت -رحمه الله- فخطب خطبة قوية تعرض فيها لبعض الأمور فاعتقل، وأنزل إلى قبو سحيق أكثر من عشر درجات، فأخبرنا سيدنا فغضب سيدنا وأرسل سيارتين من إخواننا لإخراجه حالًا من الاعتقال، وتم اخراجه في نفس اليوم.

ولما استشهد الشيخ عبد العزيز البدري -رحمه الله- قال لي المرحوم محمد حوت: استأذن لي سيدنا لأذهب وأقتل من قتله لأن الحزن خيم على الكلتاوية حين مقتله، رحمه الله تعالى.

مشاركة في الزراعة:

ومن مواقفه معي: قال لي مرةً المرحوم الشيخ محمد حوت: ما رأيك نعطي شخصًا فلوسًا ونشاركه في الزراعة فنربح عند الموسم؟ قلت: ما عندي فلوس. قال لي: استدن، فبعت الذهب الذي أتيت به هدية لزوجتي وأعطيته للمزارع عن طريقه. ولما طلع الموسم كنا قد خسرنا أكثر من ثلث المبلغ. وصل الخبر لسيدنا فقال: متى زرعتم؟ قلت: في شهر شباط. فقال ﵁: الذي يزرع في شباط يحصد على الوزن».

من أوصافه:

كان يتمتع -رحمه الله- بشخصية قوية، ويتميز بالكرم، وسلامة الصدر، والعفة والنزاهة مع ما حظي به من أدب جم بين يدي سيدنا النبهان فقد أحب شيخه منذ نعومة أظفاره.

وسيدنا النبهان ﷺ كان يرى فيه شخصية مميزة قال أحد أصحاب سيدنا: يا سيدي! أرى أن محمد حوت له نفس كبيرة فقال السيد: نعم وأنا أحب صاحب النفس الكبيرة.

حدثني الدكتور محمود الزين -رحمه الله- قال: «ومن اهتمام سيدنا به ما حدّث خادم السيد النبهان مصطفى سروجي -رحمه الله- قال: كنت نائمًا في غرفة سيدنا معه، فجعل السيد النبهان يتقلب ليلًا فاستيقظت فقلت: ما بكَ سيدي؟ قال: محمد حوت نائم وقد تكشف لحافه فاذهب إليه وغطه فذهبت، وكان محمد حوت نائمًا على السطح في الكلتاوية فوجدته كما قال سيدنا تكشف عنه اللحاف».

وفاته:

في يوم الجمعة ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٧٠م أصيب الشيخ محمد بانفجار في الدماغ فسبب ذلك وفاته بدون مرض مسبق.

حزن عليه السيد النبهان، وخرج في جنازته، ولما جاء الشيخ محمد لطفي والشيخ محمود فجال ليعزوا السيد النبهان به: قال: «نعم هذا عزوني فيه، كنت أظن أن الشيخ صالح نجار الأول ولكن سبقه محمد حوت».

كتب لنا عنه الشيخ الدكتور محمود فجَّال، رحمه الله: «ذات مساء كان الطلاب في الدار يذهبون الى الحمام، وكان الشيخ محمد حوت يرافقهم مع الشيخ صالح البشير، ولكنه اعتذر عن مرافقتهم، وبعد أن صلينا صلاة التراويح وجئت إلى بيتي، وكان بيتي في حارة الكلتاوية جاءني بعض الطلاب وقال: تعال وانظر الشيخ محمد. جئت مسرعًا فوجدت الشيخ محمد على السرير في غرفة المراقبة يخرج من فمه الزبد، كلمته فلم يجب، فأحضرت له الطبيب متين طباخ، والطبيب سعيد عبدان فقال متين: ننقله إلى المستشفى. فقال له سعيد: مات. ذهب بعض إخواننا يريد أن يخبر سيدنا في الليل. فقال: عندي خبر الشيخ محمد حوت توفي. والتقيت بسيدنا. فقال: «أنا لو بدي أزعل بزعل على محمد حوت، ولكن ما بدي أزعل، ولو

بدي أبكي أبكي على محمد حوت، ولكن ما بدي أبكي». وحمل محمد حوت على الأكتاف وسيدنا يقول بصوت يهز القلوب: لا إله إلا الله. انتهينا من الدفن والمؤبن أخونا الكبير الشيخ أديب حسون، وبعد الانتهاء من التأبين طلب مني إلقاء كلمة فوقفت لألقي كلمة ذاكرًا خلاله ومحبته لسيدنا، وبدأت زخات المطر كقطر الندى تلامس الرؤوس، وترك سيدنا الكرسي الذي كان جالسًا عليه وصار يبكي بكاءً شديدًا.

وبعد أن وصل سيدنا إلى المسجد دخلت أنا والشيخ محمد لطفي على سيدنا وقال محمد لطفي: يا سيدي أنت قلت: أنا ما بدي أبكي؟ فقال: لقد حضر رسول الله الجنازة، وما رأيت أحدًا مات وحضر الرسول جنازته إلا محمد حوت قال الرسول ﷺ: حضرت لأنك تحبه.

هذا أرويه ولم يكن معنا أحد، وتكلم كلامًا آخر.

رؤيا:

يتابع الدكتور محمود فجَّال حديثه فيقول: قال لي الشيخ محمد حوت -رحمه الله-: رأيت في المنام صحيفة مكتوبًا فيها الذين سيصلون إلى الله، أنا أول اسم ثم بعدي الشيخ محمد لطفي، قلت له: وأنا ما رأيت لي اسمًا؟ قال: لا. لكن رأيتك راكبًا على فرس يطير بك».

رحمك اللهُ آنسكَ اللهُ أيُّهَا المحب الذّاتي.

قال سيدنا رضي الله عنه للشيخين محمد لطفي ومحمود فجال: «محمد حوت صورة مصغرة عني وهو بضعة مني».

وقال رضي الله عنه: «لماذا أحب محمد حوت؟! لأنه كان لا يغتاب أحدًا».

وقال: «قتلته المحبة». وقال: «ما رأيت أشجع منه».

كلمة الأستاذ الدكتور محمود فجَّال في تأبين الشيخ محمد حوت، رحمهما الله:

«الحمد لله الذي جعل الموت حتمًا واجبًا على عباده، فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم ودنيهم فقال -سبحانه-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموت﴾.

أيها الفقيد أيها الأخ أيها الصالح أيها المحب لسيدنا حفظه الله:

إنه ليؤسفني أن أقف في آخر العهد معك معزيًا لروحك الطاهرة.

إنه ليؤلمني أن أقف بين يدي سيدي ومولاي وسندي محمد النبهان ﵁ وبين إخوتي نعزي أنفسنا بفقدك.

إنه ليحز الألم في نفسي أن أعزي أخًا لي في الله ما عهدت عليه إلا الصدق في القول والصدق في الوجهة إلى الله ورسوله وأحباب الله ورسوله.

أخ كريم وابن أخ كريم، من بيت كريم، من نسب طاهر يمد إلى حبيبنا وسيدنا محمد النبهان أبقاه الله ومد لنا في حياته.

أيها الفقيد: إنك شاب نشأت في عبادة الله وطاعته، ونسجتك يد كريمة رعتك طوال حياتك حتى أسلمك إلى الرفيق الأعلى، يقول نبينا المصطفى ﷺ: «عجب ربك من شاب لا صبوة له» وفقيدنا -يا إخوتي- لا صبوة له لأنه كان مغمورًا في الطهر والبراءة، وكان فقيدنا ذا همة قوية في طلب العلم فهو تخرج من الثانوية الشرعية وانتسب إلى كلية اللغة العربية في الأزهر الشريف، وذلك بأمر وإشارة سيدنا ﵁، وما ذلك إلا رغبة في العلم، وأكرمك الله في آخر عمرك بأن كنت مدرسًا وموجهًا في دار نهضة العلوم الشرعية التابعة لجمعية النهضة الإسلامية التي تسير تحت إشراف سيدنا فضيلة شيخنا محمد النبهان ﵁، وقد تركت أهلك وعزفت عنهم خدمة لطلاب العلم، فلم تذهب إليهم في ليل ولا في نهار، بل عكفت على خدمة طلاب العلم الذين هم أشرف الناس، يقول ربنا جل جلاله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر ٩) ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ

مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران ١٥٩) وكنت رحمك الله سمحًا سهلًا محبًّا للخير، لا تعرف الغيبة ولا تحب سماعها ولا النميمة، وكنت سليم الصدر لا تحقد على أحد، شهادة أشهد بها أمام الله، والله أعلم بحقيقة ما أشهد، وسيدنا حفظه الله يعلم حقيقة ما أقول.

ولقد أسعدك الله في آخر حياتك أن كنت من الذين يدأبون على حفظ كتاب الرب تبارك وتعالى، ويكفيك فخرًا وسؤددًا أن كنت تابعًا لسيدنا وشيخنا وسندنا محمد النبهان التابع لحبيب الرحمن لسيد المرسلين وحبيب العالمين.

وإذا سَخَّـــرَ الإلهً أناسًا لسعيـدٍ فإنهـم سُعَـدَاءُ

يا أخي: لقد صعدت أنفاسك الأخيرة في دار العلم والإيمان دار السيد النبهان، والأولى بنا أن نعزي أنفسنا؛ لأن الله تعالى أخذك إليه واختصك به، أما هذه الأمة فتفقد رجالها وعلماءها واحدًا تلو الواحد، وهذا دليل على عدم استحقاق هذه الشعوب لهؤلاء العلماء ونبينا ﷺ يقول: «إن الله لا ينزع العلم من صدور العلماء ولكن ينزعه بموت العلماء».

فمصيبتنا فيك يا أخي فادحة وخطبنا بك جلل، فرحمك الله يا أخي ويا عيني ويامن نقَلَتْ عدسة كاميرا الوجود صورتك لتحفظها للأجيال ولتحفظ إيمانك وطهرك وصدقك ويقينك.

فرحمك الله يا أخي يا محمد يا أبا ناصر فلَنِعْمَ الروح روح تضمنه بدنك ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك، غذتك أكف الحق، ونسجتك يد محمدية نبوية، ورُبيت في حجر الإسلام ورضعت الإيمان، وطبت حيًّا وميتًا.

وأما أنتم يا أهل الفقيد فاعلموا أن الناس لا ينفكون عن المصائب، ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه، وحق الإنسان الصبر على النوائب، إذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار.

وإن كان على فراق المألوف حرقة لا تدفع ولوعة لا ترد، ولنا أسوة برسول الله ﷺ حيث يقول: «العين تدمع والقلب يوجع ولا نقول ما يسخط الرب إنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون» وإنا على فراقك يا أبا ناصر لمحزونون.

أعود إليك يا أخي أعود إليك يا أبا ناصر، وهذا آخر المطاف بك في الدنيا وآخر العهد بك وآخر الحديث معك؛ لقد ذهبت إلى الرفيق الأعلى إلى الله، وهذا مطلب النبي ﷺ كان وهو محتضر يقول بصوت خافت: «الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى» لا يريد إلا الله.

«دعا رسول الله ﷺ رجلًا إلى الإسلام فقال: لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي، فقال: أرني قبرها فأراه إياه فقال ﷺ: يا فلانة أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا؟ فقالت: لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيرًا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرًا من الدنيا».

فرحمك الله يا عيني يا أبا ناصر.

رحمك الله رحمة واسعة وأسكنك فسيح جنانه، وأجزل لك المثوبة والعطاء وأحسن مأواك، ورفع منزلتك بين عباده وجعلك تحت نظر شيخنا وسندنا محمد النبهان على الدوام وفي البرزخ وفي كل الأماكن، وأفرغ الله على أهلك وذويك صبرًا وعوضهم عنك خيرًا.

والسلام على روحك الطاهرة سلام وداع لا لقاء بعده في الدنيا وطبت حيًّا وطبت ميتًا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

كتب لي شيخنا الدكتور عثمان عمر المحمد: «رحم الله حبيبنا الشيخ محمد ناصر حوت كانت تربطنا به صلة خاصة، فهو موجه في المدرسة ونحن في الصف الخامس، وصلة أخرى أنني كنت وأخي الشيخ علي -رحمه الله- والشيخ محمد حوت نأخذ دروسًا خاصة في النحو قراءة كتاب «أوضح المسالك» على أستاذنا الدكتور محمود فجال -رحمه الله- في جامع الحدادين، ثم في جامع باب الأحمر.

كانت بسمته لا تفارق عيني، ونكتته لا تغادر سمعي.

وفي يوم الخميس ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٠م قبل وفاته بيوم التفت إليّ في باحة المدرسة وقال: عثمان قلت: لبيك. قال: إن الحمد لله نحمده، وابتسم. فقلت له: حاضر، وهو توكيل لي بهذه العبارة أن أخطب عنه في جامع الأصفري بالجلوم.

وفي صلاة المغرب صليت مقتديًا به الحجازية، ثم قال لي: اليوم عندنا حمام للطلاب ورأسي يؤلمني. فقلت: لو قلت للشيخ نبيه سالم يذهب عنك، وترسلني مع بعض الطلاب الكبار نساعده. فقال: وهل يرضى؟ وفعلًا رضي الشيخ نبيه ورحنا معه، لكن لما وصلنا الحمّام وإذ بالشيخ محمد يدخل الحمام ويصرف الشيخ نبيه، وبقي معنا ومعنا السيد الحفيد غسان النبهان، وكان يومًا لا ينسى من السرور.

وفي اليوم الثاني خطبت عنه الجمعة في جامع الأصفري، ومساء أراد النصف الثاني من الطلاب أن يذهب إلى الحمام فنزل معهم الشيخ محمد إلى قبو النجارين وكأنه يودعهم ثم رجع إلى المدرسة وبقي معهم الشيخ نبيه، وكنت أنا والشيخ محمد مصطفى حوت في باحة المدرسة فمرّ الشيخ محمد علينا مسرعًا والتفت إلينا وقال مشيرًا إلى رأسه: (فيبتلي) وصعد إلى غرفة التوجيه، وسرعان ما اشتد به الحال والمرض، وأتي بالدكتور سعيد عبدان فلما عاينه قال: اقرؤوا له الفاتحة، وأما الدكتور متين طباخ الذي حضر أيضًا فقال: نأخذه إلى المشفى أو العيادة الليلية لكن الدكتور سعيد قال له: يادكتور الرجل انتهى، لن يعيش أكثر من دقيقتين. ونحن وقوف عند السرير فياسبحان الله! لم يعش أكثر مما قال الدكتور سعيد، كان الزبد يخرج من فيه، وآخر نفس لفظه خرِج الزبد من أنفه وسلم الأمانة لباريه، فاتصلوا بسيدنا النبهان ﵁ فقال: أعلم، خذوه لبيت أهله، فحملناه مع الفراش الذي كان ينام عليه إلى بيت أهله، والسماء تهطل غيثًا خفيفًا، وتفجأ الأهل هناك أن يدخل ولدهم الكبير وقد فارق الحياة، وفي يوم السبت تم وداعه ودفنه، رحمه الله وأكرم نزله.

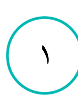
وبعد وفاته بيومين أو ثلاثة ذهبنا أنا وأخي الشيخ علي، والشيخ أحمد حوت شقيق الفقيد لزيارة أستاذنا الدكتور محمود فجال، وطلب الشيخ أحمد من أستاذنا العبارة التي تكتب على القبر، فكان الشيخ محمود فجال يبكي بكاء حارًّا، وينتحب انتحابًا شديدًا، والدموع أغرقت لحيته وهو يقول: (ليه الشيخ محمد حوت مات؟ أنا لاأصدق، ولما أصدق أنه مات أكتب العبارة). ويعود للبكاء ونحن نبكي لمصابنا، رحم الله شيخنا ومن فقدنا، جمعنا الله بهم في مستقر رحمته».

مصادر الترجمة:

- الشيخ الدكتور محمود فجال -رحمه الله- مراسلة كتابية.
- أخواه الشيخان: أحمد -رحمه الله-، والدكتور محمود حوت، مراسلة كتابية.
- تسجيلات جامع الكلتاوية.
- الدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلة كتابية.

ملفان مسموعان:

لسماع الملفين الصوتيين، فضلًا اقرأ الرمزين التاليين:



تأبين الشيخ محمد حوت، بصوت الشيخ محمود فجال.

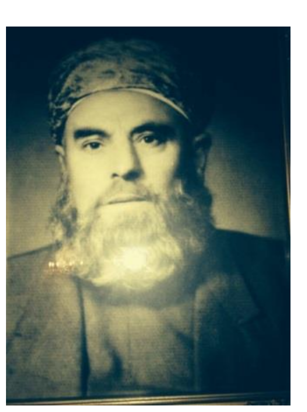


٢ مقدمة خطبة بصوت الشيخ محمد حوت عن المولد النبوي.



(٥٨) الحاج محمد الدباغ

١٣١٥ – ١٤٠٠هـ/ ١٨٩٨ – ١٩٨٠م



صاحب المواقف الوطنية والشخصيَّة القويَّة، والمرافق للسيد النبهان في مجالسه الخاصَّة والعامّة، الحاج محمد بن محمد أبو عمر الدبَّاغ.

ولد عام ١٨٩٨م في مدينة حلب، في حي المغازلة، ونشأ فيه.

كان والده الحاج عمر -رحمه الله- حافظًا لكتاب الله -عز وجل- فتعلم ابنه الحاج محمد تلاوة القرآن الكريم منذ صغر سنه.

عُرف أبو عمر في شبابه بالفتوة، والقوة البدنية، وأحب الفروسية، فكان فارسًا شجاعًا لا يخاف شيئًا فيما يقوله أو يراه حقًّا.

عمل بالعطارة، وكان له دكان في سوق العَطّارين في سوق المدينة القديمة.

أسرته:

تزوج من الحاجة عائشة علّاف (أم عمر) المعروفة بصلاحها وتقواها ومحبتها للأولياء والصالحين، وهي كريمة الشيخ نور علاف -الذي كان مشهورًا بالصلاح والولاية- فأنجبت له ستة أبناء، وهم:

عمر، أنور، ظافر، عبد القادر، عبد الوهاب، كامل، وابنة واحدة توفيت في شبابها.



صورة تجمع أبناء أبو عمر الدباغ
(١) عمر (٢) أنور (٣) ظافر (٤) عبد القادر (٥) كامل (٦) عبد الوهاب.

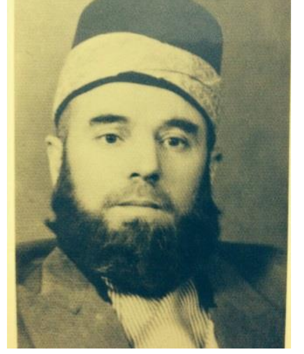
صلته بالعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

سعد أبو عمر بمعرفة السيد النبهان ﵁ في أواخر الأربعينات من القرن الماضي عام ١٩٤٩م حيث نصحه أحد أصحابه بذلك، وله في هذا الأمر قصة؛ فعندما ذهب أبو عمر إلى السيد النبهان المرة الأولى ظن أنه ذاهب إلى شيخٍ كبقية الشيوخ ممن يعرفهم، فجلس عنده يشرب الشاي وقال له: يا شيخي! أنت أبو أحمد وأنا أبو عمر آتي لعندك أستمع لكلامك ولكن أنا ليس عندي تقبيل يد. فأجابه سيدنا بابتسامة وسكينة: ومن قال لك أن تقبل يدي!

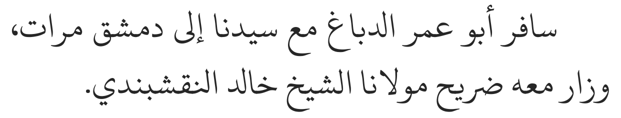
وما هي إلا جلسات قليلة حتى جاء أبو عمر إلى سيدنا وقبّل يده فقال له سيدنا: أبو عمر! اتفقنا أنه لا يوجد تقبيل يد فأجابه أبو عمر: سيدي إذا لم تعطني يدك سأقبل رجلك.

وكان أول من أتى إلى سيدنا مريدًا ومتبعًا من أبناء أبي عمر الحاج ظافر، وعمره آنذاك قرابة عشرين عامًا، ثم الحاج أنور، والحاج عبد القادر، ثم بقية أبنائه.

أصبح أبو عمر محبًّا ملازمًا لسيدنا، لا يكاد يتخلف عنه في مجلس أو مكان، إذا جلس يجلس خلفه، وإذا ذهب لزيارة كان يمشي وراءه، ويرتب له مواعيد زياراته، فإذا جاء من يدعو سيدنا لزيارته كان يقول له: اذهب إلى أبي عمر. فيحدد له الوقت المناسب.

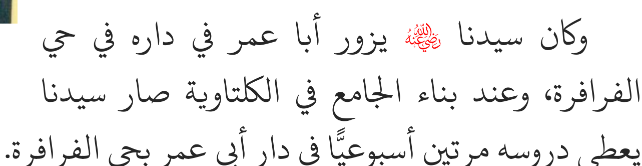


أبو عمر الدباغ



سافر أبو عمر الدباغ مع سيدنا إلى دمشق مرات، وزار معه ضريح مولانا الشيخ خالد النقشبندي.

وسافر معه مرات إلى بيروت، وطرابلس، وبعلبك في لبنان، وأمضى مع السيد النبهان مدة شهر في مدينة (سِيْر) اللبنانية الصغيرة الواقعة بقرب طرابلس.



وكان سيدنا رضي الله عنه يزور أبا عمر في داره في حي الفرافرة، وعند بناء الجامع في الكلتاوية صار سيدنا يعطي دروسه مرتين أسبوعيًّا في دار أبي عمر بحي الفرافرة.

وقد خص سيدنا النبهان أبا عمر وعائلته بعناية خاصة منه، وشهد لأم عمر بالولاية، وكان يطلب منها الدعاء، وتبع جنازتها عام ١٩٦٩م.

أولاده:

كما شغف أبناء أبي عمر بمحبة سيدنا رضي الله عنه، فابنه الحاج ظافر كان يلازم جلساته، ويعتقد به، ويأخذ عنه بحاله قبل مقاله، وعُرف بالصدق والأمانة في

تجارته، فكان صادقًا قليل الكلام إلا في الخير، وقد شرفه سيدنا بمهمة إرساله مع الحاج عبد الله عزو-رحمه الله- من أجل استئجار البيوت في الحرمين للحجاج مع سيدنا، ثم كان عضوًا في جمعية النهضة الإسلامية الخيرية التي أوعز سيدنا بإنشائها.

وابنه الحاج أنور كان مدرسًا في شبابه، وكان دائم التواصل مع سيدنا حتى وهو يُدَرّس في مدارس قرى حلب أو في محنته عندما سجن ظلمًا فأرسل له سيدنا برسالة يسلم عليه فيها، ويواسيه، ويقول له: إذا أحب الله عبدًا ابتلاه.

وابنه الأصغر الحاج كامل كان يسعد بتقديم الشاي لسيدنا وصحبه عند اجتماعهم في دار أبيه.

وأما ابنه الحاج عبد القادر فقد كان يلازم عتبة باب غرفة سيدنا كل يوم جمعة عند الضريح بأدبٍ وسكينة، ولا يتخلف عن صلاة الفجر والجمعة في جامع الكلتاوية حتى أكرمه الله تعالى بأن توفي في صلاة الفجر عند السجدة يوم الجمعة في الكلتاوية.

كتب لي الشيخ حامد صخي عن أبي عمر الدباغ: «حَدّثَنا الشيخ بشير الحداد -رحمه الله- قال: كان الحاج أبو عمر الدباغ -رحمه الله- قويًّا ذا سطوة أشبه ما يكون بقاطع الطريق يخشاه الناس، أرادَ أحدُ مشايخ حلب نصيحته ليتوب فقال له: تعتقد أنني لقمة تستطيع أن تبلعني! أنا لا يقدر أحد أن يَبْلَعَني. وتمضي الأيام وهو كذلك فلمّا رأى سيّدَنا محمد النبهان -قدس سره- انْبَهر وأناب إلى الله تعالى وتابَ بين يديه، فقال الناس: لو لم يكن للشيخ النبهاني كرامة إلّا هداية أبي عمر لكفى.

هذا الرجل أضحى من العُبّاد الصالحين عندما أناخ راحلته في رحاب الكلتاوية المباركة في رياض سيدنا النبهان رضي الله عنه.

وكان الحاج إبراهيم الفياض[١] يرتبط بصداقة حميمة مع أولاده، فزاره في بيته في حلب قبيل وفاته.

حدثني الأخ عبد الحكيم إبراهيم الفياض قال: كنتُ بمعيّة والدي في تلك الزيارة، سَمِع منه أنّ زوجته أم عمر كانت من الصالحات أهل المكاشفة، إذا جاء الضيوف اليه تعزل أحذية الزائرين وتقول له: هؤلاء من الصالحين الطيبين، أمّا هؤلاء فماذا تصنع بهم؟!

أولاده من المحبين لسيدنا الكريم منهم: عمر وظافر كان الحاج ظافر شريكًا للشيخ محمود مهاوش -رحمه الله- ثُمّ اسْتقَلّ في التجارة لوحده، وكامل، وَعَبدالقادر، وكان الحاج كامل أيضًا شريكًا للحاج جاسم محمد الفياض -رحمه الله- ثُمّ استَقَلّ لوحده».

جاء في كتاب «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره»[٢]: «أسرة الدبَّاغ كان عميدها أبو عمر الدبَّاغ المعروف بمواقفه الوطنية وشخصيَّته القويَّة، وكان مرافقًا للشيخ في مجالسه الخاصَّة والعامّة، ويشرف على تنظيم هذه المجالس، وكان مهيب الشخصية، واشتهر أبناؤه الستة بحب الشيخ وهم: عمر، وظافر، وأنور، وعبد القادر، وعبد الوهاب، وكامل، وهم من التجَّار المشهود لهم بالنزاهة والصدق، ويعتبر الحاج ظافر من رموز إخوان الشيخ الذين يحظون بالاحترام والتقدير في مختلف الأوساط التجارية، وتضم هذه الأسرة كلًا من عبد الغني الدبَّاغ وعادل الدبَّاغ وعمر الدبَّاغ، وأولادهم».

حدثني الشيخ هشام الألوسي قال: «حدثني الشيخ بشير حداد -رحمه الله- وقال هكذا سمعتها من فم أبي عمر الدباغ: أنه كان سيدنا رضي الله عنه يوصي أتباعه كثيرًا

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٦).

(٢) «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره». (١٣٩).

بالأدب حتى قال لهم مرَّة: «أولادي تأدبوا فأنا معكم حتى وأنتم في فَرْشات نومكم» وكان أبو عمر الحاج محمد الدباغ حاضرًا فوقع بنفسه خوف ووجل مما سمع، وفي تلك الليلة نام أبو عمر على سريره الذي اعتاده لوحده ليستيقظ بعد أن أرخى الليل بسدوله فإذا به يتحسس جسدًا إلى جنبه فتحسّسه بيده إلى أن وصل إلى لحية يمسكها بيده وفتح عينه فأبصر سيدنا رضي الله عنه إلى جنبه فصرخ دخيلك سيّدي وهو يسحب اللحاف فوقه فاختفى رضي الله عنه، وفي اليوم التالي جاء أبو عمر إلى الكلتاوية فما إن أبصر سيدنا رضي الله عنه حتى قال له رضي الله عنه: «ها أبو عمر آمنت؟!» قال: آمنت آمنت يا سيدي».

حدثني الدكتور نوفل الناصر قال: «إن جدي الحاج علي -رحمه الله- الذي قال عنه السيد هو شهيد المحبة قال: سيدي! أنا وأبو عمر الدباغ أربعون نبيًّا لا يأتون بنا إلى الصراط المستقيم (يقصد صعوبة هدايتهم) وأنت جئت بنا يا سيدي».

مرضه ووفاته:

مرض أبو عمر في بداية السبعينات وكان سيدنا -وهو الذي يحفظ الود- يطمئنّ عليه ويزوره، وقد زاره آخر مرة في بيته قبيل انتقاله سنة ١٩٧٤م.

زار السيد النبهان ومجموعة من أصحابه كالشيخ علاء الدين علايا، وحامد صخي، وغيرهما زاروا أبا عمر الدباغ، وكان أبو عمر مريضًا جدًّا فقال أحدهم: انظر إيش عمل الله به على ما قدم! فقال السيد: بل ما يدريك المقامات التي يرفعه الله إليها.

حدثني الدكتور عثمان عمر المحمد قال: «ويوم انتقال السيد النبهان رضي الله عنه كان أبو عمر محمولًا على كرسي أتي به لوداع سيدنا الوداع الأخير، وليحضر الصلاة، فرأيته في حالة من البكاء، ودموعه تغسل لحيته ووجهه، ومارأيت أحدًا بكى مثله».

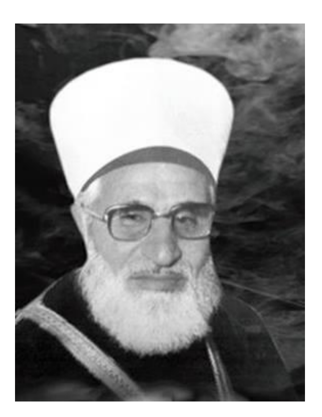
وبقي أبو عمر بعد ذلك طريح الفراش إلى أن توفاه الله تعالى في أواخر عام ١٩٨٠م.

مصادر الترجمة:

- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- دروس الشيخ علاء الدين علايا المسجلة.
- الشيخ هشام الألوسي، والشيخ حامد صخي، والدكتور نوفل الناصر، والدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلة كتابية.

(٥٩) الشيخ محمد الشامي

١٣٤٢ - ١٤٠١هـ/ ١٩٢٣ - ١٩٨٠م



العالم، الداعية، المتحدث البارع، والخطيب الذي لايشق له غبار، إن تحدث فبمجامع القلوب أخذ، منطقي الفطرة، جزل العبارة، صوفي المشرب، نبهاني الهوى والوجهة.

الشيخ محمد بن عبد الله بن سليمان الشامي (أبو أسامة).

ولادته:

ولد في مدينة حلب في أحد أحيائها القديمة (الألمجي) عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة، انتقل به والده إلى منطقة الباب حيث أقاربه هناك، نشأ وترعرع في بيئة عرفت بالتقى والصلاح، فوالده الشيخ عبد الله رجل صوفي متعبد أخذ الطريقة الجيباوية على شيخه الشيخ محمد كعيكاتي.

والدته: السيدة أمينة ابنة الشيخ محمود ابن الشيخ هلال، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبينهما أربعون جدًّا.

دراسته:

في هذا البيت نشأ وترعرع الشيخ، وما إن بلغ الرابعة من عمره حتى بعثه والده إلى أحد كتاتيب البلدة ليتعلم قراءة القرآن الكريم ومبادئ الكتابة، ثم

التحق بمدرسة الشيخ مصطفى أبو زلام الشرعية في مدينة الباب، ولزم شيخها وأخذ عنه العلوم الشرعية والعربية، ولما أنس منه شيخه استيعابه العلوم وإتقانه لها أمره بالسفر معه إلى حلب والانتساب إلى المدرسة الخسروية، وفي المدرسة الخسروية تتلمذ على عدد من كبار علماء حلب، فلازمهم، وأخذ عنهم مختلف العلوم الشرعية والعربية أمثال: الشيخ أحمد الكردي، والشيخ محمد راغب الطباخ، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ أسعد العبجي، وغيرهم.

انتقل بعدها إلى مصر، ونشأت علاقة حميمة بينه وبين علمائها، من بينهم: شيخ الأزهر العلامة محمد الخضر حسين، والشيخ صادق العدوي، والسياسي المخضرم حسين الشافعي، وكانت له علاقات طيبة مع العديد من علماء مصر أدبائها ومثقفيها وأصحاب الفكر وأولي الأمر فيها، ولقد وظف هذه العلاقات لخدمة طلاب العلم فيما بعد، فكان يسجل الأعداد الكبيرة في الكليات المختلفة في القاهرة، ولم يتسنّ له متابعة الدارسة في الأزهر؛ نظرًا للأوضاع السياسية التي كانت تمر بها البلاد فانقطع في نصف دراسته وعاد إلى سوريا التي كانت ترزح تحت نيران الاحتلال، فناهض الفرنسيين، وترأس العديد من المظاهرات الصاخبة والمنددة بالمحتل وأعماله مما عرضه للملاحقة والسجن مرات عديدة، فذاع صيته، وانتشر أمره، وكان يدخل على الملوك والحكام بجرأة فريدة، فهو فصيح اللسان، طلق البيان، صاحب هيبة وحجة مؤثرة، ممدود بمدد الله ومدد أوليائه.

علاقته مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

أول لقاء كان له معه في بداية ظهور السيد النبهان، لكنه ما زال في مرحلة احتجابه عن الناس، ولا يجتمع بأحد في تلك الحقبة، فقال الشيخ مصطفى أبو زلام: يا شيخ محمد تعال لنزور السيد النبهان، فقال له الشيخ الشامي -وهو في بداية عمره-: هذا لا يقابل أحدًا، قال الشيخ مصطفى: الآن ترى. قال الشيخ محمد: فصعدنا إلى أن وصلنا هذا الجامع الصغير، وكان باب الجامع في جهة الغرب ومقفل،

فوقف الشيخ مصطفى في مواجهة الباب، وأسند رأسه إلى الحائط، وأغمض عينيه، ولم يقرع الباب، وماهي إلا دقائق إلا والسيد النبهان يفتح الباب: مرحبًا أهلًا وسهلًا. ويدخل، وكانت تلك هي البداية مع السيد النبهان ﵁، وكان له بعد ذلك منزلة خاصة عنده ولم يفارقه في أهم أحداث حياته حتى فارق الدنيا.

اشتهر الشيخ محمد الشامي بحبه للسيد النبهان، وتفانيه في خدمته، والتعريف به، وبمكانته، وشرح أفكاره، وكان السيد يدنيه إليه ويحبه.

قال سيدنا ﵁: «ما جاء لعندي مجذوب من المجاذيب إلا وأوصاني بالشيخ الشامي، الشيخ الشامي وردة زينت بها عمامتي».

حج مع السيد النبهان ﵁ عام ١٩٦٥م وكان الشيخ محمد الشامي مسؤولًا على أحد ناقلات الرحلة.

الشيخ محمد الشامي كان صاحب همة، ودَلّالًا ماهرًا يريد أن يعرّف الوجود بشيخه السيد النبهان ﵁، فيحرص على ربط العلماء والمثقفين والسياسيين مع هذا الجناب وتيسير الظروف للقاء السيد النبهان ﵁، فكان الشيخ الشامي نقطة التواصل وهمزة الوصل مابين كبار الشخصيات في العالم الإسلامي وشيخه السيد النبهان.

جاء في مذاكرة لسيدنا ﵁ وهو يقول للشيخ محمود مهاوش: «الشيخ الشامي يريد أن يجمع الناس ويأتي بهم إليّ، الشامي نيته حسنة، يأتي بضباط ورؤساء، يأتون ينبسطون يُسَرون». وقال عنه سيدنا النبهان ﵁: (الشيخ الشامي عنده جوهر نفيس جدًّا جدًّا، جوهر لا كالجوهر).

سافر السيد النبهان ﵁ إلى دمشق مرّة بدعوة من رابطة علماء الشام، فرافقه الشيخ محمّد الشامي -رحمه الله- فما كان من الشيخ الشامي إلاّ أن ذهب سرًّا إلى سكرتير رئيس الجمهورية شكري القوّتلي فألغى الرئيس مواعيده ليفرغ لمقابلة السيّد النّبهان، وعندما جاء الشيخ الشامي وأبلغ سيّدنا ﵁ بالموعد انتفض قائلًا:

«أأذهب لمقابلة القوّتلي؟! بئس العلماء على أبواب الأمراء، إذا كان القوّتلي يريد اللقاء معي فليحضر هنا، أما أنا فلا أذهب إليه».

وفي فترة الوحدة بين مصر وسوريّة استُحدِثت وزارة رعاية الشباب، وسوريّا آنذاك الإقليم الشمالي ومصر الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة، فاستضافت مصر صيفًا مئة وخمسين شابًّا من سوريّة، فغرق أحد الموفدين في شاطئ الإسكندرية، إلاّ أنّ السلطة لم تبادر بإرسال الجنازة، واكتفت بإعلام أسرة الفقيد عن طريق تلك الوزارة، لأن نقله لا يمكن إلاّ بطائرة، وما إن بلغ سيّدنا ﷺ الخبر حتى ثارت ثائرته وطلب من الشيخ محمّد الشامي أن يفتح له هاتفًا ليكلّم جمال عبد الناصر، وأثناء المكالمة قيل له: من يريده؟ قال الشيخ الشامي: قولوا له الشيخ محمّد النّبهاني من حلب. فقالوا: إنّه في اجتماع بمجلس الوزراء، هل تكلمون المشير عبد الحكيم عامر؟ قال الشيخ الشامي: سيّدي، هذا المشير على الهاتف. قال ﷺ: كلّمه أنت، فأنا لا أكلم المشير، وليبلغ جمال عبد الناصر: نرسل لكم أبناءنا أحياءً وتبخلون بإرسالهم أمواتًا؟ فأجابه: شيخي، بعد ساعتين سيكون عندكم. فوصلت الجنازة بعد ساعتين، على طائرة خاصة.

خطب الشيخ الشامي على منبر الكلتاوية أمام سيدنا ﷺ وكان مع السيد النبهان في رحلته إلى العراق الأولى والثانية، وخطب في جامع سيدنا عبد القادر الجيلاني، وكذلك في مسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان معرفًا بسيّدنا ﷺ، وشارك في مؤتمر القدس الأول، وكان ذلك بصحبة السيد النبهان ﷺ.

«ومما يذكر أنه حين تم الاستفتاء على الدستور الأول في سوريا بعد الوحدة قاد السيد النبهان حركة اجتماعية تأييدًا لموضوع دين الدولة، وتم الاتفاق في البرلمان على ألا يكون دين الدولة الإسلام، فأوفد السيد النبهان الشيخ محمد الشامي ومعه رجلان إلى دمشق، ولما دخلوا على رئيس اللجنة الدستورية ناظم بيك القدسي فيبدو أنهم أغلظوا في القول، وكان من جملة الحاضرين الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين، فهدد الشيخ الشامي: أن هذا الأمر سيجر ويلات إن أقر، فقال ناظم

بيك القدسي: نحن لا نهدد. فقال له الشيخ الشامي: التهديد لاما تسمعه، بل ما ستراه، أنتم أجراء أمة استأجرتكم لتأدية رسالة، فإن فعلتم أبقتكم، وإلا ركلتكم، وجاءت بغيركم، ولما خرجوا من عنده أرفق ناظم القدسي استقالته مقابل إقرار دين الدولة بناء على هذا الحديث وهذا اللقاء، وهنا نشأت مشكلة كبيرة فالتقى الشيخ الشامي بعلماء دمشق، ولم يكن الشيخ مصطفى السباعي في تلك الجلسة، فتكلم فيها الشيخ الشامي كلامًا قاسيًا فقال له الشيخ حسن حبنكة: أنت باسم من تتكلم؟ قال: باسم حلب، وباسم السيد النبهان. قال: ما الحل؟ قال: أنا أريكم الحل، فقاموا واتصلوا بالدكتور معروف الدواليبي فذهبوا إليه، وكان عنده الشيخ مصطفى السباعي، فقال الشيخ السباعي للشيخ الشامي: هل بلغت قوة السيد النبهان إلى هذا الحد؟ فقال: سل رشدي بيك الذي كان رئيسًا لمجلس الشعب آنذاك وسل الدكتور معروف فأكدوا له مكانة السيد النبهان في الشارع الحلبي على وجه التحديد فقال: لقد تم الاتفاق، وغدًا جلسة مجلس الشعب للإقرار فقال الشيخ الشامي: أنا أدلكم على الطريق، أوقفوا الجلسة لحضور السيد النبهان ومناقشته، وتم الاتفاق على ذلك وأخبر السيد النبهان بالاتفاق، وخرج السيد النبهان في اليوم التالي إلى دمشق، وحضر رشدي الكيخيا والشيخ مصطفى السباعي (وكان الشيخ السباعي يرى أن التخلي عن هذا المطلب هو درء للفتنة ومصلحة للأمة) فالتفت رشدي بيك الكيخيا وقال للسيد النبهان: سيدي هؤلاء علماء الشام قد اتفقوا على هذا الأمر فإن باركت هذا الأمر انطلقنا على بركة الله وإلا فمرني أن أجمع حقائبي وأعود لبلدي فقال السيد النبهان: لقد أعددت نفسي لمحاربتكم من أجل هذا الأمر، أما وقد اتفقوا فحتى لا تقولوا خرق الإجماع فلا أعارضكم ولا أباركم وتم الإقرار، واستدعاء السيد النبهان لمناقشته في مجلس الشعب السوري مسجل في محاضر المجلس» [1].

(١) انتهى من ابنه الدكتور محمد صهيب الشامي.

من أقوال الشيخ الشامي: «سيدنا الشيخ محمد النبهان من فوق فوق التصور».

الشيخ محمد الشامي

في تأبين السيد النبهان:

كان الشيخ محمد الشامي -رحمه الله- هو فارس الميدان يوم انتقال السيد النبهان مع هول الفاجعة التي أصابت الكلتاوية وأهلها، فهو يستقبل المعزين من العلماء والشعراء، ويرحب بهم يقدمهم للمشاركة في ا لتأبين المهيب.



جاء في كلمة مسجلة له وهو يرحب بمن حضر:

بسم الله الرحمن الرحيم.

مرحبًا بالإخوة الطيّبين الطاهرين الذين اعتدنا أن نستقبلهم في مثل هذه المناسبات زائرين،واليوم نرحب بهم مشيّعين. مرحبًا بكم جميعًا.

جئتم لِتُشَيّعوا صوت الحق، صوت الإيمان، صوت الإسلام، شيخ الأمة، مرشدها الكبير الذي عرفته منذ نعومة أظفاري قائمًا على الحق، مجاهدًا في سبيل الله، غير هيّاب من أحد، ولا آبهٍ لأحد؛ إنما الحق والحق وحده رائده.

جئتم لتشاركونا الحزن والأسى على فقيد الأمة الإسلامية سيدي وأستاذي مُرَبّي المريدين محمد النبهان رضي الله عنه.

يا أبا أحمد:

يا مَن علّمتنا المواقف الجريئة في سبيل الحق.

يا من علّمتنا الكرم في سبيل الله.

يا من عَلّمتنا المُثُل العليا في ذاتك لا بأقوالك.

رضي الله عنك، طبتَ حَيًّا وطبتَ ميتًا.

لقد عرفناك ملتزمًا شرع الله، ومُؤثِرًا دين الله على ما سواه، يقول الحقّ، وينطق الصدق في كل المناسبات، هكذا عَرفناك، وهكذا علمتنا.

طبتَ حيًّا وميتًا يا أبا أحمد، يا قائدنا، يا قرة عيوننا، يامرشدنا، يا مَن كنت تتحمّل العذاب في كل صُوَرِهِ وأشكاله، لتنشر الرحمة على الناس، هكذا عرفناك يا أبا اليتامى والأيامى والأرامل.

أشهد لله وشهادة حقّ أنك كنت إذا ما سألك السائل وأنت لا تملك العطاء فكنت تستدين لتعطي، وتبرهن على معدن النبوّة.

حقًّا إنَّهُ لَوارِثٌ مُحَمّديّ. وماذا عسايَ أن أقول أمام السادة الأَجِلاّء والعلماء الأفاضل الذين هم رفاقك في الطريق؟! هم أحبابك في الجهاد.

ماذا عسايَ أن أقول أمامهم وهم يعرفونك أكثر مِنَّا؟! نعم إنك كنت الصوت المدوي في إعلاء كلمة الحقّ، لا تأخذك في الله لومة لائم.

عرفناك منذ عشرات السنين، وأنت ما تركت سنة من سنن النبي ﷺ.

عَرفناك طيلة أعوام، في الحِلّ والترحال، في السفر والحَضَر، في الصحة والمرض وما طلع الفجر عليك وأنت نائم، حتى في مرضك هذا، واللهِ ما ترك صلاة الفجر وهو في الساعات العسيرة وكان في غاية الألم ولكن الحمد لله لم تطل مرضته سوى ساعات، أول البارحة قام وتوضأ وصلى الصبح وصلى الظهر، يُحَدّثنا فيقول: لا تحسبوا أن الموت هو الموت كما تعرفون؛ إنما الموت هو جسرٌ يَعبرُ عليه المُحبّون للقاء حبيبهم، رضي الله عنك يا أبا أحمد. إلى آخر مشاركاته المسجلة في تلك المناسبة.

والشيخ الشامي هو من قدم السيد الحفيد الدكتور محمد فاروق النبهان ليكون مكان جده وألبسه جبته وعمامته وقال كلمة طويلة معرفًا به، ومما جاء في آخرها:

«فبورك لك يا شيخ فاروق أن أخذت مكان جدك، وأرجو الله بمحمد وآل محمد وبكل نبي ورسول وبكل ولي وولية لله أن يجللكم بنور من عنده، وأن يفتح لك طريق المعرفة كما فتحها لجدك، وأن تكون الصلة الحقيقية بين قلبك وسيدنا رسول الله ﷺ كما كانت لجدك، وما ذلك على الله بعزيز، فنبارك لك هذا المكان ونبارك لك عمة سيدنا وعباءته ومكانته، وإن الله ليكلؤك بعينه، ويكللك بنوره، وأن يجعلك خير خلف لخير سلف، والله أسأل أن يرزقنا جميعًا الإتباع العظيم لسيدنا محمد ولوراثه وللوارث الذي ربانا وعلمنا وأكرمنا».

مع الشيخ الجزراوي:

ممن كان له أثر في حياته أنه كان هناك أحد الأولياء الأبدال واسمه الشيخ محمد الجزراوي أعطى الشيخ محمد الشامي نصف فرنك وقال له: «اتركه في جيبك وأينما تريد أن تدخل فادخل» فكان هذا النصف فيه سر، وله أثر في حياة الشيخ الشامي. وكانت له علاقة خاصة بالشيخ حسين المجدمي، ويزوره في قرية عِيشة، ويزور الشيخ أحمد الحارون في دمشق، وله به صلة مباركة.

ومن مواقفه:

أنه كان للشيخ الشامي دور كبير في الحركة الدينية والسياسية في البلاد، واشتغل بالشأن العام في الجمعيات الخيرية والعمل الخيري، فشارك في تأسيس جمعية رفع المستوى الصحي، وجمعية المواساة، وجمعية السل، وأسس الثانوية الشرعية في عفرين، وأسهم في تأسيس معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، وكان له دور في تأسيس جمعية النهضة الإسلامية في حلب بتوجيهات ورعاية السيد النبهان، وهو الذي سجل بعض دورات خريجي مدرسة الكلتاوية قبل التعديل، وهو الذي حصل على قرار المعادلة من الأزهر لدار نهضة العلوم الشرعية لعام ١٩٧٥م، ولما حول السيد النبهان المونتانا إلى جامع الفرقان شكل لجنة للجامع، فكان الشيخ الشامي في هذه اللجنة، وأسهم الشيخ الشامي كذلك مع الشيخ المحدث عبد الله في

تأسيس جمعية التعليم الشرعي، وانتخب الشيخ محمد الشامي عضوًا في الاتحاد القومي في أثناء الوحدة بين مصر وسورية.

من مشاركاته:

شارك في مؤتمر القدس الأول، وحضر كذلك مؤتمر اليونسكو الذي عقد في جامعة حلب لوضع كتاب عن مظاهر الثقافة الإسلامية المختلفة، وحضر مؤتمر البنوك الإسلامية في دبي مشاركًا، كما شارك في مؤتمر السيرة النبوية الذي عقد في قطر، وزار الكويت أكثر من مرة، وألقى فيها كثيرًا من الدروس، والتقى فيها بعلية القوم، كما القى بعض الدروس بحضرة ملك المغرب محمد الخامس.

وزار الشيخ الشامي عددًا من الدول الإسلامية مثل الأردن، وتركيا، والمغرب، والسعودية، والكويت، والإمارات، والعراق، ومصر، وزار بعض الدول الأوربية، وكان حيثما حل محل اهتمام العلماء والدعاة والمسؤولين.

وقد حاول أن يلعب دورًا مشهودًا في إطفاء الفتنة التي عصفت بسورية عام ١٩٨٠م. ومن أقواله، رحمه الله: لا يُقدم على قتلي إلا أحد رجلين كافر لادين له أو مجنون لاعقل له وكان يكثر من الدعاء بقوله: «اللّٰهُمَّ ارزقني الشهادة في سبيلك واجعلني اللّٰهُمَّ صادقًا غير كاذب مقبلًا غير مدبر».

يخدم الناس:

كان للشيخ الشامي غرفة في جامع الإسماعيلية، هي مجمع الأحباب والعلماء، ثم انتقل بعدها إلى جامع السلطانية حيث كان مهدمًا مهملًا، فرممه وأعاد الحياة إليه، وأسس مجلسه فيه، وتحول هذا المكان إلى خلية نحل، فكنت ترى فيه عِلْية القوم من شتى الأصناف العلماء والتجار وغيرهم، وأنشأ فيه مجلسًا للذكر، وكان همه -رحمه الله- أن ينشئ فيه المعهد العالي للقرآن الكريم.

من صفاته:

اتسم الشيخ الشامي بالخلق الحسن، فلا يحمل غلًّا ولا حقدًا لأحد من المسلمين، وكان لا يمر عليه يوم إلا وأصحاب الحاجات من مختلف طبقات الناس في منزله، فقد سمعنا من العامة والخاصة في خدمته للناس ما يحير العقول ويدعك مندهشًا أمام خدمة الشيخ الشامي -رحمه الله- لمن يقصده ويلجأ إليه، وكان موئلًا للصالحين وخاصة لأهل الأحوال الخاصة يكرمهم ويخدمهم ويتودد إليهم.

من وظائفه:

تعاقب الشيخ الشامي على الكثير من منابر حلب ومساجدها، فكان خطيب جامع السيد علي، وابتدأ فيه في أيام الوحدة، ثم انتقل بعده إلى جامع ميسلون حين تم افتتاحه، ثم أصبح خطيبًا للجامع الأموي الكبير في حلب بعد وفاة الشيخ جميل العقاد -رحمه الله- وخطب كذلك في جامع عمر بن عبد العزيز، وشغل وظيفة التدريس الديني والإفتاء في منطقة عفرين.

من أصدقاء الشيخ محمد الشامي:

الشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ مكي الكتاني، والشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ المنتصر الكتاني، والشيخ أبو الخير زين العابدين، والشيخ عمر البوشي، والشيخ محمد بلنكو، والشيخ عبدو عجان الحديد، والشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر.

استشهاده ووفاته:

استجاب الله دعاءه، والتحق بربه شهيدًا برصاص الغدر والخيانة، وذلك مساء يوم الأحد سنة ١٤٠٠هـ الموافق ٢ شباط ١٩٨٠م، ودفن في جامع المدرسة السلطانية التي أسسها الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، وأتمها ابنه الملك العزيز سنة ٦٢٠هـ، وجعلها مدرسة للشافعية والحنفية وتخرج فيها عدد كبير من العلماء وتقع مقابل مدخل قلعة حلب.


قبر الشيخ محمد الشامي

وقد بكت حلب الشيخ الشامي وشيعته برجالها.

مدحه ورثاه العدد من الشعراء منهم الشيخ بكري رجب والشيخ بكري المارعي ومحمد بشير خبازة والأستاذ محمود خياطة.

ومما قاله الشيخ بكري رجب:

أمحمدُ الشاميَّ دمتَ موفقًا للخير في السراء والضراء
فلك الهناء أبا أسامة دائمًا بإغاثة الضعفاء والبؤساء
لا زلتَ مرعيًّا بعين إلهنا طلع الصباح وفاض بالآلاء

ومما قاله محمود خياطة:

من بلدة الباب جاء الحق ممتشقًا نُورَ الشريعة في قلب من الذهب
وكان يغزل للناس الهدى كلما جمَّ البيانِ بليغَ الفكر والأدب
أبا أسامة والدنيا إلى بِدَدٍ ذكراك باقية في لامع الخطب
نحن الذين فقدنا فيك داعية إلى المودة والإحسان والأدب

وقد خلف وراءه بنين وبنات منهم: الدكتور محمد صهيب، والدكتور عبد العزيز -رحمه الله- والأستاذ أنس، ونصر، ويمان، وغيرهم.

مصادر الترجمة:

- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره».
- كتاب «السيد النبهان».

- ولده الدكتور محمد صهيب الشامي من خلال لقاءات مباشرة معه[١].
- الشيخ الدكتور محمود الزين -رحمه الله- لقاءً مباشرًا.
- الدكتور محمود حوت، والدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلةً كتابيةً.
- تسجيلات جامع الكلتاوية.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

١	قول سيدنا النبهان عن الشيخ محمد الشامي: (عنده جوهر نفيس جدًّا جدًّا، جوهر لا كالجوهر).	
٢	كلمة للشيخ محمد الشامي عن سيدنا محمد النبهان.	
٣	كلمة للدكتور محمود حوت في رثاء الشيخ محمد الشامي.	

(١) **الدكتور محمد صهيب الشامي (١٣٦٨هـ-١٩٤٩م)**: تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

(٦٠) الشيخ محمد الفياض

١٣٢٠ – ١٣٩١هـ / ١٩٠٢ – ١٩٧٢م



الدلّال الناصح، الذي كان يقول: «أنا دلَّال ناصح، الشيخ النّبهاني وارث الرسول ﷺ» بَركة أهل الفلوجة ووليها، الشيخ محمّد بن عبد الله بن فياض بن مرعي بن عبيد بن حديد بن خليف بن فليح بن حيدر الكبيسي.

ولد في ناحية كبيسة بمحافظة الأنبار في العراق عام ١٣٢٠هـ

وينتسب إلى عشيرة آل حيدر، إحدى عشائر كبيسة المعروفة بأصالتها العربية.

نشأته:

أرسله والده إلى سبعة من الملالي ليتعلم القرآن الكريم، فلم يجد له نسبةً مع واحد فبقي أميًّا، لكنه من صغره سليم الفطرة، سليم الاعتقاد، يحب الأولياء، صادقًا لا يكذب، أمينًا لا يخون، لا يتنـزل للدنايا، ولا يألف أقران السوء، ملتزمًا بالصلاة، يحضر دواوين الوجهاء فيسمع ويعتبر، لا ينمّ ولا يغتاب، ولا يتدخل فيما لا يعنيه.

وعلى هذه الصفات نشأ، وفي أسرة آل الفيّاض الشهيرة بالغنى والكرم ترعرع، وهو ما يوحي للنفس أنه ابن عناية، حتى إذا جاوز الحلم مارس التجارة مرتين أو

ثلاثًا فَخَسِرَت؛ إذ لم تكن له معرفة بها ولا هدف له في جمع المال، وأدرك بعضُ أقاربه أنه سيتلف تركة والده، فأشاروا على إخوانه حمدان وحمد ورحيم أن يقسموا له حقه لئلا يتأثر الباقون بسببه، إلاّ أن الإخوة الثلاثة يشتركون بالصفة نفسها أن الدنيا تحت أقدامهم، والمال للكفاف، والفضل للصدقة، فجاء ردُّ أخيه الحاج حمد: والله لا نقسم له، وأخي هذا محمّد لو وضع في رقبتي حبلًا، واقتادني إلى السوق للبيع لما ترددت.

زواجه:

تزوّج -رحمه الله تعالى- ورزقه الله بأبناء صالحين وهم: جاسم، وإبراهيم، وخليل، وإسماعيل، وأيوب، ويعقوب.

حجه:

وحجّ وهو في كبيسة مرتين على الإبل، إحداهما في عقد الثلاثينات، والثانية عام ١٩٤١م. وكان لديه حمار يركبه من كبيسة إلى هيت مسافة ثمانية عشر كيلومترًا ليحضر مجالس العلماء هناك.

الرحيل إلى الفلوجة:

في عام ١٩٤٤م حدثت مشاجرة بين أعمامه آل حيدر وأخواله آل حمد، بسبب التناوب على ماء سقي البساتين التابعة للعشيرتين، وقتل في المعركة أحد عشر رجلًا من الطرفين، فلم يشترك في تلك المأساة، ولم يسمح لأحد من إخوته بالتدخّل، فهو يصلي على من قتل في الجهتين، ويتبع جنائزهم، فأثار حفيظة أعمامه، ولمزوه وإخوانه بالجبن والخوف، وهو يحتجّ عليهم بحديث المصطفى ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»(١).

---

(١) رواه «البخاري» في «صحيحه» (كتاب الإيمان -باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) حديث رقم [٣١] ١: ١٥.

وعشيرة أخواله تجلّه وتحترمه أكثر من عشيرة أعمامه، وفرارًا من العصبية الجاهلية نوى -رحمه الله- الهجرة إلى مدينة رسول الله ﷺ ثمّ تراجع إلى هيت، وبقي يتردد في قراره حتى ألهمه الله تعالى الرحيل إلى الفلوجة عام ١٩٤٤م وهي سنة ولادة ولده الشيخ أيوب -رحمه الله- وأصرّ ألا يسكن في بيت إلاّ ملكًا لئلا يتضرر المؤجِّر بتلف أو كسر شيء بسبب أحد أبنائه، فكان له ما أراد.

وفي الفلوجة كان -رحمه الله تعالى- يتطلَّع إلى صحبة رجل من أهل الله تعالى، وبقي اثني عشر عامًا يتجوّل ويبحث.

مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

وفي عام ١٩٥٧م وأثناء زيارة لسيّدنا الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه حظي بزائر من سوريّة إنه الشيخ محمّد الجبريني من علماء حلب وأعلامها، فسأله الحاج محمّد: من عندكم في حلب؟ قال: عندنا ثلاثة: الشيخ محمد نجيب سراج، والشيخ سعيد إدلبي، وقد ظهر الآن رجل، كراماته ظاهرة وباطنة، لم يقف على قراره أحد حتى الآن، هو الشيخ محمّد النّبهان.

وبينما كان -رحمه الله- يمشي على جسر الشهداء ببغداد التقى بمجذوب لم يره من قبل، فسلّم عليه وقال له المجذوب: «غرّبْ غرّبْ» ففهم من كلامه التوجه غربًا إلى حلب.

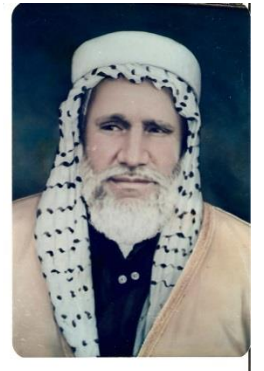
يرى رؤيتين ويسمع هاتفًا:

رأى في الأولى قافلة على الإبل فسأل: إلى أين وجهتكم؟ قالوا: إلى حلب إلى الشيخ محمّد النّبهان. فأوّلها: أن الرجل ممّن تُشَد إليه الرحال.

ورأى في الثانية بحرًا عظيمًا واسعًا وقد انتصب وسطه رجل لم يُجاوز ماء البحر ركبتيه، ورأسه في عنان السماء، ويحيط به جيش، فإذا به الشيخ النّبهاني. ثمّ سمع هاتفًا يقول: كلام الشيخ فيه ثمر. فسافر إلى حلب في العام نفسه ١٩٥٧م بعد

أن جمع مبلغًا من المال، واتّجه صوب القدس، وتمكن من التعرّف إلى مجموعة من المجاهدين، فدفع إليهم المال لمقاتلة اليهود، ثمّ رجع إلى دمشق، ومنها إلى حلب.

وفي حلب:


الشيخ محمد الفياض

كان بيت سيّدنا ﷺ في محلة بانقوسا المجاورة للكلتاوية، فطرق الباب، فخرج إليه ﷺ مُرحّبًا: أهلين وسهلين يا حاج محمّد. يقول الحاج محمّد، رحمه الله: فإذا به كالأسد، لم أرَ مثله من قبل أو بعد، فما إن عرف شيخه حتى ألقى رحله عنده ووطّد نفسه لتوجيهاته وإرشاده.

والشيخ الفيّاض مهاب ومحبوب، إذا رؤي ذُكر الله تعالى، لا يحب أن تطلق عليه كلمة الشيخ، شديد التمسك بالشريعة والسنّة، صبور على البلاء، كثير البكاء، يحسن لمن أساء، حاله وقوله وفعله كلّه مواعظ.

وعُرف عنه عبدية لله تعالى، وأخلاق محمّدية، أعظمها عدم رؤيته لنفسه وتواضعه، مع كونه فيض جود وكرم ونصح وتذكير، وهو ما جعله موئلًا للعلماء والطلبة والصالحين والفقراء والتائبين.

قال عنه سيّدنا النّبهان ﷺ:

«الحاج محمّد الفيّاض دلّال ناصح، قلبه فوق قلوب العلماء». وهاتان الكلمتان يحبهما ويكررهما على الأسماع كثيرًا: أنا دلّال ناصح، الشيخ النّبهاني وارث الرسول ﷺ.

ويقول عنه السيد النبهان ﷺ: «الحاج محمّد صادق، نـزيه، ذاتي، متبرئ، عين القلادة، وبركة العراق في الظاهر، عنده نُفَيسة لكن سترحل، الحاج محمد صادق

لكن فقط يخاف من الابتلاء، الحاج محمد لا أحد يحكم عليه، ابق هكذا حاج محمد كدع».

وهيّأ الله تعالى له أبناء بررة، وعلى الأخص ولده الشيخ خليل الّذي تفرغ لخدمته وملازمته، وكان سيدنا يوصيه فيقول: «شيخ خليل! اخدم والدك، أنت هذا سيرك، هذا أبوك في الروح والجسم بآن واحد.

أما ولده إبراهيم فهو الآخر يأتيه بوارد المحلات المستأجرة وبعض ما يتيسر لديه من تجارة ليضعه بين يديه، يهدي لمن يشاء، ويتصدق بما يشاء.

وقال سيدنا ﵁ عن أولاد الحاج محمد كماهو مسجل: «حاج جاسم! الله بعث لكم أباكم رحمة فيكم، رحمة لكم، واللهِ لا يريد لكم إلا الخير يا ولدي. أولاده أولاد ما شاء الله! الحمد لله رب العالمين. أنا راض عن أولاده كلهم، كلهم ما شاء الله عليهم، الله يجزيهم، الله يتولاهم، مليحين، واللهِ مليحين، أنا من قلبي وذراتي أحب أن أخدمهم، أخدمهم أكثر من أولادي بكثير. أبوكم نعمَ الأب واللهِ يا شيخي! والله نعم الأب لكم. هذبكم أدبكم».

وقد نال الشيخ الفيّاض بسر صحبته لسيّدنا النّبهان ﵁ مراتب قلما تجتمع إلا في أفراد الأولياء.

مؤاخاة:

روى لنا الشيخ الدكتور محمود فجال -رحمه الله- قال: «في ليلة مقمرة كان اللقاء في بيت الشيخ حسان فرفوطي بحي باب المقام وذلك في صيفية عالية مكشوفة في هدأة الليل، تحت السماء الزرقاء، والنسمات الحلبية، والقمر منير ليلة البدر، وكان هناك ضيوف سيدنا عراقيون، ومنهم الشيخ الصالح محمد الفياض -رحمه الله وأولاده- بالإضافة إلى حلقة صاحب الدعوة، وكان الشيخ محمد الفياض

يتحدث بكلمات الحب بسيدنا ناصحًا وموجهًا إخوان سيدنا باتباع السيد النبهان، وكان سيدنا يعلوه الجمال والجلال ويتهلل وجهه ويبرق سرورًا وحبورًا.

وسيدنا يتكلم، ويترنم بمحبة الله تعالى، وصفات رسول الله ﷺ الفطرية الأخّاذة للعقول والقلوب، ويتكلم عن الشخصية القوية، والهمة العلية، وفائدة الحضور مع الله تعالى، ولا بد من طلب معالي الأمور، والبعد عن سفسافها.

وإخواننا متعطشون لسماع كلماته رضي الله عنه وسماع صوته، وقلوبهم كالتربة العطشى، فكانت مذاكرته تروي الغليل، وتبرئ العليل، وصدى كلماته ترتد في الأفق الفسيح، وتصويب سهام نظراته تخترق حجب القلوب بما يفيض الله عليه من نفحات الغيوب، فخشع الإخوان، وتنهدوا، وتأوهوا، وبكوا وهو يزيد أُوارَهم لهيبًا، ويزيد تنهدهم دلالًا، وهم يعلوهم الأدب الرفيع، فكأنما على رؤوسهم الطير، وتمتلكهم الخشية لله رب العالمين، مشهد عظيم تصوره عدسة كمرة الوجود ما أحلاه! وما أبهاه!

وسرى على الشيخ الصالح محمد الفياض الحال القوي منه ومنهم، فطلب التآخي مع الإخوان، فآخاه سيدنا مع جميع الإخوان مصافحًا لهم واحدًا واحدًا، والله متجل على عباده بالجمال والرحمة، سلامٌ هي حتى مطلع الفجر.

وكل أخ من الإخوان يشعر بالذل والانكسار والفقر إليه -سبحانه وتعالى- مع سيلان الدموع الهوامل، من العيون الذوابل، ولسان حالهم يقول:

بصحبة الأحباب زانت ليالينا

دَخِيلْ عليك يا ليل قل للفجر: ما يجِينا

سقيم الغرام بكى ولما بكى قال: آه يا رب

يا إلهي اشف سقامي واشف كل من قال: آه يايوب.

وهنا أتمثل بقول البرعي من بحر البسيط:

إني وإن فتتوا في حبهم كبـدي ... باقٍ على وُدِّهــم راضٍ بما فعلوا
فليت شعــري والدنيا مفرقة ... بين الرِّفاق وأيـــامُ الورى دُوَلُ
هل ترجع الدار بعدَ البُعْدِ آنسةً ... وهل تعود لنا أيامنـــــا الأُوَل

هكذا كانت مجالسنا في حياة سيدنا ﵁».

من صفاته:

وكان لشخصية الفيّاض وللمعاني التي تتفجر من قلبه على لسانه الأثر البالغ في توجيه أفواج المسترشدين إلى حلب.

واشتهر -رحمه الله- بتفقّده للمعوزين وذوي الفاقة ولم تعرف الفلوجة سابقًا أو لاحقًا رجلًا مثله يعترض الناس في الطرق، يعظهم، ويتفقّد أحوالهم، ويوزّع عليهم المناديل والحلوى والنقود، ذلك شأنه كل يوم.

دعوته -رحمه الله- في الشارع والبيت والجامع، يأخذ العهد على من يراه بالصلاة وطاعة الوالدين وتقبيل أيديهما، وتزكية النفس، والاتباع لرسول الله ﷺ، وصحبة أهل الله، وربّما أمر منصوحه أن يؤدّي تحيتين، كما يؤدّيهما العسكريون، يقول له: واحدة للأمر، والأخرى للنهي الإلهي.

والحاج محمّد الفيّاض جِدّي لا يمزح، حَدّي لا يتنـزل لمخالفة، ولا يجامل على حساب الحق، ذاتي لا يعمل خوفًا من نار ولا طمعًا في جنة، بل لأجله تعالى وتنفيذًا لأمره عزّ وجل، يستشير شيخه النّبهاني ﵁ في الصغيرة والكبيرة، ولم نرَ فيمن رأينا مثله في العراقيين حرصًا على تلك الصحبة والمتابعة، يحتفظ بدفتر مدوّن فيه بخط ولده الشيخ خليل توجيهات شيخه له وبياناته عنه، ولا يخلو له يوم من مراجعتها والاستماع لما فيها، وهو مولع ببردة المديح للإمام البوصيري، وقصائد

الشيخ عبد الرحيم البرعي، ومن حوله ثلّة من المنشدين والمداحين. تجده -رحمه الله تعالى- مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس ٦٢-٦٣).

كتب لي الدكتور عادل كعيد: «مذ كنت شابًّا صغيرًا تعلق قلبي بحب الحاج محمد الفياض -رحمه الله- في الفلوجة وبشكل غير اعتيادي، فقد كنت أحبه حبًّا شديدًا، وفي نفس الوقت كنت أهابه هيبة كبيرة، واستمر الحال معي إلى أن صرت أتحين الفرص للجلوس بين يديه تارة، وللهروب منه تارة أخرى خوفًا من أن يكاشفني إذا ما أذنبت أو غفلت.

وكان الحاج محمد الفياض يدلنا على سيدنا النبهان ﵁، ويتبرأ من كل ما يُنسب إليه من مشيخة أو غير ذلك، بل وكان دائمًا يردد: أنا فرّاش عند النبهاني»، ولم يترك هذه الجملة إلى أن صححها له سيدنا النبهان ﵁ وقال له: بل أنت دلال ناصح».

وللشيخ الفيّاض مبرّات كثيرة منها:

أنه حمل سجّاد بيته الّذي جاء به ولده إبراهيم للبيت، فجعله في جامعي الفلوجة الكبير والصدّيق، لا يزال مفروشًا فيهما.

ومنها: أنه امتهن تربية الأغنام والأبقار؛ ليوزّع ما نتج من حليب على الفقراء والجيران.

ومنها: أنه كان يعقد شركة في بقرة مع فلاّح فقير، حتى إذا أوفى شريكه ما بذمّته أهداه كامل البقرة.

والحاج محمّد الفيّاض مضياف لا يتكلف، وضع أبناؤه ما يؤول إليهم من إيجارات بيده، يهب ويتصدّق، وكان يقول: الدرهم الّذي أنفقه لي، والدرهم الّذي يبقى عندي ليس لي، ووصيتي بعد موتي: أن يتصدّقوا حتى بهذه العصا!

فلم تعرف الفلوجة مثل زهده، رحمه الله.

وكان في بعض أسفاره إلى سورية يسأل نفسه: لو دخلت المطعم فكم سيكون مصروف وجبتي؟ فيكتفي بالضرورة، وجبة أو وجبتين من خبز وعنب ونحو ذلك، ويحتسب الفرق ليتصدّق به!

واستأجر -رحمه الله- بستان نخيل، فلما حان وقت قطف التمر جاءه رجل يقول: سامحني يا حاج؛ سرقت من بستانك كذا وكذا. فقال له: ائتني بكيس، وأمره بملئه وحمله إلى أهله.. وهو يوزّع الصدقات بين الأقارب والأباعد، ويؤثر الأفقر لا الأقرب.

كتب لي الأخ محمد ماهر مهاوش: «سمعت من والدي الحاج محمود مهاوش -رحمه الله- يقول: تشاركت مع الحاج حمدان في تجارة النِّعال في الرطبة، وكان الحاج حمدان والحاج محمد في المال سواء فقال لنا الحاج محمد: لا يجوز أن تعملوا وأنا أقاسمكم أعطوني مالًا لأعمل به فأعطيناه ثلاث مئة دينار، وفي نهاية العام جئنا لعند الحاج محمد لمحاسبة الحاج محمد وتقسيم الأرباح فيما بيننا فقال لنا الحاج محمد: يا حمدان، ويا محمود! كم ربحتم؟ ثلاثين بالمئة؟ قالوا: الحمد لله، الربح كان مئة بالمئة، فقال: أنا ربحت أكثر فقال له أخوه الحاج حمدان: يعني كم أكثر؟ مئتين بالمئة؟ قال: أكثر. فقال الحاج حمدان: (عَفْي أخوي) فقلت: -والكلام للوالد- فقلت للحاج حمدان: (عَفْي أخوي) ! أخوك أنفق المال كله لله، فكانت تجارته رابحة، هذا هو الحاج محمد رحمهم الله جميعًا، وهذه كانت في الأربعينات».

يتابع الشيخ هشام الألوسي حديثه عن الشيخ محمد الفياض فيقول: «ومجلس الفيّاض لا يتحدث فيه غيره، وفي غرفته لوحات، كثيرًا ما تكون كلماتها مفتاحًا لأحاديثه ومذاكراته.

منها: آية ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)

وآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧-١٠)

والذِّكر الذي كان يوصي به سيّدنا النبهان ﷺ إخوانه دائمًا:

- بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلاّ الله.
- بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلاّ الله.
- بسم الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله.
- بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

ودعاء: «اللّٰهُمَّ إنا نسألك الصبر والحكمة، والسعة والرحمة، والشفاء من الأمراض، والعفو والعافية وحسن الختام».

ويستمع -رحمه الله- كثيرًا إلى دروس سيدنا النبهان ﷺ يحرص عليها أشدّ الحرص، ولا يسمح لأحد بتسجيلها منه؛ غيرةً منه على تلك الدروس أن تصل إلى من ينكر فيتأذى بسببها.

حدّثنا الشيخ شريف حمد الراوي من الفلوجة قائلًا: رأيته يفتح المسجّل ويستمع، فقال لي مرّة: توجد عوالم تحتاج إلى سماع الدرس وتتغذى به. وهو يعني بذلك عوالم الجنّ والملائكة.

ووضع الله تعالى لمواعظه القبول في قلوب الناس، فلا تجد أحدًا يردّ عليه أو يعترض أو يتردّد في قبول كلماته.

رأيت عالم الأنبار الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي وهو على ما عليه من علم ومكانة إذا حضر الفيّاض مجلسه توقف عن التدريس مخاطبًا من حوله من الطلبة: استمعوا الآن إلى كلام حديث العهد بربّنا من فم الحاج محمد الفيّاض، فيستمعون إليه، والشيخ عبد العزيز كأحدهم، وهذا أمر عاينته بنفسي.

ومن وصاياه -رحمه الله- للطلبة: خذوا العلم من الشيخ عبد العزيز، وخذوا الأخلاق من الشيخ النّبهاني، الشيخ النّبهاني وارث الرسول ﷺ».

والفيّاض أقرب مَن في الفلوجة إلى قلب الشيخ عبد العزيز رحمهما الله تعالى، فهو الناصح له، والمحذِّر من غلبة النفس وهفواتها، وكثيرًا ما يردّد أرجوزة عنده:

«دخيلك يا ربّ دخيلك، من نفسي ونفس غيري دخيلك.

دخيلك يا ربّ دخيلك، من نفسي وشيطاني دخيـلك.

دخيلك يا ربّ دخيلك، ما لي غيرك دخيلك».

واجتمع به في جامع الفلوجة الكبير شيخ الأزهر الشيخ محمّد عبد الحليم محمود إبّان زيارة له للعراق، فأعجب بحديثه، فقال له: هذا كلامك كلام العارفين، أنت عارف بالله يا حاج محمّد. فأجابه: اذهب إلى حلب لكي ترى العارف بالله، أمّا أنا فيا ليتني شعرة في جسده! فلم يكن -رحمه الله تعالى- ليقبل من أحد أن يجعله بمرتبةٍ لم يكن عليها، أو لم يشهد له بها شيخه.

وقد ابتلي الشيخ الفيّاض -رحمه الله تعالى- قبل سنتين من وفاته بمرض شديد، فاعتزل الناس إلاّ من نفر قليل».

كتب لي الشيخ حامد صخي: «جئتُ إلى عمي الحاج محمد الفياض -رحمه الله- صباح جمعة قبيل وفاته، فقال للشيخ خليل: ليدخل حامد إلى حجرتي، فلما دخلت رأيتُهُ هائمًا يسألني هل سمعتَ شيئًا من الشيخ النبهاني قاله عني؟ ثم يكرر ذلك، فنادى ولده الشيخ خليل بأعلى صوته: «خليل ماذا قال عني الشيخ النبهاني؟» فيقول له الشيخ خليل: قال: «الحاج محمد الفياض نريدُ له المعرفةَ، وسيدخل في المعرفة، ولا يموت حتى يكمل» فيهيمُ عند سماعها، وقد كُتِبَتْ له فيقول: خليل أعدها علي، أكتبها مرة أخر فَأرى وجْهَه يتهلّل نورًا وهيبةً.

زرتُهُ أنا الفقير والحاج عبد الله الحديد -رحمه الله- وكان معه الشيخ خليل يقوم بخدمته فلّما جلسنا عنده ضرب بعصاه التي يتوكأ عليها الأرض ورفعها بيده الى السماء ويقول: «الشيخ النبهاني في السماء يناديني تَقَيّدْ تَقَيّدْ».

الحاج محمد الفياض كان أُمّةً، يزوره العلماء رجاء دعوة منه أو سماعَ حكمة، وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب بل لا يرى ولا يسمع إلّا المرجع الفرد إلّا سيده ومولاه محمد النبهان، ومن هنا جاءت عظمة الحاج محمد الفياض وكرامته وكراماته التي لا تنتهي لأنّه يسير بمدد الوارث المحمدي وهذا بيت القصيد».

عاش -رحمه الله تعالى- اثنين وسبعين عامًا وفارق الحياة مشتاقًا إلى ربّه عزّ وجل، بعد أن كان يتعشّق الموت لأكثر من سنتين، حدّثنا ولده الشيخ خليل قائلًا: بقي والدي في المستشفى ستًّا وثلاثين ساعة، وكنت أسمع (الله، الله) مع أنفاسه.



وصيته: وصيته كتبها عنه الشيخ خليل: «هذه وصيتي لأولادي ولكل من يسمع كلامي في حياتي وبعد مماتي بصحبة الشيخ النّبهاني واتباعه».

وفاته: وافاه الأجل صباح يوم السبت ٢٧ ذي الحجة ١٣٩١هـ، الموافق ١٢ شباط ١٩٧٢م، وشُيِّع إلى مقبرة الفلوجة القديمة، ومن فوقه قبة، وجُرّب الدعاء عنده فوجدته مستجابًا، وقد جعل أبناؤه البررة البيت الّذي يسكنه مسجدًا يُعرف باسمه، وهو من أشهر مساجد الفلوجة وأجملها.

مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لدي.
- كتاب «السيد النبهان» ط ٣ (١: ٢٧٦).
- الدكتور عادل كعيد، والشيخ حامد صخي، والشيخ محمد ماهر مهاوش، مراسلة كتابية.

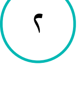
ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:



تسجيل لسيدنا النبهان يقول: حاج محمد صادق.





تسجيل لسيدنا النبهان يقول: حاج محمد اصبر.





تسجيل لسيدنا النبهان يتكلم فيه عن أولاد حاج محمد الفياض





تسجيل لسيدنا النبهان يقول: شيخ خليل اخدم والدك، أنت هذا سيرك، أبوك في الروح والجسم.





كلمة للحاج محمود مهاوش عن الشيخ محمد الفياض.



(٦١) الشيخ محمد لطفي

١٣٤٦ - ١٣٩٤هـ/ ١٩٢٨ - ١٩٧٤م

المحب الذاتي، مدير مدرسة الكلتاوية، ومدرسها الحنون، من كان ذا أثر عظيم في طلابه ومحبيه.

ولادته ونشأته:

ولد الشيخ محمد في حلب في حي العقبة عام ١٩٢٨م.

نشأ في هذا الحي وسط عائلة ثرية؛ فوالده الحاج إبراهيم لطفي -رحمه الله- يُعَد من التجار المميزين، وهو مَنْ يحدد الكثير من أسعار القهوة والشاي والسكر، وخان العلبية كله هو محله.

درس الشيخ محمد المرحلة الابتدائية في مدرسة العرفان، ثم انقطع عن الدراسة.

أول لقاء له مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

عمل -رحمه الله- في التجارة، لكنه كان غير راغب فيها، ويدعو صباح كل يوم: يارب! أريد أن أكون طالبًا لا تاجرًا، وإخوته كلهم من كبار التجار، وكلما رأى طالب علم أعاد الدعاء.

وذات يوم حدثه صديق له عن الشيخ محمد النبهان ﷺ فقال له الشيخ محمد لطفي: خذني إليه فورًا، فقال له: غدًا نذهب، قال: بل الآن، فأخذه وذهب به إلى السيد، فجلس معه، واستمرت الجلسة الأولى طويلًا، والشيخ محمد لطفي جالس على ركبتيه طوال الجلسة، والتقى فيما بعد بصديقه هذا فقال له: يا فلان! أنت أتيت بي إلى السيد النبهان -جزاك الله خيرًا- وحدثتني عنه فلمَ لا تأتي أنت إليه؟! قال: لا علم لي بذلك ياشيخ محمد ولم أحدثك ولم آت بك إليه. وقبل مجيئه إلى السيد النبهان كان يقرأ حديث رسول الله ﷺ: «لمجلس علم خير من عبادة دهر» قال: كنت أستغرب من هذا الحديث، فأنا كنت حينما أصلي أشعر بالخشوع والقرب أكثر من سماع الدرس، ولكن عندما أتيت إلى سيدنا النبهان فهمت حديث رسول الله ﷺ وقصده منه وأول لقاء له بسيدنا كان في عام ١٩٤٠م.

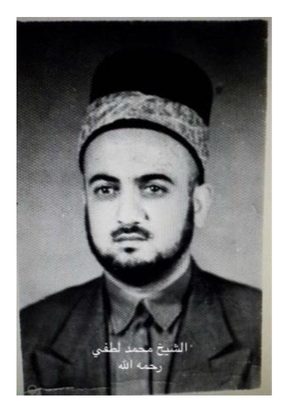
كتب لنا صديقه الشيخ الدكتور محمود فجال، رحمه الله: «الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- كان يأتي من حي الجلوم إلى الكلتاوية ليصلي ويستمع إلى مذاكرة سيدنا وهو في سن اثني عشر عامًا ومسافة الطريق غير قليلة، وكان يمر على مساجد كثيرة وهدفه الكلتاوية فكان يراه الحاج محمود الزرقا وهو أخٌ للشيخ مصطفى الزرقا الفقيه الحنفي المشهور، فمرة أوقف الحاج محمود محمد لطفي قائلًا له: إيش معنى أنت رايح آتٍ إلى مسجد الكلتاوية، وتمر على مساجد كثيرة؟! فقال له: يا عمي! أمثالي يلعبون بالدُحَل[1] في الشارع أما أنا لما صاحبت سيدنا النبهاني وضع في قلبي محبة الله ورسوله، ألا يكفي هذا في ملازمتي له والحضور عنده، وأن أتجشم المشاق في كل وقت صلاة، وآتي لأصلي معه في الكلتاوية وأستمع لتوجيهاته والجلوس معه؟

فما كان من الحاج محمود المحب لسيدنا إلا أن أخذ هذا الكلام مجامع قلبه وعقله ودعا له. وكان سيدنا يقول عن بيت الزرقا: بيت علم وأدب.

---

(١) الدُّحَل أو الكِلَال: لعبة إحدى أهم الألعاب القديمة وهي كرات الزجاجية صغيرة يلعب بها الأطفال بطرق متعددة.

كان المرحوم الشيخ محمد لطفي قبل طلبه العلم في دكانه في سوق المحمص (المدينة) بحلب الشهباء، فجاءه رجل يريد أن يشتري بُنًّا للقهوة، وكان المرحوم لطفي يعمل مذاكرة مع بعض الأصحاب، وهو على باب الدكان والأجير هو الذي يلبي طلبات الزبائن، ولكن لطفي وجد بطئًا في تنفيذ طلب المشتري للبن، فقام هو بسرعة ووضع ورقة في كفة الميزان مكان الوزنات مقابل الورقة التي يوضع فيها البن لعدم التطفيف في الميزان، وهذا من عادة محله، وقام محمد لطفي وخلال ثوانٍ أعطى المشتري البن. اسمع الآن ماذا قال المشتري للمرحوم لطفي بعد ما أخذ البن: لم أنقصتَ الوزن؟! فأخذ المرحوم محمد لطفي البُنَ من يد المشتري ووضعه في الميزان لُيريَ المشتري أن كفة البن هي الراجحة. ماذا تتوقع قول المشتري بعد ما رأى العدالة في صحة الوزن؟!



قال: أنا ما أتكلم عن هذه. وانصرف الرجل. ومراد الرجل أنك كسرت خاطر الأجير».

خطب بأمر من سيدنا بنت خاله الحاج محسن بوادقجي -رحمه الله- واستمرت الخِطبة خمس سنوات ثم أمره السيد النبهان بعقد القران والزواج وذلك عام ١٩٥٩م

عاد ليكمل دراسته فانتسب إلى الشعبانية، ودرس فيها أربع سنوات، ثم ألغتها الدولة، فانتسب إلى الخسروية ليدخل الصف الثالث فيها، وحصل على الشهادة الإعدادية عام ١٩٥٩م و، كان قد عاد إلى طلب العلم وعمره ثمان وعشرون عامًا.

ثم حصل على الليسانس من كلية الشريعة بجامعة دمشق، وكان عنوان بحثه: (الدعوة في تفسير سورة الكهف) وذلك عام ١٩٧٢م، وإضافة إلى دراسته في المدرسة الشرعية كان يقرأ الكتب على الشيوخ المتميزين مثل الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين في الشعبانية.

لما كنا في الشعبانية ونحن في الصف الثالث كان أستاذنا في النحو الشيخ عبد الرحمن زين العابدين، ولم يُنْهِ من المنهج إلا ربع شرح قطر الندى. طلبت أنا والشيخ لطفي إتمام الكتاب عليه، وكنا نذهب إلى بيت الشيخ عبد الرحمن من الساعة التاسعة صباحًا إلى الظهر حتى أنهينا الكتاب معه، وكان يحبنا كثيرًا، ويصف محمد لطفي بالعاقل، ويُسَرُّ بالجلوس معنا كثيرًا، وكان بيت الشيخ عبد الرحمن زين العابدين في الجميلية.

وقد قرأت أنا والشيخ محمد لطفي طرفًا من المصباح المنير في جامع السبيل على يد الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين.

وفي هذه المرحلة كان الشيخ عبد الستار ملا طه رفيقًا لي ولمحمد لطفي -رحمهما الله- في قراءة التجويد الدرر الحسان مع شيخ قُرَّاء حلب الشيخ محمد نجيب خياطة -رحمه الله- في أحد أروقة المدرسة الخسروية وأبدى إعجابه بغزارة علم الشيخ في هذا الجانب».

السير والسلوك عند السيد النبهان رضي الله عنه:

تميز الشيخ محمد لطفي بالعقل والحكمة، وقوة التوجه إلى الله، والالتزام بالآداب التي استقاها من السيد النبهان مما أدى إلى أن يكون على مستوى عالٍ من صفاء القلب والقوة الروحية، وكان لذلك أكبر الأثر في قوة التأثير الروحي والتربوي.

كان له وللشيخ الدكتور محمود فجال مجلس خاص أسبوعي مع سيدنا النبهان من بعد صلاة الفجر، لا يحضره غيرهما، وأكرمه الله بصحبة سيدنا في حجه عام ١٩٦٥م.

ومن تمام أدبه مع السيد النبهان لا يمكّن نظره منه حتى سُئِلَ مرةً عن لون عينيه، ومرة عن لون لحيته فلم يعرف، وظلَّ مثابرًا عند السيد النبهان يتلقى ويعمل بما يتلقى حتى أصبح من المقدمين عنده، فعهد اليه إدارة معهده دار نهضة العلوم الشرعية وذلك ١٩٦٥م، وهو المدير الثالث فيها.

أصبح الشيخ محمد لطفي مديرًا للدار ومدرسًا فيها تفسير القرآن (التفسير الواضح) والعقيدة (العقيدة وأسسها) والسيرة النبوية.

قصة تسلمه إدارة مدرسة الكلتاوية:

كتب لي الشيخ محمود فجال، رحمه الله: «جاءني الشيخ أديب حسون -رحمه الله- (وكان مدير الدار) إلى غرفتي وجلس معي، وصار يعدد لي مهامه وارتباطاته وأشغاله وأبدى لي عدم ارتياحه في إدارة مدرسة الكلتاوية لأنه بحاجة أن يكون المدير متفرغًا وهو غير متفرغ لما ذكرت من أشغاله.

ذهبت إلى سيدنا ﵁ كان في التويم، وليس من عادتي أن أذهب إلى التويم، فسلمت على سيدنا وقلت له: جئت لأمر مهم، فطلب من الإخوان أن يخرجوا، ثم قال: ما هو؟ فذكرت له معنى ما قاله لي الشيخ أديب من دون أن أذكر له أن الشيخ أديب جاءني وشكا لي، وطلب أن يكون المدير غيره، وأن يعفيه سيدنا من الإدارة، فقلت لسيدنا: نريد أن يرتاح الشيخ أديب من عمل الإدارة وتُعَيِّنوا مديرًا غيرَه، فقال سيدنا ﵁: من أين آتي بمدير؟ فقلت لسيدنا: إيش صار عندنا قحط لا يوجد عندنا مدير؟! فقال سيدنا: أنت من ترى أنه يصلح؟ فقلت له: محمد لطفي فأطرق سيدنا زمنًا ثم قال: حينما أنزل إلى حلب سأضعه، وجاء الشيخ أديب

يستأذن سيدنا للذهاب إلى الحج، فقال سيدنا له: سَلِّم الشيخ محمد لطفي إدارة المدرسة، وهكذا استمر بها سبعَ سنوات فكانت حِقْبَةً مباركةً، والحمد لله.

وكان مقدار ما تقاضاه من الرواتب يبلغ سبعة عشر ألف ليرة سورية، وبعد وفاته ردَّها أخوه أبو عمار إلى الجمعية».

رحمته بالطلاب وحبه لهم:

قال -رحمه الله- مرة لزوجته: ما عدتُ أهتم أن يأتيني أولاد بعد الآن، إن هؤلاء طلاب العلم في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) وذكر عددهم أَشْعُرُ أنهم كلهم أولادي.

كان -رحمه الله- كبير التأثير على طلابه، فهو بحق أكثر إنسان أَثَّرَ في توجيه الطلبة فما عاصره أحد من طلابه وخالطه شك بأنه من أولياء الله.

حدثني تلميذه الدكتور عثمان عمر المحمد قال: «شكا طالبٌ حلاق المدرسة للشيخ محمد لطفي –رحمه الله-أنه جرحه وهو يحلق له، فقام الشيخ عن كرسيه وتوجه إلى غرفة الحلاق، ومعه ولده عبد الله وكان صغيرًا، وكنت خلفهما أسمع وأرى، فقال للحلاق: ياأخي هؤلاء الطلاب أمانة في عنقي، هذا الطالب انظر إليه قد جرحته، ثم أمسك بيد ولده عبد الله وقال: لو كان الجرح لولدي لامشكلة، أما الطلاب فلا، احمل عِدّتك وانصرف؛ هؤلاء الطلاب أغلى علي من أولادي. رحم الله مديرنا كم كان رحيمًا مكرمًا لطلابه، متواضعًا لهم».

طلب مرة من الجمعية وجبة خاصة توضع للطلاب فرفضت الجمعية لتكلفة ذلك فما كان منه إلا أن منعها من بيته حتى توضع للطلاب.

طلابه كانوا يقتدون به، وكانوا يحسبون للحضور في مجلسه كل حساب لأنهم يشعرون بأن الله قد كشف عن بصيرته فأطلعه على خفاياهم مما يرون في توجيهاته وتنبيهاته من الإشارة إلى ما يعملون فيما بينهم وبين أنفسهم، وذلك بإلهام من الله لا بتعمد منه.

حدثني تلميذه الدكتور محمود الزين -رحمه الله- قال: «كان الشيخ محمد لطفي يكاشف الطلاب، وروى لنا عدة روايات، وأنه شكا هذه الحالة إلى السيد النبهان فقال له: لو كانت من عندك لكان لك الحق في أن تشكو منها ولكن هذا من أثر توجهك الصادق إلى مربيك وفيوض روحه عليك».

حدثني تلميذه الدكتور محمود حوت: «كان الشيخ محمد لطفي يقول لنا في درسه: والله -يا أولادي- عندما نكون عند سيدنا لا نشعر بأنفسنا إلا ونحن نحلق في السماوات السبع الطباق. والله ونحن كنا في درس الشيخ محمد لطفي لا نشعر بأنفسنا إلا ونحن نحلق في السماوات السبع الطباق.

كانوا يرونه أشبه ما يكون بساقٍ يسقيهم من ينابيع السيد النبهان.

طلب من السيد النبهان ﵁ تخصيص درسٍ للطلاب المتخرجين فقال له: افعل ذلك أنت. قال: أفعل ذلك وأنت موجود؟ قال: إذا فعلته بطلبي فأنا الذي أؤديه».

وحدثني تلميذه الدكتور عثمان عمر المحمد قال: «في يوم من الأيام ترك المدرسة أخونا الشيخ محمد بيدق، وانتقل إلى دمشق وبعد شهر أو أكثر كان مديرنا الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- وكلنا نعتقد بولاية الشيخ محمد لطفي كان في دمشق فرأى حبيبنا الشيخ محمد البيدق في أحد المساجد فقال له: لا ياولدي! نريدك أن ترجع إلى المدرسة ولا نفرط فيك أبدًا هيا يا ولدي. ونحن في المدرسة تفاجأنا وإذ بالحبيب البيدق بيننا وفرحنا بعودته أيما فرح.

وبعد ما تخرجنا بأكثر من ثلاثين عامًا لقيته وسعدت به وتحدثت معه وإذ به يخرج محفظة من جيبه وبها صورة سيدنا النبهان الحبيب ﵁ فقبلها ووضعها على رأسه وقال: هذا شيخي وتاج رأسي، رحمه الله آنسه الله».

لبسه العمامة النبهانية:

كتب لنا تلميذه الشيخ إبراهيم منصور قال: «وشهدنا لحظة التغيير من الطربوش إلى العمامة على رأس الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- وكأن المشهد أمامي

الآن. الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- جالس على كرسي منبر الصف أثناء أداء درس التفسير، ونحن في الصف الثالث فيما أظن، وفجأة فتح الشيخ محمد الصندل باب الصف -بموانته المعهودة وابتسامته المصحوبة بكلماته البدوية-وعلى إحدى يديه عمامة غير التي على رأسه، وتوجه مباشرة إلى حيث يجلس الشيخ محمد لطفي في وقاره وهدوئه المعهود، وبلا مقدمات تناول الطربوش من على رأس الشيخ فبدا صلع رأسه الذي لم أره قبل ذلك ولا بعده، وخيم على الصف الذهول والحرج الشديد لشدة ما رأينا من تحرج واستحياء الشيخ المدير من انكشاف رأسه أمامنا، ثم ألبسه الشيخ محمد الصندل العمامة التي جاء يحملها وهو يقول: سيدنا أرسلها إليك، أو سيدنا أمر بهذا. أو كلمة نحوها. ذلك آخر عهدنا بالطربوش على رأس الشيخ محمد لطفي. رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عنا خير ما جزى به أستاذًا عن طلبته، ومديرًا عمن تحت إدارته.

ومما يذكر عنه، رحمه الله:

كتب لي صديقه الشيخ محمود فجَّال -رحمه الله- قال: «كنت عند المرحوم الشيخ محمد لطفي في بيته أمام الجامع الكبير ومعي شخص من إخواننا وإذ بالباب يطرق طرقًا شديدًا، فقال الأخ الذي كان معنا: من هذا الغليظ الذي يطرق الباب؟! كأنه يبين أنه قليل أدب؛ لأن من الأدب في الزيارة حسن الاستئذان والرفق في دق الباب. أتدري ماذا قال الشيخ محمد لطفي؟ قال له بدون انزعاج: إنه موّان إنه موّان[1]. هذه من آثار التربية النبهانية ياسادة.

ومما يذكر أن الشيخ محمد لطفي هو من أشار على سيدنا بالهجرة من الكلتاوية، هاجر سيدنا رضي الله عنه من حلب إلى البويدر زمن محنة اعتقال العلماء الشيخ حسن حبنكة في دمشق والشيخ عبد الفتاح أبو غدة في حلب رحمهما الله، وقد خاف

---

(١) مَوّان بتشديد الواو تعني في اللهجة الحلبية الصديق أو الحبيب الذي لا كلفة بيني وبينه.

إخوان سيدنا عليه فاقترحوا أن يترك البلد، فقال سيدنا: أنا لا أخرج، فقال له الشيخ محمد لطفي، رحمه الله: لم لا تخرج؟! فالرسول ﷺ هاجر، فأخذ سيدنا بكلامه، وعمل استخارات لعدة مواضع فكانت استخارة البويدر هي الجيدة.

كنت أنا والشيخ محمد لطفي -رحمه الله- عند سيدنا في غرفته منفردين فقال الشيخ لطفي: سيدي! الشباب فيهم خير ولكنهم بحاجة إلى توجيه. فقال سيدنا بصوته الذي يدغدغ المشاعر وتخشع القلوب لسماعه: ولدي! التوجيه موجود ولكن العبرة بقبول التوجيه.

المرحوم الشيخ محمد لطفي كنا في الحياة متلاصقين في الأخوة حديثنا عن السيد وأحواله وسيره إلى الله، وربما ندور حول القلعة من العشاء إلى الفجر في الحديث حول سيدنا، ونكون في غاية السرور لما ينتابنا من نور عظيم ويقظة.

كان بيته بجانب الجامع الكبير، فكنا مأخوذين بحبيبنا رضي الله عنه وبسيرته، فكان يوصلني إلى بيتي، ثم أوصله إلى بيته وهكذا دواليك إلى طلوع الفجر.

كان أخي المرحوم الشيخ محمد لطفي في مجلس سيدنا رضي الله عنه فقال سيدنا: الواحد يلزم أن يرى نفسَه أقلَّ من صرصر، فقال المرحوم: والذي لا يرى نفسه شيئا! فارتاح سيدنا رضي الله عنه.

كنت أسمع مذاكرة سيدنا فتأتيني حالة أنس وروحانية، فأدخل غرفتي في الكلتاوية، ولا أريد أن التقي بأحد، ولا أسمع صوت أحد، ولا أجلس مع أحد، وقد يدوم هذا الحال معي أيامًا فإذا طَرَقَ عليَّ أحدٌ الباب فلا أفتح له مهما كان صاحبي لأنه سيتكلم معي في أمر الدنيا فيضيع ما عندي من مراقبة وسرور فأحيانًا يأتيني الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- فيطرق عليَّ الباب فلا أفتح له الباب ولا أردُّ ثم ينشد ويقول:

إنَّ الكرام إذا ما أيسروا ذكروا   مَنْ كان يألفُهُم في المنزل الخَشِنِ

ويديم الطرق حتى أفتح له».

من مواقف الوفاء:

مرة كان جالسًا في غرفته فجعل يقوم ويقعد فسئل لم تفعل ذلك فقال مر أمامي حفيد سيدنا غسان، وهذا من احترامه وتقديره لآل سيدنا.

وكان يجلس مرة أمام البركة الكبيرة في المدرسة فمرت قطة فقام ثم جلس ثم قام حتى ذهبت فجلس فسأله بعض الطلاب لمَ فعلت ذلك؟ فقال: هذه رأيتها في بيت سيدنا.

حديث الأرواح:

حدثني تلميذه الشيخ محمود الزين -رحمه الله- قال: «حدثني الشيخ محمد لطفي، رحمه الله: كان الشيخ عمر عابدين يصيح في الذكر وتكرر ذلك فمنعه سيدنا من الكلام مع إخوانه، قال الشيخ لطفي: حين منعنا سيدنا من الكلام معه فهمت أن المنع باللسان فخاطبته بقلبي ياشيخ عمر! لمَ منعنا سيدنا من الكلام معك؟! ولم تصيح في الذكر؟! قال: ياشيخ محمد! إني أرى أمورًا عجيبة لا أطيقها ومن ذلك أنني إذا دخلت الكلتاوية أرى سيدنا بصورة رسول الله ﷺ وأرى كل إخواننا بصورة الصحابة، فقال له الشيخ محمد لطفي: وأنا بصورة من تراني؟ قال: أراك بصورة سيدنا علي بن أبي طالب، قال الشيخ لطفي: بعد ذلك تأملت نفسي فوجدت أنني أحب سيدنا عليًا لكن لا أقدمه على سيدنا أبي بكر لكن له مكان خاص بقلبي».

رؤيا منامية:

يقول الشيخ علاء الدين علايا كما سمعته مسجلًا: «رأى مدير هذه المدرسة - دار نهضة العلوم الشرعية- الشيخ محمد لطفي رؤيا وقصها على السيد النبهان

فأيدها-وكان مدير الدار أخًا صالحًا وعالمًا ورعًا وعاقلًا مفكرًا وروحيًا ربانيًّا يجمع هذه الصفات كلها وهناك إخوان يعرفونه قبل أن أعرفه ويؤيدون ما أقول ويوافقون على ما أصف به هذا الأخ -رحمه الله- رأى رؤيا منامية أن سيولًا جارفة عمت البلاد ولم يبق من هذه الأراضي والسهولِ إلا قمةُ جبل، نظرت إلى من هو في هذا المكان الذي لم تطله السيولُ ولم تطغَ عليه فوجدت أناسًا ولكن هؤلاء كلَّهم كانوا من إخوان سيدنا محمد النبهان ﵁، وإذ بأحد إخوان سيدنا وهو من العلماء تقدم نحو المياه نحو السيل وأراد أن يضع رجله في الماء ليخوض أو ينزل فأمسكتُ بيده وقلت له إلى أين؟ ألا ترى الخطر أمامك؟! ومنعته من أن يخوض هذا السيل الجارف القوي المتلاطم الذي عم كل البقاع ماعدا هذا المكان المرتفع فحدث السيد ﵁ بها فأقرها».

مرتبته وكلام سيدنا عنه:

قال سيدنا ﵁: عندي اثنان ذاتيان: متزوج وأعزب والشيخ محمد لطفي في أعلى مراتب الذاتية.

سئل السيد النبهان عن الشيخ محمد لطفي عند وفاته قالوا: سيدي الشيخ محمد لطفي من الصديقين؟ قال لهم سيدنا: هو من الأبرار أبرار أبرار وهو يشير بيده إلى أعلى.

سأل الشيخ علي العمر في مذاكرة الطلاب سيدنا قال له: سيدي! هناك من يقول: الشيخ محمد لطفي قاطع مقطوع عن جنابك، وهناك من يقول: الشيخ محمد لطفي فانٍ في جنابك فقال سيدنا ﵁: هذه أقرب. وأشار أنه فانٍ بجناب السيد النبهان.

من أقوال الشيخ محمد لطفي -رحمه الله-:

الناس يتعرفون على الله من العوالم وأهل الله يتعرفون على العوالم من الله.

المرشد للمريد في المراحل الأولى يقول له: اسألني عن كل شيء حتى أقول لك لاتسألني عن شيء [(١)].

من تواضعه -رحمه الله-:

حدثني تلميذه الشيخ عثمان عمر المحمد قال: «قبل وفاته بقرابة نصف شهر أو ثلاثة أسابيع تقريبًا زرت فضيلة الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- مع أخي الشيخ علي في ليلة عيد أو قبلها بليلة، وكانت ساعة من ساعات العمر، ونحن عنده انطفأت الكهرباء، فقام وأشعل فانوسًا، ثم استأذنا للخروج، فقام معنا للباب، وإذ به يتقدمنا، وينزل للأرض، ويقدم لنا الأحذية لي ولأخي الشيخ علي، فكان رضي الله عنه معلمًا لنا في حاله وقاله وصمته وكلامه، وقبلنا يده، وانصرفنا ونحن نكاد نسقط على الأرض من حيائنا وخجلنا من تواضعه وإكرامه لنا. لازلت أذكر هذا وكلي حياء إلى هذا اليوم من هذا الموقف، أذكره لنأخذ من سيرته وسيره إلى الله دروسًا وعبر لنا».

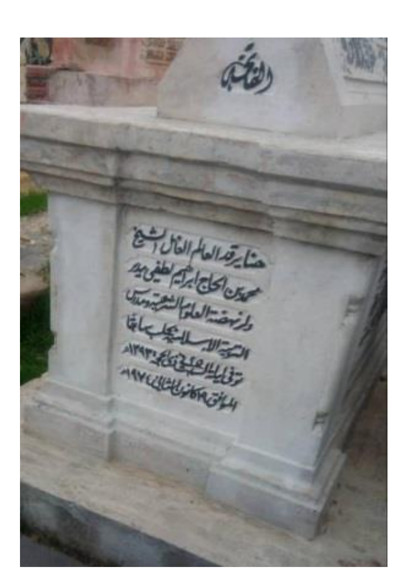
كتب لنا تلميذه الدكتور علي مشاعل: «زرت الشيخ محمد لطفي في فترة مرضه في بيته وبعد انقطاعه عن المدرسة ظاهرًا ونحن نعلم أن روحه ولبه واهتمامه لم ينقطع، لقد زرته بعد أن اشتقت لرؤيته فقلت لا بد من سبب أتذرع به فأخذت معي قفة عنب من القرية، وذهب معي والدي -حفظه الله- وطرقت عليه باب بيته ففتح -رحمه الله- فسلمت عليه وقلت: أحببت أن أقدم لك هذه الهدية فتقبلها وأبى إلا أن يدخلني البيت، ويقدم لي الضيافة، ثم ودعته، وخرجت، رحمه الله تعالى».

بعد وفاة الشيخ محمد لطفي -رحمه الله تعالى- بأربعين يومًا أقام سيدنا الكريم تأبينًا له في جامع الكلتاوية، وألقيت الخطب في رثائه، فذكر أحد الخطباء مزاياه

---

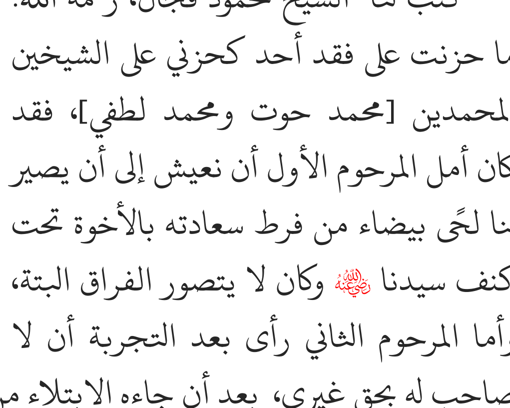
(١) سماعًا من الدكتور محمود الزين، رحمه الله.

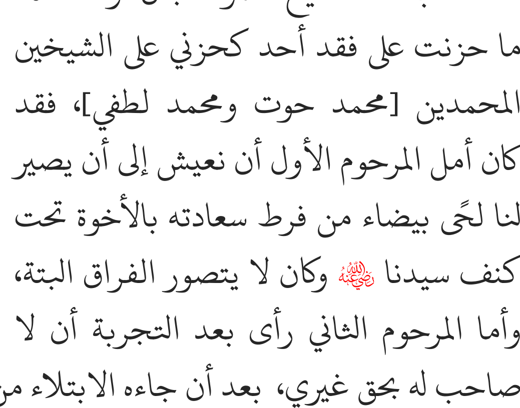
وقال: إن سيدنا محمد النبهان يقول عنك «أنا راض عنه كل الرضى» فهزّ سيدنا رأسه وهو ينظر إلى الخطيب، أتذكر هذا المشهد ولن أنساه وكيف تنسى مجالسه ومحياه.



قبر الشيخ محمد لطفي

وفاته -رحمه الله تعالى-:





كانت وفاته -رحمه الله- يوم الأحد ١٨ جمادى الأول ١٣٩٤هـ الموافق ١٩ كانون الثاني ١٩٧٤م.

كتب لنا الشيخ محمود فجال، رحمه الله: ما حزنت على فقد أحد كحزني على الشيخين المحمدين [محمد حوت ومحمد لطفي]، فقد كان أمل المرحوم الأول أن نعيش إلى أن يصير لنا لحًى بيضاء من فرط سعادته بالأخوة تحت كنف سيدنا رضي الله عنه وكان لا يتصور الفراق البتة، وأما المرحوم الثاني رأى بعد التجربة أن لا صاحب له بحق غيري، بعد أن جاءه الابتلاء من كل جهة.

كانت وفاته غير مفاجئة لي كوفاة، ولكنها مفاجئة لي في الوقت، حيث كنت أعلم أنه سيموت قريبًا لكن متى لا أدري؟! وكنت أراعيه على أنه سيموت لا لمرض فيه، وإنما لرؤيا رآها المرحوم محمد حوت. قال لي محمد: رأيت في المنام صحيفة مكتوبًا فيها الذين سيصلون إلى الله أنا أول اسم ثم بعدي الشيخ محمد لطفي، قلت له: وأنا ما رأيت لي اسمًا؟ قال: لا. لكن رأيتك راكبًا على فرس يطير بك.

تقيأت في ليلة موته، وكدت أختنق وعند صباحها طُرق عليَّ الباب وقائل يقول لي: توفي الشيخ محمد لطفي، فكان وَقْعُ ذلك عليَّ شديدًا كما كان وقع وفاة الشيخ

محمد حوت، ذهبت إلى بيت محمد لطفي وهو مسجًّى، وسيدنا دخل عليه وكاد أن ينهض لقدوم سيدنا، فقال له: لا تقم. والإخوان ازدحموا فلم أدخل مع سيدنا ولكن إرادة قيامه تحدث بها الإخوان الذين شاهدوا ذلك، أما سيدنا فتكلم معه كما أخبر من رآه، ورافقت سيدنا عند حملهم للجنازة حيث صلى عليه وطَلَبَ مني سيدنا أن أقول كلمة في المسجد الأموي الكبير فقلت كلمة وبكى سيدنا كثيرًا وإخواننا عند إلقاء الكلمة. سارت الجنازة الى المقبرة وسيدنا يقول: لا إله إلا الله بصوت عال ويكررها. هذا وبعد الرجوع من الدفن ذهب سيدنا إلى أهل محمد لطفي فحدثني السيد عبد الله بن محمد لطفي قائلًا: قلت لسيدنا: يا سيدي! رأيت في الجنازة ضابطًا كبيرًا يمشي أمام الجنازة، قال سيدنا له أنت رأيته؟ قال: نعم يا سيدي. قال هذا سيدنا جبريل كان معنا في الجنازة. ا.هـ

حدثني الشيخ أحمد حوت -رحمه الله- قال: سيدنا ﵁ لما دخل بيت الشيخ محمد لطفي طلب طعامًا فَقُدِّمَ له، فأكل لقمة واحدة فقط، وأنا سمعتها من أكثر من مصدر وفسرتها أنها ضيافة من الشيخ لطفي لسيدنا حيث أبى أن يدخل السيد بيتَه ولا يضاف حتى لو كان المُضَيِّف ميتًا.

وحدثني المهندس محمد نبهان ابن الشيخ محمد لطفي قال: لما توفي والدي الشيخ محمد ودخل عليه سيدنا هَمَّ أن يقوم من سريره وكان مسجًّى على السرير، فقال له سيدنا: ابق مكانك لا تقم، وأثناء تغسيل والدي أَهْرَقَ عليه سيدنا الماء من الإناء بيده الشريفة، سأل سيدنا ﵁ كم عند الشيخ محمد لطفي في جيبه؟ فقالوا: خمسًا وعشرون ليرة فأخذها ووزعها.

حدثني تلميذه الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت قال: أكرمني الله بإلقاء كلمة أمام السيد ﵁ قبيل انتقاله الى الرفيق الأعلى في حفل تأبين مديرنا الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- وقلت يومها: لا مصيبةَ مع الإيمان ولا مُعَزِّي مع السيد النبهان، فالشمس تُسَلِّيك عمَّا حَلَّ بالقمر.

رثاؤه:

رثاه صديقه الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني -رحمه الله- وذلك يوم السبت ١٩ كانون الثاني ١٩٧٤م في الجامع الكبير بحلب فقال:

نبأٌ سرى من أفدح الأنباء ... فأثار فيّ عواصفَ الأرزاء
نبأ سرى كالبرق في جنباتها ... ثم انطفى في دُجنة الظلماء
أ«محمدٌ لطفيْ» وأنت حبيبنا ... خلّفتنا لِلْهَمّ واللأواء(١)
أنا لا أصدق هل قضى (لطفي) أسًى ... أنا ما عهدتُ الشمسَ طيَّ خفاء
وسألتُ عنك، فقيل: إنك متعبٌ ... ولسوف تأتي دونما إبطاء
قد كنت شعلة (نهضةٍ) ونشاطها ... أعظمْ به من ثاقبٍ وضّاء
في (دار نهضتنا)(٢) قضيتَ محلّقًا ... يا زينة العلماء في الشهباء
وتشارك الطلابَ في حلقاتهم ... و لَكَمْ مسحتَ مدامع الفقراء
يا للذكاء يثيرنا بنبوغه ... في همّة وثّابةٍ قعساء(٣)
وكأنَّ في وَثَبَاتِهِ، وثَبَاتِهِ(٤) ... نورًا يشق حوالك الظلماء
نبكيك يا (أستاذ) من أعماقنا ... نبكي جهودك في أحرِّ بكاء
أ(محمدٌ) ولَأَنْتَ أكرمُ صاحبٍ ... والمشعلُ الهادي إلى العلياء
بيني وبينك يا أُخيّ مودةٌ ... وتقى، وكم لك من يدٍ بيضاء!

---

(١) اللأْواءُ: شدةُ المرض و ضيقُ المعيشة والجهد والحاجة إلى الناس.

(٢) مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية، حيث كان الشيخ محمد لطفي مديرًا ومدرّسًا.

(٣) عِزَّةٌ قَعْسَاءُ: ممتنعة ثابتَةٌ.

(٤) وَثَبَاتِهِ الأولى جمع وثبة، والثانية من الثبات.

ها هم شبابك يندبونك حرقةً والحزنُ في الأعماق والأحشاء
ربيتهم فبكوك من أعماقهم من كلّ دانٍ في البلاد وناء
جاهدتَ في التعليم حقَّ جهاده وحفظتَ حقَّ الله و العلياء
نجمٌ تألقَ في سماء شريعة وهوى كومض البرق في الأجواء
كانت حياتك نفحةً وأرى مَمَا تَكَ ذكرةً، بل عبرةً للرائي
ما العمرُ إلا رِحْلَةٌ، ما العيش إلا لمحةٌ، والخُلْدُ للعلماءِ
يبقى الحديث الحلو والذكر الذي ينساب نورًا في دجى الظلماء
أمكلّم الموتى وتلك مَزِيَّةٌ (لمحمَّد النبهانِ) دُوْنَ مِراءِ
إني لأرجو أن تكلِّم (صاحبي) بَشّره بالغفران والنعماء
أرثيكَ من قلبي وأبكي مخلِصًا ومن الوفاء الحقِّ صدقُ رثائي
فإذا ذكرتك ثار وهج عواطفي وإذا فقدتك هاج فيّ بكائي
أبكي به الإخلاصَ في حرِّ الأسى أبكي الإخاءَ الحلو، أيَّ إخاء !!
أبكي وفاءَ (محمدٍ) و شبابه كالزهر رقراقًا من الأنداء
أين الشباب الغضُّ والخُلُقُ الذي ما شابه كَدَرٌ من الأقذاء[1]
خُلُقًا قبست من (الإمام) و همّةً تسمو على الأرزاء[2] والبأساء
جمعَ الثناءَ وليس أعظم رتبة ممن يحدِّثُ عنه طيبُ ثناء
قد عاده و رجا بهم دفع الأذى فإذا المنيّة في كمين الداء
وإذا المنية أنشبت لم يثنها هلع الجبان وحكمة الحكماء

---

(١) القَذى: ما يقع في العين وما تَرمي به. و المقصود هفوات الشباب.
(٢) الأرزاء: المصائب والبلايا.

هذا يقول: «مابه من علة» و«نهاد» بشَّرَهُ بُقُرْبِ شفاء
وأصابتِ الأقدارُ في أخطائهم وإصابةُ الأقدار في الأخطاء
إني (أُخيَّ) على فراقك موجَعٌ وأشدَّ مني لوعةُ الأبناء
فقدوا الأخ الأخ الحاني وأي أخ لهم يدعونه في شدة ورخاء
حملوا إليَّ النَّعْيَ في ذوب الأسى فَشَرَقْتُ في دمعي ومِنْ بَرْحائي
نفثاتُ محزونٍ وقلبٌ هالعٌ قد أثقلته علة الأدماء
فإليك يا أستاذُ عَبْرَةَ مُخْلِصٍ قد ذوّبته فواجع الأنباء
وعليك يا (لطفيّ) رحمةُ غافرٍ تغشاك في الإصباح والإمساء
ولنا العزاء بفقده (بمحمدٍ) خيرِ البريةِ سيّدِ الشفعاء

كلمة الشيخ محمود فجال -رحمه الله- في عزاء صديقه الشيخ محمد لطفي، رحمه الله:

«الحمد لله الذي جعل الموت حتمًا واجبًا على عباده، فسوّى فيه بين ضعيفهم وقويّهم، ورفيعهم ودنيّهم، فقال -تبارك وتعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (الأنبياء ٣٥).

أيها الفقيد، أيها الصديق، أيها الأخ، أيها المحب لسيدنا العظيم محمد النبهان -حفظه الله تعالى- يا أخي يا محمد لطفي يا أبا عبد الله:

إنه ليؤسفني أن أقف بين يدي سيدي ومولاي وشيخي محمد النبهان، وبين يدي إخوتي نعزي أنفسنا لفقدك.

إنه ليَحُزّ في نفسي أن أعزي أخًا لي في الله ما عهدت عليه إلا الصدق في القول، والصدق في الوجهة إلى الله وإلى رسوله وإلى أحباب الله وأحباب رسوله.

ما أعجب تصاريف الأيام في مفارقة الخلاّن! ذلك قضاء الله الذي لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

إننا مؤمنون بأن كل حي صائرٌ إلى فناء، وأن كل نفس ذائقة الموت، وأن لكل إنسان أجلًا محتومًا، وقدرًا مقدورًا، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فكل ما قدر الرحمن مفعول.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يومًا على آلةٍ حدبـــــاء محمول

ولكن الذي يحز في نفوسنا ويملؤنا حزنًا وأسى هو أن الموت يتختطف أصدقاءنا وأحبابنا واحدًا تلو الواحد وعلى فترات متعاقبة متقاربة.

فما تكاد تجف دموعنا على صديق راحل حتى نعود فتنهمر على صديق آخر.

وها نحن نضيف إلى هذه القائمة الحزينة صديقًا صدوقًا، وأخًا وفيًا، وعالمًا من العلماء، وكريمًا تقيًا نقيًا، مراقبًا لله، لا تأخذه في الله لومة لائم، يجهر بالحق، ويسطع به، فإذا به كالنور الأبلج، وإذا بالباطل يتلجلج.

على أنه مما يزيد ألمنا وحزننا أن يفارقنا الشيخ الغالي محمد لطفي فجأة، وعلى غير انتظار.

لقد كنت -رحمك الله- مملوءًا حيوية ونشاطًا، ولم يكد يمضي يوم وبعد يوم حتى نعاه الناعي.

أجل، يا إخوتي، لقد مضى فقيدنا الشيخ محمد لطفي هادئًا في موته كما كان هادئًا طوال حياته، مطمئنًا قلبه بذكر ربه ولا يمنعه سكونه من الاهتمام بشأن المسلمين، والتفكير في أمرهم.

أيها الفقيد الراحل أبا عبد الله: إنك شاب نشأت في عبادة الله وطاعته، ونسجتك يد كريمة،

رعتك طوال حياتك، حتى أسلمتك إلى الرفيق الأعلى إلى الله.

يقول نبينا المصطفى ﷺ: «عجب ربك من شاب لا صبوة له» وفقيدنا يا إخوتي لا صبوة له.

أيها الراحل يا أبا عبد الله، يا عيني إنني أذكر فيك إنصافك وليس بوسعي مهما تكلمت أن أنصفك.

إخوتي: إنه كان لفقيدنا العظيم في خدمة العلم حقبة متميزة طولها سبع سنين في دار نهضة العلوم الشرعية.

لقد تسلم إدارة هذه المدرسة في طفولتها، ورعاها بكل ما يستطيع وبكل ما حباه الله من قوة، ورعاها بعناية فائقة، وبإحساس مرهف، وبضمير حي، وبقلب يقظ، حتى اكتملت وأينعت وآتت أكلها، وصارت هذه المدرسة في عهده ينبوعًا ثرًا من أهم ينابيع العلم والتقوى.

أيها الفقيد: وإن أدهشني فقدُك فنسيت كل شيء فلا أنسى رعايتك لطلاب العلم يوم أن كنت مديرًا، ولا أنسى توجيهاتك الحكيمة، وعظاتك الرشيدة.

وإن نُسّيتُ فلا أنسى قولك: إن هؤلاء الطلاب أغلى عليّ من أبنائي؛ لأنه جمعتني بهم رابطة العلم والتقوى والأخوة الإيمانية التي عقدها رب العزة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات ١٠) أما أبناء الجسم فقد لا تجمعك معهم إلا رابطةِ المادة والطبيعة.

ولا أنسى نصحك واهتمامك الدائم ولينك في الحديث والتذكير في الله لهؤلاء الطلاب البررة الذين يشيعونك الآن، ولم ينسوا فضلك عليهم.

ولقد فجعتهم بموتك أعظم فاجعة، ولم تكن تخطر على بالهم؛ لأن أملهم فيك معقود، وهم بانتظار شفائك لتعود إليهم ليشعروا بذلك العطف الذي فقدوه. ولكن قضاء الله خير.

ما أعظمَ هَوْلَ الفاجعة!

لقد مضت سبع سنين حملتَ فيها أمانة التعليم بحق، وهكذا قضى الله أن تذهب إلى العدم خلاصة العمر، وعصارة التقوى على حين غرة، وفترة من الغفلة.

أيها الفقيد يا أبا عبد الله: لقد صادقتُك عشرين عامًا إلا قليلًا فنعمتُ بإخائك المحض، وصفائك الخالص، ومنِ الذي ينسى ربيعك، وهو في الخريف، وشروقك وهو في الغروب.

لقد جلسنا كثيرًا يزيد إيماننا بالله، فيتجددُ إيماننا بأحاديثك الممتعة، وببيانك الساطع، والتقوى والورع يشعُ من خلال أقوالك وأفعالك، ونُبل طوّيتك، ويقينك بالله.

ولقد كنت شجاعًا لا تلين لك قناة، ولا يطيش لك سهم، ولا ينبو لك سيف في سبيل الله، وجهاد اللسان أمضى من جهاد السّنان.

ولقد كنت سليم الصدر، سمحًا، محبًّا، للخير، وكنت ذا وجه واحد، لا تعرف المراء، ولا المداهنة، ولا تعرف المصانعة ولا المضارعة.

وليس أدعى للإعجاب والإكبار بك من تفانيك في القيام بواجبك في إخلاصك، وفي صمت، بعيدًا عن أي صخب أو تهليل أو تظاهر، أو جلبة، ومطلوبك وجهُ الله، لا تحيد بك عن سبيله غايةٌ خاصةٌ، ولا يثنيك عنه إغراء أو جاه.

وسرعان ما برزت مواهبُك في محيط توجيهك وعلمك، في سداد رأيك، وسلامة منطقك، وتصرفك المرضيّ لله رب العالمين.

والله لا يضيع أجرك، ولايطوي ذكرك، وسيظل اسمك بارزًا أبدًا مدى الدهر في الدنيا والآخرة، وسيضيء للعالم نورك وسناؤك من بين طوايا الكفن، أخذك إليه، واختصك إليه.

أما هذه الأمة فتفقد رجالها وعلماءها واحدًا تلو الواحد، وهذا دليل على عدم استحقاق هذه الشعوب لهؤلاء العلماء، ونبينا المصطفى ﷺ يقول: «إن الله لا ينزع العلم من صدور العلماء ولكن ينزعه بموت العلماء».

لعمرك ما الرزيةُ فقدُ مال ... ولا فرسٌ يموت ولا بعيـر
ولكنّ الرزية فقدُ حـرٍّ ... يموت لموته خلقٌ كثيـر

فمصيبتنا بك فادحة، وخطبنا بك جلل، فرحمة الله عليك يا أخي ويا عيني يا أبا عبد الله، فلنعم الروحُ روحٌ تضمنه بدنك، ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنُك، ولنعم الكفن كفنٌ تضمنه لحدك.

غذّتك أكف الحق، ونسجتك يد محمدية نبوية، ورُبّيت في حجر الإسلام، ورضّعتَ الإيمان، فطبت حيًا وميتًا.

وأما أنتم يا أهل الفقيد: فاعلموا أن الناس لا ينفكون عن المصائب، ومن لم يثكل أخاه ثكِله أخوه، وحق الإنسان الصبر على النوائب، إذا كانت الدنيا دار فراق، ودار بوار لا دار استواء، وإن كان على فراق المألوف حُرقةٌ لا تُدفَع، ولوعةٌ لا ترد، ولنا أسوة برسول الله ﷺ حين توفي ولده إبراهيم فقد دمعت عيناه ﷺ وقال: «العين تدمع، والقلب يوجع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون»(١).

وإنا على فراقك يا أبا عبد الله لمحزونون.

يا إخوة وأبناء وأهل الفقيد: هذه العاقبةُ التي لا مفر منها، والغايةُ التي لا محيص عنها، وسنة الله في خلقه أن يشيخ الشاب، ويهيج الزرع، ويجيء الأجل، ويموت الحي.

---

(١) رواه «البخاري» في «صحيحه» (كتاب الجنائز - باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون») حديث رقم (١٣٠٣) ٢: ٨٣.

ولكن الإيمانَ بيقين الموت، والاطمئنان إلى نهاية الحياة لم يستطيعا أن يحبسا في العين دمعة الحزن. ولا أن يخففا عن القلب لوعة الفراق.

أعود إليك يا أخي يا أبا عبد الله، وهذا آخر المطاف بك في الدنيا، وآخر العهد بك، وآخر الحديث معك، لقد ذهبتَ إلى الرفيق الأعلى إلى الله، وهذا مطلب النبي ﷺ كان وهو محتضر يقول بصوت خافت: «الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى»[١] لا يريد إلا الله. وعاد رسول الله ﷺ رجلًا إلى الإسلام فقال: لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي، فقال ﷺ: أرني قبرها، فأراه إياه، فقال ﷺ: يا فلانةُ؟ فقالت: لبيك وسعديك. فقال ﷺ: أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا؟ فقالت: لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيرًا لي من أبويّ، ووجدت الآخرة خيرًا لي من الدنيا[٢].

فرحمة الله عليك يا عيني يا أبا عبد الله، رحمك الله رحمة واسعة، وأسكنك فسيح جنانه، وأجزل لك المثوبة والعطاء، وأحسن مأواك، ورفع منزلتك من عباده، وجعلك تحت نظر شيخنا وسندنا محمد النبهان على الدوام وفي البرزخ وفي كل مكان. وأفرغ الله على أهلك وذويك صبرًا، وعوضهم عنك خيرًا، إنه ولي المؤمنين.

والسلام على روحك الطاهرة، سلام وداع لا لقاء بعده في الدنيا، وطبت حيًّا وطبت ميتًا».

هذا غيض من فيضٍ من حقيقة هذا الشيخ المحب الذاتي الذي لا يعرف حقيقته إلا الذي رباه وهو السيد النبهان رضي الله عنه.

---

(١) رواه «البخاري» في «صحيحه» (كتاب المغازي - باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ) حديث رقم [٤٤٦٣] ٦: ١٥.

(٢) ذكره القاضي عياض في «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» عن الحسن مرسلًا (فصل في إحياء الموتى وكلامهم) (١: ٣٢٠). مذيلًا بحاشية الشمني.
وقال ملا علي القاري في «شرح الشفا» ثم رأيت الحديث في دلائل البيهقي. (١: ٦٥١).
وذكره الشيخ يوسف النبهاني في «حجة الله على العالمين» وعزاه للبيهقي في دلائل النبوة. (الفصل الثامن في بعض من أحياهم الله لأجله ﷺ) (١: ٣٠٤).

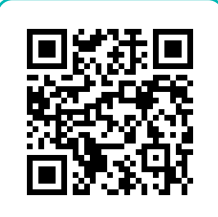
مصادر الترجمة:

- صديقه الأستاذ الدكتور محمود فجال، والشيخ إبراهيم منصور، والدكتور محمود حوت، والشيخ حامد صخي، مراسلة كتابية.
- والدكتور محمود الزين، ومحمد نبهان ابن الشيخ محمد لطفي، لقاءً مباشرًا.

ملفان مسموعان:

لسماع الملفين الصوتيين، فضلًا اقرأ الرمزين التاليين:


١ رؤيا للشيخ محمد لطفي يرويها الشيخ علاء الدين علايا.



٢ الدكتور محمود الزين يتحدث عن قصة للشيخين عمر عابدين ومحمد لطفي.



(٦٢) الشيخ محمد منير حداد

١٣٥٨ - ١٤١٢هـ/ ١٩٣٩ - ١٩٩٢م

خطيب جامع الكلتاوية بعد أبيه، وصهر السيد النبهان، ومدير مدرسة الكلتاوية ومدرسها.

الشيخ محمد منير ابن الشيخ محمد بشير ابن الشيخ أحمد حداد الحلبي.

ولادته ونشأته:

ولد في مدينة حلب في حي الكلتاوية، ونشأ فيها في أسرة ذات علم وفضل، فوالده هو الشيخ الحافظ العالم العامل محمد بشير حداد.

أما إخوته: فالشيخ محمد عبد المحسن، والشيخ أحمد مهدي، وسعد الدين. وجميعهم حُفَّاظ.

دراسته:

تتلمذ أول أمره على والده الشيخ محمد بشير، ثم حفظ القرآن الكريم في مدرسة الحفاظ في حلب، ثم انتسب إلى المدرسة الشعبانية، وأمضى فيها خمس سنوات، وفي السنة السادسة والأخيرة أغلقت المدرسة فانتقل إلى الثانوية الشرعية بحلب (الخسروية) وحصل فيها على الشهادة الإعدادية، وفي السنة التالية مباشرة حصل على الشهادة الثانوية الشرعية، ثم التحق بكلية الشريعة في جامعة دمشق

عام ١٩٦٤م، وأمضى فيها أربع سنوات، ثم تخرج فيها يحمل شهادة الإجازة في الشريعة عام ١٩٦٩م.

من زملائه فيها الذين انتسب معهم إلى كلية الشريعة في دمشق: الشيخ محمد لطفي، والشيخ صالح بشير الحجي، والشيخ محمد زهير الناصر، وكانوا في صف واحد فيها.

تابع دراساته العليا فيما بعد في جامعة البنجاب بباكستان، وحصل على درجة الماجستير، وأعد موضوعًا عن حقوق الجنين في الفقه الإسلامي لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، ولم يناقشها.

عمله:

أول من خطب بين يدي سيدنا النبهان ﵁ والده الشيخ بشير حداد باعتباره الإمام والخطيب الراتب في جامع الكلتاوية في عهد المسجد القديم ثم الجديد، وكانت خطبه مكتوبة على الورق -رحمه الله تعالى- ثم خلفه ابنه الشيخ منير -رحمه الله-، وكان يحضّر خطبه جيدًا ويرتب أفكار الخطبة على وريقات، واستمر طيلة حياة السيد ﵁ وكذلك بعد انتقاله إلى أواخر عام ١٩٧٩م حيث أسند الخطبة إلى الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت وسافر إلى السعودية.

عمل الشيخ محمد منير أيضًا مدرسًا في مدرسة الكلتاوية «دار نهضة العلوم الشرعية» بحلب، مادة أصول الفقه، ومادة الثقافة الإسلامية والسيرة النبوية.

وكذلك كان مدرسًا في الثانوية الشرعية للبنين (الخسروية) في حلب.

ثم تسلّم إدارة مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) في العام الدراسي (٧٣-٧٤) و (٧٤-٧٥). وهو المدير الرابع للمدرسة.

وفي عام ١٩٧٩م سافر إلى السعودية، فدرّس في مدارس الحرس الوطني الفقه والحديث والسيرة في المدينة المنورة، ثم في الرياض، وآخر أيامه كانت في الدمام.

واشتغل في السعودية بعلم الحديث، فكانت له حلقات علمية، قرأ فيها الصحيحين أكثر من مرة.

كان لديه روضة أطفال في حلب في حي الجبيلة، اسمها «رقية الهاشمية» وكانت تشرف عليها أخته المربية الفاضلة السيدة مجيدة وأفاد منها الكثير.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

ولد الشيخ محمد منير على بلاط الكلتاوية، ونشأ فيها وترعرع، فكان المحب الفاني والمثل السامي في محبته واقتدائه بسيدنا النبهان ﵁، الذي رباه في كنف عزه.

حفظ -رحمه الله- الود والعهد فكان الشيخ محمد منير يردد كلمات السيد النبهان في خطبه وكلماته، ويوجه الناس للاقتداء والتأسي بهذا السيد العظيم ﵁.

وأنقل هنا بعضًا من كلماته في خطبة له.

قال، رحمه الله تعالى: «الحمد لله الذي أعز الإسلام في هذه الأيام بك يا سيدنا الشيخ النبهان.

سيدنا النبهان العظيم صفحة من صفحات المصطفى عليه الصلاة والسلام، ونفحة من نفحات أنواره الا بدية الخالدة، وحديثه ﵁ طيلة حياته ينصب على الحب لرسول الله ﷺ، وأول درجات الحب عنده هو حبٌ لرسول الله ﷺ بلا مخالفة لأوامره ونواهيه، ولا بعدٍ عن سنته وسيرته.

كان سيدنا النبهان يقول: «لساني هذا لو تكلم ونطق بكلمة غير الحق لقطعته، ولو كذب في عمري مرة واحدة لقطعته».

سيدنا النبهان ما كان شاعرًا للمصطفى، وما كان خطيبًا في المجامع، وما كان مؤلفًا للكتب، إنما كانت معه واحدة غفل الناس عنها أجمعون، كان متبعًا صادق الاتباع صادق الحب، وكانت كلمته هي العليا في كل مجمع وفي كل مجلس؛ لأن الحب

يورث الاتباع، والاتباع يدخل في الوراثة، وهكذا يكون شأن الإنسان عاليًا بمقدار من يحب.

ولْأَذكر لكم مواقف ومشاهد أذكّركم بها:

حضر إلى هذه المدينة عالم دمشق ورئيس رابطة علمائها النسيب الحسيب السيد مكي الكتاني ﵁، وكان شرفه عظيمًا؛ لأنه من أبناء المصطفى، وكان له مواقف في الجهاد في سبيل الله وفي قيادة الأمة في شؤون دينها، وحضرتُ في هذه الغرفة وهذه الروضة النبهانية كأصغر من حضر ممن شهد، والمجلس غاص بالعلماء في هذا البلد وفي غيره من بلاد سورية، وتحدث العلماء الحاضرون في شأن من شؤون المسلمين كيف يعالجون مشكلة لا بد من معالجتها في ساعتها تلك، فتكلم كل إنسان، والإنسان حينما يتكلم يشرح نفسه، يشرح فطرته، يشرح إيمانه، ويضعه أمام الناس وبين أيديهم، وكثر الكلام وإذ بالسيد مكي الكتاني ﵁ يقول للحاضرين: «ما جئت لأسمع من زيد وعمرو؛ إنما جئت من دمشق إلى هنا لأسمع صوت المصطفى من لسانك يا سيدي النبهان»[1] لأن التابع بحق ينطق بلسان

---

(١) الشيخ محمد المكي الكتاني (١٣١٢-١٣٩٣هـ): رئيس رابطة العلماء في دمشق، مفتي المالكية فيها، عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ولد بمدينة فاس في المغرب، هاجر واستقر في دمشق عام ١٣٤٥هـ، كانت له دروس في الأموي، وفي مساجد دمشق، أسس جمعية تحرير المغرب العربي، ورابطة شباب دمشق، توفي في دمشق ودفن في مقبرة أسرته بالباب الصغير.

قال الدكتور محمود فاروق النبهان: السيد محمد المكي الكتاني، الشريف الحسني، المغربي الأصل، من الأسرة الكتانية في المغرب العريقة بدورها العلمي، والثقافي، والديني، والوطني، وهاجر فرع من فروعها من أبناء سيدي محمد بن جعفر إلى بلاد الشام، واشتهر السيد المكي بدوره الوطني والديني في مدينة دمشق، وكان سيدًا مرموق المكانة، وشهدت داره اجتماعات هامة للعلماء وللسياسيين، وكان كريمًا، مهيبًا، محترمًا، وكان السيد النبهان يحبه ويثني عليه، ويشهد له بمعالم الشرف في سلوكه، وكان التواصل بينهما قائمًا، والتشاور مستمرًا في القضايا

متبوعه، والمحب بحق ينطق بلسان حبيبه، وهكذا كان الحب عند السيد النبهان للرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام، حبًّا بلا مخالفة ولا نقص، حبًّا مع الاتباع الكامل، حبًّا بلا حجاب، مع الشهود دومًا وأبدًا.

وأقول أنا ولا أزال أقرأ في السيرة والسُّنة كل يوم من حياتي: والله الذي لا إلٰه سواه ما من يوم أمسك فيه كتابًا من كتب السنة أو الحديث الشريف أو السيرة النبوية إلا وأزداد معرفة وشرحًا لحياة المصطفى التي تمثلت في أيام حياة سيدنا النبهان العظيم.

سيدنا النبهان العظيم كان أسوة وقدوة لعصرنا كله في اتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام، سيدنا النبهان العظيم نزّل السيرة بنفسه، دعا إليها بفعله لا بقوله، وأشعّ على مجتمعه كله وعلى عصره بأكمله، أشع عليهم حب المصطفى والتأسي به والاقتداء بسيرته وسنته.

ألم يأن للإيمان أن يتحرك في القلوب؟ ألم يأن للنور أن يشع على الحياة من جديد؟ لأن السيد النبهان علّمنا أنه لا حجاب، بل الحجاب وهم، الحجاب أنت صنعته بنفسك وبوهمك، وهو كان ﵁ مع رسول الله ﷺ بلا حجاب، كان منهاج حياته أن يقول لجلسائه: «تعالوا نؤمن ساعة. جددوا إيمانكم».

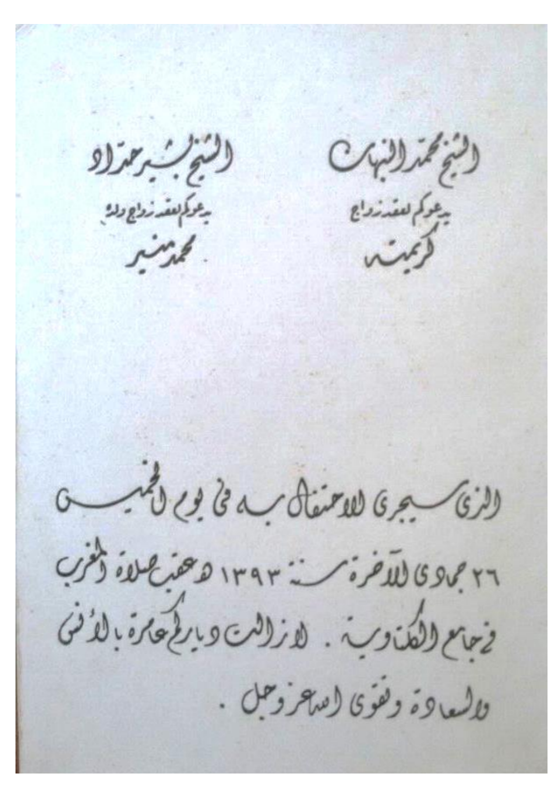
ذاكروني وذكّروني بمن هم علموني تحمل الإحراق.

الإسلامية، وأحيانًا كان السيد المكي يزور الشيخ في حلب على رأس وفد من علماء الشام للتشاور وتوحيد الكلمة بين علماء دمشق وعلماء حلب. يقول عن السيد النبهان ﵁: «يا شيخ محمد أنا ماجئت من دمشق إلى حلب لأسمع من فلان أو فلان، والله ما جئت إلا لأسمع صوت سيدنا محمد ﷺ من على لسانك». انظر «نثر الجواهر والدرر» (١٤٩٣)، و«الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» (١١٦)، وكتاب «السيد النبهان» ط ٣ (١:٢٢).

كان منهاج حياته أن يقول لجليسه ولمن لقيه: كيف قلبك مع الله؟ عودوا إليها فإنها كلمة نبهانية عالية باقية. كيف قلوبكم مع الله ومع حب رسول الله ﷺ؟».

حُبُّه للسيد النبهان رضي الله عنه:

لقد أحبّ الشيخ محمد منير السيد النبهان رضي الله عنه حتى ملك لبّه، فأحبه السيد النبهان كذلك فزوجه ابنته الكريمة رشيدة، وأنجبت له ولدًا وحيدًا «محمد» وكان الشاب محمد يحفظ القرآن كوالده وجده وأعمامه.



الشيخ محمد النبهان
يدعوكم لعقد زواج
كريمته

الشيخ بشير حداد
يدعوكم لعقد زواج ولده
محمد منير

الذي سيجري الاحتفال به في يوم الخميس
٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٣ هـ عقب صلاة المغرب
في جامع الكلتاوية. لا زالت دياركم عامرة بالأنس
والسعادة وتقوى الله عز وجل.

دعوة عقد قران الشيخ محمد منير حداد (رحمه الله)

سافر الشيخ منير كثيرًا مع العارف بالله الشيخ محمد النبهان داخل سورية وخارجها، وكان معه في مؤتمر القدس الشريف عام ١٩٥٦م.

ولقد أكرم الله -تعالى- الشيخ محمد منير الحداد -رحمه الله- بمرافقة سيدنا الكريم طيلة وجوده في مستشفى حلب من يوم الخميس إلى مساء السبت السادس من شعبان ١٣٩٤ هـ.

تحدث هو -رحمه الله- عن بعض حاله يوم انتقال السيد النبهان فقال: يوم أن توفي سيدنا ﵁ فلت زمام صبري وأيقنت بالضياع، وسيّدنا ﵁ وقتئذٍ مُسجّى في النعش قبل أن يحمل فإذا به ﵁ يخاطبني من النعش: «لا تخف أنت معي» فهدّأ من روعي.

أوصافه:

كان الشيخ محمد منير حافظًا لكتاب الله، خطيبًا مفوهًا، يجيد اللغة الإنجليزية، طويل القامة، ممشوق القامة، ليس بالبدين ولاالنحيف، أبيض الوجه مشربًا بحمرة، لطيفًا كريمًا معطاءً لا يخشى الفقر، مجلسه محفوظ من الغيبة فلا يرضى أن يسمع في مجلسه غيبة، وإن اغتاب أحد أسكته مباشرة ولايتركه يتم كلامه.

قال عنه الشيخ صالح بشير: «من أراد أن يُسَر في السفر فليصحب الشيخ منير؛ لأن الشيخ منير كان يصرف على من يرافقه من غير حساب».

وفاته:

كانت وفاة الشيخ محمد منير وزوجته المربية الفاضلة السيدة رشيدة -التي تربت في كنف والدها السيد النبهان، ووجهت النساء لأكثر من ثلاثين عامًا إلى طاعة الله- ووفاة ولده الوحيد مأساة حقيقية إذ قتلوا فاستشهدوا جميعًا على يد خادمة فلبينية مجرمة حاقدة.



الشاب الشهيد
محمد ابن الشيخ منير

وسبب الحقد أنها كانت قبل أيام قد سرقت من الشيخ منير، فأخذها لمكتب الترحيل ليرحّلها، لكنها بكت ورجَت الشيخ ألا يسفرها فعطف عليها وردها، حتى أن السيدة رشيدة قالت لزوجة الشيخ إبراهيم منصور: والله إني خائفة من الشغالة أن تستغل غياب الشيخ منير في العمل وتقتلني، لأني أرى نظراتها إليّ نظرة مريبة ونظرة حاقدة.

والشيخ منير لم يجد في حينها إلا هذه النصرانية فاضطُر لتشغيلها نظرًا إلى أن حالة زوجته بنت سيدنا الصحية تتطلب وجود الخادمة.

وقبل الجريمة النكراء كان الشيخ منير قد حزم أمتعته وأعد عدته للسفر إلى الحج، لكنها كانت تمكر بالخفاء وأعدت خطتها، فاعتدت على الشيخ منير وكان نائمًا في غرفته فضربته بالساطور على رأسه وكذلك قتلت زوجته وولده الشاب محمد، فاستشهد الثلاثة، رحمهم الله.

وبقيت الخادمة ثلاثة أيام في بيت محكم الإغلاق، حاولت الهرب منه فلم تستطع ولم تجد المفتاح، فاتصلت بسفيرها ومكتب مسفرها حتى يهيئ لها السفر بأسرع وقت ممكن لينقذاها من جريمتها النكراء، ولكن أبى الله إلا أن ينتقم منها و أن يقتص منها سيف الشرع فظهرت الرائحة بعد أيام فاتصل الجيران بالشرطة والأمن السعودي، فداهمت المنزل، فوجدوا الشهداء والخادمة جالسة تأكل البرتقال وقد وضعت الملح على جسد الشيخ منير حتى لا تظهر الرائحة لكن الله أراد أن يكشف أمرها، فاعتقلوها وحاكموها، وأسلمت قبل أن ينفذ الحكم عليها فقيل لها: لن يفيدكِ ذلك شيئًا. قالت: أعلم ذلك لكن الشيخ منير كان

يعلمني الإسلام، ويعطيني كتبًا عن الإسلام وأنا أدخل الإسلام عن قناعة، ثم أعدمت بعد ذلك.

وكانت الجريمة في مدينة الدمام، ليلة الأحد ٥ ذي الحجة ١٤١٢هالموافق ٦ حزيران ١٩٩٢م ويسر الله نقلهم، فدفنوا جميعًا في جنة البقيع، ثم توفي والده الشيخ بشير في المدينة المنورة بعده بخمسة أشهر، ودفن في البقيع أيضًا، عليهم رحمة الله أجمعين.

كتب عنه تلميذه الشيخ إبراهيم منصور فقال:

«الشيخ محمد منير حداد» (رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله. وبعد:

فإني إذ أكتب عن أستاذي الشيخ محمد منير حداد -رحمه الله- فإنما أكتب عن الأستاذ، والزميل، والجار، والأخ الأكبر، وأحد ذوي المَعْشَر.

المرة الأولى التي رأيت فيها الشيخ منير كانت في أول يوم دخلت فيه الكلتاوية لفحص المقابلة في صيف ١٩٦٧م.كان ذلك يوم جمعة، وكان -رحمه الله- خطيب الجمعة. ثم دخلت بعد الجمعة لفحص المقابلة في حجرة الإدارة آنذاك بصحبة عمنا الشيخ عمر ملاحفجي، رحمه الله.

أذكر أنه كان في لجنة الفحص: الشيخ محمد لطفي، والشيخ حسان فرفوطي، رحمهما الله.

فكان فيما سئلت: ما موضوع خطبة الجمعة التي حضرتها قبل قليل؟

فقلت: كانت عن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة ١١٥).

وكانت قد ترددت تلك الآية في خطبة الشيخ يومها.

كنا ونحن طلاب نرى الشيخ منيرًا قمرًا منيرًا في سماء الكلتاوية في جملة الأقمار التي تدور في فَلَك الشمس النبهانية.

وقد كان للشيخ منير -رحمه الله- خصوصية العزلة، وشدة الحياء، والتجافي عن الناس.

ولم يكن له أول الأمر عمل تعليمي، ولا إداري في المدرسة.

مع أننا كنا نراه فيها بين الحين والحين، كما كنا نراه من بعيد فيمن نرى من المشايخ.

وربما رأيناه صاعدًا أو هابطًا إلى منزل والده شيخنا الشيخ بشير حداد -رحمه الله- الذي كان أسفل المدرسة من غربيها، يُهبط إليه بدرج، ربما هبطه بعض الطلاب يومًا أضيافًا على أستاذهم في سياق تدليل الشيخ بشير لطلابه، وقربه من قلوبهم، وقربهم من قلبه. جزاه الله عنا كل خير.

وكم وكم شرُف ذلك الدرج بلثم أقدام سيدي أبي أحمد -قدس الله سره- هابطًا إلى بيت الشيخ بشير لصلاة التراويح بالنساء أو صاعدًا منه بعد فراغها.

وبمناسبة ذكر بيت عمنا الشيخ بشير -رحمه الله- فقد كنا نحس أن بيته جزء من المسجد أو أن المسجد جزء منه؛ لكثرة ما نرى الشيخ بشير صاعدًا منه إلى المسجد أو المدرسة أو هابطًا منهما إليه.

بل كثيرًا ما رأينا خالتنا الحاجة أم محمد زوجة الشيخ بشير -رحمهما الله- صاعدة من البيت تعبر الساحة الغربية إلى المسجد ملتحفة الملحفة الحلبية المعروفة -رحم الله تلك الملحفة وملتحفتها ما أسبغها وأكمل سترها!- لحضور درس سيدنا للنساء ضحى يومي السبت والأربعاء.

وأذكر بهذا الصدد مشهدًا لا أنساه، عدد من الأساتذة وقوف أمام حجرة إدارة الشيخ محمد لطفي ضحى أحد الأيام. فيهم: الشيخ محمد لطفي، والشيخ عبد الرحمن حوت، وغيرهما، رحم الله الجميع.

والشيخ بشير مقبل نحوهم من جهة الشبك المؤدي للساحة التي أمام غرفة سيدنا في الوقت التي كانت الحاجة أم محمد زوجة الشيخ بشير تعبر الساحة الغربية قادمة من بيتها باتجاه المسجد لحضور درس النساء، فسمعتُ الشيخ بشير يخاطب الشيخ عبد الرحمن حوت والواقفين معه وهو يمشي باتجاههم. يقول باللهجة الحلبية ممازحًا والبسمة تعلو محياه: «إي خَيّو! غضوا البصر هَيْ أمْ محمد مْعَدْيِة» فغمرتْ وجوهَ الجميع ابتسامة بهيجة سرورًا بهذه المباسطة من الشيخ بشير.

اقتربنا من الشيخ منير بعض القرب عندما أُسند إليه تدريس بعض المواد، ثم أُسندت إليه الإدارة ونحن في السنة السادسة بعد مرض مديرنا الشيخ محمد لطفي، رحمه الله.

ثم اقتربنا منه أكثر عندما شكَّل لنا رابطة الخريجين والتي كان من المقرر أن نلتقي من خلالها كل شهر مرة وفي برنامج اللقاء جلسة مع سيدنا ﵁ في بيته بعد صلاة الفجر، وقد حظينا بتلك الجلسة بحمد الله مرة أو مرتين.

ثم تصرمت الأيام عجلى، وكان انتقال السيد، وكان انشغالنا بالإمامة والدراسة ثم الاغتراب عام ١٩٧٩م. وكان ممن اغترب في السعودية الشيخ منير نفسه، لعله بعدنا بشهور، لكن مُقامه كان في الرياض، وكنتُ في الدمام، وانضم إليّ في الدمام أخي الحبيب المرحوم الشيخ أحمد حوت بعد نحو أربعة أشهر من دخولي إياها، ثم انضم إلينا عدد من الزملاء من رحاب الكلتاوية قبل أن ينضم إلينا كل من الشيخ منير والشيخ محمد مهدي نجم بعد بضع سنوات منقولين من الرياض إلى الدمام.

ومن تاريخ إقامته -رحمه الله- في الدمام بدأت مرحلة من الصلة جديدة، كنا فيها مع الشيخ منير بمثابة «المعشر الذين شأنهم واحد».

حيث اجتمع في تلك المدة في الدمام نحو من تسع أُسَر من رابطة الكلتاوية.

فقد انضم إلينا فيها بعد الشيخ أحمد حوت -رحمه الله-، كلٌّ من المشايخ: عبد القادر الزين، وحسن حجازي، ومحمود العبيد، وعبد الله الجاسم -رحمه الله- وناجي حمامي، -رحمه الله- ثم اكتمل العقد بحضور الشيخ منير والشيخ مهدي من الرياض للإقامة في الدمام.

وكان شيخَ المجموعة غيرَ منازَع الشيخُ منير -رحمه الله- فالكل من طلابه أو من درجة طلابه باستثناء الجاسم والحمّامي.

وكم ضمتنا مجالس معه على شاطئ أو في حديقة عندما يكون الطقس مناسبًا، وكلٌّ يُحضِر من طعام بيته ما تيسر، ويجري الحديث مجراه، فيه العلم والجِد، وفيه الدعابة والطرفة. والشيخ قريب من قلوب الجميع.

لقد أصبحت صورته في القلوب مختلفة عن الصورة المهيبة التي كانت بحلب.

وإن كان هذا لا يمنع أن له خصوصية نحفظها له، ولا نرفع الكلفة بيننا وبينه كما نرفعها بين بعضنا بعضًا.

ولا أنسى ذات ضحى خميس، وكان يوم إجازة حين أتانا الشيخ منير رحمه يرُدّ إلينا قِدْرًا لنا كنا أهدينا لهم فيه من طعامنا، فاستلمتُ القِدْر منه مملوءًا بـ(المامونية)[1] الحارة. يغمرها السمن العربي الذي يطفو على سطحه مبشورُ الفستق الحلبي.

---

(١) قال العلامة خير الدين الأسدي في موسوعة حلب المقارنة: إن المامونية حلوى من سميد وسمن وسكر ونعتقد هي ليست نسبة للخليفة العباسي لأن حياته مفصّلة لدينا، نعم أبدعها حلبي ويغلب أن يكون من سوق السقطية، واسم المبدع مأمون ونسبت إليه

فيا له من طعام طيب مبارك، من بيت كرَم مبارك، من صنع سيدتنا وابنة سيدنا أم محمد المباركة، رحمها الله ورضي عنها.

أتاني مرة لأخرج معه نستطلع أحد أحياء الدمام الذي كان يفكر بافتتاح بقالة فيه. ولم يُقَدَّرْ ذلك.

المهم أني عندما خرجت إليه وسلّمت عليه قال في عتاب رقيق كصاحبه، رحمه الله: هيك الواحد بِمْرِضْ ما بتزوروه؟! وكانت قد ألمّتْ به وعكة لم نعلم بها.

فقلت: والله يا سيدي نتشرف بأن نزوركم لكن لا نعرف عن ظروفكم والوقت المناسب لكم.

فقال: إيش يعني الظروف؟ اتصل وقول جاي لعندك. وخلصنا.

ومن ملاطفاته التي ما تزال عذوبتها في القلب: أني كنت في زيارته في منزله في إحدى ليالي الشتاء بصحبة الشيخ أحمد حوت -رحمهما الله- فقدّم لنا في الضيافة حبات ضخمة من فاكهة (البوملي)[١] فلما رآها الشيخ أحمد حوت قال له ممازحًا: (إيش هالكرمنتينا)؟[٢]

فلاقت مزحة الشيخ أحمد عند الشيخ منير قبولًا طيبًا؛ لما بين الفاكهتين من التضاد في الحجم.

فأجابه وهو يغالب ضحكته قائلًا: «معناها بدنا نحكيلك حكاية «صلوا ع النبي يا عْنِزَة»».

---

(١) البوملي: اسمه في العراق السندي. (أو البوملي) بالإنجليزية.
نوع نباتي يتبع جنس الحمضيات من الفصيلة السذابية، ينتج أكبر ثمار الحمضيات حجمًا، وقد يصل وزن الثمرة إلى عشرة أرطال. والثمرة ذات قشرة سميكة خضراء.

(٢) الكرمنتينا: فاكهة من الحمضيات تشبه البرتقال.

ثم شرع -رحمه الله- يقصها كما سمعها من أحد أصدقائه من رجال الإدارة في الجهة التي كان يعمل بها. فقال وثغره يَفْتَرّ باسمًا: كان أحد شيوخ «عْنِزَة» القبيلة البدوية المشهورة جالسًا في مجلسه، فسأل جلساءَه فقال: مَن منكم يعرف ليش البصل لما يكون في المزرعة يكون أبيض، ولما يجيبونه للدكان يصير أحمر؟

فسكت الجميع متحيرين.

فنادى ابنُ ذلك الشيخ العنزي: يابا أنا عرْف.

فقال أبوه: ليش يا ولدي؟

فقال الولد: (يدهنونه بدبس).

فأُعجب الرجل بجواب ابنه إلى حد أنه خشي عليه العَين بسبب ذكاء جوابه، فقال معوِّذًا لولده: «صلوا ع النبي يا عنزة. والله ما حد علمو» فضحكنا لتلك الملاطفة الرائعة الماتعة.

كان لافتًا في حياة الشيخ منير بعد أن حظينا منه بذلك القرب اهتمامه الملحوظ بأمرين:

الأول: المعرفة والاطلاع والقراءة.

جرى مرة في مجلسنا معه ذكر بعض أعلام الوهابية المعاصرين، وغزارة إنتاجه العلمي وإغراقه المكتبة الإسلامية بمؤلفاته.

فقال الشيخ منير -رحمه الله- كلامًا معناه: يجب علينا الاهتمام بالمطالعة والبحث والمعرفة لنكون أندادا لهؤلاء، ولا نكون مجرد متفرجين عليهم وهم يدرسون ويدأبون.. إلى أن قال العبارة التي غُرست في الذاكرة: «يجب على أحدنا أن يدخل منزله بالكتاب والجريدة والمجلة. كما يدخله بربطة الخبز وصندوق الخضرة».

أقول: وفي هذا ما لا يخفى من ورع الإنصاف حتى في شأن المناوئ.

ومن وقائع إنصافه -رحمه الله- في العلم: أننا تذاكرنا مرة بعض مسائل محرمات النكاح، فذكر أنه مرت به عبارة مشكلة للإمام النووي -رحمه الله- في شرحه على صحيح مسلم يقول فيها بأن الجمع بين زوجة الرجل وبنته من غيرها جائز! فجعلنا نقلّب العبارة بأذهاننا، وليس بين أيدينا كتاب، فقد كنا في جلسة على الشاطئ. وقلنا: لعل العبارة مقلوبة. ولكنها حتى لو صححت وردت إلى صوابها لكانت: الجمع بين زوجة الرجل وبنتها من غيره جائز.

وهي أيضًا مشكلة لأنها عندئذ ربيبة، والربيبة محرمة أصلًا بآية صريحة!

فقال الشيخ منير: لقد كنت وضعت إشارة إشكال على نسختي في حلب عند هذه العبارة. فلما انفضّ مجلسنا ودخلت البيت أتيت بشرح النووي على مسلم ونظرت بروية في عبارته، ونصُّها: «وأما الجمع بين زوجة الرجل وبنته من غيرها فجائز...».

فانكشف لي وجه صوابها، وأن الصورة المذكورة ليست أن يجمع الرجل بين زوجة نفسه وابنته من زوجة أخرى له، وإنما المقصود بالعبارة: جواز أن يجمع زيدٌ مثلًا بين زوجة رجل متوفى اسمه عمرو مثلًا وبين ابنة عمرو هذا من زوجة أخرى غير التي تزوجها زيد. ولا إشكال في هذه الصورة.

فرفعت سماعة الهاتف على بيت الشيخ منير فقلت بعد السلام: سيدي العبارة صحيحة. فقال: كيف؟ فشرحت فهمي لها على نحو ما سبق.

وسرعان ما انجلى له وجهها. منذ اتضح له أن الرجل المذكور في العبارة هو غير المتزوج الذي جمع بين الزوجتين المذكورتين. فلا أنسى صوته الذي كان يتناهى إلى أذني عبر سماعة الهاتف مرددًا: ما شاء الله. ما شاء الله. ما شاء الله. من غير أدنى غضاضة من أن يأتي حل الإشكال من أحد صغار طلابه.

المقصود أنه كان يحب البحث والمطالعة ومدارسة العلم، حتى لقد شرع في مشروع الدراسات العليا وهو على أبواب الخمسين أو قد ولجها، وسافر في سبيل ذلك الى الباكستان بأسرته أكثر من مرة مع ما في ذلك من الكلفة المادية والبدنية.

أما اهتمامه الثاني فهو همُّ الأمة وما في أبنائها من عوز وما يقع من عدوان الطغاة وظلمهم على الصالحين والمصلحين.

ولعل الأكثر يعلمون افتتاح فرع هيئة الاغاثة العالمية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، لا يعلمون أن افتتاحه إنما كان برأي ونصح وتوجيه ومتابعة الشيخ منير، رحمه الله.

حيث عَرَض الأمر على صديق له مقرب منه ومحب له جدًّا. كان أميرًا من العائلة المالكة، عرفه من خلال موقع عمله فكانت بينهما مودة واحترام.

عرض الشيخ منير على ذلك الأمير الفاضل أن يسعى بافتتاح فرع لهيئة الإغاثة برئاسته في الشرقية، واقتنع الأمير بالفكرة وعمل عليها حتى تحقق ذلك الأمر، وكان فيه من الخير ما الله به عليم.

أذكر أني التقيت ذلك الأمير في مناسبة خيرية بعد استشهاد الشيخ منير بسنين فلما سلمت عليه قال: أنتم من ريحة الشيخ محمد. يقصد الشيخ محمد منير، فقد كانوا يذكرونه وينادونه بالجزء الأول من اسمه المركّب، وحسبك بهذا الإنجاز دلالة على اهتمامه -رحمه الله- بالأمة كل الأمة.

لم تبلغ متعتنا بحياة الشيخ منير بيننا إلا بضع سنوات.

فقد لحق بربه سبحانه في فاجعة موجعة استأصلت معه كل أسرته المكونة من زوجته السيدة الجليلة رشيدة بنت سيدنا العارف الشيخ محمد النبهان، وابنه الشاب اللطيف النابه الحافظ محمد والذي كان على أبواب اختبارات الشهادة الثانوية في ثانوية تحفيظ القرآن في الدمام.

وكان همّ الشيخ منير كبيرًا بشأن دراسة ابنه الجامعية بعد الثانوية، ولم تكن الدراسة في الجامعات السعودية متاحة لمثله من غير السعوديين.

ولقد سمعتُ الشيخ -رحمه الله- مرة يتحدث في أمر دراسة ابنه محمد الجامعية. فقال: يبدو أنه ليس أمامنا إلا مصر، نذهب به إلى مصر.

فقلت: والسعودية؟ والعمل؟

فقال: إيش بدنا نسوي؟ لا نستطيع أن نتركه، لازم نكون معه، لازم نكون كلنا مع بعض.

وقد كفته المنية ذلك الهمّ. بل قل: قد حرمته المنية ذلك الأمل المشرق والحلم الزاهر في وحيده محمد. وذلك على يد خادمته الفلبينية المجرمة التي عدَت عليهم وهم نيام فقتلت الثلاثة جميعًا. وذلك في إحدى ليالي الأسبوع الأول من شهر ذي الحجة لعام ١٤١٢هـ.

وكنا في تلك الأيام على علم بأن الشيخ -رحمه الله- يعد العدة لسفر الحج مع أسرته، وأنه قد استعار لذلك سيارة السوبربان من صاحبه ورئيسه في العمل الشيخ صالح القحطاني، الرجل الطيب الذي عرفناه من خلال الشيخ منير، رحمه الله.

كانت سيارة الشيخ منير السوبربان ليست مؤهلة لذلك السفر الطويل لحاجتها للصيانة فاستعار سيارة صاحبه ليسافر بها.

وكأن الخادمة القاتلة وجدت أنسب الأوقات لتنفيذ جريمتها ليلة السفر الموعود حيث يعلم أصحاب الشيخ وأصدقاؤه أنه على سفر، فلن يزوره أحد أو يتصل به، فتبقى جريمتها طي الكتمان ريثما تجد منها مخرجًا.

وفعلًا لم يدْرِ بالجريمة المروعة أحد حتى مضى عليها مدة كانت كافية لتفسخ الجثامين في حر حزيران في الدمام، فانبعثت في المبنى روائح اللحم البشري المتفسخ حتى ارتاب الجيران من الأمر فضربوا الباب فأجابت الخادمة القاتلة من وراء

الباب المقفل، ولما سألوها عن الرائحة المنكرة؟ قالت بالإنجليزية: meat meat. تعني أنها رائحة لحم فاسد بالمنزل.

واستمرت القاتلة ماكثة بين الجثث في المنزل لم تبرحه، ولله في ذلك آية وحكمة، بل حِكَم.

فما كان من الجيران إلا أن أبلغوا الشرطة، فلمّا فتحت الشرطة الباب بالقوة وجدوا ما يشيب له شعر الوليد فظاعة ووحشية، والمجرمة جالسة تأكل البرتقال كما قيل.

اقتربت أيام الحج وانطلق الحجاج من الدمام باتجاه مكة، وكان فيمن سافر بسيارته إلى الحج تلك السنة بأسرته أخونا الحبيب الشيخ أحمد حوت، رحمه الله، ونوّر قبره وقلبه ووجهه.

دخلت منزلي بعد صلاة الظهر ذات ظهيرة من أيام العشر الأول من ذي الحجة من ذلك العام ولعله اليوم السابع منه، وكان من أيام إجازة الحج السنوية في السعودية.

فجلست إلى مكتبي المتواضع لأشتغل بإعداد أسئلة الامتحانات النهائية لطلابي، والتي ستبدأ بُعَيد إجازة الحج.

في تلك اللحظة جرى في خاطري السؤال عن الشيخ منير هل سافر بأهله إلى الحج؟ أم ليس بعد؟

امتدت يدي إلى الهاتف الجاثم أمامي على المكتب واتصلت ببيت الشيخ منير وأغلب ظني أني لن أجد مجيبًا، لأن المتوقع أنهم قد سافروا ولكن من باب التأكد، وفوجئت بصوت يجيبني، لكنه ليس صوت الشيخ منير! هل أخطأتُ في الرقم؟ أم لعله صوت آل السيد علاء دواليبي عديل الشيخ منير. فقد كانوا ربما جاؤوا فنزلوا في بيت الشيخ منير أثناء سفره ليستمتعوا ببحر الشرقية!

كل هذه الخواطر والاحتمالات عبرت خاطري ريثما قلت: هذا بيت الشيخ منير؟!

فقال المجيب: نعم. قلت: من معي؟ قال: الشرطة!
فقلت - وقد حضرتني كل صور الأقدار المكروهة-: خير إن شاء الله؟!
قال باللهجة السعودية: أنت قريبه؟
قلت: بل صديقه.
فقال: للأسف. الخادمة قتلته هو وزوجته وولده.
فقلت: وأين هم الآن؟
فقال: نقلناهم إلى ثلاجة المستشفى، وعليك الحضور إلى قسم الشرطة للمتابعة.

انتهت المكالمة، وكنت وحدي في المجلس فدخلت على أهلي ذاهلًا وأخبرتها بالفاجعة، وكان منها ما يتوقع من النساء من الجزع في هذا الموقف، فقد كانت بنت سيدنا لهن كالأم كما كان الشيخ منير لنا بمنزلة الوالد، كانت فاجعة تُطيش صواب الحليم.

اتصلت بالزملاء: العبيد والنجم والحجازي والزين والحمامي.

وتوجهت إلى قسم الشرطة. وتوجه بعض الزملاء إلى بيت الشيخ. وبعضهم إلى ثلاجة المستشفى التي لا يفصلها عن بيت الشيخ إلا الشارع الرئيس حتى إن الناظر من نافذة بيت الشيخ عبر الشارع ليرى ثلاجة المستشفى بوضوح.

فشهد بعض من حضر سريعًا من الزملاء لحظة وصول الجثث إلى الثلاجة.

اطلعتُ عند الشرطة على بعض التفاصيل التي ذكرتها آنفًا عن الحادثة.

رجعنا بعد الصدمة إلى المنزل مع الزملاء نتداول الأمر، فاجتمع الرأي على أن نبلغ ابن سيدنا، عمنا أبا فاروق بالواقعة بعد أن أبلغتُ آل الحداد في الرياض وبيت العم الشيخ عمر ملاحفجي في المدينة المنورة.

رفعتُ السماعة على الكلتاوية فكان المجيب عمي أبو فاروق بنفسه. وكم تمنيت أن يكون المجيب غيره.

قلت بعد السلام: عمي أبو فاروق. معك فلان من الدمام. الشيخ منير جرى عليه حادث، وقد توفي، قتلته الخادمة هو وزوجته وابنه محمد. فلا أنسى صوته يتسرب الى أذني عبر سماعة الهاتف يقول: لَهْ لَهْ لَهْ.

ثم سرعان ما أنهى المكالمة بعد أن سأل سريعًا سؤالًا ذاهلًا، عن تفاصيل لا أذكرها.

وحضر إلى الدمام بعض آل الحداد وبعض آل الدواليبي.

وكان التوجه منذ البداية أن يتم النقل للدفن في المدينة المنورة -على صاحبها الصلاة والسلام-، وهو أمر دونه خَرْطُ القَتَاد[١]؛ لكثرة العوائق دون ذلك عند كل من الجهات الدينية والإدارية في كل من المدينة والدمام.

ولكن الله -سبحانه- ذلل كل تلك الصعاب بفضل جهود الأمير الطيب صاحب الشيخ ومحبه، المشرف على فرع هيئة الاغاثة الاسلامية في الشرقية.

وحضرت الشاحنة الثلاجة لتُقِلّ الجنائز الثلاث إلى طيبة، وحضرنا تلك اللحظة التي أُخرِجتْ فيها جنازتا الشيخ منير وولده محمد، فيُمِّمَتا لتعذر الغسل بسبب التفسخ.

أما جنازة بنت سيدنا فيُمِّمت في قسم النساء.

وأسجل هنا بأن الجثث لم تكن مقطعة الرؤوس ولا الأطراف ولم أجد شيئًا من ذلك فيما رأيت من جثتي الشيخ وولده. رحمهما الله تعالى.

ثم صلى الحاضرون عليهم صلاة الجنازة.

---

(١) مثل يُضرب للشيء لا يُنال إلا بمشقة عظيمة، والقتاد: نبات صلب له شوك كالإبَر من الفصيلة القرنية.


الشيخ محمد منير حداد

ثم حملنا الجنائز إلى ثلاجة الشا حنة التي نقلتهم إلى طيبة فدفنوا في البقيع، في الجوار الشريف، رحمهم الله، وأحسن مثواهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كانت تراودني خاطرة لم تنبس بها شفتاي ولا جرى بها قلمي قبل كتابة هذه السطور.

وهي أن شيخنا الشيخ منير -رحمه الله- كان في صلته بسيدنا النبهان عثمانيًا بشكل لافت، نسبة إلى سيدنا عثمان بن عفان ﵁ فقد كان متميزًا بشدة الحياء كسيدنا عثمان، ونال من سيدنا شرف الصهر كما نال سيدنا عثمان شرف الصهر من النبي ﷺ، وكان شهيد داره كما كان سيدنا عثمان ﵁ شهيد داره.

رحمك الله أبا محمد وأسرتك الكريمة. وأنالك من شرف القرب والخصوصية من سيدنا النبهان فوق ما أنالك من ذلك في الحياة الدنيا. وألحقنا بك في دار المقام مثل وأفضل مما جمعنا بك في الدمام».

والحمد لله في البدء والختام.

وكتب لي عنه الشيخ حامد صخي -حفظه الله-:

«كتب لي الشيخ محمد منير الحداد -رحمه الله تعالى- رسالة بعد انتقال سيدنا، وكانت وصية نبهانية قد احتوت على الكثير من الوصايا والحكم، يقول فيها: «ديوانُ المرجع قلبُهُ، فإذا أذنب المريد نقشت في قلب المرجع نقطة سوداء، فإذا كثرت لفظه قلب المرجع وخرج من ديوانه» أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

وكثيرًا كنتُ أسمع الشيخ منير يردد قول ابن الفارض، رحمه الله:

على نفسه فليبكِ من ضاع عمره ... وليس له فيها نصيب ولا سهم

وقد أكّدَ لي الشيخ منير الحداد -رحمه الله- أنّ سيدنا الكريم كان يواظب على قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب سبعًا سبعًا بعد صلاة الجمعة ثم يدعو، وقال رحمه الله: لم أشهد سيدنا تركها أبدًا، أوصاني الشيخ منير بقراءتها وعدم تركها.

ورأيتُ الشيخ منير الحداد يداوم كلّ ليلة على قراءة: «جزى الله عنا نبينا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم خيرًا كثيرًا ماهو أهله في كلّ لمحة ونَفَسٍ عدد ما وسعه علم الله» ثلاثًا.

كُنْتُ يومًا مع الشيخ منير الحداد -رحمه الله- صهر سيدنا الكريم قُدّسَ سِرّه، فقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء ٦٤) ثُمّ قال لي: بعض أهل الله يقف عند قوله تعالى: لَوَجَدُوا اللَّهَ ثم يكمل: تَوَّابًا رَّحِيمًا. نعم مَن وجدَ اللّهَ عزّ وجلّ وجدَ كُلّ شيء.

سمعتُ عن سيدنا قُدّس سِرّه أنه كان يقول: «ياالله اخرج يا محمد» عندما كان محمد ابن الشيخ منير جنينًا في بطن أمه.

وسمعتُ أيضًا عن سيدنا أنه قال عن محمد وهو في بطن أمه: «الله يا محمد لو تدري ما سيكون لك» أو كما قال رضي الله عنه.

كُنْتُ يومًا مع الشيخ منير -رحمه الله- بعد انتقال سيدنا خلال زيارته الفلوجة، فقال لي: يجب ألا نعمل هذا؛ ليس من باب الحلال والحرام ولكنّ سيدنا لا يريده.

كانَ آخر لقاء لي بهم -وكأنّها زيارة الوداع- يوم أن تشرفتُ بزيارتهم في بيت الشيخ منير -رحمه الله- بالدمام بالسعودية عام ١٩٨٦م، وكان محمد موجودًا ولا زالت الدعوات المباركة من بنت سيدنا تحفني باللطف والإنعام».

والسيدة رشيدة لها مكانة في قلب سيدنا، فقد جاء في كتاب «السيد النبهان»[1]: قبل وفاة السيد ﵁ بثلاثة أشهر، انتبه الأهل على غير عادتهم فلم يبق عن بزوغ الشمس أكثر من نصف ساعة، وسيّدنا ﵁ لم يوقظهم، فماذا حدث؟ فزعت ابنته السيّدة رشيدة رحمها الله ودخلت إلى غرفته فإذا لحيته ﵁ وقميصه قد ابتلاّ بكاءً، فسألته: لماذا يا أبتِ؟ قال ﵁: كان عندي رسول الله ﷺ وبعض أصحابه يحدثونني عن أحوال إخواني من بعدي.

كاتبني الدكتور عثمان عمر المحمد فقال: «كان الشيخ منير -رحمه الله- جارًا لي في سكنى المدينة المنورة -على ساكنها أشرف الصلاة وأتم التسليم-، وذلك في حي العوالي، وكان -رحمه الله- نعم الجار، الناس تذهب للسعودية لتجمع المال وتبني بيتًا أو تكوّن رأس مال لكن الشيخ منير كان يجود بما عنده فلايكفيه راتبه مع أن أسرته زوجة وولد.

كان لطيفًا في مجالسته، خفيف الظل، سخي اليد، كريم الطبع، متواضعًا لإخوان سيدنا وطلابه، نكتته اللطيفة المهذبة حاضرة. زارني مرة في بيتي وكنت آكل الرمان فدعوته للأكل وقلت له: الرمان مهضم. قال: ومن قال لك أنني أكلت خروفًا محشيًّا حتى أحتاج للتهضيم!

ومن ألطف ما سمعت منه أنه كان مع سيدنا في زيارة الشيخ محمد الهاشمي ﵁ ودخل سيدنا الخلوة بمقدار نصف ساعة، ثم خرج لصلاة الظهر وأقيمت الصلاة، وقدَّمَ الشيخ الهاشمي سيدنا النبهان إمامًا، وبعد أن سلَّم من الصلاة التفت لأخذ التسبيحات، ثم سأل سيدنا النبهان ﵁ الشيخ الهاشمي سؤالًا في المحبة، فتكلم عشرة دقائق ثم سكت، ثم تحدَّث السيد النبهان في المحبة إلى أن قال: بقي عشرة دقائق لصلاة العصر، قوموا لصلاة سنة الظهر البعدية، فقال الشيخ الهاشمي: ماقطعناه في أربعين سنة قطعه الشيخ النبهان بنصف ساعة. وهذا مسجل بصوت

(١) كتاب «السيد النبهان» ط٣ (٢:٣٢٩).

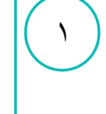
سيدنا أيضًا، وسمعت ذكر هذا من سيدنا وقال: لا سيدي أقل من نصف ساعة.
رحم الله الشيخ منير الذي أكرمه الله وعائلته بالشهادة ومجاورة الحبيب ﷺ».

مصادر الترجمة:

- كتاب «السيد النبهان».
- الشيخ صالح بشير الحجي، والشيخ أحمد حوت، والشيخ إبراهيم منصور، والدكتور عثمان عمر المحمد، والشيخ حامد صخي، ومعلومات عامة من أقرباء الشيخ منير، مراسلة كتابية.
- تسجيلات جامع الكلتاوية.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

	خطبة للشيخ منير عن قضية إبراهيم خلاص.	
	كلمة للشيخ منير بمناسبة المولد النبوي عام ١٩٧٩م.	
٣	كلمة للشيخ منير عند تخرج الطلاب، يقدمه الشيخ حسان فرفوطي.	

(٦٣) الحاج محمد نذير بسطاطي

١٣٥٠ - ١٣٩٥هـ/ ١٩٣٢ - ١٩٧٥م



التاجر الناصح، موئل الأحباب في دمشق، وقاضي حوائجهم الحاج محمد نذير ابن السيد توفيق بسطاطي.

ولادته ونشأته:

ولد - رحمه الله- عام ١٩٣٢م في حي الميدان العريق في دمشق، ونشأ وترعرع فيه وسط عائلة كريمة محافظة.

عمل بداية أمره محاسبًا في محلٍّ للشيخ محمود مهاوش بمنطقة الحريقة في دمشق عام ١٩٥٩م.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

وكان للشيخ محمود محل في دمشق ومحل آخر في حلب يديره الحاج ظافر الدباغ وهو من أصحاب سيدنا، وذات يوم اصطحب الشيخ محمود مهاوش أبا توفيق هذا إلى حلب وعرّفه بالحاج ظافر وبالحاج جاسم الفياض وبتجّار حلب، ونزل الشيخ محمود مهاوش وأبو توفيق في الكلتاوية المباركة وكانت للشيخ محمود مهاوش غرفة في الكلتاوية.

تحدث الشيخ محمود عن تلك السفرة في تسجيل وذكر ما جرى مع أبي توفيق، وذكر أن أبا توفيق لم ينم تلك الليلة دقيقة بعد جلستهم مع السيد النبهان، ومن

تلك الجلسة تعلق بسيدنا النبهان ﷺ وأصبح يتردد على الكلتاوية دائمًا، وفي حلب رأى وسمع وأخذ وحمل وانصبغ بالصبغة النبهانية بسرعة فائقة.

فكانت الكلتاوية في دمشق عنده، ومعه، ويعمل من خلالها، تعلمتْ ذاته الحضور المكثف إلى حلب، وصار من رآه يعرفه أو لا يعرفه يدرك أنه من أتباع سيدنا النبهان.

استمر بالعمل مع الشيخ محمود مهاوش إلى عام ٦٦/ ٦٧ ثم اشتغل بالتجارة مع العراق بمشاركة منير حمزة المفتي، وكان له محل في سوق الحميدية بدمشق.

كتب لي عنه الشيخ هشام الألوسي: (حدثنا مرة أبو توفيق فقال: إنني كل يوم تصلني نشرة أخبار الكلتاوية، ونشرة الأخبار هذه هي عن سيدنا الحبيب وعن مذاكراته وزائريه وسفراته و..و.. إلى آخره، وكان يرى سيدنا الحبيب يقظة ويأخذ عنه مشافهة).

أرسله سيدنا النبهان إلى الفلوجة بصحبة الشيخ منير حداد، والحاج مصطفى سروجي في أمر أراده سيدنا الحبيب ﷺ وأقاموا في بيت الفياض إبراهيم وأيوب ويحيي.

أصبح -رحمه الله- في دمشق الخادم الصادق، ومَحجًّا لأحباب السيد النبهان بدون تكلف يقصدونه في حلهم وترحالهم، يقضي حوائجهم، ويساعدهم، ويأخذ بيدهم، ويدفع من جيبه، فيسهر على طعامهم ونومهم حتى يسافروا، وكل من له قضية في دمشق يقول له السيد الكريم: اذهب إلى أبي توفيق. ولذلك قال له: «أنا في حلب وأنت في دمشق».

وكان -رحمه الله- مكرمًا لجميع الصالحين، محله محط ومسكن الأولياء والصالحين، من الرعيل الأول والسابقين الأولين.

وهو التاجر الصدوق، والصديق الحميم للشيخ محمود مهاوش، والحاج جاسم، والحاج إبراهيم، والحاج يحيي الفياض، رحمهم الله.

حدثني الحاج ناجي حمامي قال: «عندما طُلبتُ يومًا للتجنيد ونظري كان ضعيفًا، وقدمت الورقة للسيد النبهان قال لي: اركب الآن وسافر إلى أبي توفيق. ثم قال: اذهب إلى أبي التوفيق وهو يقضيها. ركبت في الليل وما معي إلا النزر اليسير من المال، وثوبي عتيق بالٍ، وصلت دمشق صباحًا وقصدتُ أبا توفيق في محله في الحريقة فاستقبلني استقبالًا حافلًا، وجاء بالفطور، ثم سألني عن حاجتي، فحدثته عن دعوتي للتجنيد، وأن نظري ضعيف، وقد أرسلني السيد -حفظه الله- وقال لي: «اذهب إلى أبي التوفيق فهو يقضيها». ثم صحبني إلى مديرية التجنيد العامة في دمشق ووقفنا سويًّا وهو يفكر من أين يبدأ، وخلال انتظارنا قدم مدير التجنيد، فلمح أبا توفيق فقال له: نذير بسطاطي؟ قال له: اللواء فلان. وهو رفيقه بالمرحلة الابتدائية، وكان محبًّا لأبي توفيق، وقدمنا أمامه ودخلنا غرفته وأجلسنا بجانبه، قال: ما تأمر؟ فحدثه بقصتي مع التجنيد. فكتب كتابًا ونادى على جندي، قال للجندي: أكمل لهم الطلب هذا حسب الإجراءات وأعطهم إياه.

وودع اللواء أبا التوفيق حتى باب المديرية، وعدنا في اليوم الثاني لاستلام الورقة، فلما أخذناها كان مكتوبًا عليها بالرفض من قبل رئيس الأطباء، أخذني أبو توفيق إلى جانب الجدار وقال لي: أعد لي كلام سيدنا حفظه الله، فقلت له: قال: اذهب إلى أبي التوفيق يقضيها. فقال: لا بد أن تقضى، وتسمّر في مكانه. قدم اللواء مدير التجنيد وأسرع إلى أبي توفيق وقدّمه أمامه، وقدم له أبو توفيق الورقة موقعة بالرفض، فغضب ونادى على الجندي ووبخه وأخذ الورقة ووقع عليها وأحالني إلى المستشفى.

أشرقت أسارير أبي توفيق وذهبنا إلى المشفى ثم خرجت منها خدمة ثابتة، في هذين اليومين نسيت أسمالي البالية، فقد حملني أبو توفيق إلى منزله وفرش لي في

غرفة بابها لوحده، وكان المنزل في المهاجرين وقدم طعامًا يكفي الكثير وأقام على خدمتي، وفي اليوم الثاني حملني لفندق اليرموك -الذي كان ينزل فيه السيد النبهان ﷺ، وجاءني بالطعام ثم ذهب إلى بيته وفي الفندق التقيت الأخ العزيز محمد محمود ناشد. وفي الصباح حضر أبو توفيق للفندق وذهبنا إلى سيارات حلب، وقد سلمني مدير التجنيد الأوراق والبرقية باليد.

ولما وصلت حلب وسلّمت الأوراق للجنيد لم يصدقوني وحجزوني، فقلت لهم: اتصلوا بدمشق، فلما اتصلوا جاءهم الرد بأن أوراقي صحيحة، ولما وجدوا توقيع اللواء اعتذروا. هذا أبو التوفيق الذي كان يشرب من معين السيد النبهان ﷺ».

رافق أبو توفيق السيد النبهان إلى أماكن عدة داخل سورية وخارجها مثل: زيارته إلى مقام الشيخ خالد النقشبندي ﷺ في دمشق وكذلك في رحلته إلى العراق والكويت.

وفاته:

انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٥م، وكان متوجهًا إلى العراق بسيارته وذلك بعد منطقة «أبو الشامات» انقلبت به السيارة وتوفي على إثرها، فرحمه الله وغفر له.

مصادر الترجمة:

- الشيخ هشام الألوسي، والحاج محمد ماهر مهاوش، والحاج ناجي حمامي، والشيخ حامد صخي، مراسلة كتابية.

(٦٤) الشيخ محمد نذير حامد

١٣٤٩ - ١٤٤٠هـ/ ١٩٣١ - ٢٠١٩م

العالم اللغوي، النحوي، المفسر، الشيخ محمد نذير حامد ابن محمد خير، أبو بشير.

مولده:

ولد في بلدة أريحا التابعة لمدينة إدلب عام ١٩٣١م، ونشأ فيها

دراسته:

درس الابتدائية في مدينته أريحا وكانت تنتهي بعد الصف الخامس، ثم انتقل إلى مدينة حلب، وانتظم في كليتها الشرعية «الخسروية» وتلقى العلم على علمائها الأجلاء إلى أن تخرج فيها حاملًا شهادتها الثانوية الشرعية، وذلك ما بين عامي: (١٩٤٥-١٩٥١م).

ثم انتسب إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق، ونال شهادتها عام ١٩٦١م.

كما دَرَس دراسة خاصة في المساجد لمدة ستة أعوام على بعض العلماء، كالشيخ الفقيه محمد أسعد العبجي مفتي حلب، والشيخ عبد الله حماد، وغيرهما.

من شيوخه في المدرسة الخسروية:

الشيخ محمد أسعد العبجي، والشيخ محمد ناجي أبو صالح، والشيخ عبد الوهاب سكر، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ محمد راغب الطباخ، والشيخ محمد

الجبريني، والشيخ محمد إبراهيم السلقيني، والشيخ أمين الله عيروض، والشيخ محمد بلنكو، وغيرهم، رحمهم الله جميعًا.

ومن شيوخه في كلية الشريعة بجامعة دمشق:

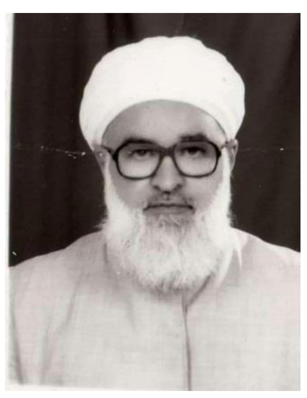
الدكتور مصطفى أحمد الزرقا، والدكتور محمد معروف الدواليبي، والدكتور يوسف العش، ومحمد بهجة البيطار، والدكتور محمد فوزي فيض الله، رحمهم الله.

صلته بالعارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان:

انتسب الشيخ محمد نذير حامد إلى حضرة العارف بالله الشيخ محمد بن أحمد النبهان، وهو في بداية طلبه للعلم في الخسروية (حوالي عام ١٩٤٩) بدلالة زميله الشيخ ناصح الشماع.

حدثني الشيخ الدكتور محمود الزين قال: سمعت من الشيخ نذير وهو يحدثني عن لقائه بالسيد النبهان: «جاءني الشيخ محمد ناصح الشماع وقال لي: هل لك في الفلاح والرشد؟ قلت: نعم. قال: احضر معنا في مجالس سيدنا محمد النبهان، وذهبنا معًا إلى الكلتاوية فمنذ أن دخلت شعرت بأن لساني تلقائيًّا انطلق بذكر الله تعالى، ودخلت فسلمت على سيدنا محمد النبهان، وحضرت مجلسه يومئذ ولما خرجنا لقيت أستاذنا الشيخ محمد أسعد العبجي فقال لي: أنت تحضر هنا؟ قلت: نعم منذ قليل. قال: يابني لازم هذا المجلس فأنا أحضر ههنا لأستفيد -ومعلوم أن الشيخ محمد أسعد العبجي من شيوخ السيد النبهان في العلم- ولازمت صحبة سيدنا رضي الله عنه إلى انتقال السيد النبهان عام ١٩٧٤م».

كانت للشيخ نذير في الكلتاوية غرفة في الغرف التي بناها سيدنا محمد النبهان لطلبة العلم، والشيخ نذير يقيم فيها متفرغًا للعلم ومحاسبة النفس والاستفادة من مجالس السيد النبهان كلما تيسر له ذلك.


الشيخ محمد نذير حامد

حدثني الشيخ محمود الزين -رحمه الله- قال: «حدثني الشيخ نذير حامد قال: كنا مع سيدنا في غرفته فصلى الظهر بنا، ثم بدأ يتحدث حتى حانت العصر فصلى بنا، ثم تحدث حتى حان المغرب فصلى بنا، ثم تحدث حتى العشاء فصلى بنا، ثم تحدث حتى الفجر، فصلى بنا الصبح ثم خرج بنا نمشي معه حول القلعة. قال الشيخ الزين: فسألت الشيخ نذير عن أي شيء كان يدور الحديث؟ قال: كان يدور حول عنوان واحد هو «المعرفة الإلهية».

وحدثني الشيخ نذير فقال: مرة مرضت مرضًا شديدًا وهو أنني في وسط الصيف أحس ببرد شديد، وكنتُ وقتها في غرفة في الكلتاوية، وتركني إخوان سيدنا في المساء، وبعد انصرافهم أتاني صحن أقراص كبة مشوية من بيت سيدنا فأكلت ونمت، وفي الصباح كأنه لم يكن بي بأس، فأتى مجموعة من إخوان سيدنا لزيارتي فلما رأوني قالوا: كأنه لا بأس بك! ما هو الدواء الذي أخذته؟ قلت: أقراص كبة مشوية. وقلت لهم ما حدث».

وفي مجلس العلماء الذي خصصه سيدنا النبهان لمجموعة من علماء حلب كان الشيخ نذير يقرأ كتاب «إيقاظ الهمم» لابن عجيبة، وسيدنا يشرح.

الشيخ محمد نذير وتدريسه في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) في حلب:

هو من مؤسسي علم النحو في مدرسة الكلتاوية وأوائل من درّسه فيها، درّس فيها شذور الذهب وشرح ابن عقيل وأوضح المسالك وتفسير النسفي، وكذلك درّس أصول الفقه، والعروض.

وكانت دروسه فيها -كما حدثنا تلاميذه- في غاية المتعة والنشاط، يأخذ بجوامع القلوب حتى لا تكاد تشعر بالدرس إلا وقد مضى.

وكان الشيخ نذير يمتاز بروح مرحة ونفس طيبة في دروسه العلمية فلا تخلو أبدًا من نكتة أو طرفة يُرَفّه أو يروح بها عن طلابه فجزاه الله خير الجزاء.

من تلاميذه في مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية:

الشيخ محمود العبيد، والشيخ بلال حمزة، والشيخ حسين الأحمد، والشيخ وليد عبد الباري الخطيب، والدكتور عبد الله حسن، والدكتور عثمان عمر المحمد، والشيخ محمد الرشواني، والشيخ إبراهيم منصور، والشيخ أسعد زين العابدين، الشيخ عبد الرحمن زمة، الشيخ عبد الجواد عاشق، الشيخ عبد المنعم سالم، الدكتور محمود الزين، الدكتور علي مشاعل، الدكتور محمد الحسين عبد الحي، الدكتور محمود ناصر الحوت الشيخ يوسف زين، الشيخ حسين كنو، الشيخ عبد الهادي بدلة. وغيرهم كثير.

أسرته: أخوه الشيخ أحمد منير حامد (١٩٢٧ – ٢٠٠٥م) رحمه الله تعالى، كان من الملازمين للسيد النبهان، وتخرج في الخسروية قبل أخيه الشيخ محمد نذير بثلاث سنوات، واشتهرت أسرة حامد برجالها ونسائها بمحبتهم والتزامهم منهج السيد النبهان.

وللشيخ محمد نذير ولد ذكر واحد اسمه محمد بشير، وهو مهندس زراعي كما أن للشيخ خمس بنات.

من أقرانه وزملائه في الدراسة وتلقي العلم: الدكتور إبراهيم محمد سلقيني، والشيخ محمد ناصح الشماع، والدكتور عبد الرحمن عتر، والأستاذ عبد البر عباس[١]، والشيخ محمود نيربي، وغيرهم. رحمهم الله جميعًا.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٢٤).

عمله ووظائفه:

عمل في مدارس التربية بسورية والسعودية مدة تزيد عن ثلاثين عامًا، وذلك بين عامي (١٩٦١ـ ١٩٩١م)، وذلك في مدينة القامشلي، وحلب، ودور المعلمين بحلب.

كما عمل إمامًا وخطيبًا في جامع الترمذي بحلب لمدة يسيرة.

ثم أعير إلى السعودية بين عامي (١٩٧٤ـ ١٩٧٩م)، مدرسًا للغة العربية والتربية الإسلامية في إعداديات المعارف.

ثم رجع إلى مدينة حلب وبقي فيها ثلاث سنوات.

ثم تعاقد مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك في عام: ١٩٨٢، وإلى عام: ١٩٨٧م تقريبًا مدرسًا في شعبة اللغة العربية لغير الناطقين بها، ثم تحول إلى الهيئة الملكية فدرس في مدارس جبيل وينبع من عام: ١٩٨٧ إلى عام: ١٩٩١م.

مؤلفاته:

منذ عام ١٩٩١م بدأ يعمل في «موسوعة التفسير الميسر» وهي تشتمل على ما يتعلق بالقرآن من تفسير وبلاغة ونحو وصرف وإعراب ونحو ذلك.

والعمل يزيد عن ستين مجلدًا، ومن الذين عملوا في هذا المشروع مع الشيخ نذير: الدكتور محمود الزين، والشيخ محمد أمين مشاعل الذي أتم قسم صرف القرآن كاملًا، والشيخ حسين الأحمد، وغيرهم.

وفاته:

عانى الشيخ محمد نذير حامد لسنوات مع المرض حتى وافته المنية في مدينة حلب يوم الأربعاء ١٦ كانون الثاني ٢٠١٩م.

رثاه الأستاذ الدكتور محمد فاروق النبهان فقال:

«انتقل إلى رحاب الله اليوم الأخ الصديق العلامة الشيخ محمد نذير حامد - رحمه الله- عرفتُ الفقيد منذ كنت طفلًا في الكلتاوية القديمة، وأمضى عدة

سنوات في غرفة صغيرة ملحقة بغرفة السيد النبهان -طيب الله ثراه- وكان صديقًا عزيزًا وهو من أقرب الأصدقاء إلى نفسي، وهو الأستاذ الأول في الكلتاوية عندما كنت الطالب الوحيد فيها، درسني النحو في حاشية الخضري التي كان يحبها وله الفضل في تعليمي علم المواريث وأصبحت متفوقًا بها بفضله.

كان من أهم زملائه في تلك الفترة في الكلتاوية ممن كان يدرسني الشيخ نزار لبنية، والشيخ حسان فرفوطي، ولما بنى تجار الحبوب في حي جب القبة مسجدًا طلبوا من السيد النبهان إمامًا وخطيبًا له، وكلفه السيد بذلك، وانتقل إليه، ثم تزوج وسكن في دارٍ أمام الشعبانية، وانتسب هو ومجموعة من إخوانه في الكلتاوية إلى كلية الشريعة، ومن أهم أصدقائه: الشيخ نزار لبنية، والأستاذ عبد البر عباس، وعبد الرحمن عتر -رحمهم الله- وكنت أسافر معه إلى دمشق لامتحانات الكلية وننزل معًا في غرفة واحدة، ولما تخرج أصبح من أبرز أساتذة التربية الإسلامية في حلب، كان من أقرب الأصدقاء وأحبهم لنفسي، كان محبًا للسيد النبهان وقريبًا منه وكان عالمًا خلوقًا أديبًا وفيًا، وكان السيد يحبه ويحب أسرة الحامد، وكانوا رجالًا ونساءً ممن اشتهروا بالأدب والتقوى ويتابعون مجالس السيد، كان والده ووالدته وأشقاؤه من المحبين الصالحين، وبخاصة المرحوم أحمد منير حامد وكل أسرته.

إنني مدين للأخ الشيخ نذير بالكثير من المواقف والفضل، وكان الأقرب لنفسي والأحب.

أدعو الله تعالى أن يجزيه خيرًا عني أولًا وعَمَّن له فضل عليهم من سائر طلابه ومحبيه.

أقدم أصدق عبارات العزاء لأسرته وأولاده ولكل محبيه وإخوانه من أسرة الكلتاوية ومحبي السيد النبهان، كما أدعوه تعالى أن يتغمده برحمته الواسعة، وأن يسكنه فسيح جناته مع الصديقين والصالحين والشهداء، وإنا لله وإنا إليه راجعون».

ورثاه تلميذه الدكتور عثمان عمر المحمد فقال:

«الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ﷺ.

وبعد: فأعزي نفسي أولًا وأعزي إخواني طلاب العلم عامة وطلاب مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) على وجه الخصوص بوفاة أستاذنا الفاضل والجهبذ النادر نحوي زمانه الشيخ نذير حامد.

أكرمني الله تعالى وأكرم إخواني خريجي الأفواج الأولى في مدرسة الكلتاوية بتلقي دروس العربية (أوضح المسالك) على شيخنا الراحل نادرة زمانه في النحو بل في عموم علم الآلة وفروع الشريعة حيث درسنا أصول الفقه كتاب «غاية الوصول في علم الأصول» ولم يكن في تدريسه لمادة الأصول أقل منه في علم النحو والصرف.

في أحد الدروس أعرب لنا إعرابًا ثم قال: نسأل عن هذا. وبعد يومين أو ثلاثة أيام قال: ياولدي لا زيادة على ما قلت لكم، فقام أحد الزملاء وهو الشيخ ياسين مصطفى وقال: أستاذي! فضيلتك لمن سألت؟ فقال: يا ولدي هل في هذه البلدة أحد نسأله غير الشيخ عبد الرحمن زين العابدين؟! وهذا يدل على عظيم مكانة الشيخ عبد الرحمن زين العابدين في علم النحو، وثقة الشيخ نذير به.

شيخنا الراحل -رحمه الله- تربطني به صلة خاصة وزيارات متكررة لبيته العامر بالكرم والجود والتواضع والإكرام لطلاب العلم.

عام ١٩٧٨م كنت مدرسًا في مدينة أملج وهي على شاطئ البحر الأحمر في السعودية وأعرف أن الشيخ نذير يحب السمك وأنا أريد الذهاب إلى المدينة المنورة -على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم- حيث يقيم شيخنا، فاشتريت سمكًا وأتيت به لشيخنا الراحل قبل أن أسكن الفندق فأنزلني وعيالي في بيته، ونمنا عنده تلك الليلة، وفي اليوم الثاني إذ بي أراه صائمًا لأنه اعتبر غداء السمك ثقيلًا فتهرب منه.

كما زرته مع أسرتي في الهيئة الملكية في ينبع، وكان مدرسًا فيها، وكنت أسكن المدينة المنورة، فأكرمنا غاية الإكرام وقام بالشواء، وإعداد الطعام بنفسه، وأساعده لكنه هو من يتولى كل شيء بنفسه، رحمه الله.

أحبتي أنا أذكر هذا لنأخذ من سيرة الراحل -رحمه الله- دروسًا لا تنتهي في التواضع، وتعامل الأساتذة مع طلابهم، وكرم الشيوخ الأفاضل الذين تلقينا عنهم الأخلاق، والتواضع، وطيبة النفس، وحسن العشرة قبل أن نتلقى عنهم العلم.

إنه والله من رآه عن بعد هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، خالطته فاختلط حبه مع شغاف قلبي.

وكثيرًا ما كنا نزوره في بلده أريحا مع أخوين كريمين حبيبين: الأخ الدكتور الحبيب الراحل الشيخ محمود الزين، والأخ الحبيب الأستاذ الشيخ محمد علي الناصر فيؤنسنا بدعابته اللطيفة وبسمته التي تكاد لا تفارق ثغره ويقول لنا كلمته الشهيرة معاتبًا وملاطفًا: وينكم يا عاطلين؟! ومرة قال لي: صحيح أنت عاطل لكن صاحبك أعطل منك –يقصد الدكتور محمود الزين، رحمه الله- فقلت له: -رحمه الله-الحمد لله وجدت من هو أعطل مني، ثم قال لي: قل لصاحبك- وصاحبي معي وأنا أعتز وأفتخر بصحبته وهو الدكتور محمود الزين. قال: قل لصاحبك ألا يتركنا في موسوعة التفسير فقد كتب في البلاغة جزءًا من القرآن من أنفس ما كتب في البلاغة. وهذه شهادة كريمة لحبيبنا الدكتور محمود الزين -رحمه الله- من أستاذه العلامة نذير حامد.

وهذا غيض من فيض ونقطة من بحر.

وأخيرًا: سلامًا على روح شيخنا في الأولين، وفي الآخرين، وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

وأبلغ منا السلام معطرًا لولي نعمتنا سيدنا ومولانا وقرة أعيننا العارف بالله سيدي محمد النبهان رضي الله عنه».

ورثاه تلميذه الشيخ إبراهيم منصور فقال:

«وغابت شمس أخرى»

إنها شمس شيخنا العلامة اللغوي النحوي المفسّر المعمَّر، الشيخ محمد نذير حامد. الذي أجاب دعوة ربه سبحانه في مدينة حلب، ضحى يوم الأربعاء العاشر من جمادى الأولى من عام أربعين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ. عن عمر ناهز اثنين وتسعين عاما. رحمه الله وأعلى مقامه.

وقد أثارت وفاته في قلبي الأسى، وفي نفسي ذكرياتِ أجملِ سني عمري في رياض الكلتاوية، وفي رحاب مدرستي «دار نهضة العلوم الشرعية» التي جمعتني ساحاتها وحجراتها بتلك الكوكبة النيِّرة الخيِّرة من أساتذتي أهل العلم والفضل الذين نهلتُ من معينَي علومهم وأخلاقهم.

ومنهم أستاذي وشيخي وسيدي الشيخ محمد نذير حامد، رحمه الله.

وكان من واجب الوفاء عليَّ في هذه المناسبة أن أكتب هذه السطور عن شيخي الشيخ نذير وذكرياتي الغنية معه، منوِّها بعلوّ مكانه وجليل شانه، كما كتبتُ من قبل عن مشايخي الذين مضوا قبله، خصوصًا في عصر وسائل التواصل العجيبة الذَّلول. رحم الله الجميع.

إنه شيخنا الذي قرأنا عليه كتاب ابن هشام الأنصاري (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) بأجزائه الثلاثة، خلال السنوات الثلاث الأخيرة من الدراسة في دار نهضة العلوم الشرعية، التي أسسها في مدينة حلب شيخنا العارف بالله سيدي الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه وجزاه عنا وعن أساتذتنا وتلامذتنا وأهلينا وذوينا وأحبابنا ومحبينا خير ما جزى المحسنين.

وإني لأرجو أن يكون الشيخ نذير قد ترك فيَّ أثرًا طيبًا من علمه وخلقه.

كان الشيخ نذير -رحمه الله- مرجعًا نادرًا في مادته، ولطيفًا هادئًا وادعًا في طبعه، ومربيًا خبيرًا بمداخل النفوس، كيف يستميلها، أو يقيم مَيلها.

وكان صاحب حياء جم، إلى جانب دعابة وملاطفات لذيذات لم تنل من وقاره، بل زادته قربًا إلى النفوس وحبًّا في القلوب.

كان بيننا كالوالد الذي يتعامل مع أبنائه بروح الشباب، وكان إلى ذلك حازمًا إذا تطلب الأمر الحزم.

ولا تُجَاوِز أدواتُ حزمه نظراتٍ عابرات وكلماتٍ معدودات يتحقق بها المراد، وقلّما ثم قلَّما احتاج إلى ذلك.

وكان صاحب قلب رقيق والِهٍ بحب مرجعه السيد النبهان، فقد كان من خاصة جماعته، ومن أركان مدرسته.

حدثني أخي الشيخ أحمد ناصر حوت أن الشيخ نذير -رحمه الله- جاء يودع الكلتاوية قبل سفره إلى السعودية في سَفرته الأولى فأتى حجرة سيدنا التي فيها قبره المبارك، وأطرق هناك، ثم بكى طويلًا، وذرف دمعًا غزيرًا وانتحب. فيا لروعة ولذة وبركة ذلك البكاء! وليس كل أحد يوفَّقُ إلى إدراك تلك اللذة. فما كان أعظم شأن الشيخ نذير رحمه الله!

قضينا السنوات الثلاث الأولى في الكلتاوية نراه عن قرب رؤية البعيد، نراه ذاهبًا وآيبًا إلى الصفوف العليا: الرابع والخامس والسادس.

ولا أذكر أني كلمته يومًا خلال تلك المدة، فقد كان يعطي حصته أو حصتيه في أول الصباح، ثم يغادر المدرسة ليلحق بالمدرسة الحكومية التي كان يدرِّس فيها. حتى بلغنا الصف الرابع، وبدأنا صحبة الشيخ نذير، على مائدة ابن هشام الأنصاري النحوي في أوضحه.

ومع أن الشيخ كان خريج كلية الشريعة، إلا أنه كان بينه وبين علم النحو وشائج مودة عريقة عميقة عتيقة، تعود إلى مرحلة نعومة أظفاره.

سمعته مرة يحدث عن مرحلة مبكرة من طفولته في أريحا فيقول: كنت آتي لأشتري من بائع «القضامة» [1] على عربة خشبية ذات عجلات، فيقول البائع: لا أبيعك القضامة حتى تعرب لي إعرابة.

ويبدو أن ذلك من ثمرات اهتمام وتوجيه والده الشيخ محمد خير حامد -رحمه الله-فقد كان على ما يبدو من المشتغلين بالعلم.

وقد كنا نتحدث ونحن طلاب في الكلتاوية أن والد الشيخ نذير بصدد تأليف كتاب في السيرة.

وأذكر جيدًا أني رأيت الشيخ الوالد مرة في ميمنة مسجد الكلتاوية، وقد بسط بين يديه كراسًا كبيرًا مخطوطًا، يطالع فيه وينقّح، كان ذلك مخطوط الكتاب الذي يؤلفه في السيرة، ولست أدري ما إذا كان قد طبعه أم لا.

بدأنا مع الشيخ نذير في السنة الرابعة في الكلتاوية مرحلة أخرى في رحلتنا مع علم النحو، بعد أن كنا في السنة الثالثة في نهاية المرحلة الأولى التي أتممنا فيها شرح قطر الندى لابن هشام، مع شيخنا الشيخ محمود فجال -رحمه الله-فانتقلنا من حبر في النحو إلى حبر.

ولعلم النحو شرف ومنزلة عند دارسي علوم الشريعة عمومًا، وعند أهل الكلتاوية بوجه أخص.

---

(١) نوع من الوجبات الخفيفة مصنوعة من الحُمُّص المُحَمَّص، شائعة في بلاد الشام، وتحمص في بعض الأحيان مع الملح والتوابل الحارة أو القرنفل المجفف، وهناك أيضًا مجموعة متنوعة من القضامة التي تكون مغلفة بالحلوى.

وقد كانت لي ذكريات لا أنساها مع شيخي وتاج رأسي الشيخ نذير، طالما حدثت بها نفسي وشخّصتها في خيالي، عندما لا أجد من أحدثه بها، فأجد فيها منهلًا رويًّا منعشًا يعيد للروح سِنّ شبابها بذكرى أحبابها، لما في تلك الذكريات من روحِ الدعابة والملاطفة.

وقد اخترتُ أن أعرض على القراء هذه الذكريات مرتبة على السنوات. كل سنة على حدة.

(من ذكريات الصف الرابع ١٩٧٠ - ١٩٧١ م)

انتهى الشيخ -رحمه الله- من تقرير الدرس على السبورة، لينتقل - كما هي العادة - إلى قراءة عبارة المصنف.

كان الدرس عن الأفعال الناسخة التي تعمل عمل كان، ومنها: فعل لا يعمل ذلك العمل إلا بشرط تقدم (ما) المصدرية الظرفية. وهو فعل «دام»، وكتاب «أوضح المسالك» كما هو معلوم، يأخذ الشرحُ والتحقيق فيه أكثر الصفحة، فلا يبقى للمتن إلا سطور قليلة في أعلى الصفحة فوق الخط الفاصل.

فانتهينا في القراءة إلى جملة من المتن مقسومة بين صفحتين، على النحو التالي:

في الصفحة الأولى العبارة الآتية:

الثالث: ما يعمل بشرط تقدم (ما) المصدرية الظرفية، وهو دام. نحو (ما دمت حيًّا). أي مدة دوامي حيًا، وسُمّيتْ (ما) هذه مصدرية. وهنا وجه الشيخ نذير سؤالًا لأحد طلاب الصف ممن لم يُكتب لهم الإتمام والتخرج بالمدرسة. فقال له: قول المصنف: لأن ما هذه... أي (ما) يقصد؟ فتلعثم الطالب، لأن «ما» المسؤول عنها قد أصبحت في الصفحة السابقة. ولم يُحرِ جوابا. وأعاد عليه السؤال بتوضيح وهدوء. ابني، أين هي (ما) التي يقصدها المؤلف؟

ابني، يقول: لأن ما هذه.. فإلى أين الإشارة في قوله: هذه؟

فلم يزد الأمر عند الطالب إلا استعجاما.

وهنا حضرت الشيخَ رُوحُ الدعابة، فقال: أحجية[1] -باللهجة العامية- لم أسمعها من غيره من قبل ولا من بعد.

قال وهو يغالب ابتسامته: ابني، واقفة عالحيط وشاكّة أدنيها، أرنب لا دلّك الله عليها إيش هي؟

وابتسم الطلاب أو ضحكوا ضحكة مكتومة.

ولم يفلح الطالب في فهم الأحجية، كما لم يفلح قبل في جواب السؤال المتعلق بالدرس.

(من ذكريات الصف الخامس ١٩٧١ - ١٩٧٢ م)

في استطراد خارج عن الحصة، جعل أستاذنا الشيخ نذير -رحمه الله- ينفرنا من الاستدانة. وأطنب في ذلك، وإياكم والدَّين. وأن الدَّين همّ، وأن الدين غمّ...

وقد كنتُ أفهم قصده من تلك النصيحة بوضوح كبير.

فقد كان أحد زملائنا في تلك السنة يحب التأنق في مظهره جدًّا، في عمامته، في نظارته، في ثوبه وجُبّته وخاتمه، وحتى في حذائه.

فكان يستدين ليلبس ويتأنق، وليس له مورد، إلا ما قد يأتيه من وكالة مؤقتة في إمامة، أو نحوها.

فأراد الشيخ نذير أن يوصل إليه نصيحة المشفق بشكل غير مباشر فعرض هذه النصيحة...

---

(١) الأحجية: اللغز، ولعلها مأخوذة من الحجا وهو العقل؛ لأنها تتطلب إعمال العقل لحلها. قال في القاموس المحيط: وكَلِمَةٌ مُحْجِيَةٌ: مُخالِفَةُ المَعْنَى لِلَّفْظِ، وهي الأُحْجِيَّةُ والأُحْجُوَّةُ. وحاجَيْتُهُ مُحاجاةً وحِجاءً فَحَجَوْتُه: فاطَنْتُه فَغَلَبْتُه. «القاموس المحيط» فصل الحاء (١: ١٢٧٣).

وقال في أثناء كلامه: لقد جرّبت الدَّين عندما اشتريت البيت، فكان ثقيلًا وهمًّا ملازمًا مع أني استدنتُ من أقرب الناس إليّ. يعني استدنتُ من أمي.

وهنا بدا لي في ملاطفته، فقاطعته قائلًا: (ليش أمك طيبة أستاذ؟)

فردّ على الفور -وكأنه حوار مُعَدٌّ مسبقًا- فقال: (سْكوتْ. لسّا أبوي طيب). وضحكنا للإيحاء الذي حمله جوابه لأن جوابه أضفى على سؤالي معنى الخِطبة.

ثم دارت الأيام، حتى أوائل التسعينات الميلادية.

وكنت قد اشتريت بيتًا في حلب، منطقة المريديان، وكان شقيقي الشيخ مصطفى منصور، خريج الدفعة الثالثة من الكلتاوية، يشرف على البيت ويتردد إليه.

فأخبرني أخي أن جاري في نفس العمارة، في الدور الأرضي عند مدخل الدرج، هو الشيخ نذير حامد.

فلمّا جاءت إجازة الصيف، زرته في بيته، وذكّرته بما دار بيننا في القصة السابقة، فقال والابتسامة تكسو محيّاه: (شايف كيف إنك كتير غلبة).

ثم تحوّل الشيخ عن ذلك المنزل إلى منزل آخر، وتحولتُ بعده.

ومن ذكريات الصف الخامس مع الأستاذ المحبوب، أنه جرى يومًا على هامش الدرس ذكر المستقبل الذي يهتم له الشاب عادة في مثل تلك السنّ.

فقال -رحمه الله- كلمة ما يزال صداها في أذني، قال: «لَكْ ابني بتصيروو بتصيرو. بس ديروا بالكن علينا».

ودارت عجلة السنين، وجمعني مجلس مع بعض الزملاء ممن كانت لهم مخالطة للشيخ في بعض مراحل مغترَبه، فذكر ذلك الزميل -لمناسبةٍ ما- أن الشيخ نذير استدان منه ألف ريال.

وانطوت تلك المعلومة في ثنايا ما قيل في تلك الجلسة كما انطوى غيرها.

لكن وقعها في نفسي كان مختلفًا جدًّا.

لقد نقلتْني حين سمعتها إلى حجرة الصف الخامس في الكلتاوية، والشيخ نذير واقف أمامنا يقول: «بتصيرو بس ديروا بالكن علينا» فسبحان من أنطقه آنذاك بكلام وقفتُ على تحقيقه بعد حين.

(من ذكريات الصف السادس ١٩٧٢ – ١٩٧٣ م)

حجرتنا في الصف السادس كانت في الواقع نصف حجرة، لأنهم قطعوها بجدار، وجعلوا نصفها الذي يلي الدرج الشرقي غرفة مراقبة، ونصفها الآخر حجرة الصف السادس، وذلك أن عدد طلاب الصف في تلك السنة كان فقط خمسة عشر طالبا.

فكان عَرض الصف ثلاثة صفوف من الطاولات، وكل صف طوله طاولتان فحسب.

الطاولة الثانية فيه هي الأخيرة.

ومعلوم أن الطاولة الواحدة من تلك الطاولات تتسع لثلاثة طلاب.

فكنتُ أجلس في الطاولة الأخيرة، مع أنه ليس بيني وبين السبورة إلا طاولة واحدة، هي الطاولة الأولى.

أنهى الشيخ نذير تقرير حصة النحو في ذلك الصباح لينطلق بعدها إلى مدرسته الحكومية كالعادة.

وكان قد ثار في ذهني في تلك الأيام إشكال لغوي لا علاقة له بموضوع الحصة، ولم أجد متسعا فيها لأسال الشيخ عنه.

فلمّا خرج من الحصة تبعته مسرعًا أقول: أستاذ، عندي سؤال.

فقال – وهو ماش وأنا بإزائه أماشيه –: نعم؟

فجعلت أعرض عليه سؤالي الذي لا أنساه، لأني كلما مررت بالإشارة إليه في كُتب التفسير، وبالأخص منها تفسير القرطبي، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، أتذكر قصة سؤالي للشيخ نذير عنه.

كان سؤالي، أو إشكالي عن أنه هل يصح إعادة ميم الجمع إلى جمعِ غير العاقل؟

وجعلت أعرض عليه السؤال ونحن ماشيان، وعبرنا باب الشبك، ثم انحدر في الدرج الغربي الطويل وأنا بإزائه كظله، فكان يستعيدني السؤال، ويقول: نعم. إي نعم. قصدك كذا؟

واضح أن أستاذي الشيخ نذير كان ذاهلا عن سؤالي، مشغولا بأمر يخطط له على عجل، وقد استغل هذا الانفراد بي لأكون ركنا في هذا المخطط.

عرفتُ كل ذلك حين استوينا على شارع «قبو النجارين» أسفل ذلك الدرج الطويل.

وكانت تلك أول وآخر مرة أغادر فيها المدرسة وحَرَمَ المسجد إلى عمق الشارع بلا إذن من مراقب ولا مدير.

هناك في قبو النجارين وقف الشيخ نذير وقال في هدوئه المعتاد:

(ابني، زميلك فلان الذي يجلس في المقعد الأمامي يضايقني بمنديله الرطب دائمًا بإفرازات الزكام، والذي يضعه أمامه على الطاولة، ويستعمله بين الحين والحين، ثم يبقيه أمامه مثقلًا برطوبات أنفه، وأنا محرج من تنبيهه، فإذا كان درس الغد، فأظهِرْ أنك نائم في أثناء الشرح، ليكون ذلك ذريعة لِأُجلِسَكَ في الأمام مكانه في حصتي، ويجلس هو مكانك.

(ولم تكن المناديل الورقية قد راجت وشاعت بعد)

ثم مضى الشيخ نذير إلى غايته، ورجعتُ إلى مدرستي أقفز على الدرج، وقد ذهلتُ عن سؤالي وإشكالي الذي أخرجني هذا المخرج، متحسبا من سؤال أحد

المراقبين أين كنت خارج المدرسة؟ أو مِن سؤال مدرس الحصة التالية التي تأخرتُ عنها.

ومرت الساعات الأربع والعشرون، وأنا مهموم بالمهمة التي أسندها إلي الشيخ نذير؟ وهل سأنجح في التنفيذ؟!

وحانت ساعة التنفيذ، ودخل الشيخ نذير الحصة، ودارت عجلة الدرس، وأنا محتار فيما أصنع، فلم يسبق لي تَصَنُّع موقف كهذا، وكنتُ أتابع عينَي الشيخ نذيرًا، لعله يعطي إشارة بدء التنفيذ.

ولكنه ماض في تقرير الدرس من غير أي ملمح في قسمات وجهه أو نظرات عينيه تشير إلى شيء مما كلّفني به، حتى جعل يراودني خاطر أن الشيخ قد نسي.

ثم إني بَعدَ حين من بدء الحصة، خالفتُ بين ذراعَيَّ على الطاولة، ووضعتُ وجهي عليهما كهيئة النائم.

وجعلتْ تمرُّ الثواني ثقيلة طويلة، كأن كل ثانية دقيقة كاملة، والشيخ لم يأبه بحالي، وأنا ما زلت واضعًا رأسي على ذراعَيَّ...

هل ما زال الوقت مبكرًا ليناديني؟ هل نسي حقًّا؟ هل أرفع رأسي معلنًا فشل المحاولة؟ ثوانٍ ثقيلة حقًّا. ثم جاء الفرَج.

وجاءني بشيء من الحزم صوت الشيخ نذير الذي كنت أنتظره بفارغ الصبر: منصور! نايم؟ نايم مو هيك؟

فرفعتُ رأسي، ومسحت على عينَيّ.

ثم قال: قم لعندي وهات كتابك معك.

فتقدمتُ إليه، في الوقت الذي كان يقول للزميل الذي أمامي: ابني لو سمحت اجلس مكانه، وليجلس مكانك في المقعد الأمامي حتى لا ينام.

ثم توجّه إليّ على مسمع من الزميل فقال: كل حصة نحو بدّي أشوفك قدّامي في هذا المقعد. مفهوم؟

مفهوم أستاذ.

فلمّا كانت حصة النحو في اليوم التالي رأيت الزميل جالسًا في المقعد الأول، فقلت: ألم تسمع إلحاح الشيخ نذير عليّ بالجلوس هنا؟

فتحوّل في الحال من غير جدال.

غفر الله له ولي ولأستاذنا العظيم الشأن، الذي أدار كلّ هذا المشهد التمثيلي، حفاظًا على شعور الطالب من أن يصل إليه شيء من الأذى، فيما لو خاطبه الشيخ مباشرة بما يحرجه.

فكان -رحمه الله- يصبر على الأذى حتى لا يؤذي غيره.

رحم الله شيخنا الشيخ نذير حامد، وجزاه الله عنا خير ما جزى العلماء العاملين المعلِّمين، ورفع درجاته في عليين.

وجمعنا به في رحاب سيدنا أبي أحمد في دار البقاء، كما جمعنا قبل في رحابه في دار الفناء. والحمد لله رب العالمين».

ورثاه تلميذه الشيخ عبد الجواد العاشق فقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله المحمود في كل الأحوال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ القدوة الحسنة في كل الأحوال وبعد:

قال النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(١).

إن رحيل كوكبة من علماء الإسلام في هذه الأيام ليطرح أسئلة كثيرة والذي يعنينا واجبنا من بعدهم وماذا استفدنا منهم.

ومن أخصهم بنا أستاذنا الشيخ محمد نذير حامد، رحمه الله.

ذاك الذي كان نموذجًا مختلفًا عن كثير من أقرانه فضلًا عن تلامذته ومَنْ بعده.

لقد كان كما عرفته وهو يدرسنا كتاب أوضح المسالك لابن هشام وشرح ابن عقيل على الألفية مثال المعلم الجاد الذي يغرس الجد والنشاط في طلابه ويعلمهم الحرص على طلب العلم وعلى اغتنام الوقت والوصول إلى المعلومة من أقرب طريق.

فقد كان يحدثنا أن أهم مراجعه في اللغة، والصرف، وضبط الكلمات، وتراجم الأشخاص، ومعرفة الأماكن، هو القاموس المحيط، ومع ذلك فلم يكن يملكه وقد استعاره من صديقه لمدة أربع سنوات.

وكان اعتماده في الأحاديث وطرق الرواية على مسند الإمام أحمد، ولا يملك من كتب الحديث وقتها غيره.

اشتغلت معه في كتابه التفسير، وكان حظي منه أن أستخرج الأحكام الفقهية من الآيات الكريمة.

---

(١) أخرجه «البخاري» في «الجامع الصحيح» في (كتاب العلم- باب: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ) برقم (١٠٠) (١:٣١).

ومن خلال ذلك تعلمت منه الكثير من الدقة والضبط وعدم الخروج عن دلالة اللفظ، وإن كنت قد أخالفه أحيانًا في الاستدلال بأسباب النزول، فتارة يطالبني بالوقوف عنده وأحيانًا يرفض الاستدلال به، وتبين لي بعدها أن ذلك يعود إلى قوة الرابطة أو بعدها.

زرته مرة في منزله بحلب مع الشيخ عباس علي، وبعد أن رحب بنا باختصار أخذ يسألنا أين نذهب ومع من نجلس ثم قال: اغتنموا أوقاتكم ولا تضيعوها مع أحد مهما كان، ثم قال: كنت أذهب مع أناس يستحقون الذهاب معهم، ومع ذلك أنا نادم على كثير من تلك المجالس وكنت أتمنى لو أبدلتها بطلب العلم.

وهو الذي كان مثالًا في الحب الصادق الصامت للسيد النبهان ﵁ فلا يتحدث عنه إلا قليلًا، وإذا تحدث وجدته العاشق الولهان الذي يحن لأيامه الأولى مع السيد الكريم حنين الثكلى إلى ولدها.

كان -رحمه الله- سريع البديهة في العلم وفي الأمور العامة؛ قيل له يومًا: إن فلانا يريد الزواج من ثانية، فقال: لماذا؟ مستنكرًا، قيل: أليس هو من المباح، فقال: وهل فعلتم كل المباحات وبقيت هذه، هل أديتم كل الفرائض والسنن وبقيت عليكم المباحات؟!

رحمه الله من معلم ومؤدب ومربٍ بأسلوب لبق هين لين سهل».

وكتب لي عنه الشيخ إبراهيم الحمدو العمر:

«الأستاذ المربي: محمد نذير حامد (عبقرية تربوية فريدة)

كان أستاذ الأساتيذ نذير حامد أحد قطبي العربية في دار سيدنا النبهان ﵁، هو والأستاذ الكبير الدكتور محمود فجال، وطالما حدثنا شيوخنا عنهما وطالما أطالوا وطالما عظموهما، ووالله إنهم لمحقون؛ فإننا لمسنا آثارهم في تلاميذهم، لمسنا آثار الصنعة العلمية وآثار الروح وما أكثر ما حدثونا عن هذه العبقرية التي تسمى نذير

حامد وعن هذه الدرة الفريدة التي اختزلها هذا الاسم، وما طالب من طلبته - وهم الجيل الذي درّسنا - إلا وفيه أثر من ذلك الأستاذ الكبير حتى أنني في بعض الأحيان أظن أن هذا الأستاذ حاضر معنا لكثرة ما يذكرونه وخصوصًا بنوادر ذكائه في أجوبته ولطف دعابته وسحره في تحبيب الطالب بمادته ومحبته لمن يدرسهم وتفانيه في إيصال المعلومة لهم بدون تعقيد ولا صعوبة، وماذا بقي بعد هذا من شروط نجاح المدرس؟ أما إن هذا هو معيار أستاذية الأستاذ فإن رابطة المحبة بين الأستاذ وطالبه هي التي تفتح أغلاق الجهل من نفس الطالب لتسكب فيها العلم سكبًا فإن لم تختزن ذاكرة الطالب هذا العلم ولم تحفظ واعيته ذلك الدرس وعت تلك الروح التي يحملها معه الدهرَ، فحيثما تلفّت وجد سحر أستاذه وبسمة أستاذه ونظرة أستاذه وإشارة أستاذه وتنبيه أستاذه، وإذا ما كتب له أن يكون مدرسًا وجده معه في الدرس فيستوحي منه أسلوبه وطريقته حتى نبرة صوته، وهذا الذي أقول ليس خيالًا ولكنه واقع، وكثيرًا ما كنت أجلس إلى أساتذتنا -حفظهم الله- في دار سيدنا رضي الله عنه فيقولون: فلان يقلد الشيخ نذير وهذا الأسلوب أسلوب أستاذنا الفلاني وتلك الحركة اكتسبها فلان من أستاذه فلان وهكذا، لقد كانت روح أساتذتهم مسكوبة فيهم سكبًا، تنتقل معهم حيثما كانوا، وكان ذلك واضحًا فيهم، فأية عظمة هذه من طرفي القضية الأستاذ والطالب؟! لم يحدثنا أحد من طلاب الأستاذ نذير - حفظه الله - إلا وذكر فيه خلتين: روح الدعابة في الدرس وسهولة الأسلوب في تلقين المعلومة فما يخرج طالبه من درسه إلا وقد وعى ما قال ونسي صعوبة الكتاب وعبارة ابن هشام وبقي في ذهنه الإلقاء الساحر والأسلوب الباهر من أستاذه وهذا لعمري ما لا يستطيع أن يمحوه الدهر، فبورك لكم يا من حضرتم لهذا الأستاذ الكبير، ويا ليت كل أستاذ من أساتذتنا يكتب لنا عن أساتذته الطبقة التي لم يسعدنا الحظ بالتلقي عنهم وإن أسعدنا بالأخذ عن تلاميذهم، فكل طالب تختزن ذاكرته الكثير الطيب عن أساتذته ومعلميه، فلو افصح عنها لعرفنا الكثير عن أساليبهم وطريقتهم وعلميتهم وهذه المذكرات أصدق ما ينقل روح

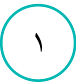
الحياة العلمية التي كانت سائدة ويعرفنا سر نجاح أولئك الأفذاذ الذين اسسوا لهذا الصرح العلمي الخالد».

مصادر الترجمة:

- الشيخ محمد نذير حامد، لقاء لي معه بحضور الدكتور عثمان عمر المحمد والشيخ عبد المنعم سالم، بتاريخ ٢٦ حزيران٢٠١٠م.
- تلميذه الدكتور محمود الزين، لقاءً مباشرًا.
- كتب المراثي: الدكتور محمد فاروق النبهان، والدكتور عثمان عمر المحمد، والشيخ إبراهيم منصور، والشيخ عبد الجواد العاشق، والشيخ إبراهيم الحمدوالعمر.

ملفان مسموعان:

لسماع الملفين الصوتيين، فضلًا اقرأ الرمزين التاليين:



لقاء الشيخ نذير بسيدنا النبهان.



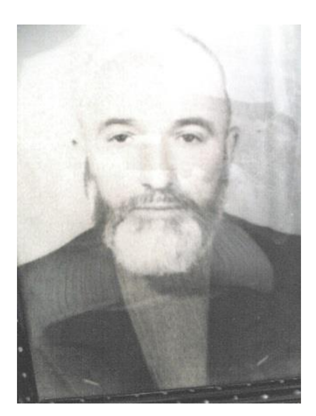


كلمة للدكتور محمد نبيه سالم في رثاء الشيخ محمد نذير حامد



(٦٥) الحاج محمد هدى مهندس

١٣٢٧ - ١٣٨٩هـ/ ١٩٠٩ - ١٩٦٩م



أسرة «مهندس» أسرة عريقة في مدينة حلب الشهباء، وهي أسرة تجارة ومال، وكان من أبرز رجالها الحاج محمد هدى المهندس (أبو منير) التاجر الكبير الذي اشتهر بالنبل والخلق، ومن أصحاب السيد النبهان القدماء المشهود لهم بالمكانة الاجتماعية.

ولد عام ١٩٠٩م في حي المشارقة، أحد الأحياء القديمة في مدينة حلب.

نشأ في أسرة مشهورة بالتقوى والصلاح، فوالده الحاج صالح مهندس من التجار الصالحين في حي باب جنين.

عمل الحاج محمد هدى مع إخوته شركاء في محل في حي باب جنين، لتجارة المواد الغذائية مثل الأرز والسكر والصابون والقهوة والشاي ومستوردات من دمشق والعراق وما يسمى تجارة مال قبان أي تجارة الجملة، حتى انفكت الشركة بين الإخوة في أوائل الأربعينات، ثم شارك الحاج قاسم حمامي بنفس نوع التجارة، وكان التوفيق حليفهم، واشترى أول دار في حي زقاق الزهراوي، ثم باعها واشترى الثانية في حي عقبة الياسمين منطقة خان الحرير، في هذه الحقبة تعرف هذا التاجر المرموق والمعروف في حلب بالعارف بالله الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه.

في صحبة السيد النبهان ﵁:

وكانت بداية صلته بذاك الجناب أن السيد النبهان ﵁ من خلال شقيقه الحاج عبد الحميد مهندس الذي كان من كبار أصحاب ذاك الجناب، وكان شريكًا حينها لأخيه الحاج محمد هدى، وكانت تعقد في بيت الحاج عبد الحميد مجالس الوعظ والإرشاد والإنشاد، ومن هنا بدأ الحاج محمد هدى ينجذب لصحبة السيد النبهان، وعندما علم أن السيد النبهان يبحث عن دار يستأجرها للسكن بادر فعرض عليه جزءًا من داره ليسكن فيها حيث كانت داره كبيرة ومهيأة لسكن عائلتين وتم ذلك، وسكن سيدنا النبهان وعائلته في دار الحاج محمد هدى مهندس الكائنة في منطقة خان الحرير عقبة الياسمين مدة تزيد عن العام، وفي تلك الأثناء طلب الحاج محمد هدى أن يحظى بالقرب أكثر فطلب الزواج من إحدى بنات السيد النبهان، وتمت الموافقة والزواج من السيدة أمينة ابنة سيدنا النبهان (ولدت ١٩٢٥م، وتوفيت ١٨ شوال ١٤٠٢هـ الموافق ٨ آب ١٩٨٢م) بناء على توصية زوجته الأولى، وأصبح الحاج محمد هدى مهندس أول أصهار السيد النبهان.

وبدأ الأحباب من تجار حلب وغيرهم يجتمعون في بيت الحاج محمد هدى الكبير، وأحيانًا في بيت الحاج عبدالحميد لتلقي الوعظ والدروس الدينية، وبدأ الحاج محمد هدى يتحول تدريجيًّا نحو التوجه الديني بعد أن كان توجهه للإنشاد والمقامات والقدود الحلبية حيث كان يقيم في بيته أول خميس من كل شهر حفلًا لشيخ الطرب في حلب الأستاذ بكري الكردي -رحمه الله- فبدأ يظهر باللباس الديني المعروف، وأعفى اللحية، ونحو ذلك.

بعد أن تزوج من بنت السيد النبهان وأصبح صهرًا له ذاع صيته بين التجار أكثر، واستبدلت حفلات الإنشاد والغناء التي كانت تجري في بيت الحاج محمد هدى بالدروس الدينية والمذاكرات العظيمة التي كان يلقيها سيدنا الحبيب ﵁.

وفي فترة انتقال السيد النبهان لمنطقة البياضة والكلتاوية انتقل الحاج محمد هدى بأسرته الثانية ابنة السيد النبهان إلى دار مستأجرة في حي الكلتاوية قريبًا من الجامع، ليشارك في كل حدث، ويحضر المواقف العظيمة بقرب الحبيب.

من صفاته:

كان -رحمه الله- يحب القراءة كثيرًا، وإذا وقع بيده كتاب من كتبنا المدرسية وخاصة التاريخ والجغرافيا كان لا ينام حتى ينهي قراءته، وعنده مكتبة زاخرة بشتى أنواع العلوم، وكان يختم القرآن الكريم كل أسبوع مرة تقريبًا.

تعلم علم الدُّوبيا مبكرًا، وهو علم الحسابات التجارية.

كان -رحمه الله- قوي البنية، ومصارعًا ذا قوة مميزة، يقذف بشوال صابون وزن ثمانين كغ تقريبًا إلى ارتفاع متر ونصف أو أكثر ليضعه العَتّال على الستيف.

ويحاسب نفسه فلا يلفظ ألفاظًا نابية أبدًا، شيمته الحلم في التجارة، لا يشتم أحدًا، ولا يخطئ في حقه.

شارك -رحمه الله- في الكثير من أعمال الخير خاصة ما يتعلق بالسيد النبهان، بل كان يعمل بيده فينقل مع إخوان سيدنا ما يخص بناء وتوسعة المسجد والمدرسة، وسافر معه لأداء الحج عام ١٩٦٥م.

كان لا يتوانى -رحمه الله- عن مساعدة الناس، وقدم كفالات كثيرة في غرفة التجارة لطلاب درسوا أو لمحاسبين توظفوا في دوائر الحكومة، يقول ابنه: لازلت أذكر أحد بيت خيّاطة كلما رآني ترحم على الوالد وقال: لولا كفالة والدك لي لما توظفت، وكانت صفحة كفالاته في غرفة التجارة مليئة، وقد أخبرني مدير غرفة التجارة عندما استخرجت كفالة العودة لي وقال لي: أخبر والدك بأن صفحة كفالاته قد امتلأت. ونرجو الله أن يجعلها في صحائف أعماله الصالحة.

وبعد وفاته تكشفت عائلات مستورة كان ينفق عليها سرًّا دون علم أحد من أهله، وكان -رحمه الله- مشهورًا بين أقاربه بالسعي على الأرحام والأرامل المساكين.

كان يسعى في تزويج المحتاجين من النساء والرجال، وقد زوج شخصًا كان يعمل عنده وأسكنه في غرفة عالية من غرف بيته، وجلب له العروس من طرابلس من لبنان، وقام بتزويج ابنة عم له أرملة وفقيرة مرتين.

يقول ابنه: مرة سألني أحد بائعي الجبنة من بيت الكَرْمان وقال لي: ماذا يفعل أبوك بالجبنة فقد اشترى من عندي أكثر من طونين من الجبنة هذا العام؟! قلت له: يوزعها على المحتاجين. هكذا كان، رحمه الله، وأسكنه فسيح جنانه.

كان كريمًا محسنًا، يطوف على الأرحام، ويساعد المحتاجين منهم، ومن المساكين الغرباء، وخاصة في توزيع المؤن الغذائية في مواسمها كالزيت والجبنة والبرغل والسكر وغيرها، وكان عنده غرفة منخفضة قليلًا عن سطح الدار تسمى قبو المونة الجافة كالبرغل والسكر والأرز والصابون والتمر وغيرها، وكانت معظم الصدقات تتم على شكل مواد غذائية حيث كان الناس في عوز بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

له صداقة خاصة بالعديد من الشخصيات المرموقة في المجتمع خاصة منهم الشاعر عمر بهاء الدين الأميري (١٣٣٧-١٤١٢هـ) الذي كان يزوره في بيته، ويجلسون ساعات يتبادلون الأحاديث والأشعار، وتظهر عليه علامات السرور والبشر بعد كل زيارة، ويستمتع في مجالسه بقصائده الصوفية.

أسرته:

للحاج محمد هدى ثلاثة إخوة أشقاء: هاشم، عبد الحميد، إبراهيم. و الحاج محمد هدى أصغرهم.

أولاده من ابنة السيد النبهان: محمد سهيل، ومحمد شمس الدين، وسبع بنات.

ومن زوجته الأولى: محمد منير، محمد عادل، عبد العزيز، محمد صالح، محمد عماد، وأربع بنات.

اشتهر أولاده بحب العلم، فكانوا جميعهم من المتعلمين المثقفين ما أفقدهم تجارة والدهم فيما بعد.

مرضه ووفاته:

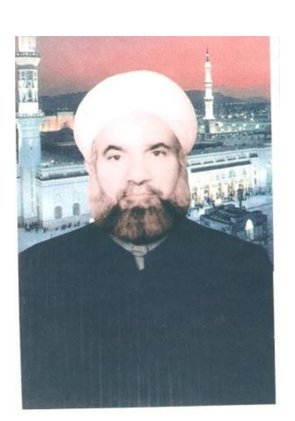
في أيامه الأخيرة لم تُسمع منه شكوى مرض أو تذمر -رحمه الله- بل توفي صامتًا برجفان أذيني أصابه مدة يومين فقط عن عمر ناهز الثالثة والستين. وذلك بتاريخ ١٠ صفر ١٣٨٩هالموافق ٢٧ نيسان ١٩٦٩م، ودفن في مقبرة هنانو، ثم نقل رفاته مع رفات العديد من عائلته إلى مقبرة كرزدادا في حي قاضي عسكر.

مصادر الترجمة:

- «الشيخ محمد النبهان، شخصيته، فكره، آثاره».
- أولاده: محمد صالح، ومحمد شمس الدين.

(٦٦) الشيخ محمد ولي

١٣٥٧ - ١٤٢٠هـ/ ١٩٣٨ - ٢٠٠٠م



هو الشيخ محمد ولي ابن الشيخ عبد القادر ولي الأنطاكي.

ولادته ونشأته:

ولد بمدينة أنطاكية في تركية في ٩ ذي القعدة ١٣٥٧هـ.

هاجر والده مع أسرته إلى حلب، وسكن بعد وصوله بيت الشيخ سعيد الإدلبي رحمه الله، والشيخ محمد وقتها طفل رضيع.

التحصيل العلمي:

درس الابتدائية في مدرسة حسان بن ثابت، وبعدها انتسب إلى معهد العلوم الشرعية (الشعبانية) عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٣م فدرس فيه العلوم الشرعية، ونال شهادتها، كما جاور في جامع المدرسة الإسماعيلية ودرس عند مشايخها.

شيوخه:

الشيخ عبد القادر ولي، الشيخ محمد السلقيني، الشيخ بكري رجب، الشيخ محمد المعدل(١)، الشيخ محمد أسعد العبجي، الشيخ أمين الله عيروض، الشيخ نجيب

---

(١) الشيخ محمد المُعَدّل (١٣٣١هـ-١٣٨٣هـ): فقيه خطيب، ولد في قرية كللي في محافظة إدلب،

خياطة، الشيخ محمد زين العابدين الجذبة، الشيخ أحمد القلاش، الشيخ محمد شهيد، الشيخ عبد الله سراج الدين، رحمهم الله جميعًا، أما السيد النبهان فهو شيخه في السير والسلوك والتربية.

رحلاته:

في عام ١٩٦٥م ذهب لأداء فريضة الحج واجتمع عند السيد محمد أمين الكتبي[1] بالشيخ علي البوديلمي الجزائري التلمساني شيخ الطريقة الشاذلية، وأعطاه الإجازة بالطريقة الشاذلية والورد والإذن الخاص والعام.

وفي عام ١٩٧٥م تلقى دعوة من المركز الإسلامي في برلين الغربية، وهناك ألقى في جامعة برلين عدة محاضرات وبذلك منحه مجلس الجامعة شهادة الدكتوراه الفخرية.

عمله:

عمل مدرسًا في الثانوية الشرعية بعفرين، وإمامًا وخطيبًا ومدرسًا في العديد من مساجد حلب ومنها: جامع الصديق، جامع ميسلون، جامع بان قوسا، جامع الحدادين، جامع النور.

له كتاب: أسماء الله الحسنى وخواصها، وجالية الكرب.

تخرج في الخسروية وأتم دراسته فيها عام ١٣٥٠هـ، دَرّس في معهد العلوم الشرعية (الشعبانية) وعمل موجهًا فيها، توفي في حلب. انظر «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» (٢٧١).

(١) الشيخ محمد أمين كتبي الحسني (١٣٢٧-١٤٠٤هـ): عالم وأديب، ولد في مكة، وتلقى العلم على مشايخ الحجاز، ودرّس في الحرم، من مؤلفاته: نفح الطيب في مدح الحبيب، وبشير الكرام إلى بلوغ المرام، توفي في مكة ودفن في مقبرة المعلاة.

من مواقف الشيخ محمد ولي مع السيد النبهان رضي الله عنه والعلماء والأولياء:

لما كان طالبًا في المدرسة الشعبانية أحب وتعلق بالشيخ عبد الله زين العابدين وكان مجذوبًا فعندما علم الشيخ محمد معدل ناظر المدرسة الشعبانية بتعلقه بالشيخ عبد الله أخذ منه الغرفة في جامع الإسماعيلية حتى يمتنع عن الشيخ عبد الله زين العابدين، فحزن الشيخ محمد ولي لذلك لشدة حاجته إلى مأوى يأوي إليه لطلب العلم فقالوا له: إن الذي يعيد لك الغرفة هو الشيخ محمد النبهان فذهب إليه وقال له: يا سيدي يقولون عني مجذوب، انظر إلي هل أنا مجذوب! فتبسم الشيخ محمد النبهان وقال له: «يا ولدي لم يبق لك إلا شخطة كبريت وإن الله ألبسك ثوب المحبة فحافظ عليه، يا ولدي خذها من طريق العلم، ولا تأخذها من طريق الجذب فإن أخذتها من طريق العلم تفيد نفسك، وغيرك وإن أخذتها من طريق الجذب فلا تفيد إلا نفسك» فتعلق منذ ذلك اليوم بالسيد النبهان، وأحبه، ولازمه، وله مواقف كثيرة مع السيد النبهان.

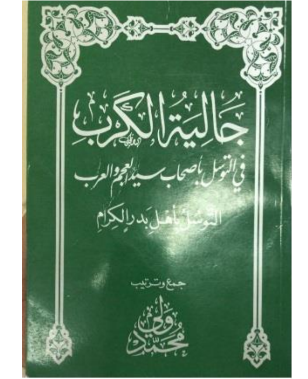
وكان السيد النبهان يناديه: يا ولي الله.

ومرة دعا الشيخ محمد ولي على شخص فشُلّ من ساعته من سوء أدبه معه، وفي اليوم التالي جاء السيد النبهان وزار الشيخ محمد ولي فطلب منه ألا يدعو على أحد أبدًا مهما كان الأمر.

حصل مع الشيخ محمد ولي تخيل غريب فكان يرى أمامه السيد النبهان وأشياء أخرى فجاء إلى السيد وأخبره فقال له السيد النبهان: «سوف آخذها منك وهي أمانة عندي أردّها لك، واهتمّ الآن بالعلم» وكان يزوره السيد النبهان في بيته.

حدثني الشيخ محمود الزين -رحمه الله- قال: «إن الشيخ محمد الولي جاء إلى سيدنا وقال: سيدي جاءني أهل دولة أهل الله، ويريدون أن يضعوني مكان واحد منهم مات في حلب فقال له سيدنا: قل لهم: نحن لا نستلم وظيفة».

ولما سمع الشيخ محمد ولي بالشيخ أحمد الحارون الشامي قصده للزيارة فلما وصل إليه استأذنه ودخل عليه وسأله الشيخ أحمد، رحمه الله: يا ولدي ما اسمك؟ قال: محمد ولي. فقال الشيخ أحمد: يا ولدي لك حظ من اسمك.



ولما قصد زيارة الشيخ محمد الهاشمي قال: أول ما رآني قال لي: «يا ولدي إن الله ألبسك ثوب المحبة وأنت لا تضام».

وذكر الشيخ عبد القادر ولي والد الشيخ محمد ولي -رحمهما الله- أنه زار الشيخ محمد أبو النصر شيخ الطريقة النقشبندية واصطحب معه ولده محمد وكان طفلًا صغيرًا فأخذه الشيخ أبو النصر وقرأ له وكتب له حجابًا وقال للشيخ عبد القادر ولي: كتبت له حجابًا ووضعت فيه سرًّا.

حدثني الدكتور عثمان عمر المحمد قال: «من كرامات الشيخ محمد ولي –كما سمعت منه- أنه كان في تركيا، وكان في الطابق الخامس في عمارة، فتح باب المصعد ودخل فيه لكن الصندوق الذي يحمل الركاب لم يكن موجودًا فهوى من الدور الخامس إلى الأرض، وكتب الله له الحياة، صوّر الطبيب ظهره فقال: المفروض أنك مشلول الآن، وأنت تمشي! هذا غير معقول. فضحك الشييخ محمد ولي وقال: لكن الحقيقة أنني وأنا نائم جاءني بعض أهل الله وأجروا لي العملية وشفيت والحمد لله».

أخلاقه:

كان ملتزمًا بشرع الله، وقافًا عند حدود الله، لا يتعداها، لا يعرف إلا الصدق، سليم الطوية، صافي السريرة، محبًّا لرسول الله ﷺ وآل بيته والصحابة الكرام، لا يحمل غِلًا ولا حسدًا على أحد.

وفاته:

توفي -رحمه الله- عصر يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ١٤٢٠ الموافق الثاني والعشرين من آب ٢٠٠٠ ودفن في مقبرة الشيخ جاكير الوسطى بحلب.

مصادر الترجمة:

- الشيخ هشام الألوسي، مراسلةً كتابيةً.
- الدكتور محمود الزين، مشافهةً.
- الشيخ علي ابن الشيخ محمد ولي، مشافهةً.
- الدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلةً كتابيةً.

(٦٧) الشيخ محمود دعبول العساني

١٣٤١ - ١٤١٧هـ/ ١٩٢٣ - ١٩٩٧م

ولادته ونشأته:



ولد -رحمه الله- عام ١٩٢٣م في قرية عسّان التي تبعد عن مدينة حلب حوالي اثني عشر كيلو باتجاه الجنوب، وقد نشأ وترعرع بين أبوين صالحين من عائلة كريمة مشهورة.

في بداية أمره كان يعمل في الزراعة حيث إنه ورث من والده مجموعة أراضٍ زراعية، فكان يؤجر قسمًا منها، ويزرع منها.

طلبه العلم:

كان طلبه العلم في سن متأخرة، فبعد أن تزوج وصار عنده طفلان ألقى الله حب العلم في قلبه بعد أن التقى ببعض الدعاة الذين كانوا يترددون إلى قرية عسان، فشجعوه على طلب العلم، فالتحق بالمدرسة الشعبانية في حلب، وكان يداوم ويحضر الدروس فيها، ثم يأوي إلى مسكنه في الإسماعيلية إلى غرفة كان يسكنها هو وصديقه في الدراسة الشيخ عبيد الحمرة، وكانت غرفته بجوار غرفة صديقه الشيخ عمر ملاحفجي -رحمه الله تعالى- وقد وصف الشيخ عمر حال الشيخ محمود في غرفته فقال: (الشيخ محمود رجل صالح، صاحب قلب سليم، بكّاء من خشية

الله، كان زميلي في طلب العلم وجاري بالمدرسة الإسماعيلية بحلب، غرفته بجانب غرفتي، كنت أسمع بكاءه ونحيبه قبل الفجر بساعة، يناجي ربه ويتضرع إليه، وكانت أمه -رحمها الله- امرأة صالحة تقيّة يشعّ نورها شعًا، تتردد عليه وتدعو له ولي بكل خير وتوصيني به دائمًا).

هذا وقد عاشت أمه -رحمها الله- مئة وخمس عشرة سنة تقريبًا، ولبّت نداء ربها وهي تتوضأ، حيث أنهت غسل قدمها اليمنى ولما انتقلت إلى اليسرى توفيت. رحمها الله رحمة واسعة.

فالشيخ محمود دخل المدرسة الشعبانية عام (١٣٦٩هـ) الموافق لعام (١٩٥٠م) وتلقى العلم على علمائها الأفاضل، وأمضى فيها ست سنوات، ثم تخرج فيها عام: (١٣٧٥ هـ) الموافق لعام (١٩٥٦م).

ومن زملائه في المدرسة الشعبانية: الشيخ عبد القادر عيسى، والشيخ سعد مراد الحموي، والشيخ محمد عبد المحسن الحداد، وغيرهم.

شيوخه في الشعبانية:

العلامة الشيخ اللغوي حامد هلال، والشيخ محمد أبو الخير زين العابدين، وأخوه العلامة اللغوي الشيخ عبد الرحمن زين العابدين، والشيخ محمد الملاح، والعلامة المحدث الشيخ الجليل عبد الله سراج الدين، والشيخ الفرضي محمد سامي بصمه جي، والعلامة الشيخ المعمَّر أحمد القلاش، وفرضي حلب وشيخ قرائها الشيخ محمد نجيب خياطة، والشيخ المحدث محمد زين العابدين الجذبة، والشيخ عبد الفتاح حميدة الناصر، والشيخ محمد أديب حسون، وغيرهم.

أكمل -رحمه الله- الدراسة وعين إمامًا في مساجد حلب كان آخرها مسجد السخانة في باب النيرب.

أسرته: له من الأبناء أربع ومن البنات بنتان، أما الأبناء فهم: عبيد، عبد الرحمن، سعيد، عبد الرزاق.

صلته مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ:

في بداية أمره -رحمه الله- سلكَ على يد الشيخ حسن حساني شيخ الطريقة القادرية في حلب، وأصبح من المقربين لديه، وكان صادقًا في الطلب فأحبه الشيخ حسن وصار يفكر بأن يجعله خليفة له.

لقد كان يحدث عن نفسه فيقول: كنت أمشي وأنا أحمل سبحة طويلة ذات الحبة الكبيرة، وأُمَني نفسي بأن أصير خليفة للشيخ حسن، رحمه الله.

وهكذا أراد -رحمه الله- شيئًا وأراد الله سبحانه له شيئًا آخر، ففي هذه الأثناء هيأ الله له أحد إخوان السيد النبهان فأشار عليه بأن يزور السيد ﷺ، ويحضر عنده درسًا من الدروس، وكان هذا الدرس فاتحة خير له ولعائلته كلها.

قال -رحمه الله-: «قدمت الكلتاوية فرأيت ما لم أره من ذي قبل، رأيت شخصية ذات طلعة بهية، أسر قلبي منذ رأيته، وأخذ بمجامع لبي، ورأيت الناس حوله غير الناس، جالسين مطرقين وكأن على رؤوسهم الطير، فتملكني شعور غريب لا يوصف، عندها نسيت المشيخة التي كنت أفكر فيها، وتركتها خلف ظهري، ومنذ ذلك اليوم ما تركت الكلتاوية».

كان -رحمه الله- معتقَدًا عند أهل الحي يحبونه ويحضرون دروسه، فكان يأخذ بعضهم معه إلى الكلتاوية فيقولون له: يا شيخ محمود! مالنا نراك خارج الكلتاوية كبيرًا وداخل الكلتاوية صغيرًا؟ فيرد عليهم: طبعًا؛ إذا طلعت الشمس اختفت الكواكب (إذا طلعت لم يبد منهّن كوكبُ).

وقد نالت أسرة الشيخ محمود شرف الخدمة فكانت تعجن الدقيق وتخبزه في التنور، ثم يضعون الخبز في كيس الدقيق، فيأتي الشيخ محمود دعبول فيحمله من باب النيرب إلى الكلتاوية، وهكذا كل أسبوع أو عشرة أيام.

يقول الشيخ محمود -رحمه الله-: «في إحدى الجلسات مع السيد النبهان - قدس سره العزيز- قال لنا: «يا أولادي! من كان لديه إشكالات أو عنده استفسارات فليكتبها في ورقة ويعطني إياها» فما كان مني إلا أن ذهبت للمنزل وبدأت أكتب كل مشاكلي مع نفسي وأعدد مساوئها وما فيها من عيوب، وفي اليوم التالي حضرت الدرس وقلت: يا سيدي أنت قلت لنا: نكتب مشاكلنا وما نشكو منه في ورقة ونعرضها عليك. وها أنا ذا أحضرت ما أمرتني به، وبمجرد ما انتهيت من كلامي فاجأني بقوله أمام الحضور والغرفة مكتظة بالجالسين: هيا يا ولدي هيا، اقرأ الورقة التي بين يديك. يا الله! ما أصعبه من موقف! ولا تسألوني عما حصل لي في هذه اللحظات الحاسمة، عندها ذهلت واحمر وجهي من الخجل وقلت له: كيف أقرؤُها يا سيدي أمام هذا الجمع؟! أجاب ﵁: اقرأها يا ولدي لعلّها تزول عنك بإذن الله. فبدأت أقرؤها الفقرة تلو الفقرة والناس يستمعون، ووجهي يتصبّب عرقًا من شدة ما أصابني من الخجل، وما عرفت كيف فرغت من قراءتها، موقفٌ لا أحسد عليه، إنه موقف رهيب. وبعد هذه الجلسة العلاجية ما شعرت كيف زالت هذه المشاكل، وانزاحت عني جميع تلك الأوصاف التي ذكرتها في الورقة عن بكرة أبيها بفضل من الله، ولم يبق لها أثر، والحمد لله».

كان الشيخ محمود -رحمه الله- يستشير السيد النبهان ﵁ في كل صغيرة وكبيرة.

قال -رحمه الله تعالى-: «ذهبت إلى السيد ﵁ وقلت له: سيدي قد رزقني الله مولودًا جديدًا فماذا أسميه؟ قال: سمِّه عبدالرزاق، وذلك في ٧ حزيران ١٩٥٩م قال -رحمه الله-: لقد أشار الناس عليّ أن لا أسجله الآن في النفوس حتى تكتمل السنة كما يفعل كثير من الناس، فما رأيكم سيدي؟ قال: فنظر السيد إليّ بانفعال وغضب ظاهرين وقال: محمود! محمود! أتلحق الكذابين وتسمع كلامهم؟! لا لا، اذهب وسجله في اليوم الذي ولد فيه ولا تسمع كلام الناس». وقد فعل ما أمر السيد فسجله في التاريخ الذي ولد فيه.

كان -رحمه الله- ممّن لازم السيد النبهان وداوم على الحضور في الكلتاوية، فيحرص -رحمه الله- على أن يجلس في الصف الأول ليكون أقرب ما يكون إلى سيدي النبهان ﵁.

وفي غرفة السيد ﵁ كنتَ ترى الشيخ محمود دعبول أحيانًا يمسك بالكتاب ويقرأ والسيد ﵁ يشرح ويعلق ويحقق، وهذا في السنوات الأخيرة من حياته قدس سره العزيز.

وفي عام ١٩٦٥م عزم السيد النبهان على الحج فتهيأ الناس للذهاب معه، ولما رأى الشيخ محمود دعبول الناس يجهزون أنفسهم للحج برفقة السيد ﵁ حزن؛ لأنه لا يملك مصاريف الحج، فخرج من الكلتاوية حزينًا كئيبًا لا يلوي على شيء، ونزل إلى باب النيرب، وإذ به يلتقي بابن خاله عيسى الإبراهيم، فسأله عن حزنه ثم عرض عليه مبلغًا كافيًا للحج لكنه رفض، وفي اليوم التالي ذهب إلى الكلتاوية، وهناك يتفاجأ بالسيد النبهان يقول للجالسين: « هناك أناس نعرض عليهم فيرفضون».

بعد ذلك ذهب إلى ابن خاله وسأله عن المبلغ الذي عرضه عليه بالأمس، فأنكر ذلك وقال له: أنا ما رأيتك ولم ألتقِ بك منذ زمن. فحينها تذكر كلمة السيد ﵁ وعرف السر في ذلك، رحمه الله.

هذا وقد أكرمه الله وهيأ له الحج مع السيد ﵁، وبرفقة أخيه الحاج محمد دعبول وأمه، رحمهم الله.

وهذا التجسد معروف عند أهل الله، وقد حدث مرة أخرى مع الشيخ محمود دعبول.

حدثني عنه الدكتور محمود الزين -رحمه الله- قال: «من خصائص هذا الرجل أن له شهادة عند سيدنا ﵁ فقد شهد له سيدنا بالصدق.

ولما عمل سيدنا جلسة لأهل باب النيرب كانت عن طريقه قال له سيدنا: «يا شيخ محمود ائتوا بجماعتكم» فحدد لهم يومًا معينًا كان وقتها يوم الجمعة بعد المغرب.

وأذكر مرة بعدما دخلت الكلتاوية وكنا جالسين عند سيدنا -وهو عند سيدنا حاله الدائم هو البكاء-، فقال سيدنا: اسألوا ابني اسألوا شيخ محمود اسأل.

فقال: يا سيدي نأتي وفي أنفسنا أسئلة كثيرة، فإذا رأينا جنابكم نسيناها.

فقال له سيدنا: صدقت، هذا من الصدق، نحن هكذا كنا.

كان الشيخ محمود فقيرًا شديد الفقر، طويلًا أطول مني بما يقارب الشبر، خشن العظام بلا لحم، وكان مستأجرًا بيتًا متواضعًا لا يتسع له فكان يضطجع فيه ويمد رجليه في الشباك، فوجد بيتًا متواضعًا للبيع، ونقصه من ثمنه مئتا ليرة سورية، فذهب إلى الشيخ عبد الغني حماد وكان أستاذًا في مدرسة الشعبانية- والشيخ محمود عمل وكيلًا عنده لفترة- فقال له: هل يتوفر لديك سلفة مئتي ليرة لتكملة ثمن البيت، وتقطعها عليَّ شيئًا فشيئًا حتى يتم سدادها؟ فنظر إليه الشيخ عبد الغني وقال له: أنت أليس لك شيخ؟ أليس شيخك الشيخ محمد النبهان؟ قال: بلى. فقال له: اذهب واطلب من شيخك. قال الشيخ محمود: فكأنه ضربني على عيني، أنا أعمل عندك لا أعمل عند شيخي! قال: حزنت بشدة ولم أعد أرى أمامي فتركته ومشيت نحو الكلتاوية لأخفف عن نفسي، وإذ بي قبل أن أصعد الى الكلتاوية أرى تَكّاكًا (التك هي عربة الخشب التي تجرها الدواب للحمولة) قال: وأنا أعرف هذا الرجل درويشًا فقيرًا من جماعتهم من عسّان فجاء وسلم علي وقال: يا شيخ محمود معي مائتا ليرة لاتلزمني الآن وأخاف إن بقيت معي أن أصرفها فخذها فتصرف بها، ومتى ما يسر الله لك أعدها إلي فقلت له: لا. فألح كثيرًا، فرفضت وصعدت إلى الكلتاوية، فرآني سيدنا فقال لي: ما بك يا شيخ محمود؟! قال: فرويت له القصة. فقال سيدنا: هكذا قال لك اذهب خذ من شيخك؟! قلت: نعم.

قال سيدنا: لما عرض عليك شيخك النقود لماذا لم تأخذها؟! قال: سيدي! هذا أنت؟! جاءه سيدنا بصورة قريبه التَّكاك».

كان من أصحاب الشيخ محمود دعبول الحاج علي الحمرة -رحمه الله-، وقد عرّفه على السيد النبهان والكلتاوية، فصار يتردد معه على الدروس، وقد منحه الله صوتًا حسنًا فيه من الخشوع ما فيه، لكن هذا الرجل كان صاحب حالٍ، وذات يومٍ وهو في مجلسٍ للسيد ﵁ وهو يتكلم والناس سكوت مطرقون، وفجأةً يعتريه حالٌ غريب ويصرخ ويرتجف من شدة الحال الذي أصابه، وأهل الكلتاوية لم يعتادوا على مثل ذلك من الصياح، نظروا إلى ذلك الرجل في استغراب شديد، هنا تدخّل السيد ﵁ حتى لا يُظنّ به السوء فقال ما معناه: أما أخوكم هذا فحاله صادق. والتفت إلى الرجل قائلًا: «يا ولدي! لا تجعل الحال يسيطر عليك، وخلّيك أقوى من الحال».

مرضه وانتقاله:

كان -رحمه الله- يشكو من الروماتيزم من أمد بعيد، ويأخذ العلاج تلو العلاج، وكان كل من يصف له علاجًا يأخذه ويستعمله أملًا في الشفاء.

وفي الآونة الأخيرة وصف له طبيب شعبي وصفة مكونة من عسل النحل وغذاء الملكة، وقد استعملها الشيخ محمود دعبول-رحمه الله- بحسب الوصف لكنه على العكس بدأ يشعر بإرهاق وتعب في جسمه ومفاصله أكثر من ذي قبل؛ حتى إن ابنه الكبير جرب هذا العلاج وأخذ منه ملعقة واحدة فقط إلا أنه لم يستطع النوم تلك الليلة.

ومن ناحية أخرى كان الشيخ محمود -رحمه الله- يحب المجاورة في الحرمين الشريفين، وقد قضى السنوات الأخيرة من عمره ما بين عمرة أو حج، وكان في هذه الفترة يحاول استخراج الإقامة ليستقر في المدينة المنورة لكن الأمر لم يتيسر له ذلك مما سبب له حزنًا شديدًا، فزاد هذا من مرضه وأقعده في الفراش حتى وصل به

الأمر إلى أنه لم يعد يستطع تحريك مفاصله ولم يعد يأكل، وأصابه مرض الكلى فازداد الأمر سوءًا؛ حيث إن الأطباء امتنعوا عن غسل الكلى لكبر سنه.

هذا وقد اجتمعت الأمراض والأسقام عليه مع حنينه وشدة شوقه إلى تلك الديار المقدسة، وعدم الوصول إليها بأي طريقة كانت، كل ذلك كان سببًا في تراجع صحته وتدهورها وجعله طريح الفراش إلى أن وافاه الأجل -رحمه الله- فانتقل إلى جوار ربه في آخر ليلة من شهر شعبان عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ودفن في مقبرة الشيخ جاكير باب النيرب في حلب.

مصادر الترجمة:

- ابنه عبد الرزاق، مراسلة كتابية.
- الدكتور محمود الزين، مشافهةً.

ملف مسموع:

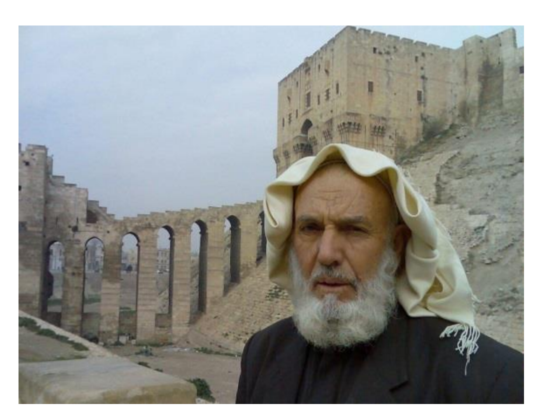
لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

كلمة للشيخ محمود الزين عن الشيخ محمود دعبول.



(٦٨) الحاج محمود رْحَيّم

١٣٦١ - ١٤٣٧هـ/ ١٩٤٢ - ٢٠١٦م



الضابط المحب، صاحب الصوت الشجي، والروح العالية، والوجهة الصادقة، الحاج محمود رْحَيِّم عواد سلطان محمد بغزي الكبيسي.

ولادته:

ولد في مدينة كبيسة بالعراق ١٦ جمادى الثاني ١٣٦١هـ/ الموافق ١ تموز ١٩٤٢م. وهو من عشيرة البو حيدر بطن من طيّ نفس عشيرة الحاج محمد الفياض.

دراسته وعمله:

درس الابتدائية في مدينة كبيسة، وكان أحد معلميه الشيخ عبد العزيز خضر العاني، رحمه الله.

كان من صغره لا يحب مجالس اللهو والغفلة.

أكمل دراسته الإعدادية ثم انتسب إلى مدرسة القوة الجوية، وتخرّج فيها برتبة نائب ضابط، فتوظف في القوة الجوية في الحبّانية بمحافظة الأنبار يشرف على صيانة الطائرات وتجهيزها، وبقي في ذلك حتى تقاعده.

مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ:

أراد الحاج محمود رْحَيِّم يومًا أن يترك الوظيفة ويتفرّغ للعلم والعبادة وكان متعلقًا بالحاج محمد الفياض -رحمه الله- فنهاه عن ذلك، ثّم ارتبط بسيدنا محمد النبهان ﷺ وتعلّق به، فسأل سيدنا أن يترك الوظيفة فأمره سيدنا بالبقاء فيها وقال له: «بقاؤك فيها صلاح لك ولغيرك» وهذا الذي حصل فقد تأثر بحاله كثير ممّن يعملون معه مثل: الحاج رشيد مشعان الأويسي والحاج عبد الرحمن زيدان وغيرهم كثير من ضباط ورتب عالية تأثروا به كثيرًا لما يحمله من أخلاق وصدق وعلو همة.



الحاج محمود رحيم

وطيلة خدمته في العسكرية لم تكن عليه عقوبة، أو غياب، أو تأخر عن الدوام.

درس شيئًا من الفقه والنحو وبعض العلوم على الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي، رحمه الله.

وكان بينه وبين الشيخ عبد الستار ملا طه -رحمه الله- محبة وألفة.

أخوة في الله:

آخى سيدنا رسول الله ﷺ بين أصحابه -رضي الله عنهم- فكانوا قدوةً في المحبة والإيثار وبهم اقتدى أتباع سيدنا النبهان.

كتب لي الشيخ حامد صخي: «آخى سيدنا النبهان ﷺ الحاج محمود رْحَيِّم مع الحاج رشيد مشعان -رحمهما الله- فكانا من أهل الهمة والحال، إذا رأيتهما ذكرت الله تعالى، وكأنك في الرابطة الشريفة.

والأخ رشيد مشعان قال عنه سيدنا: «هذا على قدم أويس القرني» وكنا نلقبه في العراق «أويس النبهان» كان في شوق لرؤية سيدنا والاجتماع به في الدنيا فلم

يحصل ذلك «مرتبة محمدية» تحقيقًا لكلام سيدنا، وقد انتقل إلى جوار ربه على الحالة هذه، رحمه الله.

دخلت بيت سيدنا بحجرته المباركة يوم السبت بعد صلاة الفجر عام ١٩٧١م في جلسة خاصة سألتُ سيدنا ﵁: سيدي! هل محمود رْحَيِّم ورشيد مشعان معكَ في الجنّة؟ فقال قُدّسَ سِرّه: « هم معي في الجنة وأنْتَ معي في الجنة» عُدْتُ بها إلى الفلوجة مُبَشّرًا ولازالتْ بشراه قُدّس سِرّه تسري بِنَا الى مدارج معارِج رُتَبِ الكرام لأنّ سيدنا الكريم قال: «كلامي مُحَقّق مُدَقّق لا بد أن يقع».

كنا إذا جلسنا نتذاكر بسيدنا (تعالوا نُؤمن ساعة).

قال لنا الأخ الحاج محمود رْحَيِّم: لم أسمع ولم أجد كسيدنا النبهان تَمكينًا عندما يقول لكَ: «خَلّيني بقلبك خَلّيني أمامَكَ خَلّيني مَعَك» هذا لن يستطيع أحدٌ غيرهُ أن يقولها لأنّهُ هُوَ مُطْلَقٌ عن الإطْلاق ﵁.

وهذان الأخوانِ الفاضلان من الصالحين، ظاهرة عليهما علامة الولاية والاستقامة يعرف هذا كل إخواننا في العراق، ولهم رابطة خاصة بسيدنا الكريم وحال عجيب، مَنْ رآهما ذكر الله.

في أواخر شهر ذي القعدة عام ١٣٧٢ هـ كنتُ في حجرتي في الجامع الكبير في الفلوجة وإذا بالأخ الحاج محمود رْحَيِّم -وكانت له فيه غرفة- يأتيني ضحىً على غير عادته وهو في حالة جذب وهيام فقال لي: يالله نروح إلى أخينا الحاج سليمان وهو من إخواننا المحبين وله حضور مع سيدنا الكريم. كان يسكن في قرية تبعد مسافة ١٠ كيلومتر تقريبًا عن الفلوجة، خرجنا مشيًا أنا وهو ومعنا الحاج رشيد مشعان والشيخ محمود علي داود البعقوبي، والحاج ثابت حمدان، نذكر الله كأننا في حلقة ذكر، والأخ الحاج رشيد ينادي سيدنا بندائه المشهور: «يا سنايدي يا سَنايْدي»، والحاج محمود رْحَيِّم يُجيبه هاه هاه يالله حَرِّكْ قلبَكْ، وَيُنْشد بصوته الشجي:

أَبدًا تَحِنُّ إِلَيكُمُ الأَرواحُ ... وَوِصالُكُم رَيحانُها وَالراحُ

وَقُلوبُ أَهلِ وِدادكم تَشتاقُكُم وَإِلى لَذيذ لقائكم تَرتاحُ[(١)]

إلى آخر هذه القصيدة الرائعة لسيدي شهاب الدين السهروردي.

مَنْ يرانا يقول: مجانين. وصلنا إلى بيت الحاج سليمان فوجدناه عند ماكينة الماء التي تسقي زرعه، وصوتها يُدّوي فقال الحاج ثابت حمدان، رحمه الله: هذه الماكينة دَويّها مثل نبضات قلبي تقول: الله الله. وأخذه الحالُ وعندها بدأنا نردّد معه: الله الله الله الله. حلقة ذكر مع ماكينة الماء ثم انطلقنا إلى الخالدية والمسافة أبعد لأن الطريق من الفلوجة إلى الخالدية أكثر من ٢٠ عشرين كم مشيناها وقد طُويت المسافات، دخلنا على الشيخ أيوب في المدرسة الأحمدية على هذه الحالة فَرّحَبَ بنا ثم هامَ يشاركنا ما عليه من حال.

عُدْنَا معًا بسيارته إلى الفلوجة فلما وصلنا بيته قال: تعالوا معي ادخلوا وبقينا إلى صلاة الفجر في ذكرٍ ومذاكرةٍ ومن يومها تواصلت النفحات كلّ ليلةٍ حتى مطلع الفجر.

نعم نعم الحاج محمود رْحَيِّم صاحب الأنفاس المباركة، والمجالس الطيبة يُذَكّرنا حاله بالله تعالى، كان ولازال في الرابطة الشريفة، فنعم الاخ الصالح والمحب الصادق.

ما رؤي يومًا إلا وذكّرك بسيدنا النبهان رضي الله عنه.

سمعتُ سيّدَنا الكريم قُدّسَ سِرّه: يُلقبّهُ محمود العسكري، وكذلك يلقب أخانا رشيد مشعان -رحمه الله- لأنهمّا كانا سويةً في القوة الجوية بالحبانية، يشرفان على صيانة الطائرات وتجهيزها قال لي الحاج محمود رْحَيِّم: عندما دخلتَ أنتَ والشيخ أيوب عند سيدنا جلسة خاصة عام ١٩٧٣ م تَحَرّك قلبي ودخلتُ معكما وأخذتُ

(١) من قصيدة للسهروردي. انظر: معجم الأدباء (٦:٢٨٠٦).

أنادي ها ها سيدي وأُغنّي «حَرّكْت الروح لَمّنْ فاركتهم» ونحن عند سيدنا في نفس اللحظة ابتسم سيّدُنا وقال: «هذا محمود العسكري جَذّوُبه» فَلَمّا عُدْنَا سألناه في تلك اللحظة ماذا كُنتَ تقول؟ قال: كنتُ انا وأخي رشيد مشعان نُجَهّز الطائرة وصوت محرّكها يُدّوي لايسمعنا أحد، رشيد ينادي بأعلى صوته ها أبو أحمد ها سيدي، وأنا أغنّي «حَرّكْت الرُوح لِمَّنْ فارَكتْهم».

لله أيّامٌ على الخيفِ انقضتْ   يا حبّذا لو أنها رجعتْ لنا

في السبعينات قبل وبعد انتقال سيدنا إلى جوار الله عزّ وجلّ كُنّا نجتمع لاسْتماع مذاكرات سيدنا كأنّ على رؤوسنا الطير بالرابطة الشريفة، وأيضًا نستمع لها في خَلَواتنا، ثُمّ يأتينا الأخ الحاج محمود رْحَيِّم بحاله المعهود وهمته العليّة، يمشي بروحانيّة المحب الهائم فَيَشْحَن فينا الهِمَمَ، ويُعيدُ علينا ما حفظه، إذا رأى أحدًا تكاسل أو غفل ذكّره بقول سيدنا: «يا نايمين اقْعُودوا» ويعني بها لزوم الرابطة الشريفة، الرابطة الرابطة تحميك، وتحفظك، وبها تعلو همتك، وتنال.

من أقواله -رحمه الله-:

ويحضرني في هذا المقام قول الأخ الصالح الحاج محمود رْحَيِّم، وهو صاحب اليقظة والحضور والرابطة الشريفة الذي يشحن الهممَ بحاله قال يومًا: لا أدري لماذا تتكلّمون عن الرياء أو تخافون منه؟! الذي عنده مرجع كسيدنا الشيخ محمد النبهان كيف يخطر بباله الرياء؟! مرجع قويّ تَهابُهُ الشياطين، وجاءنا يومًا -رحمه الله- وهو يردّدُ: «احْفِرْ بِيركْ واشْرَبْ مِنّه» أيْ كلُّ منّا يجب عليه أن يشربَ من ماء بئره، شراب الصفا والوفا، ثمّ يقرأ قولَهُ تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام ١٠٤) يعني بذلك بئرك منك وفيك فمن أبْصَرَ فقد أبْصَر نفسَهُ، من عرف نفسه فقد عرفَ ربَّه، هذه المفاهيم وغيرها جاءت من ملازمته الاستماع لدروس سيدنا الكريم

وتَعَلّقه بالرابطة الشريفة، هذه البداية تأخذني إلى ثمرة الصحبة وإعطاء الصحبة حقّها، وهي خلاصة العبادة لله.

لقد كان الحاج محمود رْحَيِّم بين المحبين بدرًا، أمضى حياته بالمحبة والاتباع وطلب العلم وحلق الذكر.

قال عنه سيدنا النبهان الحبيب كما سمع ذلك الشيخ هشام من فمه الشريف: «محمود العسكري مجذوب». وفي رواية عنه: «مجذوبٌ فينا».

وهكذا عرفه إخواننا فلا يُرى إلا كالمجذوب، فإن حضر مجلسًا فهو من يتكلم ومن ينشد ويحرك الأشجان إلى الحبيب السيد النبهان رضي الله عنه.

هو من الرعيل الأول الذين حفظوا العهد والود، صدوق، ومن أصحاب الأحوال النادرة والأشواق الغامرة، وأحد أفرادٍ فتح الله على بصائرهم يرى سيدنا النبهان في اليقظة ويأخذ عنه مشافهة[١].

من مشاهده -رحمه الله-:

كتب لنا الشيخ صلاح مخلف: «سمعت من الحاج محمود رْحَيِّم عدة مرات يقول: كلما كنت أدخل إلى المقبرة لزيارة الحاج محمد الفياض، والشيخ أيوب، والحاج حمدان، فأرى الشيخ أيوب واقفًا جنب قبره متكئًا عليه ينظر إليَّ مبتسمًا.

وروى لي ولده يحي -ويُسمى أيضًا عبد الخالق وهو أكثر أولاده تعلقًا به- عن والده أنه سهر ليلة عند الحاج محمد الفياض -رحمه الله- إلى الفجر ثم ذهب إلى منزله وفي الطريق جعل ينظر الى البيوت فلا يرى جدرانًا بل كشف له أحوال الناس في البيوت هذا كذا.. وهذا كذا. وهذا كذا فوضع كفيه على وجهه وذهب

---

(١) انتهى كلام الشيخ حامد صخي.

مسرعًا إلى الحاج محمد الفياض -رحمه الله- فقال له: ما بكَ يا محمود! فشكى له ما جرى معه فضمه إلى صدره وقرأ عليه فذهب عنه هذا الحال.

كان -رحمه الله تعالى- كثيرًا ما يرى سيدنا يقظةً.

أذكر حادثتين حصلت له -رحمه الله- في حلقة الذكر في جامع الفلوجة الكبير: مرة كنت أقرأ «سرينا نطلب القوم الكراما» في الجلسة الثانية وفي أثناء القراءة وإذ بالحاج محمود يصرخ بحال: الله. وعرفت فيما بعد أنه رأى سيدنا يقظة وقتها، وكذلك حصل نفس الأمر عندما كنت أقرأ في إحدى حلقات الذكر: أواه ياقلبي المعذب بالهوى. وكانت هذه الحلقات في أواخر السبعينات».

وروى لنا عنه الشيخ صلاح الفياض قال: «حكى لي الحاج محمود رْحَيِّم -رحمه الله تعالى- أنّه أراد أن يعمل عملية لإزالة اللّوَز لأنها كانت ملتهبة فقرر الدكتور إجراء العملية في عيادة الدكتور الجراح عبدالعزيز القيسي على ما أذكر في الفلوجة، قال: فذهبتُ إلى الحاج محمد الفياض -رحمه الله- وأنا خائف من إجراء هذه العملية فعندما طرقتُ باب بيت الحاج محمد الفياض أذن لي بالدخول، وإذا بالحاج محمد الفياض يصرخ بوجهي قبل أن أتكلم بأيّ شيء: محمود أنت خايف من الموت؟ إذا جاءك الموت هلليلو (بلهجة بني كبيسه اَي رَحّب به) بعد هذه الكلمات ذهب عني الخوف فذهبت إلى الدكتور وقلت له: أنا موافق على إجراء هذه العملية، فأجلسني الدكتور على الكرسي وبنجني بنجًا موضعيًّا، وأخذ الدكتور بعملية استئصال اللوز وإذا بي أنظر أمامي واقعة، أرض واسعة وخلق كثير أشهدهم أمامي في مقدمتهم رجل عليه الهيبة والوقار وجهه كالقمر ليلة البدر ولحية كثة سوداء وعيناه واسعتان مكحلتان وهو ينظر إلي فأخذني الحال وقمت أنادي: ﷺ وأنا لا أعرف من يكون هذا الرجل، وبعد انتهاء العملية وانتهى البنج الموضعي فذهبتُ حالًا إلى بيت الحاج محمد الفياض لكي أقص له الذي شاهدته أثناء العملية فأخبرته بما رأيت فأخذ الحاج محمد الفياض بالبكاء حتى أشفقت عليه

من شدة بكائه فقال لي: اذهب فورًا إلى سيدنا الشيخ النبهاني وأخبره بما شاهدتَ وفعلًا شددت الرحال إلى حلب الشهباء حماها الله وعند وصولي إلى الكلتاوية طلبتُ جلسة خاصة مع سيدنا النبهان ﵁ وفعلًا أذن لي بالدخول إلى غرفة سيدنا ﵁ فأخبرته القصة التي وقعت معي فعندما سمع سيدنا القصة مني صار في حال قوي وقال بصوت عالٍ جهوري: هذا سيدنا محمد ﷺ جاء ليثبت إيمانك ورفع سيدنا النبهان عمامته عن رأسه ووضعها أمامه،وبدأ يتكلم عن سيدنا محمد ﷺ فقال: قلت لمحمد ﷺ: إما أن تأتي لعندي أو آتي لعندك».

ابتلاؤه وانتقاله:

بعد استشهاد ولده علي أثناء القصف على مدينة الفلوجة انتكست حالته الصحية انتكاسًا تام مما جعل الأمراض تتوالى عليه من ارتفاع السكر، وتضخم الكلى، وسرطان المثانة، وكانت حالته تسوء يومًا بعد يوم حتى أقبلت سنة ٢٠١٦م ففي إحدى الليالي قام ليتوضأ فتعثرت رجله فسقط على ظهره مما أدى إلى كسر في الحوض وهنا بدأت المأساة والمعاناة.

وقبيل انتقاله قال لأولاده: (احفروا لي قبرًا فأنا بعد أربعة أيام سأنتقل إلى رحمة الله) وقد تحقق ذلك كما أخبر، رحمة الله عليه.

عاد إلى مدينة الفلوجة بتاريخ ١٠ أكتوبر ٢٠١٦م وفي الساعة التاسعة صباحًا ٨ محرم ١٤٣٨هـ / الموافق ١٥ أكتوبر ٢٠١٦م نفخ نفخة واحدة انتقلت بها روحه إلى الرفيق الاعلى من دون نزع أو سكرات.

رؤيا:

رآه بعد انتقاله صديقه الشيخ حامد صخي في منامه -كما كتب لي هو- قال: في ليلة الاربعاء ٢٥ جمادى الاولى ١٤٣٨ هـ رأيتُ في المنام الأخوين الحاج محمود رْحَيِّم والحاج رشيد مشعان -رحمهما الله تعالى- في المدينة المنورة بالمسجد النبوي

الشريف جالسين يتحدثان، فجلستُ معهما وإذا بفتى جاء مسرعًا وقال لي: سيدنا محمد النبهان يريدك، فنهضتُ وقلتُ للأخوين الحاج محمود، والحاج رشيد قد خصّني سيدنا بجلسة خاصة، أسرع الفتى يركض وأركض معه جئتُ سيدنا وكان جالسًا في محراب المسجد النبوي كأنّه رسول الله ﷺ وحوله جمع من الصحابة الكرام رضي الله عنهم. والذي فهمتُهُ من الرؤيا وقتها أنّ الأخوين الحاج محمود والحاج رشيد قد اجتمعا في ذلك العالم الروحاني اللطيف وهما بمعيّة سيدنا محمد النبهان -قُدّس سرّه-، أكرمهما اللهُ تعالى أن يكونا في أشرف مقام وأطهر مكان المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وهذا يؤكد بيقين ما قاله لي سيدنا عندما سألتُهُ عنهما قبل وفاته رضي الله عنه، «سيدي هل محمود رْحَيِّم ورشيد مشعان معك في الجنة؟ فقال لي: هما معي في الجنة وأنتَ معي».

مصادر الترجمة:

- أولاد المترجَم.
- الشيخ هشام الألوسي، والشيخ حامد صخي، والشيخ صلاح الفياض، والشيخ صلاح مخلف، مراسلة كتابية.

ملف مسموع:

لسماع الملف الصوتي، فضلًا اقرأ الرمز التالي:

الحاج محمود رْحَيّم الكبيسي ينشد في جامع الفلوجة الكبير.



(٦٩) الدكتور محمود الزين

١٣٧٢ - ١٤٣٤هـ/ ١٩٥٣ - ٢٠١٣م



علم من أعلام الكلتاوية، العالم الداعية، الخطيب البليغ، المحقّق المدقّق، والمحلّل البارع، الشيخ الدكتور محمود بن أحمد بن محمود بن عيسى بن مصطفى بن محمد الملقب بالزين.

ولادته: ولد -رحمه الله تعالى- في حي باب النيرب بحلب بسورية، وذلك عام ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م.

نشأته وأسرته:

سليل الدوحة النبوية، وغصن الشجرة المحمدية؛ ينتهي نسبه الشريف إلى سيدنا الحسن رضي الله عنه[١].

---

(١) كاتبني الدكتور عثمان عمر المحمد قال: قال لي أخي الدكتور محمود الزين -رحمه الله-: رأيتك في منامي تجاورني في نسبي لآل البيت، فأنا أقول عن نفسي حسيني، وأنت تقول لي: أنت حسني ونِسْبتك عندي، ثم أخذتني إلى بيتك، وإذ قبر رسول الله ﷺ في بيتك، فكشفت أعلى الصندوق الخشبي فوق القبر، وأخرجت مشجرًا فيه نسبي من آل البيت وأنني حسني ولست حسينيًّا.

نشأ في بيت علمٍ وسير وسلوك؛ فوالده الشيخ أحمد[١] من العلماء الصالحين، وقد ربّى أولاده على حبّ العلم والأولياء والصالحين.

رُزق الشيخ أحمد بخمسة من الذكور: أكبرهم الدكتور محمود -رحمه الله-، ثم الدكتور حمزة. وقد تخرج في مدرسة الشعبانية، وحصل على الدكتوراه في الحديث الشريف من الأزهر الشريف.

ثم الشيخ محمد الذي تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، وانتسب إلى كلية الفلسفة بجامعة دمشق ولم يكمل.

ثم الشيخ حامد الذي تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية)، ويحمل ليسانس من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم، وهو حافظ للقرآن الكريم على القراءات، ثم حصل من المعهد العالي للدعوة في مكة المكرمة على الماجستير.

ثم الشيخ علي الذي انتسب إلى مدرسة الكلتاوية ولكن لم يكمل.

وكان والدهم الشيخ أحمد قد انتسب إلى السيد النبهان عام ١٩٦٠م، وذلك بعد بحث طويل عن المرشد الكامل؛ وقد تَنَقَّل في سبيل ذلك من شيخ إلى شيخ حتى وفقه الله للتشرف بالعارف بالله الكامل.

أولاد الدكتور محمود الزين:

محمد، أحمد، زين العابدين، أبو بكر عبد الله، الحسن. وخمس بنات.

---

(١) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٩).

دراسته ودرجته العلمية:

انتسب إلى مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) عام ١٩٦٨م، وبجانب هذه الدراسة حصل على الشهادة الإعدادية العامة عام ١٩٧١- ١٩٧٢م، ثم تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٧٤م.

ثم نال شهادة الثانوية الأزهرية من معهد القاهرة عام ١٩٧٤- ١٩٧٥م.

ثم تخرج في جامعة الأزهر (كلية اللغة العربية) عام ١٩٧٨م.

حصل على الماجستير في البلاغة والنقد من جامعة الأزهر (كلية اللغة العربية) عام ١٩٨٦م. وعنوان رسالته: «الآيات القرآنية في كتاب الإيضاح للخطيب القزويني، مواطن الاستشهاد ومسائل الخلاف» بإشراف الدكتور محمود عبد العظيم عبد الله صفا، أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

ثم حصل على الدكتوراه من كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر برسالة عنوانها: «المباحث البلاغية في تفسير الطبري - علم المعاني» بإشراف العلامة الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى -حفظه الله تعالى- وقد نوقشت الرسالة عام ١٩٩٣م ونالها بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف.

وبعدما أتم تحضير الرسالة وسلمها طار مشرفه بها فرحًا في رواق الجامعة وهو يصيح: «الله أكبر الطالب محمود الزين فجر قنبلة ذرية».

وكان قبل ذلك قد بدأ بإعداد بحث عن المجاز ليكون رسالته لكن مشرفه الدكتور محمد أبو موسى كان له رأي آخر فانتقل إلى تفسير الطبري.

قال الدكتور محمد أبو موسى عن رسالة المجاز التي ألفها الدكتور محمود الزين: «هذا البحث لم أرَ من كتب فيه من قبل بهذا المستوى وأنا استفدت من رسالة الشيخ محمود الزين كثيرًا، لم يكتب في بابه أفضل منه».

قلت: سألت الدكتور محمود الزين -رحمه الله-: لقد اخترتم اللغة العربية في دراستكم فما سبب اختياركم هذا؟ وما هي الآفاق التي فتحت أمامكم من خلال اختصاصكم بها في مجال الدعوة والتأليف؟

فأجابني: «اختيار اللغة العربية كاختصاص للتعمق في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية لأنها الأداة الأولى لإدراك مقاصدهما وأحكامهما ولاسيما علم البلاغة الذي هو ذروة سنام العلوم العربية، وهذا يعمق فهم الإنسان لمقاصد القرآن في الدعوة وأساليب الدعوة وحكمة الدعوة».

وسألته -رحمه الله-: ما سبب اختياركم لتفسير الطبري دون غيره في رسالتكم للدكتوراه؟

فأجابني: «علم البلاغة مرَّ بمراحلَ؛ ويكاد يكون بدؤه مع كتب الجاحظ ومعاصريه، وقد خُيّل لبعض الناس في العصر الحديث أنّ علم البلاغة نتاج الفلسفة القادمة من عند اليونان؛ يريدون بذلك أن يزعموا أن العلوم الإسلامية حتى علوم العربية هي ثمرة دخول الثقافة اليونانية، وكذلك وَجَدَ بعضٌ من النَّاس ممَّنْ يُسَمُّونَ أنفسهم السلفيين، يزعمون أنّ المجاز ليس من اللغة العربية، وإنّما أقحمه المعتزلة والمتفلسفون على علوم العربية. وكلا الرأيين باطلٌ بداهةً عند من يتعمق في دراسة العربية.

والبرهان على ذلك يكون بإثبات المجاز وغيره من مباحث البلاغة في كلام الصحابة والتابعين وأئمة التفسير قبل دخول الفلسفة اليونانية؛ وهذا ما وجدته في تفسير الطبري، وحاولت أن أجمعه لمن يريد أن يعر ف أصالة علم البلاغة في لغتنا العربية.

فالطبري لغوي كبير، يعتبر من أئمة المذهب الكوفي في اللغة العربية، وهو محدث من أئمة أهل الحديث؛ وهو فقيه وصاحب مذهب متبع؛ وهو مفسر مقدم على كل المفسرين، ولا بُدَّ لمثله أنْ يعتمد على ما يعرف من علم البلاغة، وأن يحلل

كثيرًا من الآيات تحليلًا بلاغيًّا، يُظْهِرُ فيه الأصولَ البلاغية التي يعتمد عليها، فجَمْعُها يُعتبر خدمة لهذا العلم، وكشفًا لوجوده في عقول العلماء قبل أن يكتب فيه الجاحظ وغيره.

كما أن علماءَ المذاهب الفقهية الثلاثة حين رأَوْا أصول الفقه في كتابات الشافعي رجعوا إلى ما ورثوا من علم الأئمة الثلاثة الآخرين، واستخرجوا من فروع الفقه المنقولة عنهم قواعدَهم في أصول الفقه التي كانت في عقولهم، وبنوا عليها فقههم، ووُجِدَ لديهم علم أصول الفقه الخاص بمذاهبهم.

ولذلك قال المشرف على البحث الدكتور محمد أبو موسى في بعض كتبه: إنّ هذا البحث كشف عن أصول علم البلاغة في فترة ما قبل التأليف الخاص بها».

وقال الدكتور أبو موسى عن رسالة الدكتوراه للشيخ محمود الزين: «هذا البحث أضاء نصف تاريخ البلاغة ولو أنك أتبعته بكتابة تاريخ البلاغة لكان عملًا متفردًا» وهذه العبارة كتبها الدكتور أبو موسى بخط يده على رسالة الدكتور الزين.

وتكلم الدكتور أبو موسى أمام جمع من الشيوخ عن رسالة الدكتوراه للدكتور محمود الزين فقال: «هذا البحث أثبت أن البلاغة لم يكتبها عبد القاهر وإنما كتبها الطبري بل أثبت هذا البحث أن الطبري كان جامعًا لما تفرق من الكلام في البلاغة مرويًا عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين».

ومرة كان الدكتور محمد أبو موسى في مجلس ومعه جمع من مشايخ الكلتاوية فقال: «هذا محمود الزين أنا أستفيد من كتابته يأتيني بكلام من كلام الأئمة مما يتعلق بالبلاغة لم أطلع عليه».

وقال عن رسالة المجاز التي ألفها الدكتور محمود الزين: «لم أقرأ في بابه أفضل منه».

قلت: وكل هذه الأقوال سمعتها وكتبتها من الدكتور محمود الزين -رحمه الله- مباشرة.



بسم الله الرحمن الرحيم
جمهورية مصر العربية
جامعة الأزهر

بعد الاطلاع على نتيجة امتحان كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٣م
المعتمدة بقرار مجلسها في ٢٣ من ربيع الآخر سنة ١٤١٤ هجرية و ١٠ من اكتوبر سنة ١٩٩٣ ميلادية
قرر مجلس الجامعة بتاريخ ٧ من جمادى الأولى سنة ١٤١٤ هجرية و ٢٣ من اكتوبر سنة ١٩٩٣ ميلادية
منح السيد/ محمود الزين بن أحمد بن السيد/ أحمد الزين
المولود في سوريا سنة ١٩٥٣ ميلادية
درجة العالمية (الدكتوراه) في اللغة العربية «بلاغة ونقد» مع مرتبة الشرف الأولى

القاهرة في ... سنة ١٤١٥ هجرية و ... ديسمبر سنة ١٩٩٤ ميلادية

سجلت برقم ... العميد ... رئيس الجامعة ... توقيع صاحب الدرجة
محمود الزين بن أحمد

شهادة الدكتوراه للشيخ محمود الزين

عمله:

كان الشيخ محمود -رحمه الله- أولَ إمام في جامع الفرقان عند افتتاحه، وكان وقتها طالبًا في الكلتاوية، وذلك بتكليفٍ من سيدنا محمد النبهان ﵁.

ثم فيما بعد كان إمامًا في جامع العبَّارة في حلب، وإمامًا وخطيبًا في قرية المرقب في بانياس من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٧٧م، وإمامًا في جامع شاهين بيك، وخطيبًا في جامع الرحمن اثني عشر عامًا، وخطيبًا في جامع الراشدية الكبير بدبي، وخطيبًا في جامع الشيخ زايد في عجمان، وخطيبًا في جامع البراء بن عازب بالشارقة.

وعمل -رحمه الله- مدرسًا للغة العربية، وأصول الفقه، والقراءة العربية، والإملاء، والخطابة في دار نهضة العلوم الشرعية من عام ١٩٧٧-١٩٧٨م إلى عام ١٩٧٩م.

انتقل بعدها إلى المدينة المنورة للعمل في الجامعة الإسلامية (كلية اللغة العربية) برتبة معيد وذلك من عام ١٩٨٠-١٩٨١م حتى نهاية العام الدراسي ١٩٨٤-١٩٨٥م.

قلت: سألته، رحمه الله: عملتم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، فلو حدثتمونا عن طبيعة عملكم فيها وعن جانب من ذكرياتكم هناك؟

فأجاب، رحمه الله: أما طبيعة العمل فقد كانت على خلاف العقد المكتوب؛ وهو وظيفة معيد في كلية اللغة العربية لكن كان العمل الفعلي هو الإشراف على الطلبة في مساكنهم.

وأما الذكريات فحديثها يطول جدًّا وأطيبها كثرةُ زيارة المصطفى ﷺ، ويُسْرُ أداء الحجّ والعمرة، وحضور الجماعات في الحرم الشريف، وقراءةُ العلم فيها، وتتبع ما يمكن من الآثار النبوية، وهذا إجمال يتضمن تفصيلات كثيرة.

حدثني صديقه الدكتور عثمان عمر المحمد قال: «وروينا في تلك الفترة صحيح مسلم بسند متصل على رسول الله ﷺ في مسجده الشريف، عن الشيخ حبيب الله قربان علي[1]-رحمة الله عليه- وموطأ الإمام مالك عن الشيخ محمد

(١) **الشيخ حبيب الله قُربان الترهتي المظاهري (١٣٧٢-١٤٤١هـ)**: الشيخ المحدث الهندي ثم المدني، ولد في ولاية «بيهار» بالهند، له إجازات عالية في كتب السنن، من مؤلفاته: له تعليقات على مقدمة لامع الدراري، وتعليقات على كتاب «فضائل الصلاة على خير الأنام»، وشارك في التعليق على صحيح مسلم «الحل المفهم في التعليق على صحيح مسلم». كتب عنه: (جزء فيه

عاشق إلهي[١] في بيته، كان يقرأ وأنا والشيخ نسمع، أو أنا أقرأ، وهو والشيخ يسمع إلى آخر الكتاب ثم أجازنا بصحيح مسلم وبجميع مروياته».

عاد بعد ذلك إلى حلب، وعمل مدرسًا في الكلتاوية إلى منتصف الشهر الثاني من عام ١٩٩٧م.

انتقل بعد ذلك إلى دولة الإمارات العربية المتحدة للعمل في دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي؛ وعمل فيها برتبة باحث أول، وهو أيضًا عضو هيئة التحرير في مجلة الأحمدية منذ إنشائها ١٩٩٧م، ثم أصبح برتبة كبير باحثين، وانتقل بعدها إلى دائرة الشؤون الإسلامية بدبي أيضًا برتبة كبير باحثين.

من شيوخه في مدرسة الكلتاوية:

الشيخ محمد لطفي، والشيخ علاء الدين علايا، والشيخ محمد بشير حداد، والشيخ محمد أديب حسون، والشيخ نذير حامد، والشيخ الدكتور محمود فجال، والشيخ عبدالرحمن حوت، والشيخ نزار لبنية، والشيخ عبد البر عباس، والشيخ صالح بشير، رحمهم الله جميعًا.

الفوائد المنتقاة من حديث أبي محمد حبيب الله بن قربان علي الترهتي الحنفي) انتقاء وتخريج تلميذه أحمد بن عبد الملك عاشور المكي. انظر «نثر الجواهر والدرر» (١٧٨٠).

(١) الشيخ محمد عاشق إلهي البرني المدني (١٣٤٣-١٤٢٢هـ): من علماء الهند، ولد في ضواحي (بلند شهر) في الولاية الشمالية الهندية. درس في مدرسة (الإمدادية) ومدرسة (خلافت) في علبكرة،ثم انتسب إلى جامعة (مظاهر علوم) ونال منها شهادة الدرجة العليا، درّس بعدها في جامعة دار العلوم بديوبند، هاجر إلى الحجاز عام ١٣٩٦هـ، ـ واشتغل بالتدريس، من مؤلفاته: مجاني الأثمار من شرح معاني الآثار، وزاد الطالبين من كلام رسول رب العالمين. توفي المدينة النورة ودفن في البقيع. انظر «نثر الجواهر والدرر» (٢٠٧٢).

زملاؤه في مدرسة الكلتاوية:

أحمد محمد العيسى، وإسماعيل منصور، وسعد الله مصطفى قاسم، وعباس كوكو العلي، وعبد الجواد عاشق، وعبد الرزاق عيسى الصالح، وعبد القادر الزين، عبد القادر حفني، وعبد المنعم سالم، وعمر حاج علي الدحدوح، وعيد العبيد العلي، ومحمد الناصر علي، ومحمد ربيع الخالد، ومحمد علي الحسن الإبراهيم، ومحمد مصطفى حوت، ومحمد وليد حوت، ومحمد يعقوب الإسماعيل، ومصطفى حمدو حج حسن. وهذا هو الفوج الخامس الذي تخرج في الدار.

السير والسلوك عند العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

سألته، رحمه الله: هل لك أن تحدثنا عن التعرف على السيد النبهان رضي الله عنه؟

فأجابني قائلًا: «السيد النبهان - قُدّسَ سِرُّه - رأيته أول مرة في سن الطفولة في حدود عام ١٣٨١هـ تقريبًا، وقد أخذني والدي -رحمه الله- معه وعمري ثماني سنوات تقريبًا، وكان سيدنا -قدس سره- كثيرًا ما يقول: «إنّ حضور الطفل مفيد؛ يتذكر ما يصنعه الآن، وعند الكبر ينتفع به». وكان والدي -رحمه الله- يصطحبني معه بين حينٍ وآخر.

وأذكر أنه اصطحبني بعدما أنهيت الصف الرابع الابتدائي، وكانت المدرسة لم تنشأ بعد فقال والدي لسيدنا: أريد أن أدخل ابني هذا طلب العلم. فأجابه سيدنا: «انظر رغبته فمن لا رغبة له لا يستفيد» فسألني سيدنا - قدس سره - فقلت: أريد أن أكون هنا.

فقال رضي الله عنه: هنا ليس عندنا مدرسة، تعني طلب العلم؟

فقلت: نعم.

فقال لأبي: أدخله في طلب العلم.

وشاء الله أن يكون ذلك بعد افتتاح مدرسة الكلتاوية بعدة سنوات حيث دخلتها عام ١٩٦٨- ١٩٦٩م.

وسألته، رحمه الله: هل لك أن تحدثنا عن سبب انجذابك إلى شخصية السيد النبهان ﵁؟

فأجاب: «أما عن سبب الإنجذاب إلى شخصية السيد النبهان فقد كان الشعور السابق - والذي سبق ذكره عن أيام الطفولة - يترسخ و يتعمق كلمّا تجددت أخبار السيد -قدس سره- على سمعي، وكلما حظي برؤيته بصري، لا سيما ماكنت أسمعه من والدي -رحمه الله- من أخبار شجاعته التي لا نظير لها، وأخبار جوده التي لا تخطر على البال، وأخبار آثاره العظيمة في الإصلاح مع أن إدراكي لهذه الأمور في تلك السن «خمس عشرة سنة» كان إدراكًا محدودًا إلى أن أكرمني الله -عز وجل- بكلامه معي يوم تقدمت للدراسة في الكلتاوية في سن السادسة عشرة، ورأيت من رِفْقِه ولطفه وحرصه على طالب العلم مع ما أعلمه من عظمة هيبته ما نبهني إلى معنًى جديد من وراثة النبي ﷺ شعرت به، ولم أكن قرأت الحديث الذي يذكره بعض الصحابة عن النبي ﷺ: «من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه». ومنذ دخلتُ مدرسته - قدس سره - كانت تلك العظمة في وراثة النبي ﷺ تزداد وضوحًا في عقلي، ورسوخًا في قلبي ولكن على قدر إمكانياتي، وإنْ كانت فيوضه - قدس سره - تُوَسِّعُ الإمكانيات وترقى بها، فلا يَشْعر الماثل في حضرته إلا أنه أمام ظل الحبيب الأعظم ﷺ».

سألته، رحمه الله: ماهو الأثر الذي تركه فيك أول لقاء معه ﵁؟

فأجابني: «اللقاء الأول هو في عام ١٣٨١هـ لا أعي الآن شعوري فيه لكني أتذكر ثلاثة أمور:

أولها: شعرت كأن سيدنا -قدس سره- شمس تضيء؛ لم أر ذلك بعيني إنما هو شعور.

والأمر الثاني: أنه أسمى من كل الشيوخ والعلماء الذين رأيتهم من قبل، وكان والدي -رحمه الله- كثير التردد على العلماء قبل أن يتعرف على السيد -قدس سره- وكان يصطحبني معه أحيانًا.

والأمر الثالث: هو أنني كنت أسمع من والدي عن أولياء الله فشعرت حين رأيته أنني أمام ولي عظيم من أولياء الله».

وسألته رحمه الله: هل رأيت منه ﵁ كرامة؟

فأجاب: بالرغم من أن السيد النبهان ﵁ لم يكن يعوّل على الكرامات، ويردد دائمًا أن الاستقامة هي عين الكرامة، فقد كان يذكر أيضًا أن الخاصة من أولياء الله لا يحرصون على الكرامة ولكن الله يجريها عليهم بفضله.

وسأذكر إن شاء الله من الكرامات شيئًا يسيرًا يدل على ما وراءه، أذكره لأني رأيته بنفسي فضلًا عما سمعته من أصحاب سيدنا كبارًا وصغارًا، فمما أذكره:

أنه كانت لي أختٌ مصابة بمرض عصبي شديد تفقد به السيطرة على تفكيرها وكلامها، وكان متقطعًا يعاودها كل فترة، وقد أعجز الأسرةَ شأنُها من علاجات وغيرها، فأتينا بها إلى السيد النبهان - قدس الله سره - وهي في أشد أحوال المرض، فأشار إليها من بعد وهو يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» فشفيت على الفور بإذن الله تعالى و لم يعاودها المرض إلا بعد سنوات، وبشكل أخف كثيرًا مما كان.

والأمر الثاني: أنه قدس الله سره أخبر أمام بعض أصدقائي أنني لن تنالني الخدمة العسكرية، وذلك في عام ثلاث وسبعين قبل الحرب، في وقتٍ كانت الخدمة العسكرية لا يحلم أحدٌ بالخلاص منها، وتم لي ذلك عام ١٩٨٥م بعد ثنتي عشرة سنة.

وأمر ثالث: هو أنه كان لديَّ قطعة من ثوبه ﵁ فوضعتها على إنسان به مس من الجن شديد فأفاق فورًا، وقد تكرر ذلك مرارًا بإذن الله تعالى.

وكرامة خاصة أخرى أجد أنه ينبغي لي أن أذكرها لأهميتها في بيان أن سيدي محمدًا النبهان قدس الله سره هو وارث محمدي كامل الوراثة، وقد أخبرني بها أخي الكبير الشيخ محمد نبيه سالم وأخي الشيخ عثمان عمر المحمد نقلًا عن الشيخ أحمد المعود -رحمه الله- وهو من زملاء سيدنا في العلم والطريق «أنه دخل على

سيدنا محمد النبهان مرة فرآه في صورة النبي ﷺ كما وصفتها كتب الشمائل المحمدية -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية- قال الشيخ أحمد فرجعت من الباب ولم أجلس وأُخِذ قلبي ورجعت إلى بيتي وظللت مأخوذ القلب أسبوعًا في شبه غيبوبة».

وما رأيته من كراماته -قدس الله روحه- بعد وفاته أكثر مما رأيته في حياته، فكثيرًا ما توسلت به إلى الله تعالى في أعقد المشكلات ففرجها الله تعالى كما رأيتُ من بركة آثاره الشيء الكثير، ومن أظهر ذلك وضع شيء من ثيابه على الممسوسِ والمصروع فيفيق بإذن الله تعالى.

وسألته، رحمه الله: متى كان آخر لقاء لك بسيدنا النبهان؟

أجاب: آخرُ مَرّة رأيت فيها سيدنا النبهان -قدس الله سره- كانت قبل وفاته بأيام قليلة جدًا؛ حين كان ذاهبًا إلى المستشفى الذي توفي فيه، وقد كان يمشي على عادته مشية قوية لا يشعر الناظر إليها بأنها مشية مريض ولذلك استغربت حين قيل لي إنه ذاهب إلى المستشفى.

وسألته -رحمه الله-: ماذا تعني لك الكلتاوية؟

فأجاب: الكلتاوية تعني لي ما يعنيه الماء، والنسيم، والشمس، والتراب للنبات.

وسألته، رحمه الله: مَنْ أثّر في بناء شخصية الدكتور محمود الزين العلمية والروحية؟ وهل هناك من أثّر في الدكتور محمود الزين من خارج سورية؟

فأجاب، رحمه الله: المؤثرون فيّ بعدَ سيدنا -قدس سره- إجمالًا هم كل أساتذتي، و أعمقهم أثرًا روحيًّا هو الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- وكان سيدنا -قدس سره- قد ربطني بالشيخ محمد لطفي من هذا الجانب حين لا أتمكن من لقاء سيدنا، وأخبرني الشيخ محمد لطفي أن سيدنا أمره بذلك.

وأكثرهم تأثيرًا علميًّا من حيث التحصيل الشيخ محمود فجال، والشيخ نذير حامد، وأكثرهم من حيث النهج العلمي الشيخ علاء الدين علايا.

ومن الأزهر تأثرت في مرحلة الدراسات العليا (الدبلوم) بالشيخ أحمد الحجار».

سمعت من شيخنا -رحمه الله- أن سيدنا العارف بالله الشيخ محمد النبهان عنه قال عنه: (محمود الزين مْلِيح أنا بَحُبّه).

وسمعت منه أيضًا قال: سمعت من عبد الله الناشد قال: قلت لابن سيدنا أبي فاروق، رحمه الله: إذا كنت أريد أحدًا يقرأ لي على مريض فعلى من تدلني؟ قال: عليك بمحمود الزين.

قال عبد الله الناشد: قلت: يا سيدي ما رأيك به؟

قال: ينقلون أن سيدنا النبهان بنى المدرسة إما لعشرة أو لواحد، فإذا كانت المدرسة بنيت لعشرة فمحمود الزين أحدهم، وإذا كانت بنيت لواحد فمحمود الزين هو الواحد. (وهذه الأقوال لم يكن يسمح بنشرها رحمه الله في حال حياته).

كان الشيخ محمود -رحمه الله- من أفضل منْ يغرس مفهوم النبهانية، ويُعلّمه لمن يريد الرشف من ذلك المَعين الطاهر عن علم وسلوك وأدب وتطبيق، فلا يترك للشيطان مدخلًا يشكك في المشرب النبهاني؛ لأن تلقينه له عن علم وأدب وسلوك ومحبة وتطبيق.

من عرفه عن قرب شغف بالنبهانية التي ربَّتْهُ وغَذَّتْه وهيأته لتدل الصادقين عليها؛ لأنه لم يدل عليها بعاطفة مجردة بل بعلمٍ وحُجَّةٍ ومحبةٍ صادقةٍ قائمةٍ على التبصّرِ والتحقيق.

إذا حدّثك عن مربيه فتراه إنسانًا آخر، يذهب عنه ألمه ومرضه ويتحول من عالَم إلى عالَم آخر؛ وخاصة في أيامه الأخيرة حين كان في المستشفى، فعندما كان

يزوره بعض طلاب العلم ويحدثهم عن سيدنا النبهان فكأنّه ليس به بأس حتى لُوْحِظَ ذلك. فقال أحد العاملين في المستشفى: أتمنّى أنْ تكثروا من هذه الزيارات له فإنَّ حالته تتحسن كثيرًا عندما يتحدث لزائريه.

ومع أن الشيخ محمود باحث عقلاني لا يستسلم بسهولة لأي رأي لكنَّ استسلامه لأهل الله تعالى وللسيد النبهان ﵁ يفوقُ التصور، وهذا يَدُلُّ على أنه ذو عقل كبير وذو روحٍ شفافة، فقلّما تجد أحدًا بهذا المستوى من الاعتقاد والتسليم ويأتيك بالبراهين والأدلة على ذلك، ما حزبه أمر صغير أو كبير إلا نادى يا سيدي النبهان وتوجه إليه بقراءة الفاتحة.

من صفاته:

هو - رحمه الله - مثالٌ للصوفي السالك المحب عن علم وبصيرة وتحقيق، العلم عنده أخٌ محبوبٌ ومعشوقٌ، إذا ركن إليه غفل عما سواه.

كانت معرفته تحقيقًا وذوقًا في كل ما يتكلم به، ملك عقلًا كبيرًا يَزِنُ به الأمور، ويقايس بين المختلفات ليخرج بزبدةٍ قَلّ أن تسمعها من غيره أو تجدها عند سواه.

كان مثالًا يُحتذى به لكل من أراد طلب العلم، وأنموذجًا يُقْتدى به للعالم الشجاع الصبور الذي تحمَّل المشاقَّ في طلب العلم.

لقد أعطى الشيخ محمود العِلمَ كلَّ ما يملكه من وقتٍ وصحةٍ وعُمُرٍ ومالٍ فرزقه الله التبحّرَ في العلومِ حتَّى إذا تكلم في أي عِلْمٍ منها لا تراه إلا صاحب اختصاص به من شدة تمكنه به.

كان يوصي طلابه فيقول: «يا أولادي عليكم بعد تخرجكم من المدرسة الكلتاوية أن تقرؤوا كل يوم ثماني ساعات لمدة أربع سنوات متواصلة لتصبحوا من أعلم الناس».

قرأ تفسير الطبري كاملًا عدة مرات في أثناء العمل على رسالة الدكتوراه.

ومرة سمع أو قرأ عن أحد اللغويين أن إحدى القواعد في علوم اللغة لا يوجد لها إلا شاهد واحد فقرأ ديوانًا شعريًّا لأحد شعراء الجاهلية أو القرن الأول في الإسلام فاستخرج منه أربع شواهد.

جمع -رحمه الله- بين الفصاحة والبلاغة، واختصَّه الله بعلومِ الآلة كاللغةِ العربيةِ وعلوم الأصول مع قوةٍ في الحجة والبرهان.

ظهر في قناة الشارقة بحلقات عدة مع الأستاذ الدكتور عجاج الخطيب، فقال له الدكتور عجاج: يا دكتور محمود لم لاتتعاقد معنا في الجامعة جامعة الشارقة، وكان عميد كلية الشريعة فيها، فقال له الدكتور محمود: أنتم لاتتعاقدون معي، فقال: لمَ؟ قال: لأجل اختصاصي. قال: مااختصاصك؟ قال: في البلاغة. فتعجب الدكتور عجاج وقال: ماكنت أظن ذلك، كنت أظن اختصاصك في الفقه وأصوله أو الحديث وأصوله. أما أن يكون اختصاصك في البلاغة فهذا لايخطر في بال. وهذا لسعة معرفته بشتى العلوم.

حياته تمتاز بالتحصيل العلمي والنشاط الدعوي المميز بكل إبداع وبراعة.

علوّ همته:

سأل ابنَه يومًا: ماذا تطمح أن تكون؟ فقال: أريد أن أكون مثلك فابتسم وقال: يا بني أنا عندما بدأت بطلب العلم كنت أطمح أن أكون مثل الإمام الشافعي ولم أصل إلا إلى ما ترى فكيف بك؟!

في حياته لا يعرف التكلّف. وكان يكرر عبارة: أَوَ كل ما اشتهيت اشتريتَ؟!

كان كريمًا، ديدنه النزاهة وعدم التطلّع إلى ما في أيدي الناس أبدًا، معشره طيّبٌ، وصاحبُ تواضع جَمّ، وأخلاق راقية، كنا إذا جالسناه لا نشعر بكلفة.

من ورعه رحمه الله: أنه أراد مرة أن يراسل أحد المشايخ في المدرسة فنادى ابن هذا الشيخ وحمله الرسالة شفوية ثم خشي أن ينسى فطلب منه ورقة ليكتب عليها فأشار له الطالب إلى قصاصات الورق في غرفة الموجه فقال: لا يا بني! رسالتي إلى والدك شخصية وهذه القصاصات لخدمة المدرسة والطلاب اذهب وائتني بورقة أخرى.

من رحمته -رحمه الله-:

مرة أنّب طالبًا في المدرسة لخطأ وقع فيه ولما عاد إلى المنزل وأراد النوم لم يستطع أن ينام فقام وارتدى ثيابه وهمّ بالخروج فلما سئل ما الأمر؟ قال: كأني قسوتُ على الطالب ولا أريد أن ينام مكسورَ الخاطر فذهب إلى المدرسة واستسمح الطالب ثم عاد.

من بركة دعائه بسر سيدنا رضي الله عنه:

يومًا من الأيام أكرمنا الشيخ محمود الزين -رحمه الله- بزيارةٍ وقد حضر في المجلس بعض طلابه، ومنهم: أخونا الشيخ أحمد قرو وكان قد انقطع عندهم الحمل بعد الولد الأول لمدة خمس سنوات أو أكثر ولا يأتيهم أولاد وذهبوا من طبيب إلى طبيب دون فائدة، فشكا إلى الشيخ محمود حاله، فقال له الشيخ محمود: هات كأسًا من الماء، فأتينا له بذلك فقرأ عليه وأطال، ثم أعطاه للشيخ أحمد قرو وقال له: اشرب نصفه وأعطه زوجتك لتشرب النصف الآخر. وبعد شهر من هذه الحادثة أكرمهم الله بالحمل، والآن عنده خمسة أولاد لله الحمد.

إجازاته العلمية:

- إجازة من الشيخ محمد عاشق إلهي البرني -رحمه الله تعالى- (أحد علماء الهند، ودرّس في جامعة دار العلوم ديوبند وبعدها في رمضان ١٣٩٦ هذهب إلى الحجاز واشتغل بالتدريس والتصنيف) قرأ عليه أكثر موطأ الإمام مالك في

المدينة المنورة وأجازه بباقيه وبالكتب الستة ومسند الإمام أحمد وغيرها سنة ١٤٠٥هـ. وأسانيد الشيخ محمد عاشق مطبوعة في ثبت خاص به.

- إجازة من الشيخ حبيب الله قربان علي، كاتب الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي -رحمه الله- وهو خريج جامعة مظاهر العلوم. قرأ عليه صحيح مسلم وسمع بعضه بقراءة الشيخ عثمان عمر المحمد في المسجد النبوي الشريف، وكذلك أجازه بموطأ الإمام محمد بن الحسن الشيباني، وعدد من أبواب صحيح البخاري، وأجازه بأربعين كتابًا من مراجع الحديث.
- إجازة من الشيخ محمد المنتقى النيجيري إجازة عامة بمروياته، ومنها إجازة عامة عن الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وأسانيده مطبوعة في كتابه «أوجز المسالك شرح موطأ مالك».
- إجازة من الشيخ مالك بن أحمد الشريف السنوسي.
- إجازة عامة من الدكتور محمود فجَّال في علوم اللغة العربية.

دهتني على ضعفي الهموم شديدة
فيممت وجهي شطر مثوى محمد
وقلت أغثني واكفني ما أهمني
عليك سلام الله يا خير منجد
متى حل في أعتابكم ذو مخافة
يؤمن ويرتع في نعيم مؤبد

نموذج من خطه (رحمه الله)

ذكرى الهجرة المباركة — محمود الزبير

هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم معين دروس لا ينضب بل يزداد مع مرور السنين والقرون تدفقاً يروي بعذوبة ظمأ الظامئين فيجدد في قلوبهم الآمال ويمنحها جداً واجتهاداً في بلوغ الأهداف العظمى رغم وعورة الطريق وخطورة المسالك وترصد الأعداء.

وحين يرى الإنسان المؤمن ببصره وبصيرته رأى سيد المهاجرين صلى الله عليه وسلم يرسم خططها بيد ويرفع اليد الأخرى إلى السماء يستمطر رحمتها وعنايتها لحماية الرحلة المنطلقة مرتقب الأخطار لبناء أمة تقود حياة الإنسان إلى بر الأمان، تقوده بتعاليم السماء لا بتقلبات الأهواء في دنيا الآراء.

نموذج من خطه (رحمه الله)

مع الشعر:

له - رحمه الله - باع طويل في الشعر قراءةً وذوقًا وتأليفًا، وأول بيت ألَّفه عام ١٤٠٠هـ:

لواؤك الحق في الأجواء خفاق ... وروح جندك إقدام وأشواق

من قصائده -رحمه الله- عن السيد النبهان:

(أمنية الزهراء)

زهراء سيدة النساء وفضلها أعطى الحياة رحيقها وضياها
هي فَلْذَةٌ من قلب طه المصطفى هي ومضةٌ من روحه معناها
نَثَرَتْ على الدنيا لآلِئَ نسله فأضاءتِ الدنيا إلى أقصاها
كانتْ تَمَنَّى أن ترى من نسلها في كل عصرٍ من به تتباهى
فاضَ السرورُ بقلبها لمّا رأتْ نبهانَ حقّق حلمها وَمُناها
دمها جرى بالإرث ملءَ عروقه دَرًّا عليه مآثرًا ثدياها
فغدا بِهِ القرآنُ حَيًّا ناطقًا ورَأَتْ به الدنيا شمائل طه
يحيي القلوب بنظرة قُدْسيَّةٍ مِنْ قلبِ أحمدَ سِرُّها وسناها
غضباته تحمي الحمى بلهيبها ويمينُه تغذو ألَدَّ عداها
فَيَدٌ تقارع في الوغى أعداءها وَيدٌ تفيض على العباد نداها
الخيرُ أجمعُ في ارتشاف كؤوسه قسمًا بشمس جبينه وضحاها

ومن قصائده المنشورة:

الأسير المطلق، الرحمة الهادية، القدس وأبطال العودة، شتم العظماء حرية السفهاء، ربوعنا الأسيرة، اللغة المثلى، هموم وأقدار، أمنية الزهراء، قصيدة عن الحج، في وداع أستاذنا العلامة الشيخ علاء الدين علايا، وداعًا موكب النور: رثاء الحبيب عبد القادر السقاف، ياعلم الأشراف: رثاء الشيخ محمد علوي المالكي(١)، دنا الرحيل، وغيرها كثير.

---

(١) الشيخ الدكتور محمد علوي المالكي (١٣٦٧-١٤٢٥هـ): عالم الحجاز، سليل بيت النبوة، المالكي، المكي. ولد بمحلة القرارة، قرب باب السلام بمكة المكرمة، من أسرة من الأشراف الأدارسة

آثاره العلمية:

له كتب وبحوث ومقالات كثيرة ومتنوعة أهمها:

١-الآيات القرآنية في كتاب الإيضاح (رسالة ماجستير)

٢-المباحث البلاغية في تفسير الطبري (رسالة دكتوراه)

٣-الظن وقضاياه في قواعد علوم الحديث الشريف.

٤-حديث الآحاد الصحيح بين العلم القاطع والظن الراجح.

٥-رد الشبهات عن منهج رواية الحديث الشريف.

٦-عمل الأئمة بحديث: «أصحابي كالنجوم».

٧-حوار القرآن مع المخالفين أصوله وأساليبه.

٨- أثر القرآن الكريم في ترسيخ الإخاء الإسلامي وتجنب الافتراق.

٩-من دقائق البيان في حوار القرآن.

١٠-ترجمة القرآن.

المغاربة، نهل من دروس علماء مكة كالشيخ محمد نور سيف (ت ١٤٠٢هـ)، ومحمد العربي التباني (ت ١٣٩٠هـ)، وعبد الله بن سعيد اللحجي (ت ١٤١٠هـ) تخرج في مدرسة الفلاح، ثم انتسب إلى الأزهر الشريف نال شهادة الدكتوراه منه. بعد وفاة والده اجتمع علماء مكة وطلبوا منه متابعة الدرس في الحرم المكي الشريف، وعين مدرسًا في كلية الشريعة بمكة عام ١٣٩٠هـ، كان همه الدعوة إلى الله، ففتح داره وجعلها رباطًا ومدرسة لطلبة العلم، وتخرج على يديه خلق كثير. له مؤلفات كثيرة، منها: أدب الإسلام في نظام الأسرة، الدعوة الإصلاحية، زبدة الإتقان في علوم القرآن، توفي في مكة المكرمة فجر الجمعة ١٥ رمضان ١٤٢٥هـ، وصلي عليه في المسجد الحرام، ودفن في مقبرة المعلاة في مكة. انظر «نثر الجواهر والدرر» (٢٠٣٧).

١١-تيسير البيان عن إعجاز القرآن.

١٢-القرآن إعجاز تشريعي متجدد.

١٣-تفسير سورة الضحى.

١٤-في القصاص حياة.

١٥-من أسرار البيان في مطلع سورة الإسراء.

١٦-من بلاغة سورة الكوثر.

١٧-هل آيات القرآن كلها في درجة واحدة من البلاغة؟

١٨-هل يتعارض القرآن والحقائق العلمية؟

١٩-أثر علم البلاغة في تفسير القرآن الكريم.

٢٠-أهمية اللغة العربية في فهم القرآن والسُّنة.

٢١-من قلب لغتنا العربية مقالات عن لغة القرآن.

٢٢-مفاتيح فهم الكلام العربي.

٢٣-لغة القرآن.

٢٤- بين يدي رسالة «اللامذهبية قنطرة اللادينية».

٢٥- الدعاء بعد الصلاة المفروضة سُنّة أم بدعة.

٢٦-التوسل في سنة النبي ﷺ وأصحابه.

٢٧-زيارة النبي ﷺ أحكامها وآدابها (دراسة تأصيلية على ضوء الكتاب والسنة وآثار السلف).

٢٨- دفع الأوهام عن الصلاة على خير الأنام.

٢٩- منهاج الوفا في نجاة والدي المصطفى.

٣٠- مجالس الصلاة على النبي في رحاب الدليل الشرعي.

٣١- أربعون حديثًا في زيارة النبي ﷺ.

٣٢- التراويح في سُنّة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.

٣٣- البيان النبوي عن فضل الاحتفال بمولد النبي.

٣٤- تنزيه الرحمن عن الجهة والمكان.

٣٥- رؤية الرسول ﷺ في اليقظة.

٣٦- عبادات نصف شعبان.

٣٧- الإستغاثة الشرعية.

٣٨- مجالس الذكر في سُنّة النبي ﷺ وأصحابه على ضوء قواعد الاستدلال.

٣٩- الربا ظلم واستحلاله شبهات باطلة.

٤٠- سُنّة الاعتكاف.

٤١- رؤية الهلال واقع عشوائي أم اختلاف فقهي؟

٤٢- العارف بالله السيد النبهان -قدس الله سره- نفحة من عبيره.

٤٣- سيدنا محمد ﷺ ومعجزات الخلق العظيم.

٤٤- دعائم الاحتشام.

٤٥- طريق الآخرة في تراث الشيخ سعيد النورسي بديع الزمان.

٤٦- فضائل مذهب الإمام مالك، رحمه الله.

٤٧- هل المعرفة نسبية؟

٤٨- مفهوم الثقافة.

٤٩- حجاب المسلمة والرأي الآخر.

٥٠- النظريات العلمية بين ميزان العقلية الإسلامية وميزان المثقفين الجدد.

٥١- القضاء في الإسلام.

٥٢- العقل بين الإسلام وأهل الثقافة العصريين.

٥٣- أصولنا الثقافية أمام الإشكالات.

٥٤- رد الإفتراء عن أم المؤمنين والصحابة الطاهرين.

٥٥- لماذا نخدع أنفسنا في التدخين.

٥٦- التدخين كشف الحقيقة بوضوح.

٥٧- المذهبية بين الحق والباطل.

٥٨- عصمة الأنبياء وحقيقة قصة سيدنا يوسف عليه السلام.

٥٩- لماذا تكتب في الخلافيات؟

٦٠- الحجاب الإسلامي بين الفتاوى والاحتيال.

وكان عنده مشروعان في علم البلاغة:

أحدهما: قول أئمة العربية والدين في مجاز القرآن.

والآخر: موجز الإعجاز البياني في القرآن، ولم يكتملا.

من نشاطاته العلمية والدعوية:

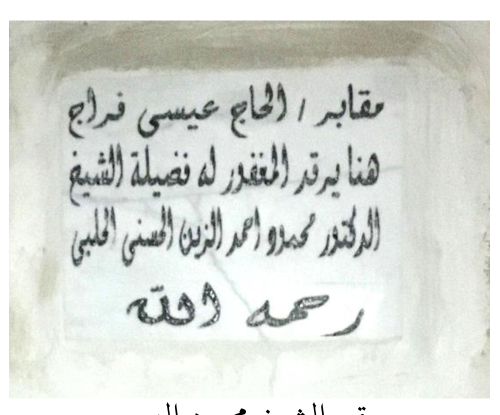
شارك -رحمه الله- في عدة مؤتمرات فقهية، وعلمية، وحلقات إذاعية، وتلفزيونية:

- شارك في مؤتمر القاضي عبدالوهاب المالكي في دار البحوث ٣/ ٢٠٠٣ وكان رئيسًا في الجلسة الأخيرة نيابة عن الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر.
- شارك في مؤتمر الوقف الإسلامي في جامعة الإمارات عام ١٩٩٨م.
- شارك في مؤتمر الدعوة الإسلامية في جامعة الشارقة.
- شارك في مؤتمر الاحتشام في جامعة الشارقة.
- عدة حلقات في برنامج المال في الإسلام على قناة CNBCعربية.
- مايقرب من مئة درس على قناة الشارقة وهي عبارة عن عدة سلاسل مثلًا: سلسلة أركان الإيمان، سلسلة إعجاز القرآن، سلسلة حلاوة الإيمان.
- (١٨) ندوة في برنامج: (الضاربون في الأرض) على قناة الاقتصادية.
- عدة حلقات علمية على قناة الدولية.
- عدة حلقات علمية على قناة نور دبي.
- عدة لقاءات إذاعية في عدة قنوات منها إذاعة القرآن الكريم في أبو ظبي بعنوان الإسلام دين الإنسانية.
- شارك في برامج المنتدى الإسلامي في الشارقة فكانت له محاضرات في العقيدة تزيد عن عشرين محاضرة؛ وقد أنهى في هذه المحاضرات تفسير سورة الفاتحة وجزء عم وتبارك وبعض الآيات من سورة البقرة. وكلها منشورة في الشبكة العالمية.
- شارك في المؤتمر الثالث حول الإمام (بديع الزمان سعيد النُورْسي) بدعوة من وقف الخيرات في إستانبول (إسطنبول) بتركيا؛ وعقد المؤتمر في مدينة قونيا، وكانت كلمة الدكتور محمود الزين بعنوان: طريق الآخرة في تراث الشيخ سعيد النورسي بديع الزمان.

- شارك بمحاضرة في جامع التوبة بدمشق وذلك بدعوة من الشيخ العلامة هشام البرهاني -رحمه الله- وكانت المحاضرة بعنوان: (العارف بالله السيد النبهان -قدس الله سره- نفحة من عبيره) وقد حضرها مدير الكلتاوية وجمع من العلماء.

مرضه وانتقاله:

عانى الشيخ محمود في حياته -رحمه الله- من أمراضٍ عديدة كالسكري والضغط والتهاب الكبد، ففي آخر حياته دخل المستشفى يوم ١٥ محرم ١٤٣٤هـ/ الموافق ٢٨ تشرين الثاني ٢٠١٢م وكان ذلك بسبب نزيف في المريء الذي نتج عن إصابته بالتهاب الكبد الفيروسي وتليُّف الكبد ومكث فيه خمسة وأربعين يومًا وكان لا يكاد يستقر وضعه الصحي حتى يعاوده النزيف مرة أخرى.



قبر الشيخ محمود الزين

ثم نقل - رحمه الله - إلى مستشفى في مصر لإجراء عملية زراعة الكبد ولكنه بعد ما وصل إلى مصر تفاقم النزيف حتى تطور إلى نزيف حاد في المعدة. لم يستطع الأطباء السيطرة عليه أو تعويض الدم المفقود. وبعد أن أمضى في المستشفى في مصر خمسة عشر يومًا انتقل إلى جوار ربه يوم الخميس ١٩ ربيع الأول ١٤٣٤هـ الموافق ٣١ كانون الثاني ٢٠١٣م.

دفنه:

ودُفن في القاهرة أمام الزاوية الوفائية، بمكان فيه علماءُ وأولياء كبار كسيدنا عبد الله بن أبي جمرة ﷺ؛ الذي قال: (لا يقف على قبري شقي) وبالقرب من ابن سيد الناس -رحمه الله-، وبالقرب من سيدنا ابن عطاء الله السكندري ﷺ.

وقد دفن -رحمه الله تعالى- في هذا المكان استثناءً؛ لأنه يمنع الدفن فيها، وهذا كرم إلهي للشيخ محمود، رحمه الله.

رحمك الله سيدي، وأجزل لك المثوبة والعطاء وجعلك في المجلس الخاص مع سيدنا محمد النبهان ﷺ في عالم الآخرة إن شاء الله.

في رثائه:

كتب الدكتور محمد فاروق النبهان:

«بلغني نبأ وفاة فضيلة الأخ العالم المتمكن الدكتور الشيخ محمود الزين أحد أعلام الكلتاوية وأحد أبرز علمائها.

وقد كان الفقيد -رحمه الله- متمكنًا من علمه، عاملًا به، وأسهم بجهد صادق في تكوين جيل من العلماء الذين يعترفون له بالفضل وحسن التعليم والإخلاص والاستقامة.

وإنني أقدم لأسرته أصدق العزاء والمواساة وأن يلهمهم الله الصبر.

وأقدم لأسرة الكلتاوية النبهانية في كل مكان التعازي والمواساة، وأدعو الله تعالى أن يتغمده برحمته الواسعة، وأن يجزيه أجزل الأجر والثواب على جهده وعطائه وإخلاصه، وإنا لله وإنا إليه راجعون».

وكتب فيه شيخه الأستاذ الدكتور محمود فجَّال، رحمه الله[١]:

«رحمةُ الله عليك يا قُرّة العين يا محمود رحمةً واسعة، وأسكنك فسيح جنانه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إنّ فقيدنا الحبيب له ثلاثةُ مظاهر:

المظهر الأول: حينما كان على مقاعد الدرس في طلب العلم، والنهل منه، في رحاب الكلتاوية، العلمِ الباسق، والقلعةِ الشامخة، صاحبةِ العلمِ المدرار والفقه والأسرار.

وكان -رحمه الله- مثال الجدّ والمثابرة والأدب.

المظهر الثاني: بعد تخرّجه. كان صديقًا وفيًّا، فكانت لقاءاتُه متميّزة، يُتوِّجُه الأدبُ والوقار، النابعان من الإيمان العميق مع مَن صاحبَهم في المظهر الأول، فكان وفيًّا، رفيقًا، رقيقًا، أنيسًا، لا ظلَّ له، ممتثلًا، إذا قلت له: يا محمود. فَهِم ما يُراد منه.

المظهر الثالث: أضحى علمًا من أعلام الكلتاوية العظيمة، وعالمًا داعيًا، يخطُبُ، ويرعد ويُزبد، ويربّي ويُعلِّم ويحقّق ويدقّق، وهو الشيخ النابه، والدكتور المتميّز، والمحلّل البارع.

والذي أعجبني في أخي الحبيب الفقيد أنّه يُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

وهو في المظاهر الثلاثة يُعامِلُ بما يمليه عليه الواقع، فلا يطغى عليه مظهرٌ على مظهر، ويتميّزُ بصفاء النفسِ وطهارة القلب، وبالكلمة الطيبة المحبّبة، وإذا تكلَّم يتكلّمُ على استحياءٍ بخفض الصوتِ، ويتحدّثُ بهدوءٍ تامٍّ.

---

(١) كتبها الأستاذ الدكتور محمود فجال -رحمه الله- في صفحته بموقع (فيس بوك): اسم المستخدم (mafajjal) في ١ شباط ٢٠١٣م. رابط: https://٢u.pw/lUoJ٦.

ولقد رأيتُ بالفقيد الحبيب نظرتَهُ الثاقبة، وفطنته الواضحة التي يكللها الأدبُ، بل ما رأيتُ من الشيخ الجليل إلاّ الأدبَ الجمَّ في جميع مظاهره، أدبًا في الأقوال والأفعال، ونُصْحًا نابعًا من قلبٍ صافٍ مخلصٍ.

وأستطيع أن أقول: ما رأيتُ عليه شائبةً، لا في ريعان الشباب، ولا حينَ شبَّ وشاب، ونورُ وجهه ينبئُك عن مكنونات نفسه، وما يعتلجُ في خاطره، وما يجول في صدره، ولا ينبّئك مثل خبير.

لقد اتصل بي كعادته دائمًا، وهذا الاتصال هو الأخير، وأخبرني بأنّه سيسافر إلى مصر، دار الكنانة للعلاج، وليرقدَ في المستشفى، وهو يتجلبب بجلباب الخجل والأدب كعادته، لم يتغيّر فيه شيء منذ عرفته. فقلت: أستودعك الله الذي لا تضيع عنده الودائع، وبعد أيامٍ من سفره بلغنا النبأُ المحتوم لكل إنسان، فيا سعادةَ من لا يغفُل عن الله، وعن ذكر هاذم اللذات (كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ). فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ولا يسعني إلا أن أقولَ: فيا حسرتاهُ على أولئك الأخلاّء الأصفياء الأتقياء الأوفياء الأخفياء الذين هم على العهد باقون، صامدون، لا يتغيرون مهما التبست الأمور، وتباعدت الأماكن، واختلفت الرؤى.

محمودٌ هو المحمودُ، الزين هو الزين، الأخ هو الأخ، ما أنكرتُ منه شيئًا.

كانت تؤثّر فيه الإشارة أكثر من تأثير العبارة، والنظرة أقوى من العتاب.

فيا ليت طلاّب العلمِ وشيوخ المجتمع يجعلونه مثالًا لهم، وقدوة ينهلون من أدبه وخلقه، ويحفظون الوُدّ لأهل الوداد، الذي افتقدناه في هذه الأيام الحوالك، وافتقدنا المروءات في هذه الأزمات الصارمات.

مررتُ على المروءةِ وهي تبكي فقلتُ: عَلامَ تنتحبُ الفتاة؟

فقالت: كيف لا أبكي وأهلي جميعًا دون خَلقِ الله ماتوا

وأخيرًا: أعزّي فيك نفسي يا حبيبي، يا محمود، يا زين الزين، لقد فقدت فيك أخًا مخلِصًا مخلَصًا.

وأعزّي ولدنا أخي الشيخ الصالح محمد بن محمود وباقي إخوته، وأوصيهم بحبّ بعضهم بعضًا، والحرص على طلب العلم، وأعزّي الأخ الدكتور حمزة الزين والشيخ يوسف والشيخ الدكتور محمد ربيع، وجميع آل الزين الأكارم، وأخصّ بالتعزية أخي العزيز الشيخ محمد جهاد عبيد سلمه الله، وأعزّي السادة آل نبهان في فقيد الكلتاوية، العلم الشامخ، وأخصّ بالتعزية الداعية الكبير الأستاذ الدكتور أبا عزّام محمد فاروق النبهان، والسيّد غسّان، والسيّد بشّار، وجميع طلاّبه، وأحبابه، والإخوان.

غفر الله لنا وله، وأسكنه أعلى جنان الخلد، مع النبيين والصديقين والشهداء.

وسلام عليك يا أخي يا حبيبي يا عيني سلامًا لا لقاءَ بعده في الدنيا، والملتقى هناك تحت لواء حبيبنا المحبوب صاحب اللواء المحمود، القائل: أنا لها، أنا لها، ﷺ.

نَمْ في أمان الله ورعايته ورحمته.

وسلامٌ عليكَ في الأولين والآخرين، وأستودعكَ الله. وإنا لله وإنا إليه راجعون». أ.د. محمود بن يوسف فجّال ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٤هـ

ورثاه صديقه الدكتور عثمان عمر المحمد فقال:

«بمزيد من الأسى والحزن والتسليم لقضاء الله وقدره ننعي لكم الفقيد الغالي والأخ المخلص فقيد حلب الشهباء الشيخ الدكتور العالم العامل محمود أحمد الزين صديق العمر الذي كان بالنسبة لي ملء السمع والبصر. رحمك الله يا أخي يا أبا محمد.

أقول كما قال الشاعر:

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ والحبيبُ يُزارُ

تركتنا من غير وداع لو بكيت عليك دمًا ما وفيتك حق الأخوة.

صحبتك قرابة خمسين عامًا فما رأيت منك إلا الصدق، والنصح، والحب، والتواضع، خمس سنوات في طيبة الطيبة ولا يمر يوم إلا ونلتقي، نلتقي على النصح فلا تجامل أحدًا في مخالفة أبدًا.

قبل انتقالك بشهرين قلت لي: أنا وضّبت شنطتي (أي مغادر هذه الحياة) فقلت لك: هنيئًا لك السفر، وهنيئًا لك استعدادك للقاء الله.

تبعتك إلى مصر لألقي على وجهك نظرة وداع ولكن شاء القدر أن يُهال عليك التراب قبل وصولي بدقائق معدودة.

طبت حيًّا وميتًا يا أخي يا أبا محمد.

أسأل الله أن يجعلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الفردوس الأعلى، وأن ينزل عليك شآبيب رحمته.

أنا لم أفقد صديقًا بل فقدت نصفي فأسأل الله أن يرزقنا الصبر والسلوان وأن يعوض هذه الأمة في مصابها ونقول كما قال الحبيب المصطفى: إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول ما يسخط الرب إنا على فراقك يا أخي يا أبا محمد لمحزونون وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وقال تلميذه الدكتور عبد السميع الأحمد في التأبين الذي أقيم له في دولة الكويت:

أيْ فؤادي هل جانبتك الجدودُ منذُ أنقيتَ أم دهاكَ حسودُ
كلَّ يوم لنا عزيز يُسجّى ودموعي على العزيز شهود

وبلادي تضجّ فيها المنايا ... وورودي عفّى عليها الجليد
نسمات الربيع أضحت جحيـــ ... ـــما تلظّى، وفي الغيوث جحود
من نعزي وكلُّ بيت حزينٌ ... يه ناءٍ أو ثاكلٌ أو شهيد
يا فؤادي وكيف يرقأ دمعي ... و صغاري ضاقتْ عليها اللحود
عمرَك الله.. كم تُجالد خطبًا ... فوق خطب، والنائبات قعود
يا خليلي وأنت في الحزن مثلي ... جمعتنا الخطوب والتنكيد
رحلَ اليومَ شيخنا وهو ناءٍ ... تناءى عن الجسوم الهجود
وعيون الأحباب أضحت مِراضا ... احتواها التعكير والتسهيد
أيُّ نجم ترجل اليوم في قمّـــ ... ـــة النور وهو المكرم المحمود
فارس العلم والفصاحة صنّا ... جة الشعر[1] وِرْده المورود
ألمعيُّ الأشياخ ذو النظر الثا ... قب والفكر الذي لا يحيد
حازمٌ حاسمٌ أَبِيٌّ أنوفٌ ... عالم عالم سريّ سديد
تختشيه العيون خشية حب ... و تَرِقُّ القلوبُ حين يجود
يستفزّ الأسماع حين يصدع ... هدّارًا وتستبدّ الرعود
فإذا أسلس القصيد تهادى ... لك منه الجلمود والأملود
يا فؤادي وأنت في الحب صب ... تتهادى إذا تورّد عود
كيف تصفو لك الحياة وفيها ... كلَّ يوم يغيب نجم جديد
إنها سُنّة الحياة ولكنْ ... لفراق الأحبابِ وقع شديد

---

(١) الصَّنَّاجَةُ: مبالغة في الصنَّاج؛ الصَّنْج هو حلقاتُ الدُّفّ والآلة ذات الأَوتار الذي يُلْعب بها، وصاحبها: صَنَّاج صَنَّاجة. ثم أطلق على الشاعر المجيد الذي يطرب الناس، وكان أَعْشَى بَكْرٍ يسمى صَنَّاجة العرب لِجَوْدة شِعْره.

ورثاه تلميذه الدكتور محمد نور العلي في النادي الثقافي العربي في الشارقة بتاريخ يوم الأحد ٣ شباط ٢٠١٣م قال:

جمالٌ في جلالٍ في كمالِ ... علوّ في الشمائل والخصال
فذا محمودُ يا عبِق السجايا ... وذا محمود يا زين الفعال
وذا محمود يا أُفقا تعالى ... وذا محمود يا فيء الظلال
وذا محمود مبسمه أقاحٍ ... بهي الطل كالسحر الحلال
حباه الله -جلّ الله- أُنسا ... ولطفا في الدَّماثة والخلال
أيا من كان للأخلاق أهلا ... أيا من كان في العلياء عالي
وكان النُبْلَ في الدنيا حكيما ... رصين الفكر يا ثَقِفَ المقال
ويثرينا طوال العمر علما ... شبيه الغيث والماء الزلال
وتوجيهاته المثلى حقيقا ... لفعل الخير آيات الجمال
دعاه لقربه الرحمن حبا ... فراح إليه يرفل بالوصال
وتختلج القلوب لذكر فقْدٍ ... وتنتثر الحُزانة كالرمال
ولكنّ الهموم مُفَرّجات ... بفضل الله موصوف الجلال
وبعد الغيث يعقبه ربيعٌ ... وبعدَ الشمسِ أقمارُ الليالي
سألتُ الله أن يبقيك روحا ... وذكْرا طيبّا في كل حال
ويجعل قبركَ الخلّاقُ مسكا ... ونورا كالقناديل اللآلي

وكتب في رثائه تلميذه الدكتور ياسر يوسف[١]:

(الدكتور محمود الزين بنيان قوم تهدما)

«أي صوت مجلجل سكت، وأي شلال هادر توقف، وأي نبع عذب غاض، وأي نبت مزهر صوح، وأي ركن جليل ساخ، وأي فارس فاتكٍ ترجل!

بهذه الكلمات المؤثرة نعى الدكتور محمود الطناحي محموده علامة العربية أبا فهر محمود محمد شاكر -رحمهما الله تعالى- ورثاه وبكاه في مقالة ضافية وافية، واسمحوا لي أن أقتبسها هنا لأنعي بها محمودنا (الدكتور محمود أحمد الزين، رحمه الله تعالى) الذي انتقل إلى جوار ربه صباح يوم الخميس ٣١ كانون الثاني ٢٠١٣م، بعد أن ترك بعده قلوبًا موجعة، وعيونًا دامعة، وأكبادًا حرى، ونفوسًا لا تفتأ تذكره وتبكيه، وتتحسر على فراقه، ولا تكاد تصدق أن هذا الكبير المهاب أمسى رهين التراب وشهيد الغربة، ولعل عزاءها أنه جاور الشافعي وشيخ الإسلام أبا يحي زكريا الأنصاري، الذي أمضى كثيرًا من حياته التدريسية يدرس كتبه ويقرر كلامه. رحم الله الجميع.

جسد لفف في أكفانه رحمة الله على ذاك الجسد

من يعرف قيمة هذا الرجل العلمية والفكرية والاجتماعية يعذرني ويعذر كل من رثاه وبكاه بقصيدة أو مقالة، وأن ذلك ليس صوفية مغالية ولا إطراء زائدًا

---

(١) الدكتور ياسر مصطفى يوسف (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م): ولد في قرية دويبق حلب، تخرج في مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) ونال شهادتها عام ١٩٩٥م، حصل على ليسانس شريعة إسلامية من كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر عام ٢٠٠٠م، ثم حصل على الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية -كلية الدراسات العليا- قسم أصول الفقه عام ٢٠١٣م، ونال الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية -كلية الدراسات العليا- قسم أصول الفقه عام ٢٠١٧م، ويعمل إمامًا وخطيبًا في دولة الكويت (مراسلة كتابية).

ولا مديحًا باطلًا، بل هو الحق والصدق والواقع، فضلًا عن أنه جزء من وفاء التلميذ لأستاذه، واعترافًا وإقرارًا بالفضل، وذلك أضعف الوفاء، فالعذل هاهنا غير وارد واللوم ليس مسموحًا به.

في ذهني الكثير من الحوادث والحكايات والأفكار التي ارتسمت عبر مرحلة الطلب في دار نهضة العلوم الشرعية -حفظها الله- حيث كان الدكتور محمود الزين -رحمه الله تعالى- يسقينا كؤوس العلم الدهاق، ويدير عقولنا على طريقة التفكير السليمة، ويصرفها عن الجمود على الحرف، ويأبى عليها التقليد، ويحثها على البحث والجد والكد في سبيل الحصول على المعلومة الصحيحة والحقيقة الواضحة والصواب البين والحق الأبلج.

كان -رحمه الله تعالى- ذا طريقة خاصة في التعليم، وهي طريقة فريدة تعتمد على حل العبارة المعروضة، وقراءتها بعين النقد، وبخاصة إذا كانت عبارة معاصرة لكاتب معاصر فإنه يفندها تفنيدًا ويقتلها تحليلًا، وينقدها بكل رقي، ولا يكتفي بذلك بل كان كثيرًا ما يسوق عبارات الأقدمين المتواردة في نفس الموضوع، ويريك الفرق بين العبارتين من حيث السبك والرصانة والقوة والإحاطة بالمعنى وأداء المقصود.

على أن تلك الطريقة كان يخالطها شيء من الشدة، تلك الشدة والغلظة التي أفادتنا كثيرًا -على الرغم من امتعاضنا منها- وأكسبتنا قوة، ومنحتنا إقدامًا وجرأة ومنعة في المجالس والمحافل، كونها جعلتنا نقف على أرضية علمية لا بأس بها صلابة وتماسكًا واحتشادًا من علوم الأدوات، والفضل كل الفضل في ذلك لله، ثم للدار عمومًا، ثم لفقيدنا العظيم.

في آخر مرة رأيته فيها -رحمه الله تعالى- بعد درس سيدنا النبهان يوم الأحد عصرًا عام ٢٠٠٩م.. حيث وقفت معه برفقة بعض الطلبة، ورحنا نسأله بعض ما يعتلج في صدورنا من مسائل العلم والحياة حتى تطرق بالحديث إلى طريقة

التدريس التي يعتمدها وينتصر لها ولا زال مصرًّا عليها، وبدا عليه التألم من المستوى الذي انحدرت إليه بعض المدارس الشرعية في حلب وبالأخص في علم العربية، وكان من جملة ما قال: الشدة تصنع الرجال، والشدة التي كنا ننتهجها تظهر آثارها فيمن كان من طلبتنا اليوم، وأتى بمثال على ذلك فقال: من كان يكتب لي في الكلتاوية في ورقة الامتحان في إعراب كلمة (مضى): فعل ماض مبني على الفتحة أشطب له إجابته وأحذف له علامة وأنقص له درجة، فصاح أحد الواقفين من الطلبة الجدد وقال: أوه. لِمَ؟! فضحك -رحمه الله- وقال: لأنه لم يوضح هل هي فتحة مقدرة أو ظاهرة.

ثم شرع يحدثنا عن الكتيبات التي نشرها في دار البحوث في دبي ككتابه (البيان النبوي عن فضل الاحتفال بمولد النبي ﷺ)، و(صلاة التراويح)، و(التوسل) وغيرها. وذكر أن الواحدة منها كانت تستهلك من وقته أربعة أشهر. وأنا أقول: من يقرأ هذه الكتب يدرك أن أربعة أشهر وقت قياسي لكتابة مثلها، فضلًا عن أنها تحتاج إلى عقلية كعقلية الزين وفكرًا محلقًا كفكر هذا المفكر الكبير. وظل يحدثنا زمنًا ليس باليسير إلى أن أتى الشيخ عبد المنعم سالم -أطال الله في العافية بقاءه – وكانت بينهما توأمة روحية واضحة- فاختطفه منا.

ذات يوم قال – في خضم أحداث البوسنة والهرسك ومآسي كوسوفو-: يا بني إن ما يجري في البلقان أنتم سببه. قلنا: كيف؟! قال: لو حفظتم قطر الندى لاستنقذتم إخوانكم مما هم فيه. فعجبنا، ولما طلبنا الاستيضاح قال: لأنكم لو حفظتم القطر لقويت لغتكم، وإذا قويت أثرتم في الناس، وإذا أثرتم فيهم سرت القوة إلى سائر المسلمين، فكانوا قوة لا تغلب بحال من الأحوال.

هذه بعض المواقف سقتها لحضراتكم من حياة هذا العظيم.

ورثاه تلميذه الشيخ محمود الخليف فقال:

إنا لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك الله يا أستاذ الأجيال، وأعلمَ الأعلام.

لا الصبر عنه يعزّينا ولا الجزعُ ... ولا التجلد مغنينا.. ولا الفزع
مصائبُ الموت كالتقليدِ في نَسَقٍ ... أما مصيبتنا هذي فتُخترع
يا ضربة الموت ما باليتِ أن تقعي ... على امرئ فيه بنيان لنا يقع
على الذي كان حصن الضاد يمنعها ... إذا لم تجد صدر حر فيه تمتنع
محمود لو قلت في إنسانه ملك ... لكان حسبك منه الطهر والورع

يقولون حصنٌ.. ثم تأبى نفوسهم ... وكيف بحصن.. والجبال جُنوح
ولم تلفظ الأرضُ القبورَ.. ولم يزل ... أديم السماء.. والنجوم صحيح
فعمّا قليل ثم جاشَ نعيّه ... فبات نَدِيّ القوم وهو ينوح

(الشعر للرافعي يرثي أحمد تيمور)

لا أجد ما أقوله في مقامي هذا في ساعتي هذه خيرًا مما قاله أبو فهر في شيخه الرافعي: «رحمة الله عليه، لقد شارك الأوائل عقولهم بفكره ونزع إليهم بحنينه ثم صار إلى أن أصبح ميراثا نتوارثه وأدبا نتدارسه وحنانا نأوي إليه رحمة الله عليه».

وقول الشاعر:

سلكت بك العرب السبيل إلى العلا ... حتى إذا سبق الردى بك حاروا
فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة ... أثنى عليها السهل والأوعار

(الشعر لمسلم بن الوليد)

اللّٰهُمَّ ارحمه.. وأكرم نزله.. وأحسن وفادته.. واجبر مصيبتنا به.

اللّٰهُمَّ اجزه عنا خير الجزاء.

اللّٰهُمَّ اجزه عنا خيرا كثيرا.

فما لنا اليومَ ولا للعلا ... من بعده غير الأَسَى والنَّحيب

(الدكتور الزين وسرُّ العظمة)

رحم الله الدكتور محمود الزين رحمة واسعة.

كان سبب تميزه وتفرده أنه أخذ نفسه بالجد في التحصيل.. وان قد رُزق همة عالية لا ترضى بسفساف الأمور.

وكان لا يرضيه ولا يروي ظمأه وينقع غلته إلا التمحيص والتدقيق والبحث عن الحقيقة بحس مشوق، ونفس طُلَعة، وعقل متيقظ ضابط.

من صور إتقانه وتدقيقه أنه قرر علينا في أصول الفقه كتاب شرح الإسنوي على منهاج البيضاوي. واسمه «نهاية السول شرح منهاج الأصول».

لما أخبرنا باسم الكتاب قلنا له: هذا كتاب للأسنوي بفتح الألف. فقال: الإسنوي بالكسر هو الأصح وهو المشهور بين أهل العلم. ثم قال: أين القاموس للمجد؟ وجيء بالقاموس وفتحنا على مادة الكلمة فوجدنا المجد يذكر أن الإسنوي منسوب لبلدة إسنا، وألفها تنطق بالفتح والكسر ولكن أهل تلك البلاد ينطقونها بالكسر.

رحمه الله كان يدلنا على منابع العلم الصحيحة، وهذا منبع منها، وهو أن القاموس المحيط للمجد هو مصدر من مصادر ضبط الأسماء والأعلام مثل كتاب الأسماء واللغات للنووي. رحمهم الله جميعا. هذه صورة من أبسط صور إتقانه وإحسانه..

رحمه الله كان خبر موته ورحيله كالصاعقة، وكان حالنا كحال النابغة لما أتاه خبر موت حصن:

يقولون حصنٌ.. ثم تأبى نفوسهم ... وكيف بحصن.. والجبال جُنوح
ولم تلفظ الأرضُ القبورَ.. ولم يزل ... أديم السماء.. والنجوم صحيح
فعمّا قليل ثم جاشَ نعيّه ... فبات نَدِيّ القوم وهو ينوح

ورثاه تلميذه الدكتور عبد الملك العلي فقال:

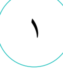
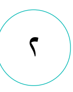
ما للكواكب في التراب تغور … إني من التُّرب الطهور غيور
قالوا: ترجلَ قلت: أكرم فارس … في دولة العلم الشريف أمير
وهَمَتْ من المُقَل المراضِ مدامعٌ … تقضي الحقوق وبعضهن كبير
وأخط من دمعي سطور قصيدتي … والشعر في شرع الكرام شعور
ما بال هذا الحزن يضرب بالحشا … لا يستكين كأنه موتور
الأرض جللها الأسى بفراقه … أما السماء فبهجة وسرور
اللّهُ طَهَّرَهُ وأعلى قدره … ومن السقام براءة وطهور
قضّى لياليه يصابر داءه … بقضاء رب العالمين صبور
ومضى يلبي دعوة من ربه … البِشْرُ ملء جبينه والنور
في روضة النبهان أينع عوده … كاسات تحصيل العلوم يدير
عشق الوصال مع الكتاب وإنه … في وصل مملكة الكتاب جسور
كم في عوالمه أجدَّ مسافرا … أما الرواحل نكتة وسطور
حتى دنت من راحتيه قطوفه … وهوى بنيِّر نوره الديجور
أما القصور فلا قصور بعلمه … وله من النكت الملاح قصور
ما زلتُ أذكره يرددُ درسه … ملء الأحبة طلة وحضور
كم فلتة في العلم أطلق أمرها … ويتيمة حازت به التوقير
كنّا نسافرُ في مفازة علمه … ونسير في التطواف حيث يسير
ماذا أقول وفي فمي ماء وفي … عنقي حقوق والقضاء عسير
إن خانني شعري فمثلك عاذر … ألا يحيط بقدره التصوير
حسبي بقدرك أن أقول وأكتفي … رجل قضى في النيرات كبير

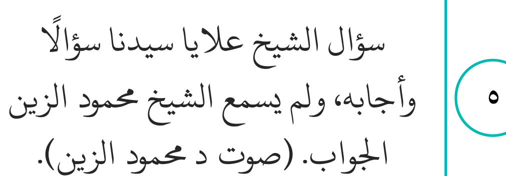
مصادر الترجمة:

- جلسات خاصة لي مع الدكتور محمود الزين -رحمه الله- بَدَأَتْ من عام ٢٠٠٧م إلى تاريخ ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٢م، ومنها ماهو مسجل.
- أولاده: الشيخ محمد، والشيخ أحمد، مراسلة كتابية.
- الدكتور محمد فاروق النبهان، والأستاذ الدكتور محمود فجال، والدكتور عثمان عمر المحمد، والدكتور عبد السميع الأحمد، والدكتور ياسر يوسف، والشيخ محمود الخليف، والدكتور عبد الملك العلي.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

 ١	كلمة للدكتور محمود الزين عن سيدنا النبهان.	
 ٢	كلمة للدكتور محمود الزين في حفل تخريج فوج٧٢-٧٣م، يقدمه الشيخ حسان فرفوطي.	
 ٣	قصيدة للشيخ هشام الألوسي في رثاء د محمود الزين.	

٤	اللقاء مع الدكتور محمد أبو موسى وقوله: لم يكتب في بابه أفضل منه. (صوت د محمود الزين).	
٥	 سؤال الشيخ علايا سيدنا سؤالًا وأجابه، ولم يسمع الشيخ محمود الزين الجواب. (صوت د محمود الزين).	
٦	كلمة الدكتور أحمد نور سيف في رثاء د محمود الزين.	
٧	كلمة الدكتور أحمد عبد العزيز الحداد في رثاء د محمود الزين.	
٨	كلمة الشيخ يوسف الزين في رثاء الدكتور محمود الزين.	

(٧٠) الأستاذ الدكتور محمود فجَّال

١٣٥٨ - ١٤٣٧هـ/ ١٩٣٩ - ٢٠١٥م



شيخ العربية الأستاذ الدكتور محمود بن يوسف بن محمود فجَّال.

مكان ولادته وتاريخها:

ولد في حي قارلق، بمدينة حلب، بسورية، في ١ صفر ١٣٥٨هـ الموافق ٢٣ آذار ١٩٣٩م.

أبناؤه:

أوَّلُ ما ولد للشيخ محمود -رحمه الله- ثلاث بنات.

كتب لنا، رحمه الله تعالى: تشرفتُ بزيارة سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه في بيتنا في الكلتاوية على الغداء فأجلسته في الصالون على الديوانة، وكان عندنا بمعيّة سيدنا الحاج عبدو البيك والد الأهل أم محمد، والحاج صلاح عطار خال زوجتي أم فاطمة الزهراء وخديجة وعائشة، وما كان يأتينا ذكور، فقال خال الأهل الحاج صلاح عطار لسيدنا: يا سيدي بنت أختي لا يأتيها إلا بنات-والأهل في المطبخ تحضر الطعام-، فقال سيدنا: هذه البطن فيها (محمد) لكن محمد حاف، وكنا عزمنا إن جاءنا ذكر أن نسميه (محمد حذيفة) ولكن لم نخبر بذلك سيدنا.

قال الخال: يا سيدي نقول لها: أم محمد؟ قال: قل لها ولا تخف.

وكان يقول: «محمود ابني من يريدُهُ يطلبه مني» اعتنى بصغارنا وكبارنا، رضي الله عنه وأرضاه.

فكان أول من بُشِّر به من الذكور الدكتور محمَّد، ثم جاءه الدكتور يوسف، والدكتور عبد الله، والدكتور أنس. وله خمس بنات.

وهو -رحمه الله- حريص على تعليم أبنائه جميعًا، ومواصلةِ مسيرتهم العلمية إلى أعلى الدرجات، فحصَّلتْ بناته درجة البكالوريوس في اللغة العربية، وبعضهن في أصول الدين، وأخريات في الشريعة.

وحَصَلَ أبناؤه الذكور على درجة الدكتوراه في اللغة العربية. مع حصولهم إناثًا وذكورًا على إجازات علمية في العلوم العربية والشرعية والقرآن الكريم والقراءات.

نشأته:

نشأ منذ نعومة أظفاره مُحِبًّا للعلم والعلماء، فيقتني الكتب الكبيرة، والطبعات النادرة، ويلازم الحلقات العلمية، وهيئته هيئة العلماء في لباسهم ومشيهم.

كان موفقًا محفوظًا في كل أمر، وكأنَّ عنايةً إلهيةً ترعاه في كل حين وكل مكان.

لا يُحبُّ أن يجلس في أماكن اللهو واللعب ومجالس العامة، بل يحبُّ مجالس العلماء، وحضور الدروس العلمية، فقد أخذ عن كبار علماء عصره في العلوم الشرعية والعربية.

ولا يُضَيِّع وقته، فيحكي عنه زملاؤه أنه لم يكن يتحدث مع أحد في وقت الاستراحة بين الحصص الدراسية في المدرسة، بل كان يشغل نفسَه بالقراءة في كتاب يحتفظ به في جيبه.

من أخلاقه وصفاته:

كان منقطعًا للعلم والتعليم والدَّرس والبحث، منشغلًا منهمكًا بها، كَتَبَ على باب غرفته في المسجد أيام طلب العلم: (وقتي ثمينٌ ووقتك)؛ لئلا يُضيِّع وقته أحدٌ في غير العلم.

وَصَفَهُ شيخُه علامةُ الشام الشيخ إبراهيم اليعقوبي[1] بِوُفور العقل، وَشِدَّةِ الذكاء، والجِدّ في الطلب.

زَهِدَ في متاع الدنيا تواضعًا وتقوى.

يُحِبُّ العِلْمَ والتعليمَ والبحث والتأليف، وكان منزله في القاهرة كالجامعة، يقصده الباحثون في الدراسات العليا؛ لينهلوا من علمه ويحلّ مشكلاتهم العلمية.

يحبُّ مجالسة أهل العلم والصالحين، ويترنَّم بالذكريات معهم.

لا يُحب التلفاز، ولا يشاهده، ولم يدخله في بيته؛ لما فيه من ضياع للوقت وسفورٍ ومحرمات.

التزم بزيه، الثوب والعمامة الحلبية في كلِّ مكان وكلِّ زمان، منذ صغره، ولم يترك العمامة قطُّ، ولم يلبس غيرها.

حتى قال الدكتور عبدالهادي حرب في قصيدة من عشرين بيتًا، منها:

---

(١) الشيخ إبراهيم اليعقوبي (١٣٤٣-١٤٠٦هـ): العلامة الصوفي اليعقوبي الحسني الجزائري، هاجر إلى دمشق عام ١٢٦٣هـ، أخذ عن الشيخ محمد الهاشمي، وأجازه بخطه إجازة عامة، وقرأ عن كبار علماء دمشق في جامع السنانية، عين مدرسًا تابعًا لإدارة الإفتاء، ودرس في جامع العثمان سنوات قبل وفاته، من مؤلفاته: الجامع لشواهد علوم العربية، شرح على بلوغ المرام، ديوان شعر، وغيره كثير. توفي في دمشق ودفن في مقبرة الباب الصغير. انظر «نثر الجواهر والدرر» (١٦٩٥) .

وعِمامةُ العُلماءِ فوقَ جبينه تاجٌ يَشُعُّ النور مِنْ عِقْيانِهِ

طَيِّبُ الفِعال، محمودُ الخِصال، ذو أخلاق رائقة، وسمات فائقة، ومناقب عليّة، ومِنَحٍ مصابيحُها جليّة.

يحرص على توجيه النصح والإرشاد للصغار والكبار، بمحاسبة النفس حسابًا عسيرًا، وترك الغيبة والنميمة والكذب، والعناية بالعلم، والحفاظ على الوقت، وترك مماراة الجُهَّال والجدل معهم.

عطوف على الفقراء والضعفاء والمساكين والأيتام، ويوجه أبناءَه وطلابَه إلى عدم الاستهانة بأي شخص، فقيرًا كان أو غنيًّا، ضعيفًا كان أو قويًّا، فالاحترام للجميع من غير تفرقة لأي اعتبار.

ويمتلك أسلوبًا لطيفًا ساحرًا في الإصلاح بين الناس، ويأمر بالعفو والمسامحة، فيحترمه الجميع.

وكان مُلهمًا ينظر بنور الله -عزَّ وجلّ- ما قالَ كلمةً في كثير من الأمور إلا جاءت كفلق الصُّبْح.

وآخرُ ما كتبه في الموقع الاجتماعي على الشبكة المعلوماتية (الفيس بوك) كان تهنئة لأحد طلبة العلم، الذي حصل على درجة الدكتوراه، والدعاء له بأن يجعل اللهُ ذلك في طاعته وخدمة دينه ومجتمعه. وهذا من حرصه -رحمه الله- على تشجيع طلبة العلم في مسيرتهم العلمية، وهكذا كان ديدنه في حياته في حبّ التعلُّم والتعليم والعلماء، والتشجيع على طلب العلم، والإنفاق على طلاب العلم.

وكان وفيًّا متواضعًا، يتواصل مع أرحامه وأقاربه وأصدقائه وأساتذته ومحبيه، بالاتصال الهاتفي والرسائل والزيارة الشخصية وإرسال الهدايا.

حياته العلمية:


الدكتور محمود فجَّال

بدأ -رحمه الله- في حياة علمية حافلة منذ نعومة أظفاره، فقد حُبِّب إليه العلم والعلماء وزُيِّنوا في قلبه وهو في سنٍّ مبكرة.

وفي مقابلة صحفية معه -رحمه الله- قال:

حُبِّبَت إليَّ العلوم الشرعية والعربية وأنا في ريعان الصبا، في المرحلة الابتدائية، وقد تعلمت (الخط الرقعي) ولي من العمر عشر سنوات على الأستاذ (عبد القادر جاويش) في مسجد حي (المستدامية)، ثم تدربت على سائر الخطوط العربية فيما بعد على خطاط حلب الشهير الأستاذ إبراهيم الرفاعي.

وفي هذه الأثناء هويت الكتب وعشقتها، وتوجهت إلى العلوم الشرعية وتزكية النفس.

كما حُبِّبَت إليَّ القراءة على الشيوخ، كما انتظمت في المدرسة الشعبانية، ثم أتممت في الثانوية الشرعية، من مرحلة الدراسة المتوسطة إلى الثانوية.

وها أنا ذا أذكر بعض ما قرأته من الكتب على الشيوخ في الحلقات العلمية:

١- مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح للحسن بن عمار الشُرُنْبُلالي، المتوفى سنة ١٩٠٦م.

٢- واللباب في شرح الكتاب لعبد الغني الغنيمي الميداني، أحد تلامذة (ابن عابدين)، و(الكتاب) لأحمد القدوري المتوفى سنة ٤٢٨هـ.

٣- والاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، المتوفى سنة ٦٨٣هـ.

٤- والهدية العلائية لمحمد علاء الدين بن محمد أمين عابدين، المتوفى سنة ١٣٠٦هـ.

٥- والدر المختار شرح تنوير الأبصار لمحمد علاء الدين الحصني، المتوفى سنة١٠٨٨هـ.

٦- شرح إفاضة الأنوار على متن أصول المنار لمحمد علاء الدين الحصني، المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ.

٧- جمع الجوامع في أصول الفقه الشافعي لتاج الدين أبو النصر عبد الوهاب السبكي، المتوفى سنة ٧٧١ هـ.

٨- شرح الرحبية في علم الفرائض لمحمد بن محمد سبط المارديني (ماردين: بلدة من تركيا)، والرحبية منظومة وعدد أبياتها (١٧٥) بيتًا من الرجز، للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حسين الرحبي (رحبة: بلدة بدمشق ومحلة بها، والمعروف الآن قرية تسمى «الرُحَيبَة» بالتصغير) المعروف بابن موفق الدين.

٩- شروح الآجرومية لابن آجروم، وهو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله، المتوفى سنة ٧٢٣هـ، من أهل فاس.

١٠- شرح الشيخ خالد الأزهري: هو أبو الوليد زين الدين الشيخ خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاوي الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥هـ. وحاشية أبي النجا على شرح الشيخ خالد.

١١- شرح الآجرومية لزيني دحلان: وهو أحمد بن زيني بن أحمد دحلان المكي، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ.

١٢- شرح الآجرومية للكفراوي (نسبة إلى كفر الشيخ بالقرب من المحلة الكبرى): وهو حسن بن علي الكفراوي – المتوفى سنة ١٢٠٢هـ، وغيرها.

١٣ - قواعد اللغة العربية: تأليف حفني ناصف، ومحمد دياب، ومصطفى طموم، ومحمود عمر، وسلطان محمد.

١٤ - شرح الأزهرية للشيخ خالد الأزهري، ومعه حاشية حسن العطار.

١٥- شرح السعد التفتازاني على تصريف الزنجاني المشهور بالعزي.

١٦- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام.

١٧- شرح ابن عقيل.

١٨- أوضح المسالك لابن هشام.

١٩- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري.

٢٠- إيضاح المبهم من معاني السلم، في المنطق، لأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (نسبة إلى دمنهور الوحش، من أعمال الغربية بمصر)، المتوفى سنة ١١٩٢هـ. و (السلم المنورق) لعبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير الجزائري المشهور بـ (الأخضري)، المتوفى في القرن العاشر للهجرة.

٢١- شرح السلم لشهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيري القاهري، الشهير بـ(الملوي)، المتوفى سنة ١١٨١هـ.

٢٢- البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين.

٢٣- دلائل الإعجاز لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاوي، المتوفى سنة ٤٧١هـ، أو سنة ٤٧٤هـ.

٢٤- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي.

٢٥- تفسير ابن كثير.

٢٦- صحيح البخاري.

٢٧- تدريب الراوي للسيوطي.

٢٨- المصباح المنير للفيومي.

هذه الكتب قرأت بعضها كاملًا على الشيوخ، وبعضها لم تكمل قراءته.

هذا عدا الكتب المتخصصة التي درستها في الجامعة ومرحلة الماجستير.

فقد درستُ على علامة عصره أ. د. محمد رفعت محمود فتح الله أبوابًا من (الكتاب) لسيبويه، و(الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري، و(شرح الكافية) للرضي، و(شرح المفصل) لابن يعيش، و(مغني اللبيب) لابن هشام، و(شرح الأشموني) و(شرح الشافية) للرضي.

وتحدَّثَ –رحمه الله- عن رحلته مع كتاب «شرح قطر الندى وبل الصدى» لابن هشام فيقول:

قرأت هذا الكتاب المبارك على ثلاثة شيوخ علماء أعلام، وذلك من قَبْلِ السابعةَ عشرَ من عُمُرِي، وهم:

١ - الأستاذ الشيخ حامد هلال.

٢ - الأستاذ الشيخ عبد الرحمن زين العابدين.

٣ - الأستاذ الشيخ مصطفى مزراب.

فأول قراءتي له على الشيخ مصطفى في غرفته الكائنة شرقي جامع العثمانية بحلب الكائن بحي الفرافرة.

وقَرَأْتُهُ ثانيًا على الشيخ عبد الرحمن زين العابدين في « معهد العلوم الشرعية » في حي الفرافرة، ويُعرف بـ «المدرسة الشعبانية» بحلب، ولم يُنْهِ المنهج؛ لأن الشيخ كان كثيرَ الاستطرادِ في العلم، فالتمستُ منه أن يُكْمِلَ لي ما بَقِيَ من الكتاب، فتفَضَّلَ بالقبولِ فكنت أذهب كلَّ صباح الساعة التاسعة، إلى بيته الكائنِ بحيِّ

الجميليةِ بصحبةِ أخي في الله الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- وكنا نجلس مع الشيخ إلى الظهر، وكان الشيخُ محبًّا للعلم حبًّا جَمًّا، ويَأْنَسُ بطلاب العلم أُنْسًا عجيبًا، فإذا بدأ درسه نَسِيَ نفسه، ولا يَرُدُّ نفسَه عن ذكر فائدة تخطر في باله وإن لم يكن لها مِساس في الموضوع؛ لأن الطرائفَ والنكاتَ تأتيه بأدنى ملابسة.

وقرأته أخيرًا على النحوي البارع الشيخ حامد، وكان تلميذًا للعلامة الكبير الشيخ محمد الزرقا (١٢٥٨-١٣٤٣هـ) وكان مكان الدرس في الرواق الغربي من جامع العثمانية بحلب.

ومما يحسن ذكره أنني بعد الانتهاء من قراءة هذا الكتاب مع الشيخ حامد هلال طلبتُ منه أن يقرأ لي كتابًا آخرَ يختاره، فوافق وترك لي اختيار كتابٍ من كتابَيْنِ:

أحدهما: «شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب» لـ «ابن هشام».

والآخر: «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك».

واتفقنا على أن يكون موعدُ الدرس بعدَ ثلاثةِ أيامٍ في الرواق الغربي في جامع العثمانية في وقت الضحى، وذهبت إلى الدرس في اليوم والوقت المحدد وانتظرت الشيخ بُرْهَةً، ولكنه لم يحضُر، ومن عادة الشيخ التقيدُ الدقيقُ بالمواعيد، فهرعتُ إلى بيته في طَلعة باب النصر من جهة باب جامع العثمانية الغربي، وطرقت الباب، فكلمتني زوجة شيخي الطاهرة من وراء الباب، وسألتها عن الشيخ ففاجأتني بأن الشيخ قد توفي -رحمه الله تعالى-، فوليت حزينًا مترحمًا على تلك الروح الطيبة الطاهرة.

ومما يجدر ذكره أنني كنت قبل حضور الدرس على الشيوخ، أخلو بنفسي فأحضِّر ما أقرؤه على الشيخ، مع العناية بمطالعة «حاشية السجاعي»، و«الأُلوسي» على كتاب «شرح قطر الندى».

وقد انتفعت بهما كثيرًا. والحمد لله.

وكانت تتملكني في حلقة الدرس نشوةُ الطرب، ويهز عطفي أريحيةُ الخطب في أروقة العلم والأدب.

ومما يحسن إيراده هنا ليستفيد منه الأستاذ والطالب ما أَخْبَرَنِي به شيخي العلامة الشيخ عبد الوهاب الحافظ الشهير بـ (دبس وزيت) عن طريقته: أنه لا يُلقي درسه على الطلاب إلا بعد تحضيره ومراجعته، ولو كان الدرسُ في متن «نور الإيضاح» للشرنبلالي اهـ. وهو شيخ الشام بلا منازع في حفظ كتاب الله -تعالى- والفقه الحنفي، وكان يُلقب بأبي حنيفة الصغير، أضف إلى ما يتمتع به من ذوق سليم، وخلق رفيع.

فإن كان مثل الشيخ يراجع درسه فما بالك بالطالب؟ أجل هو من باب أولى.

وأفدت من شيوخي الثلاثة فوائد جمّة، ولكل واحدٍ منهم طريقةٌ خاصة، وأسلوبٌ يتميز به، فرحمهم الله رحمةً واسعةً، وحشرني وإياهم في زمرة عباده الصالحين، تحت لواءِ سَيِّدِ المرسلين ﷺ.

وقد عُنِيتُ بهذا السِّفْر العظيم وهو «شرح قطر الندى وبل الصدى» عنايةً فائقةً، فكان لي الأساسَ في علم النحو.

وبدأتُ بتدريسه وإقرائه في الثامنةَ عشرَ من عُمْرِي، ودرَّسْتُهُ كثيرًا.

وقد أَقْرَأْتُهُ لطلاب المستوى الثالث المتوسط في «دار نهضة العلوم الشرعية» بأمر سيدي ومولاي إمام الزاهدين الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه مؤسس هذه الدار والمرشد العام للعلم والعلماء - من أول الكتاب إلى آخره سبع مرّات، في سبع سنوات، كما شرحته في مجالس خاصة مرارًا لبعض الطلاب في حلب ودمشق والأحساء والرياض.

وعملت له حاشيةً مفيدةً كتبتها على حواشي نسختي بخط يدي، كما عملتُ له تلخيصًا سميته: «تقريب شرح قطر الندى وبل الصدى» وكان طلابُ الدار يحفظونه كالمتن، واستفادوا منه كثيرًا، حتى أغناهم غَناءً ما في دراستهم الثانوية والجامعية، وبنوا عليه تحصيلهم العلمي.

وقد زار دار نهضة العلوم الشرعية (الكلتاوية) العلامة الشيخ صالح الفرفور (١٣١٩-١٤٠٧هـ) مؤسس «معهد الفتح الإسلامي» بدمشق، وبصحبته شيوخٌ أعلام من طلابه المعلِّمون في المعهد، وسأل ما يُدَرَّسُ في مادة النحو؟

فقلت: يُدَرَّسُ في المستوى الثالث «شرح قطر الندى»، ثم دفعت إليه «تقريب شرح قطر الندى» المكتوب بخط أحد طلابي، وهو الشيخ أحمد موسى، وقرأ فيه ساعةً من الزمن فَسُرَّ به كثيرًا، ثم أعطاه إلى أحد الشيوخ من تلاميذه قائلًا له: اصنعوا مثلَ هذا.

السير والسلوك عند العارف بالله الشيخ محمد النبهان، رضي الله عنه:

كتب لنا، رحمه الله: «كنت أحضر ذكرًا عند أحد الشيوخ، وكان دعائي باستمرار: اللّهُمَّ دُلَّني على من يدلني عليك، وأبكي كثيرًا، حتى إنّه من شدة البكاء ليلًا والابتهال والدعاء كان والدي يوقظ أمي ويقول لها: تعالي واسمعي محمود يقول كلامًا في المناجاة، ويبكي، أودُّ أن أكتبَه، ولكن الوقت ظلام، وكنت أطلب من الرسول ﷺ قائلًا: دُلَّني على من يعرّفني بك يا حبيبي، والطلب في المنام.

وكنت قد سمعت بالشيخ الهاشمي -رحمه الله- بأنه من العارفين، ويسلك عنده المريدون، وأنه مملوءٌ عِرفانًا ومشهود له، فعزمت على السفر إلى دمشق وأَخْذ الطريق منه، ودخول الخلوة عنده، وصار عندي هيام شديد، وزاد شوقي إليه أنني رأيتُه في المنامِ بشكل طبيبٍ، ومدّدني على سرير العمليات، ومعه سكاكين ومِقصّ، وشقّ صدري إلى أن وصل إلى قلبي، وأخرج منه شيئًا أسودَ، ثم استيقظتُ وأنا بأشدّ

التعلق به، من دون أن أعرفَ شخصَه أو صورته، ونظمت أربعة أبيات على البديهة، وكتبتُها إليه في رسالة، علمًا أنني لا أقولُ الشعرَ، ونسيتُ الأبيات؛ لأنني لم أحتفظ بالرسالة، وكانت الرسالةُ وصفًا لحالتي وهيامي به، وحبي الشديد للقياه والتلمذة على يديه.

وكان عند الشيخ الهاشمي أحدُ أصحابنا ممن دخل عنده الخلوة وأخذ الطريق عنده، وهو الشيخ عبد اللطيف مشلّح، كان يَدْرُسُ معنا في الشعبانية. قال له الشيخُ الهاشمي شيخُ سيدنا -رضي الله عنهما-:

«جاءتني رسالة من حلب ما جاءني مثلُها في المحبة والصدق، ويريد السلوك عندنا». فقال عبد اللطيف: ما اسمه؟ قال الشيخ الهاشمي: محمود فجَّال. فقال عبداللطيف: هذا صاحبي، ونحن في الشعبانية.

فقال له الشيخ الهاشمي: يا ولدي قل له: اذهب إلى البحر ولا تأتِ إلى الساقية، قال عبد اللطيف: مَنِ البحر يا سيدي؟ قال الهاشمي: الشيخ النبهاني.

وقبل أن يأتيَ عبدُ اللطيف من دمشق ليخبرني بما حدّثه الشيخُ الهاشمي رآني الشيخ محمدُ الحداد -وفارق السن بيني وبينه كبير؛ لأنه أسبق من الشيخ عبد القادر عيسى في العلم في الشعبانية- قال لي الشيخ محمد: شيخك ما هو شيخ ولكن شيخنا شيخ! فقلت له: ومن شيخُك؟ قال: الشيخ محمد النبهاني، فأضاءت هذه الكلمة كلَّ جوانحي وقلبي، وانشرح له صدري، صار عندي تحوّل في المحبة للقاء الشيخ النبهاني الذي خالط ذكره ذراتي، وصرت في نفسي أقول: نبهاني نبهاني، فأخذ لي الشيخ محمد الحداد بعد صلاة الظهر مباشرة موعدًا مع سيدنا، وكان بيته في حارة الباشا.

كنت صغيرًا أشعر بيدٍ ترعاني، وتحفظني حتى أنني كنت راكبًا دراجة (بِسْكِلِيْت) في حي الجابرية، فجاءت سيارة وجهًا لوجه وصدمتني، فركض الناس وأخبروا والدي، وكان له دكان بجوار جامع شبارق، وأسرع أبي فاقدًا عقله، ويقول:

محمود محمود، وصل إلى السيارة التي لم يتركها الناس أن تسير فوجد والدي (البسكليت) نصفين، وأنا جالسٌ فوق السيارة، لم أُصب بسوء.

اللقاء الأول مع سيدنا ﷺ كان في حدود عام ١٩٥٣م عندما تكحَّلت عينايَ بالنظر إلى طلعة سيدنا ﷺ والجلوس مع جنابه، فوجدته كالسراج الوهاج.



الدكتور محمود فجَّال يصعد درج الكلتاوية

صليت الظهر عند الشيخ محمد حداد في جامع القلمجي في سوق النحاسين، ثم توجهنا إلى الشيخ النبهاني الذي ما رأيتُه من قبل، وأنا لا أشعر أنني أسير على وجه الأرض، وصلنا بسرعة، وصعدنا الدرج لأن سيدنا يسكن في الدور الأول وأنا لابس قبّعة باكستانية وثوبًا عاديًّا وحذاءً أقل من عادي، ووجدنا على الدرج الحاج فوزي شمسي، والحاج محمد ربيع من كبار المحبين، وكان طويلًا ومنورًا وبلحية بيضاء، والشيخ أديب، يريدون التشرّف بالدخول إلى الشيخ النبهاني ولو لإلقاء

نظرة إليه فحسب، ولكن قيل لهم: سيدنا عنده موعد، وإذ بمحمود يصعد الدرج وهيأته كما وصفت لكم ومعي الشيخ محمد، فتح لنا سيدنا الباب فانبهرت حينما رأيته، وزاد خشوعي وانبهاري حينما أجلسني بجانبه، وبدأتْ أمواجه كالبحر الهادر يريد أن يتحدث عن كل شيء في السير والسلوك والإسلام.

أذكر أنه تكلم عن السَّيْر بأنه قسمان: سير الشاذلي الذي هو سير المحبة وهذا أسرع، وسير الغزالي وهو سير المجاهدة وهذا خطر، وأن الله أكرمه بالاثنين، وصار يتكلم لي عن الحبيب سيدنا محمد ﷺ والمحبة له بكلام ما سمعته من قبل ومن بعد، ثم انتقل إلى محبة الله.

وهو كالبحر المتلاطم الأمواج بعد ساعة تقريبًا يقول لي الشيخ محمد حداد: يا محمود سيدنا ما عاد يسكت والناس على الباب، استأذِنْ، فاستأذنتُ وأنا في أشدّ الوَجْد امتثالًا لأمر الشيخ محمد، وخرجت والدرج مملوء بالإخوان، وسرتُ وأنا لا أرى الدنيا سنينًا. وتذكرت أنني كنت أرى شيخًا بهيًّا في المنام ويأخذ قلبي من جماله فإذا هو النبهاني.

وأوّلُ معرفتي بسيدنا كان بيته في حارة الباشا، وكان سيدنا يأتي إلى صلاة الجمعة فكنت أنتظره في الطريق لأسلم عليه وأمشي معه فبمجرد ما يقع نظري عليه يسيلُ دمعي وأعيش بفرحٍ لا يوصفُ، وهذا لمّا كان المسجد القديم، وكان يدخلُ المسجدَ ويجلس في الجهة اليمنى ويترك الغترة في الغرفة، ويجلس متوجّهًا إلى القبلة وأجلس وراءه، فكنت من شدة الفرح لا أصدق أنني أرى مَلَكًا بهيئة إنسان.

وما كان سيدنا يعملُ ذكرَ حضرةٍ إلا نادرًا، فمرةً عمل حضرة، وكان يمرّ على كل واحد من إخواننا فما تدري ماذا يحدث للشخص من الحضور، وتكاد أرواحنا تطير من شدة اليقظة والفرح بالله، وكنت لما أُقبّل يده أراها ألينَ من الحرير فكنت أشمُّها.

آهًا لها من ليالٍ هل تعود كما كانت وأيّ ليالٍ عاد ماضيها
لم أنسها مذ نأت عني ببهجتها وأيّ أُنْسٍ مِنَ الأيام يُنْسيها[١]

هذه نبذة يسيرة، وكيف توصف الأذواق؟!

من لم يذق طعم العسل فكيف يعرف طعمه بالوصف؟

أنا ضامن عقله:

ولما رأى والدي -رحمه الله- عُزلتي والتجائي إلى الله ورسوله ﷺ خاف عليّ فجاء إلى سيدنا ﷺ وقال له: يا سيدي أنا أخاف على عقل محمود! فقال له سيدنا: لا تَخَفْ، أنا ضامنٌ عقلَه.

أول اجتماعي بسيدنا ﷺ كان اجتماعًا مباركًا مملوءًا بالشرح والتفصيل، سألته عن وِرْدٍ أقوم به، فقال: ما عندنا أوراد خاصة. وما وَرَدَ عن الرسول ﷺ نلتزم به. ولكن قل: الله شاهدي، الله ناظري، الله معي.

قلت له: عندي أوراد خاصة من المشايخ. فأجابني ﷺ: إن شئتَ قُلها وإن شئت اتركها. وفهمتُ أنّ مرادَه الشق الثاني (الترك).

وسيدنا لم يكن من مشربه الأوراد الخاصة. وكأن هذا خاص بمشايخ الطريق.

أنا عاصرت شيوخ عصري فما وجدت مثل سيدنا ولا من يقاربه.

---

(١) كاتبني الدكتور عثمان عمر المحمد قال: لما بلغ أستاذنا الشيخ محمود فجال -رحمه الله- نبأ انتقال سيدنا النبهان ﷺ، وكان في مصر في حي رابعة، ونحن في زيارته يكرر هذين البيتين، ويبكي بكاء حارًّا.

محمودٌ ابنُنا:

ذهب سيدنا مرةً إلى بيت عمي الحاج عبدو البيك وكانت في بيته مجموعة حلقة الشيخ محمد لطفي مع الحاج عبدو البيك، فسأله سيدنا أين الشيخ محمود؟ قال له: سيدي، الحلقة لا تريد أن يكون معنا أحد ليس منهم. فقال له: لا. هذا الشيخ محمود ابننا، فأينما كنتُ موجودًا يكن موجودًا.

الانتقال لطلب العلم في المؤسسات العلمية:

دَرَست في الشعبانية حينما كان مديرها الشيخ محمد الحكيم ثم الشيخ طاهر خير الله، وتكونت عندي فكرة العلم للعلم لا للشهادة، وتأثرت بهذه الفكرة بالشيخ محمد المعدّل الخطيب المصقع الذي يرتج المنبر تحت قدميه، وكان من المحبين لسيدنا ولم أكن قد التقيت بسيدنا وكان ينشد على مسامعنا قول شوقي:

واطلبُوا العلمَ لذاتِ العلمِ لا ... لشهاداتٍ وآرابٍ أُخَر

تشرفت برؤية طلعة سيدنا المباركة، ونهلت من معينه الفياض، والتزمت بتوجيهاته من السلوك والتربية وحبّ العلم، إلا أن فكرة طلب العلم مع الشهادة لم تشق طريقها إلى عقلي وقلبي وبخاصة عندما قرأت عددًا من الكتب على كبار الشيوخ من أهل العلم، وتمكنت في العلوم العربية والشرعية وكنت أقول: لا قيمة للشهادات والهدف العلم فقط.

حتى أنني قدمت امتحانًا في الأوقاف بمدينة حلب في خمس مواد للحصول على وظيفة الإمامة والخطابة فكنت الأول على مئة وعشرين متقدمًا من أهل العلم من بينهم حاملو شهادات جامعية وأنا لا أحمل إلا الكفاءة. وأخبرني بالدرجة الأولى الأستاذ رجب الهِيْب؛ لأنه كان موظفًا في الأوقاف. وعرضت عليّ الأوقافُ أكبرَ جامع شاغر في ذلك الوقت وكان جامع عمر بن عبد العزيز. ورفضت ذلك للبعد عن بيتي في الكلتاوية.

وعندما تزوجت وكان سيدنا مدعوًّا في بيت عمي الحاج عبدو البيك وبعد الطعام وقف سيدنا على المغسلة يغسل يديه والحاج عبدو وراءه ومعه المنشفة لسيدنا ووراءه زوجتي. فقال الحاج عبدو لسيدنا: ورائي زوجة الشيخ محمود.

فقال سيدنا لها: كيف حالك يا عروس مع الشيخ محمود؟

وكنتُ حديث عهدٍ بالزواج، فقالت: بخير ولكنْ لم يقدّم امتحانالبكالوريا.

فقال سيدنا: «يقطع خمله، قولي له: يقول لك سيدنا: قدم على البكالوريا».

وبعد أن غادر سيدنا البيت وجلسنا قال لي الحاج عبدو: اليوم زَوْجَتُكَ خبّصت (هكذا على اللهجة الحلبية). ثم قال لابنته: يا بنتي إذا كنت تريدين أن يقدّم زوجك على البكالوريا ولم يستجب لك فعليك أن تخبري سيدنا في أول السنة لا قبل الامتحان بعشرين يومًا.

فقلت: إذن لا بدّ من الاستجابة لأمر سيدنا والأخذ بالأسباب. وقلت لزوجتي: ابقي عند أهلك مدة الامتحان حتى ينتهي.

وذهبت إلى دار نهضة العلوم الشرعية وكنت قد أنهيت المناهج التي أُدرِّسها من شرح القطر والبلاغة الواضحة وغيرهما حيث كنا على أبواب الامتحان.

فأخبرت المدير الأخ الشيخ محمد لطفي بالأمر الذي جاءني من سيدنا فقال لي: البكالوريا في الثانوية الشرعية لا بدّ من التحضير لها سنة كاملة ثم ضرب مثلًا بنفسه بأنه انقطع سنة كاملة يحضر لها وبخاصة مادتا الرياضيات والإنجليزي حيث درسهما على أساتذة من خارج الثانوية. كما لخص كل المواد بدفاتر. ونجح ودخل الجامعة باستثناء وقرار من رئيس الوزراء الدكتور الشيخ معروف الدواليبي ونصه: «كل من يتخرج في الثانوية الشرعية يسمح له بالدراسة في كلية الشريعة بدمشق من دون النظر إلى تقديره».

ثم قال: لا يمكن أن تنجح وقد بقي لامتحان الثانوية الشرعية أيام. فقلت له: أنا مأمور، وما عليَّ إلا التنفيذ.

قال: إن رسبت هناك ضرر عليك وعلى الدار حيث شخصيتك قوية بين الطلاب ويهابونك فتذهب هذه المهابة من نفوسهم.

قلت: غير مهم. والمهم أن أنفذ الأمر.

طلبت من الشيخ محمد نبيه سالم أن يجمع لي الكتب، فجمعها وكانت كمًّا ضخمًا، وصرت أتصفح الكتب، ونجحت وانتسبت إلى كليتين كلية الشريعة بدمشق وكلية اللغة العربية في الأزهر فاقتصرت على الثانية وتركت الأولى.

كانت مواصلتي للدراسة بأمر سيدنا ﵁ وكان سلوكي هو طريق العلم، علمًا أنني أوّلُ ما وعيت أحببتُ العلمَ الشرعي، ففي الصف الثالث الابتدائي تعلمت الخط الحسن، واقتنيت كتبًا لا يقتنيها كبار العلماء في هذا السن، وصار لي هواية في شراء الكتب على قاعدة «شراء الكتب غنى وبيعها فقر» كما يقول شيخنا في النحو الشيخ عبد الرحمن زين العابدين، رحمه الله.

وتأثرت في فكرة عدم الدراسة لأجل الشهادة من أستاذنا في الصرف الشيخ محمد المعدل، إذ كان يردد قول شوقي:

واطلب العلم لذات العلم لا لشهـــاداتٍ وآراب أُخـــر

وحينما صاحبت سيدنا ﵁ غيّر مساري، بأنّ العلم والشهادات هو سيري وسلوكي، والفتح يكون فيه.

اللغة الإنجليزية والجبر:

كتبتُ له ﵁ رسالةً خاصة، ومما ذكرتُ فيها: أنني مُقَصِّرٌ في المدرسة بمادتين: الجبر، واللغة الإنجليزية، لشيئين:

لعدم ميلي إليهما، ولعدم وجود مَنْ أدرسهما عليه من أهل الصلاح.

رسالة الدكتور محمود فجال إلى السيد النبهان، وجوابه عليها

فأجابني بخط يده: «أمَّا عدم ميلك إليهما فهذا نقص، حيث نُرِيدُهُمَا لنتقوَّى على الخصم الداخلي والخارجي. والحقيقة العلم قوَّة للإنسان، مهما كان العلم، سواءً كان شرعيًا أم كونيًا، فيجب على الإنسان أن يتكمل، حتى يضع العلم في موضعه، حيث هو المكلف، وهو الواضع. فلا تُفَرِّقْ بين شرعي وكوني؛ لأنهما مرادان، وحاملهما أقوى من حامل أحد العِلْمين.

وأما وجود من تدرس عليه فاختر الأصلح، وكن في الرابطة، ولا تخشَ أحدًا. والسلام».

أستدينُ من نفسي:

«الله لا يضيمك لا في الدنيا ولا في الآخرة، والله معك» [١]

بلغ سيدنا أنني سأبيع بيتي في حيِّ الكلتاوية، فأرسلَ في طلبي، فحضرت إلى بيته بعد صلاة الفجر، وكان مريضًا في الفراش، فقال لي: سمعت أنك ستبيع بيتك!

قلت: نعم.

قال: لماذا؟

قلت: يا سيدي ألم تأمرني بمتابعة الدراسة، أنا الآن في مرحلة الماجستير والدكتوراه، وبحاجة إلى فلوس.

قال: كم يلزمك؟

قلت: بحدود ثلاثة آلاف ليرة مبدئيًّا.

قال ﷺ: أنا أعطيك، وقام من فراشه مسرعًا إلى خزينته ليعطيني.

فقلت له: أسألك بحبيبك رسول الله ألا تعطيني.

فلمّا سمع سؤالي بالحبيب الأعظم ﷺ رجع إلى مكانه وجلس، وكنت على علمٍ بالكلام الذي يُجلِسُهُ؛ لأنني لو أخذت منه شيئًا أشعر كأنّ الجبال أُطْبِقَتْ على رأسي، ولا أستطيع أن أمشي بين الناس خجلًا من ربي (أنا لا أبالغ، وإنّما هذا التشبيه جزء بسيط من واقعي).

---

(١) من أقوال سيدنا ﷺ عن الشيخ محمود، رحمه الله.

قال: يا ولدي، من أين ستأتي بالفلوس إذن؟

قلت: أستدين من نفسي.

قال: كيف تستدين من نفسك؟

قلت: أبيع بيتي، وحينما يغنيني ربي أشتري بيتًا.

قال: ممن تعلمت هذا الكلام؟

قلت: منكم سيدي.

قال: لا تبعِ البيت، وأنا أُعطيك.

وقام مرة ثانية بسرعة ليعطيني، فقلتُ له: أسألك بالحبيب الأعظم ﷺ أن تجلس، فجلس؛ لأنني سألته بعظيمٍ عنده.

قال: مني خذْ، ومن أبيك لا تأخذ؛ فأنا لا أمُنُّ.

قلت: أنا لا آخذُ منك ولا من أبي.

قال: لماذا؟

قلتُ: أنا لست تاجرًا معك، أنا صَحِبْتُك لله.

فما كان من سيدنا رضي الله عنه إلا أن ذرفت عيناه، وقال: الله لا يضيمك لا في الدنيا ولا في الآخرة، والله معك.

وودعته، وسافرت إلى القاهرة، وكان هذا آخر العهد به، عليه سحائب رحمات الله ورضوانه من مربٍّ كامل، يهتمُّ بنا حتى وهو مريضٌ في فراشه.

حاله وقت العسكرية:

كنتُ مجاورًا في الكلتاوية قبل خدمة العَلَم (الجندية الإلزامية)، ثم طُلِبتُ للعسكرية، فكنت أبكي كثيرًا، كيف أذهب إلى العسكرية وأنا رضيع وِصالهم؟

كنتُ أدرس مع الشيخ أبي الخير زين العابدين كتاب المصباح المنير للفيومي، وكان يراني أبكي، فكان يهدئني كثيرًا، ولكن ما أقتنع.

مَحّضتَني النُّصحَ لكن لَستُ أسمَعُهُ إنّ المُحِبَّ عَن العُذّالِ في صَمَمِ

ثم ذهبت إلى العسكرية وأنا بدون قلب؛ لأنني تركته في الكلتاوية، والبكاء ما كان ينقطع عني، وما كان أحد يشعر بمأساتي، والذي يشعر يصبرني، ولكن ما يدري أني لم أفطم.

والطفل يؤلمه الفطام:

وكانت عسكريتي في زمن الوحدة بين سورية ومصر، وبعد شهر واحد من عسكريتي قاد الانقلاب عبد الكريم النحلاوي، عام واحد وستين، وبعد سنتين تمامًا سُرِّحت من العسكرية.

ومدةُ العسكريةِ انشغلتُ بالدرس على الشيوخ، ومنهم:

الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، والشيخ حسن حبنكة، والشيخ إبراهيم اليعقوبي، فكنت أقرأ مع الشيخ حسن تفسير أبي السعود يوميًّا بعد الفجر، وأحضر بعد العشاء ليلة الجمعة لقراءة تفسير ابن كثير.

وكانت دورة الأغرار بالنسبة لي شهرًا واحدًا، فقد حُوِّلتُ إلى ثكنة الإشارة أمام جامعة دمشق لعمل الرسم والخط، وجاورت هناك في جامع المعلَّق بواسطة الشيخ عبد الوهاب، وهو قريب من بيته الملاصق لجامع التوبة.

فكنت إذن أقرأ على الشيوخ، وكنت أُدَرِّسُ شرح قطر الندى، ويحضر الدرس طلاب من الجامعة، وضباط الصف، كما كنت أُدَرِّسُ في الفقه كتاب مراقي الفلاح، في دار الحديث التي كانت مدرسة الإمام النووي.

ثم بعد أن سرحت من العسكرية ومدتها سنتان رجعت إلى المجاورة في الكلتاوية، وبعد رجوعي بسنتين تقريبًا فتح سيدنا المدرسة الكلتاوية، وكان لي الشرف بأن كنت أول أستاذ فيها.

حلقة تعالوا بنا نؤمن ساعة:

مِن أعمال السيد ﷺ قبل نشأة دار نهضة العلوم الشرعية توزيعُ إخوانه الخواص إلى خمس مجموعات، وكل مجموعة مرتبطة بأمير من أهل العلم ممن له قَدَم وقِدَم عند سيدنا ﷺ وهم الشيخ أديب حسون، والشيخ علاء الدين علايا، والشيخ محمد لطفي، والشيخ حسان فرفوطي، وكاتب هذه الكلمة (محمود فجَّال).

والهدف من هذه الحلقات: اجلسْ بنا نؤمن ساعة، وطلب العلم، والتواصي بتلاوة القرآن، وبصوم الاثنين والخميس. وكان لهذه الحلقات لقاءات مع سيدنا في بيت أحد الإخوان، ويُسمح بحضور ضيوف سيدنا وبعض الأفراد من حلقات أخرى بدعوة سيدنا أو صاحب الدعوة.

أوّلُ مُدَرس في الكلتاوية:

عُيّن الشيخ عبد الرحمن حوت مديرًا للمدرسة، وبدأنا باستقبال الطلاب بلجنة مؤلفة من سيدنا وكاتبِ هذه الأحرف. وكنا نقبل الطلاب بامتحان بسيط جدًّا بدون شرط الشهادة الابتدائية.

وكنت أمام سيدنا أقول للطالب: اقرأ واكتب، وأسأله بالحساب.

ثم يقول لي سيدنا: اكتبه ناجح، حتى أن أحد المتقدمين قلت له أمام سيدنا: اكتب عصفور، فرسم عصفورًا! فقال سيدنا: اكتب اسمه مع الناجحين.

وهكذا بدأت المدرسة وكنت أول أستاذ فيها باختيار سيدنا، وكنت وقتها مهتمًّا بالدروس على الشيوخ، ولم يكن عندي شهادات سوى المتوسطة لأنني غير

مؤمن بالشهادات (في وقتها)، ودرَّست في الصف الأول مادة الخط والنحو، ومما كلفت به أيضًا المراقبة الليلية.

وكلَّف سيدُنا الشيخَ بشير بتعليم القرآن، وبقية الأساتذة اختارهم سيدنا من إخواننا كحسان فرفوطي والشيخ أديب وغيرهم.

ثم افتتح سيدنا الصف الثاني والثالث، واختار أساتذة من إخواننا كالشيخ صالح بشير، والشيخ صالح حميدة، والشيخ نذير حامد لتدريس النحو في الصف الثالث، والشيخ علاء الدين علايا له دروس، والشيخ محمد حوت للمراقبة الليلية وغيرهم.

وقد درَّست القطر سبع سنوات، ودرّست البلاغة، ودرّست شرح ابن عقيل، وهكذا سارت المدرسة سيرًا قويًّا في العلم، وكل ذلك تحت إشراف وتوجيه سيدنا رضي الله عنه.

سيدنا يأمرك أن تدرّس شرح قطر الندى:

سمعت أنّ المدير الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- طلب أستاذنا الشيخ عبد الرحمن زين العابدين -رحمه الله- ليدرّس مادة النحو، والمقرر شرح قطر الندى لابن هشام، ولكنّ الطلبة وبالأخص المرحوم الشيخ محمود الزين كانت أسئلتهم كثيرة وبعضها مُحرج، فزعل الشيخ وترك التدريس، وهو أستاذي وهو متمكِّن في علم النحو ولكنه ترك ولم يعقب. لأن طبيعة طلاب الكلتاوية تعلموا على السؤال وهذا دليل الفهم، ولكن هذا الأسلوب لا يحلو لكل أستاذ.

والمرحوم المدير كان حريصًا أن يأتي بأستاذ يحمل شهادة جامعية، فطلب أيضًا الشيخ زهير الناصر وغيره، ولم يكن سيدي النبهان في حلب، وكان في قرية التويم، فذهب المدير إلى سيدنا ومعه الشيخ علاء الدين علايا فعرضا عليه الشيخ زهير وغيره لتدريس مادة النحو.

فقال سيدي لهما: لِمَ تفكران بفلان وفلان وتتركان الشيخ محمود فجَّال؟! اذهبا إليه في بيته وقولا: سيدنا يأمرك أن تدرّس شرح قطر الندى للصف الثالث.

وكنت صليت صلاة العشاء في جامعي في باب الأحمر، وصعدت أستنشق من نسمات عبير الكلتاوية فجلست متأملًا طربًا ترقص روحي من شدّة الوجد ومن تذكار حركات الحبيب التي تنخلع القلوب لمرآها وسماع كلامه الذي يخترق شغاف القلب لعذوبته. وما كنت أودُّ رؤية أحد.

فجاءني رجلان يمشيان إليَّ على استحياء وهما الشيخ علايا والشيخ لطفي، فقال الشيخ علايا -أعلى الله شأنهما في عليين-: نريد أن تذهب إلى البيت لنؤدي رسالة سيدنا إليك كما أمر سيدنا أن نذهب إلى بيتك.

فذهبت إلى البيت فحضرا، فبدأ الشيخ علايا يحدثني عما جرى تفصيلًا وأننا ذكرنا عدة أفراد لتدريس مادة النحو ليختار سيدنا، فعاتبنا سيدنا، وقال: لِمَ أعرضتم عن الشيخ محمود؟ اذهبوا إلى بيته إرضاءً له وتكريمًا وقولوا: سيدنا يأمرك أن تدرس شرح قطر الندى لطلاب الصف الثالث.

فامتثلت الأمر ودرَّسته سبع سنوات أُنهي الكتاب كاملًا في كل سنة. فأفدت واستفدت لأنني درسته لطلاب نجباء أوفياء.

أنا راض عنه كل الرضا:

كنتُ حينما أريد لقاء سيدنا أحسبُ له ألفَ حساب، أسألُ نفسي: هل أنا مقبول؟ هل أنا مطرود؟

كنت معه على وَجَل، أخشاه، أخافه خوف إجلال.

أهابُكِ إجلالًا وما بِكِ قُدْرَةٌ ... عليّ ولكن مِلْءُ عين حبيبُها

ما دخل على قلبي يومًا ما أنه راضٍ عني أو أنا قريب منه، أو يحبني، لا..لا. وإن كنت أشعر بالاطمئنان والارتياح حين الجلوس معه، بل كنت أشعر بكثرة الغفلة والذنوب، وأحاسب نفسي قبل اللقاء به، وكنت أطلب من بعض أصحابي أن يسأل عني سيدنا، هل هو راض عن محمود أم غاضب؟

فيقول سيدنا: «أنا راض كلَّ الرضا»، ثم يقول: «ومن قال أنا غير راض عنه يقطع خملهم».

أراقبُ نفسي فأراها غير مطهرة، فيها مأوى كل شر وإن كنت لا أؤذي أحدًا، ولا أشمت بمصيبة أحد)، لكنها غير مزكّاة، فيها الدنيا، وفيها الهوى، فيها الغفلة، وكلما داويت جرحًا سال جرح.

حينما أشرُف بمجالسة سيدنا ﵁ تنكشف لي غفلتي من فرقي إلى قدمي، وأشهد تقصيري، فأقول لنفسي: يا مأوى كل شرّ، إلى متى هذا الحجاب وهذه الغفلة؟!

وأخرج من مجلس سيدنا ﵁ بروحانية، ولا أريد أن ألقى أحدًا مهما كانت مرتبته، حيث تجدني كأني مع الملائكة وهو حاملني، وإذا سمعت مدحًا من سيدنا أستغربه ولا أطمئنّ لنفسي، أقول: هذا منسوب لله- عزّ وجلّ- لا تأمنْ مكر الله.

سمعت سيدنا ﵁ يقول: الصاحبَ الصاحبَ، الصاحبُ الصادق الذي يريكَ نفسَك على ما هي عليه، لا يريك زيادة ولا نقصانًا، لا تشتر مرآة تكبّر وتصغّر، بل اجعل لنفسك مرآة حجريَّة تريك الشيء على ما هو عليه. اهـ.

وأخيرًا، وما بالذات لا يزول!

ستشاهد كل ذلك ذوقًا بنَفَسٍ واحد:

كتبت بخط يدي كتاب بوارق الحقائق نسخة أحضرها لي الشيخ محمود مهاوش -رحمه الله-، فكتبت نسختين واحدة لي والثانية له، ثم استحييت أن أبقي

نسختي عندي فقدمتها لسيدنا. ولكن سيدنا قال لي: (اتركها عندك، ولما تأتيك المحبة ستشاهد كل ذلك ذوقًا بنَفَسٍ واحد)، ثم قال لي: الفتوحات المكية عند العارف كألف باء.

فاللهَ تعالى أسألُ أن يرزقنا المحبة الصادقة؛ لنصل إلى ما وصل إليه من محبة الله ورسوله، ﷺ.

رسالة إلى سيدنا رضي الله عنه:

مرةً كتبت رسالة إلى سيدنا متعلقة بأمر زواج. وأرسلتها إلى سيدنا ليعطيني الجواب، وأنا كنت أخشى من غضب سيدنا، فقلت للشيخ محمد لطفي: ادخل لعند سيدنا، واستمع ماذا سيكون تعليقه على الرسالة. قرأ سيدنا الرسالة، وقال: جاءتني هذه الرسالة تعلّم العارف بالله كيف الأدب مع الحضرة الإلهية.

مبشرات رآها -رحمه الله-:

رأيت سيدنا في المنام في ربيع الأول عام ١٤١٩هـ وهو مستلق على الفراش فوق الكعبة في الحرم المكي الشريف، وحول الكعبة إخواننا وهو يتحدّث إلينا.

وكان من عادته -رحمه الله، ورضي عنه- في حال حياته يستلقي على سريره في الكلتاوية بعد العِشاء أمام غرفته للنوم ونحن حوله وهو يذاكرنا إلى أن ينام.

ورأيتُ في المنام في أشهر الحج أنني في الكلتاوية، وهي واسعة، فنظرت من علُ، فإذا بي أرى فيها المسجد الحرام والكعبة، والمسجد النبوي والقبة الشريفة.

فتعجبتُ وقلت في نفسي: ما دام المسجدان الحرامان هنا، والحج هنا، فَلِمَ يتهيَّأ الناس للذهاب إلى الحج في بلاد الحجاز؟! هذه الرؤيا من خمسين سنة تقريبًا.

ورأيت في المنام -في أوَّل معرفتي- بسيدنا أنني في «الجامع الكبير» بحلب داخل المسجد أسمع صوتًا خافتًا متواليًا:

يا محمود يا محمود يا محمود!

فاتجهتُ نحوَ الصوت، فإذا هو صوت سيدنا، وكان جالسًا في حجرةٍ بجانب مقام سيدنا زكريا، والحجرةُ مملوءة بالكتب.

فقلت: نعم يا سيدي. فقال: أنا أُناديكَ من زمنٍ فأين أنت؟! ووجدتُ مكتوبًا على باب الحجرة بخطٍ جميل مُذْهب: «ولا تعرِّج على غيرِ أهلِ الصدقِ».

محمود من الدرجة الأولى:

كتب لنا الشيخ أحمد الحوت -رحمه الله- قال: سمعت أنا من سيدنا ﵁ يقول عن أستاذنا الفاضل محمود فجال: (عندي الشيخ محمود من الدرجة الأولى).

تلاميذه:

قرأ على يديه مئات طلاب العلم في التعليم الرسمي، وفي الحلقات العلمية في المساجد والمنزل، قرابة خمسين عامًا قضاها في التعليم.

ففي مدينة حلب كان يُدرِّس في دار نهضة العلوم الشرعية قرابة ثلاثة عشر عامًا.

وفي مدينة أبها درَّسَ اثني عشر عامًا في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية النحو والصرف والعروض، في قسم اللغة العربية وقسم الشريعة، منذ عام ١٣٩٨هـ إلى عام ١٤١١هـ.

وبعد ذلك درَّس أحد عشر عامًا في مدينة الأحساء في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، في أقسام اللغة العربية، والشريعة، وأصول الدين، إلى عام ١٤٢٢هـ، فتخرَّج مئات الطلاب والطالبات على يديه.

أعماله الوظيفية:

تصدَّر للتعليم في مدينة حلب في دار نهضة العلوم الشرعية، وفي الحلقات العلمية، وكان خطيبًا في مساجد عِدَّة، وبعد حصوله على درجة الدكتوراه العالمية من جامعة الأزهر بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى ارتحل إلى المملكة العربية السعودية، فدرَّس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خمسةً وعشرين عامًا في مدينتي أبها والأحساء، وشَغَل عِدَّة مناصب إدارية، منها وكالة قسم اللغة العربية، ثم رئاسته بجامعة الملك خالد (وكان اسمها آنذاك كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها)، وعضوية المجلس العلمي في جامعة الإمام، ورقى إلى درجة الأستاذية، ثم انتقل إلى وزارة الشؤون الإسلامية مستشارًا لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الشيخ صالح آل الشيخ.

شارك في مناقشة كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وتحكيم الإنتاجات العلمية، للنشر في المجلات العلمية أو للترقية إلى رتبتي أستاذ مشارك، وأستاذ.

درَّس في جامعة المعرفة العالمية على الشبكة المعلوماتية.

قرأ عليه آلافُ الطلابِ النحوَ والصرفَ والعروضَ واللغةَ والقراءاتِ القرآنيةَ.

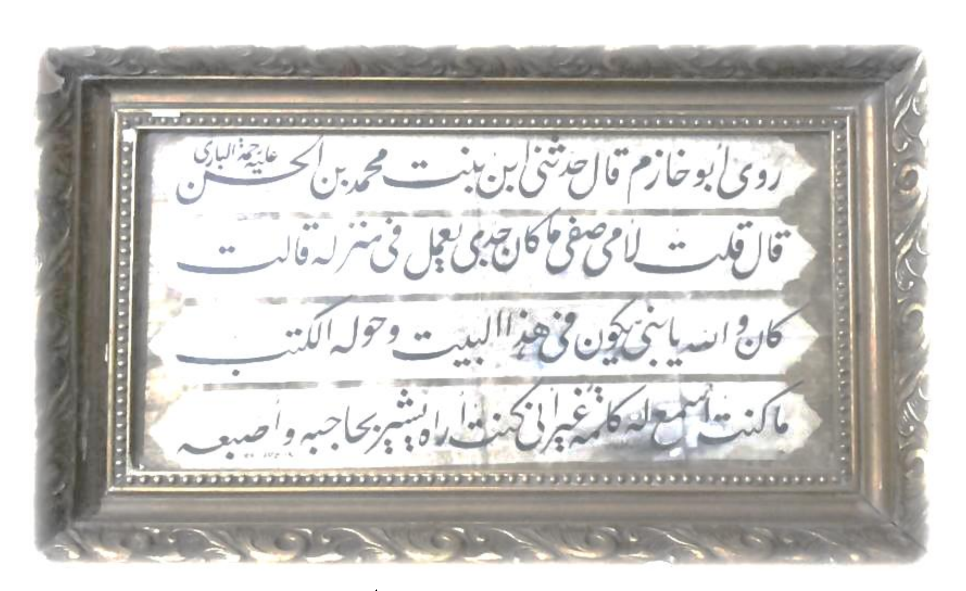
رحلته مع الخطّ العربي:

أخذ الخطَّ الرقعي وعمره عشر سنوات، في مدينة حلب عن الأستاذ «عبد القادر جاويش»، في مسجد حيّ «المستدامية»، ثم تدرَّب على سائر الخطوط العربية فيما بعد على خطاط حلب الشهير الأستاذ «إبراهيم الرفاعي».

ويحكي -رحمه الله- أنه بعد مدة يسيرة من التحاقه بحلقة الأستاذ عبد القادر جاويش امتنع الأستاذ من كتابة سطر له، وعندما راجعه والده -رحمه الله- ليعرف السبب قال له: «خطه صار مثل خطي».

فقد كان -رحمه الله- يتميَّز بحدة الذكاء، وسرعة الفهم، والمهارة الكبيرة في إتقان كل جديد، فأجاد أغلب الخطوط العربية، وكان ماهرًا في الرسم، مع أنه مقلّ فيه.

وكان يكتب مؤلفاته بخطه الرقعي الجميل، وعندما يدفعها إلى الطباعة يُصِرُّ أصحاب المطابع على طباعة الكتاب بخط المؤلف نفسه، ولا تُعاد كتابته بالحاسوب، إلا أنه لم يكن يوافق على ذلك.



نموذج من خطه (رحمه الله)

رحلته مع الكتب:

كان -رحمه الله- يهوى الكُتُب، ويقتنيها منذ صغره، وأصبح عنده مكتبتان كبيرتان، إحداهما في مدينة حلب بسورية، والأخرى في مدينة الرياض، تحتوي المكتبتان على آلاف الكتب النفيسة، ذوات الطبعات الفاخرة القديمة، في أكثر من خمس وثلاثين خزانة.

وفي مقابلة صحفِيَّةٍ معه وقد سُئل عن الكتب قال الآتي:

هوايتي في الحياةِ (الكتابُ) أَعْشَقُهُ، وأهيمُ به، وهو ليلايَ ولُبْنايَ، وأرغبُ الطبعـاتِ المشرقَة، المنوَّرةَ المصحَّحَة، والمطبوعةَ على الورقِ الأبيضِ الصقيل.

وكان البدءُ لاقتنائي الكتاب في العاشرةِ من عُمُري، اشتريتُ وأنا طفلٌ «صحيح مسلمٍ»، طبع البابي الحلبي، غيرَ مشكول، وبعضَ أجزاء من «المبسوط» للسرخسي، ويبلغ ثلاثين جزءًا، أملاه مؤلفه وهو مسجون في الجب.

كما اقتنيت تفسير «الكشاف»، وطبـع في آخر الجزء الرابع «الكافي الشاف» لابن حجـر.

و«الأعلام» للزركلي الطبعة الأولى، وكانت في ثلاثة أجزاء كاملة على ورقٍ أصفرَ، وهي باكورةُ «الأعلام»، فالظاهر أنّ «الزِّرِكْلِيَّ» زاد فيه حتى أصبحَ بهذا الحجمِ الكبيرِ الذي وَصَلَ إليه الآن.

و«الترغيب والترهيب» للمنذري في خمسة مجلدات على ورقٍ أبيضَ مصقول.

و«حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» الطبعة الأزهرية.

وكانت أمي الطيبة - رحمها الله - تطاردني، وتقول لي: أنتَ تقرأُ في هذه الكُتبِ الصفراءِ، ولا تذاكرُ دروسَك، فكيف ستنجحُ؟! وكنتُ يومها (في الصف الرابع الابتدائي، في مدرسة النصر بحلب)، والورقُ الأصفرُ هو العلامةُ المميزةُ لها من الكتبِ المدرسيةِ، وربما كانت تُوبِّخُني وتُعَنِّفُني، ولكنني لا أَرْعَوِي عن محبوبي، ولا أهتمُّ بعذلِ العذَّالِ، وأتمثَّلُ بقولِ القائل:

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنَّ المُحِبَّ عنِ العُذَّالِ في صَمَمِ

وحينما كنت أرى كتابًا في المكتبة وأُريد شراءَه، ولا أملكُ ثمنَه لا يَهْدَأُ لي بالٌ، ولا يرتاحُ لي قلبٌ، ويذهبُ النومُ من عَينيَّ حتى أجمعَ ثمنَه لشرائه، وأضمَّه إلى مكتبتي، وكم أكونُ حزينًا منكسِرًا إن فُقِدَ الكتابُ مني، أولم أستطعْ أن أَشْتَرِيَه.

مشايخه:

تلقَّى -رحمه الله- العلوم الشرعية واللغوية في الحلقات العلمية على أيدي كبار العلماء في مدينتي حلب ودمشق، وقد اعتنى في أول أمره بتزكية النفس، وبالعلوم الشرعية من الحديث النبوي الشريف والفقه، واعتنى كذلك بالقرآن الكريم، والمنطق، والنحو، والخطّ، والسلوك، وتولَّى بعد ذلك التدريس في الحلقات العلمية وفي دار نهضة العلوم الشرعية، ثم في مرحلة البكالوريوس والدراسات العليا تخصص في اللغة العربية لتكون معينًا له على العلوم الشرعية.

وكان من أشهر العلماء الذين أخذ عنهم في مدينة حلب:

الشيخ محمد نجيب خياطة (القرآن والتجويد).

والشيخ عبد الله سراج الدين (علم الحديث ومصطلحه).

والشيخ محمد الملاح (الفقه الحنفي).

والشيخ محمد الرشيد، الفقيه الحنفي الكبير.

والشيخ محمد أسعد العبجي، مفتي الشافعية (أصول الفقه الشافعي).

والشيخ عبد الرحمن زين العابدين (النحو والصرف والبلاغة).

والشيخ عمر عنداني (النحو والصرف والبلاغة).

كتب لنا عنه الشيخ محمود فجال، رحمه الله: درست على الشيخ عمر عنداني كتاب شرح الأزهرية للشيخ خالد الأزهري، وكنا نقرأ أحيانًا في حاشية العطار عليه، وكان عمري لا يتجاوز الرابعة عشر، ومكان الدرس جامع البياضة أسفل جامع الكلتاوية، ويقرأ الدرس لي وحدي، وكان الشيخ عمر هذا حافظًا متقنًا، وكنت أمشي معه إلى جامع الشيخ أبي بكر يصلي فيه إمامًا، وكنت لا أسمع منه أي كلمة؛ لأنه كان كثير الصمت إلا في العلم، وكان من العارفين بسيدنا النبهان تمامًا؛

لأنه في سنّ سيدنا، وكان في حلب قد ظهر شيخ مربٍّ له تلاميذ كثر، وله حضرة ذكر، -وسيدنا لم يعمل ذكرًا وإنما يربي أصحابه بالمذاكرة وبالنظر ويحببهم بالعلم-، فقلت للشيخ عمر: أيهما أفضل الشيخ فلان أم الشيخ النبهاني؟ وكنت قريب العهد بالمجيء إلى سيدنا، فقال بحماس: يا ولدي حضور مذاكرة واحدة عند الشيخ النبهاني أفضل من سبعين مجلس ذكر عند فلان. اهـ.

ومن شيوخه:

الشيخ محمد المعدل، والشيخ أحمد المصري، والشيخ حامد هلال، والشيخ جميل عقَّاد، والشيخ عبد الوهاب سكَّر، والشيخ سامي بصمه جي، والشيخ محمد زين العابدين جذبة، والشيخ مصطفى مزراب، والشيخ محمد أبو الخير زين العابدين.

وفي مدينة دمشق أخذ عن بعض العلماء أمثال:

العلاَّمة الشيخ عبد الوهاب الحافظ الشهير بدبس وزيت (الفقه الحنفي والأصول)[١].

قال، رحمه الله: كنت أقرأُ مع الشيخ عبد الوهاب (الاختيار لتعليل المختار) في الفقه الحنفي، وإن لم أحضر الدرس-حتمًا بإذنٍ منه- لا يقرأُ الدرسَ، ويحوّله إلى قراءة القرآن الكريم، ويقول: لم يحضر محمود.

---

(١) الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت (١٣١١-١٣٨٩هـ): الفقيه الحنفي، المقرئ، الزاهد، عبد الوهاب بن عبد الرحيم، الحافظ، الشهير بدبس وزيت، ينتهي نسبه إلى سيدنا عبد القادر الجيلاني، أغلب أفراد أسرته من الحفاظ، ولد في حي العقيبة بدمشق، حفظ على والده، ثم أعاد قراءته على الشيخ محمد سليم الحلواني شيخ القراء، ومن شيوخه في العلم: الشيخ محمود ياسين، والشيخ أمين سويد، والشيخ محمود العطار، والشيخ محمد بدر الدين الحسني، والشيخ محمد عطا الكسم، وأخذ الطريقة النقشبندية على الشيخ عيسى الكردي، توفي في دمشق ودفن في مقبرة الدحداح. انظر «نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر» (٨٤٠).

وكان الشيخ يحبُّ أن أتحدَّثَ له عن شيخي وسيّدي محمّد النّبهان ﵁ يوميًّا بعد انتهاء الدرس لمقدار نصف ساعة، وكان يتشوق للقاء سيدنا النبهان شخصيًّا أو جسديًّا. وطلب مني أن أعرفه عليه، فاستأذنتُ سيدنا لزيارته، فرحب سيّدنا بذلك، وحين اجتمعا تحدث الشيخ (دبس وزيت) بما اختصَّ به من علوم، ثم سكت، فتحدث سيّدنا ﵁ في المحبة الإلهية ومراتب الإحسان، فدهش الشيخ به، وقال له: ادعُ الله لي يا سيّدي أن يحشرني تحت لوائك يوم القيامة. وقد قال عنه سيدنا ﵁: الشيخ عبد الوهاب نادرة في العلماء.

زار أبو حنيفة الصغير في عصره الشيخُ عبد الوهاب دبس وزيت -رحمه الله- سيّدَنا النبهان ﵁ وبصحبته الشيخ ملا رمضان البوطي الرجل الصالح، ونادى سيدي ومولاي السيد النبهان -نوّر الله ضريحه-: يا محمود: تعال إلى شيخك. فجئت على استحياء وأنا في غاية الخجل، وقبلت أيديهم، ففي الغرفة سيدنا والشيخان وخادم سيدنا فاضل قربللي -رحمه الله- وكاتب هذه الأحرف.

ووضع لهم الطعام صينية كباب مشوي بالفرن، وفي هذا اليوم كان لسيدنا حال قوي لم أر مثله من قبل، يطعمهم بيده وينادي بصوت عالٍ شجيّ: «ضيوفك يا رب، أكرمهم» يكررها مرّات.

اللّٰهُمَّ اجعله ذا الجناحين من علماء الظاهر والباطن:

ثم تحدث الشيخُ عبد الوهاب عن كاتب هذه الحروف بثناءٍ كثيرٍ أستحيي أن أذكره، ثم طلب الشيخ عبد الوهاب من سيدنا الشيخ محمد النبهان الدعاء لي فقال سيدنا: ادعُ أنت وأنا أؤمن، فدعا الشيخ عبد الوهاب لي كثيرًا، وسيدنا يقول: آمين، آمين، ومن جملة الدعاء: اللّٰهُمَّ اجعله ذا الجناحين من علماء الظاهر والباطن، وعند وداعهما لسيدنا قال لي سيدنا: اذهب معهما إلى المطار. هذا خلاصة المجلس، وهناك كلام خاص لا أتذكره. وقد كان الشيخ عبد الوهاب من الأبدال. اهـ.

هذه الرسالة من الشيخ عبد الوهاب بعد هذا اللقاء مع شيخنا بمجرد وصوله إلى دمشق -رحمه الله- وصلتني من سيدنا بواسطة الحاج مصطفى سروجي، رحمه الله.

ونصها:

« سيدي مربي السالكين ومرشد الكاملين المستمد من بحر سيد المرسلين المربي الكبير العلامة الأستاذ الشيخ محمد أفندي حفظه المعيد المبدي آمين .

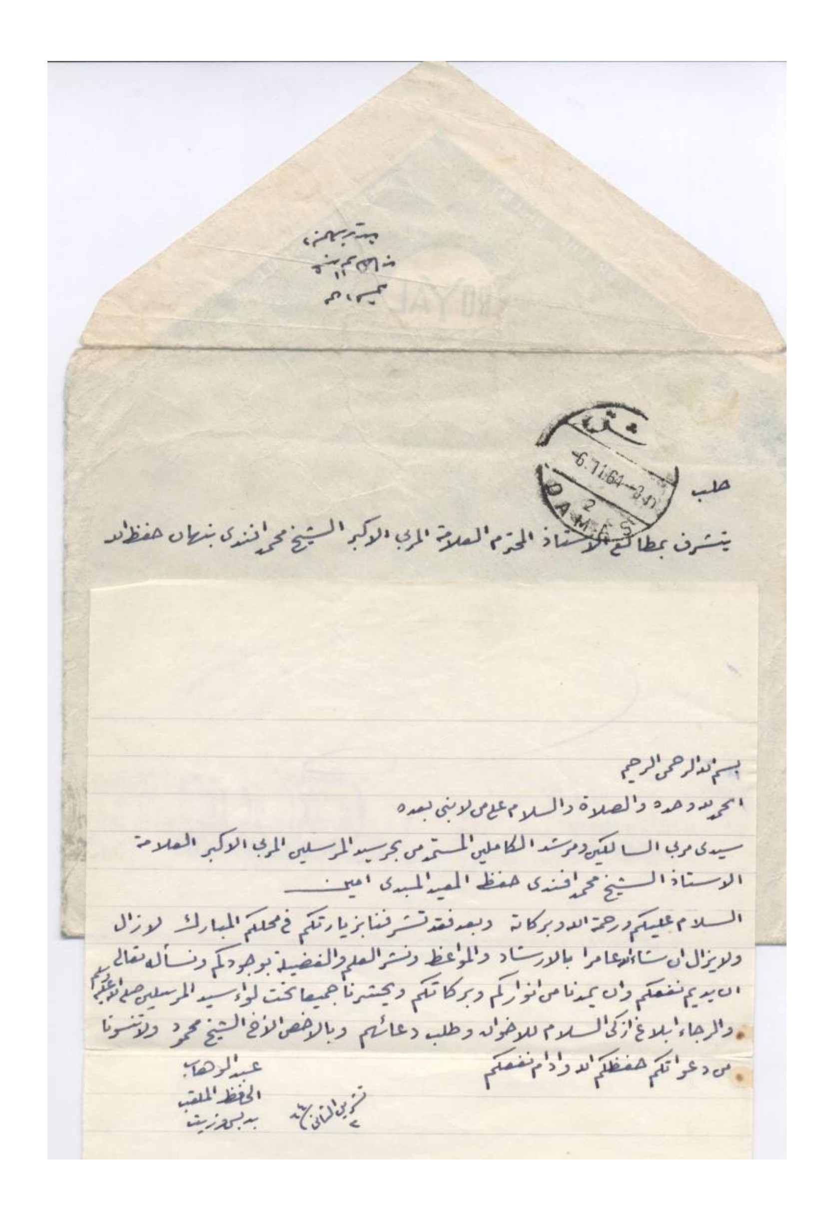
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: تشرفنا بزيارتكم في محلكم المبارك لا زال ولا يزال إن شاء الله عامرًا بالإرشاد والمواعظ ونشر العلم والفضيلة بوجودكم، ونسأله تعالى أن يديم نفعكم، وأن يمدنا من أنواركم وبركاتكم ويحشرنا جميعًا تحت لواء سيد المرسلين ﷺ.

والرجاء إبلاغ السلام للإخوان وطلب دعائهم وبالأخص الأخ الشيخ محمود فجَّال، ولا تنسونا من دعائكم . حفظكم الله وأدام نفعكم.

تشرين الثاني ٦٤

عبد الوهاب الحافظ

الملقب بـ (دبس وزيت) ا.هـ »



دمشق
6.11.64
DAMAS 2

حلب

يتشرف بمطالعته الأستاذ المحترم العلامة المربي الأكبر الشيخ محمد أفندي نبهان حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

سيدي مربي السالكين ومرشد الكاملين المستمد من بحر سيد المرسلين المربي الأكبر العلامة
الأستاذ الشيخ محمد أفندي حفظه المعيد المبدي آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تشرفنا بزيارتكم في محلكم المبارك لا زال ولا يزال إن شاء الله عامرًا بالإرشاد والمواعظ ونشر العلم والفضيلة بوجودكم ونسأله تعالى أن يديم نفعكم وأن يمدنا من أنواركم وبركاتكم ويحشرنا جميعًا تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والرجاء إبلاغ أزكى السلام للإخوان وطلب دعائهم وبالأخص الأخ الشيخ محمود ولا تنسونا من دعواتكم حفظكم الله وأدام نفعكم

عبد الوهاب
الحافظ الملقب
بدبس وزيت

تحريرًا في تشرين الثاني ٦٤

رسالة الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت إلى السيد النبهان

مع الشيخ إبراهيم اليعقوبي:

قال الشيخ محمود -رحمه الله-: لما كان عمري عشرين عامًا التقيت العلامةَ التقيَّ الصالحَ الشيخَ إبراهيم اليعقوبي الحسني -رحمه الله- في دمشق، وهو آيةٌ في العلوم النقلية والعقلية، ويكاد لا تغيب عنه المذاهب الأربعة الفقهية، قرأتُ عليه كتابَ شرح السُّلَّم للدمنهوري وأنهيته، وشرح السّلّم للملوي ولم نكمله، وكلاهما في المنطق، وشرحَ ابن عقيل على الألفية ولم نكمله.

والعالم الجليل الشيخ محمد أبو الهدى اليعقوبي لم يولد حينما درستُ على والده، وعلمُه كلُّه من والده مع الدراسة التقليدية، وأنا زرتُ والدَه بعد الدكتوراه فكان ملازمًا لوالده من صغره. اهـ.

ومن شيوخه:

الشيخ حسن حبنكة الميداني (التفسير والنحو).

وفي مدينة القاهرة أخذ عن بعض الأساتذة الأجلاء أمثال:

الأستاذ الدكتور محمد رفعت محمود فتح الله.

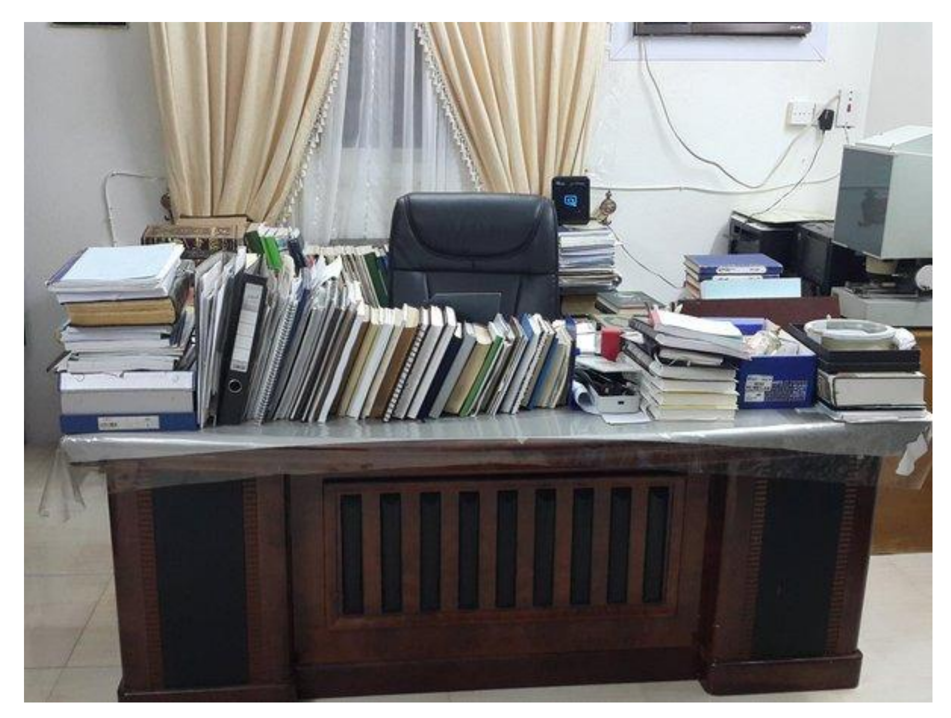
والأستاذ الدكتور عبد السلام محمد هارون.

والأستاذ الدكتور أحمد حسن كحيل.

والأستاذ الدكتور محمد طه الزيني.

إضافةً إلى من تلقَّى عنهم العلم في الثانوية الشرعية بحلب، وكلية اللغة العربية في الأزهر.

وكان مشايخه يصفونه بالنبوغ والذكاء، وبعضهم يأبى أن يقرأ الدرس إن لم يحضر (الشيخ محمود).



مكتبه في منزله (رحمه الله)

مؤلفاته:

صنَّف كثيرًا من الكتب في علم النحو وأصوله والفقه، وقد طُبع كثير منها في حياته، ولقيت قبولًا كبيرًا، وكُتِب فيها تقريظات كثيرة.

وله تحقيقات متعددة مطبوعة، وبحوث علمية منشورة في مجلات مُحكَّمة، ومقالات منشورة في صحف اليومية، تربو عناوينها على السبعين، منها:

١- كتاب (الحديث النبوي في النحو العربي).

٢- كتاب (السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي).

٣- كتاب (ارتكاز الفكر النحوي عند سيبويه على الحديث والأثر).

٤- كتاب (الإصباح في شرح الاقتراح للسيوطي).

٥- كتاب (القلائد الذهبية في قواعد الألفية)

٦- كتاب (سبل الهدى في تهذيب شرح قطر الندى).
٧- كتاب (الوافية في علمي العروض والقافية).
٨- كتاب (الصحيح والضعيف في اللغة العربية).
٩- كتاب: (التدريب على الإعراب في النحو العربي).
١٠- تحقيق كتاب (الاقتراح في علم أصول النحو وجدله للسيوطي).
١١- تحقيق كتاب (فيض نشر الانشراح من روض طيِّ الاقتراح لأبي الطيب الفاسي).
١٢- تحقيق كتاب (تخريج أحاديث الرضى على شرح الكافية).
١٣- تحقيق كتاب (الكافي في شرح الهادي للزنجاني). (وهو رسالته للدكتوراه).
١٤- تحقيق كتاب (شرح قواعد الإعراب للكافيجي). (وهو رسالته للماجستير).
١٥- تحقيق كتاب (معيار النظار في علوم الأشعار).
١٦- تحقيق رسالة في إعراب حديث: «كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل لابن هشام».
١٧- تحقيق رسالة في (نسبة الجمع لابن كمال باشا).
١٨- تحقيق رسالة (الإذن إلى توجيه «لاها الله إذن» للسيوطي).
١٩- كتاب (روح وريحان) وهو مجموعة مقالات في القرآن الكريم.
٢٠- كتاب (الإبانة عن حمل الإنسان للأمانة)، شَرَحَ فيه قوله تعالى: إنَّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا) (الأحزاب ٧٢).
٢١- كتاب (القول المبين في معنى قوله تعالى: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين)
٢٢- كتاب (أحكام الحج على المذاهب الأربعة).
٢٣- كتاب (الخلق العظيم في حروب الرسول الكريم ﷺ).
٢٤- كتاب (الإعلامُ عن حركةِ راءِ «اللهُ أكبرُ» في الإعلامِ)

٢٥- كتاب (القرآن الكريم منهج متكامل لإصلاح المجتمع).
٢٦- كتاب (الروضة الندية) في السلوك.
٢٧- كتاب (الطريق إلى طلب العلم).
٢٨- كتاب (أبو بكر الصديق رضي الله عنه فضائل، خصائص، مواقف).
٢٩- كتاب (أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضائل، خصائص، مواقف).
٣٠- كتاب (فضل اللغة العربية على اللغات كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب).
٣١- كتاب (تحقيْقُ مَعْنَى إِضَافَةِ الأَوْقَافِ إِلى الأَمْوَاتِ).
٣٢- كتاب (مقالات في السياسة والمجتمع).
٣٣- كتاب (النحو قانون اللغة وميزانُ تقويمها).
٣٤- كتاب (كنز الأخيار في الجمع بين اللباب والاختيار) في أحكام الفقه الحنفي.
٣٥- كتاب (فوائد ومختارات).
٣٦- بحث: الحديث النبوي ينبوع فيَّاض للنحو العربي.
٣٧- مقال: عقودُ الجُمان في أمثال القرآن.
٣٨- بحث: ضرائر النثر في النحو العربي.
٣٩- بحث: قضايا نحوية حول التناسب في الفاصلة القرآنية.
٤٠- بحث: الضرائر الشعرية والنثرية في النحو العربي.
٤١- بحث: في التراث الإسلامي العربي وقيمته الحضارية.
٤٢- بحث: الاحتجاج في العربية: المحتج بهم - زمان الاحتجاج.
٤٣- بحث: توجيهات نحوية للحديث النبوي: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا.
٤٤- بحث: النحو العربي: ادعاء صعوبته - طريق معرفته.
٤٥- بحث: نظرات نحوية في لغة طيِّئ.
٤٦- بحث: الزنجاني: حياته ومؤلفاته.
٤٧- بحث: الكافيجي: حياته ومؤلفاته.

٤٨- بحث: ابن كمال باشا: حياته ومؤلفاته.
٤٩- بحث: عبد القادر البغدادي: حياته ومؤلفاته.
٥٠- بحث: أولًا وسلاسلًا عربيتان فصيحتان محكيتان.
٥١- بحث: مواضع استعمال حروف الجر مع الفعل أرسل.
٥٢- بحث: شيوع الألفاظ والتراكيب الأعجمية وأثره في اللغة العربية.
٥٣- محاضرة: الطريق إلى طلب العلم.
٥٤- محاضرة: قيمة المخطوطات.
٥٥- محاضرة: ملحة الآداب في حلية الطلاب.

وغيرها من التآليف والتحقيقات والبحوث والمختصرات ومختارات الفوائد.

وفاته:

انتقل إلى رحمة الله تعالى ظهر يوم الخميس الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٤٣٧هـ، وصُلِّي عليه في جامع الراجحي بمدينة الرياض، ووري جثمانه الثرى في مقبرة النسيم، وقد نعاه أبناؤه وطلابه ومحبوه شعرًا ونثرًا، وأُعلنت وفاته في الصحف والقنوات الفضائية ومواقع الأخبار في الشبكة العالمية.

وكان يومُ وفاتِهِ خلاصةَ حياتِهِ كاملة، فقد كان يومُه الأخير في هذه الدنيا في قيامٍ وذكرٍ وصلاةٍ وعلمٍ واجتماع مع أسرته، وقد نقل من على مائدة العلم في موضع صلاته إلى مثواه الأخير، آنسه الله وطيّب ثراه من طيب الجنَّة وزادها ضياءً ونورًا.



قبر الدكتور محمود فجَّال (رحمه الله)

قال فيه الشيخ محمد أبو الهدى اليعقوبي:

بَدْرُ السَّماءِ تَبَدَّى اليومَ مكتئبًا ... ينعي المكارمَ والأخلاقَ و الأدبا
ينعي إمامًا عَلا في العلم مَنْزِلةً ... فوق السِّماك تُسامي الأنجم الشهبا
بَحْرُ البيان إمامُ النحو ذُو أَدَبٍ ... جمٍّ وفضل به قد جاوز السُّحُبَا
فَلْتَبْكِ محمودَ هذا اليومَ مكتبةٌ ... مِنَ التآليف فيها العلم قد كُتِبا
فلتبك محمود هذا اليوم كوكبةٌ ... مِنَ التلاميذ صاروا سادةً نجُبا
عليه من رحمات الله صيِّبها ... تَسْقِي ثراه بغيثٍ سَحَّ مُنْسَكِبا

رحمه الله، آنسه الله، جمعه الله بأحبابه في عليين.

رثاؤه:

كتب العلامة الدكتور محمد فاروق النبهان حفيد السيد النبهان[١] رضي الله عنه:

انتقل إلى رحاب الله صباح اليوم في الرياض الأخ الصديق العالم الكبير الباحث المتمكن الأستاذ الدكتور محمود فجال -رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته- عرفت الأخ الشيخ محمود فجال منذ أكثر من خمسين عامًا في الكلتاوية النبهانية، وكان من الملازمين لمجالس الجد السيد النبهان، والمحبين له، والصادقين، وكان محبًّا للعلم ويبحث عن مجالس العلم في كل مكان، ويتصل بالعلماء. ويأخذ عنهم العلم، وكان ملازمًا للكلتاوية ولم ينقطع عنها، وكان يتميز بأخلاقية العلماء في حياته وحديثه ويتميز بالأدب والهدوء والحكمة، وكان عالمًا متمكنًا، وأهداني بعض كتبه العلمية، وهو من أعمدة الكلتاوية العلمية، ومن أساتذة علمائها ورموزها، وكان يتميز بالاستقامة والاعتدال، وكان يحظى بمكانة لدى السيد النبهان -طيب الله ثراه- وقد أطلعني على بعض ما كتبه من ذكرياته عن السيد النبهان ويملك الكثير مما يحتفظ به في ذاكرته وهو ممن يوثق بما يرويه فهمًا ودقةً وحفظًا وأمانة، وأتمنى أن تنشر بعض هذه الذكريات المهمة والمعبرة، وكان مما أوصاه السيد النبهان به كما حدثني بنفسه أن تكون عبادته هي العلم، وأن يتفرغ له، ولا شيء غيره، وكان دقيقًا في تحقيقاته العلمية.

وإنني أقدم صادق العزاء والمواساة لأسرته الصغيرة، وأنجاله، وإلى أسرته الكبيرة الأسرة النبهانية، وإلى الأسرة العلمية في كل مكان، فقد أضاف الكثير من عطائه العلمي في مجالات اختصاصه اللغوي والشرعي. أدعو الله أن يتغمده برحمته الواسعة وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) فضيلة الدكتور في صفحته بالموقع الاجتماعي (فيس بوك): (mfnabhan)، على الرابط التالي: https://www.facebook.com/mfnabhan. الاقتباس كان بتاريخ ٢١ أكتوبر ٢٠٢٠م.

وكتب لي الشيخ العلامة جمال شاكر النزال:

الحمد لله الحي الذي لا يموت، صاحب العزة والجبروت، والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن وآله وأصحابه أجمعين، والرضى عن سيدنا محمد النبهان، قدس سره الشريف.

إني أُعَزيكم لا على أَمَلٍ مِنَ البقاء ولكن سُنَّةُ الدِّين
فلا المعزّى بباق بعد ميته ولا المعزيّ وإنْ عاش إلى حين

هكذا هي الدنيا نزول وارتحال، ونعم الختام يا شيخ محمود فجال.

لقد عرفناك وأنت شاب في الحضرة النبهانية، ذلك الفتى المتوقد الهميم، ودارت الأيام وبعد فراق لسنين عدنا فالتقينا في الربوع النبهانية المشرفة، وإذا بك بتلك الهمة والجدية والمحبة بل قد زانك الله هيبة ورفعة.

فأقول على ما عرفت عنك:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب ٢٣).

هنيئًا لك يا أبا محمد هذه الخاتمة فلقد صدقت الله فصدقك الله. صدقت بمحبة واتباع رسوله ﷺ وصدقت باتباع سيدنا محمد النبهان رضي الله عنه فصدقك الله، فها هي الخاتمة تعلن لنا عن مكانتك، فقد رحلت في ديار الغربة ونلت شهادة الاغتراب، وانتقلت وأنت تطالع الكتاب، ونزلت قبرك عصر يوم الجمعة للقاء الأحباب.

فيا أبا محمد أسأل الله الذي ختم لك هذا الختام الشريف أن يجعل قبرك روضة من رياض جنانه ويكللك بحلائل رضوانه، وأن يجعلك قرير العين بلقاء سيدنا محمد ﷺ واستقبال مرجعنا سيدنا محمد النبهان رضي الله عنه، فالمرء مع من أحب.

وكتب لي الشيخ هشام الألوسي:

واحزناه !!! وامحموداه!!! وا أُخيياه !!!

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا سادة وبعد:

فقد كنت أسمع بالشيخ الدكتور محمود يوسف فجَّال دون رؤية لجنابه قبل انتقال سيدنا الحبيب محمد النبهان -عليه السلام-، ثم كتب لي أن أتشرف برؤيته وأنا في الرحاب الطاهرة، إذ كنت أقيم الشهر والشهرين والثلاثة بجوار سيدنا في ضيافته مع جناب السيد أحمد أبي فاروق -آنسه الله وأرضاه- وكان الشيخ محمود فترة تواجده في حلب يصلي الفجر في الكلتاوية، وابن سيدنا الحبيب يقدمه إمامًا، فرأيته رجلًا تعلوه الهيبة والسكينة والوقار، فإذا فرغ من الصلاة قبل يد ابن السيد الحبيب، وخرج دون أن يبت ببنت شفة، ذلك ديدنه كل يوم، وحظيت بمجالسته فترة إدارة السيد بشار -حفظه الله- يحضر المجلس وهو على حالته تعلوه المهابة والأدب والحياء، لكنه بالنسبة لي لغز لاأعرف عنه غير الاسم والرسم وهيئة العلماء، وأنه واحد من الرعيل الأول الصادقين مع سيدنا الحبيب ﵁ ولم نلتق بعد غزو العراق في ٩ نيسان ٢٠٠٣م حتى هيَّأ الله -سبحانه- لنا أن نتواصل عن طريق منتدى النفحات النبهانية، الذي جمع الشتات ووثق الصلات، فبادرني برسالة تقييم لكتاب السيد النبهان ﵁ ثم مضت سنتان وكأنهما ساعة من نهار، بدأت كوامن الكنز المخفي تتكشف، قناة علوم وفهوم ربانية، وعين بصيرة نبهانية تستلم وترسل دون ملل أو كلل في غيث متواصل وسيل الكتروني نبهاني لا يتوقف، يكتب عن سيدنا النبهان الحبيب ويعلق ويتابع ويدقق ويحقق لتكون كلمته القول الفصل فيما ما ينشره المنتدى، وإخواننا يترقبون رسائله ويتطلعون لما يبثه وينثره من شلال عذب من قمة جبل أشم، فلا تلحظ في كلامه رنة الشهرة، ولا حظا لنفس ولا دعوى، ومن خلال تواضعه وتنزله الحنون أشعرنا أن محبي سيدنا

روح نبهانية واحدة، ونور واحد وحالة لا تتجزأ، وأنهم أمة واحدة في خيمة الحبيب السيد النبهان ﵁ وظلاله، يتجه هممهم واهتماهم على حفظ العهد والود لحضرة الوارث المحمدي، الذي جمع الانتساب إليه جموعًا غفيرة من أطراف المعمورة، رجالًا ونساء صدقوا ما عاهدوا الله عليه، مضوا على الصراط المستقيم والنهج الاحمدي القويم في بوتقة محبة وسرور، وكهف اتباع ونور، ومن خلال نفحات هذا المنتدى المبارك توفرت لنا فرص التعرف على الكنز أكثر، وتألقت بيننا شخصيته، وهو يتسق إشراقًا ويتسع هلالًا ليلة البدر، لشدة ما ينعكس عليه من تجليات سيده الذي رباه وهذبه وأدبه واجتباه، وجعله عينا من عيونه سراجًا منيرًا ومنارًا كبيرًا يهتدي به السراة إلى سيرة سيد البرية -عليه الصلاة والسلام-، ووارثه سيدنا النبهان ﵁، وأدركنا حينئذ شيئًا من مكنون علمه وحلمه وإخلاصه وصدقه ونقاء جوهرته، وعظيم منزلته التي يغبطه عليها الأمير والعالم والوزير، وانغمس بقلوبنا حب عميق لشخصه، وتركت لنا وفاته خطبًا جللًا، وألمًا وحزنًا شديدًا لفقده، وأحدث رحيله ثلمة لا تسد، وفجوة لا يملؤها غيره.

نعم فجعتنا المصيبة وألهبت صدورنا، وكيف لا نحزن على بدر اختفى وجوهر لا يتكرر، وهل حزننا عليه لكونه صاحب مؤلفات كثيرة وعلوم غزيرة، وأنه يحمل شهادات عليا ويمنحها أم هناك سر آخر؟

فأقول: نعم هناك سر تخلل ذاته، وتشربت به ذراته، وطفحت به حياته نورًا وجاذبية وعلومًا ومعارف لدنية، أترك لحضراتكم الإجابة عليه، وكلنا أمل أن نحذو حذوه مع كونه ضربا من الخيال.

وختامًا أتقدم بالتعزية إلى سيدي عميد الأسرة النبهانية الطاهرة الدكتور محمد فاروق النبهان -حفظه الله وأخويه، وإلى أسرة الشيخ محمود وذويه ومحبيه، ولقد رأيت الأستاذ الفقيد واقعة قبل منتصف الليلة الماضية، وإلى جنبه إحدى الحواري، وهي تضحك، فارتدَّ بصري خجلًا، ثم رأيته ضحوة اليوم ثانية، وهو في

مجلس كبير يستقبل معزيه، رحمه الله وآنسه في عليين في حضرة سيدنا محمد عليه الصلاة وأتم التسليم، وبمعية من رباه مولانا ومولاه سيدنا محمد النبهان ﷺ، وإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين.

(قصيدة للشيخ هشام الألوسي كتبها في رثاء شيخنا الأستاذ الدكتور محمود فجال، رحمه الله)

نفْحُ الطِّيبِ

بطيبــة بَـاتَ يَحْتــدِمُ الهَــدِيلُ ... وفي الشــهباء يَنْتَحِــبُ الخَلِيــلُ
وإذْ نَفَــقَ الحَمــامُ على صَــفيّ ... وأعطَـبَ كِبْـدَ مَـن يَهـوى الرّحيـلُ
ومَــاهيَ حِيلَــةُ المحــزُونِ مِنّــا ... إذَا نَفــدَ التَصــبُّرُ يَــا جَليــلُ
أُرانــا كُلّمــا قَــد لَاح بَــدرٌ ... تَعقّبَــه السّــحابُ المُســتَطِيلُ
ومَهمَــا أَجْــرَتِ الأَجفــانُ سَــيلًا ... ولَــو عَميَــتْ فَــلا يُشــفَى الغَلِيــلُ
ومــا لنوائــب الأيـــام رَدٌّ ... إذَا كَان القَضــاءُ هُــو النّزيــلُ
ولَــو طَالَــت بنَــا الأَعمــارُ دَهــرًا ... فمَــا عَــن أمــرِ بارئِنــا مَحِيــلُ
يَــدورُ النَّعــش في كلِّ البَرايَــا ... ويطــرُقُ بــابَ مَــن بَــرأَ الأُفُــولُ
ولكــنْ نَســأَلُ الــرَّحمنَ لُطفًــا ... هــو المَــولَى المُهــيمِنُ والوَكِيــلُ
هنيئًــا مــن لَهُ نَســبٌ وحَــظٌّ ... بــآلِ البيــتِ جَــدُّهمُ الرّســولُ
ومَــن تَبِــعَ المُؤَيِّــدَ في هَــواهُ ... وعَــن خَــتمِ الوِرَاثَــةِ لَا يَحُــولُ
عَنَيــتُ الفَــردَ نَبهــانَ المَعَــالِي ... فلــيسَ لَهُ على الدُّنيَــا مثَيــلُ
إذا ألــقى رواحلــه المعــنى ... وَلاذَ ببــابِ حَضــرَتِهِ الدَّخيــلُ
سَــيُمنَحُ مــن هِبَــاتِ اللهِ مَــا لا ... رَأتْ عَــينٌ وَلَا سَــمِعَ القَلِيــلُ
أَمحُمُــودَ المَحامِــدِ أنْــتَ حَمْــدٌ ... بِحمــدٍ فيــهِ تَــزدَحِمُ النُّقــولُ
لأَنّــكَ صَرحُ تَــاريخٍ وعلــمٍ ... دُهَــاةُ العَصــرِ تعشَــقُ مَــا تَقُــولُ
ويَــا للهِ كَــم مَنْهُــومُ عِلــمٍ ... أتَــاكَ وهُــوَ مُضــطَّرِبٌ ذَلُــولُ
لِيغــرِفَ مِــن مــآثِركُم بِــدَلْوٍ ... فَعَــادَ وهُــو مُمْــتَلِيء حمُــولُ
دَلِيــلٌ كُلّمَــا تــاه الحيَــارَى ... كــريم ظــل ينــدبُك الكَلِيــلُ

أخَـا الـودِّ العَميـقِ إليـكَ أدلِي ... بِمَـا أَدلَى الحبِيـبُ ومَـا يَقُـولُ
بِأنّـك كَـنزُ معرِفَـةٍ وَصِـدقٍ ... عجيـبٍ عَـدَّ جَـوهَرِهِ يَطُـولُ
علـوتَ لديـه مَنزلَـةً وقَـدرًا ... وَمـرقًى لـيس تدركـهُ العقـولُ
أمحُمـودَ المحَامـدِ حُـزتَ مَجـدًا ... بمجـدٍ فيـهِ جَـدُّكمُ الرّسـولُ
ونِلـتَ بحضـرةِ النَّبهـانِ عِـزًّا ... عزيـزًا لا يُـدانى أو يـزولُ
نَهَلـتَ بِدَوحـةِ النبهـانِ صَـفوًا ... وعـذْبًا مِـن منَابِعـهِ يَسِـيلُ
فَصـِرتَ بِأُمّـةِ النَّبهـانِ نَهـلًا ... إذَا عـزّ الدواءُ أو الدّليـلُ
لأنـكَ شِـبلُ نَبهـانَ المعَـالِي ... ومَـنْ يَغْـذُوكَ وابِلُـهُ الجميـلُ
سَـموتَ بِحُبّـهِ فَبلَغـتَ شَـأنًا ... فَريـدًا فيـه يغبطـك الفحـولُ
وشَـجْوُكَ فيـهِ جيّـاشٌ بِعُمـقٍ ... وإنّـكَ في محَبّتِـهِ القَتِيـلُ
وإنّـكَ مُعجَـمٌ قَـد تَـاهَ فِيـهِ ... نُحـاةُ العَصـرِ تَعْشَـقُ مَـا تَقُـولُ
إذَا أَعرَبـتَ سـيبَويهِ يَحنُـو ... لِنَحـوِكَ وهُـو مُعـتَرِفٌ خَجُـولُ
وإنْ أَبحَـرْتَ فِي لُغـةٍ وصرفٍ ... يَخِـرُّ لـكَ الكسَـائِي والخَليـلُ
ولَكـن عنـدَ نَبهـانَ المعَـالِي ... تَـذُوبُ وتَلـتَجِي أو تَسـتَقِيلُ
كَمَـا قَـد ذابَ قبـلَ فُـؤادُ (قَيسِـي) ... وأنـتم تَـوأَمُ القَيسِـي العَـدِيلُ[1]
وهامَـت فِيـهِ مِـن عُـربٍ وعُجْـمٍ ... رِجـالُ العصـرِ أدهَشَـهُم نَزِيـلُ
ذُرَى الشّـهبَاءِ نبهـانُ المُكـنّي ... لِبَـاقِي الدّهـرِ خَـتمٌ والدليـلُ
سـناه الكوكَـبُ الدُّري كمـالًا ... لَهُ الجـاهُ المُجـرَّبُ والجزِيـلُ
قَلائِـدُ عِلمِـهِ فِيـكَ اسـتَدَارَت ... عُرُوجًـا لـيسَ يَعقِبُـهُ النُّزُولُ
وعينًـا مـن عُيـونِ حُـزْتَ فضـلًا ... لِتُبصِـرَ فيـه مَـا فقَـدَ العَـذُولُ
وأَلبسَـكَ النَّزاهـةَ والتَّفَـانِي ... بِخِدمـةِ مَـن لِحضـرَتِهِ يَـؤُولُ
فإنـك أيْنَمـا وافيـتَ جَـدبًا ... تَخَصَّـبَ ثُـم تَزدَهِـرُ السُّـهولُ
حفَـرتَ برحبـةِ النَّبهـانِ بِـئْرًا ... فـأغرقَكُم وتابعَـكَ الكهـولُ
تقضِّـي سَـالِفُ الأيـامِ صمتًا ... وصـمتُكَ فيـهِ لَـوْعَاتٌ تصـولُ

(١) المقصود علامة العراق ومفتي بغداد الشيخ قاسم القيسي.

عمـــودٌ أنْـــتَ ســـاريةٌ بشـــهبا بـــذاكَ الصّـــرحِ رُكنُـــكَ لا يَـــزُولُ
وبالبَـــاعِ الفريـــدِ ســـبقتَ ســـبقًا وخلفَـــكَ قـــدْ تسَـــابقتِ الخُيـــولُ
وكَـــم أهـــداكَ نبهـــانُ المعَـــالِي مواهـــبَ لـــيسَ يَمنحهـــا البـــديل
فسَـــابقتَ النُّجـــومَ الزُّهـــرَ فِيـــهِ ليظهـــرَ فيـــكَ مظهـــرُهُ الجميـــلُ
وأذهـــلَ قلبـــك النَّبهـــانُ فيـــهِ ولَا عجبًـــا إذَا كان بـــهِ الذُّهـــولُ
ألا هـــو وارث المُختـــارِ طـــه ومـــــرآة له وبـــــه يجـــــولُ
مـــلاكٌ أنـــتَ يَحمِلُـــهُ مـــلاكٌ بحضـــرةِ مـــن بحضـــْرَتِهِ الوصـــولُ
وخصَّـــكَ ســـيّدى النّبهـــانُ فضـــلًا وسِرًّا فيـــــهِ معـــــراجٌ يطـــــولُ
حبـــاكَ عنايـــةً منـــه اجتبـــاءً وأولاكَ اصـــــطفاءً لا يـــــزولُ
ولَـــو مـــا كان إلا أنـــت يكـــفِي مريـــدٌ عنـــدَ حضـــرتِهِ نقـــولُ
إذَا مـــا كان ذا نبعًـــا لبحـــرٍ فمـــا للبحـــرِ عَـــرضٌ ثُـــمّ طُـــولُ
بنـــو النّبهـــانِ حقًّـــا لـــيس فـــيهم صـــغيرٌ أو بخيـــلٌ أو ذليـــلُ
ولـــيسَ يُـــرَى بنـــو النبهـــان إلا مـــلاكٌ أو أمـــيرٌ أو جليـــلُ
أنفْـــحَ الطِّيـــبِ حقًّـــا طبـــتَ حيًّـــا بطيـــب فيـــه جـــدكم الرّســـولُ
وأنـــتَ الغصـــنُ في عـــرشِ المعـــالِي بحضـــرةِ وارثِ الهـــادِي نزيـــلُ
يقينًـــا أنـــتَ في أرقَ المـــراقِي وفي أعلى الجنـــانِ لكُـــم ظَليـــلُ
جوانِبُنـــا قَـــد ارتعـــدَت بِـــنَعِي وبـــاتَ الفـــرعُ يهـــذِي والأصـــولُ
وكنـــتَ كقَاسِـــمِ القَيســـيِّ فينَـــا فإنـــك قـــائمُ الوَيســـيِ العـــديلُ
كفـــاكُم يـــابني الوَيســـيِ فخـــارًا بـــنِي الزّهـــراءِ أُمُّكـــمُ البتـــولُ
بظـــلِ رحـــاب نبهـــانَ المعَـــالِي دوام الســـعدُ ســـعدك مســـتطيل
وعظَّـــمَ أجْـــركمُ ربي بفقـــدٍ وطارئَـــةٍ بهَـــا الدُّنيـــا تميـــلُ
وكلّ مولّـــعٍ بـــالربع يـــبكي يُـــردّدُ شَـــجوَهُ الـــوُرقُ العليـــلُ
على بـــدرٍ بشـــهبَا قـــد تَســـامى يَطـــوفُ في ســـمَا حلـــبٍ يجـــولُ
وبـــانَ بإســـمِ فجـــالٍ منـــارٌ وعنـــوانٌ بـــه اتَّضـــحَ السّـــبيلُ
وأخـــتمُ بالصـــلاةِ على المُســـمّى بأحمـــدَ في الكتـــابِ هـــو الرَّســـولُ
وآلٍ ثـــمّ صـــحبٍ في العـــوالِي بهـــا النبهـــانُ ســـيّدُنا الأصـــيلُ

ومـــا وجـــه ســـوى الـــرحمن بـــاقٍ	تبـــارك ربُّنـــا المـــولى الجليـــلُ

وكتب في رثائه الشيخ حامد صخي:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر ٢٩)

شيخنا الحبيب أبا محمد الأستاذ الدكتور محمود فجَّال، رحمه الله، آنسه الله، في ذمة الله.

أتقدم بواجب العزاء والمواساة بوفاة الدكتور الشيخ محمود فجَّال الى أهل الكلتاوية جميعا الى آل سيدنا محمد النبهان وأصحابه، وأخصّ اولاده الكرام واهله وكلّ محبيه. إنّا لله وإنّا إليهِ رَاجعُون.

سيدي أبا محمد: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ، طبتَ حيًّا وطبتَ ميتًا وطبتَ بمعيّة سيدي محمد النبهان. لن يغيب عنّا ذكرك ولن ينقطع برّك وعلْمُك، نستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ.

سيدي ابا محمد: لقد كُنْتَ الركنَ الركين الذي نأوي اليه إذا ادْلّهَمت المُهمات، وبنور بصيرتك وصفاء سريرتك وبِسرّ رابطتك بشيخك ومرجعك تَنْحَلّ العُقد وتعطي الجواب الشافي بنفحاتك النبهانية، ليجعل اللهُ لك القبول ويُلْقي عليك محبةً منه، وَالله يختص بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ والله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

لقد مَنّ اللهُ عليّ بفضله أن أكون مع الحاضرين في تأبين الشيخ محمد لطفي - رحمه الله- الذي أقامه سيدنا الكريم في جامع الكلتاوية بعد وفاته بأربعين يومًا، ويأتي اليوم الذي أرثي بكلماتي المتواضعة رفيق دربه.

بدايةً استعرتُ من الشريف الرضي بعض أبياته في رثاء أمه:

أبكيك لو نقع الغليل بكائي	وَأقُولُ لَوْ ذَهَبَ المَقالُ بِدائي
وَأعُوذُ بالصّبْرِ الجَميلِ تَعَزّيًا	لَوْ كَانَ بالصّبْرِ الجَميلِ عَزائي

كم عبرة موهتها بأناملي وسترتُها متجملًا بردائي
مَا مَاتَ مَنْ نَزَعَ البَقَاءَ، وَذِكْرُهُ بالصّالحاتِ يُعَدّ في الأحْيَاءِ

سيدي أبا محمد:

لقد وهبكَ اللّهُ تعالى قَدَمَ الصدق وَقِدَمَ الصحبة، اختاركَ سيّدُنا الكريم لتكون مُوَجّهًا لطلاب الكلتاوية ومُدرسًا فيها واسْتَخْلَفك عليها عند حَجّهِ، وانْتَدبَكَ في المواقف والمهمات فكنتَ أحقّ بها وأهلَها لأنّك على مراده وأنتَ المريد المراد، وكأنّي بالقائل يعنيك:

الحَزْم والعزم كانا من طبائعه ما كُل آلائه يا قومُ أُحْصِيها

كلماتُك في منتدى النفحات النبهانية مطرّزة بالنور في قلوبنا، فمنك تَعَلّمْنا أَدّبَ الخطاب وخطابَ الأدب، وحُرمةَ المقام وتعظيمَ الكرام، كرمُ شمائلكم ولطفُ معشركم وسعة صدركم وحسنُ حكمتكم زرعتْ فينا معاني القيم ومعالي الهمم لأنّك تربية المرجع الكامل الذي يقول: «المُرّبى غالي»، «أدَبْ يا هُو».

جزاهُ اللّهُ عنّا خيرَ الجزاء وأَكْمَلَهُ وأتَمّه.

سيدي أبا محمد:

لقد كنّا معكم أمسِ الجمعة روحًا وقلبًا على بعد المسافات. وكأني بوليّ نعمتنا سيدنا محمد النبهان -قُدّسَ سِرّه العزيز- يضمكم الى صدره الشريف وهو باسم الثغر مُرَحِبًا بقدومكم، وعن يمينه الشيخ محمد لطفي وعن شماله الشيخ محمد حوت رفيقاك في الجنة.

هنيئًا لكم شهادة الحب الذاتي وشهادة العلم وشهادة الغربة، هنيئًا لكم صدقكم واستقامتكم.

شيخنا الحبيب أبا محمد وأنتَ في عالم اللطف واللطافة أبْلِغْ سيدنا محمد النبهان منّا تحيةً وسلامًا واذكرْنا عنده بدعوة مقبولة، اللّٰهُمَّ اكْتبنا في ديوانه من المقبولين.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف ١٠١).

كلمة الشيخ حامد صخي في ندوة الوفاء والشكر يوم الأربعين في منتدى النفحات النبهانية:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي جعل الموتَ تُحْفَةَ المؤمن، وراحتَهُ بلقاء ربه، المؤمنُ كريمٌ على الله، فإذا قَدِمَ عليه أَتْحَفَهُ وأرضاه.

المقام أجلّ وأسْمى لأهل الله وأوليائه الذين اختصهم بلّذةِ النظر والمناجاة، ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ.

والصلاةُ والسلام على سيدنا ومولانا محمدٍ أبي القاسم وابراهيم وعبد الله، وعلى آلِهِ وأصحابه ومن اتبعه ووالاه.

أحبتي الأكارم:

نجتمعُ اليومَ في حضرة سيدنا محمد النبهان بقلوبٍ ملؤها الحب والوفاء لتأبين شيخنا المفضال الدكتور محمود فجَّال.

لقد كان لنا القدوة الحسنة والمثل الأعلى والأسوة الصالحة

لعمرك ما الرزيةُ فقدُ مالٍ ... ولا فرسٌ يموت ولا بعيرُ

ولكنّ الرزية فقدُ حرٍّ ... يموت لموته خلقٌ كثيرُ

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «لموت قبيلة أيسر من موت عالم».

وقال الفاروق سيدنا عمر رضي الله عنه: «موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه»[١].

وقال سيدنا علي -كرَّم الله وجهه-: «إذا مات العالم ثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه»[٢].

سائلين اللهَ -تعالى- أن يجعل أبنائه البارّين وطلابه البررة خلفًا منه، وما ذلك على الله بعزيز.

لقد كان فقيدُنا الغالي عَلَمًا من أعلام الإسلام، ورُكنًا نبهانيًا نستنيرُ بنفحاته في المهمات، ونأوي إلى سعة صدره وعظيم حكمته في المُلمّات.

لَهُ محطاتٌ لا تُنْسى وبصماتٌ لا تُمْحى، كانَ بَلْسَمًا شافيًا وترياقًا مُجَرَبًا كافيًا لكلّ معضلةٍ حيّرتْ طلبتَهُ أو أشْكَلت على علماء عصره، فهو بحقّ شيخُ النحاة وفقيهُ الدعاة، والله ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (آل عمران ٧٤).

إخوتي الأفاضل:

نقفُ اليومَ بكل تواضع واجلال لتأبين فقيدنا الغالي اقتداءً بسيدنا الذي أبّنَ الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- في مثل هذا اليوم، وكلّنا يعلم بأنّ سيدنا مظهرُ الشريعة وشيخ الطريقة ومعدن الحقيقة، وهو في الشريعة كالسمك في الماء، وهو

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» بلا سند عن عمر رضي الله عنه (باب تفضيل العلم على العبادة) حديث رقم [١٢٦] ١: ١٢٨. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري - دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (باب أدب السماع) حديث رقم [٣٤٧] ١: ١٩٩. تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

القائل: الشريعة فوقنا نعمل بمقتضاها والسلام. من هنا كان اجتماعنا اليوم عبادةً وصلةَ رَحْمٍ وتعظيم أهل الفضل والمعروف.

أبا محمد:

إن وقفتُ اليوم على شاطئ بحركم أذكر بعضَ فضلكم فما ذاك إلا لأنكم حسنة من حسنات السيد النبهان ﵁

عبيدٌ ولكنّ الملوك عبيدهمُ وعبدهم أضحى له الكونُ خادمًا

أبا محمد:

لن يُطْوى ذكرك ولن يضيع أجرك، ولن أنسى وصيّتك لي في المنتدى بقولك: أنصح نفسي وأخي الشيخ حامد أن يديمَ النظر في الكتبِ وبخاصة تلاوة القرآن ومطالعة العلم والفقه.

لقد اشتقنا لتوجيهاتكم ونصائحكم، شيخنا المحمود يامن حُمِدَتْ سجاياهُ وبُورِكَتْ بالنبهانِ شَمائلُهُ وخُطاه، إنّ لحديثكم سِرًّا يسري سرُورُهُ الى القلوب. لأنك جعلتَ مرضاة الله نصب عينيك فجعل اللهُ لكلامك رونقا وقبولا، وكانت كلماتُك عظيمةَ المعاني والمباني تحملُ في طياتها أنوار المريد المراد الذي تَجَرّدَ من الأغْراض وبهذا أذْهَلَتْ قارئَها مكنونات أسرارها.

أبا محمد:

نستضيئُ بنوركم إذا الليل ادلّهم، وبنفحاتكم نزدادُ همّةً وقربا كلّما دهى أمْر وألّم

أيا زمنَ الرَّندِ الذي بين لَعْلَعٍ تَقَضَّى لنا هل أنْتَ يا عصرُ راجعُ
لقد كان لي في ظِلِّ جاهِكَ مَرْتَعٌ هَنيءٌ وَلِي بِالرَّقْمَتَينِ مَرَابِعُ

عرفنا الشيخ محمود فأحببناه، نبهانيًّا ذاتيًّا من أهل العناية يدور مع النبهان حيثما دار، كلّما ازدادَ قُربًا ازداد تواضعًا وخشيةً، ويُسعدُنا مَنْ يَسعُنا، وقد وَسِعَ جَمْعَنا باللطف والرحمة والسعة والحكمة، جزاه الله عنّا خير الجزاء وحفظ اللّٰهُ اخواننا وألّفَ بينهم وجعلهم شهداء الله في الارض وشُفعاءَ مُشَفّعين في الآخرة

أبا محمد:

نحتسبك عند الله -تعالى- من الذين قال فيهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب ٢٣).

لقد منحك العارف بالله سيدنا محمد النبهان -قدس الله سره- أوسمة النجاح والفلاح، منحك مرتبة الحفظ حين قال لك في قصة مشهورة (معك إذا ما راحت مع مين تروح) إنها ثقةُ العارف المُربي بمريده الأمين

وبَشَرّكَ سيدنا بالفتح، وقال لك: «الله لا يضيمك لافي الدنيا ولافي الآخرة والله معك» فهنيئًا لك هذه الدعوة المباركة المستجابة.

وبشرك فقال: «سيظهر في وجهك كنز»، وقال عنك: «هو عندي في الدرجة الأولى»، وقال لك: «ستشاهد بوارق الحقائق ذوقًا بنَفَسٍ واحد»، وقال عنك: «أنا راض عنه كل الرضا»، وهي المرتبة التي حظي بها أخوك ورفيقُ دربك الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- عندما قال عنه سيدنا الكريم: «أنا راضٍ عنه كلّ الرضا».

أبا محمد:

سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ

عـلـيك ســلامُ الله مـني تـحيةً ومنْ كلِّ غيْثٍ صادِقِ البرْقِ والرّعْدِ

سلامٌ على تُرْبِ النسيم وثراهُ الذي ضمّ جسدك الطاهر، سلامٌ على روحك الطيبة ونفسك الزكية المطمئنة، فَنَمْ قريرَ العين بمعية حبيبك سيدنا محمد النبهان رضي الله عنه.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء ٦٩).

اللّٰهُمَّ ثَبّتْنا على ما يُرْضيك وقَرّبْنا مِمّنْ يُواليك واجعل غاية حبنا فيك اللّٰهُمَّ اختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لأوليائك واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك برحمتك يا أرحم الراحمين، آمين اللّٰهُمَّ آمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكتب لي الدكتور أحمد خضير الزوبعي:

إنا لله وإنا إليه راجعون.

رحمك الله يا أبا محمد، وتقبلك الله في عليين، وأجلسك في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع حبيبك وقرة عينك سيدنا وقرة عيوننا سيدنا النبهان رضي الله عنه.

كنت مثالًا للعالم الورع، وزعت أوقاتك على فعل الخيرات وتلاوة القرآن ومجالسة أرباب القلوب، فظهرت منك آثار جليلة من كتابة ومواعظ وخطب. تقبل الله ذلك منك، وأحسن الله عزاء من أحبك، واستمع لرشدك ونصحك، وأخص منهم أهل بيتك، وأعمم جميع أحباب سيدنا رضي الله عنه والعالم الإسلامي جميعًا بموت عالم من علماء الأمة، رحمك الله رحمة واسعة.

ماذا نقول والعين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي الرب جل في علاه.

أعتقد يا فضيلة الراحل أن أحبابك تظهر عليهم آثار الحزن والأسى، ولكن أنت دخلت عالم الروحانيات وعالم اللطائف وعالم الأسرار، فارقت الجسد الذي

كان ثوبك الذي كان من عالم الشهادة، والآن عزلت عنه، وانتقلت منه، وصرت في عالم مثالي وكأنك تقول كما قال الإمام الغزالي -رحمه الله- في قصيدته عند موته التي وجدت تحت وسادته يعزي إخوانه:

قـــل لإخــــواني رأوني ميتًـــا ... فبكــــوني و رَثَـــوْا لي حَزَنَـــا
أتظنــــون بـــأني مَيْــــتُكم ... لـــيس ذاك الميْـــت والله أنـــا
أحمــــــد الله الذي خلصــــــني ... وبـــنى لي في المعـــالي ســـكنا
كنـت قبـل اليـوم ميتًـا بيـنكم ... فحييــــت وخلعـــت الكفنـــا
وأنـــا اليـــوم أنـــاجي مــــلأ ... وأرى الله جهـــــــارًا علنـــــا
قـــد ترحّلـــــت وخلفـــتكم ... لســـت أرضى داركـــم لي وطنـــا
لا تظنـــوا المـــوت موتـــا إنــــه ... لحيـــاة وهـــو غايـــات المـــنى

ثم قال:

لا تـــرعكم هجمـــة المـــوت فمـــا ... هـــو إلا نقلـــة مـــن هنـــا

وقال:

فـــارحموني ترحمـــوا أنفســـكم ... واعلمــــوا أنكـــــم في إثرنـــا

رحمك الله رحمة واسعة يا أبا محمد. وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يخلف على المسلمين وألا ينقص عدد علمائهم ولا صلحائهم. إنه نعم المولى ونعم النصير.

وكتب لنا في رثائه تلميذه الشيخ محمود العبيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل السلام وأتم التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إخوتي الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعزي نفسي وأعزيكم أحبتي بوفاة أستاذنا ومعلمنا الشيخ محمود يوسف فجال الذي وافته المنية يوم الخميس ١٣ ربيع الأول ١٤٣٧هـ، عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم.

إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا لفراقك يا أبا محمد لمحزونون. نعم فقدنا عالمًا من علماء اللغة العربية العظماء. فقدنا كنزًا من كنوز الكلتاوية المباركة، فقدنا درة نبهانية كريمة وجوهرة ثمينة غالية، نعم إنه لمصاب جلل لنا ولطلاب العلم خاصة وللأمة الإسلامية عامة.

وإن في انتقاله ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه، والحمد لله ترك ذرية صالحة مثقفة، ومؤلفات جمة في العلم الذي ينتفع به، وأرجو من الله تعالى أن يكون حصل على الخصلة الثالثة التي أخبر بها الرسول ﷺ وهي الصدقة الجارية، وهذه بينه و بين ربه -سبحانه- و في الحديث الشريف: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة من صدق جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[(١)].

ومن منا لا يعرف فضل أستاذنا الراحل في جديته وصدقه وفطرته ومحبته لسيدنا الكريم العارف بالله الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه.

رحل في شهر ربيع الأنور يدلنا ذلك على صفائه ونورانيته، نعم رحل وهناك عيون دامعة وقلوب حزينة لفقد أولئك العلماء العظماء المخلصين، حشرنا وإياهم تحت لواء سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ ووارثه الكامل الشيخ محمد النبهان -رضى الله عنه وأرضاه- الذي ربانا وعلمنا وهذبنا وكلنا حسنة من حسناته.

جمعنا الله به وبأحبائه في مستقر رحمته في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

إخوتي الأعزاء:

---

(١) رواه «مسلم» في «صحيحه» (كتاب الوصية - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته) حديث رقم (١٦٣١) ٣: ١٢٥٥.

إن فقيدنا الغالي الشيخ محمود قد قضى عمره المديد المبارك بالعلم والتعليم وخاصة في الغربة ونقل إلى الرفيق الأعلى من المحبرة إلى المقبرة كما قيل. طلب العلم للعلم، وصبر في سبيل طلب العلم، وقدم كل ما يملك في سبيل تحقيق ذلك، فأعطاه الله تعالى كل ما تمناه، والحمد لله رب العالمين.

أبا محمد وين رايح التفت، سلم علينا، ما شبعنا من حنانك وعلمك، وما روينا منك، ومن حبك وإخلاصك، وتفانيك في حبِّ الله تعالى وحب حبيبه الأعظم سيدنا محمد ﷺ وحبِّ وارثه شيخنا وحبيبنا السيد محمد النبهان ﷺ يشهد على ذلك اتباعك لحبيبنا محمد ﷺ وعمامتك البيضاء وجبتك الأنيقة ولحيتك البيضاء زاهية الأنوار.

أستاذنا أبا محمد:

لقد اختبرتَ من قبل السيد الكريم رضى الله عنه وأرضاه ونجحتَ في الاختبار بتوفيق الله تعالى لك لحرصك وإخلاصك لما ضاقت عليك الدنيا وأردت بيع بيتك لتكمل مسيرة العلم دعاك السيد الكريم ﷺ إلى مكتبه وقال لك: يا شيخ محمود تبيع بيتك وأنا موجود؟! وسحب السيد الكريم درج الطاولة ليخرج لك مالًا. إنه والله اختبار صعب إذا أخذت منه أو رفضت طلب حبيبك ولكن العناية الإلهية وفقتك أن ترد العرض بكل أدب واحترام لصاحب الكرم والجود أبي أحمد. فقلت له: سيدي ومولاي سألتك بحبيبك محمد ﷺ لا أريد مالًا ولا آخذ من فضيلتك مالًا أنا لم أصحبك لأجل الدنيا. فنجحت في هذا الاختبار الصعب فحصلت على درجة الامتياز الأولى من الرضا. لذلك قال عنك السيد الكريم رضى الله عنه وأرضاه: (محمود أنا عنه راض). هنيئًا لك هذا الوسام يا أبا محمد لأنك لم ترد من حبيبك الدنيا وإنما أردت محبته فقط.

إخوتي الكرام: الرضا هو السعادة الا بدية التي يتمناها كل مؤمن قال الحق سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه ٨٣-٨٤).

وقال الحق سبحانه لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل ١٩-٢١)

إخوتي الكرام:

لقد خَبِرتُ أستاذنا الشيخ محمود عن قرب لما كنت طالبًا في مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية بحلب فكان نِعمَ المعلم، ونعم المدرس، ونعم المراقب. قدم لنا كل خير وكل علم مفيد وكل رعاية أبوية حانية.

١- هو أول من كلفه السيد الكريم بالمراقبة والتدريس في مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية بحلب.

٢- أول من كلفه السيد الكريم بلف عمائم الطلاب الأوائل.

٣- ثم علمني لف العمائم للطلاب فكنت ألف لإخوتي الطلاب عمائمهم.

ثم خبرته لما كنت مراقبًا ومدرسًا في مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية بحلب، فكان نعم الأخ ونعم الصديق الوفي، رحمه الله تعالى.

ومرة أرسلت له رسالة لما كان في مصر يخبرني عن نتيجة اختباري في كلية اللغة العربية في السنة الثالثة لأن أحد زملائي أخبرني أني راسب أرسلت إليه رسالة وهي محفوظة عندي في سوريا قال فيها: «كن راسبًا وأنت ناجح، ولا تكن ناجحًا وأنت راسب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فلم أفهم منها شيئًا ولكن بعد الاطلاع على النتيجة من قبل بعض الأصدقاء عرفت سر هذه الرسالة كان يقصد -رحمه الله تعالى- أن أطلب العلم للعلم لا لنيل

الشهادة، وعلي أن أخلص العمل لله تعالى، و أن أحظى برضا الله تعالى لأنه هو بغية كل مؤمن.

ولقد شرفني بزيارة منزلي لما كنت مريضًا في الدمام فقال لي: لا تخف من الموت إن شاء الله لن تموت الآن بإذن الله لأن لحيتك أكثرها سواد، وكان عمري آنذاك خمسًا وعشرين عامًا، والآن والحمد لله رب العالمين شارفت على السبعين وأرجو من الله تعالى حسن الخاتمة.

كان آخر عهدي بمجلس الشيخ -رحمه الله تعالى- قبل نحو سنتين ونصف تقريبًا حين جاء مع ولده الدكتور يوسف إلى منتجع في شاطئ نصف القمر على مقربة من الدمام فلما علمت بمجيئه اتصلت به وسلمت عليه و دعوته بإلحاح، فاعتذر بشدة لأمر ما، فاتصلت بالأخ الشيخ إبراهيم منصور وأخبرته بأن أستاذنا الشيخ محمود فجال في شاطئ نصف القمر ودعوته فاعتذر، حاول أنت معه لعله يستجيب فنحظى برؤيته و نتبارك بمجالسته، والحمد لله استجاب أستاذنا لدعوة الأخ الشيخ إبراهيم منصور، وكانت جلسة روحانية عامرة بالحب والمودة بين أستاذ جليل وأبناء شغوفين بحبه مشتاقين لرؤيته بعد مدة طويلة من الزمن وكانت ساعة صفاء وسرور من الجنة والحمد لله رب العالمين.

أستاذي ومعلمي العالم النحوي الراحل أبا محمد: أعزي فيك نفسي وإخوتي الكرام الذين نهلوا من علمكم، كما أعزي الأسرة النبهانية التي كنت من بقية أوائلها، وأعزي أسرتك الكريمة وأولادك البررة وإخوتك الكرام وكل من يلوذ بك من قرابات وأرحام وأحباب ومحبين، وأعزي أسرة المنتديات النبهانية المباركة التي كنت من المشاركين فيها بعلمك وفكرك ونصحك وإرشادك و إخلاصك.

وأهنئك بحسن الخاتمة ولقاء الأحبة من الأسرة النبهانية التي سبقتك إلى عالم الآخرة وعلى رأسهم صاحب الفضل علينا بعد الله أبو أحمد حبيبنا وقرة أعيننا الشيخ العارف محمد النبهان ﵁ هذه آمالنا جميعًا السابق منا واللاحق.

كلمة الشيخ محمود العبيد في ندوة الوفاء والشكر يوم الوفاء والشكر يوم الأربعين:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إخوتي الأكارم امتثالًا لأمر الرسول الأعظم ﷺ بقوله: «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم»[١]، وتنفيذًا لسُنّة علمائنا الأفاضل وعلى رأسهم الحبيب سيدنا محمد النبهان ﵁ في تأبين موتانا وحضورهم أربعينيتهم من ذلك حضور السيد الكريم تأبين الشيخ محمد لطفي -رحمه الله تعالى- وحضور سيدنا ﵁ أربعينيته، وأيضًا شهادة الأخ لأخيه الميت مقبولة عند الله تعالى لأن المؤمنين شهداء الله في الأرض والملائكة شهداء الله في السماء، لقد ورد في الحديث الشريف: أنه مرت جنازة برسول الله ﷺ فأثني عليها بخير حتى تتابعت الألسن فقال رسول الله ﷺ: وجبت، ومرت جنازة فأثني عليها بشر حتى تتابعت الألسن فقال رسول الله ﷺ: وجبت-، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله قلت في الجنازة الأولى حيث أثني عليها خيرًا: وجبت، وقلت في الثانية كذلك، فقال: هذا أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار إنكم شهود الله في الأرض مرتين أو ثلاثًا[٢]، وفي رواية أخرى: الملائكة شهود الله في السماء وأنتم شهود الله في الأرض[٣].

---

(١) رواه «أبو داود» في «سننه» (كتاب الأدب - باب النهي عن سب الموتى) حديث رقم (٤٩٠٠) ٧: ٢٦١. و«الترمذي» في «جامعه» (أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ) حديث رقم (١٠١٩) ٢: ٣٢٨.

(٢) رواه «البخاري» في «صحيحه» (كتاب الجنائز - باب ثناء الناس على الميت) حديث رقم (١٣٦٧) ٢: ٩٧.

(٣) رواه «النسائي» في «المجتبى من السنن المعروف بالسنن الصغرى» (كتاب الوصية - باب ما

لذلك أقول وبالله التوفيق:

إننا نشارك اليوم في ٢١ ربيع الآخر١٤٣٧ هـ في أربعينية أستاذنا ومعلمنا محمود فجال -رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته- أستاذنا الشيخ محمود فجال علم من أعلام اللغة العربية وطود من أطواد الجامعة حيث العطاء الثر والتنوع العلمي والتجسيد السلوكي الصافي من منبع السيد الكريم ﷺ الذي يحمله أستاذنا الفاضل، وقد حول هذا السلوك إلى الواقع صدقًا وإخلاصًا ومحبة.

ونحن عندما نتحدث عن أستاذنا الراحل العلامة النحوي بعطاءاته نجد أنه كان علامة النحو متميزًا في طريق الصعود العلمي منذ أن نشأ وترعرع ومنذ أن اعتلى منابر الفكر ومجالات المعرفة فأعطى ما استطاع أن يعطي.

إخوتي الكرام:

أستاذنا الراحل طلب العلم للعلم وصبر في سبيل ذلك، وقدم كل ما يملك في سبيل تحصيل العلم فأعطاه الله ما تمناه، والحمد لله رب العالمين، ولقد ورد في الحديث الشريف قول الرسول ﷺ: «إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (سبق تخريجه).

و إن أستاذنا الراحل والحمد لله قد حصل على هذه المكرمات الثلاث إن شاء الله تعالى الصدقة الجارية هي بينه وبين ربه والعلم مؤلفاته ومشاركاته العلمية وتعليمه لطلابه منذ اعتلائه منابر التدريس إلى آخر يوم من حياته كما قيل: «من المحبرة إلى المقبرة» والولد الصالح خلف أولادًا مثل الأقمار على درجة من العلم

يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته) حديث رقم (١٩٣٣) ٤:٥٠، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة؛ مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

والخلق والدين نرجو من الله تعالى أن يجعلهم هداة مهتدين رجالًا صالحين مخلصين.

إخوتي الأفاضل:

والله إنها لتعجز الكلمات عن التعبير في أستاذنا الراحل!

كيف لنا أن نكتب عنه وهو من طوع الحروف وشكلها؟!

كيف لنا أن نمسك القلم من أجله وهو سيد الأقلام؟!

وكيف يكون للتلاميذ حضور في حضرة معلمهم وأستاذهم؟!

رحمك الله أبا محمد يا رمز الوحدات ويا سعد الكلمات من منا لا يحب أبا محمد ومن منا لا يرثيه.

كما قال الشاعر:

إن كان غادر حِبّنا الدنيا فقد ... أفضى إلى رب يثيب ويسعد
نم مطمئنًا كلنا عهد على ... إتمام مشوار لمثلك يسعد
كرم وإقدام وعلم نافع ... قلب سليم واللسان مفرد

وقال الآخر:

وإن يك دمع عيني غير مُجْدٍ ... فدمْعُ الحرف مغنٍ في الشعور
وتبغتنا المَنون بغير إذن ... وتسلمنا العمارة للقبور

إخوتي الأعزاء:

إن فقيدنا الراحل حبب إليه من العلوم علم اللغة العربية نحوًا وصرفًا وخطًّا والفِقْه وإن كانت اللغة العربية هي الأولى من تلك العلوم.

وكان جمع الكتب عند أستاذنا الفاضل أحب إليه من جمع الذهب، ومن معين علم اللغة العربية أنهل طلابه وأعلهم، وكنت بحمد الله منهم في دار نهضة العلوم الشرعية في حلب، وكنت من أوائل طلاب دار نهضة العلوم الشرعية.

أنا الفقير لله -تعالى- عاصرت أستاذنا الراحل وأنا طالب ومدرس ومراقب وصديق وأخ وفي، ففي كل مرحلة له أسلوبه الخاص.

في أيام الدراسة عهدت منه الحزم والعزم والهيبة وفي مرحلة التدريس عهدت منه التودد والملاطفة تختلف تمامًا عما عهدته في أيام الدراسة حتى لكأنه رفع بيني وبينه الكلفة في تلك المرحلة، والحق أنه ما رفعها ولكنه الفرق بين تعامل الأستاذ مع طلابه وتعامله مع زملائه في التدريس وإني تعلمت منه الكثير والكثير في العلم والأدب والأخلاق وغير ذلك.

من ذلك كتابة كل معلومة مفيدة لأنه كان -رحمه الله- يرد على مسامعنا قول الشاعر:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قَيْدُهُ ... قَيِّدْ صُيُودَكَ بالحبال الواثقة

فَمِنَ الحماقَةِ أنْ تَصيْدَ غزالة ... وتدعها بين الخلائق طالقة

مما تعلمته منه: أسلوبه الرائع في توصيل المعلومة، وإني أضرب لكم مثلًا بي.

جئت إلى الكلتاوية لا أفقه من النحو شيئًا، وكنت لمّا يقال لي أعرب الجملة التالية: (أكرم صالح خالدًا)، كنتُ أُهَجِّي الكلمات تهجيًا لأني لا أميز بين الفعل والفاعل والمفعول به والاسم المجرور، لا أميز بين الفعل والاسم والحرف.

وبعد شهرين من الدراسة عمل لنا الاختبار النصفي فأخذت في النحو ٢٠/١٦، وأخذت الدرجة الثالثة على أكثر من ٢٥ طالبًا، والحمد لله، وكان ذلك بفضل الله تعالى، ثم بفضل أسلوب أستاذي ومعلمي الراحل، رحمه الله تعالى.

ومما تعلمته منه أيضًا: الحلم والتواضع.

وأضرب لكم مثلًا بي. دعاني مرة لغرفته حيث كان يومها مراقبًا في المدرسة ومدرسًا، كان ذلك في الأيام الأولى من دخولي في مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية في حلب لأنني كنت أكبر الطلاب عمرًا ١٨ سنة تقريبًا فقال لي: تعرف تحلق بهذه الآلة؟ قلت له: لا أعرف الحلاقة بهذه الآلة. فقال لي: الأمر سهل جدًّا. أمسك الآلة هكذا ثم حرك أصابعك فقط، فأخذت آلة الحلاقة، وأنا خائف أن أسيء استعمالها وعند ذلك آخذ عقابًا شديدًا من أستاذي الشيخ محمود فجَّال لأنه كما قلت لكم كان حازمًا وشديدًا في تعامله مع طلابه.

ولما بدأت بحلاقة رأسه من الخلف طبعًا لأنه هو الذي حلق مقدمة رأسه والجانبين أيضًا فعلقت الآلة بشعره فصاح بي فتركتها معلقة برأسه فالتف إلي وقال لي: ما هذا؟!

وكنت خائفًا من العقوبة قلت: عفوًا أستاذي قلت لكم ما أعرف الحلاقة بهذه الآلة فكانت المفاجأة التي ماكنت أتوقعها منه يا ولدي كأنك بحياتك ما أمسكت بآلة الحلاقة لا بأس انزعها من شعري بلطف وإذا جاء أخي محمد الحوت سيكمل لي الحلاقة الله يعطيك العافية اذهب إلى إخوانك، وخرجت من عنده وما كنت مصدقًا أن أخرج بدون عقوبة على فِعْلي هذا.

ومما تعلمته منه: تبسيط الوعظ والإرشاد على حسب مستوى السامعين له قال لنا مرة ونحن طلاب في السنة الأولى من الدراسة جئنا من القرى لا نعرف شيئًا عن الآداب مع الرسول ﷺ ولا مع العلماء الأفاضل وخاصة مع الوارث المحمدي الكامل سيدنا محمد النبهان رضي الله عنه وحتى الأدب مع مكة المكرمة والمدينة المنورة ولا الأدب مع المكان الذي نحن فيه وهي الكلتاوية المباركة

قال: يا أولادي هذه الكلتاوية فيها مكنسة كبيرة جدًّا تكنس كل وسخة فيها ديروا بالكم أن يعمل واحد منكم مخالفة أو قلة أدب فإن المكنسة تخرجه من الكلتاوية فورًا، فكان أكثر الطلاب خائفًا من هذه المكنسة لأنهم كانوا صغارًا لا

يدركون ذلك ولكني كنت أكبرهم عمرًا ماكنت أستوعب ذلك كيف يكون هذا الأمر، ولكن ما عرفت سِرَّ هذه الموعظة وهذا الإرشاد الطيب إلا فيما بعد، أنه كان يقصد بذلك أن الكلتاوية كالمدينة المنورة تنفي خَبَثَها كما ينفي الكِيْرُ خَبَثَ الحديد، ولقد ذكرته بهذه المكنسة -رحمه الله تعالى- عندما زارنا في آخر زيارة في مدينة الدمام منذ سنة ونصف تقريبًا في بيت أخي الشيخ إبراهيم منصور فقال لي نعم هذا الذي كنت أقصده بهذه المكنسة، وهكذا تعلمت منه الكثير ثم الكثير، جزاه الله عني خير الجزاء.

وأخيرًا أقول:

لا إله إلا الله، سبحان الحي الذي لا يموت، اللّٰهُمَّ اغفر لأستاذنا الشيخ محمود فجال، اللّٰهُمَّ ارحمه وأكرم نزله ووسع مدخله واستقبله بوابل رحماتك ورضاك وأفسح له في قبره ونور له فيه وأحسن خلافته في عقبه وأجزه عنا وعن العلم وأهله خير ما جزيت عالمًا عن علمه اللّٰهُمَّ أجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيرًا منها آمين يا رب العالمين.

وكتب لي تلميذه الشيخ حسين الأحمد -رحمه الله-:

الحمد لله رافع الدرجات لمن انخفض لجلاله، وفاتح البركات لمن انتصب لشكر أفضاله، والصلاة والسلام على من مدت عليه الفصاحة رواقها، وشدت به البلاغة نطاقها، المبعوث بالآيات الباهرة والحجج، المنزل عليه قرآن عربي غير ذي عوج، وعلى آله الهادين، وأصحابه الذين شادوا الدين وبعد:

لقد فوجئنا برحيل الفقيد، وجاءنا النبأ كالصاعقة، رحل الفقيد بصمت وترك جرحًا في القلوب لا ينسى، رحمه الله، آنسه الله، أكرمه الله منعمًا في أحضان سيدنا ومربينا السيد النبهان قدس سره العظيم.

أستاذنا الكريم فقيدنا العظيم: عرفتك في بداية حياتي وأنت في عنفوان شبابك وأنا في الفوج الثاني في الكلتاوية، وفارقتنا وأنا قد تجاوزت الستين.

عاصرت الفقيد وهو موجه جليل، وعشت في كنفه مدرسًا لنا مادة النحو والخط، وعرفته أبًا عطوفًا حنونًا.

مراحل ثلاث في حياة الفقيد أتذكرها وأتحدث عنها:

في شبابه -رحمه الله- كان من أوائل من كلف بالتوجيه في الكلتاوية مع فضيلة الشيخ صالح بشير –رحمه الله- فكان الفقيد متصفًا بالجلال والهيبة والوقار، ما رأيناه إلا الرجل الجلالي الحازم في الأمور كلها لا يجامل، يقول كلمة الحق، لا يجد المزاح طريقًا إليه، شديد المحاسبة، كله مهابة وجلال، كله حرص على توجيه الطلاب، وأن لا يضيعوا شيئًا من الوقت في غير طلب العلم وتحصيله حتى أثناء الفسحة بين الدرسين لا يرضى لأحدنا أن يكون في الباحة وليس معه كتاب يُحضّر للدرس القادم، لا يرضى أن يرى طالبًا غافلًا أو لاهيًا أو ضاحكًا، كله مهابة وجلال.

وعاصرت الفقيد وهو مدرس يدرسنا النحو والخط، ودرست عليه كتاب قطر الندى، فكان مثالًا في العطاء، لا يألو جهدًا في عطائه، يبذل كل قوته وعلميته في إغناء الدرس وعدم إضاعة أية ثانية، يتابع الطلاب فيما أعطاهم، يحاسب كل طالب لم يحفظ درسه، لا يتساهل في هذا الجانب، لقد كان بصدقٍ معطاءً ضابطًا للدرس بكل ما تعنيه هذه الكلمة، يكرم المتفوق، ويثني عليه، ويغرس التنافس بين الطلاب في العلم.

وذات يوم ونحن في درسه فوجئنا بكوكبة من الرجال يدخلون الصف ومعهم المدير المرحوم الشيخ محمد لطفي رضي الله عنه (عرفنا بعد ذلك أن الملحق الثقافي في سفارة الكويت وبعضًا من أعضاء السفارة وأعضاء الجمعية هم من حضر الدرس)، فلم يتغير حديثه ولا عطاؤه، وقد نال إعجاب الجميع عرفنا بعد ذلك وكما قيل لنا أنه بعد الانتهاء من الدرس أحبوا أن يتعاقدوا مع الفقيد وسألوا عن الشهادة التي يحملها، ولم يكن يحمل شهادة جامعية، فأسقط في أيديهم، ومن وقتها كان قد

شمر عن ساعد الجد وعزم على متابعة التحصيل العلمي، وكان -رحمه الله- لا يملك من الدنيا إلا البيت الذي يسكنه والكتب التي يعشقها، ولكن في سبيل الهدف الذي عقد العزم عليه (وهو الحازم في أموره) ترخص زخارف الدنيا، فباع بيته الذي يؤويه والكتب التي يعشقها، وتابع تحصيله العلمي في جامعة الأزهر، وحصل على ما حصل مما هو غني عن التعريف.

والتقيت الفقيد وهو رب أسرة في القاهرة، فرأينا شخصًا غير الذي نعرفه، كله حنان وعطف ورحمة، ورأينا آنذاك ابتساماته الحلوة التي ما كنا نعرفها، فهومن رآه على بعد هابه لجلاله، ومن خالطه أحبه لتواضعه وحبه، رأيناه كله تواضع، لين الجانب، عذب الكلام، يطيب خواطرنا بكلام كله حب ومودة، ويصغي لكلامنا، ويسأل عن كل فرد، من الذي تابع دراسته ومن الذي لم يتابع دراسته.

وكان آخر لقاء لي به -رحمه الله- أثناء آخر زيارة له إلى الكلتاوية وكنتُ واحدًا من أعضاء الهيئة التدريسية في الكلتاوية، التقينا به في تلك البقعة الطاهرة الأم مأوى الأولياء وملجأ ومنبع العلماء وشرفت بمرقد الوارث المحمدي المربي سيدي النبهان قدس سره العزيز، وألقى محاضرة حضرها المدرسون والطلاب، وضمتنا مأدبة غداء تعرّف على كل فردٍ منا، وانقطع الاتصال به -رحمه الله- وفي أحد الأيام وأنا أتصفح ما أرسل على منتدى النفحات النبهانية رأيت كلمة للفقيد -رحمه الله- وقرأت تعقيبًا له إن دل على شيء فهو يدل على تواضعه وعلى حرصه واهتمامه بكل من يحبه ويسألني أن أبدي الرأي في كلمته أستاذي الكريم، كم خجلت منك؟! فمن أنا حتى أبدي الرأي؟! لكن فهمت المغزى من ذلك حرصك على دوام واستمرار التواصل، ولما عرف بمغادرتي المنتدى كان يرسل لي -رحمه الله- كل الكلمات التي كان يرسلها للمنتدى، وكانت آخر كلمة أرسلها كلمته بمناسبة شهر المولد.

فأي رجل هذا؟! وأي مرب؟! إنه تربية الدوحة النبهانية.

أستاذنا الكريم وفقيدنا الغالي كأني بك الآن في كنف السيد النبهان وقد فارقتنا ولسان حالك يقول: غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه، التقيت بالسيد النبهان وأخيك الشيخ محمد حوت والشيخ محمد لطفي والشيخ حسان فرفوطي وغيرهم ممن سبقك إلى أحضان السيد النبهان، طبت حيًّا وميتًا يا أبا محمد.

والله إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا على فراقك لمحزونون، وإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتب لنا عنه تلميذه الشيخ الدكتور عثمان العمر:

وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نعزي أنفسنا ونعزي أتباع السيد النبهان ﵁ ونعزي آل الفجال الكرام.

وكما نعزي آل بيت النبوة وامتنا الإسلامية بفقيدها العالم العامل الحسيب النسيب معدن التقى وبيت الكرم والجود والتواضع الأستاذ الدكتور محمود يوسف فجال، رحمه الله، وأنزل عليه سحائب رحمته ورضوانه.

عرفت الفقيد من عام ١٩٦٦م يعني من خمسين عامًا درسنا النحو والخط ولم يكن أخذ الثانوية العامة وكان عزبًا لم يتزوج بعد لكنه في ذلك الوقت كان عالمًا دؤوبًا في المطالعة والتحصيل.

من أين ابدأ وإلى أين أنتهي بالحديث عن بعض الصفات التي كان متميزًا بها؟! والله لا أدري. فصفاته العظيمة جمة، ويكفي أنه كان صادقًا متميزًا مع المربي العظيم فريد الدهر سيدي ومولاي محمد النبهان ﵁.

قلت في بداية حديثي أعزي آل بيت النبوة به لأنه كان من هذه الشجرة الطيبة، فهو الحسيب النسيب والذي لا يعرف هذا عنه إلا القلة القليلة لأنه من تواضعه كان -رحمه الله- لا يريد أن يعلن عن هذا أو يعرف به فهو من قبيلة الويسات -رحمه الله- المنتسبين لسيدنا رسول الله ﷺ.

نزاهته -رحمه الله- وعصاميته: كان -رحمه الله- شغوفًا بشراء الطبعات النادرة من الكتب لكنه لما كان يدرس في الأزهر لم يستدن ولم يمد يده لأحد ليساعده بل باع كتبه العزيزة عليه من أجل الدراسة. ومع مرور الأيام وفي الدراسات العليا احتاج لبيع بيته في حلب ولما علم سيدنا النبهان ﵁ قال له: يا شيخ محمود تبيع بيتك وأنا موجود؟! وسحب السيد درج الطاولة ليخرج له فلوسًا فما كان من أستاذنا إلا أن قال: يا سيدي ومولاي سألتك بحبيبك محمد ﷺ لا أريد فلوسًا ولا آخذ من فضيلتك فلوسًا أنا لم أصحبك لأجل الدنيا.

وقد نكون معه في السوق فيشتري حاجة ويحتاج نصف ليرة أو أكثر أو أقل فيدفعها أحد تلامذته فما تمر الساعات أو اليوم إلا ويردها لمن دفعها ومهما تمنع الطالب وأراد ألا يأخذ ما دفع لا يقبل ذلك -رحمه الله وآنسه- ويصر كل الإصرار على رد ما أخذ قل ذلك أو كثر.

أما تواضعه: فما رأيته في يوم من الأيام سمح لأحد تلامذته أن يقبل يده الكريمة، وقد نكون معه ونحن طلاب في السوق وقد يكون عددنا ثلاثة أو أربعة فيقول: ليبق فلان وليسبقنا البقية إلى المدرسة كي لا يكون في مظهر المشيخة شيخ وراءه طلابه ومحبوه.

هذا ديدنه. وهذا شانه في حياته مع طلابه. متواضعًا لهم ناصحًا للصغير والكبير منهم.

علّمنا في المدرسة شرح قطر الندى وبل الصدى كما علمنا الخط (خط الرقعة).

كما درست وتعلمت على يديه -ومعي أخي الأكبر الشيخ علي عمر وحبيبنا الغالي المرحوم الشيخ محمد ناصر حوت وكان موجهًا في المدرسة- بعض كتاب أوضح المسالك في جامع الحديدين، وللشيخ محمد حوت -رحمه الله- خصوصية كبيرة عنده.

من رآه عن بعد هابه وذكر الله. ومن خالطه معرفة استأنس به وأحبه. كنا نزوره في بيته في مصر في مرحلة دراسته الماجستير وفي إحدى الزيارات تفاجأت إذ وجدته قد وضع قطنًا وراء قزاز نضارته فسألته وأنا قلق على صحته فقال: لا شيء سوى أن نظري يتعب من المطالعة والكتابة فأريح عينًا وأقرأ بعين. لأنه كان يقرأ ويكتب في اليوم والليلة ما يزيد على خمس عشرة ساعة. لا يعرف الملل ولا التعب. سعادته كتابه. وزرته في أبها مرتين. المرة الأولى: كانت بصحبة أخي الغالي الشيخ محمود الزين -رحمه الله- وأخي الكبير الشيخ علي، ونزلنا ضيوفًا في بيته المبارك فكان مثال الجود والكرم وحسن الضيافة والتواضع ينقلنا من مسألة علم إلى مسألة علم أخرى ومن كتاب إلى كتاب لأنه لا يترك كتابه لا في ليل ولا في نهار ولا في سفر ولا في حضر.

والزيارة الثانية: كانت مع زوجتي الثانية ونزلنا ضيوفًا عنده في بيته العامر، فأكرمنا غاية الإكرام، ومما يلفت النظر أن أحد غرف بيته وكان بيته طابقين في الإضافي غرفة فيها طاولات دراسية لأبنائه ولوح للشرح، فلنعم الطلاب طلابه وهم أولاده ولنعم المعلم الكبير العظيم هو فقيدنا الغالي المرحوم الأستاذ الدكتور محمود فجال أبو محمد. هذا الجهد في التعليم أنتج الأنجال الزهور العلماء الذين كانوا قرة عين لأبيهم ولنا وللأمة الإسلامية والنبهانية، فحققوا ما أراد وتمنى لهم. وحصل الأنجال الأربعة على شهادة الدكتوراه في النحو والصرف، وبعضهم على مرتبة الأستاذية. وفقيدنا الذي قال فيه أحد زملائه في أبها قصيدة جميلة وهو الدكتور عبد الهادي حرب:

وعِمامَةُ العُلَماءِ فَوقَ جَبِينِهِ   تاج يَشُعُّ النُّور مِنْ عِقْيانِهِ

وفي يوم من الأيام وأنا عائد من سورية إلى دولة الإمارات وصلت مدينة الأحساء الساعة الثانية ليلًا ونزلت فندقًا وكان المرحوم الفقيد مدرسًا فيها وفي الصباح الساعة العاشرة خرجت من غرفتي مع الأهل وقلت أستاذنا هنا لا بد أن

أسلم عليه ولو بالهاتف فاتصلت به -رحمه الله- وإذ به يسألني أين أنت الآن؟ قلت: في الفندق الفلاني وأنا مسافر إلى دبي.

قال لي: يا شيخ عثمان أنا في الأحساء وتنزل بالفندق كيف يكون هذا؟! كيف سمحت لك نفسك أن تنام بالفندق وأخوك في الأحساء؟! قلت: مولانا أنا وصلت الساعة الثانية ليلًا قال: حتى ولو الساعة الثالثة علمًا أنني كنت مستيقظًا في الساعة الثانية. انتظر ولدي متوجه إليك لأراك. ونحن في زمن قلّ ما تجد هذه المعاملة من صديق ندّ فضلًا من أستاذ كبير، والحقيقة كانت روح الأبوة فيه ظاهرة بينة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

والله يا أحبائي أكتب لكم وعيناي تذرفان دموعًا بالبكاء وكأن الموقف متجسد متجدد أمامي في هذه اللحظة وهذه الساعة وكان هذا في شهر رمضان المبارك يعلمنا الكرم والمحبة بين إخواننا النبهانيين خاصة والمسلمين عامة يعلمنا كرم الأخلاق وكرم اليد وكرم الضيافة كيف لا وهو التلميذ الصادق لصاحب الكرم والجود الذي

ما قال لا قَطُّ إلا في تَشَهُّدِهِ ... لولا التَّشَهُّدُ كانت لاؤُهُ نَعَمُ

نبهاني ويكون بخيلًا؟! هذا لا يكون أبدًا... أبدًا.

نبهاني ويكون جبانًا؟! هذا لا يكون أبدًا.. أبدًا.

ولما وصلت بيته رجع يكرر عليَّ اللوم يا شيخ عثمان تنام في الفندق وأخوك محمود في الأحساء كيف يكون هذا؟!

رحمك الله أستاذنا الجليل أبا محمد. علم، وعمل، وتقوى، وتواضع جم، وكرم ضيافة.

وأختم كلمتي بقول الشاعر:

هو البحر مِنْ أيِّ الجهات أتيتَهُ ... فَلُجَّتُهُ المعروفُ والجود ساحِلُه

نسأل الله أن يلحقنا بالركب من غير أن نبدل أو نغير. وما كتبته عن شيخنا وأستاذنا وعالمنا غيض من فيض ونقطة من بحر.

نسأل الله أن يجمعنا بهم عند مليك رحيم غفور والسلام عليكم أحبتي ورحمة الله وبركاته.

وكتب لنا عنه تلميذه الدكتور عبد الله الحسن:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين القائل: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

وفي هذا اليوم ١٣ من ربيع الأول ١٤٣٧هـ الموافق ٢٤ كانون الأول ٢٠١٥م وَدَّعَ العالم الإسلامي أحد علماء وأعلام هذا العصر الشيخ الأستاذ الدكتور محمود يوسف فجَّال -رحمه الله- فنعزي أولًا الأمة الإسلامية لفقدها عمودًا من أعمدة العلم، ونعزي أنفسنا وطلابه الذين تفرقوا في جنبات الأرض وأحبابه الذين عرفوه ولازموه ممن نرى أثره فيهم من خلال الرسائل العلمية والتراث الذي حققه ونشره وأكبوا على النهل منه. ووسائل التواصل المختلفة التي تدل على التواصل به والاستفادة منه واستشاراته في أمورهم العلمية والعامة والخاصة، ونعزي الأحبة من زملائنا وأحبابنا الذين يتابعون بشغف وانتظار مطلع كل شهر من الشهور الهجرية المباركة لما يتحفنا به من نفحات صادقة مؤثرة في النفوس وما تتركه من أثر في السلوك.

ونعزي آل فجَّال الكرام أبناء وإخوة وأصهارًا وأرحامًا ونسأل الله أن يربط على قلوبهم ويلهمهم الصبر والسلوان وأن يجعل شيخنا وأستاذنا في أعلى عليين ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

ومن حق شيخنا علينا بل من أوجب الواجبات أن نذكر ما عرفناه وما لمسناه من سيرته العطرة وما غاب عنا أكثر مما كان في السر مما ادخره بينه وبين ربه وما لم يطلع عليه إلا خاصته، وما نقوله اليوم في هذا الجانب ليس هو مجرد إطراء بل هو من باب ماروي عن سيدنا أبي ذر ﵁ قال: قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ «قال تلك عاجل بشرى المؤمن»(١). ونحن الآن نقول هذا وهو في عالمه الآخر الذي لم يعد لكلامنا هذا بالنسبة له شيء، وإنما هو وفاء التلاميذ لمربيهم، ولنشر فضائل الفضلاء ليقتدي بها الأحياء.

ولقد وقفت للحظات أتأمل من أين أبدأ الحديث وأي جانب أسلك فوجدت أن من يريد أن يرقى إلى مكان أو مكانة لا بد أن يبدأ بالسلم من الدرجة الأولى، فأول ما اكتحلت عيناي برؤية شيخنا كان لما دخلت المدرسة في أول طلبي للعلم الشرعي فكان هو المستقبل الأول لنا في حياتنا العلمية فهو الأستاذ للعلوم التأسيسية كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والخط، وهو أيضًا الموجه والمراقب، فكان أول انطباع لنا لمسناه في شيخنا هو الحزم والانضباط، وكان هذا يظهر على محيا وجهه الكريم وفي نظراته وكلامه الذي يحسب فيه وقع كل كلمة وفي مشيته وجلسته، فكان مُهابًا يخيل إليك أن كل من في المدرسة منضبط ويحسب حساب أي تصرف لا ينبغي.

وكان -رحمه الله- شديد العفاف وصارمًا على نفسه في ذلك، وكان يؤصل فينا هذا الخلق.

كما كان -رحمه الله- معروفًا بقول الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم وبشجاعته في طرح رأيه، ومساجد حلب عرفته خطيبًا جهوري الصوت بليغ

(١) رواه «مسلم» في «صحيحه» (كتاب البر والصلة والآداب - باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره) حديث رقم [٢٦٤٢] ٤: ٢٠٣٤.

الكلمة مؤثرًا في النفوس، وكانت خطبه في الملمات التي ينتدب لها من قبل السيد ﷺ ترتج لها جنبات المحافل، وإذا وقف مؤبنًا ذرفت لكلماته العيون وخفقت القلوب لصدق اللهجة وقوة التعبير عن المكنون.

وهناك جانب آخر مهم في سيرة شيخنا -رحمه الله- وحديثنا فيه على قدر اطلاعنا عليه ولكن ربما لو تكلم عنه من زامله أو لازمه لكان كلامه أوفى لأننا طلاب ولا يتاح لنا إلا القليل مما نشاهده أو نلمسه، أقول وهذا الجانب هو جانب علو الهمة الذي كان يتصف به شيخنا -رحمه الله- فكان دؤوبًا في طلب العلم ومطالعة الكتب والتزامه العجيب بقراءتها كاملة على الشيوخ ولم يقتصر على من هم في بلده وإنما كان يذهب قاصدًا إلى معاقل العلم والعلماء في بيوتهم ومساجدهم فيدرس عليهم وبصفة خاصة علماء دمشق، واستغل فترة خدمته في الجندية فلازم كثيرًا من العلماء والصالحين في دمشق، وكانت له عندهم مكانة خاصة ومنزلة مميزة كيف لا وهو الذي كان زاهدًا في الشهادات مخلصًا في طلب العلم حتى أشار عليه السيد ﷺ أن يسلك إلى جانب القراءة الخاصة على العلماء طريق الدراسة النظامية، وفي هذا ملمح مشرق لما سيؤول إليه أمره ولِما سيكون سببًا في الفتح عليه في ميادين العلم ورحابه وفي معاقل الجامعات، فعصرنا إلى جانب العلم الغزير يحتاج إلى الوسائل للولوج إلى تلك الميادين التي وضِعت لها قيود وضوابط، والتي أصبحت في عصرنا قبلة المتعلمين ولا يعترف إلا بالشهادات الصادرة من قِبَلها، ولا يُمَكّن أهل العلم إلى الولوج إليها إلا إذا كانوا يحملون هذه الشهادات، فبدأ شيخنا الدراسة وحصل على الثانوية ثم التحق بالجامعة حتى أنهى الدراسة فيها، ولكن همته العالية لم تكن لتقف عند هذا الحد الذي وقف عنده كثير من أقرانه واكتفى به فعقد العزم على مواصلة الدراسة فالتحق بجامعة الأزهر كلية اللغة العربية على قلة في ذات اليد فباع بيته ولم يُجِز لنفسه أن يقترض من أحد حتى من أعز الناس وأقربهم إليه، وفي مرحلة تحضيره لرسالة الدكتوراه قُدِّر لي أن ألتحق أيضا بكلية أصول الدين لاستكمال الدراسة، فأدركنا شيخنا هناك وكنا

نعاود زيارته وكان ذلك أيضا شأن معظم الطلاب في مواسم الامتحانات فوجدنا فيه جانبًا آخر فالمهابة التي كانت عندما كنا طلابًا في المدرسة وجدناها الآن رحمة ورقة وتواضعًا وتواصلًا.

فألفيناه معتكفا في بيته على الدرس والعلم والمطالعة والتحضير للرسالة ولا يخرج إلا للضرورة بل حدثنا أن أهله عندما كانوا يصنعون الطعام يضعونه وراء الباب لئلا ينشغل عما هو فيه من التحصيل.

ولم يكن في ذلك الوقت تلك الأجهزة الحديثة والفهارس الآلية للكتب التي يتوصل فيها اليوم إلى المعلومة بضغطة زر على مفتاح الحاسب الآلي، فكان يمسك الكتب التي يحتاجها مثل كتاب (سيبويه) وأشباهه فيفهرسها بطريقة فنية ليصل إلى المعلومة بسهولة عند الحاجة إليها، وهذا عمل لا يطيقه إلا افراد قلة لأنه يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، ولا يظهر أثره في العمل العلمي ولا يدركه إلا من يعايش تلك الكتب ويعرف صعوبة الوصول إلى مثل تلك المعلومات الدقيقة.

ولما يسَّر الله له مناقشة الرسالة قدَّر الله أنّ لجنة من جامعة محمد بن سعود الإسلامية وصلت إلى القاهرة للتعاقد مع أساتذة في اللغة، فتواصلوا مع جامعة الأزهر فأشار عليهم عميد كلية اللغة العربية - وكان على ما أعتقد هو المشرف على الرسالة أو عضوًا في مناقشتها - فأشار عليهم بالتعاقد معه لما يعلم من مكانته العلمية ورسوخ قدمه في هذا الميدان فاغتنمت اللجنة هذه النصيحة ولم تأبه بالخبرة التي هي من شروط التعاقد أو من مرجحات التفاضل بين المتقدمين وقد تم ذلك وكان اغتباط اللجنة به عظيمًا.

فكان -رحمه الله- قامةً في الهِمّة، وكنت إذا استشارني أحد في مواصلة الدراسة أو إعداد رسالة كنت أضرب له المثل بشيخنا ودأبه في ذلك وصبره وذلك لشحذ همته، ولم يكن نيل هذه الشهادة هو نهاية المطاف بالنسبة له بل كانت فاتحة للعطاء العلمي الغزير والمتميز يدل على ذلك ما تركه من مؤلفات وتحقيقات فريدة

في نوعها حتى بلغ رتبة الأستاذية وأصبح رأسا في هذا العلم إلى جانب ما يتقنه من فنون العلم الأخرى المختلفة، واستمر هذا حتى آخر لحظة في أنفاسه ففارق الحياة وهو على مكتبه يصحح كتاب (الكافي)، وبقيت الأوراق والنماذج مكدسة على المكتب شاهدة له بأنه لم يترك لحظة تمر دون فائدة، محييًا بذلك سُنّة العلماء السابقين الذين كنا نقرأ سيرهم في الكتب ممن تطاول الزمان بيننا وبينهم.

فرحم الله شيخنا رحمة واسعة وبارك له في ذريته من بعده فقد غرس فيهم حب العلم ومما يدل على أن هذا البيت بيت مبارك وبيت علم هذه الكوكبة من أبنائه الكرام الذين يحملون الشهادات العليا التي قلَّ أن تجتمع في بيت من البيوت.

هذا وهناك جانب هام جدًّا في حياة شيخنا ولعله مقدم على ما ذكرنا وهو ما كان عليه من قدم راسخة في السلوك، وصدق في الاتباع، ومنزلة في هذا المقام فريدة تقاصرت عنها همم الكثيرين، يعرفها كل من له صلة به، ولكني لم أخض في بيان هذا الجانب؛ لأن مثلي لا يرقى إلى أن يتحدث عن منازل هو ليس من أهلها.

هذا ما وفقت إليه ولا شك أن عند زملائنا وإخواننا ممن أتيح لهم تجدد اللقاء والمصاحبة الكثير الذي ننتظر منهم أن يتحفوننا به

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ورثاه تلميذه الشيخ إبراهيم منصور فقال:

(كلمات في تأبين شيخنا وأستاذنا الشيخ الدكتور محمود فجَّال، رحمه الله).

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله.

وبعد: لقد فُجعنا وفُجئنا بنعي شيخنا الحبيب وأستاذنا الكبير الدكتور محمود فجال أبي محمد، عليه رحمات الله تترى.

كنا نَعلم أنّ كل نفس ذائقة الموت. ولكن إلفنا أُنسه والتواصل معه وإدمان لَطائفه عبر هذه النفحات أذهلنا عن هذه الحقيقة.

أجَل، رحل عن هذه الدنيا هذه الأيام عالِم عَلَم. حاله ليس من حال أهل هذا الزمان.

حيث يخيَّل إلى من يستعرض حياته أنه يقرأ في (صفة الصفوة) أو (سير أعلام النبلاء).

كان طالب علم بالفطرة. صوفيًّا بالفطرة، متأدبًا متعففًا جادًّا حازمًا متنسكًا بالفطرة، لم يولد في بيت علم، ولكنه فَتح عينيه حين فتحها على العلم والعلماء والكتب والدروس ومجالسة الصالحين.

كان جمعُ الكتب أحب إليه من جمع الذهب.

وأن يُدخل على بيته مصنفًا من الأمهات أحبُّ إليه من أن يدخل إليه طعاما أو أريكة أو بساطًا أو نحو ذلك من أثاث ومتاع، مع حاجة البيت إلى ذلك الأثاث والمتاع.

ومع ضيق ذات يده في شبابه فقد كنا نسمع ونحن في سن الطلب أنه كوَّن في بيته مكتبة عامرة زاخرة فاخرة، قلَّ أن تجد مثلها إلا في بيوت الموسرين من طلبة العلم والمثقفين.

حُبِّب إليه من العلوم علمُ العربية نحوًا وصرفًا وخطًّا والفِقْهُ، وإن كان بأولهما أذكر وأشهر.

ومن معين علم العربية أنهلَ طلابَه وأعلَّهم -وكنتُ بحمد الله منهم- في دار نهضة العلوم الشرعية في حلب، كما أنهل وأعلَّ طلابَه في الجامعات التي عمل فيها بالمملكة العربية السعودية.

أما دروسه الخاصة فكانت متنوعة المعارف والعلوم كما علمت ذلك من خلال بعض من كان يقرأ عليه العلم في منزله في الرياض.

لما عزم الشيخ الشاب محمود فجَّال على مغادرة مدينة حلب إلى القاهرة للدراسات الجامعية والعليا، باع مكتبته العامرة وشقته في حلب -وليس له غيرها- ليغطي نفقة دراسته وإقامته في القاهرة متفرغًا للدراسة.

ألم أقل لكم: إن حاله لم يكن من حال أهل هذا الزمان؟!

في صيف عام ١٩٧٥م كنا جيرانه في ذات العمارة رقم ٣ في حي رابعة الشهير في القاهرة.

زرناه مرة فوجدناه منهمكًا في تحقيق مخطوطة مصورة على فيلم موضوع على جهاز بروجكتر يعكس صورة صفحات المخطوطة على الجدار. فيقرأ الشيخ ويدقق ويحقق.

وكانت أول مرة تقع فيها أبصارنا على هذا النوع من التقنية التي عددناها آنذاك من العجائب.

كانت المفارقة اللافتة التي لا أنساها في تلك الزيارة هي ما لمسناه من الشيخ -رحمه الله- من تودد وملاطفة تختلف تماما عما عهدناه منه أيام الكلتاوية من حزم وهيبة. حتى لكأنه قد رفع بيننا وبينه الكلفة في تلك الجلسة.

والحق أنه ما رفعها، ولكنه الفرق بين تعامل الشيخ مع طلابه وتعامله مع ضيوفه.

وإلا فإن الهيبة والوقار وهالة الأدب ولغة العلم هي التي تجلِّل مجلسه وجلساءه شاؤوا أم أبَوا.

أنهى دراساته العليا الرسمية وأتم أبحاثها وأحرز شهاداتها، وانتقل إلى التدريس في الجامعات السعودية، ولكنه لم ينته من البحث في العلم وتحقيق المصنفات وتصنيف الكتب.

إنه أخو التأليف والتصنيف، وجليس المصنفات والمخطوطات، وقرين القلم والقرطاس وضيف المكتبات والمطابع ودور النشر.

يشهد له بذلك ميراثه العلمي الثري. وخاتمته الحسنة؛ حيث كان آخر عهده بالدنيا مكتب ومصحف وقلم وقراطيس أثبت عليها تحقيقاته وملاحظاته.

هذا والعلة مستحكمة، والحركة متثاقلة والتنفس متعسر متعثر.

ولكن مجالسة الكتب جَنته وأُنس نفسه وغذاء عقله وسعادة روحه.

وأعجبتني عبارة صحيفة «سبق» الإلكترونية حين قالت في تأبينه: «من المحبرة إلى المقبرة».

كثيرون هم الذين أحبوا العلم وجمعوا منه مثل أو أكثر مما جمع هذا الإمام النحوي الباحث المتبحر.

ولكن ميزة شيخنا أبي محمد -رحمه الله- أنه جمع إلى ذلك تربية صارمة وسلوكا قويما راضَ نفسه به على عين شيخه سيدنا محمد النبهان، قدس الله سره.

وقد كان علمه وسلوكه السمة الأبرز في مجلسه حتى عندما يخرج من بين الكتب والقراطيس المطبوع منها والمخطوط.

شرَّفني مرات بزيارة منزلي في الدمام إبان إقامته في الأحساء حيث كان يتردد لزيارة صهره عمار ابن أخينا الكبير المرحوم الشيخ عبد الله الجاسم. وذلك قبل نحو ربع قرن.

فكان مجلسه الموقر بين حديث عن سيدنا وتوجيهاته ومواقفه. وحديث عن علم النحو والصرف وخدمته وتطبيقاته وأسفاره الضخمة ومراجعه.

أذكر أنني في إحدى تلك الزيارات كنت أتحين الفرصة في الجلسة لأسأله عن قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ (سورة النجم ٢٣).

لِمَ لَم تُمنع (أسماءٌ) في الآية من الصرف كما مُنعت (أشياء) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾؟! (سورة المائدة ١٠١).

وكانت المفاجأة أن حديثه عن بعض شؤون النحو وشجونه انتهى به إلى إيراد إشكالي قبل أن أسأل. وبيان جواب ذلك الإشكال؛ من قَبِيل أن الهمزة في (أسماء) ليست همزة أصلية وإنما هي منقلبة عن واو أصلية، وقد عددتُ ذلك مكاشفة منه وكرامة له.

وإنّ صفاءه ونقاءه بذلك لجدير. جزاه الله عنا خيرا.

وفي جلسة له أخرى في منزلي في الدمام، وقد حضرها عدد من زملائنا طلاب الشيخ في حلب. فجرى على لسان أحدنا كلمة (نَحَوي) بفتح الحاء، فالتفت شيخنا إليه وقال: (نَحْوي) بسكونها.

وفي نفس تلك الجلسة أيضًا وكأنها أمامي الساعة، جرى على لسان أحدنا كلمة (فَهرَس). فتح فيها الفاء والراء، فالتفت إليه شيخنا المحقق المدقق وقال: (فِهرِس). بكسرهما.

كان يحب العلم والمذاكرة فيه.

وكنت كلما عرض لي إشكال نحوي كتبت به إليه عن طريق البريد الإلكتروني لابنه الدكتور أنس. فلا يلبث أن يأتيني الجواب مفصلًا مؤصلًا. حتى اجتمع لدي من ذلك مسائل جمعتها على سطح المكتب في الحاسب في ملف أسميته «الفتاوى النحوية للدكتور الفجَّال».

ويؤسفني أن الهارد قد تعطل وضاع مني هذا الملف مع جملة من الأبحاث الأخرى.

وأحسب أني لو راجعت بريد الدكتور أنس لوجدت الأسئلة وأجوبتها.

وعندي الآن على سطح مكتب الحاسب ملف بعنوان (إشكالات نحوية).

فيه أربعة إشكالات أنتظر أن يجتمع منها المزيد لأرسل بها إلى أستاذي دفعة واحدة. ولكن أجله بادر تأجيلي.

فمن لها بعدك يا شيخ نحاة العصر؟!

ما كان لي أن أختم هذه المقالة التأبينية التي أردتها كلمات فكانت كلمة. قبل أن أعرِّج على واحدة من مكارم أخلاقه الكثيرة ألا وهي كرم ضيافته وثراء مائدته وسروره البالغ بأضيافه.

شهدتُ ذلك بنفسي حين زرته أكثر من مرة في الأحساء بصحبة الشيخ عبد الله الجاسم، رحمه الله. والشيخ أحمد ناصر حوت. والشيخ محمد مهدي نجم. بارك الله في عمريهما مع العافية.

ولقد سبق أن حدَّثتُ بذلك غير مرة زملاءَ دراسة لم يعرفوا الشيخ عن كثب كما عرفتُه.

كان آخرُ عهدي بمجلس الشيخ -رحمه الله- قبل نحو سنة ونصف حين جاء به ولده الدكتور يوسف إلى منتجع في شاطئ نصف القمر على مقربة من الدمام.

هاتفني أخي الشيخ محمود العبيد فقال: كلمني الشيخ محمود فجَّال. وهو موجود في الشرقية وقد دعوته بإلحاح فاعتذر بشدة. فحاول أنت معه لعله يستجيب فنحظى برؤيته.

اتصلتُ به فسلمت ودعوته فاعتذر. فأذكر أنه كان مما قلت له: سيدي. من حقنا عليكم وأنت في الشرقية أن تزورنا. ولسنا نتنازل عن حقنا. ولستم ممن يضيع الحقوق.

فأجاب مشكورًا مأجورًا، واشترط دعوة الشيخ محمود العبيد لأنه الأسبق في الدعوة. في جملة شروط أخرى وفَينا بالممكن منها.

وكانت ساعة من الجنة صفاء وسرورًا. كان جماله فيها طاغيا على جلاله بشكل ملحوظ.

كان البِشر يكسو محياه والبسمة لا تكاد تفارق شفتيه. والدعابة تتردد في كلامه.

أشعرني بحنان أبوة فقدتها منذ الطفولة، جزاه الله عن إحسانِه إحسانَه، سبحانه.

حضرت مجلس التعزية في الرياض بصحبة أخينا وشيخنا الشيخ محمود العبيد.

وفي مجلس التعزية قلت: عزاؤنا في شيخنا حديث النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

أما الصدقة فبينه وبين ربه. الله بها أعلم. وأما الولد الصالح فسيما الأبناء في وجوههم، حفظهم الله ورعاهم.

وأما العلم الذي ينتفع به فهذه مصنفاته. وهؤلاء طلبته الذين لا يحصون عددًا.

وكل عِلم من عِلمه ينفعون به فلهم أجره. وله مثل أجرهم، فهنيئًا له الأجر الموصول.

ومن لطائف الموافقات في هذا الباب أنه دخل مجلس التعزية ونحن فيه شاب من الجنسية المصرية، ظننته أحد تلامذة الشيخ أو أحد معارفه.

ولكنه لما تكلم تبين أنه تعرَّف على الشيخ للتو بعد وفاته عن طريق البحث عن أحد مؤلفاته، قال إنه يبحث عن كتاب «الاقتراح في أصول النحو» للإمام السيوطي -رحمه الله- وقد طال بحثه عنه دون جدوى، إلى أن دخل قبل يومين مكتبة كبيرة في الرياض فلم يجد فيها إلا نسخة واحدة هي نسخة صاحب المكتبة.

وهي ليست للبيع، اطلع على النسخة فوجدها بتحقيق الدكتور الفجال، باسم «الإصباح شرح الاقتراح» فسأل صاحب الكتاب عن كيفية الحصول على (الإصباح) فقال: أنا لا أعرف الدكتور الفجال المحقق، ولكن خذ هذا الرقم فسوف يصلك بمن يدلك عليه.

وبعد سلسلة اتصالات أجراها تَوَصَّل إلى رقم أحد أبناء الشيخ.

فلما سأله عن الوالد وعن الكتاب، أخبره بأن الوالد توفي أمس، فسأل عن مكان التعزية وجاء معزيًا متأثرًا.

سيدي وأستاذي العالم الفاضل الراحل أبا محمد، أعزي فيك نفسي وإخواني الذين وردوا معين علمك.

وأعزي الأسرة النبهانية التي كنت من بقية أوائلها.

وأعزي أسرة هذا المنتدى الذي كنت تاجه وسراجه وركن أركانه ولسان ميزانه.

وأعزي علم العربية الذي فقد أحد أهم رؤسائه وأخلص جلسائه.

وأعزي القلم الذي فارقته أناملُك وهو لا يدري أنه فراق الا بد.

وأعزي القرطاس الذي لن يسعد بعدها بمس راحتيك وتقليب ناظريك.

وأعزي الأمة الإسلامية التي فجعت بفقد أحد علمائها وصلحائها.

وأعزي أسرتك الكريمة وأولادك وإخوانك وكل من يلوذ بك من قرابات وأرحام وأحباب ومحبين.

وأهنئك بحسن الخاتمة. ولقاء الأحبة من الأسرة النبهانية التي سبقت إلى عالم البرزخ.

ويا لسعادة اللقاء بتلك الكوكبة برعاية حامي الحمى أبي أحمد.

هذه آمالنا جميعا السابق منا واللاحق، وبالله رجاؤنا وعليه اتكالنا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وكتب لنا تلميذه الشيخ الدكتور علي مشاعل:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار، وإنا لله وإنا إليه راجعون. إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا أستاذنا يا شيخنا يا معلمنا يا حبيبنا لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

شيخنا الجليل:

مصابك الذي لم يكن له عندنا مقدمات، ولا تمهيد، كان مصابًا جليلًا وخطبًا عظيمًا وهائلًا. لقد فجعنا بك فاجعة موصولة بفاجعتنا العظمى بسيدنا ومولانا وحبيبنا النبهان رضي الله عنه. وها هو يستقبلك يا شيخنا بالأحضان، وتلتقي الروحان وتمتزجان حبًا وشوقًا وفناء منك يا شيخنا في حبيبك ونور ذراتك.

شيخنا الجليل الغالي:

رحمك الله رحمة واسعة، ورفع درجتك، وهنأك بالمعية الكاملة مع سيد الوجود حيث الوارث والموروث تراهما - كما قلت قبل أيام في كلمة شهر ربيع الأول - واحدًا وليس اثنين حيث لا توجد اثنينية ولا يوجد اثنان. وقد كنت تعاني من المرض ما تعاني، وما كنت تبوح بما تعاني بل كنت صابرًا محتسبًا مسلمًا مستسلمًا لحبيبك راضيًا غير شاكٍ لأحد ولا متضايق من مرضك، وذلك لعظيم يقينك وجميل صبرك، ولشعورك بقرب حبيبك منك. وكان مما قلت يا شيخنا الحبيب. يا من صرت في جوار الحبيب القريب:

(الكلمة الشهرية لشهر ربيع الأول ٨ ربيع الأول ١٤٣٧ هـ، من نفحات المولد النبوي):

الإخوة الأعزاء سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

ها قد مددت يدي وأنا العبد الراجي إليكما بل إليك (لا توجد اثنينية)

فلا تردها بدون نوال.. ما لي في يوم المعاد سواك.. يا من صدحتَ بقولك: أنا لها أنا لها

ورحم الله القائل:

كن لي شفيعًا يوم لا يُغني الورى فيه شفاعةُ صاحب وخدين [1]
وإذا دعوت الله خشية زلةٍ فأجبْ دعائي منك بالتأمين

صلى الله عليك يا علم الهدى ويا كعبة الحسن ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم، والسلام، وكل عام وأنتم بخير. محمود فجال.

شيخنا الحبيب: عزاؤنا فيك إجابتك أمر حبيبك، واستجابتك لدعواه، وقدومك عليه، وشوقك إليه، وكونك بلغت عنه ما بلغت، وأديت الأمانات التي حملت. لقد صحبناك في آخر مرحلة من مراحل حياتك يا حبيبنا في هذا المنتدى منتدى النفحات النبهانية فكنت نعم الأستاذ ونعم الشيخ ونعم الدكتور والباحث ونعم المربي والمرشد أنت ونعم المصلح اللطيف ونعم الموجه الرحيم مع أبنائك وأصحابك وأحبابك. زاد لطفك وكبر حلمك وعظم تحملك وجمل.

يا حبيبنا الغالي:

لقد كانت هذه الصحبة والأخوة هي آخر محطة لنا معك في هذه الحياة نرسل إلى روحك الطاهرة وقلبك الكبير كل الحب والود والشوق ممزوجًا بدموع الحزن التي انسابت من محبيك بعفوية وحنان ونرسل معك يا حبيبنا كل شوقنا وسلامنا وتحياتنا وتفانينا إلى طب قلوبنا ودوائها وعافية أبداننا وشفائها ونور أبصارنا

---

(١) خدين: صاحب و صديق حميم.

وضيائها سيدنا وحبيبنا وشيخنا ومربينا ودليلنا ومرشدنا ومعرفنا وحياتنا وأرواحنا صاحب المرتبة النبهانية التي أوجدها الله له ولأجله السيد النبهان ﷺ.

حبيبنا الأستاذ الدكتور محمود فجَّال المحب المحبوب الفاني المتفاني في الحبيب في أمان الله وفردوسه في معية الرسول الأعظم ﷺ، والحبيب النبهان، رضي الله عنه وأرضاه.

وأنتم يا عائلة شيخنا زوجة وأولادًا أبناء وبنات أحفادًا وأصهارًا وأرحامًا وقرابة عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم ورحم فقيدنا وفقيدكم وألهمكم الصبر والسلوان ولكم يا تلاميذ الشيخ الجليل ويا مريديه ويا أحبابه ويا من صحبتموه ورأيتم أنواره ولطائفه لكم مني أحر التعازي والمواساة.

واليوم وبعد مرور أربعين يوما على وفاته -رحمه الله- أقول:

يا أيها الإخوة الأحبة:

بهذه المناسبة وبعد مرور أربعين يومًا على فقد أستاذنا وشيخنا الدكتور محمود فجال -رحمه الله- أحببت أن أسجل هذه الكلمات وفاء وحبًا ودعاء له، رحمه الله.

لقد بحث فقيدنا عن المربي صادقًا فرأى في النوم الولي الهاشمي الذي وَصَلته من الفقيد الباحث عن المربي وَصِلته رسالة تقطر صدقًا فما كان من الشيخ الهاشمي -رحمه الله- إلا أن سمى نفسه الساقية ونصحه بالبحر وأفصح عن البحر باسمه وأنه هو (السيد محمد النبهان) ﷺ.

لما رأى الوارث المحمدي ﷺ صدق هذا الباحث فتح له بيته ومجلسه وقلبه وأعطاه من وقته القدر الثمين في الوقت الذي كان العلماء والقاصدون يقفون ويجلسون وينتظرون على الأبواب.

لقد أخذ العارف المحقق قلب هذا الباحث المدقق وعرف ﷺ ما يصلح كل باحث مريد وما يصلح له فكان يوجه مريده المأخوذ به إلى كتابه ودراسته الذي فيه سلوكه وإنتاجه وإثماره.

وهكذا شأن المربي الكامل الذي يعرفه ربه -سبحانه- حقيقة كل مريد وسلوكه الذي يناسبه وحجابه الخاص به.

لقد علم المربي الفذ ﷺ أن مريده الفقيد لا يحركه الجمال الطبيعي.

كما يحرك الشباب ولا يستميل نفسه، فأرسل معه تلك المرأة التي لم تكن متحجبة، أرسلها معه في وسيلة نقل عامة، وكان المربي مطمئنًا إلى أمانة مريده وعفته ونزاهته وانجذاب قلبه إلى الجمال المحمدي وتلاشي كل جمال دونه.

لقد كان فقيدنا -رحمه الله- صاحب إرادة صادقة مع نفسه ومع غيره، فلم يكن يتساهل مثقال ذرة في محاسبة النفس؛ لأنه تَعَلّم من المرشد ﷺ أن تساهل ذرة يوصل إلى تساهل مجرة فأبى -رحمه الله- أن يأخذ من تلك المرأة التي أمره المرجع بإيصالها إلى أهلها من حلب إلى دمشق أبى أن يأخذ منها تفاحة أو يجيبها على سؤالها:

كم الساعة؟ لله درك يا شيخ!

وهنيئًا لك تلك الثمار ثمار المحاسبة والشدة والصرامة مع النفس.

إخوتي الأحبة:

لقد علم العارف المحقق قوة أستاذنا الفقيد فجعله خليفة له على المدرسة خمسة وخمسين يومًا هي فترة ذهابه الى الحج فقد رآه الكفء الذي لا تغمز قناته في تحمل المسؤولية والأمانة والقيام بالإدارة والتوجيه والتربية والتعليم.

وعلم قوة قلبه ودوام رابطته وصدق معيته في المسير والتنقل والحج والزيارة مع السيد بينما هو قائم في الإشراف على المدرسة ورعاية الطلاب.

كشف السيد الجليل عن قدرة مريده على حسن الصحبة لغيره وحسن التوجيه والتربية لصاحبه عندما آخى الطالب والمريد (الشيخ محمد حوت) مع فقيدنا الأستاذ الدكتور محمود فجَّال -رحمهما الله- فكانت هذه المؤاخاة تتضمن الصحبة والتوجيه والتربية من الكبير للصغير ومن الفقيد لصاحبه فلما توفي الشيخ محمد حوت وهو في مقتبل العمر وريعان الشباب في بداية العقد الثاني وخرج السيد الجليل ﵁ في جنازته بكى على قبره ولم يكن البكاء على الفقد إنما كان لأنه رأى حبيبه الأعظم لأول مرة يحضر جنازة قائلا له: حضرت لأنك تحبه ومعلوم أن المرجع لا يحب إلا أهل السبق والصدق والأدب والهمة العالية والذاتية الصافية.

لقد قلد المرجع فقيدنا وسامًا رفيعًا عقب تلك الحادثة الفاجعة بقوله: «هذا تربيتك، أنت ربيته».

فكان فقيدنا ينقل تعليق أخيه ورفيق دربه الشيخ محمد لطفي على كلمة السيد السابقة: هذه بشارة لكم يا شيخ محمود.

لقد كان فقيدنا من أهل الرابطة مع المرجع وقليل ما هم حيث كان أهلًا لقول المرجع وكتابته له: خذ الرابطة ولا تخش أحدًا.

لذلك كانت رابطته مع سيدنا ﵁ قوية ومتواصلة ومحبته له عميقة ومتميزة.

وقد أشار -رحمه الله- إلى طرف منها بقوله: «لو وجدت رجلًا مثل السيد النبهان ما تركت سيدي ولا استبدلت به أحدًا وهل يوجد أحد يبدل أباه؟!».

لقد متع الله فقيدنا بعقله وعلمه وقوته حتى آخر يوم فلم يضيع وكيف يضيع وقد ضمن السيد الوجيه عند الله لوالد الفقيد عقله وذلك عندما شكى إليه خوفه على عقل ولده وهو في الخلوة والعزلة فقال له السيد الحبيب: أنا أضمن عقل محمود.

أجل إنه المربي والمرشد والعارف والنادرة والمحقق الذي من الله عليه بما من فكان سمعه وبصره.

لقد كان فقيدنا رابط الجأش قوي القلب ممدودًا من مرجعه تحوطه عنايته وتشمله رعايته.

رشح الفقيد للكلام في ثلاثة مواقف عصيبة ورهيبة -فيما أعلم- فكان أحق بها وأهلها.

الموقف الأول: يوم دفن الشيخ محمد حوت، رحمه الله.

والثاني: يوم الصلاة على الشيخ محمد لطفي، رحمه الله.

والثالث: كان قبلهما يوم المولد النبوي الشريف الشاهد على أنوار السيد والمشهود بحضوره وحضرته رضي الله عنه.

تكلم في هذه المواقف الثلاثة بعد أن طلب منه ذلك مع وجود أكابر العلماء والصلحاء ممن هم أكبر منه سنًّا.

لقد كان فقيدنا -رحمه الله- فيما أرى أحد مظاهر (كير الكلتاوية) الذي أشار إليه نادرة الأزمان رضي الله عنه وأنه مثل كير المدينة.

حيث كانت شدة فقيدنا في الحق وصرامته في التربية وحدته في التوجيه والمراقبة وهو يشرف ويوجه ويعلم طلاب دار نهضة العلوم الشرعية.

كان كل ذلك منه بغير نفس ولا حقد ولا انتقام فكان مطهرًا من الخبث، طاردًا لمن يحمل شيئا منه أو يقع في شيء من العبث.

لقد علم سيدنا ومرجعنا رضي الله عنه جِدَّ فقيدنا واجتهاده ودرسه ودأبه ومحاسبته ورابطته وأدبه وتربيته فرضيه أن يكون في المدرسة أول أستاذ ومعلم.

وثاني اثنين -مع السيد- إذ هما في الإدارة يقابلان الطلاب المتقدمين للدراسة.

لقد كان فقيدنا -رحمه الله- آية في الأدب مع مرجعه ومع الآخرين.

وظهر هذا الأدب في عفته، ونزاهته، وذاتيته، وبعده عن المصالح والأغراض والأعراض.

وأوضح موقف على هذا عندما احتاج فقيدنا الى الفلوس لسفره همَّ أن يبيع البيت فعرض عليه السيد الجليل ﷺ في مجلس خاص وأخرج له صرة فاعتذر المريد العفيف النزيه وتوسل بالحبيب الأعظم كي يعفيه من هذا العطاء... لماذا كل هذا؟ لأنه تعلم منه العفاف والنزاهة والحب والصحبة الصادقة الذاتية دون غرض أو مصلحة لقد بشره السيد الجليل ﷺ بأن أمامه في طريقه وحياته كنزًا.

وتجلى هذا الكنز بالجوهر المكنون داخل قلبه من الحب لسيده والولاء له والمعرفة به ومن الجد والمثابرة في طلب العلم وتجاوز مراحله.

ومن التصدر للتدريس والتعليم والتوجيه والتربية والاستشارة عقودًا من الزمان.

ومن التأليف القائم على التجديد والابتكار والعمق والتحقيق ومن العائلة المشتملة على الصفوة الذين وفقه الله لتربيتهم وتأديبهم وتعليمهم ومن جواهر وعلوم وفهوم ومعارف لم يجد فقيدنا -رحمه الله- مجالًا لكشفها ونشرها وإظهارها.

لقد عرفتك يا أيها الأستاذ الفقيد المرحوم عن كثب وأنت في العقد الثالث من العمر مدرسا ضابطًا لطلابك مربيًا مؤدبًا لهم ومعلمًا بحالك وفعالك وكلامك يغلب عليه الجلال والهيبة والوقار والسكينة فكنت نعم المعلم والمؤدب.

وعرفتك وأنت في العقد السابع في العامين الآخرين من حياتك أبا رحيمًا لطيفًا موجهًا ومعلمًا ومشيرًا ومربيًا ومرشدًا لمن استرشدك فكنت نعم الأب والمربي والمعلم.

رحمك الله رحمة واسعة ورضي عنك وأرضاك بما أعطاك ووفقنا للسير على منهج حبيبنا وقدوتنا ورزقنا الصدق تمامه وكماله ودوامه والاتباع ظاهرًا وباطنًا وأزال حجب قلوبنا وغشاوة أبصارنا وزكى نفوسنا وأوصلنا إلى ما نعتقد في شيخنا ومربينا من الدرجات العلى وجعلنا ذاتيين من أهل الأدب والذوق، آمين يارب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنك وتلميذك ومحبك ومن فجع فيك ومن قلت له يومًا في هذا العام: «أنا وأنت أخوان وصاحبان ولكن اتركها بيني وبينك. علي مشاعل».

ورثاه تلميذه الشيخ الدكتور محمود ناصر الحوت في ندوة الوفاء والشكر يوم الأربعين:

حمدًا لإلهٍ يتفضل فيهب، ويسترد فيأجر، ويُبقي الثواب ويُفني الحَزَن، والصلاة والسلام على فقيد المسلمين الأول سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، والرضى عن سيدي ونور قلبي وقرة عيني الفرد المحقق الفرد المحمدي الذاتي سيدي محمد النبهان -قدس سره العزيز- وبعد:

عينُ جودي بدمعك المدرارِ ... عَصَبَتْ بي زَوَابِعُ الإعْصارِ

واسكبيها على الفقيد عيونًا ... فلعلّ الدموع تُطفي أُواري

في الثاني عشر من ربيع الأول الماضي أي منذ أربعين يومًا نزع العلم عن رأسه عمامته لينشرها للموت، وخلع المجد رداءه ليجعله كفنًا للفقيد.

من هذا الفقيد؟!

ماذا تقول أيها الناعي؟!

من تعني يا شيخ عثمان العمر؟ (هو من بلغني)

ما الخبر؟ من الذي رحل؟

هل انطفأت منارة العلم والعلماء؟!

هل حوّمت راية الصدق والتقى والإخلاص؟!

هل غاب بهجة المحافل وزين المجالس؟!

هل طوى النسر جناحيه؟ هل غاب الألمعي الجهبذ العالم العامل الحر الأبي؟!

هل رحل شيخ النحاة والأدباء والعلماء؟!

هل سافر بلا وداع؟!

هل غاب ذو الجناحين كما لقبه الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت؟!

كان الشيخ عثمان يكلمني ولا أعي ما يقول:

«لقد مات أستاذنا ومعلمنا الشيخ محمود فجَّال».

واستسلمت للحزن والبكاء، فاستعصى عليَّ الدمعُ، فلجأت إلى القلم فبكى، وشعرت بأن خواطري ماتت بموت هذا الفقيد العظيم.

اليراع توقف وكبا، واللسان تلجلج، والدموع جمدت في المآقي، وسيطر الحزن العميق.

اتصلت بنجل الفقيد الأكبر فضيلة الدكتور محمد فجَّال معزيًا له في والده وقلت له:

من شاء بعد والدك فليمت، كما قال سيدنا حسان رضي الله عنه في حبيبه الفقيد الأعظم -صلى الله عليه وسلم[1]:

---

(١) ديوان سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه (١: ٤٧٨).

كنـــتَ الســـوادُ لنــــاظري | فعـــمِي عليـــك النــــاظر
مـــن شـــاء بعـــدك فليمـــت | فعليـــك كنـــت أحـــاذرُ

ولمّا نعى الناعي سألناه خشيةً | وللعين خوفَ البينِ تَسكابُ أمطـارِ
أجاب: قضى، قلنا: قضى غاية العلا | فقال: مضى، قلنا: بكل فخـار

وجـهي يقيـك الـترب لَهْـفي ليتـني | غُيّبـتُ قبلـك في بقيـع الغرقـد

لذلك أرجو أن أُعذر في تأخري عن تأبين فقيدنا الراحل وأستاذنا ومن له فضلٌ علينا بعد الإمام الأكبر سيدنا محمد النبهان، قدس سره العزيز.

الحقَّ أقول لكم:

لقد كان الفقيد مرجعي في أموري وفي حياتي بعد مرجعي الأكبر سيدي الوارث المحمدي الكامل الفرد المحقق سيدي محمد النبهان رضي الله عنه.

أستاذي ومعلمي: إن الزمان بعدك أقوى في الدلالة عليك والشهادة لك، كما تكون الظلمة بعد غياب القمر شرحًا طويلًا لمعنى ذلك الضياء.

أستاذي وفقيدي: لقد غرستَ فيّ أشياء لا أنساها مدى الحياة، وكان أهمَّها حبُّ السيد النبهان وحب العلم ومحاسبة النفس.

أستاذي ومعلمي وفقيدي: لقد شهد لك سيدنا مربيك ومنشؤك السيد النبهان رضي الله عنه بأنك (صادق)، وبأنك (من الدرجة الأولى)، وبأنك (حقيقة ممتاز) كان يقول: (حقيقةً الشيخ محمود ممتاز) كانت لك مكانة سامية عنده، فرضي الله تعالى على من ربّاك وخرّجك وأنتجك.

كنت قويّ الشخصية مهيبًا، صاحب هيبة في النفوس، وكانت فيك حدّة، والحدّة كما قال -صلوات الله عليه-: «الحدّة تعتري خيار أمتي».

لقد كنتَ لي معلمًا وأخًا ومربيًا وموجهًا وناصحًا، تعهدتني منذ نعومة أظفاري وأنا في التاسعة من عمري قبل أن أطلب العلم في دار الإيمان دار السيد النبهان رضي الله عنه.

كنت تكتب لي بعض المقالات وتطلب مني حفظها لألقيها في جنبات معهد دار نهضة العلوم الشرعية وأمام طلابها، فتضع لي كرسيًّا ثم ترفعني بيديك الأيّدتين على هذا المنبر الصغير فأصدح بصوتي الحادّ، ولم أدر بأنك تؤهلني لأعتليَ صهوة منبر الكلتاوية العظيم، ولم أدر أنني سأقف في موقف حضره سيدي وحبيبي سيدنا محمد النبهان في باحة الكلتاوية، ووقفت متكلمًا والسيد النبهان يسمعني وأنا أخاطبه، ومن جملة ما قلت: يا سيدي أنت المُترَع عظمة وأمانةً وسموًّا، يا سيدي أنت منبع الصدق والإخلاص، يا سيدي أنت منارة الهدى والهداية.

ولما انتهيت من كلمتي صفق لي السيد العظيم صفق بيديه الكريمتين، فصفق الأساتذة والمدعون الذي غصت بهم باحة المدرسة القوراء، لكن السيد النبهان رضي الله عنه نبه الحاضرين وقال لهم: «هكذا صفقوا» أي بباطن كف اليمين على ظاهر كف الشمال، فصفق الجميع مرة أخرى كما علمهم مرشدهم ومعلمهم رضي الله عنه.

وموقف آخر وقفته أمام السيد العظيم كنت أنت الذي شجعتني ودفعتني إليه وهو يوم الأربعين لمديرنا الشيخ محمد لطفي -رحمه الله- حضره أيضًا سيدنا ومربينا وقرة عيوننا سيدنا النبهان رضي الله عنه، قبلتُ يده الشريفة فقبلني وقال: فتح الله عليك، وكنت يومها في السابعة عشرة من عمري، وأذكر أنني قلت: لا مصيبة مع الإيمان، ولا معزيَ مع وجود السيد النبهان لأن الشمس تسليك عما حلّ بالقمر.

وقلت يومها: يا سيدي إننا نعاهدك على المحبة والاتباع، فاللّٰهُمَّ ارزقنا محبته واتباعه وثبتنا على العهد.

أستاذي ومعلمي وفقيدي: لست أنسى يوم أخذتَ بيديّ وأدخلتني غرفة مدير الدار أستاذنا الشيخ محمد لطفي عام ١٩٦٧م وأنا في الحادية عشرة من عمري

وقلتَ له: هذا نريد أن نسجله عندك طالب علم، وأنا كفيله وضمينه، فكان لك الفضل عليّ في ذلك من أول يوم طلبت فيه العلم.

أستاذي ومعلمي وفقيدي: لقد آخى بينك وبين أخي وشقيقي الشيخ محمد حوت، آخى بينكما السيد النبهان ﵁، فكنتما توأمين، وكنت شقيقًا لشقيقي رحمكما الله.

ولقد حدثتني أنك في سفرك إلى مصر جاءك الشيخ محمد وذلك بعد وفاته بأربع أو خمس سنوات وأنت مقيم في مصر إذا بالشيخ محمد حوت واقف أمامك بجسده لا بجسمه أي بروحه المتجسدة وهو ينظر إليك وتنظر إليه.

ولقد حدثتني أيضًا وطلبت مني أن أكتم الحديث لكنني الآن في حلٍّ من الكتمان بعد انتقالك إلى عالم البرزخ والرفيق الأعلى.

ولقد حدثتني أيضًا أن الله كشف عن بصيرتك فرأيت النبي ﷺ في مشهده بالطائف وقد آذاه أهلها وهو يقول: اللّٰهُمَّ إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس.

أستاذي ومعلمي وفقيدي: لقد تركتَ إرثًا عظيمًا من علومك ومعارفك ونصائحك وتوجيهاتك وأسفارك العلمية وموسوعاتك النحوية، وخلّفتَ أبناءً لك هم قمةٌ في الأدب والعلم والتربية، فالابن الأكبر الدكتور محمد صاحب العلم والأدب الجمّ الغزير، والدكتور يوسف حبيب أبيه صاحب الهمة والعلم والذكاء والبهاء، والدكتور عبد الله وأكرمْ به من باحث وعالم ومفكر، والدكتور أنس الفتيّ الذكي الألمعي، أبقاهم الله ذخرًا للأمة الإسلامية وتذكارًا لوالدهم الذي ربَّى فأحسن التربية، وأنجب فأحسن الإنجاب.

أستاذي ومعلمي وفقيدي: رحمك الله رحمة واسعة وأسكنك فسيح جناته وجزاك الله عن العلم والعلماء وطلاب العلم وعني خاصة أعظم الجزاء وخير الجزاء وأتمَّ الجزاء.

واللهَ أسأل أن يُجزل لك المثوبة والعطاء والنور، فلقد أديتَ الواجب ونصحتَ الطالب، فشكرك شأوٌ بعيد لا تبلغه أشواطي.

وآخر ما أقول: إنَّ في الحلق لغصةً، ومن وراء الصدر نفثات كاوية ما كان أسعدني أنْ أبثها وأشرحها، ولكن فلتُحبس النار في الأعماق، فربَّما اتخذت منها قبسًا ينيرُ لي الطريق، أو أجدُ على النار هُدى.

وكانـــت في حياتـــك لي عظـــات وأنـــت اليـــوم أَوْعَـــظُ منـــك حَيًّـــا

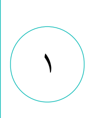
وإنا لله وإنا إليه راجعون.

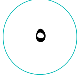
مصادر الترجمة:

- محادثات مباشرة ومراسلات مع الأستاذ الدكتور محمود فجَّال، رحمه الله.
- مقابلة في صحيفة الجزيرة السعودية.
- «الروضة الندية» تأليف الأستاذ الدكتور محمود بن يوسف فجَّال.
- «تذكرة الأجيال» تأليف الأستاذ الدكتور محمد بن محمود فجَّال.
- أبناء الفقيد: أ. د. محمد، وأ. د. يوسف، ود. عبد الله، ود. أنس.
- الدكتور محمد فاروق النبهان، والشيخ هشام الألوسي، والشيخ حامد صخي، والدكتور أحمد خضير الزوبعي، والشيخ محمود العبيد، والشيخ حسين الأحمد، والدكتور عثمان العمر، والدكتور عبد الله الحسن، والشيخ إبراهيم منصور، والدكتور علي مشاعل، والدكتور محمود ناصر حوت، مراسلة كتابية.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:

 ١	محاضرة للدكتور محمود فجَّال عن طلب العلم في الكلتاوية، يقدمه الدكتور محمود حوت.	
 ٢	الرابطة ولا أرضى بحبي بديلًا، والقراءة على الشيوخ (د.محمود فجَّال)	
 ٣	رؤيا للشيخ محمود فجَّال يقظة (د. محمود فجَّال)	
٤	مع الشيخ الجزراوي (د. محمود فجَّال)	



ما في أطهر من قلب محمود فجَّال
(د. محمود فجَّال)





في بيت الحاج عبدو البيك
(د. محمود فجَّال)





كلمة للدكتور محمود حوت في رثاء
شيخه الدكتور محمود فجَّال.



٨

كلمة الدكتور علي مشاعل في رثاء
شيخه الدكتور محمود فجَّال.



(٧١) الشيخ محمود مهاوش

١٣٢٨ - ١٤٠٤هـ/ ١٩١٠ - ١٩٨٣م

من أول الوافدين العراقيين، مفتاح لكثير من مذاكرات السيد النبهان وتحقيقاته، شخصية محبوبة، يتميز بقوّة فهمه وطلاقة لسانه، وجهورية صوته، وسعة علمه. الشيخ محمود بن مهاوش بن منصور بن حسوني الكبيسي، من عشيرة الدريعات.

ولادته ونشأته:

ولد في ناحية كبيسة عام ١٩١٠م، وفي أسرة متدينة نما غصنه وأورق، وتلقى مبادئ الكتابة والخط وتلاوة القرآن الكريم في الكتاتيب، ودرس علوم الشريعة والعربية على يد مفتي الدليم الشيخ محمّد سعيد التكريتي، وتخرّج في المدرسة العلمية الدينية في الرمادي عام ١٩٤٧م، واشتغل في التجارة، وكان موفقًا فيها أيّما توفيق.

سافر إلى دمشق وسلك طريق القوم أهل الله على يد الشيخ محمّد الهاشمي الشاذلي، وأجازه بالطريقة الشاذلية، وقد نقل عنه الحاج محمود مهاوش -رحمه الله- كلمته المشهورة: «الشيخ محمد النبهان أمره عجيب، ما جمعناه في أربعين سنة أخذه في مجلس واحد».

وسافر إلى المدينة المنورة فأخذ الطريقتين النقشبندية والقادرية عن الشيخ عبد الغفور العباسي، ثمّ حطّ رحله في حلب عند سيدنا النّبهان ﵁ عام ١٩٤٧م.

السير والسلوك عند العارف بالله الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

تحدث عن ذلك الشيخ محمود مهاوش كما سمعتُه مسجلًا بصوته فقال:

«الفقير أويت إلى الشيخ نبهان وما كان أحد من أهل العراق قد تشرف بالشيخ لا الحاج محمد الفياض ولا الأمير ناظم ولا غيره، دخلت إلى حلب وذكرت لأهلها أنني أريد أن أجتمع بعلمائكم فدلوني عام ١٩٤٧م في الشهر الرابع تاريخ حياتي، سجلت حياتي في ذاك اليوم، ولدتني أمي بذاك اليوم ولدت تلك الولادة، هذه ولادتي، وهذا تاريخ حياتي، وهذه سعادتي يوم أتيت وانتميت لأعتاب الشيخ، دلوني على شيخ دارس في الأزهر اسمه الشيخ جميل عقاد، عملوا له دعوة، واجتمعنا معه، دعاه ناولو، الشيخ يضحك ويمزح ويأتي بالفكاهات ويأتي بالأشعار. قلت له: يا ناولو هذا ليس طلبي؛ أنا طالب علم عند الشيخ محمد سعيد التكريتي.

الشيخ محمد سعيد التكريتي مفتي لواء الدليم الورع التقي الصالح، الشيخ قاسم القيسي، وأمجد الزهاوي، يقولون: الشيخ محمد سعيد سبقنا، وتأتون بي إلى الشيخ جميل عقاد! ما عندكم علماء آخرة؟! فعمل لنا دعوة الحاج فوزي شمسي جزاه الله خيرًا، الفقير أنا اجتمعت بالشيخ وكانت سعادتي، كنت طالبًا واحدًا وجدت مئة، كنت أتمنى ماء لأتوضأ به فوجدت البحر، لما انتسبت لأعتابه أخذني، أخذ قلبي، أخذ عقلي، غمرني، بهرني، فصرت آتي إلى العراق فآخذ معي إلى حلب، أخذت أمثال الشيخ قاسم القيسي والشيخ أمجد الزهاوي والشيخ محمد الفياض، أنا وسيارتي ومالي كلي خادم، من بغداد إلى حلب أوصل إلى الشيخ، أنا مفلس صرت دلالًا، التاجر إذا لم يكن عنده رأسمال يعمل دلالًا، أوصل الشيخ محمد الفياض، أوصل الشيخ عبد الستار ملا طه، أوصل أوصل.. يقولون لي: أنت تبالغ، المريد لما يتكلم عن الشيخ بالمحبة فالناس يقولون له: أنت من أهل المبالغة. لا مشكلة تعالوا انظروا بعينكم، السيارة والفندق والطعام مجانًا، تفضلوا، أوصلهم إلى هناك والذي

أوصله يلزم أن يبقى هناك، ينام هناك، الحاج محمد الفياض، الشيخ أمجد الزهاوي، الشيخ قاسم القيسي، الشيخ عبد الستار وغيرهم، فانتشرت الدعوة وصاروا دلّالين.

الشيخ ﵁ قال لي: يا حاج محمود أبشرك كل العراقيين بصحيفتك».

نهاوش الكبيسي
وقومسيون
خان النخاسين

هذه إجازة سيدي شيخ الطريقة
والمعروف السيد الهاشمي قدس سره

تلفون: ١٩ -
تلغرافيا محمود نهـ

سنة ١٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلق الله القائل أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وبعد فقد استجازني في أوراد الطريقة الشاذلية الفقيه النزيه العارف بالله الابر الاود الصادق في المحبة والعهد أخونا في الله سيدي الحاج محمود نهاوش الكبيسي فأجزته في ذكر أوراد الطريقة الشاذلية وإعطائها لمن يطلبها رجاء لبركة حسن ظنه بالفقير وتعرضه لنفحات الله وأوصي نفسي وإياه بتقوى الله في السر والعلانية والمحافظة على الصلاة في أوقاتها والإكثار من ذكر الله بنية الامتثال لأمر الله وحسن الخلق بالله وبعباد الله والله يوفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه ويحفظنا وإياه بما حفظ به أولياءه بجاه خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام وعلى آل كل وصحب كل أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

قاله وكتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن الهاشمي ... صفر الخير عام ١٣٧٠

وقد دوّن -رحمه الله تعالى- علاقته به في رسالة جمع فيها كثيرًا من كلام سيدنا ﵁ سمّاها «تحفة الإخوان، من فيوضات الشيخ نبهان» قال فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الّذي فتح لأوليائه طرق الهدى، وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل فمن اقتدى بهم رشد واهتدى، ومن تمسك بأذيالهم فاز وأفلح، ومن قابلهم بالاعتراض نال الطرد وأقبح، أحمده حمد من علم أن لا ملجأ منه إلاّ إليه، وأشكره شكر من تحقق أن الخير كلّه بيديه، وأصلي وأسلم

على سيدنا محمّد وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، ومصابيح الدجى، عدد من صلى عليه، وبعد:

فيقول العبد الفقير، المعترف بالذنب والتقصير، المفتقر إلى الله الغني، محمود بن مهاوش الكبيسي، غفر الله ذُنوبه، وملأ من الخيرات ذَنوبه:

لما منّ الله عليّ وله الحمد وأشكره بمعرفة المرشد الكامل، الوارث المحمّدي، صاحب الهمة العرشية، والأنوار المحمّدية، والأسرار الربانية، قطب المحبين، وحامل لواء العارفين، محقق العرفان، سيدي وشيخي وقدوتي إلى ربي الشيخ محمّد النّبهان، أطال الله في حياته، ونفعني والمسلمين بمعارفه ونفحاته، فقد لازمته مدّة إقامتي في حلب حماها الله، وسمعت منه رضي الله عنه ما لم يطرق سمعي منذ نشأت من إنسان، ولا رأيته مسطورًا في ديوان، من المعرفة بالله تعالى ورفع الهمم، والعروج بالأرواح إلى بارئ النسم، فشاهدت من علومه ومعارفه وعلوّ همته وكرمه وعفّته ونـزاهته وشمائله ولطائفه ورحمته وعطفه ما غمرني وبهرني وقادني وسرّني وأسرّني بحيث أنّ من رآه من أهل البصيرة تحقق أنه غوث زمانه ومجدد عصره وأوانه، بل هو سيد العارفين، وإمام أهل زمانه أجمعين.

لذا فقد انتسبت لجنابه لله، وقلت: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وكان اجتماعي به ولله الحمد عام ١٣٦٧ هـ، فبقيت أتردد في خدمته بضع سنين، أسمع من معارفه التي لا تعد ولا تحصى، ولم أوفق لحفظ كلامه إلا النـزر القليل فكنت أسمعه ولا أعقله لضعف جَناني، وانشغالي بأموالي وعيالي وكثرة نسياني، وكنت أذكر لبعض أصحابي وأحبابي لا سيّما عند سفري إلى العراق أذكر لهم من كلامه على حسب غفلتي وعصياني، إذ ينكسف نور كلامه حين يجري على لساني، فيعجبون منه ويقولون: ما سمعنا بمثل هذا العارف في زماننا، وكل من سمع منهم شيئًا يبقى متلذذًا اليوم واليومين والشهر والشهرين، ويقول: كرّرْ علينا ما سمعته من الشيخ، فأذكر لهم ما تيسّر، فيزيدهم ذلك حبًّا

وتعجبًا، ومن هؤلاء الأفاضل مفتي الديار العراقية علاّمة زمانه الشيخ قاسم القيسي رحمه الله، ومنهم فقيه الزمان، بل أبو حنيفة النعمان قطب الاهتمام بأمر المسلمين ومن لسائر العلوم والفضائل حاوي فضيلة الشيخ أمجد الزهاوي حفظه الله، ومنهم العالم العامل والمرشد الكامل خطيب الإمام الأعظم ببغداد تداركه الله بلطفه ربُ العباد الإمام الصوفي النجيب الشيخ عبد القادر الخطيب، ومنهم زاهد هذه الأمة بل أويس زماننا الحاج محمّد الفياض ومنهم من به على الأقران نتباهى، الشيخ عبد الستار الملاّ طه، إمام وخطيب ومدرّس كبيسة، وغيرهم من كبار العلماء والصالحين، ولولا خشية الملل لسمّيت الّذين كانوا يسمعون مني كلامه ويتلذذون به.

فإن من عرف من المذكورين عرف مكانة شيخنا ﵁، لشهرتهم في الناس بالولاية والتوقير، مع كثرة مخالطتهم للصالحين والأولياء والعارفين».

والشيخ محمود -رحمه الله تعالى- من أول الوافدين العراقيين أو هو أولهم، أسكنه ﵁ في غرفة في الكلتاوية، فلازم سيدنا في السفر والحضر، بل هو مفتاح لكثير من مذاكراته وتحقيقاته، هذا مع كونه شخصية محبوبة، يتميز بقوّة فهمه وطلاقة لسانه وجهورية صوته وسعة علمه، وببركة صدقه في صحبته وخدمته لشيخه نال الكثير.

يقول عن نفسه، رحمه الله: بقيت عشرين ليلة وأنا في بغداد لا أنام ولم يفارقني سيدنا النّبهان ﵁ إلا نصف ساعة، وكان الشيخ عبد القادر الخطيب يسألني فأسأل سيدنا ﵁ وأعطيه الجواب، وهو لا يسمعه ولا يراه.

ويقول أيضًا: حضرت مع سيدنا ﵁ دعوة بحلب فكشف لي عن حقائق الحاضرين، فرأيت من هو كالحمار، وكالذئب، وكالكلب، فعزفت نفسي عن الطعام، إذ كانوا يأكلون فينقلب الطعام في أيديهم قصيلًا أي حشيشًا تأكلّه الدواب أما سيدنا ﵁ فإن الطعام يسبّح في يديه، وأسمع تسبيحه، فألحّوا عليّ بالأكل، فلم

أستطع، فناولني ﷺ كأسًا من لبن فشربته واكتفيت، فما أعظم تحمله ﷺ للناس، وما أوسع حلمه ورحمته؟!

كان له اهتمام خاص فريد بتسجيل وتحويل أشرطة سيدنا ﷺ بل وكان يرجوه أن يسمح له بذلك ويقول: أتمنى أن يسمع العالم كله هذا الكلام.

كرامة للشيخ أحمد الحارون معه:

كتب لي الشيخ حامد صخي قال: «الشيخ الحاج محمود مهاوش الكبيسي كانَ كُلّما ذكر سيدنا يقول: سيدي ووليّ نعمتي.

كانَ له من الجرأة والأسلوب الممزوج بالأدب ليسأل سيدَنا عن كلّ شيء ولم تكن عند غيره لهذا كان فيّاضًا أو كتابًا جامعًا حتى قال سيدنا عنه: «لقد سألني الحاج محمود مهاوش أمورًا لم يسْألني عنها أحدٌ».

دعانا على الغداء في بيته ببغداد فقال: قصدتُ حلب الشهباء بسيارتي وحدي وقبل الحدود السورية «أبو الشامات» انحرفت سيارتي عن الطريق بسبب غزارة الأمطار فانغمست بالوَحْل، وعَلا الطين عجلاتها ولم أتمكن من إخراجها، فقلتُ: إنّ سيدنا النبهان عبدٌ لله يَتَحَلّى بكمال العبدية إذا ناديْتُهُ قد لا يليقُ بي، فتوجهت إلى بغداد وناديت الشيخ عبد القادر وتوجهت إلى الشام وناديت الشيخ أحمد الحارون فلّما حركتُ السيارةَ إذا بها تخرج كأنّ قُوّةً تحملها فلّما وصلتُ الشام وعادتي قبل أغادرها أودع الشيخ محمد الهاشمي والشيخ أحمد الحارون فلما دخلت إلى الشيخ الحارون وودعته قال لي: هل ستذهب من الطريق المزفت أم الأَجَقْ[1] قال: يا سيدي كما تحب. قال: هل يعقل تسهرنا طول الليل أنا وعبد القادر حتى نرفع سيارتك وكشف عن كتفه وإذ بأثر الدفع واضح على كتفه».

(١) قجق: كلمة تركية، وأهل المدينة يلفظونها: أجق، وهي الطريق الذي ليس مُعَبَّدًا أو مسهًلا.

من أدبه:

حدثني ابنه محمد ماهر مهاوش قال: يقول الوالد -رحمه الله تعالى-: كنت آخذ السيد في بعض الأوقات بسيارتي مع بعض إخواننا منهم الحاج فوزي شمسي والحاج أحمد الصغير والحاج جاسم الفياض حول بساتين حلب وفي أحد الأيام وأثناء عودتنا مع السيد وكنت قد أشغلت إنارة السيارة الخارجية كاملة، فنادى بي أحد السائقين قائلًا أطفئ الضوء يا حمار والسيد بجواري يسمع فقال لي: ماذا يقول لك؟ فقلت: سيدي يقول لي: الحمار من طبعه البلادة وأنت بجوارك المعارف الإلهية فخذ منها ولا تكن كالحمار، فسر السيد وقال: اسمعوا يا حلبية على الفهم.

كرامة للسيد النبهان في بيت الشيخ محمود مهاوش:

حدثني ابنه الأستاذ محمد ماهر محمود مهاوش: «زارنا السيد النبهان في دار الوالد في الزبداني عام ١٩٥٩م وطلب الوالد من السيد جلسة خاصة للعائلة وجلسنا مع سيدنا ﵁ وفي هذه الأثناء والسيد يرشدنا سقط أخي مروان بالصرع، وكان به منذ فترة طويلة إثر سقوط في حلب من الطابق الرابع وعجز الأطباء عنه في الشام وفي بيروت، وبعد إصابة مروان بالصرع والسيد انتبه إلى الارتباك الذي حصل في البيت فقال ﵁: ما الأمر يا حاج محمود؟! فقال الوالد: سيدي! مروان فيه صرع منذ فترة فقال السيد: لماذا لم تقل لي؟! هاته، فأخذه السيد وهو مصروع والزبد يخرج من فيه، فبصق بفيه، وأَذّن بأذنه اليمنى وأقام باليسرى، فوالله ما إن أتم السيد حتى أفاق وعاد يستمع إلى الدرس وشفاه الله ببركة السيد إلى يومنا هذا والحمد لله».

رسالة من فرنسا:

أرسل الشيخ محمود مهاوش رسالة خاصة من فرنسا إلى السيد النبهان ﵁ فمن أهميتها قرأها سيدنا ﵁ في الدرس وهذا نصها:

«سيدي! شاءت الأقدار ومالي اختيار أن أطلع على هذه الديار للتفكر والاعتبار، فكلما دخلت مدينة من مدنها، ورأيت من عاداتهم وأخلاقهم وغفلتهم عن خلّاقهم حنّ قلبي لنواحي الشهباء وعرجت روحي إلى السماء، ففي كل مدينة وفي كل طائرة أراك معي.

يا عجبًا! كيف يكون الحضور والتعلق الروحاني في بلاد أوروبا أقوى وأصفى مما كنت بين أيديكم وفي خدمتكم؟!

سيدي! كم سالت دموعي وأنا بين الناس كلما رأيت المادة الكلبية والشهوة الحيوانية تتجلى عندهم، وليس سواها، عرجت إلى سماء الكلتاوية والقدسية النبهانية.

ياسيدي: نعم إنهم نظموا حياةً دنيوية، وأشبعوا غرائز حيوانية، وانتفعوا بعلوم ظاهرة دنيوية، ولكنهم لا يعرفون الفضائل، ولا يبحثون عن الكمالات، وإذا باحثهم باحث وجدهم حيارى تائهين، فقد اجتمعت بنفر منهم في جنيف في سويسرا وتباحثنا معهم في الإنسانية وإسعاد البشرية ليس للدعوة للإسلام بل لإسعاد الأنام وكان منهم نفر حازوا شهادة الدكتوراه بالفلسفة فلما طال الحوار والبحث قلت لهم: إنكم تتعمقون في علوم الصناعات والاختراعات فلماذا لا تتبحرون في دراسة الأديان مع التجريد عن أي دين فإذا ظهر لكم ما يضمن السعادة للبشر جعلتموه دينًا لكم؟ فقالوا لي: إننا ننفق الأموال في شتى ميادين الأرض للدعوة إلى دين المسيحية فلماذا أنتم أيها المسلمون لا تبشرون بدعوتكم على الناس؟ قلت لهم: ها أني قد بلغتكم فإن وجدتم ما أقوله هو الحق اعتنقوه وبعد ذلك تكونوا دعاة لبلادكم فقالوا: هذه جلسة واحدة، ووقت قصير لو كان أكثر من هذا.

سيدي: إن من يرى في بلادهم حضارة ورُقِيًّا في العمران وتنظيمًا للحياة والصناعة يرى معها بل من خلالها أنهم كالأنعام بل هم أضل فلا حياء ولا مروءة

بل ولا إنسانية بل همهم المادة يعيشون عيشة البهائم، أما من الناحية المعاشية فإن بلادنا بلاد الرخاء والرحمة وبلادهم بلاد الجحيم في المعيشة وأذكر لسيدي بلية كبرى وطامة عظمى أنني أول نزولي في بلادهم ذهبت أبحث عن اللحوم وكيف يذبحون البقر والغنم والدجاج ذهبت بنفسي ولم أكتف بالسؤال فوجدتهم يخنقون الذبيحة خنقًا أو يضربونها على رأسها فتموت أو يربطونها على الكهرباء فتمر على مسامير من الكهرباء لتضربها فتموت فيسلخ الجلد على الكهرباء ويقطع اللحم فتحقق عندي أن لحومهم لحوم الميتة أو المنخنقة التي ذكرها القرآن ولهذا فإن لحومهم والمعلبات التي تأتي من بلادهم محرمة بصريح الآية.

سيدي: زرنا سويسرا وها أنا أكتب لكم من فرنسا، اليوم باريس وغدًا نسافر إن شاء الله إلى لندن ثم ألمانيا ثم إيطاليا وأثينا لنعود إلى بيروت. رزقنا الله العودة إلى لواقح الأنوار النبهانية وإن كانت معي ولله الحمد.

يا سيدي: لقد عرفتكم في حالة البعد أكثر من معرفتي لكم في القرب.

ثم يقول: بعد تسطير هذا الكتاب دخلنا إلى باريس فرأيناها أكبر البلاد التي رأيناها في العمران والحضارة والرقي المادي والسعة وجمال الطبيعة، وعند نزولنا من الطائرة سألت عن المسجد فأوصلوني إليه وجدت فيها جامعًا واسعًا وفيه روعة البناء الإسلامي وفيه مدرسة للقرآن وفيه إمام ومفتي من الجزائر فلما صلينا معهم العصر وجدت جماعة من المسلمين يصلون عندهم وفيه فرنسيون مسلمون متعشقون للإسلام إلا أن المفتي والإمام قد جعلوا الجامع وسيلة لجمع المال لأن الجامع أعظم من المتحف في الجمال فلما رأيت الحال تكلمت في المصلين بكلمة قلت لهم: لا تأخذوا الإسلام من المسلمين ولا تأخذوا الدين من المشايخ المعاشيين وتكلمت لهم عن الإسلام وعزة الإسلام وأنه ينادي أرباب الشخصيات ليحملهم هذه الأمانة وكان بينهم فرنسي مسلم يدعى فيصل أخبرني أنه رأى في المنام رجلًا يدعوه للإسلام فاعتنقه وأخبرني أنه اعتنق الإسلام فأفاض عليه من نوره وأنه

يعكف على الصلاة كل يوم سبت واحد يقضيها كلها في المسجد، وبعد أن انتهيت من محاضرتي معهم سألوني بالله أن أحضر في اليوم الثاني ليجمعوا رفقاءهم الذين اعتنقوا الإسلام فوعدتهم أن أعود إليهم غدًا إن شاء الله، وطلبوا إن بقيت إلى الجمعة أن أخطب فيهم لكني تألمت ألمًا كبيرًا من الإمام والمفتي، وخفت أن يعلموا أن مشايخ الدين كلهم على هذه الشاكلة، وسوف أتردد إلى المسجد ما دمت فيها بإذن الله طالبًا المدد من سيدي الذي هو معي في باريس معي في سويسرا معي في كل مكان لا حدود لهذه المعية.

يا سيدي: إن من يدخل من هؤلاء في الإسلام يعدل مائة مسلم من الذين ضيعوا الطريقين طريق الإسلام وطريق الحضارة».

وذكر -رحمه الله تعالى- كما نقل ذلك الحاج خليل الأحمد: «أن السيد رضي الله عنه أدخله خلوة في غرفة في الكلتاوية، وقفل عليه أربعين يومًا، وكان المفتاح بيد السيد -حفظنا الله به- ولا يفتح له إلا وقت الصلاة. قال الحاج محمود مهاوش: فرقّ قلبي بسبب الخلوة حتى أصبح كورق السيكارة، فواصلت ليلي بنهاري خاشعًا متبتلًا، وبعد الأربعين يومًا خرجنا مع السيد إلى قرية التويم، وهناك أجرى سيدنا مذاكرة خشعت لها القلوب، وذرفت منها العيون، ومن شدة البكاء تركت الجلسة وذهبت فجلست عند بئر ركب عليه ماتور مضخة ماء، فكلمني الماتور وقال لي: ياحاج محمود: صحبة أهل الله تحتاج إلى ثلاثة أشياء: أكل الحلال، وهجر العيال، وترك القيل والقال».

وللشيخ محمود الكبيسي كرامات وأذواق كثيرة أخرى، وله في وجوه البر كثير من الخيرات، فقد ابتنى جامعًا كبيرًا في منطقة الداودي بجانب الكرخ من بغداد، وساهم في تشييد جامع ومدرسة كبيسة، وطبع عددًا من الكتب ووزّعها ابتغاء مرضاة الله، وكانت له غرفة في الحضرة القادرية هي ملتقى أصحابه وتلاميذه من داخل العراق وخارجه، وبقي لأكثر من عشرة أعوام يقيم حلقة ذكر في جامع

سيدنا عبد القادر الجيلاني ﷺ ويلقي الدروس والمذاكرات، والْتفّ حوله جمع غفير، فأفادهم بالوعظ والتوجيهات، ولم يفتر -رحمه الله تعالى- حتى وافاه الأجل يوم الخميس السابع من شهر محرّم الحرام سنة ألف وأربع مئة وأربعة للهجرة، الموافق للثالث عشر من شهر تشرين الأول سنة ألف وتسع مئة وثلاثة وثمانين للميلاد، وشيّع تشييعًا مهيبًا ودفن في مقبرة الحضرة القادرية ببغداد.

رحمه الله، آنسه الله، وجزاه بخير ما يجزي أحبابه وأولياءه إنه سميع مجيب.

هذا غيض من سيرة هذا المحب. رحمه الله، آنسه الله بحبيبه وجزاه عنا خير الجزاء.



الشيخ محمود مهاوش في مجلس السيد النبهان في العراق

كلمة ألقاها الشيخ محمود مهاوش -رحمه الله- في ذكرى السنوية الأولى لانتقال السيد النبهان عام ١٩٧٥م ويقدمه الشيخ محمد الشامي، رحمه الله.

(تقدمة الشيخ محمد الشامي،رحمه الله).

سيدي أبا أحمد: نفحنا الله من نفحاتك، وجعلنا نسير على خطواتك.

صورةٌ مشرقة أراها في حفلنا اليوم بعد غيابٍ طويل تذكرني برحلة رحلناها مع إمامنا ومرشدنا العظيم إلى بغداد.

هل تصدّقون يا إخوة عندما وصلنا مطار بغداد وجدناه مليئًا بالمرحّبين والمستقبلين؟!

وعندما رأى رجال الأمن بما حلّ بمطار بغداد تعطّلت الإجراءات القانونية فيه، فيما لحقت بنا رجال الأمن إلى البيوت التي نزلناها، فأجرت هنالك الإجراءات الرسمية.

وكان شيخنا -رحمه الله- كالشمس الساطعة حيثما حلّ أضاء وأشرق.

اليوم عَلَمٌ من أعلام بغداد ورجالها العالِمين، وأرجو الله أن يكون من تجارها الصادقين الشيخ محمود مهاوش فليتفضّل مشكورًا.

(كلمة الشيخ محمود مهاوش،رحمه الله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي ووليّ نعمتي تاج العارفين وإمام المحققين، صاحب الأنفاس الصادقة، والأفعال الخارقة، والأحوال الفاخرة، والكرامات الظاهرة.

فقد أكرمك مولاك بالحقائق الزاهرة، والمعارف الباهرة، فأنت صاحب الفتح المألوق، والمقام المرموق، والكشف الجلي، والسر السَنيّ.

لك المنزلة المصدرة في القرب والمكان المتين كالمعالي والمعراج العالي في أحوال النهايات.

لك الطود الرفيع في منازل الولاية.

لك القدم الراسخ في التمكين، والباع الطويل في التحقيق.

لك اليد البيضاء في شرائف الأخلاق ومحاسن الصفات، فأنت أحد أوتاد هذا الطريق، وركن من أركان سادته، وصدر من صدور قادته.

كنتَ لنا في حل المشكلات والأحوال، كنت لنا في كشف خزينات الموارد.

إليك انتهى مقام المعرفة وتربية المريدين.

أظهرك الله إلى الوجود وأبرزك إلى الخلق.ملأت صدورهم من هيبتك وقلوبهم من محبتك.

أوقع الله لك القبول التام عند الخاص والعام.

قلب لك الأعيان، وخَرَقَ لك العادات، وأَنطَقَك بالمغيبات، وأظهر على يدك العجائب، وأَجرى على لسانك الحِكم، وأحيي بك ما برز من معالم هذا الطريق حتى أصبحت قدوةً للسالكين، وحجّةً على الصادقين، وإمامًا لأهل الطريق المسترشدين.

سيدي ووليّ نعمتي: أخبرنا إخوانك في الطريق من أهل حلب أنك سلكت في المجاهدة وأحوال بدايتك قولًا صعب المرتقى بعيد المرمى، عزيز المنال، تعذر عليهم سلوكه، فكُنت في نهايتك من أجلاّء الله العارفين، وعظماء المقرّبين المحبوبين.

سيدي يا جاهد الهمم العليّة والمعالي النبهانيّة، لقد خرقت من نفسك العوائق، وأظهر الله على يدك العجائب، وذلل لك القلوب، وأوقع لك الهيبة التامة في الصدور، والوجاهة البهيّة في العيون، وأقامك حجّةً وقدوة.

فأنت عَلَمٌ من أعلام هذا الطريق، وقدر من العارفين ذوي التحقيق.

سيدي وولِيّ نعمتي:

لقد زرتك في حلب قبل ثلاثين سنة، فانتسبت لأعتابك، وتشرّفت بجنابك، وقد بهرني وأسرني وأخذني مارأيت من أخلاقك الكريمة، ومن تمسكك بالشريعة الغرّاء من شجاعتك، من كرمك، من فتوّتك، لقد زرعت الأخلاق المحمدية كاملة. رحت الى العراق أذكر لأحبابي ومشايخي وأصحابي طرفًا من أخلاقك حتى شدّوا الرِحال أجلاّء العلماء في العراق لزيارتك والانتفاع برؤيتك، فاعترفوا جميعًا بفضلك، وانتفعوا بصحبتك.

ومن هؤلاء الأجِلاّء: مفتي العراق الشيخ قاسم القيسي -رحمه الله-، ومن هؤلاء السادة: رئيس المؤتمر الإسلامي لدى العراق الشيخ أمجد الزهاوي.

ومن هؤلاء الأفاضل: أويس الزمان الفاني بالسيد النبهانِ الحاج محمد الفيّاض.

ومنهم: أمير الأولياء وولي الأمراء صاحب الفتوة والقوة الأمير ناظم العاصي.

ومنهم: الشيخ عبد الستار الملاّ طه.. وغيرهم ..و غيرهم.

كلهم تشرّفوا بأعتابكم وانتفعوا بلذيذ خطابك، وبعد ما تكرّمت وتشرّفت أرض العراق مرتين بأقدامك الطاهرة، فزرت العراق مرتين، وأسّستَ فيها المدارس، عقدت فيها مجالس الوعظ والإرشاد وحلقات الذكر.

ومن هذه المدارس التي أسّستها في العراق:

مدرسة الفلّوجة، وعلى رأسها الشيخ خليل الفيّاض نجل الحاج محمد الفيّاض.

وأسست مدرسة في الرمادي، وجعلت عليها مديرًا من أحبابك الشيخ عبد الملك السعدي.

وأسست مدرسة العلوم الدينية في كبيسة وجعلت عليه قيّمًا ومديرًا الشيخ عبد الستار الملاّ طه.

ومدرسة في هيت، وجعلت عليها من أحبابك الشيخ إبراهيم رحيّم.

ومدرسة في الحويجة، وجعلتها تحت رعاية الشيخ ناظم العاصي، وغير ذلك من الأعمال.

وهؤلاء أتباعك في العراق يقيمون حلقات الذكر، يعمرون المساجد، يشيدون مدارس العلم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فلا ترى صالحًا ولا تقيًّا ولا ورعًا ولا عابدًا إلا ويقال عنه: إنه نبهاني.

سيدي ووليّ نعمتي:

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يميتنا على حبك، وأن يرزقنا السير على نهجك، وأن يجبر مصابنا لفراقك ذلك المصاب العظيم، ذلك المصاب الأليم.

مصاب يذوب الصخر من صدماته ... ويرجف قاف فيه والبحر يجمدُ
على بحرِ عرفانٍ مواردُه صفت ... على كل مريد فيه لله موردُ
على الوارث النبهان منْ شعّ نوره ... فمنْ جاءه يسعى فبالله يسعدُ
وإني لأبكي بالدما لفراقه ... وأندبه ما زلت أمسي وأنشدُ
عليه من المولى سحية رحمة ... وهتافُ رضوان وعفوٌ مسرمدُ

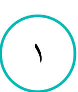
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مصادر الترجمة:

- كتاب «السيد النبهان» ط ٣ (١: ٣٠٠).
- تسجيل بصوت السيد النبهان ﵁ وآخر بصوت الشيخ محمود مهاوش.
- ابنه الحاج محمد ماهر مهاوش، مراسلة كتابية.
- الشيخ حامد صخي، مراسلة كتابية. ومذكرات الحاج خليل الأحمد.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:



تعرف الشيخ محمود مهاوش على سيدنا النبهان.





رسالة الشيخ محمود مهاوش للسيد النبهان من فرنسا.
(بصوت السيد النبهان)





الشيخ محمود مهاوش: الله يجعل اشتهاءنا مايشتهي سيدنا، ويغير عاداتنا بعاداته.





كلمة الشيخ محمود مهاوش في تأبين سيدنا النبهان.





قراءة تخميس قصيدة مالذة العيش إلا صحبة الفقرا.



(٧٢) الأستاذ محيي الدين أحمد العمر

١٣٥٩ – ١٤٣٥هـ/ ١٩٤٠ – ٢٠١٤م



منشد الحضرة النبهانية في جامع الكلتاوية، صاحب الصوت الشجي الأستاذ محيي الدين أحمد العمر.

ولد في «مدينة السفيرة» التابعة لمدينة «حلب» لأبوين كريمين عام١٩٤٠م من عائلة الحَمّادات، وهي مشهورة بالذكاء وحسن الصوت، وقد أنشد والده أحمد العمر أمام الشيخ أبو النصر سليم خلف، وكان صوته جميلًا فريدًا من نوعه بالعتابات، وشاعرًا أيضًا.

يلتقي نسبه مع نسب العارف الله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﷺ وكان السيد يقول له: «محيي الدين من أهل بيتي، محيي الدين ابن عمي».

أما النسب من جهة الأم فيعود إلى عشيرة النعيم المنسوبة إلى سيدنا الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما.

والذي سماه محيي الدين هو الشيخ عبد الرؤوف بادنجكي -رحمه الله- وكان شيخ والدته، وكاشفها وقت حملها وقال: «أنتِ تحملين ولدًا وسميناه: محيي الدين على اسم جدي»[1] وكانت والدته تقية صالحة قال عنها سيدنا النبهان: «إنها وَلِيَّة».

---

(١) الشيخ محيي الدين البادنجكي (١٢٤٢-١٣٢٧هـ): العالم التقي من أجداد البادنجكية في حلب وعلمائها، تلقى العلم على كبار علماء حلب، كالشيخ أحمد الترمانيني، والشيخ مصطفى

حدثني الدكتور عثمان عمر المحمد قال: «سمعت من سيدنا ﷺ في أيام عيد، أيام استقبال السيد النبهان الضيوفَ في مكتبة المدرسة بعد أن أنشد محيي الدين وجلسنا قال ﷺ: هذا محيي الدين صالح لكن أمه أصلح منه».

توفي والده بعد عام وأربعة أشهر من ولادته، فعاش حياة اليتم منذ صغره، وقد انقطع عن أمه حليبها بعد الولادة فأرسلته إلى مرضعة خاصة، وكان من دواعي سروره بعد ذلك أنه كان اسمها حليمة، وكان يتيمن بذلك محبة بمرضعة النبي ﷺ.

دراسته:



محيي الدين أحمد العمر

في سن الخامسة من عمره دفعته والدته إلى تعلم القرآن على يد امرأة، وفي السابعة من عمره أدخلته أمه المدرسة حتى الصف الخامس الابتدائي حيث حصل على الشهادة الابتدائية، ثم نقلته والدته إلى حلب لإكمال دراسته عند أخواله، ذهب إلى حلب ليتم دراسته، لكن ذلك لم يتم بسبب الحاجة إلى المال ليعيل أمه وخالته، فعمل في أحد المعامل لتأمين المعيشة، وكان ذلك من عام ١٩٥٢م إلى عام ١٩٥٨م، وترك العمل بعدها ليبتدئ مسيرة الفن عند خاله الحاج علي عبد الجليل، وكان عملاقًا في الفن محبًّا للسيد النبهان.

الريحاوي، والشيخ عمر أفندي، وجاور في القرناصية، وأخذ عن علمائها، قعد على السجادة القادرية في المدرسة الطرنطائية عام ١٢٦٠هـ، توفي في حلب، ودفن في المدرسة الطرنطائية. انظر «نثر الجواهر والدرر» (١٥٧٧) قال عنه السيد النبهان في درس مسجل: «الشيخ محيي الدين بادنجكي -الله يرحمه- شيخ جدي، وشيخ أبي».

دخل المعهد الموسيقي بحلب لتعلم مبادئ الموسيقى، وكان مديره آنذاك الدكتور فؤاد رجائي إلى أن تخرج فيه، ثم ذهب إلى بيروت لإكمال دراسته الموسيقية هناك وذلك إلى عام ١٩٦٣م.

عمله:

عمل في إذاعة دمشق إلى عام ١٩٦٥ م.

بعدها انتقل إلى إذاعة حلب، ومن عام ١٩٦٦م تدرج في عدة وظائف ومناصب فنية وإدارية في إذاعة حلب، فعمل مديرًا للأرشيف، وتدرج إلى أن أصبح رئيسًا للقسم الموسيقي إلى عام ٢٠٠٠م، ثم أحيل إلى التقاعد من إذاعة حلب.

زار العديد من البلاد العربية كالأردن ومصر وتونس والمغرب والكويت، وغيرها، وسجل في إذاعاتها خاصة إذاعة الكويت.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

حدثني المنشد محيي الدين أحمد -رحمه الله- قال: تعرفت هناك في دمشق على الشيخ نصوح المارديني، وقد كان من الأولياء الصالحين، وكنت أقصده كل مساء لحضور جلسات الذكر والوعظ والمديح، وهو يقيم حلقة ذكر في كفرسوسة كل ليلة جمعة وكنت ملازمًا له وأنا أقوم بالحضرة -والكثير من هذه التسجيلات موجود عندي-، وكان يحضر هناك بين الفينة والأخرى الشيخ محمد الشامي أبو أسامة، فأحبني الشيخ الشامي وأحببته كثيرًا فكان يقول لي: «سآخذك لعند الشيخ النبهان» ولكنني كنت أرد لأنني أرى أن الشيخ نصوح جمالي نمزح أمامه ونضحك، أما الشيخ النبهان فهذا أمره وشأنه كبير فسوف أبقى هنا؛ أنا هنا مبسوط عند الشيخ نصوح، وكان كلما يراني الشيخ الشامي يقول لي: سآخذك إلى السيد النبهان.

وبعد انتقالي إلى إذاعة حلب قصدت الشيخ الشامي في حاجة أريدها منه وكان يخطب في جامع الشعبانية، فذهبت إليه، وجلست قريبًا من المنبر، وقبيل الأذان الثاني رآني الشيخ الشامي فدفعني للأذان عوضًا عن المؤذن، وأذنت له أذانًا غريبًا بنغمة السيكا وهي نغمة قليل من يؤذن بها.

بعد الخطبة قلت له حاجتي فقال لي: لن أقضي لك حاجتك حتى أعرفك على السيد النبهان، وكان ذلك بتاريخ ١٩٦٧م، وكنت وقتها لا أعرف أنني من أقارب السيد النبهان من عشيرته لأنني لم أكن أهتم وقتها بالعشائر لبعدي عن ذلك الجو.

فذهبنا وفي الطريق قال لي الشيخ الشامي: إذا قُدّرَ لك أن تنشد اليوم فأنشد لنا: «المدينة تتحدث عن نفسها» عندما وصلنا إلى جامع الكلتاوية أدخلوني إلى غرفة فيها الحاج مصطفى سروجي حيث أمرني بتبديل ملابسي بكلابية وطاقية ومنديل. فقلت: لماذا؟ فقال: حتى تدخل على سيدنا النبهان بالذكر فبدلت ملابسي ودخلت الحضرة وكان في حلقة الذكر كبار المنشدين مثل صبري مدلل، وعمر نبهان «الدربي» وعبد الرؤوف حلاق، وفؤاد خانطوماني، وأحمد جاكيري، ومحمد أبو عمشة، وأحمد السمان المدني، وغيرهم.

عندما نظرت إلى سيدنا النبهان في الذكر رأيت صورةً لشيخ غريب لم أر مثله في حياتي، صورة لم أعهدها من قبل، شيخ غير بقية المشايخ، وغابت عني صور كل المشايخ الذين كنت أعرفهم، واختلفت الدنيا كلها علي، ولمع في قلبي نور عجيب، فأخذ قلبي مباشرة واستغرب المنشدون وقتها من حضوري من الإذاعة إلى هنا؟!

كانوا ينشدون، وبعد انتهائهم من الموشح وضعوا الميكرفونات أمامي فبدأت بقصيدة: «المدينة تتحدث عن نفسها»:

وَقَفَ الناسُ ينظرون مَناري كيف شَعَّ الهُدى على كل نَجْدِ
أنا دارُ الإيمانِ والمَثَلُ الأَعْلى ورمزُ الخلودِ في كلِّ مَجْدِ
أنا إنْ بَدَّدَ الزمانُ شُعاعي لن ترى النورَ هذِهِ الأرضُ بعدي
أنا خير البقاع كرمني الله بخير الأنام في خير لحد
أنا قابلته بأرحب صدر ثم أودعته حشاشة كبدي
وفي رحابي ترعرع العلم طفلًا ومشى حارسًا جحافل أسدي
ومضى طارقٌ بعشر ألوف يتحدى بعزمهم أيَّ عد
يذرع الأرض[١] لا يهاب المنايا ويدك الحصون من غير رعد
سهم موسى و يا لهمّة موسى أنا أرضعتها بألبان نهدي
الأثير الذي به يتباهون لقد كان لي كأطوع عبد
وجيوش السماء يوم حنين نصرت معشري بأكرم جندِ
أنا هذا الذي ذكرت فمن ذا الذي يرفع الرأس بعد هذا التحدي

أقولها بفن عجيب من أجل المنشدين الذين حضروا وبنغمات غريبة، وأنا مأخوذ بالشيخ النبهان، ثم مرة أخرى بعد أن أنشدوا موشحًا وضعوا الميكرفون أمامي فقلت سأنشد قصيدة من النفائس لأرى تجاوب الشيخ معي فيها فأنشدت:

هل فاقدُ الشمِّ يدري شذوَ ريحان[٢] أم الأصمُّ غدا يشجي بألحان
ياحادي الركب إن جئت الحمى سحرًا حيِّ الحِمى إنني في حبهم فان
في الناس قوم به قد أنكروا شغفي إنكار فرعون في موسى بن عمران
لو يعلموا بعض ما بي في الهوى عذروا وأصبحوا من قديم العهد إخواني

---

(١) يذرع: يسير في الأرض.
(٢) شذو ريحان: طيبه و رائحته.

وإذ بي أرى السيد النبهان ينزل منه خطان من نور من دموعه على خديه وأصبح معي شبه غيبوبة فلا أرى أحدًا أمامي إلا السيد النبهان، وقمت بالحضرة وقتها وأنا في ذهول عجيب، فتحت عيوني بعد الانتهاء وأنا في حالة من الانبهار فلم أر أمامي السيد النبهان قلت: أريده وإذ بالأخ عبد الله عزو أبو خشبة يأتي إلي ويقول: سيدنا يريدك، فذهبت إليه فأجلسني بجانبه وأنا مأخوذ به، فتكلم معي بلغة المحبة، وسمعت كلامًا عجيبًا.

كنت وقتها أرى نفسي فوق الجميع، فأنا أستاذ بالفن والألحان والذي لا يناديني بالأستاذ لا أرد عليه ولا ألتفت إليه، ومن الحكمة أن السيد النبهان ناداني بالأستاذ لمدة أربعة أشهر حتى صفاني ونقاني، فنسيت هذه الألفاظ ونسيت تلك الأجواء وأصبح يناديني: أبو أحمد.

وهذه هي أول معرفتي به فالتزمت به فلا أتركه أبدًا، لا بد أن آتي إليه كل يوم، فبقيت معه ما يقرب من سبع سنين كلها مليئة بالحوادث العظيمة وأصبحت منشد الحضرة النبهانية، وأنا أول ما أدخل إلى الحضرة يفتح الله عليّ فتوحات ونغمات وما عودت نفسي أن أُحَضّر ولكن حفظي جيد ولله الحمد، وحين سألت سيدنا عن ذلك قال: هذه ليست من عندك.

حضَرْتُ حضراتٍ كثيرة في دمشق وحلب ولكن مثل هذه ما وجدت، ولما أتيت إلى سيدنا النبهان قالت لي أمي: يا ابني! أنت الآن رجعت إلى أهلك.

رؤيته سيدنا عيسى -عليه السلام- في حلقة الذكر:

كتب لنا الشيخ محمود نور الدين أحمد حوت قال: ذهبت يومًا لزيارة منشد سيدنا محيي الدين أحمد رحمه الله في بيته وإذ به يذكر لي حادثة جرت له مع سيدنا ﵁ يقول: بعدما انتهى سيدنا من الذكر سألته سيدي من هذا الرجل الذي كان يجلس إلى جواركم في الذكر صاحب الشعر الأجعد؟

فقال سيدنا ﷺ وهل رأيته؟!

فقال محيي الدين: نعم

فقال سيدنا: إنه عيسى عليه السلام.

وذكر سيدنا للناس رؤية محيي الدين لسيدنا عيسى عليه السلام في مجلسه ثم حدثني محيي الدين أن سيدنا ﷺ قال لمحيي الدين في مجلس آخر قل لنا: كيف رأيت عيسى عليه السلام قال: فصرت أسردها وسيدنا يسمع. هذا ما سمعته من محي الدين الأحمد من فمه، رحمه الله.

في الحضرة القادرية:

يكمل لنا منشد الحضرة محيي الدين عن ذكرياته مع سيدنا النبهان فيقول: أكرمني الله بصحبة السيد النبهان وسافرت معه إلى العراق، وفي الحضرة القادرية قصص تذكر، قبل الحضرة دخل السيد النبهان لعند سيدنا عبد القادر ولما جلس السيد النبهان كنت أنا فقط خلفه في الحضرة القادرية وسمعته يتكلم مع السيد عبد القادر بلغات غريبة، ولما قامت الحضرة وقد حضر أناس بالآلاف وأنا أقول بيني وبين نفسي: كيف سأقوم بهذه الحضرة وأنا وحدي! ففتح الله وكأن المنشد مئة محي الدين، وحصلت أمور في تلك الحضرة غريبة عجيبة.

آخر لقاء مع السيد النبهان:

وآخر لقاء معه ﷺ كان في المستشفى جئت إليه وكان مسلقيًا فلما رآني قال: «أبو أحمد أهلًا» وجلس ﷺ.

رأيت منه ﷺ كرامات كثيرة قبل الانتقال وبعده وما قصدته بأمر إلا حصل.

شهم كريم جائد بعطائه لولا التشهد لم يقل لك لالا

وسيدنا كان شرعيًّا يُغطي الكرامة، ورأيت منه كرامات في العراق أيضًا.

منشد الحضرة:

أكرمني الله -عز وجل- وكنت مع سيدنا في رحلته الثانية إلى العراق، وأراد السيد النبهان أن يعرف شخصًا عني فقال: «هذا محيي الدين منشد الحضرة».

إذا كنت أمام العارف فكن كما شئت:



من اليمين: محيي الدين أحمد، ثم الشيخ يحيي الفياض

حدثني الدكتور علي مشاعل قال: التقيت بالمنشد محيي الدين -رحمه الله- في المدينة المنورة فحدثني عن نفسه ومما جاء في حديثه:

قال: «بعد أن جئت إلى سيدنا ﵁ والتزمت به وبمنهجه ولازمته سألته هل أترك العمل في الإذاعة بسبب ما فيها ومن فيها؟

فقال: لا تترك العمل ولكن اترك كل محرم وكل ما لا يليق من الأقوال والأفعال.

وفي يوم من الأيام غفلت ووقعت في بعض المزاح والكلام القديم فندمت وتأسفت وتذكرت العهد مع السيد ﵁ فقصدت الكلتاوية لأجدد العهد والالتزام وأغسل النفس من أدرانها وأكتحل بنور الوارث المحمدي فكان ما كان، توضأت وصليت ركعتين ثم رأيت سيدنا خارجًا من بيته قاصدًا حجرته في الجامع فدخلت مع من دخل وراءه من الطلاب والمريدين، فأجاب ﵁ كل سائل وقضى حوائج المحتاجين، ثم قال لي: ماذا عندك؟ فاستحييت من السيد أن أقول له عن سبب مجيئي وسكت. فقال ﵁: غفر الله لك اعلم يا بني أنه أمام العلماء ينبغي أن تحفظ لسانك، وأمام الأولياء ينبغي أن تحفظ قلبك، وأمام العارفين خذ حريتك وتكلم بما عندك لأن الله يطلعه عليك، ويعلمه ما بك وما عندك وما أصابك، المرة هذه ما عليه شي لا بأس ومرة ثانية لا تقع أو لا تفعل».

بيت يبنيه له السيد النبهان:

حدثني محيي الدين -رحمه الله- قال: كنت قد بدأت ببناء بيت فبنى لي السيد النبهان غرفتين كبيرتين، وكنت قد عمرت غرفتين قبلهما وجهز السيد النبهان الكل بما يلزم، وزارني فيه أربع مرات.

حدثني الدكتور عثمان العمر قال: كنا في يوم عيد مع سيدنا فقام محيي الدين وأنشد بين يدي سيدنا ثم جلس، فالتفت سيدنا إليه وقال: محيي الدين صالح لكن أمه أصلح منه، فقال الأستاذ حسان فرفوطي، رحمه الله: سيدي محيي الدين يعمر بيتًا، فقال سيدنا: «آآ محيو عبتعمر بيت؟ إذا انتهى نزورك فيه» وفي الحقيقة سيدنا كان هو الذي يعمر له البيت ولكن من أجل ألا يحس محيي الدين بالحرج أظهر سيدنا نفسه أنه متفاجئ بعمار محيي الدين للبيت. رضي الله عنك يا سيدي النبهان كم كنت رحيمًا جبارًا للخواطر.

الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف:

قال الشيخ أحمد بهاء العاني: «حدثنا منشد الحضرة النبهانية -رحمه الله- عام ١٩٩٩م عندما زار مدينة الفلوجة قال: قصدت الدّيار المقدسة في سبعينيات القرن الماضي لأداء العمرة، فشاءت الأقدار أن أجتمعَ برجل من القارّة الأفريقية هناك، وكان طويل القامة ببشرة سوداء، تلمح في وجهه نور العناية والسكينة والوقار، سلّمت عليه، وأخذنا نتداول أطراف الحديث الروحي حتى أباح لي بما في قلبه، وبعد أن عرف أنني من مدينة حلب قال لي: تفضل سوف أسمعُك اليوم شريطًا صوتيًّا لمنشد من طراز خاص يأخذ بالأرواح ويعرج بها ويطرب الآذانَ، فقلت له: تفضل. فاصطحبني إلى مكان إقامته ثم قام بتشغيل الشريط، فإذا هي إحدى حضرات الكلتاوية والمنشد أنا.

قلت له: هل تعرف من صاحب هذا الصوت؟

قال: لا. سوى أني سمعت بأنه منشد للحضرة النبهانية في حلب، بمسجد يقال له الكلتاوية وشيخهم يقال له: الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه

قلت له: وهل تعرف الشيخ النبهاني أو سمعت به من قبل؟

قال: لم أره ولكنه شيخي. قلت له: وكيف ذلك؟

قال: إنّ الشيخ النبهاني شيخي في الطريق، رأيته يومًا في المنام في بلدي وأخذت العهدَ على يديه ﷺ فهو شيخي في الطريق.

وبعد أن انتهى من حديثه قلت له: اسمح لي أن أعرّفك بنفسي. أنا منشد السيد النبهان ﷺ، وهذا صوتي الذي أسمعتني إياه قبل قليل.

فسبحان من جمعنا سوّية لأتعرف عليك، وأنه عزَّ وجلَّ أراد أن يعرّفنا مكانة هذا السيد العظيم الذي كان يقول: جد صدقًا تجد مرشدًا وإنّ المريدَ إذا صدق فإنَّ الشيخ يطرق بابه، وإنّ صدقكَ قد جعلك من نصيب هذا الشيخ العظيم.

قال -رحمه الله- وأنا أتكلم في هذا الحديث والرجل أخذ يقبّل رأسي، والدموع تنهمل من عينيه ثم ودّعني وكأنني أخذت بمجامع فؤادهِ على أمل أن نلتقيَ مرّة أخرى». وكذلك حدثني بها الدكتور عثمان عمر المحمد سماعًا من منشد الحضرة محيي الدين، وذلك حين زاره في بيته في المدينة المنورة -على ساكنها أفضل الصلاة والسلام- وكان منشد الحضرة ينزل في بيت الدكتور عثمان إذا جاء إلى المدينة المنورة.

حلقة الذكر: بقي المنشد الأستاذ محيي الدين أبو أحمد محافظًا على العهد صادقًا في السير مواظبًا على حلقات الذكر في الكلتاوية مع ما ألم به من مرض وابتلاء بفقد بصره حتى بدأت أحداث حلب ونزح من بيته.

وفاته: بعد صراع طويل مع المرض وفقد البصر والرجل وآلام النزوح عن بيته في حلب الشهباء توفي يوم الاثنين ٨ ربيع الثاني١٤٣٥هـ، الموافق ١٠ شباط ٢٠١٤م.

رثاؤه: مدحه بقصيدة الشاعر أحمد علي بابللي عنوانها: على أجنحة الأثير كتب في مقدمتها فقال: محيي الدين أحمد فنان من الرواد، ملحن ومنشد وله موهبة

في نظم الشعر وقدرة عالية على التصوير والتلوين والتحليق وتفجير المشاعر وهذه الخصائص لم تجتمع لغيره من أفذاذ ألف إلا قليلًا.

قال:

أشعلتَ فكري في الظلام ذبالا[١] وأخذتَ من لهب الشموع خِصالا
وقطفتُ من شهب النجوم شواهدي فتَجَسّدَ الحُلُمُ العجيب خيالا
وخطفتُ من وهج الشموس قصائدي فتلألأت شتى الرؤى أشكالا
ونظمتُ من وهج الشموس قصائدي أحدو بها مترنمًا رئبالا[٢]
ذابت على قمم الشموخ مشاعري فتدفق اللحن العريق زلالا
أنا شاعر والحب أشعل مهجتي والقلبَ والأضلاعَ و الأوصالا
لكنني أهوى الشموس النيرا تِ متيمًا وأرى الغرام حلالا
ووقفتُ في قمم الخيال مجنحا كالنسر يرفع رأسه مختالا
فسمعت صوتًا دافئًا متدفقًا يهتز في أحلامنا شلالا
فرأيت محيْي الدينِ أحمدَ قمةً للفنّ بثت للعلا إرسالا
زرياب قم واسمع إلى أنفاسه تسري إلى كبد المتيم حالا[٣]
وتلامس المقل التي ينتابها أرق من الأشواق كان وبالا
كالمرود الشافي يعالج قرحها ويذر في تلك الجفون كحالا[٤]

(١) ذُبال؛ جمع ذُبالة : فتيلة السِّراج تُشعل فيها النارُ فتضيء.
(٢) الرِّئْبَالُ: الأسد.
(٣) زرياب: طائر أسود اللون عذب الصوت يعرف بالشحرور ؛ و هو لقب أبي الحسن علي بن نافع الموصلي، موسيقي ومطرب عذب الصوت من بلاد الرافدين من العصر العباسي. لُقِّب بـزرياب لعذوبة صوته وفصاحة لسانه ولون بشرته القاتم الداكن.
(٤) المِرْوَدُ: المِيلُ الذي يكتحل به.

وقال أيضًا:

أوتاره تبكي على آهاته والآه تطلق في الصدور نصالا
وتحلّق الأشواقُ من أنفاسه كالسرب تسري للحبيب حجالا
أنفاسه تسري على أوتاره إن لم تكن أنفاسه مرسالا
أوتاره تهتز في آذاننا إن صاح يوما أيقظ الأطلالا
في القمة العلياء أسمع صوته يرجو الإله مودة ووصالا
حييت محيي الدين أنت قصيدة لولا الحرام نحتها تمثالا
وأزفها لك كالعرائس غادة حسناء كانت في الجمال مثالا

ورثاه الشيخ الدكتور ياسر يوسف فقال:

(محيي الدين أحمد صوت سماوي فريد)

فقدُ الأصوات الجميلة التي كانت تطرب الآذان، وتسعد الأرواح، وتداعب المشاعر، وتؤصل للأخلاق الحسنة والخصال الجميلة والمعاني النبيلة لا يقل فداحة عن فقد أي شيء نفيس وغال في حياتنا؛ ذاك أن تلك الأصوات تربطنا بذكريات جميلة، وماض حلو ارتكز في الأذهان، وترسخ في الأفئدة، نحِنّ من خلال تلك الأصوات الشجية إليه، ونشتاقه، ونأبى الانصراف عنه ولو تحولنا إلى أجمل منه وأفضل منه وأحلى منه.

خلقت ألوفًا لو رددت إلى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

ولا زلت حتى اليوم أنشد الناس من محفوظاتي الشعرية ما يستخرج ثناءهم، ويثير إعجابهم، وكلها حفرت في الذهن بما كانت تلك الأصوات تنشدها في المحافل والمناسبات.

فأية يد بيضاء لهذه الأصوات عندي وما أكثرها! ولعل آخرها صوت رحل عنا اليوم وغاب عن دنيانا وراء سجاف الموت تاركًا وراءه كل نغم جميل وناثرًا خلفه كل

عبق يملأ الصدر راحة والقلب شوقًا وحنينًا... إنه صوت أبي أحمد... محيي الدين أحمد العمر... منشد السيد النبهان، رحمه الله تعالى.

ولئن كان الإخوة تحدثوا عن منزلته بين المنشدين، وأنه تفوق عليهم فإني محدثكم عن منزلته بين عمالقة هذا الفن من غير المنشدين، فقد قال لنا في لقاء جمعنا به عام ١٩٩٣م أنه اتفق له في سفره ذات مرة الاجتماع بوديع الصافي في الحافلة بين دمشق وبيروت، وكان من جملة ما قاله له وديع -وكانت بينهما معرفة قديمة-: يا محيي الدين: الناس يطربون لصوتي وأنا أطرب لصوتك.

ولا غرو فقد كان -رحمه الله تعالى- يملك صوتًا عذبًا رخيمًا، يمتاز بمساحات لا نهاية لها، وحبائل صوتية لا يعرف الضعف إليها سبيلًا، وكان يتحكم بصوته ويدير النغمات عليها إدارة عجيبة، باعتراف وإقرار سائر المنشدين الذي أنشدوا معه، وكنت أعرف ذلك منه رغم قلة معرفتي بالمقامات والألحان.

لم تخطف عينه الشهرة، ولم يسرقه الفن من روحه، فقد ظلت تبحث عن مأوى لها حتى وقفت على السيد النبهان، فلزمه، ووهبه صوته وفنه، ووقف على رسول الله ﷺ وعليه مديحه، حتى صار منشده الخاص كما لكل عظيم شاعر حفي به ملازم له.

كان أحيانًا يعطيني قصائد كتبت بيده لأبيضها له حذر الضياع والتلف، ولعل بعض تلك الأوراق كان يرجع إلى حياة السيد النبهان رحمه الله تعالى... تلك المرحلة التي رمت من خلال صوت أبي أحمد بقصائد عصماء وأبيات من طراز خاص، كان -رحمه الله تعالى- يأخذنا إلى أجوائها وهو ينشدها من مثل:

لي بالحمى قوم عُرفت بصبِّهم ... وإذا مرضت فصحتي في طبِّهم
قوم كرام هائمون بربهم ... علموا بأني صادق في حبِّهم
وتحققوا صبري الجميل فعذَّبوا

أما ألحانه فلا تكاد تمحى من الذاكرة أو يلفها النسيان، ومن منا يغرب عن حفظه لحنه الذي تقول كلماته:

غرد الوجود للسنا المجيد وانجلى الهنا فالسماء عيد
سيد الأنام مقصد الكرام قد محى الظلام عيدك المجيد

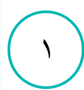
محيي الدين الأحمد صوت من الماضي الجميل... أحببناه وعشقناه، فما ذكرْناه إلا ذكَّرَناه... ولا مر بخاطرنا إلا أعقبنا منه أسى وشوق وحنين. رحمك الله أبا أحمد... جمعك الله وجمعنا بممدوحك في مقعد صدق عند مليك مقتدر... آمين.

مصادر الترجمة:

- المنشد محيي الدين أحمد العمر -رحمه الله- لقاء لي معه في بيته في حي صلاح الدين في حلب.
- الدكتور عثمان العمر، والدكتور علي مشاعل، والشيخ محمود نور الدين أحمد حوت، والشيخ أحمد بهاء العاني، والشيخ ياسر يوسف، مراسلة كتابية.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:



محيي الدين: حياتي الجميلة هي مع سيدنا فقط والباقي فاضي.





محيي الدين يتحدث عن حمل والدته به ومن الذي سماه محيي الدين.





محيي الدين يتحدث عن حياته يوم الجمعة في الكلتاوية.





قصيدة: وقف الناس ينظرون مناري.





قصيدة: هل فاقد الشم يدري شذو ريحاني.



(٧٣) الحاج ملحم الحمد

١٣٥٠ - ١٤٣٧هـ/ ١٩٣٢ - ٢٠١٦م



هو الحاج ملحم بن مصطفى بن حمد بن عبد بن علي بن محمد بن عبد الله بن حسن المسرة. وينتمي لعشيرة المَسرّات، المتفرعة عن قبيلة الوَلْدَة البوشعبان، وتعود إلى زبيد نسبة لعمرو بن معد يكرب الزَّبيدي.

ولادته ونشأته:

ولد -رحمه الله- في قرية الزيارة -ناحية الزربة-في محافظة حلب عام ١٩٣٢م.

نشأ في كنف أبوين صالحين في أسرة فقيرة طيبة، وتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن في الكتّاب في القرية.

وفي ريعان شبابه كان يعمل مع والده وإخوته في الزراعة.

في صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

لما بلغ من العمر ثلاثين عامًا كانت نسائم الخير والنور تلوح له، وأنوار العارف بالله السيد محمد النبهان رضي الله عنه تشعّ على فؤاده وروحه، فيلتقي بدَلّالٍ ناصحٍ ألا وهو

الأستاذ الشيخ حسان فرفوطي -رحمه الله- حيث كان يقوم بزيارات للقرى والأرياف، ويحدث الناس عن سيدنا النبهان ﵁ ومآثره وخصاله الحميدة، ويحثهم على زيارته والتعرف عليه.

وهذا كان بداية الغيث النبهاني على الحاج ملحم -رحمه الله-، فتعلق قلبه بهذا الاسم الكريم، فيممّ شطر حلب الشهباء، ليزور الكلتاوية ويظفر ببغيته وسؤله، ولسان حاله يقول:

يازائرَ الشهباء يمم مسرعًا	واقصد جناب السيد النبهاني
للقبة الخضراء عرّج داخلًا	أمّ الحمى وادخل على السلطان
فلك الهنا إن جُزت في ذاك الحمى	وظفرت بالفرد العظيم الشأن

وبدأت زياراته وحضوره في مجالس السيد النبهان ﵁، وتشرف بخدمته الخاصة ستة أعوام.

بعد أن أكرمه الله بالتشرف بالعارف بالله محمد النبهان ﵁ جعل من غرفته المتواضعة في قريته مكانًا يجتمع فيه أحباب السيد تحت عنوان: «تعالوا نؤمن ساعة» يُحيون قلوبهم بذكر حبيبهم، ويَسقون أرواحهم بالأناشيد النبهانية العطرة.

يقول رحمه الله: «كنا نجلس مع أصحاب سيدنا ﵁ في بيتنا في قرية الزيارة، وكان عندنا كلب يجلس أمام باب الغرفة، ومن عجائب هذا الكلب أنه إذا كان الذي يدخل علينا له لحية يسمح له بالدخول، وإن لم تكن له لحية يمنعه، وفي إحدى المرات دخل علينا الغرفة رجل حليق ولم يره الكلب لحظة دخوله، فجلس بيننا، فنظر الكلب فرآه بيننا فدخل عليه وأمسك بثوبه وأخذ يجره حتى أخرجه من الغرفة».

والحاج ملحم أميّ لم يدرس بمدرسة، وليس عنده مؤهل علمي، ولكنه بالمدد والفضل النبهاني كان خطيب الجمعة في قرية الزيارة طيلة حياته، فقد كان الشيخ

عبد الله إسماعيل الدليم -رحمه الله- يخطب في قرية الزيارة، ثم أمر سيدُنا النبهان ﷺ الحاج ملحم أن يخطب في قرية الزيارة.

يحدث الحاج خليل الأحمد عن نفحة نبهانية مباركة لهذين الخطيبين رحمهما الله قائلًا: (لما كان الشيخ عبد الله الدليم يخطب في الزيارة قال له سيدنا ﷺ: «ياشيخ عبد الله أنت تروح وتخطب في قرية تَلْ كُلْبة، وأنت يا ملحم تخطب الجمعة في قرية الزيارة». وفي إحدى المرات راح الحاج ملحم إلى الشيخ عبد الله في قرية تل كلبة وجاؤوا مشيًا إلى قرية التويم، فرآهم سيدنا ﷺ فقال لأمنا أم أحمد: تعالي فانظري إلى هؤلاء، واحد من الزيارة وواحد من تل الكلبة لكن يحبون بعضهم).

استمر يخطب الجمعة في قرية الزيارة بشكل دائم لم يتركها إلا وقت مرضه، وخلال فترة نزوحه عن القرية صلى الجمعة مرات في قرية طويل الحليب ويقول: إن أهل القرية هذه آل علاوي الحسين علوش يحبون سيدنا ﷺ.

ولما بلغ من العمر ثلاثًا وثلاثين عامًا كانت رحلة الحج المباركة مع العارف بالله سيدنا محمد النبهان ﷺ عام ١٩٦٥م.

وقال -رحمه الله- عن هذه الرحلة المباركة: «إنه حج على نفقة السيد الكريم وأن التكلفة وقتها من حلب إلى حلب خمسمئة ليرة سورية، واستمرت خمسةً وخمسين يومًا.

ومن العلماء الذين رافقوا سيّدنا ﷺ: الشيخ محمد بشير حداد، والشيخ علاء الدين علايا، والشيخ حسان فرفوطي، والشيخ ياسين الويسي، والشيخ محمد الصندل، والشيخ صالح حميدة الناصر، الشيخ عمر ملاحفجي، الشيخ محمد الشامي، الشيخ محمد أديب حسون، الشيخ محمود العسّاني، الشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ محمد رشواني، وكان عمره اثني عشر سنة، وقد عيّنه سيّدنا ﷺ حلقةَ وصلٍ بين الرجال والنساء.

وهناك علماء أيضًا من إخواننا في العراق لا أحفظ أسماءهم. وكان هناك أيضًا علماء في الباخرة التي استقلّها سيّدنا منهم: الشيخ كامل السرميني وغيره.

ولدى ذكرِه لاسم الشيخ صالح حميدة الناصر قال: أذكر أنه كان له موقف في الباخرة، وذلك حين بدأ سيّدنا ﵁ في البحث والتفقد عن إحدى الأخوات -وقد تأخرت- فإذا هي في قضاء حاجتها، ومسكة الباب قد خُلِعت، وكان هناك رجل أجنبي يبدو أنه يضمر سوءًا، فضربه الشيخ صالح حميدة الناصر، ثمّ أمسك به يريد أن يلقيه في البحر ولكنّ سيّدنا ﵁ منعه.

وفي الحرم المكي رأى سيدنا ﵁ الحاج عيد المصطفى العبود أبا جمّاس- مختار قرية الزيارة- فقال له: تفضل معنا يا أبا جمّاس، فقال الحاج عيد: ياسيدي أخاف ألا يتسع المكان وأنت معك إخوانك. فقال له سيدنا ﵁: إذا كان المكان لا يتسع أضعك بعيوني.

ولما انتهينا من مناسك الحج وقف إخوان سيدنا يسألون وسيدنا يجيبهم ويوجههم بخصوص الكفارات والصيام، ولما وصل الدور إليّ قال لي: يا ملحم أنت لاتَصُمْ ولاتفدِ؛ الله غني عنك وعن صيامك».

وفي عام ١٩٦٦م كان زواجه، وقد بلغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا، فتزوج على حساب سيدنا ﵁ وساعده في ذلك بعض إخوان السيد الكريم.

وبعد زواجه جاء بزوجته لحضور درس النساء في الكلتاوية وبعد انتهاء الدرس استأذن الوالد بالخروج، وطلب من السيد الكريم الإذن له ولزوجته بالانصراف، وهنا ينظر سيدنا ﵁ إلى والدي مبتسمًا ونسائم حنانه ولطفه تظلل والدي، فيقول له: (وتْزوجنا يا ملحم، وتْزوجنا يا ملحم) ثم دعا له قائلًا: «اللّٰهُمَّ ارزقه منها ذرية صالحة، واجعلها عونًا له على التقوى».

ويتواصل فيض الحبيب وكرمه وعطاؤه الذي لا ينتهي عليه وأسرته؛ فلما ولد ابنه الأكبر محمد جاء إلى سيدنا ﵁ فقال: ياسيدي جاءني ولد، أريد أن تسميه وتدعو له، فقال سيدنا ﵁: أسميه اسمًا تتأدبون معه؛ هذا اسمه محمد. فقال -رحمه

الله: يا سيدي ادع له أن يحب جنابكم، فقال سيدنا ﵁:«هذا يحب جنابي أكثر منك».

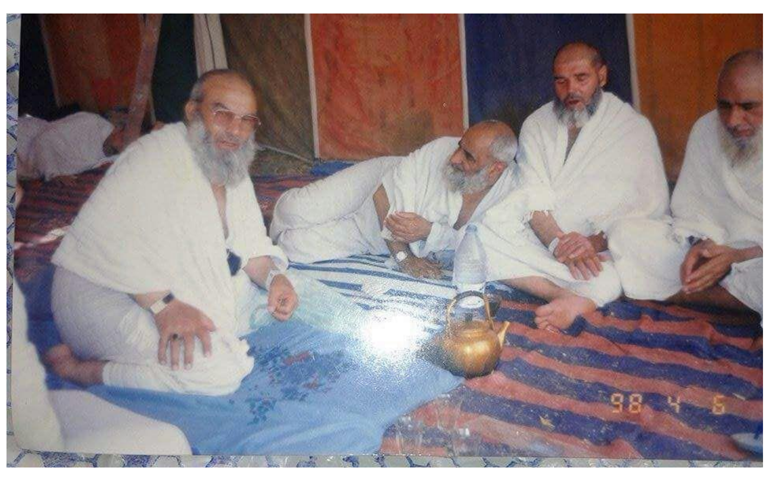
لقد قال السيد النبهان ﵁ عن الحاج ملحم: «ملحم صاحبي».

فهنيئًا لك ياحاج ملحم هذا الوسام النبهاني، وهذا الكرم والعطاء الفياض.

وذات يوم مرض ابنه أحمد، وكان عمره سنتين تقريبًا، فذهب به والده الحاج ملحم إلى الدكتور محمد سعيد عبدان -رحمه الله تعالى- ولما عاينه الدكتور سعيد عبدان وجده متعبًا جدًّا، وقال: «يا أخي ملحم ابنك هذا انتهى أمره، طالعه إلى القرية؛ الولد خالص منتهي» ويقصد أنه ميت. وضاقت الدنيا على الوالد -رحمه الله- فصعد به إلى الكلتاوية، ولما وصل كلّم سيدنا وأخبره بما قال الدكتور سعيد عبدان رحمه الله، فقال له سيدنا ﵁: «طالعه إلى القرية؛ ما فيه شيء، هؤلاء الدكاترة لا يعرفون».

وعاش أحمد ودرس في الكلتاوية وتخرج فيها ولله الحمد.

رزق الله الحاج ملحم ستة أبناء وخمس بنات.



من اليمين: الحاج خليل الأحمد، ثم الحاج علي الأحمد،

ثم الحاج ملحم الحمد، ثم الحاج أحمد الحميدي، في رحلة الحج عام ١٩٩٨م

وما زالت فيوضات السيد النبهان وعطاؤه عليه وعلى أسرته تتوالى، يقول، رحمه الله: لما حضرت والدي مصطفى الحمد الوفاة، وصار في النزع الأخير كبر لسانه وثقل كثيرًا، وفي هذه الحال رأيت سيدنا النبهان ﷺ قد حضر إلى بيتنا، وصار يخرج بأصبعه ريقه الشريف ويضع على لسان والدي حتى صار عاديًّا ونطق بالشهادتين فتوفي ودفنّاه. ذهبت صباحًا إلى التويم وحكيت لسيدنا حفظنا الله به فما أعطاني جوابًا حتى شرف إلى المصلحة[١]، واجتمع كل إخوان سيدنا، فصاح ﷺ: «أين ملحم؟» قلت: نعم سيدي. فقال ﷺ: «آه يا حبّابي الدنيا! حتى تعرفوا أهل الله لا يتركونكم أنتم ولا آباءكم ولا أولادكم ولا أصحابكم ولا أصدقاءكم». ثم قال ﷺ: «الذي له مرجع لا يخاف ولو انطبقت عليه السموات والأرض فلا يخاف، كيف بك بالوارث المحمدي»

وتتوالى كرامات السيد النبهان ويغمر الحاج ملحم بفضله وإحسانه، فقد نشأ في أسرة فقيرة، وكان هذا حاله بعد زواجه كذلك، فقر ودَيْن من هنا وهناك، وأكثر أهل القرية لهم عليه ديون حتى القرى المجاورة، وكان يملك سبعة هكتارات فأراد اصحاب الديون أن يأخذوا الأرض، واشتد الأمر وضاقت به الأحوال، ماذا يفعل وأين يتوجه؟ لا يشكو أمره إلا لسيده.

إن حلّ بي كربٌ أنادي سيدي   وجه الهنا نبهان غاية مقصدي

وجاء إلى السيد النبهان..نعم.. نعم..وكل ذراته صدق وانكسار

فشكا حاله وأمر ديونه لسيدنا النبهان ﷺ فأجابه: «لا تخف، إذا نزلت بالديون إلى أذنيك سوف أطالعك».

---

(١) المقصود بالمصلحة الأرض الزراعية التي يزرعها السيد النبهان، والمزارعون يقولون عن الأرض التي يزرعونها ويحرثونها (المصلحة).

وسبحان الله لقد أخذت هذه الكلمة تعمل عملها، وتبارك للوالد عمله، فتوجه للعمل بالتجارة وهو لا يعلم عنها شيئًا، فابتدأ يتاجر بالمواد الزراعية، ويتنقل بين الصيدليات الزراعية في حلب وأريافها، وجعل من الكلتاوية بيتًا يأوي إليها وينام ثلاث ليال والليلة الرابعة يذهب إلى أسرته في القرية، واستمر سنوات طويلة يعمل ويتاجر لا يكل ولا يمل حتى تعجب الناس في القرية من ذلك لتتحقق كرامة سيدنا فيوفي الحاج ملحم ديونه كلها، ويشتري أرضًا ضعف مساحة أرضه، إضافة إلى آليات للزراعة وسيارة خاصة به، وإني رأيت الكثير من أهل القرية وغيرها يستدينون منه بعد أن كان يستدين منهم، وتوفي وله أموال عند كثير من الناس.

وفي أمر تظهر فيه مزية إخوان السيد الكريم ﵁، وأنهم حصن وأمان لبلدانهم وقراهم سمعتُ منه -رحمه الله تعالى- أن سيدنا النبهان ﵁ ذكر عددًا من القرى وهي: الزيارة والشيخ عيسى وأبو الظهور وتل الكلبة والوضيحي وقال: إنه سمع السيد يقول عنها: (هي نقطة سوداء) فقلنا: يا سيدي إذن نخرج منها؟ فقال ﵁: «لا أولادي إذا خرجتم منها تخرب».

وعن أيامهم ولقاءاتهم بسيدنا ﵁ سمعت منه قوله: قال لنا سيدنا النبهان في التويم: «يا أولادي ستبكون على هذه الأيام دمًا».

قال -رحمه الله-: أكرمني الله بالإنشاد في حضرة سيدنا ﵁ مرة في التويم وجلست أمامه وبدأت أنشد:

من فاته منك وصل حظه الندم	ومن تكن همَّه تسمو به الهمم
وناظرٌ في سوى معناك حُقَّ له	يقتصُّ من جفنه بالدمع وهو دمُ
أخذتمُ الروح مني في ملاطفةٍ	فلست أعرف غيرًا مذ عرفتكمُ
فإن تكلمتُ لم أنطقْ بغيركمُ	وكل قلبي مشغوفٌ بحبكمُ
والسمع إن جال فيه من يحدثه	سوى حديثك أمسى وقره صممُ
في كل جارحةٍ عينٌ أراك بها	مني وفي كل عضوٍ بالثناء فمُ

فما المنازل لولا أن تحل بها وما الديار وما الأطلال والخيم

فلما قلت:

لولاك ما شاقني ربع ولا طلل ولا سعت بي إلى نحو الحمى قدم

بكى سيدنا النبهان ﷺ حتى ابتلت لحيته الشريفة بالدموع

مرضه ووفاته:

قبيل وفاته بعدة أشهر اشتد به المرض، وكانت رحلة نزوحه قاسية عليه وعلى أهله، إذ نزح نتيجة أحداث سورية -سنة ٢٠١١ ومابعدها- من قريته إلى بلدة ابو الظهور ومرض هناك واشتد به المرض، لكن بقي بالمدد في كامل إدراكه وذاكرته ومتابعته لكل واحد من أبنائه وبناته، ويذكر آخر أيامه أصحاب سيدنا ويزور من يتمكن من زيارته وقتها.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء ٢٩ ربيع الآخر ١٤٣٧ هـ الموافق التاسع من شباط عام ٢٠١٦ م فاضت روحه إلى بارئها.

ومن حبه ووفائه لأصحاب سيدنا أنه أوصى أولاده قبل وفاته أن يدفن في قرية أم جرين ليدفن بجانب الإخوة: الشيخ عبد الله إسماعيل الدليم والشيخ صالح والشيخ علي-رحمهم الله جميعًا- ودفن هناك مع هذا الجمع الطيب، رحمه الله.

مصدر الترجمة:

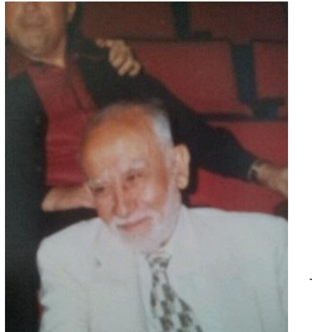
- أعد هذه الترجمة ابنه الشيخ محمد ملحم الحمد[1].

---

(١) الشيخ محمد ملحم الحمد (١٣٨٦هـ-١٩٦٨م): ولد في قرية الزيارة جنوب حلب، نال شهادة الكلتاوية عام ١٩٨٥م، وحصل على الليسانس من كلية أصول الدين بالأزهر في القاهرة، وعلى دبلوم تفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان «فرع دمشق» عمل في الثانوية الشرعية

(٧٤) الحاج ناصر الناصر

١٣٤٢ – ١٤٢٦هـ/ ١٩٢٤ – ٢٠٠٦م



التاجر الحافظ، عضو جمعية النهضة الإسلامية، الحاج ناصر عبد الحميد ناصر الناصر.

ولد -رحمه الله- عام ١٩٢٤م في حي (ساحة بزّة) القريب من قلعة حلب، ونشأ في كنف أبوين صالحين، فوالده الحاج عبد الحميد من أعلام العائلة، بل هو تاجر ثري وورع محب للأولياء والعلماء، يتفقد المعوزين والفقراء، مولع بسماع القرآن الكريم مع أنه لا يقرأ ولا يكتب، فدفع بولده ناصر إلى الكتاتيب في جامع جلال الدين الرومي أولًا، ثم نقَله بعد ذلك إلى جامع الكريمية الأقرب إلى مسكنه، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم باشر بحفظ القرآن وترتيله.

ومن شيوخه آنذاك: الشيخ عبد الوهاب المصري، والشيخ محمد بايزيد.

ومن رفاقه في التلقي والحفظ: الشيخ عبد الله سراج الدين، وأخوه الشيخ محمد سراج الدين، رحمهما الله تعالى.

(الخسروية) في حلب من عام ١٩٩٣ إلى عام ٢٠٠٨م مدرسًا وموجهًا، ومعاون مدير، ثم مديرًا، وعمل إمامًا وخطيبًا في عدة مساجد في حلب (مراسلة كتابية).

دراسته:

وهكذا أشرقت بدايته حتى أكمل القرآن حفظًا متقنًا، ثم التحق بمدارس الدولة وأمضى فترة شبابه في الطهر والعفاف، فلم تتدنس فطرته بصبوة ولم تنخدش جوهرته بزيغ مع كونه من أسرة مترفة، حتى إذا أنهى دراسته الجامعية في كلية الحقوق بدمشق عام ١٩٤٨م رجع إلى حلب ليمارس عمل والده في التجارة، ولم يشتغل في المحاماة ولم يتقلد وظيفة لدى الحكومة، وقد توفي أبوه بعد عام، فاستلم الزمام وأصبح من التجار الأعلام يستورد ويصدر، وغالب تجارته في الشاي والقهوة والبزورات والخردوات الحديدية متخذًا من الخان الذي يمتلكه تحت القلعة خلف المشفى الوطني مركزًا لإدارة تلك التجارة، وأردفه بمكتب له في منطقة (السبع بحرات) وسط المدينة.

تميّز بمعاملة رشيدة وأخلاق حميدة، فأحبه كل من خالطه أو عامله لما هو عليه من صدق واستقامة وعقل ورزانة حتى صار يشار إليه بالبنان لا في الغنى وحسب بل بصفاته ومبراته، ولم تخدع الدنيا الحاج ناصر بنعومة حريرها ولم تبعده أمواجها عن شاطئ السلامة وبر الأمان، كيف لا والقرآن الكريم على قلبه ولسانه، يردد فيه في الليل والنهار والظعن والقرار حتى إذا أرخى الليل سدوله وغلبه النوم بقي يرتل كشريط مسجل، فإذا أفاق قبل الفجر عرف بأنه وصل إلى الآية كذا من هذا الجزء أو ذاك، وتلك حالة غريبة وعجيبة درج عليها إلى آخر أيامه.

صحبة العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

وذات ليلة وإذ بزوجته تلقي على مسامعه عبارات لم يقرأها في كتاب ولم يتحدث بها أحد من أولي الألباب، إنها بضع تحقيقات فبادرها: «من أين لك هذا؟» -يذكرنا بسؤال سيدنا زكريا عليه السلام للسيدة مريم العذراء حين يجد المائدة عندها وهي معتكفة في مسجده ﴿أَنَّىٰ لَكِ هذا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (آل عمران

٣٧). نعم وهكذا وجد الحاج ناصر مائدة، ولكنها من نوع آخر، إنه كلام نفذ إلى شغاف قلبه حديث العهد بربنا من الإلهامات الإلهية على قلب عبده السيد النبهان ﷺ الذي أكرم الله تعالى زوجته بسماعه لدى حضورها درسه ضحوة ذلك اليوم- فأجابت وهي متهللة الوجه مطمئنة الجنان بعد أن أمضت ساعات متحيرة بالعذر الذي تقدمه لزوجها إذا سألها أين كنتِ اليوم ضحى؟ مع أنها لا تخرج من البيت إلا وتخبره، وهي قد ذهبت بصحبة أمها على غير عادتها دون علم مسبق منه، وهو مع تقواه شديد الغيرة على أهله والغيرة والتقوى توأم.

قالت: «إنه من كلام سيدنا النبهان ﷺ» فما إن سمع بكلمة (النبهان) فكأنّه يسمع بالشيخ لأول مرة، والسيد النبهان معروف في حلب لدى القاصي والداني، فأدخلت إلى قلبه تنبيهًا لا يماثل تأثيره آثار المنبهات التي اعتاد بيعها كالشاي والقهوة، وأجاب: إنه كلام عجيب، ولا بد أن يكون الشيخ الذي نسمع به ولم نحفل برؤيته من طراز فريد غريب.

قالت: «هو في جامعه في الكلتاوية يلقي درسين للنساء في صبيحتي السبت والأربعاء، وما بقي من وقته في سائر الأيام فلكل الناس يتعهدهم بالتذكرة والخدمة والموعظة، ويمكنك أن تذهب إليه».

ولله درّها من زوجة صالحة كانت هي الدليل لزوجها على الشخصية الفذة الحاملة لمرتبتي العبدية والوراثة المحمدية الذي لا يغيب عنه حبيبه المصطفى ﷺ يقظة.

تلك المرأة الصالحة التي لم يتزوج بغيرها هي ابنة المرحوم الحاج علي بن خيرو بن ناصر الناصر المشهور في قومه هو الآخر بل من الرعيل الأول الذين صحبوا سيدنا محمد النبهان ﷺ، وقال عنه ﷺ بعد وفاته سنة ١٩٧٠ م: «الحاج علي نال مرتبة شهادة المحبة، الحاج علي نالها نالها» فهذه الريحانة هي التي كانت تسمع من أبيها وأمها عن المربي والمرجع الذي رضع والدها أنفاس المحبة والاتباع منه،

فرافقت والدتها لتسمع الدرس وتعود إلى البيت وتخبر زوجها بما رأت وسمعت، مما دفع بالزوج الصالح الحاج ناصر -رحمه الله- إلى كهف السعداء في الكلتاوية، فما إن وقع عليه بصره لأول مرة حتى أخذ بمجامع قلبه بما هو عليه من جلال وجمال، وإذا بعينيه تلتقي بالقرآن الناطق ليتحفه بما في القرآن الكريم من أنوار، وتفيض عليه من ينابيع قلبه الشريف من تحقيقات وأسرار، فانجذب إليه كما ينجذب الفولاذ للمغناطيس ليولد ولادة جديدة عام ١٩٥٩م وهو في الخامسة والثلاثين من عمره.

لقد وجد الحاج ناصر في الكلتاوية مبتغاه، بل غاية مناه ومرتجاه، واتخذ من السيد النبهان ﷺ أبًا في الروح يستشيره في الأمور، إذ وجد فيه ميزان الاعتدال ومطابقة القول والفعل والخلق والحال والصراط المستقيم، والنعيم المقيم الذي يأخذ بيده إلى الله ورسوله، ويحقق له طموحاته وتمنياته غير مهتم بالمال والتجارة، بل بما يقربه إلى الله ورسوله ومرجعه وخدمة الفقراء والمساكين وعمارة بيوت الله ومدارس العلم.

وربَّ قائل يقول: لماذا كل هذا الاهتمام والاحتفاء بارتباط الرجل بالسيد النبهان؟

أليس هو الحافظ للقرآن الكريم؟

أليس هو التاجر الصدوق المتفقد لأحوال الفقراء والمساكين؟

أليس هو صاحب الوجاهة بين كل من عرفه أو عاشره؟ أليس هو الحقوقي المتفهم والمثقف والمعلم لغيره؟ وهل هو في حاجة إلى جاه أو منزلة؟

ألا تكفيه هذه الأمور والنعوت لكي يكون في المرتبة الأولى بين الناس؟

فنقول وبالله التوفيق: كل ما ورد لا غبار عليه إلاّ أن الإنسان مهما بلغ من علم فإنه يطلب المزيد ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه ١١٤).

ومهما وصل من مرتبة فإنه يتعشق أعلى المراتب والدرجات التي قد لا يحظى بها إلا أفراد الصادقين من العباد، وإن كثيرًا من الزوايا في النفس الإنسانية تحتاج إلى من يتفحصها؛ ليزيل ما خفي فيها من مكر وحظوظ دنيوية قبل أن تتزكى وتتطهر وتترقى على سلم الكمال من أمّارة إلى لوّامة إلى ملهمة إلى مطمئنة إلى راضية فمرضية إلى كاملة بالعبدية، فيكون من أهل المعرفة الإلهية وفي مراتب الشهود، وإن بعض حفظة القرآن الكريم لتأخذه نفسه بالعجب والرياء والمباهاة؛ لذا فإن تزكية النفس من أدرانها من أهم المهام، ولا بد لها من صحبة ولي مرشد مهما بلغ الإنسان من الحفظ والعلم حتى يصل إلى الله تعالى بالهداية الكاملة، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف ١٧) فمفهوم الهداية بإشارة الآية يقتضي ملازمة ولي مرشد يتعهد تربيته وتزكية نفسه والأخذ بيده من إسلام إلى إيمان إلى إحسان، وقد جاءت الآية الكريمة ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء ٧١) وورد في الحديث الشريف: (المرء مع من أحب) وحديث آخر: (يحشر المرء مع من أحب)[1] فلكي يكون الإنسان التقي في المعية العليا ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء ٦٩) وترتبط مقطورته بماكنة القطار على السكة المحمدية، فلا بد أن يفتش عنهم ويصحبهم، ولذلك يحرص الطامحون بفضل الله وبالمزيد من إكرامه لهم بالتعرف على أولياء الله المحبوبين عند الله الصادقين مع الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة ١١٩) وبذلك ينالون ما نالوا وتنعكس أنوارهم على من حولهم من الناس.

---

(١) رواه «الطبراني» في «المعجم الكبير» (باب الجيم - جندرة بن خيشنة أبو قرصافة الليثي) حديث رقم [٢٥١٩] ٣: ٣. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

وهكذا انعكست صحبة الحاج ناصر -رحمه الله- على أفراد أسرته وأصدقائه ومحبيه وحظي بصدق الصحبة والملازمة لشيخه ومرجعه السيد النبهان ﷺ، فاستفاد وأفاد، فهو لا يجلس في مجلس إلا ويذكر تأثره بهذه الشخصية العظيمة، وبما غمرته من جلال وجمال وهيبة ووقار وأقوال وأفعال وأخلاق وأحوال وتحقيقات ومواقف وبطولات ومبّرات في شتى الميادين والاتجاهات، حتى أصبح الحاج ناصر في تتبعه لمآثر شيخه واقتدائه به كمن هو قائم على ثغور الرباط في سبيل الله يجمع بين رابطته به ﷺ برابطته بالله تعالى ورسوله ﷺ والقرآن الكريم، فلا يأمره شيخه بأمر إلا وسارع بتنفيذه دون حرج.

وفي عام ١٩٦٠م عمد ﷺ إلى تأسيس جمعية النهضة الإسلامية في حلب، واختار من بين أصحابه الأعضاء المؤسسين فكانت أمانة الصندوق حقيبة الحاج ناصر -رحمه الله- لما يعهده ﷺ فيه من صدق وأمانة، ثم بادر ﷺ بتأسيس المدرسة النبهانية ـ دار نهضة العلوم الشرعية ـ بعد أن اشترى ﷺ الأرض المجاورة للجامع من ماله الخاص، وباشر ﷺ ببناء المدرسة وتطويرها، فكان الحاج ناصر من أوائل المساهمين في تشييد المدرسة إضافة إلى ما ينفقه في الجمعية في كافة توجهاتها الخيرية والإنسانية، وبقي على هذا المنوال مثالًا للمحب المتفاني، وقد تجمعت همومه في هم واحد هي وجهته إلى الله وطلب مرضاته ومتابعته لأوامر شيخه في طاعة الله ورسوله.

وقد حظي وتشرف الحاج ناصر بزيارة السيد النبهان لبيته مرات عديدة كما تعهد سيدنا ﷺ بالرعاية والعناية لجميع أفراد أسرته من ذكور وإناث.

وفي عام ١٩٦٥م/ ١٣٨٥هـ كانت حجة سيدنا النبهان الثانية التي صحب سيدنا فيها مائتان وستون رجلًا ومائة وأربعون امرأة، والحاج ناصر الناصر في رفقته طيلة خمسة وخمسين يومًا أمضاها في الديار المقدسة، وهو أحد المساهمين بماله حينما

غير سيدنا النبهان ملهى المونتانا إلى جامع الفرقان ثم اعقبه تغيير حي المونتانا الى حي الفرقان الذي يسكنه الحاج ناصر وأسرته.

وبقي الحاج ناصر بأجمل أيام حياته حتى جاء السادس من شعبان من سنة ١٣٩٤هـ فقامت الساعة في حلب برحيل الحبيب السيد النبهان، فكان أصعب يوم مرّ عليه في حياته، وعانى ما يعانيه رضيع فقد صدْرَ أمّه، فلم يهدأ ولم ترقأ عينه حزنًا وألمًا، لكنه بقي على العهد ملازمًا لأبنائه من بعده لا سيما السيد أحمد أبا فاروق الابن الأكبر لسيدنا الذي كان يحب الحاج ناصر ويجلّه كثيرًا ويجلسه إلى جنبه، ولقد سألت ابن سيدنا أحمد أبا فاروق -رحمه الله- عام ١٩٧٩م عن الحاج ناصر وأبنائه فقال: «هم أحب الناس وأقربهم إلي» ثم أغلقت الحدود بين سوريا والعراق فرجعت عام ١٩٩٧م فأعدت عليه نفس السؤال فأجابني بنفس الإجابة.

وبقي الحاج ناصر -رحمه الله- على ديدنه في رعاية المدرسة النبهانية وطلابها، ومن عباراته المشهورة: «لو لم يبق أحد يدفع للكلتاوية لأقوم بها بنفسي ولو كلفني مالي كله» وكانت الجمعية التي أسسها سيدنا ﵁ قد تأممت وألغيت إجازتها في أول كانون الثاني من سنة ١٩٨٤ لكن تعهدَ المحبون الصادقون الحاج ناصر وأمثالُه بها وبفضل الله تعالى وأنفاس الحبيب السيد النبهان لم تتعثر مسيرتها أبدًا، وبقيت الإشعاعة التي تتجدد، والمنار الذي ينتشر نوره على بقاع المعمورة بمن تخرج فيها

حدثني الحاج ناصر -رحمه الله- قال: «كنت أمين صندوق الجمعية، فإذا جاءنا أمر الصرف موقعًا بتشديد الياء في كلمة ـ السيّد المدير ـ فإن تلك إشارة تحمل كلمة السرّ التي لا تناقش لأنها من سيدنا النبهان، أما إذا وردت كلمة «السيد» بدون تشديد فهي قابلة للأخذ والرد سواء كانت من رئيس الجمعية أو المخّول بالصرف».

وقد زرته مرة -رحمه الله- في الخان فرأيت توافد الفقراء عليه، وعاينت كرمه في عدة مناسبات في بيته يدعو فيها ابن سيدنا أحمد أبا فاروق ومن حوله في إدارتي

الجامع والمدرسة، وحينما تبسط الموائد لا تكاد تفتقد نوعًا من أطعمة حلب على طول امتدادها، فإذا كان الجمع عشرين رجلًا وضع عليها ما يكفي لسبعين أو يزيد.

التقى الحاج ناصر الناصر بالشيخ محمد عبد العزيز الشنقيطي -رحمه الله- كما حدثنا بذلك ولده الدكتور نوفل قال: وكان الشيخ يفسر في سورة يوسف و بعد أن أنهى الشيخ تفسيره ذكر له الحاج ناصر تحقيق سيدنا حول قضية سيدنا يوسف وزليخا: فقال الشيخ: «أنا لا أرد على ولي من أولياء الله». فقال له الحاج ناصر: وما أدراك أنه ولي من أولياء الله؟ وهل التقيت به؟ فقال الشيخ: «ما التقيت به جسدًا لكن ما انفككت عنه روحًا، ويوم أحاط به الأعداء عام ١٩٦٧م يريدون قتله ذهبت بنفسي إلى رسول الله ﷺ -والكلام لا زال للشيخ الشنقيطي- وقلت: يا سيدي يا رسول الله إن ولدك محمد النبهان أحاط به الأعداء البعثيون يريدون قتله فما خرجت من عند رسول الله ﷺ حتى قال لي: اذهب إن ولدنا محمد النبهان في أماننا» وحين عاد الحاج ناصر من الحجاز في تلك السنة تشرف بزيارة سيدنا له مع الأحباب وروى الأمر لسيدنا وهم على مائدة الطعام فقال له سيدنا: وهو كذلك، وأكد الأمر رضي الله عنه.

وبعد وفاة وَلَدَي السيد النبهان أحمد أبي فاروق وأخيه عبد الله أبي الشيخ رحمهما الله تجدد المصاب على الحاج ناصر كما تجدد على بقية محبي سيدنا وأتباعه، وكان الحاج ناصر يكرر عبارة: «كل إخوتي توفوا ولم يبق سوى الفقير لله» يعني نفسه، وما إن يتشرف بزيارة حضرة السيّد النبهان حتى يبادر إلى إدارة المدرسة قائلًا لمديرها ولمن معه: «لا تهتموا؛ خدمة هذه المدرسة أمانة في أعناقنا، المدرسة مدرسة سيدنا النبهان، وأنا ما أوتيت من عافية وجهد ومال ففي خدمة طلاب المدرسة النبهانية» وترجم على ذلك قولًا وفعلًا وعملًا وتضحية، و القائمون على ادارة المدرسة و خدمة الطلاب خير شاهد على هذا الواقع.

وتابع خدمته ورعايته للمدرسة حتى سافر إلى دبي سفرته الأخيرة، وودع قبل سفره السيد بشار والشيخ محمود حوت، وأطال الجلوس على غير عادته، ووقف في حضرة سيدنا النبهان ﵁ مستغرقًا بالدعاء، ثم مضى ظنًّا منه أنه سيعود لإتمام مسيرته في خدمة طلبة العلم.

وفاته:

وفي دبي وليلة وفاته ٢٥ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦ آذار ٢٠٠٦م أبى إلا أن يُنهي ختمة من القرآن الكريم في مكتب عمله هناك، ثم مضى إلى بيته في دبي، وصلى العشاء وهجع، وهو لا يعلم أنها آخر ساعة من الدنيا ليلحق إن شاء الله بشيخه سيدنا محمد النبهان ﵁ في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ونقل من دبي بالطائرة إلى حلب، وجيء به إلى الكلتاوية الشريفة بحلب، ووضع نعشه إلى جنب المقام الشريف، ومن المعلوم أن المتوفى يوسد في نعشه ويوجه إلى القبلة، فبقي تلك الليلة في حضرة سيدنا، فلما أصبح الصباح وكشفوا عنه نعشه وجدوه قد انقلب جسده إلى يمين المقام الشريف ليواجه بوجهه وجه من أحبه وتبعه، وهذه من الكرامات الباهرة له، ثم شيع في اليوم التالي ودفن.

انتقل الحاج ناصر إلى جوار ربه، وهو مثال للصحبة الصادقة لا للتجار فحسب بل لكل من عرفه أو عامله، وترك خيرات ومبرّات كثيرة، فرحمه الله.

مصادر الترجمة:

- الابن الأكبر لسيدنا أحمد النبهان أبو فاروق.
- أولاده: علي بن ناصر الناصر، ود. نوفل بن ناصر الناصر(١).
- معاينتي له عدة سنوات.
- وأعد هذه الترجمة الشيخ هشام الألوسي.

---

(١) الدكتور نوفل الناصر (١٣٧١هـ-١٩٥٢م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

(٧٥) الشيخ الأمير ناظم العاصي

١٣٣٨ – ١٤٠٣هـ/ ١٩٢٠ – ١٩٨٣م



شيخ عشائر العبيد في العراق، الأمير ناظم ابن عاصي العلي السعدون الشاهري العُبَيْدي.

ولادته:

ولد في قرية «تل الجول» ناحية تازة، التابعة لمحافظة كركوك عام١٩٢٠م، في أسرة عربية حملت لواء المشيخة لعشيرة العُبَيْد العريقة التي تنحدر من اليمن، ثم سكنت منطقة سنجار، وبعدها استقرت في محافظة كركوك، وهي عشيرة كبيرة داخل العراق وخارجه.

ووالده عاصي العلي، كان نائبًا في المجلس الملكي في العراق.

نشأته:

كانت العناية الإلهية مُلازمة له منذ نعومة أظفاره، حيث نَشأ في بيئة أهّلَتْهُ في المحافظة على الفطرة، فنشأ في بادية الحَويجة نقيًّا نقاء هوائها، وفِطريًّا فِطرة طبيعتها، نشأ بعد عهد ليس بالبعيد من استقرار العشيرة في تلك البيئة وفي بيت الإمارة من قبيلته قضى طفولته، فوَرثَ مكارمَ الأخلاق التي تُلائم الفطرة السليمة، والتقطَ الحكمة بذَكائه الخارق، فكان عقلُه أكبرَ من سِنِيِّ عمره، يَغشى مجالس العشيرة، ويستفيد من التجارب، وينهل ممّا يُنقل عن الأسلاف من الحِكم والمآثر

والأخلاق، وما إن صار في سنّ الشباب حتى كان له رأيٌ وحِكْمة، ويُهرع إليه في المُلِمَّات، لا تُخطئُ فراستهُ، ولا يُحادُ عن قَضائه، يُرضي المتخاصمين، ويُنصفُ المظلومين، ويَردع الظالمين، عَدْلُهُ ميزان، وقَضَاؤه إحسان، يَبذلُ ما عندهُ وقد يَستَدين للإصلاح بين المتخاصمين.

تميَّز الشيخ ناظم العاصي من بين إخوته وأبناء عمومته بالحلم وأصالة الرأي والعدل بين الناس، فكان لا يحكم لأقربائه على غيرهم، بل كان يكيل بالقسطاس المستقيم، ولا يميل إلا للحق.

تعليمه:

لم يكن حظه وافرًا في التعليم الدراسي الحكومي، فقد قرأ القرآن في صغره على المُلّا أحمد الطعمة الزنطاوي.

واتجه من شبابه إلى مصاحبة العلماء، ومجالسة الصالحين فكان يحضر مجالس الشيخ أمجد الزهاوي والشيخ قاسم القيسي وعبد المجيد القطب والشيخ محمد محمود الصواف.

مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

حين توافد العراقيون إلى حلب الشهباء، وسعت بهم السعادة إلى درة العرفان ونادرة الأزمان، كان الأمير ناظم العاصي في رَكْبِ الأحباب الذي سعوا إلى التشرف بذاك الجناب.

وكان قد رأى الأميرُ النبيَّ ﷺ يزوره في مسجده ومعه العشرة المبشرون بالجنة، وفي تلك الأثناء كان الحاج عبد الله القطان يحدث الشيخ ناظم من وقت لآخر عن العارف بالله سيدنا محمد النبهان الذي لمع نجمه في العراق حينها، وفي عام ١٩٦٢م حين زار السيد النبهان العراق التقى به الشيخ ناظم وأصبح من جملة الأتباع والأحباب.

يقول الشيخ هشام الألوسي: «كان الشيخ ناظم يقول: أنا أوَّلُ ما رأيت سيدنا -عليه سلام الله- قلت: هذا هو شيخي الذي كنت أبحث عنه منذ ثلاثين عامًا».

قال سيدنا -قُدِّسَ سرُّه العزيز- عنه: «حقًّا أمير كلامُه كلام أمير، وجلوسُه جلوسُ أمير». نقلًا من الحاج خليل الأحمد.

ويَذْكُرُهُ السيد النبهان في مذاكرةٍ في مدينة عمّان فيقول: «ناظم صَدَق، من أول شيء صَدَق. فيقول الشيخ محمود مهاوش: الله أكرمه بسيدنا وعلّق ومشى».

وفي مذاكرة أخرى يقول سيدنا ﷺ: «تتبعني بدون فهم وذوق وإذ بك ترى صار عندك فهم وذوق، صدقتَ صدقتَ صدقتَ، صدقتَ صدقتَ فَهِمَ أو ما فهم. فيعلّق الأمير ناظم ويقول: سيدي هذا الذي قلناه للجماعة: لا نريد أن نشتغل لا بنفس ولا بعقل، على هذا الممشى، ممشى سيدنا، ولا نؤول به».

كان يقول له السيد النبهان: «ناظم تريد أن تصير ظلي؟» حتى أصبح يقال له: «ناظم ظلي» يقول الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت: فكنتُ أظن أنه من بيت ظلي من كثرة ما كررت هذه الكلمة.

روى لنا الشيخ صالح بشير -رحمه الله- قال: «حين هاجر السيد النبهان من الكلتاوية إلى قرية البويدر كان الأمير ناظم مع السيد النبهان وقتها أحاط به هو جمع من العلماء كالشيخ محمود مهاوش، والشيخ منير حداد، والشيخ محمد الشامي».

حدثني الدكتور محمود حوت قال: «يوم راح سيدنا إلى البويدر قال يومًا: أريد الأمير ناظم، أين الأمير ناظم؟ فما أتمَّ كلامَه إلا والأمير ناظم كان على باب سيدنا. ولم يعلم أحد كيف عَلِمَ وكيف جاء في حينها».

ونقل لي الشيخ هشام الألوسي «أنَّ سيدنا أَلْبَسَ الأمير ناظم عمامَته بعد أن كان يلبس العِقال على عادة أمراء العشائر؛ لأنه كان واحدًا من أمراء قبيلة العُبَيْد في العراق، وبأمر من سيدنا كان يصوم يومًا ويفطر آخر».

جاء في كتاب «السيد النبهان» نقلًا عن الشيخ يحيي ناصر الهيتي قال: «السيد النبهان ﷺ خرج من مقبرة في الأعظمية ببغداد يريد زيارة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت ﷺ، فرأيت الشيخ ناظم العاصي أمير قبيلة العُبَيْد -رحمه الله تعالى- يركض خلفه ﷺ فقلت: كيف يركض والسيّد النّبهان يمشي ولا نلحق به؟ فنظرت فإذا بالسيّد النّبهان ﷺ طائرًا فوق الأرض بارتفاع نصف ذراع»[1].

كانت للأمير ناظم علاقة خاصة مع الشيخ الشهيد عبد العزيز البدري-رحمه الله- وسافرا معًا إلى حلب إلى السيد النبهان، وكانت تلك الزيارة الأولى للشيخ البدري إلى حلب وذلك بعدَ أنْ سَعِدَ العراق بتشريف السيد النبهان عام ١٩٦٢م.

وحج الأمير ناظم مع السيد النبهان عام ١٩٦٥م مع جملة أصحاب سيدنا الذين رافقوه.

كتب عنه الحاج خليل الأحمد في مذكراته: «مرة في عام ١٩٦٥م جاء من العراق إلى سورية الأمير ناظم والشيخ عبد العزيز البدري ووصلوا إلى الشام فقال الشيخ عبد العزيز البدري: اقتربنا من القدس، دعونا نمر نزور القدس والخليل، وبعدها نكمل سفرنا إلى حلب، فقال الأمير ناظم: أنا قادم إلى سيدنا محمد النبهان -قدس سره العزيز- ولا أزور الخليل ولا الجليل، ووصلوا إلى حلب إلى الكلتاوية وأخبروهم إخواننا أن سيدنا قدس سره العزيز في رأس العين، فذهبوا إلى الجزيرة إلى قرية أم العصافير ليروا سيدنا -قدس سره العزيز- وأخذ يتكلم الأمير ناظم مع سيدنا، قال: يا سيدي حين وصلنا الشام طلب مني الشيخ عبد العزيز البدري زيارة القدس والخليل، فقلت له: أنا لا أزور الخليل ولا الجليل، أنا قادم إلى سيدنا محمد النبهان -قدس سره العزيز-، فقال السيد النبهان: الحق مع الأمير ناظم. وفي هذه الأثناء حكى الأمير ناظم قصة لسيدنا.

---

(١) كتاب «السيد النبهان» ط٣ (١:٢٥٧).

قال: يا سيدي عندنا البيت احترق ولا يوجد أحد في البيت إلا بنت صغيرة، جاءت أم العيال ورأت النار تلتهب والبنت داخلها، فتوجهت أم العيال إلى حلب وقالت: «وينك يا أبو أحمد»، فرأت العمامة البيضاء الشريفة تفتل في داخل البيت، وطالَعت البنت من النار، قال الأمير ناظم: ياسيدي أنا أحب هذه البنت كثيرًا، أول يوم أسهرتني ثاني يوم أزعجتني، ثالث يوم على فراش الموت، وبالمدد صَرَفَ اللّٰهُ عنها الأذى وشُفِيَتْ وعاشت.

حَدَّثَنا الحاج جميل مهنا العراقي من مدينة الرمادي قال: يوم من الأيام سافرت أزور أخانا الشيخ الأمير ناظم في الحويجة ووصلت وأصبحت في ضيافته وهو سالك ومحب لسيدنا الشيخ محمد النبهان -قُدِّسَ سِرُّهُ العزيز-، وهو يمتلك قطيعًا من الغنم قال: يا وليدي تفضل نطلع نتمشى عند الغنمات، ومشينا ووصلنا الغنم والدنيا مغيمة وصار ينزل علينا المطر، وقال الحاج جميل مهنا: وأنا لابس ثيابًا خفيفة وقنبازًا أبيضَ والوقت ربيع، فتبللت من المطر، نظر إليَّ الأمير ناظم وقال لي: يا وليدي، الذي لا يتبلل بالابتلاءات لا يتدلل على الله.

قال الأمير ناظم: إذا سيدنا -قدس سره العزيز- أمرني أتوجه إلى الشرق، أبقى ماشيًا إلى الشرق حتى أموت ولا ألتفت إلى الغرب. فنقل إخواننا هذا الكلام إلى سيدنا -قدس سره العزيز- فقال السيد: عندنا كثيرون هنا رجال ونساء في حلب إذا آمرهم ينفذوا الأمر».

يقول الشيخ بلال حمزة: «صار خلاف بين الحكومة العراقية والملا مصطفى البرزاني، واتفق الطرفان أن يصلح بينهم الأمير ناظم أمير قبيلة العُبَيْد شمال العراق في الحويجة، وحددوا الموعد وعَزَمَ الأمير ناظم على السفر، وصار يصلي ركعتين سُنَّة السفر، ودخل في الصلاة فأصبح يشم رائحة سيدنا العباس ﵁، وإذ الملا مصطفى البرزاني أتى لعند الأمير ناظم، رآه يصلي فاقتدى به وسلم، الأمير

ناظم سأل عن السبب، فأجاب الملا البرزاني بأن نسبه يرجع على نسب سيدنا العباس رضي الله عنه».

رافق الأمير ناظم العاصي العارف بالله سيدنا محمد النبهان في عدة سفرات داخلية وخارجية، كرحلته إلى بلاد الحجاز، والكويت وغيرها.

يتحدث عن هذه السفرة الدكتور محمد فاروق النبهان فيقول: «في بداية عام ١٩٦٩م زار السيد النبهان العراق، وخلال هذه الزيارة قام بزيارة قصيرة إلى الكويت وكنتُ وقتها في الكويت، استقبله على الحدود العراقية السيد يوسف هاشم الرفاعي وكان وزيرًا في تلك الفترة، وكان يرافق السيد النبهان وفد من إخوانه: وهم الشيخ أديب حسون من حلب، والسيد نذير بسطاطي من دمشق، والأمير ناظم العاصي زعيم قبيلة العُبَيْد في شمال العراق، والحاج إبراهيم الفياض وبعض إخوان السيد من العراق.

أعدت الحكومة الكويتية بيت الضيافة للسيد النبهان وإخوانه، رفض الشيخ النزول فيه، ولم يكن يحب الضيافة الحكومية، وأقام في منزلي وطلب من مرافقيه النزول في بيت الضيافة.

أقام له السيد يوسف الرفاعي حفل غداء كبير في داره الواسعة في حي المنصورية، وحضره بعضُ وجوه الكويت، بعد الغداء جلس الشيخ في الديوانية وأخذ يتكلم عن بعض المعاني الإيمانية والتربية الروحية والكل ينصت بأدب كبير.

أحد كبار الأثرياء من أسرة عريقة ومعروفة في الكويت قال للشيخ بلهجة جافة متعالية: يا شيخ أنتم الصوفية تهتمون بالقشور وتتركون قضايا الأمة. أطرق الشيخ ولم يجبْه، وساد صمت قصير، وقف الأمير ناظم غاضبًا وقال: سيدي أستأذنك أن أتكلم في مجلسك، ولست من أهل الكلام، ثم التفت إلى الرجل وقال له بغضب عاقل: احترامي لسيدي النبهان يمنعني من الكلام، ولكنك أسأت الأدب في مجلس سيدي النبهان وأنت جاهل بما تقول، ولولا احترامي لسيدي النبهان

لحملتك بيدي ورميتك خارج هذا المكان فلا يليق بك أن تكون في هذا المجلس. سَكَتَ الرجلُ وهو مندهش مذهول، لم يتوقع أن يسمعَ مثلَ هذا الكلام وهو سيد في قومه وصاحب سلطة وجاه، قام السيد لصلاة المغرب وانتهت الجلسة».

حدثني عنه الشيخ الدكتور أحمد خضير الزوبعي قال:

أنقل لكم ما رأيت وما سمعت مما يتعلق بالأمير ناظم -رحمه الله-:

أولًا: رأيته في أثناء زيارة سيدنا ﵁ الزيارة الثانية عام ١٩٦٩م فكان سيدنا يجلسه بجانبه وكنت أراه حينما أذهب لزيارة سيدنا ﵁ في بيوت إخواننا في بغداد، وفي بعض الأحيان كان يجلس ﵁ في الحديقة على سرير هزَّاز ويجلس الأمير ناظم بجنبه.

ورأيته لا يتكلم مع سيدنا أي كلمة إلا إذا تكلم معه سيدنا فيلتفت ويتحدث ويكاد صوته لا يسمعه من كان قريبًا منه.

ورأيته حينما يسأل سيدنا عن الساعة الآن، فيخرج الأمير ناظم ساعته ويفتحها ويضعها أمام سيدنا ﵁ بحركة سريعة.

ورأيته حينما كان يحضر وقت الصلاة يأمر سيدنا ﵁ الأمير ناظم أن يرفع الأذان، وهو بدون أيِّ توانٍ يقوم ويستقبل القبلة ويضع يديه على أذنيه ويرفع الأذان.

وكنت كلما أذهب إلى مجلس سيدنا ﵁ في بغداد لا أراه إلا على هذه الحالة، جلوسه مع أدب، وكلامه بأدب جَمٍّ، بل كنت تراه أكثر الجالسين أدبًا مع سيدنا، ﵁.

ثانيًا: اتفقنا يومًا على زيارته -رحمه الله- في قريته التابعة لقضاء الحويجة، وكان كثير من إخوان سيدنا يذهبون لزيارته؛ لأنه كان يتحدث عن سيدنا كثيرًا.

وكان من ضمن المجموعة الحاج عبد الله (الملقب بالشرطي) وهو عمي، شقيق أبي الأصغر، والشيخ عابد صالح الحماشي -رحمه الله-، وجماعة عددهم على حسب ما أذكر أحد عشر أو يقلُّون قليلًا.

فركبنا من بغداد إلى كراج مدينة البيجي، فاستأجرنا حافلة صغيرة تسع اثني عشر نفرًا، فانطلقت بنا إلى القرية التي فيها الأمير ناظم، وحينما وصلنا إلى جانب دجلة لنعبر على العبارة، كان في ذلك الوقت سفينةٌ تحمل السيارات مع رُكَّابها من هذا الجانب إلى الجانب الآخر، ثم نَزَلَ المطرُ، فرجى صاحبُ الحافلة كبيرَ هؤلاء المجموعة واعتذر منه من توصيلنا؛ لأن الطريق غير معبد، ترابي، وسيارته لا تصلح لذلك الطريق فرجع، واستأجرنا (بيك أب شيفروليه) وسبحان الله! نزل المطر غزيرًا، فأصبح الطريق فيه أوحال كثيرة، والسيارة غير مستقرة حتى نَزَلَ بعض الإخوة يمشون على جانب السيارة يسندونها خوفًا من سقوطها في الماء؛ لأن في جانب الطريق نهرًا يجري، ولم يستطع أن يوصلنا إلى القرية، ولكن أوصلنا إلى أشخاص عندهم سيارة (رانج روفر) ذات الدفع الرباعي وهي تصلح لذلك الطريق، أوصلنا إلى مسجد الأمير ناظم ونحن علينا آثار ذلك الطريق من أوحال، ابتدرنا إلى الميضأة لنصلح أحوالنا، وإذ يأتي شخص من قِبل الأمير ناظم يستحثنا بالمجيء إلى بيته في المجلس، ونحن لم نعطه خبرًا بالمجيء إليه حينما خرجنا من الفلوجة، فأخذ بنا على عجل فجئنا ووجدناه على الباب يرحب بترحيبه الذي يدل على كرمه -رحمه الله-، فوجدناه قد أعدَّ طبقين من الطعام؛ ثريدًا مُشَرَّبًا بمرق البامية وفوقه اللحم، وهو قائم على رؤوسنا ويلقي كلمات الترحيب، هيأت لكم الثريد الحار لأن ذلك يناسب الطقس البارد.

في هذه القصة نحن فاجأناه بالمجيء فكيف عرف بمجيئنا؟! ومتى هيأ ذلك الطعام لهذا العدد من الزوّار؟! والفترة التي وصلنا فيها للمسجد ومجيئنا إلى مجلسه -رحمه الله- لم تستغرق إلا وقتًا قصيرًا.

بقي بعض أصحابنا أكثر من يومين، وهو يقدم وجبات الطعام لهذه المجموعة مع مجموعة كانت قبلنا، وكان يأتي إليه كل يوم أشخاصٌ آخرون.

ثالثًا: سمعته يتكلم عن سيدنا ﷺ كثيرًا ويذكر قصةً ينسب كرامتها لسيدنا، أسوقها باختصار:

يقول: استأجرت سيارة لتحمل فرسًا أصيلًا لسيدنا ﷺ، وأرسلت أَحَدَ أصحابي مرافقًا لهذه الفرس، يروي له ذلك الرجل فيقول: حينما توسطنا في الصحراء ونحن متوجهون إلى الحدود السورية ليدخلوا إلى سوريَة بطريق غير رسمي -يقول ذلك الرجل وهو يخبر الأمير ناظم- بأن السائق توقف، وأخبر المرافق له بأنه لن يواصل مسيره، وأمره بأن يُنزل الفرس، يقول: ونحن في تلك الصحراء بعيدون عن الشارع العام، احتار ذلك الرجل ماذا يتصرف بعد نزوله من السيارة وعنده الفرس، ينظر إلى السائق وهو راجع حتى اختفى عن نظره ومعاينته، وأنا ملتجئ إلى الله، فترة قصيرة وإذ به يرى ضوء سيارة في تلك الصحراء البعيدة، فتأملها فإذا هي تقترب منه شيئًا فشيئًا، حتى وَصَلَتْ إليه فإذا هو صاحبه السائق، نزل من السيارة وأخذ يقبل يد ذلك الرجل الذي هو من أصحاب الأمير ناظم ويعتذر منه، سأله ما سبب رجوعك؟ قال: وأنا راجع وإذ بأشخاص يحملون سلاحًا وهددونني إما أن يرجع و إما أن يصيبوني بأذى، يقول: فوقع في قلبي الخوف الشديد فرجعت، فحملوا الفرس في السيارة وانطلقوا، يقول ذلك الرجل المصاحب للفرس: فما مررنا بنقطة من نقاط الحراسة على الطرق إلا ويأخذون لنا التحية، ولم يستوقفونا ويسألونا عن الأوراق الرسمية في إذن الدخول لسورية، حتى وصلنا إلى حلب. فهذا الذي سمعته من الأمير ناظم».

علاقاته:

كان للشيخ ناظم -رحمه الله تعالى- علاقات وثيقة مع شيوخ ووجهاء العراق من عرب وكرد وتركمان، ويثقون به وبحكمته.

فكانت تربطه علاقة صداقة وثيقة بالملَّا مصطفى البارزاني من خلال علاقات عشائرية قديمة تميزت باتفاقيات في المناطق الحدودية بين نفوذ العشيرتين، وقد أسهمت هذه العلاقة فيما بعد بتوسطه بعقد الصلح بين الملا مصطفى والرئيس عبد الرحمن عارف عام ١٩٦٧م، والحادثة موثقة في أرشيف الحكومة العراقية.



من اليمين: الأمير ناظم العاصي، ثم الملا مصطفى البرزاني، ثم الرئيس العراقي عبدالرحمن محمد عارف.

أسرته:

تزوج الشيخ ناظم العاصي في حياته أربع زوجات:

الأولى من شيوخ البو حمد العبيد أخت الشيخ هايس العاكوب الأحمدي، والثانية من شيوخ حديثة وهي أخت الشيخ تقي الدين، وتزوج في أواخر حياته زوجتين من أهل الموصل، وكانت علاقته -رحمه الله تعالى- مع أهل الموصل وثيقة

وقوية، فقد تزوج منهم، وزَوَّجَ ابنته لرجل من الموصل، وهو المرحوم عبد المجيد آل ثابت.

أنجب الشيخ ناظم سبعة أولاد واثنتي عشرة بنتًا.

أولاده الذكور: محمد، أحمد، محمد تقي الدين، محمد خير الدين، محمد سراج الدين، محمد بدر الدين، محمد نور الدين.

صفاته:

كان -رحمه الله- وسيم المحيا، باسم الثغر، واسع الصدر، يُدني جَليسَه مهما بَعُدَ بنظَرات خاطفة، وبكلام جميل، وهدوء مُؤلِّف، رحيمًا رؤفًا جسورًا بالحق، دَمِثَ الأخلاق، مهيب الطلعة، ذو وجه وضَّاء، يمشي مرفوعِ الرأس، معتدل القامة، يرتدي الجبة والعمامة وفوقها الغترة، ذو لحية كثة مقدار قبضة، صوفي المشرب، شافعي المذهب، لا يتوانى عن العبادة، فهو بحق من أهل العبادة والعمل لا من أهل التواني والكسل.

يُشْعرُ جُلّاسُهُ بالقرب، فهو الأب تارة وهو الأخ أخرى، وهو الصديق الوَدود الناصح الشفيق العطوف، تَسري مَحبتُه على الجميع فيغمُرُهم بالأُنْس.

كان قويَّ الشخصيّة، ذا هيبة ربّانيةٍ، تُخيِّمُ على المجلس وتُشْعِرُ بالاستناد إلى رُكنٍ شديد.

تَميّزَت حياتُهُ بالعَطاء والكفاح من أجل الحق والجهاد لتكون كلمةُ الله هي العليا.

كان لا يَخافُ في الله لومة لائم، ولا تُثنيه الابتلاءات، ولا تَفُلُّ عَزمه المكائد، كان بارزًا للخُصوم، شاهرًا سيف الحق بالكلمة الصادقة الصريحة، يُعلنُها مُجَلجلةً تَقعُ وقعَ الصّاعقة على عُرُوش الباطل وأهل الباطل ويَتَألّفهم نُصحًا وإشفاقًا ورَحمةً

بهم، فلا يُعادي الأشخاص لذواتها، ولكن يُعادي الباطل المُتلبِّس بها، فكان محبوبًا حتى من خُصومه؛ لأنه يضمرُ لهم الخَير كما يُريده لنفسه، بل كان يُريدُ لهم من حُظوظ الدنيا أكثر من نفسه لأنه اختار الزُهد في الدنيا فلا تُساوي عنده وَزن خَرْدلة.

وفاته:

ولقوة ثباته على الحقِّ ومقارعة الظلم والظالمين في العراق اعتقل، وهُدِّد بالقتل عدة مرات، وتعرض لمحاولة الاغتيال، وعُرضت عليه مناصب عديدة فرفضها، وصودرت أراضيه بالكامل مع تضييق كبير على عائلته، وفي النهاية أدخلوا إلى مجلسه شخصًا من دولة عربية في نهاية عام ١٩٨٢م وهو يدعي طلب العلم وخدمة الشيخ، فصاحب الشيخ ناظم ستة أشهر، وفي يوم من الأيام جلس الشيخ للسحور وإذ بهذا الشخص قد دسّ له السم في الطعام، بعدها أحس الشيخ أنه قد سُمِّم فأخبر زوجته، وبعد أن صلَّى الفجر تقيأ وأخذوا وفحصوا ذلك فوجدوا قد وضع له سُمٌّ قوي في الطعام، توفي الشيخ على إثر ذلك، ثم دفن في مسجده في الحويجة؛ لأنه كان يقول: أنا حي أو ميت في هذا المسجد، وذلك يوم ٩حزيران ١٩٨٣م.

رحمه الله، ورفع مقامه في عليين، وجمعه بمن يحب.

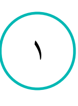
مصادر الترجمة:

- مذاكرات العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ المسجلة في (أقراص ممغنطة)، محفوظة لدي.
- من لقاء تلفزيوني مع ابنه محمد خير الدين ناظم العاصي، وحفيده محمد عبد المجيد.
- «بهجة الناظرين في أخبار العلماء والصالحين» لصالح حسن الرياشي.
- « الشيخ محمد النبهان، شخصيته، فكره، آثاره».
- كتاب «السيد النبهان».

- محادثات مع الشيخ صالح بشير-رحمه الله-، والشيخ هشام الألوسي، والدكتور محمود ناصر حوت، والدكتور أحمد خضير الزوبعي، ومذكرات كتبها الحاج خليل الأحمد، مراسلة كتابية.

ملفان مسموعان:

لسماع الملفين الصوتيين، فضلًا اقرأ الرمزين التاليين:



تسجيل لسيدنا يقول: الأمير ناظم صدق، من أول شيء صدق.





تسجيل للأمير ناظم عن التسليم لسيدنا.



(٧٦) الشيخ نجيب سالم

١٣٣٥ - ١٣٩٤هـ/ ١٩١٧ - ١٩٧٤م



الشيخ الفقيه الداعية، نجيب بن سالم بن محمد ابن الحاج أبي بكر البأس الذي عرف بقوته وحزمه فسمي بالبأس.

أمه: جميلة حاج موسى، عاشت أكثر من تسعين عامًا.

ولادته ونشأته:

ولد -رحمه الله- عام ١٩١٧م في منطقة أريحا التابعة لمحافظة إدلب في حي الجامع الكبير، وعائلته آل سالم عرفت بعراقتها في أريحا، ولها فروع في مدينة حماه والباب ودمشق وحلب، واشتهر فيها العالم الفاضل الشيخ بشير بن عبد الرحمن بن الحاج أبي بكر البأس، وكان خطيبًا وإمامًا للجامع الكبير فيها، كما وعرف فيها العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن سالم بن محمد مصطفى بن أبي بكر البأس الذي كان مفتي مدينة جسر الشغور.

طلبه العلم:

مات أبوه في حوادث الحرب العالمية الأولى، وكان نجيب رضيعًا، له من العمر أشهر يسيرة، فرباه عمه إحسان، وكان إسكافيًّا فكان نجيب يهرب من هذه الصنعة إلى الجامع ليسمع فيها دروس الشيخ بشير سالم، ويحضر الكتب الدينية ليقرأ فيها،

ثم سافر إلى حلب وقدم اختبارًا للانتساب إلى المدرسة الخسروية، فنجح وانتسب إليها، وقد عرف عنه لدى زملائه وأساتذته الجد والمثابرة في الليل والنهار، فكان يحرز المرتبة الأولى بين زملائه، و من عادة الطلاب آذاك أنهم يتسابقون في المدرسة أيهم يستيقظ في الليل قبل غيره لمتابعة قيام الليل ومدارسة العلم فيجدون نجيبًا قد سبقهم إلى ذلك في كل ليلة.

من صفته:

كان -رحمه الله- ربعة، مليء البدن، تعلوه سمرة مع وقار، يعرف بالهدوء وحسن الخلق، قليل الكلام، كثير الفعال، لا يفتر عن ذكر الله تعالى.

شيوخه:

كان له شيوخ كبار من خيرة أهل عصرهم، منهم:

الشيخ مصطفى باقو الذي كان مديرًا للمدرسة الخسروية، والشيخ وحيد حمزة، وبعد وفاة الشيخ مصطفى تولى إدارة المدرسة الشيخ العلامة المحدث المؤرخ محمد راغب الطباخ.

والشيخ محمد سعيد الإدلبي الذي درس عليه الفقه.

والشيخ عمر المرتيني درس عليه الفقه الشافعي.

والشيخ محمد أسعد العبجي الذي صار فيما بعد مفتي الشافعية بمدينة حلب.

والشيخ محمد الناشد الذي كان ضليعا في اللغة العربية وعلوم البلاغة.

والشيخ الحنيفي مدرس مادة العقيدة الاسلامية.

والشيخ محمد الحكيم مدرس مادة الخطابة والتعبير.

والشيخ أحمد الشماع مدرس التفسير وقد درس على هؤلاء العلماء الأفذاذ أمهات الكتب في كل علم والتي تعتبر مرجعًا كبيرًا.

والشيخ مصطفى الزرقا الذي قرأ عليه حاشية ابن عابدين، وكان يلمح فيه الذكاء والنجاح.

ومنهم الشيخ الفاضل العالم أحمد الكردي الحنفي أمين الفتوى في حلب ثم مفتيها.

وفي أثناء طلبه العلم سلك على يد الولي الكبير الشيخ محمد أبو النصر الحمصي المشهور صاحب الطريقة النقشبندية.

مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

ثم سلك على يد العارف بالله المحقق سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه فأخذ لبه، ولازم حضور مجلسه مستفيدًا من فيوضاته، ومقتبسًا من تحقيقاته إلى آخر عمره، وأنشأ أولاده على حب واتباع هذا السيد العظيم.

تعرف في شبابه على شيخ الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين[1] عندما زار حلب واجتمع بعلمائها.

---

(١) **الشيخ محمد الخضر حسين (١٢٩٣-١٣٧٧هـ)**: شيخ الأزهر، ويُسمَّى الأخضر بن الحسين الشريف التونسي، ولد ببلدة نفطة، تلقى العلوم في جامع الزيتونة، وحصل منه على شهادة التطويع عام ١٣١٦هـ، عمل مدرسًا في جامع الزيتونة، ومدرسة الصادقية، هاجر إلى دمشق عام ١٣٣٠هـ، وألقى دروسًا في الأموي فيها، وفي المدرسة السلطانية، ثم تولى الإرشاد في جامع الفاتح في إسطنبول، ثم عاد إلى دمشق وتابع التدريس في السلطانية وغيرها، ثم هاجر إلى مصر ونال شهادة العالمية الأزهرية، وعمل مصححًا بدار الكتب المصرية، إضافة إلى الدروس والمحاضرات والكتابات في الصحف، أسس جمعية الهداية الإسلامية عام ١٣٤٦هـ، ثم وقع الاختيار عليه ليدرس في قسم التخصص في جامع الأزهر عام ١٣٤٦هـ، ثم ترأس تحرير مجلة لواء الإسلام، وفي عام ١٣٧٢وقع الاخيار عليه ليكون شيخ الأزهر، من مؤلفاته: مناهج الشرف، ومدارك الشريعة الإسلامية. توفي في القاهرة عام ١٣٧٧هـ، ودفن في المقبرة التيمورية انظر «نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر» (١١٤٣).

وهنا يحسن أن نتحدث عن زيارة الشيخ محمد الخضر حسين -رحمه الله- للسيد النبهان ﷺ التي حضرها الشيخ نجيب، رحمه الله:

في جامع الإسماعيلية زار شيخُ الأزهر آنذاك محمد الخضر حسين السيدَ النبهان.

قال الشيخ عبد المنعم ابن الشيخ نجيب سالم قال: حدثني والدي -رحمه الله تعالى- قال: كنت في الصيف أقضي معظم وقتي في جامع الإسماعيلية المجاور لقلعة حلب وإلى جنب مفتي حلب الشيخ أحمد الكردي -رحمه الله- وإمام الجامع آنذاك الشيخ عبد الله سلطان -رحمه الله- الذي سافر إلى مصر لإكمال دراسته فتوكل سيّدنا النّبهان ﷺ بمهامه في الإمامة والخطبة دون أجر بل هو يستلم راتبه من الأوقاف، ويبعثه له وهو في مصر فجاءني الشيخ محمّد عبد الله الشامي -رحمه الله- فقال: الإمام الآن هو العارف بالله الشيخ محمّد النّبهان فهل لك أن تتعرف عليه؟ فقلت: لا مانع عندي وبعد أن أدينا صلاة العشاء صعدنا إلى سطح المسجد لنجتمع بالسيّد النّبهان فالتقينا بالشيخ محمّد الخضر حسين شيخ الأزهر عنده وقد قدم من مصر فتكلّم الشيخ الخضر الضيف بكلام عال جميل ثمّ تحدث سيّدنا محمّد النّبهان ﷺ فأصغى إليه شيخ الأزهر إصغاء عجيبًا، فنظرت إليه فوجدته قد ذاب في ذلك المجلس بكل ذاته في ذات الشيخ محمّد النّبهان ﷺ، واستمرت السهرة بنا حتى مطلع الفجر، ثمّ سافر الشيخ الخضر إلى مصر وهو مندهش بتلك الشخصية الفذة وبقي كذلك حتى توفي رحمه الله، آنسه الله.

وساقت الأقدار الشيخ نجيب أن يتعرف على الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين؛ فقد كان يذهب للاصطياف كل عام في أريحا، فيجتمع بالشيخ نجيب الليالي الطويلة والأيام المديدة إلى أن توفي الشيخ أبو الخير قبل الشيخ نجيب بأشهر.

نشره العلم:

بعد تخرجه في الخسروية رجع إلى بلدته، وصار يعطي فيها دروسًا في التفسير والفقه واللغة العربية، وقد كان يستعد لدرس التفسير استعدادًا علميًّا كبيرًا، فكان يراجع التفاسير خاصة روح المعاني للألوسي، ويدون كل مايريده من فوائد على هامش النسخة التي يقرأ منها ليستحضر المعلومات يوثقها حين ينقلها.

ثم أسس بعد ذلك في أريحا جمعية النهضة الإسلامية وهي جمعية خيرية لمساعدة الفقراء والمحتاجين مما أسعف الكثيرين منهم بالمساعدة الجيدة، ثم افتتح مدرسة شرعية لتدريس العلم لأهالي أريحا وقراها، ونتيجة لتدريسه في المدرسة والجوامع بأريحا كجامع التكية والجامع الكبير فقد خرج طلاب علم كثيرين، برز منهم عدد في العلم وكان لجميعهم الأثر الطيب لأنفسهم وأهليهم والناس أجمع، ويلاحظ أنه في شبابه بعد تحصيله للعلم مع هذه الدروس كان يعيش من كسب يده فقد كان عنده متجر يعمل فيه عطارًا.

وقد وجد في دفتره الخاص بقلمه:

عقيدتي: شهادة أن لا إله الا الله وأن محمد رسول الله والاتباع لكل ما عليه رسول الله ﷺ وسلف الأمة من المبادئ الحقة، والعقائد السليمة، ومحبة الأولياء، والعزم على فعل كل خير، وترك كل شر، والإخلاص لله تعالى في الحركات والسكنات وأداء الحقوق والواجبات لله تعالى والعباد والاستغفار من الذنوب والآثام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أسرته وأولاده:

تزوج الشيخ نجيب السيدة عائشة سالم، وهي من خيرة النساء الصالحات وتلميذة لمفتي إدلب الشيخ طاهر ملّا الكيالي، ثم أصبحت من النساء اللاتي صحبن المربي الكبير العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه، لقد سألت الله في حجها أن يكرمها وذريتها بالعلم فأكرمها بالشيخ نجيب زوجًا، وأكرمها

بخمسة أبناء طلاب علم، وهم: الشيخ محمد نبيه، الشيخ عبد الله، الشيخ عبد المنعم سالم، الشيخ أحمد بدر الدين-رحمه الله-، الشيخ محمد مصباح -وكلهم طلاب علم- وثلاث بنات.

وفاته:

توفي مساء الخميس ليلة الجمعة في ٢٨ آذار ١٩٧٤م وصلي عليه ضحوة يوم الجمعة في الجامع الكبير بأريحا وشيعت جنازته بحشد كبير ولا يزال على ألسنة الجميع بالطيب والدعاء له وقد شاهده بعض أحبابه أنه عند حضرة النبي ﷺ وسألوه ألم تدفن بأريحا فما الذي جاء بك؟ فقال: أنا من حين وضعي في القبر صارت روحي عند رسول الله ﷺ ورآه بعضهم بأنه مسؤول عن دفن الموتى في البقيع ورآه البعض يخطب الجمعة في جوامع أريحا إلى ما هنالك من مراءٍ هي عاجل بشرى المؤمن.

مصدر الترجمة:

- ولده الشيخ محمد نبيه سالم[١] لقاءً مباشرًا.

(١) الشيخ محمد نبيه سالم (١٣٧٠هـ-١٩٥٠م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

(٧٧) الشيخ نزار لبنية

١٣٤٦ - ١٤١٩هـ/ ١٩٢٨ - ١٩٩٨م

الشيخ العالم نزار محمد لبنية.

ولد في مدينة حلب عام ١٩٢٨م.

والده: محمد، ووالدته: عدوية سراج الدين.

يرجع نسبه إلى النبي ﷺ، وكان جده -صدر الدين لبنية- نقيبًا لأشراف حلب، ونقابة الأشراف هي المسؤولة عن حصر آل بيت رسول الله ﷺ وتدوين أسمائهم حفاظًا على النسب الشريف.

دراسته:

درس في مدارس حلب العامة وحصل على الثانوية العامة (القسم العلمي) عام ١٩٤٨م، وكان والده يتوقع له أن يكون شيخًا لكنه لم ير ذلك لوفاته عام ١٩٤٠م.

ثم دخل كلية الطب البشري في جامعة دمشق ولكن أوضاعه الاقتصادية حالت دون متابعة دراسة الطب، فانتقل إلى التعليم، وبدأ بذلك مسيرة حياة المعلم وبقي على ذلك حتى آخر حياته.

درَس القرآن الكريم عند الشيخ أحمد مصري، وقرأ الفقه عند الشيخ سعيد الإدلبي، وكان مولعًا بزيارة العلماء ومتابعتهم.

تعرف في دمشق على العديد منهم: كالشيخ أحمد الحارون، والشيخ يحي الصباغ، وكذلك الشيخ عبد الوهاب الصلاحي الذي زوجه حفيدته ابنة الشيخ إبراهيم الصلاحي.

أما أول شيوخه فهو الشيخ محمد نجيب سراج الدين –رحمه الله- وكان ذلك منذ طفولته وهو يفتخر بأنه كان يحمل وينقل كتاب الشيخ نجيب ونعله.

مع العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁:

لكن المفصل الكبير في حياته هو لقاؤه بالعارف بالله الشيخ محمد النبهان ﵁، فقد وقع قلبه عنده وما عاد يقصد بعد ذلك إلا الكلتاوية التي لازمها.

وفي أحد المجالس كان السيد النبهان يتكلم للحضور عن الشيخ الذي عمامته على رأسه والشيخ الذي عمامته في قلبه ثم قال: «ولعل هذا الذي يجلس ورائي ممن عمامته على قلبه». يقصد بذلك الشاب نزار لبنية الذي كان وقتها طالبًا في كلية الطب.

كان –رحمه الله- كثيرًا ما يذكر مجالس الكلتاوية مع السيد النبهان وخاصة في المبنى القديم للمسجد، والتي كانت تستمر حتى منتصف ليالي الشتاء، وكان للشيخ نزار مكان خاص به في المسجد القديم يقضي في هذا المكان أوقات اعتكافه وقيامه، وبدأ السير والسلوك إلى الله تعالى على يدي شيخه السيد النبهان ﵁ بشتى أنواع الرياضيات الروحية من صوم فقد صام أربع سنوات ومخالفة للنفس وغير ذلك حتى أنه أوكل لنفسه تهذيبًا لها وخدمة لبيت الله تنظيف حمامات الكلتاوية وجهز لذلك عدة خاصة به ولباسًا خاصًّا بذلك وأوقاتًا محددة لا يحيد عنها.

ومن أهم ما يميز الشيخ نزار لبنية هو انضباطه بالنظام وحبه له، وكان دومًا يدعو إلى ذلك ويؤكد أن الإسلام دين النظام.

والأمر الثاني هو النظافة ابتداء بثيابه وعمامته، وكان لا يسجد إلا على منديل أبيض محافظة على نظافة وبياض عمامته.

وعندما قرر السيد النبهان بناء مدرسة الكلتاوية كانت مهمة الشيخ نزار هي متابعة رخصة البناء والتي أخذت من الوقت ما يزيد عن ثلاث سنوات وكانت كثيرًا ما تواجه بعقبات إدارية كثيرة.

والشيخ نزار هو من أوائل المدرسين فيها فقد درّس فيها الرياضيات والسيرة النبوية والعقيدة والفرائض.

أما في مسجد الكلتاوية فهو تلميذ بين يدي شيخه السيد النبهان ويحضر معه دروس العلماء يوم الثلاثاء باستمرار، وكان كثيرًا مايسأل سيدنا النبهان ﷺ عن الفلك أو الطب، أسئلة علمية لاشرعية.

الشيخ نزار -رحمه الله- محب زاهد، أنيق، لطيف، غواص في حقائق الدين، لمّاح في حوادث السيرة النبوية، له عبارات وكلمات مأثورة، بهي المنظر، طويل القامة، ممشوق القوام أطول المدرسين هو والشيخ عبد الرحمن حوت رحمهما الله.

من طلابه في الكلتاوية:

السادة الشيوخ: محمد علي قايبال، ومحمود العبيد، وحسين الأحمد، وبلال حمزة، ومحمد الرشواني، وعبد الله الحسن، وعثمان العمر، وإبراهيم منصور، وأمين مشاعل، ومحمود الزين، وعبد المنعم سالم، وعبد الجواد العاشق، ومحمود حوت، وعلي مشاعل، ويوسف زين، وغيرهم كثير؛ فقد درس على يديه ما يقرب من عشرة أفواج في الكلتاوية.

التحق الشيخ نزار لبنية بكلية الشريعة بعد افتتاحها بجامعة دمشق عام ١٩٥٦م.

من شيوخه في كلية الشريعة بجامعة دمشق:

الدكتور مصطفى السباعي، والأستاذ محمد المبارك، والدكتور محمد معروف الدواليبي، والعلامة الفقيه مصطفى الزرقا، والعلامة الشيخ علي الطنطاوي، والأستاذ عمر الحكيم، وغيرهم. رحمهم الله جميعًا.

ومن زملائه في كلية الشريعة:

الشيخ عبد البر عباس، والشيخ الدكتور عبد الرحمن عتر، والعلامة الشيخ نذير حامد.

بعد تخرجه أوكل إليه تدريس المواد الاختصاصية في الثانويات العامة بالإضافة إلى الكلتاوية والخسروية والشعبانية.

في عام ١٩٨٠م تسلّم جامع آمنة بنت وهب إمامًا وخطيبًا ومدرسًا، واستمر في ذلك حتى وفاته، وكان يعطي فيه أربعة عشر درسًا في المسجد سبعة بعد الفجر وسبعة بعد المغرب.

وقرأ فيه تفسير ابن كثير مرتين في المسجد، وقرأ البخاري ومسلم، وقرأ فيه مرارًا رياض الصالحين.

وكان -رحمه الله- يحتفظ في بيته ببعض الأثر من شيخه السيد محمد النبهان.

ترك مؤلفًا في علم التجويد، وكان قد صنفه بناء على طلب الثانوية الشرعية (الخسروية) ومؤلفًا آخر في الأحاديث المتعلقة بتربية الأولاد، وعدة أبحاث متفرقة لم يطبع منها شيء.

مرضه ووفاته:

انقطع عن الخروج إلى المسجد آخر سنة من حياته بسبب مرض في عموده الفقري.

ثم كانت وفاته في ٢١ تموز ١٩٩٨م بعد مرض أصابه في بطنه.

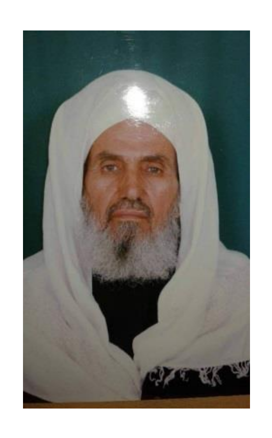
رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

مصادر الترجمة:

- ابنه الأستاذ أحمد نزاز لبنية.
- « الشيخ محمد النبهان، شخصيته، فكره، آثاره».
- أرشيف المدرسة الكلتاوية.

(٧٨) الشيخ ياسين ويسي

١٣٤٥ - ١٤٤٠هـ/ ١٩٢٧ - ٢٠١٩م



العائلة الحيدرية الأويسية من العوائل الكبيرة في مدينة حلب وأريافها، فآثارهم في منطقة باب النيرب بمدينة حلب تدل على تاريخهم القديم في هذه المدينة مثل: جامع الطرنطائية، وزاوية الشيخ حيدر، ومنطقة الحيدرية التي سميت بأسماء ذرية العائلة الحيدرية الأويسية إذ كانت مسكنهم في حلب، ودفن العديد من شيوخهم وأجدادهم في حي باب النيرب.

جاء الشيخ محمد ويس الملقب بالهَمَل يومًا ليدعو العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ لبيته في الحيدرية ومعه الشيخ علي عمر المحمد -رحمه الله- وكان وقتها طالبًا في الكلتاوية، فقرعوا باب بيت سيدنا، ففتح الباب وسلما على سيدنا وقبلا يده، ثم دعا الشيخ محمد ويس الهمل سيدنا فاستجاب السيد للدعوة واتفقا على الموعد، وانصرف الداعي (الشيخ الهَمَل) وبقي الشيخ علي واقفًا مع سيدنا ﵁ فقال السيد للشيخ علي:«أنا لا أحب أهل الحجب الذين يكتبون الحُجُب إلا هذا يعني الشيخ الهَمَل فإنه رجل صالح».

وحضر الشيخ علي عمر المحمد الدعوة مع سيدنا وكان في المجلس ضرب دفوف، ومن جملة من كان يدق على الدفوف والد الشيخ ياسين، وأنشد الشيخ ياسين وقتها بعد أن أمره سيدنا بذلك فقال:

يا إلهي يا معين العاجزين بالنبيِّ الطاهر الهادي الأمين[1]
يسِّر الأمر وفرِّج كربنا واكفنا يا ربِّ شرَّ الظالمين

والتفت السيد إلى الشيخ علي عمر المحمد وكان قريبًا منه وقال له: أنتم الويسات رفاعية؟ قال له: هكذا يقولون. فقال السيد ﷺ للشيخ علي عمر المحمد «لأنه حضر السيد أحمد الرفاعي لكن ما أعجبته الدقة».

والشيخ النسّابة محمد الويس (الملقب بالهمل) كان قد جمع أنساب الويسات في كتاب أسماه «الدرر البهية في الأنساب الأويسية الحيدرية» وطلب من سيدنا التوقيع على صحة النسبة والنسب، فوقع عليه سيدنا ﷺ ثم أخذ الشيخ الهمل توقيعات جل علماء حلب.

اسمه وولادته:

هو الشيخ ياسين ابن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن ابن الشيخ حيدر الحيدري الأويسي الحسيني.

ولد الشيخ ياسين في قرية حربل -منطقة عزاز- عام ١٩٢٧م، لكن الأصل كما ذكرنا من مدينة حلب حي باب النيرب إلا أن والده الشيخ عبد الرحمن سكن في قرية حربل كإمام فيها .

نشأته:

نشأ الشيخ ياسين في بيت علم وطريقة، وربي على حب آل البيت والأولياء، فوالده الشيخ عبد الرحمن إمام وخطيب جامع قرية حربل، فربّى ولده ياسين كما ربّى إخوته على محبّة النبي وصحبه وأهل بيته ومن سار على نهجهم من بعدهم،

(١) من كلمات الإمام محمد الرواس، رحمه الله.

ووالدته عيوش الأويسي كانت متعلقة بآل البيت وأحباب الله، قال عنها السيد النبهان: «أمك ياشيخ ياسين صادقة في حياتي وبعد مماتي» قال الشيخ ياسين: فعرفت أن أمي ستعيش بعد انتقال سيدنا. وكانت -رحمها الله- تحرص على حضور دروس السيد النبهان.

في هذه البيئة المباركة نشأ الشيخ ياسين فعلّمه والده مبادئ القراءة والكتابة، وقرأ عليه القرآن.

ثم صحب عددًا من علماء منطقته أمثال: الشيخ عبد السلام الحِرْبِلِي، والشيخ مصطفى الحَمُو، والشيخ محمد خير المارعي، وغيرهم، ثم أخذ أوراد الطريقة الرفاعية من جده الشيخ عبد الله الحيدري.

البحث عن المرشد:

ولمّا كان في السادسة عشر من عمره قرأ كتاب «البرهان المؤيّد» للعارف بالله سيدنا الشيخ أحمد الرفاعي ﵁ ، فعلم أنّ لكلّ وقت مجددًا، يجدد لهذه الأمة أمر دينها، سائرًا على نهج رسول الله ﷺ في أحواله وأقواله وأفعاله، فراح يبحث عن هذا الرجل، متنقّلًا من شيخ إلى آخر، باحثًا عن صاحب الوقت، فأخذ الطريقة الرفاعيّة من جدّه الشيخ عبد الله الحيدري أكبر شيخ في الويسات يومئذ، وبعد مدةتوفي جده وشيخه فعاوده البحث فرأى في المنام الحبيب الأعظم -عليه الصلاة والسّلام- واقفًا في عتبة زاوية والده، فسأله مقسمًا: أقسمت عليك بالله أأنت محمد بن عبد الله؟ فأجابه: نعم. ثمّ كرّر مقسمًا: أأنت محمد رسول الله؟ فأجابه ﷺ: نعم. فسأله: من صاحب هذا الوقت؟ فقال - عليه الصلاة والسّلام-: الشيخ محمد النبهان. فذهب إلى العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ وذلك عام ١٩٥٢م.

قال الشيخ ياسين، رحمه الله: «وأول ما رأيت سيدنا كان هو في الجهة الأخرى من الشارع، فرأيته وأُخِذتُ به وحال بيننا حافلة البلدية وإذ بي أراه أعلى الحافلة ﷺ فلم تحل الحافلة بيننا.

جئت إلى السيد ﷺ مع الحاج حسين عبد الحي -رحمه الله- فقال سيدنا: شيخ حسين من هذا رفيقك؟ قال له: سيدي هذا اسمه ياسين، فقال سيدنا: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس ١-٣) فطرب بها الحاج حسين وقفز من شدة فرحه.

سألت الشيخ ياسين-رحمه الله-كم كان عمرك حين جئت إلى سيدنا؟

فقال: العمر الذي أمضيته قبل سيدنا رميته وطرحته، لا أذكر منه شيئًا أبدًا، هل عندنا عمر غير العمر الذي فيه سيدنا؟! كببته، لا أريده، أريد سيدنا، كنت أقول له: ياسيدي أنا عاجز عن شكر الله، اشكر الله عني. فيقول لي: أشكر لك الله. قلت له: لو أنني جئت بعد أو قبلك بخمسين سنة فإيش يطلع بيدي! الله بعثني معك فاشكر الله لي، فيقول لي: أشكر لك الله.

الحق يقال: الحقيقة لا تموت لذلك أنا أقول: شيخي ما مات بل ما فارقته أبدًا، وما غاب عني حتى أبحث عن غيره.

امتنّ علينا بسيدنا ﷺ ، وسيدنا معنا لا يضيعنا».

طلبه العلم:

وجَّهَهُ سيدنا الشيخ محمد النبهان إلى طلب العلم الشرعي، وكان الشيخ ياسين متزوّجًا وعنده أربعة أولاد، فانتسب إلى معهد العلوم الشرعية في حيّ الفرافرة بحلب، وتخرج فيه عام ١٩٥٩م، و كانت الدراسة وقتها مدتها سبع سنوات، كان من شيوخه فيه:

الشيخ محمد أسعد العبجي، والشيخ أبو الخير زين العابدين، والشيخ عبد الرحمن زين العابدين، والشيخ عبد الله سراج الدين، والشيخ أحمد شهيد. رحمهم الله جميعًا.

وكانت له غرفة صغيرة في الكلتاوية يخلو ويدرس فيها، ضمت بعد ذلك إلى بناء المدرسة الكلتاوية القديمة، قال لي، رحمه الله: وكنت أتتبع آثار سيدنا فأحرص على السكن في الغرف التي سكن فيها سيدنا مثل جامع الإسماعيلية والحموي وباب الأحمر وغيرها فقد سكن في غرفة سيدنا في جامع الحموي حوالي خمس سنوات.

دعوته:

بعد ذلك كان سيدنا الشيخ محمد النبهان يبعثه إلى القرى ليخطب الجمعة، ويلقي الدروس الشرعيّة، ويبيّن للناس مسائل الحلال والحرام، ثمّ أرسله بعد ذلك إلى بلدة (أبو الظهور)، فأقام مسجدها الكبير تحت إشراف شيخه السيد النبهان، وأقام فيه الشيخ ياسين إمامًا وخطيبًا وداعيًا، فهدى الله على يده كثيرًا من الناس، وانتشر الحجاب الشرعي(تغطية الوجهه والكفين) في البلدة وما حولها، وتخرج بمساعيه عدد من طلاب العلم، كما أقام في تلك المنطقة عددا من المساجد تحت توجيه السيد وإشرافه.

وكان اهتمامه بطلاب العلم كبيرًا فقد يسافر مع الواحد منهم إلى حماة أو إلى دمشق ليسجله في معهد ديني يكمل به تحصيله العلمي.

وكان السيد النبهان يزوره في (أبو الظهور) بين الحين والآخر، فيذكّر الناس، وكلّما استشكل على الشيخ ياسين أمر راجع فيه السيد النبهان، فيوجهه التوجيه الحسن السديد فهو ﵁ مرجعه في دينه ودنياه.

وبذلك تغيّر حال كثير من الناس في تلك البلدة إلى خير بعد سوء، وبقي الشيخ ياسين كذلك حتّى انتقال السيد النبهان، وهو ما يزال في (أبو الظهور) وفق توجيهات سيده وشيخه، يوجّه العامة في حلال الله وحرامه، ويرشد طلبة العلم، ويعلّمهم مما علّمه الله، وهذا أثرمن آثار السيد النبهان رضي الله عنه.



الشيخ ياسين الويسي مخاطبًا الأستاذ الدكتور محمود فجَّال (رحمهما الله)

حدثني الشيخ ياسين- رحمه الله -قال: «كانت حياتنا مع سيدنا النبهان كلها بالإذن، لا نرفع رجلًا ولا نحرك أخرى ولا نقدم على أي أمر إلا بالإذن منه رضي الله عنه، استأذنت سيدنا للذهاب إلى العراق فأذن لي والتقيت بجمع من أصحاب سيدنا وأحبابه هناك، ومرة سألني الشيخ محمد الفياض حين زرته فسألني عن أخبار سيدنا فقلت له: سيدنا قال عنك: «إنك من أهل القلوب» ومن كان من أهل

القلوب لا حاجة ليسألني عن سيدنا، فأطرق قليلًا وقال: اللّٰهُمَّ نعم يأتيني خبره من السماء.

مع السيدة فاطمة رضي الله عنها:

حدثني الشيخ ياسين- رحمه الله -قال: «صليت المغرب مرة واضطجعت في واد بين أريحا والمعرة وأنا بين النائم واليقظان وإذ بي أرى حرسًا يدخلون إليّ فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن حرس السيدة فاطمة، فقلت: هذه أمي وركضت إليها، فلما وصلت إليها أصبحت كالطفل الصغير ورأيتها رضي الله عنها في أبهى صورة فوضعتني في حضنها وأرضعتني الرضعة الأولى فاختلط الحليب بعظمي ولحمي فشعرت به كأنه سيخرج من أظافر قدميّ» .

حجه مع السيد النبهان:

صحب السيد النبهان في رحلة الحج عام١٩٦٥م، واستمرت الرحلة خمسة وخمسين يومًا، وكان الشيخ ياسين مسؤولًا عن إحدى ناقلات الحجاج، قال لنا -رحمه الله-: «رأيت العجائب والكرامات الكثيرة هناك، وكنت واقفًا بجانب السيد النبهان رضي الله عنه حين وقف أمام حضرة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وقال له: ياولي نعمتي أتيت بي إليك.

ورأيتُ أمام الكعبة حين جاء إليه مجموعة من المشايخ من المغرب فجماعة منهم قبلوا يد السيد النبهان وبعضهم قبل أقدامه فبعدما ذهبوا جئت إلى السيد وقلت: سيدي هل هؤلاء فيهم عارفون بالله؟ قال: نعم الذين قبلوا الأقدام عارفون بالله».

سألته، رحمه الله: حدثنا عن كرامات رأيتها للسيد النبهان رضي الله عنه.

فأجاب: «كل خطوة فيها خمسون كرامة فإيش أعدد لك؟! شيء لا يُعد، لا أحد يقدر أن يحصيها ويعدها، فمثلًا: اختلفت أنا والشيخ أديب في مسألة

فذهب إلى سيدنا ﷺ فقال للشيخ أديب حين دخل إليه قبل أن يسأله: شيخ أديب الحق مع الشيخ ياسين في هذه المسألة، فلما رجع الشيخ لعند الشيخ ياسين عاد حزينًا كيف يشكوه إلى سيدنا! فلما سأله قال له الشيخ ياسين: والله ما أخبرت سيدنا ولا قلت له شيئًا، فقال الشيخ أديب: هذه أعظم».

ومن أخباره مع سيدنا الشيخ محمد النبهان رضي الله عنه:

قال لي -رحمه الله-: «نزل مرة سيدنا في التويم وأنا أكملت طريقي إلى (أبو الظهور) وحين طلع الصبح رجعت إليه حافيًا دون شعور مني فقلت: سيدي أنا لا أقدر أن أبتعد عنك، فقال لي: خذني معك؛ جسمي هذا لا ينفعك، خذ حقيقتي تستفيد، وحقيقتي موجودة في كل ذرة من ذرات الوجود، إيش هذا الشيخ الذي يحجبه عن تلميذه حفنة تراب!

ومرة قرأت في كتاب سيدنا ابن الفارض:

بل أسيئوا في الهوى أو أحسنوا   كل شيءٍ حسنٌ منكم لدي

فأشكلتْ عليّ أنه كيف يقول هذا عن شيخه الكامل، فلم أنتظر للصباح فذهبت إلى باب بيت سيدنا فوجدته أمام الباب رضي الله عنه فقلت: سيدي كيف يقول هذا عن شيخه الكامل؟! فقال: كل ما قاله ابن الفارض في النفس الملهمة، لكنه حينما وصل إلى المطمئنة لم يقل شيئًا».

هذا غيض من فيض من سيرة هذا المحب الصادق الذي فاض قلبه بحب شيخه وآل البيت وأحباب الله .

أولاده:

رزقه الله بعشرة من الذكور، وسبع إناث، وتخرج في الكلتاوية ثلاثة من أولاده: الشيخ محمود، الشيخ عبد الرحمن، الشيخ عبد الله.

مرضه وانتقاله:



قبل شهر من انتقاله أجريت له عملية في الركبة لالتهاب فيها، ثم ساء وضعه الصحي ففارق الحياة في مستشفى راشد بمدينة دبي، ودفن فيها يوم الأربعاء ٢ جمادى الأولى ١٤٤٠هـ/الموافق ٩ كانون الثاني ٢٠١٩م.

مصادر الترجمة:

- الشيخ ياسين ويسي -رحمه الله- لقاء لي معه بتاريخ ٣١ كانون الثاني ٢٠١٨م.
- الدكتور عثمان العمر، مراسلة كتابية.
- أولاد الشيخ ياسين ويسي: محمود، وعبد الله، وعمر، مراسلة كتابية.

ملفات مسموعة:

لسماع الملفات الصوتية، فضلًا اقرأ الرموز التالية:


١ - الشيخ ياسين الويسي: الله امتنّ علينا بسيدنا، وسيدنا معنا لا يضيعنا.

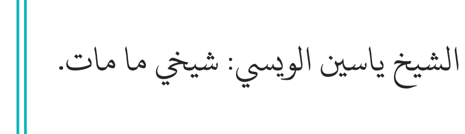


٢ - الشيخ ياسين الويسي: العمر الذي قبل سيدنا كبيته ما أذكر منه شيئًا أبدًا.

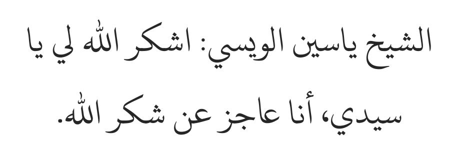


٣ - الشيخ ياسين الويسي: سؤاله رسول الله ﷺ في المنام عن صاحب الوقت.





٤ - الشيخ ياسين الويسي: شيخي ما مات.

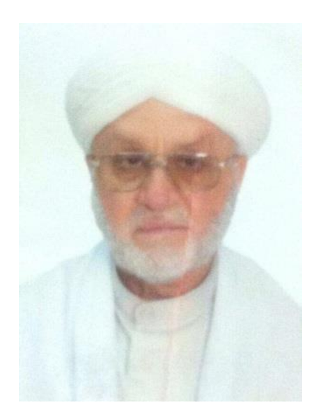



٥ - الشيخ ياسين الويسي: اشكر الله لي يا سيدي، أنا عاجز عن شكر الله.



(٧٩) الشيخ يحي الفياض

١٣٥٨ - ١٤٣٥هـ/ ١٩٣٩ - ٢٠١٤م



عالم عامل، وتاجر صادق، علمٌ من أعلام الدوحة النبهانية، جمع بين الدين والدنيا.

الشيخ يحي بن حمد بن عبد الله بن مُلاّ فياض بن مُلاّ مرعي بن عبيد بن حديد بن خلف بن فليح بن حيدر الحيدري الكبيسي، وبنو حيدر عشيرة من عشائر كبيسة أصلًا ومسكنًا.

مولده:

ولد في قرية كبيسة التابعة لمحافظة الأنبار في العراق عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

نشأته وطلب العلم:

تعلم القرآن الكريم في الكتاتيب، والقراءة والكتابة في مدارس الابتدائية، ولأن أسرته أسرة علميّة رغب والده الحاج حمد عبد الله الفياض أن يستمر هذا التراث العظيم في الأسرة فألحق ولده يحي بالمدرسة الآصفية في جامع الفلوجة الكبير التي كانت خاضعةً لإدارة العلامة الشيخ عبدالعزيز سالم السامرائي -رحمه الله تعالى- وذلك في عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، واستمر ينهل من معين علمه مدةً طويلة حتى أكمل تعليمه الثاني عشر، فتخرج فيها بتوفيق الله -عز وجل- فمنحه شيخه

في العلم الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي -رحمه الله- الإجازة العلمية، لكنه لم يشغل وظيفة حكومية لأنه كان ميسور الحال، فتعلم العلم للعلم فقط لا للوظيفة.

التاجر الصدوق:

رغب بعدها والده الحاج حمد عبد الله الفياض أن يشاركه عمل التجارة في بغداد، فانقطع عن الدراسة الدينية، ومارس العمل التجاري لأجل أن يمثل فيه التاجر الصدوق، فكان نبراسًا في ذلك السوق أدبًا وتعاملًا وأخلاقًا ونصيحة، ومع ذلك لم يؤثرّ ذلك السوق عليه في استمراره بالطلب والتعلم والاستفسار عن المهام الشرعية وفِي صحبته لأهل العلم والصلاح، فقد جمع بين الدين والدنيا، يؤيده إخوة لَهُ صالحون تربوا على يديه، جعلهم الله تعالى ناهجين منهجه وسائرين بطريقه.

صفاته الخَلْقية:

كان -رحمه الله- معتدل القامة، حسن الجسم، أبيض اللون، بهي المنظر، مشرق الوجه، تعلوه البسمة، أبيض مشربٌ بحمرة، أشقر الشعر، حسن الهيئة، جميل المنظر.

صفاته الخلُقِية:

إضافة إلى حسن منظره فقد كان -رحمه الله-حسن الأخلاق، كريم النفس، حسن السيرة، صافي القلب، محبًّا ومحبوبًا، لم يصدر مِنْهُ مايسيء، سمحًا في التعامل مع أهل الدنيا، لم تدخل الدنيا إلى قلبه بل كانت بيده، كثير الصدقة، وكان في بعض الأحيان يلجأ إلى بعض الأغنياء قبل مرضه الأخير للأخذ منهم وإعطائها للفقراء لعدم وجود ما يكفي الفقراء من وارداته، مضيافًا مخلصًا مع أصدقائه؛ لأنه كان يرى خدمة العلماء وطلاب العلم والفقراء تقربًا إلى الله، لا لدنيا يجدها عندهم بل خدمةً لوجه الله تعالى.

سكنه:

سكن -رحمه الله تعالى- مدينة الفلوجة مع والده حمد عبد الله الفياض في بيت واحد وبعدها ابتنى بيتًا له، ثم شاءت الأقدار أن تقع الحرب على العراق فغادر مدينة الفلوجة متوجهًا إلى عمّان - الأردن - فمكث فيها.



الشيخ يحيى الفياض مع السيد أحمد بن محمد النبهان (أبي فاروق) في الكلتاوية

سفره إلى حلب وتعلقه بسيدنا محمد النبهان ﷺ:

يروي لنا ابنه الشيخ صلاح فيقول: «من حين كان عمره لا يتجاوز الرابعة عشرة كان يسافر إلى حلب، يقول، رحمه الله: أراد سيدنا ﷺ مرة الخروج إلى قرية التويم، فركب إخواننا وبقيت وحدي لم أركب معهم؛ لصغر سني فذهبوا، وخرجت وحدي ماشيًا على قدمي باكيًا قاصدًا سيدنا ﷺ في قرية التويم بعد أن غربت

الشمس، وكان سيدنا يصلي بهم صلاة المغرب فبعد أن انتهى من الصلاة قال: أين يحيى؟ أين يحيى؟ وعاتب أبا عمر الدباغ، وأرسل بعض إخواننا في طلبه فأدركوه في الطريق.

كان ذلك الحب والتعلق سيرته وحياته، يتبع سيدنا النبهان ﵁ في كل خطواته حتى ترى تجلي السيد النبهان ظاهرًا على أقواله وأفعاله وحتى على مظهره، كان قدوة لنا أولًا ولإخواننا يرجعون إلى رأيه ومشورته بناءً على أمر سيدنا ﵁.

سمعت من والدي -رحمه الله تعالى- قال: خرجنا من جامع الكلتاوية بعد صلاة العشاء نشيع سيدنا إلى باب داره وإذ سائل يسأل عن الآية الكريمة: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص ١٣) فبدأ سيدنا يتكلم ويشرحها، وكنا حينها واقفين على درج الكلتاوية المؤدي إلى داره ﵁ حتى بدأ التمجيد لصلاة الفجر.

وقال لي أخي الدكتور عبد الله يحيى الفياض: سمعت من والدي يحيى -رحمه الله تعالى- أنه كان بصحبة سيدنا ﵁ مع بعض إخواننا خارج الكلتاوية، وفي طريق عودتهم إلى الكلتاوية كان ﵁ ينفق النقود على الفقراء والمحتاجين الموجودين على قارعة الطريق وعند وصولهم إلى باب جامع الكلتاوية قال لي: ياشيخ يحيى بقي عندي مصاري ولا أريد أن أدخل الجامع وهي معي فهل أنت محتاج؟ فقلت له: والله ياسيدي أنا مكتفي -والحمد لله- فأعطاها إلى بعض إخواننا ولَم يبقِ عنده شيئًا من النقود. فقال ﵁: الحمد لله الآن ارتحت ودخلنا الكلتاوية بمعيته.

وقد روى لي أيضًا أخي الدكتور عبد الله يحيى قال: سمعت من ابن سيدنا عبد الله أبو الشيخ يقول: كان سيدنا ﵁ يقول لي ولأبي فاروق: إذا سافرتم إلى العراق فلا تنزلوا إلا عند الحاج يحيى الفياض في الفلوجة».

وكتب عنه الشيخ هشام الألوسي في كتاب «السيد النبهان» (وكان قد آخى بينهما سيدنا): «كان الشيخ يحيى حمد الفياض ابن عناية ظاهرة، وكان ابن عمه

الحاج جاسم محمّد الفياض تاجرًا مقيمًا في حلب ومن أوائل الذين تعرفوا على سيّدنا محمّد النّبهان ﵁ بل من خاصة أصحابه، ويحيى كان كلما انتهت دراسته كل عام في الآصفية يسافر إلى حلب ويمضي أشهر العطلة الصيفية الثلاثة هناك، فتعلق قلبه بسيّدنا ﵁ تعلق الرضيع بأمه وكما حدثني عن نفسه فقال: كنت أمشي مرة خلف سيّدنا ﵁ أحمل زنبيلًا وهو يقطف بعض أوراد الحديقة الذابلة بمقص، أجمع فيه ما يقتطف، فقال لي ﵁: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقوّة﴾ (مريم ١٢).

وللشيخ يحي صحبة طويلة مع سيّدنا ﵁ منذ أن رآه أول مرة عام ١٩٥٣م ولم تنقطع، وقد قال عنه ﵁: «يحي شمّام، هذا هو يحي ذاتي، أنظارنا عليه ولن تقع، يحي ما أخذته الدنيا». نعم لم تأخذه الدنيا؛ بل كانت الدنيا تحت قدميه ومن خلفه، فهو بتفقده للمعوزين، وعونه للسائلين، وإصلاحه بين المتخاصمين، وتشييده للمساجد، ومساعدته لطلبة العلم أثر من آثار سيّدنا ﵁ وعينٌ من أعيان الفلوجة، وشخصية محبوبه بين الناس، لا يُمَلُّ مجالسه حديثه، ولا تكاد تلتقي معه إلا ويذكر لك شيئًا من سيرة سيّدنا النّبهان ﵁.

دعاني سيّدنا النّبهان ﵁ والشيخ يحي حمد الفياض الكبيسي إلى بيته ﵁ فحان وقت الغداء ولم يكن في الدار غيره، فأخذ بنا إلى المطبخ وأوقد ثمّ وضع قِدْرًا فيه «قرنبيطة» حتى إذ جهَز أفرغه في صحنٍ وقدّمه لنا، وأثناء الطعام قال لنا: اشبعوا اشبعوا، وهو في انشراح عظيم ونحن في أسعد لحظات حياتنا.

حدثنا الشيخ يحي حمد الفياض الكبيسي من الفلوجة بالعراق قائلًا: كنت أسمع بالعلامة التي في كتفه ﵁ فتمنيت لو رأيتها، فأبصرته ذات يوم يتوضأ فشمّر

عن ذراعيه ورفعهما وكأنّه يقول لي: انظر، فإذا بها بسعة وحجم ليرة الذهب الرشادية»[١].

وحدثني عنه صديقه الشيخ حامد صخي فقال: «منذُ عرفتُ الشيخ يحي حمد الفياض -رحمه الله وتغمّده برضوانه آمين- وهو في القمّة دائمًا، مظهر الصلاح والإصلاح، راجح العقل، يزين الأمورَ ويُزيّنُها برأيه المُنّور بسيدنا النبهان ومشورته الحكيمة لأنّ سيدنا الكريم أوصى كثيرًا من إخواننا باستشارته فهو مستشار أمين.

أكمل العلوم الشرعية، ثم اختار التجارة ليكون مَثَلًا للتاجر الصدوق، جمع بين الدنيا والآخرة، ولم يلتفت إليهما بل كانت همتُهُ خالقهما سبحانه وتعالى.

كان مُطاعًا عند التجار، ومحبوبًا لدى العلماء، وكانت كلمتُهُ لا تُرّدُ، يأخذ من الأغنياء بثقة وأمانة ليعطي طلبة العلم والمحتاجين الذين جعل لهم مُرّتبًا شهريًّا يسدّ حاجتهم.

منذ عرفتُهُ عام ١٩٦٨ م وحتى آخر عهدي به في الدنيا لم أرَهُ إلّا في طاعة أو قضاء حاجة لأخ، حتى ترى عليه تجليات سيدنا محمد النبهان في كثير من أحواله.

يُحبّ الضيف، كان مضيافًا يكاد منزله لا يخلو من طارق.

وكان عمّهُ الحاج محمد الفياض -رحمه الله- يطلب منه أن ينشد عنده من المدائح والأناشيد لسيدنا عمر بن الفارض وغيره فلا يرّد له طلبًا، فينشد بصوته الشجي وروحانيته التي يسري بها في معارج مدارج القوم أهل الله.

كنتُ أزوره باستمرار، وخاصة عندما أنوي السفر، فيخرج يودعني ويقول: «رافقك اسمه السلام، ومن رافقه السلام لا يُضام» كان يقولها وكأنّ المتكلّم سيدنا النبهان.

---

(١) انتهى من كتاب «السيد النبهان» ط١ (١: ١٣١) و ط ٣ (١: ٢١٦).

حدثنا يومًا قال: «زرتُ الشيخ أحمد الحارون -رحمه الله- فسألني هل الجبال تنمو؟ فسكتُ لأني لا أعرف الجواب، والجبل هو هو لا نراه يزيد أو ينقص، فقال: «الجبال تنمو لكن نمّوها لتحت، النمّو لا يتوقف ﴿والجبال أوتادًا﴾ (النبأ ٧) كما أن الشجر والنبات ينمو لفوق، والإنسان ينمو من فوق وتحت، ثُمّ يواصل كلامه عن الشيخ أحمد الحارون -رحمه الله- فيقول الشيخ الحارون: الناس يتعجبون من القنبلة الذّرية، كل حجر أو حصوة فيها السالب والمُوجب لو أذن اللهُ تعالى لها لأصبحت كلّها قنابل ذريّة».

كان الشيخ يحي يحبّ مخالطة الناس، والسهر معهم، فأراد اللهُ تعالى له العزلة عن الخلق فَغَيّبَهُ به عنهم فلم يبقَ فيه بقيةٌ لغير مولاه.

رأيتُهُ في المنام عند مرضه وهو على تلك الحالة فسألتُهُ هل تشعر بزائريك؟

فقال لي: نعم أعرفهم وأسمع كل ما يقولون وأعلم ما يدور حولي وحتى خارج حجرتي.

حكى لي الأخ الشيخ الدكتور محمود ناصر حوت قال: زرتُ الشيخ يحي الفياض في غيبوبته فقالوا له: هذا الشيخ محمود الحوت فالتفتَ إليّ ونظر يريد ان يفتح عينيه ليحدّثني ثُمّ دمعت عيناه».

وكتب لي عنه الشيخ عبد الله حسين الشامي[١]:

«الحاج يحي حمد الفياض علم من أعلام الأمة، فهو من العلماء العاملين، ومن التجار الصادقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء»[١].

---

(١) الشيخ عبد الله حسين حمدان الكبيسي(١٣٧١هـ-١٩٥١م): تأتي سيرته في القسم الثالث من «الدرر الحسان».

هو واحد من أعلام الدوحة النبهانية، رجل جمع بين الدين والدنيا.

صاحبته سنين عديدة في السفر والحضر فما رأيت ألطف ولا أنظف منه، ظاهره النظافة وباطنه اللطافة.

جواد كريم بلا حدود، ماطلب منه أحد مساعدةً أو تبرعًا لمسجد أو لأي مناسبة دينية وقال: لا. ودائمًا كان يقول لي: يا أخي يا عبد الله! لا أدري أي العمل مقبول عند الله تعالى.

حاله يذكرك بالله تعالى، وسلوكه يذكرك أنه واحد من المريدين الصادقين لسيدنا النبهان، قدس سره العزيز.

لا نجلس مجلسًا إلا ويذكر لنا قصة أو كلامًا يرويه عن سيدنا ﵁، فهو محب صادق لسيدنا النبهان ﵁ يبرهن على محبته بالاتباع الحقيقي لأقواله وأفعاله، الدنيا في يديه وليس في قلبه.

أذكر مرة دخلت معه للكلتاوية، وزرنا حضرة سيدنا ﵁، وجئنا إلى غرفة سيدي أبي فاروق للاستماع إلى درسٍ من دروس سيدنا المسجلة، ونحن بباب الغرفة وإذ بسيدنا من المسجلة يقول: تفضل ادخل يا حاج يحيى. وهذه كرامة».

كان -رحمه الله تعالى- يجبر خواطر الفقراء، ويتفقد أحوالهم.

أذكر مرة كنا في تعزية أحد وجهاء الفلوجة، وكان هناك جمع كبير فمررنا بتعزية أخرى فلم يكن لديهم أحد فقال لي: تعال لنجلس عندهم لنجبر خواطرهم وأخذ الناس حينما رأونا يتوافدون عليهم».

---

(١) أخرجه «الترمذي» في «الجامع الصحيح» في (كتاب البيوع-باب ماجاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم) برقم (١٢٠٩) (٣:٥٠٧)

يقول الدكتور عثمان عمر المحمد: «كان الشيخ يحيي الفياض -رحمه الله- شديد الشبه بالشيخ محمد ولي الحلبي التركي، وبينهما صداقة ومحبة، ورابطة قوية، الكرم طبيعته وسجيته، ومجلسة ماتع منور بذكر الله وأحبابه خاصة سيدنا النبهان رضي الله عنه. كان إذا زار إنسانًا لا بد وأن يأتي له بهدية، ودعواته في بيته تقدم للملوك فالكرم عنه لاحدود له».

مرضه ووفاته:

أوقعه المرض فبقي طريح الفراش قرابة خمس سنوات، وفي صبيحة يوم الجمعة ٢ رجب ١٤٣٥هـ، الموافق ٢ أيار ٢٠١٤م فاضت روحه إلى ربها ودفن في مقبرة سحاب القريبة من مدينة عَمّان.

مصادر الترجمة:

- كتاب «السيد النبهان».
- الشيخ صلاح يحيي الفياض، والشيخ حامد صخي، والشيخ عبد الله حسين الشامي، والدكتور عثمان عمر المحمد، مراسلة كتابية.

(٨٠) الشيخ يوسف زين[١]

١٣٧٣ - ١٤٣٥هـ/ ١٩٥٤ - ٢٠١٤م



هو الشيخ يوسف بن محمد بن محمود بن عيسى بن مصطفى بن شريف بن محمد زين، وإليه يُنْسب.

وينتهي نسبه إلى الدوحة النبوية من جهة سيدنا الحسن ابن سيدنا علي والسيدة فاطمة الزهراء -عليهم السلام- وقد أقر هذه النسبة سيدنا محمد النبهان رضي الله عنه في رؤيا رآها العم الحاج أحمد محمود الزين[٢] وقصها لسيدنا، وقد سمعتُ ذلك من أستاذنا الشيخ الدكتور محمود أحمد الزين، رحمه الله تعالى.

ولادته ونشأته:

ولد -رحمه الله تعالى- في مدينة حلب في حي باب النيرب عام ١٩٥٤م -١٣٧٣هـ. وقد حصل الحمل به في العراق حيث كان يقيم والده -رحمه الله- في بغداد، فقد سكنت عائلته أربع سنوات في مدينة الموصل من عام ١٩٤٨م حتى ١٩٥٢م ثم انتقلوا

---

(١) هكذا في الأوراق الرسمية هو وإخوته (زين) بخلاف أولاد عمهم أحمد فكنيتهم الرسمية (الزين).

(٢) له ترجمة في هذا الكتاب رقمها (٩).

إلى بغداد، فحصل الحمل به في بغداد وولد في حلب، وعاش في بغداد حتى أتم أربع سنوات، ثم عاد مع أسرته إلى حلب الشهباء.

كان من صغره صاحب شخصية محبوبًا من كل الأسرة والأهل والأقارب والجيران.

ولما بلغ السادسة من العمر أدخله والده الحاج محمد زين -رحمه الله تعالى- مدرسة يوسف العظمة الابتدائية، واصطحبته والدته -رحمها الله تعالى- إلى الخوجة القريبة من البيت؛ ليتعلم قراءة القرآن الكريم، فكان في الصباح في المدرسة، وبعد الظهر عند الخوجة (والخوجة امرأة تعلم القرآن للأطفال الصغار).

وفي يوم العطلة الأسبوعية والعطل الرسمية كان يعمل ليساعد والده وأسرته.

وفي تلك المدة جاء العم الحاج أحمد بن محمود الزين -رحمه الله تعالى- إلى العارف بالله سيدنا الشيخ محمد النبهان ﵁ وتعرف على جنابه الكريم، فأحبه بعد تنقله من شيخ إلى آخر من شيوخ الطرق والتصوف، ورأى الفارق الكبير والبون الشاسع بين سيدنا النبهان وبين من رأى من الشيوخ، وكانت الأسرة تتابع تَنَقّلَ العم الحاج أحمد وقصصه وأخباره مع هؤلاء الشيوخ لأنه كان يسكن في بيت ملاصق لبيت أخيه الأكبر الحاج محمد زين -رحمه الله تعالى- ولما استقر به المقام في رحاب سيدنا النبهان ﵁ كان ينقل للأسرة أخباره اليومية مع السيد الحبيب، ويذكر لهم ما سمعه من كلامه ومواقفه وما يتحدث إخوان سيدنا ﵁ مما رأوا وسمعوا وعايشوا مع هذا السيد العظيم، فبدأت أرواح الأسرة تتعلق وتزداد تعلقًا وحبًّا بالسيد النبهان ﵁، ومن بينهم هذا الفتى المعروف بطيبة قلبه وفطرته السليمة والمعروف بحركته ومقالبه التي لا تهدأ، فإذا بدأ العم بالحديث عن سيدنا النبهان ﵁ سكن الشيخ يوسف، والتمس موضعًا بجانب العم الكريم لئلا يفوته حرف من كلامه عن هذا السيد العظيم.

وبدأ يذهب بصحبة ابن عمه وتوأم روحه الشيخ محمود بن أحمد الزين -رحمه الله- إلى الكلتاوية علّهما يحظيان برؤية الوجه المحمدي البديع، وقد أكرمهما الله تعالى برؤية سيدنا النبهان وسماع كلامه وتوجيهاته، وواظبا على ذلك.

ولما أتم الدراسة الابتدائية سارع بالصعود إلى المدرسة الكلتاوية العلية التي كان قد أنشأها سيدنا النبهان ﵁ قبل ثلاث سنوات (عام ١٩٦٤م) للتسجيل فيها وكان هذا منتهى أمله، ولكن حينها كان توجيه سيدنا النبهان ﵁ في ذلك الوقت لقبول أكبر عدد ممكن من أبناء الريف؛ لحاجة الريف الماسة لطلبة العلم والدعاة، فتم تأجيل قبوله، فذهب مضطرًّا للتسجيل في إعدادية فلسطين إلا أن قلبه معلق في الكلتاوية، ودرس فيها على مضض ثلاث سنوات، وفي السنة الثالثة رسب في امتحان الإعدادية، وهو المعروف بمنافسته على الدرجة الأولى منذ الصف الأول، فأعاد الكرّة بطلب الدخول إلى المكان الذي يحب، والذي لم ينقطع عن الذهاب إليه في أي يوم من السنوات الثلاثة التي قضاها في مدرسة أخرى، وتم قبوله في هذه الدار الحبيبة «دار نهضة العلوم الشرعية» وكان أسعد يوم في حياته كما كان يحدث بذلك كلَّ من يتعرف عليه إلى آخر أيام عمره، والدموع تنهمر من عينيه كلما تذكر ذلك اليوم، وكان -رحمه الله- معروفًا بقرب دمعته، ورقة قلبه، وطيب أخلاقه، ومعشره عند كل من عرفه.

قضى في رحاب السيد النبهان، وفي رحاب هذه الدار الحبيبة خمس سنوات ما كان يفارقها إلا لأمر ضروري حتى في أيام الإجازات كان يذهب لساعات قليلة يستحم، ويغير ملابسه، ويسارع بالعودة وقضاء الإجازة في الرحاب الطاهرة.

وقد حكى لي مرارًا أنه كان يرجع إلى سيدنا في كل ما يُشكل عليه أو يعرض له من فكر، ويشكو نفسه إلى السيد فيما يعرض له من وساوس.

تابع الحديث أخوه الدكتورمحمد ربيع فقال: جاء مرة إلى السيد الحبيب بعد درس للطلاب أوصاهم فيه سيدنا ﵁ بضرورة اتخاذ صاحب وأخ في الله ليتذاكرا


الشيخ يوسف زين

ويتناصحا. فقال: سيدي أريد من جنابك أن تختار لي أخًا، فقال له السيد الحبيب: من تريد؟ قال: سيدي أريد الشيخ محمد رشواني أخًا لي. فقال السيد ﷺ: اذهب ونادِ الشيخ محمد رشواني فآخاه سيدنا معه، وكان الشيخ يوسف -رحمه الله تعالى- طالبًا والشيخ محمد رشواني -حفظه الله- موجهًا.

وكم مرة سمعت منه وهو يكاد أن يطير من الفرح، ويحس من يسمعه أن قلبه يرقص طربًا، وهو يروي حادثة حصلت له مع سيدنا النبهان ﷺ.

قال: «ذهبنا ونحن طلاب في الكلتاوية في رحلة مع سيدنا ﷺ، ولما وصلنا إلى الكَرْم تناولنا طعام الفطور بمعية السيد ﷺ، ثم اقترب أستاذنا الشيخ حسان فرفوطي -رحمه الله- من سيدنا واستأذنه أن يسمح للطلاب بأن يأخذوا في المشي والترويح عن أنفسهم في الكَرْم، وتكرم سيدنا ﷺ بالإذن لهم، وانطلق الطلاب، وبقي حول سيدنا ﷺ بعض الأساتذة ونفر من الطلاب، وجاؤوا لسيدنا بطبق فيه برتقال مقشر ومقطع، فجعل سيدنا ﷺ يأخذ قطعة برتقال ويضعها في فم كل طالب بيده الشريفة، يقول، رحمه الله تعالى: وقد أكرمني سيدنا بوضع قطعة برتقال بيده الشريفة في فمي، فوالله ما ذقتُ ولن أذوق مثل هذه اللقمة المباركة، وقد مدّ أحد الطلاب يده ليأخذ اللقمة بيده فأرجع سيدنا يده ولم يعطه ثم مد يده الشريفة مرة ثانية فوضعها في فم الطالب».

وذَكّرني أخي الحاج عبد الباسط محمد زين بحادثة حكاها لنا الشيخ يوسف -رحمه الله تعالى- قال: «عرضتُ للشيخ يوسف بعض الإشكالات، فطلب من سيدنا ﷺ أن يسمح له بلقائه وحده، وكان لايزال طالبًا في المدرسة، فقال له سيدنا: إي ابني تعال غدًا بعد صلاة الفجر إلى البيت، ونزل الشيخ يوسف من الكلتاوية، وطرق

باب بيت سيدنا الحبيب، فردت الخادمة من وراء الباب من؟ قال: يوسف زين عندي موعد مع سيدنا، وأخبروا سيدنا وجاء الإذن الكريم، ودخل إلى غرفة سيدنا وكانت لمبة الكهرباء في الغرفة محروقة، فدخل الحبيب رضي الله عنه، وقال: هذه اللمبة محروقة هاتوا لي لمبة جديدة والسلم، وأخذ سيدنا اللمبة وصعد السلم وأمسك الشيخ يوسف باللمبة بيد وأسند السلم باليد الأخرى، ثم فكّ سيدنا الحبيب اللمبة المحروقة وناولها الشيخ يوسف، وأخذ منه اللمبة الجديدة، وجعلها مكان القديمة، فأنارت الغرفة، يقول الشيخ يوسف- رحمه الله -: فانحلت كل الإشكالات التي كانت عندي، ونزل سيدنا الحبيب عن السلم، وقال له: ياالله ابني اطلع إلى مدرستك».

ولما انتقل سيدنا الحبيب إلى الرفيق الأعلى كان الشيخ يوسف -رحمه الله تعالى- لا زال طالبًا في الصف الخامس، فحزن حزنًا ما حزنه على أحد من الناس. يقول: «والله لقد أحسست حقيقة أن قلبي تفطر قطعًا وأنا أشعر بتفطره يوم انتقال سيدنا رضي الله عنه».

كان- رحمه الله-لا يفتأ يذكر الحبيب سيدنا النبهان رضي الله عنه، ويذكر مجالسه وكلماته ومواقفه، ويتحدث عن الكلتاوية الحبيبة أمام كل من يجالسه من الأهل والأقارب والأصحاب، وكل من يجلس معه ولو لم يكن يعرف الكلتاوية، و يحث جلساءه على الالتحاق بركب الدوحة النبهانية، صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساءً، ويحث الأهل على تسجيل أبنائهم في مدرسة سيدنا الحبيب؛ لتتلقح أرواحهم بالنفحات النبهانية، فإذا لم ير استجابة من الأهل انتقل إلى الأبناء وحاول ترغيبهم واستمالتهم بشتى الطرق ليعلق قلوبهم بالكلتاوية.

أبناؤه:

محمد (مهندس طيران)، وأحمد عامر (خريج كلية الشريعة في جامعة الشارقة) وثلاث بنات.

إخوته:

له خمس أخوات وثلاثة إخوة: أكبرهم محمود-رحمه الله-، وعبد الباسط، والدكتور محمد ربيع.

مسيرته العلمية:

حصل على الشهادة الابتدائية عام (١٩٦٦م).

ثم انتسب إلى المدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) في العام الدراسي ١٩٦٩/١٩٧٠م، وتخرج فيها، ونال شهادتها عام ١٩٧٥م. وهو دخل إلى الصف الثاني مباشرة.

ثم انتسب إلى جامعة الأزهر الشريف عام ١٩٧٦م، وتخرج في جامعة الأزهر كلية أصول الدين (قسم الحديث) عام ١٩٨٠م، حيث تخلف عن امتحان السنة الثالثة بسبب الخدمة العسكرية.

من شيوخه في مدرسة الكلتاوية:

الشيخ محمد لطفي، والشيخ الدكتور محمود فجال، والشيخ عبد الرحمن حوت، والشيخ محمد أديب حسون، والشيخ محمد بشير حداد، والشيخ صالح بشير الحجي، والشيخ حسان فرفوطي، والشيخ صالح حميدي الناصر، والشيخ عبد الباسط حسون، والشيخ عبد البر عباس، والشيخ علاء الدين علايا، والشيخ محمود الجوهري، والشيخ حمدي مبروك، وغيرهم، رحم الله من توفي منهم، وحفظ من بقي.

من زملائه وأصدقائه:

كان -رحمه الله تعالى- كثير الأصحاب، محبوبًا لكل من عرفه، ما رأيت ولا سمعت أحدًا عرفه إلا أحبه.

زملاؤه في الكلتاوية: الفوج السادس عام (١٩٧٤- ١٩٧٥م)

إبراهيم الحمادة، وخليل الشيخو، وزهير حموي، وعبد اللطيف الأحمد، وعبد اللطيف الشامي، وعبد المجيد عبد المجيد الأحمد، وعلي جمعة، وعلي مشاعل، وغازي الحسين، ومحمد الحسين عبد الحي، ومحمد المحمد الصالح، ومحمد النعمة، ومحمد أمين العثمان، ومحمد حسين عبد الله السيد، ومحمد خير الأحمد، ومحمد غنام زمزوم، ومحمود ناصر الحوت، ومصطفى موسى العمر، وموسى الأسود، ووليد نانو.

كان -رحمه الله تعالى- يقول: «كل من سبقني في الكلتاوية أو لحقني فهو أخي الحقيقي وصاحبي».

وكان أحب أصحابه إلى قلبه الشيخ الدكتور محمود أحمد الزين -رحمه الله- تعالى، والشيخ الدكتور محمود ناصر الحوت، حفظه الله تعالى.

ومن أقرب أصحابه وأصدقائه: الشيخ الدكتور علي أحمد مشاعل، والشيخ حسين كنو -رحمه الله- والشيخ عبد الهادي بدلة، والشيخ زهير حموي، والشيخ الدكتور محمد حسين عبد الحي.

مسيرته العملية:

- عمل في المدرسة الكلتاوية موجهًا ومدرسًا من عام ١٩٧٩ م إلى ١٩٨٥ م.
- عمل مدرسًا في الثانوية الشرعية (الخسروية) وبعض المدراس الإعدادية والثانوية.
- عمل إمامًا وخطيبًا في عدد من مساجد حلب.
- عمل إمامًا وخطيبًا في معسكر للجيش في إمارة الفجيرة في دولة الإمارات العربية من عام (١٩٨٧م) حتى (١٩٩٤م).
- عمل مدرسًا للتربية الإسلامية في مدارس إمارة الفجيرة، من عام ١٩٩٤م حتى وافاه الأجل سنة ٢٠١٤م.

من صفاته وأخلاقه:

كان -رحمه الله- طيب القلب، رحيمًا، فطريًّا، كريم الأخلاق، سريع الدمعة سخيها، محبًّا لله ورسوله ﷺ وأولياء الله والصالحين، هائمًا بمحبة سيدنا النبهان رضي الله عنه ما ذكره إلا دمعت عيناه.

ومن صفاته بره العظيم بوالديه -رحمهما الله تعالى- فقد كان معظمًا لهما، سمعت والدتي -رحمها الله تعالى- مرات تقول: الله يرضى عليك يا يوسف ما رفعتَ صوتك بوجهي، ولا نبرت بي أبدًا (يعني كان خطابه معها بلطف دائمًا) وكان من أكثر من عرفتهم صلة للأرحام.

هو المعلم العطوف الحاني على طلابه الشفوق بهم، سمعت من طلابه أنه -رحمه الله- كان حين يعاقب طالبًا أو يعاتبه يدعوه ليستلطفه ويمازحه حتى يضحكه كما أبكاه أو أحزنه. واشتهر عنه أنه -رحمه الله- إن تعجل بمعاقبة طالب، وتبين له أنه أخطأ بعقابه، أو كان يستحق أقل من هذا العقاب أن يدعو الطالب ويعتذر منه صراحة، ويطلب منه أن يسامحه، ولا يتركه حتى يسمع منه كلمة سامحتك وهو يبتسم.

ولقد سمعته مرات ونحن صغار ومع أبنائه وأبناء إخوته وأحيانًا مع بعض طلابه وهو يجهر بالنية: (نويت تأديب هذا الصبي أو هذا الغلام) استحضارًا للنية وابعادًا لحظ النفس في التربية.

كان من رحمة قلبه -رحمه الله- أنه لا يحتمل سماع بكاء طفل، وكثيرًا ما رأيته يبكي لبكاء طفل متألم.

مرضه ووفاته:

في ضحى يوم الأحد الحادي عشر من شهر ربيع الأول لعام ١٤٣٥هـ، الموافق للثاني عشر من كانون الثاني لعام ٢٠١٤م، فاضت الروح الكريمة إلى باريها مودعة

هذه الحياة الدنيا، وكان ذلك في مشفى القاسمي بمدينة الشارقة الإماراتية، غريبًا مهاجرًا، ودفن -رحمه الله تعالى- في مدينة الشارقة.

رثاه صهره الشيخ الدكتور محمد نور ربيع العلي فقال:

في مولد النور البهي رحلت عنْـ ـــا طائعًا متبسّمًا يا يوسف
فتركتَ في شَغَفِ الفؤاد مرارة إن الدموع حقيقة لا تنصف
لله درك لا مثيل لطيبه دفّاقة أوصافها لا توصف
وحنانُك الموصوف أنت أمينه وملاكُه ذاك الفؤاد المرهف
وذوائب الأجفان طيفك يرتمي في حضنها حيث المدامع تذرف
يا من رحلتَ فلا رحلتَ وإنما جسد يفارق مهجة تتوقف
إنْ كنتَ آثرتَ الرحيل فسنّةٌ لكن روحي نحوكم تتشوف
وسألت ربي عفوه لمضيفه إن الإله بعبده يتلطف

مصادر الترجمة:

- أعد لي هذه الترجمة شقيقه الشيخ الدكتور محمد ربيع محمد زين.

الخاتمة

هذا غيضٌ مِنْ فيضِ تراجمِ هؤلاءِ الرجالِ الذين عَرَفوا ربَّهم، فنسألُ الله العليَّ القديرَ أنْ يوفقنا لنقتفي دَرْبَهم، وأن يجمعنا بهم في موقف الحَشْر، لنحظى منهم بأطيبِ نَشْر، تحتَ رايةِ الوارثِ المحمديِّ سيدِنا وقدوتِنا محمد النبهان رضي الله عنه، وأصحابِهِ الدُّرَرِ الحِسان رضي الله عنهم.

أمَّا العبدُ الفقير، فإني أطلبُ من ربي العفو عن أيِّ زللٍ أو تقصير، وأقول للقراء الكرام:

وإنْ تجدْ عَيْبًا فَسُدَّ الخَلَلا فَجَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فيه وعَلا

وآخر دعوايَ أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ونبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره وهُداه إلى يوم الدين.

الفهارس الفنية

المراجع

١- «آداب الصحبة» للنيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي، ت مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الأولى، ١٤١٠/١٩٩٠م.

٢- «أعلام الطريقة النقشبندية » لمحمد زكريا المسعود، دار فصلت، ٢٠٠٩م.

٣- «آلاء الرحمن على العارف النبهان» للشيخ محمد أديب حسون.

٤- «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المسماة بالسيرة الحلبية» لنور الدِّين الحلبي، المطبعة الأزهرية.

٥- «تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري» ليونس الشيخ إبراهيم السامرائي، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد.

٦- «تاريخ علماء سامراء» ليونس السامرائي، دار البصري، بغداد، ١٩٦٦م.

٧- «تاريخ علماء الفلوجة والشخصيات العلمية فيها» لعبود فياض المشهداني.

٨- «جامع بيان العلم وفضله» للقرطبي، ت أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

٩- «الجامع الكبير «سنن الترمذي» للترمذي، ت بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٠- «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» لأحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب البغدادي، ت محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

١١- «الجامع لشعب الإيمان» لأبي بكر البيهقي، ت عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض.

١٢- «الجامع المسند الصحيح» (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٣- «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين» للقاضي يوسف النبهاني، دار الكتب العلمية.
١٤- «ديوان ابن الفارض» لعمر بن الفارض، مصطفى بابي الحلبي، المطبعة الميمنية، مصر.
١٥- « ديوان حسان بن ثابت » لأبي جعفر محمد بن حبيب الهاشمي، بالولاء، البغدادي، ت وليد عرفات، مكتبة صادر، بيروت، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٦ م.
١٦- «ديوان الحلاج، الأعمال الكاملة» ت قاسم محمد عباس، منشورات رياض الريس. الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م
١٧- «ديوان القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز» ت سميح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق.
١٨- «الروضة الندية» للأستاذ الدكتور محمود فجال. مخطوط.
١٩- «سنن أبي داود» للسِّجِسْتاني، ت شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية دمشق، الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩ م.
٢٠- «السيد النبهان» لهشام عبد الكريم الألوسي، دار المعرفة، بيروت.
٢١- «سير أعلام النبلاء» للذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.
٢٢- «شرح الشفا» لأبي الحسن نور الدين ملا علي الهروي القاري، ت عبد الله الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٢٣- «شعب الإيمان» للبيهقي، ت عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
٢٤- «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي اليحصبي، مذيلًا بحاشية الشمني، دار الفكر.

٢٥- «علماء حلب في القرن الرابع عشر » لمحمد عدنان كاتبي، الأولى، ٢٠٠٨م.
٢٦- «القاموس المحيط» للفيروز آبادي، ت محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الثامنة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢٧- «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» لإسماعيل العجلوني، ت يوسف الحاج أحمد، مكتبة العلم الحديث.
٢٨- «لسان العرب» لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقى، دار صادر، بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٢٩- «المجتبى من السنن المعروف بالسنن الصغرى» للنسائي، ت عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٠- «الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره» للدكتور محمد فاروق النبهان، دار التراث، حلب.
٣١- «المسند الصحيح المختصر» لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٣٢- «المعجم الكبير» لسليمان بن أحمد الطبراني، أبو القاسم، ت حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٣٣- «مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها» للخرائطي، ت أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٣٤- «موسوعة الدعاة والأئمة والخطباء في حلب» لأحمد تيسير كعيد، دار الرفاعي للنشر ودار القلم العربي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م
٣٥- «نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر»، ليوسف المرعشلي، دار المعرفة، لبنان.
٣٦- «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

الأعلام بحسب تواريخ الوفيات [١]

ت	الاسم	تاريخ الوفاة	الجزء والصفحة
١	الشيخ عبد الكريم حموية	١٩٣٠م	١: ٣٧٨
٢	الحاج أحمد النبهان (والد سيدنا)	١٩٤٤م	١: ١٥
٣	الشيخ قاسم القيسي	١٩٥٥م	٢:٧
٤	الشيخ عبد الستار الملاّ طه	١٩٦٥م	١: ٣٠٢
٥	الحاج محمد هدى مهندس	١٩٦٩م	٢:١٩٤
٦	الشيخ عبد العزيز البدري	١٩٦٩م	١: ٣١٠
٧	الشيخ محمد حوت	١٩٧٠م	٢:٧٧
٨	الشيخ محمد الفياض	١٩٧٢م	٢:١٠٨
٩	الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي	١٩٧٣م	١: ٣١٨
١٠	الشيخ محمد لطفي	١٩٧٤م	٢:١٢١
١١	الشيخ نجيب سالم	١٩٧٤م	٢:٤٢٢
١٢	الشيخ أيوب الفياض	١٩٧٤م	١: ١٣٩
١٣	الحاج محمد نذير بسطاطي	١٩٧٥م	٢:١٦٨
١٤	الشيخ عمر عابدين	١٩٨٠م	١: ٤٣٣
١٥	الشيخ عبد الكريم الألوسي	١٩٨٠م	١: ٣٦٨
١٦	الشيخ محمد الشامي	١٩٨٠م	٢:٩٦
١٧	الحاج محمد الدباغ	١٩٨٠م	٢:٨٩
١٨	الحاج جاسم الفياض	١٩٨٢م	١: ١٥٢
١٩	الشيخ عواد زوبع الكربولي	١٩٨٣م	١: ٤٦٠
٢٠	الشيخ الأمير ناظم العاصي	١٩٨٣م	٢:٤٠٩
٢١	الشيخ محمود مهاوش	١٩٨٣م	٢:٣٦١
٢٢	الحاج عبدو البيك	١٩٨٤م	١: ٣٨٩
٢٣	الشيخ إبراهيم رحيّم	١٩٨٤م	١: ٨٧

(١) رتبت الأسماء هنا حسب قِدَم الوفاة بالشهر والعام.

ت	الاسم	تاريخ الوفاة	الجزء والصفحة
٢٤	الحاج فوزي شمسي	١٩٨٩م	١: ٤٩٣
٢٥	الشيخ عبد الرزاق محمود حبيب	١٩٩٠م	١: ٢٨٦
٢٦	الشيخ عبد الرحمن حوت	١٩٩٢م	١: ٢٨٠
٢٧	الحاج سليم التبان	١٩٩٢م	١: ٢١٦
٢٨	الشيخ عبد الكريم حردان العلواني	١٩٩٢م	١: ٣٧٤
٢٩	الشيخ محمد منير حداد	١٩٩٢م	٢:١٤٤
٣٠	الشيخ محمد بشير حداد	١٩٩٢م	٢:٤٣
٣١	الشيخ عبد الله حَدِيْدْ جَلْ	١٩٩٣م	١: ٣٨٤
٣٢	الحاج مأمون بارودي	١٩٩٣م	٢:١٩
٣٣	الشيخ حسان فرفوطي	١٩٩٤م	١: ١٥٨
٣٤	الحاج محمود رحيم	١٩٩٦م	٢:٢١٣
٣٥	الشيخ محمود دعبول	١٩٩٧م	٢:٢٠٣
٣٦	الحاج عمر ططري	١٩٩٨م	١: ٤٢٤
٣٧	الحاج عبد القادر خوجه	١٩٩٨م	١: ٣٤٦
٣٨	الشيخ نزار لبنية	١٩٩٨م	٢:٤٢٨
٣٩	الشيخ محمد ولي	٢٠٠٠م	٢:١٩٩
٤٠	الشيخ أحمد الزين	٢٠٠٢م	١: ١٢٠
٤١	السيد عبد الله النبهان (أبو الشيخ)	٢٠٠٣م	١: ٣٨
٤٢	السيد أحمد النبهان (أبو فاروق)	٢٠٠٣م	١: ٢٥
٤٣	الدكتور سعيد عبدان	٢٠٠٤م	١: ٢١٠
٤٤	الحاج محمد حسن العبد الله	٢٠٠٥م	٢:٦٥
٤٥	الشيخ حمزة عباس مهنا	٢٠٠٥م	١: ١٩٩
٤٦	الحاج عبد العزيز عبد الرزاق الغرس	٢٠٠٦م	١: ٣٣٠
٤٧	الحاج ناصر الناصر	٢٠٠٦م	٢:٤٠٠
٤٨	الشيخ محمد حسين مشاعل	٢٠٠٦م	٢:٧٠
٤٩	الشيخ صالح حميدة الناصر	٢٠٠٧م	١: ٢٤٣
٥٠	الحاج فاضل قره بلّلي	٢٠٠٧م	١: ٤٩٠
٥١	الشيخ محمد أديب حسون	٢٠٠٨م	٢:٢٦
٥٢	الحاج رشيد مشعان	٢٠٠٨م	١: ٢٠٤



ت	الاسم	تاريخ الوفاة	الجزء والصفحة
٥٣	الحاج أحمد أفندي	٢٠٠٩م	١: ١٠٦
٥٤	الدكتور عبد القادر العاني	٢٠٠٩م	١: ٣٥١
٥٥	الشيخ علاء الدين علايا	٢٠١٠م	١: ٣٩٥
٥٦	الحاج محمد تركي	٢٠١١م	٢:٥٧
٥٧	الحاج إبراهيم الفياض	٢٠١٢ م	١: ٩٨
٥٨	الشيخ عمر ملاحفجي	٢٠١٢ م	١: ٤٤٣
٥٩	الشيخ أحمد مهدي خضر	٢٠١٣م	١:١٢٥
٦٠	الدكتور محمود الزين	٢٠١٣م	٢:٢٢١
٦١	الشيخ حسين كنو	٢٠١٤م	١: ١٨٩
٦٢	الشيخ يوسف زين	٢٠١٤م	٢:٤٥٢
٦٣	الأستاذ محيي الدين أحمد العمر	٢٠١٤م	٢:٣٧٧
٦٤	الشيخ يحيي الفياض	٢٠١٤م	٢:٤٤٣
٦٥	الحاج عبد العزيز محمد خضر العاني	٢٠١٥م	١: ٣٣٤
٦٦	الأستاذ الدكتور محمود فجَّال	٢٠١٥م	٢:٢٦١
٦٧	الحاج ملحم الحمد	٢٠١٦م	٢:٣٩٢
٦٨	الشيخ عايش جروان الكبيسي	٢٠١٦م	١: ٢٥١
٦٩	الشيخ عابد صالح الحماشي	٢٠١٧م	١: ٢٤٦
٧٠	الحاج عيسى الْكُوَاتِي	٢٠١٧م	١:٤٨٤
٧١	الشيخ أحمد حوت	٢٠١٧م	١: ١٠٩
٧٢	الشيخ علي عمر المحمد	٢٠١٧م	١: ٤١٦
٧٣	الشيخ عبد البر عباس	٢٠١٨م	١: ٢٦٩
٧٤	الشيخ ياسين ويسي	٢٠١٩م	٢:٤٣٣
٧٥	الشيخ محمد نذير حامد	٢٠١٩م	٢:١٧٢
٧٦	الدكتور عبادة الكبيسي	٢٠١٩م	١: ٤٦٥

مُحْتَوَى

الجُزْءُ الثَّانِي

مؤلف الكتاب



أحمد بن محمد عبوش.

من مواليد سورية حلب ٢٢ شعبان ١٣٩٩هـ الموافق ١٨ تموز ١٩٧٩م.

درس الإعدادية والثانوية في مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية (الكلتاوية) بحلب، وتخرج فيها ونال شهادتها عام ١٩٩٧م.

حاصل على شهادة حفظ القرآن من دار نهضة العلوم الشرعية (الكلتاوية) في حلب عام ١٩٩٧م.

حاصل على الليسانس من كلية الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر عام ٢٠٠١م.

حاصل على إجازة في قراءة حفص من الشيخ محمد جمال المصري عن شيخه محمود عبدو نصرة عن شيخه محمد نجيب خياطة بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٤٣٩هـ.

قرأ العديد من الكتب العلمية على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في أبو ظبي، مثل: ألفية ابن مالك، غاية الوصول، إضاءة الدجنة، عقود الجمان في البلاغة، لامية الأفعال، وغيرها.

من شيوخه في مدرسة دار نهضة العلوم الشرعية (الكلتاوية): الشيخ صالح بشير، والأستاذ حسان فرفوطي، والشيخ عبد البر عباس، والشيخ رجب الهيب، والشيخ أحمد حوت، والشيخ محمد نبيه سالم، والشيخ بلال حمزة، والشيخ محمد الرشواني، والدكتور محمود الزين، والشيخ عبد المنعم سالم، والشيخ عبد الجواد العاشق، والدكتور محمود حوت، والشيخ محمد أمين مشاعل، والشيخ حسين كنو، والشيخ عبد الله عزو، والشيخ عبد الرحمن ذمة، وأحمد جودت خضر، وغيرهم.